

الحلل السندسية

في الأخبار والآثار الأندلسية

بقلم

الأمير شكيب أرسلان

من أعضاء المجمع العلمي العربي
وفقه الله لما يرضاه

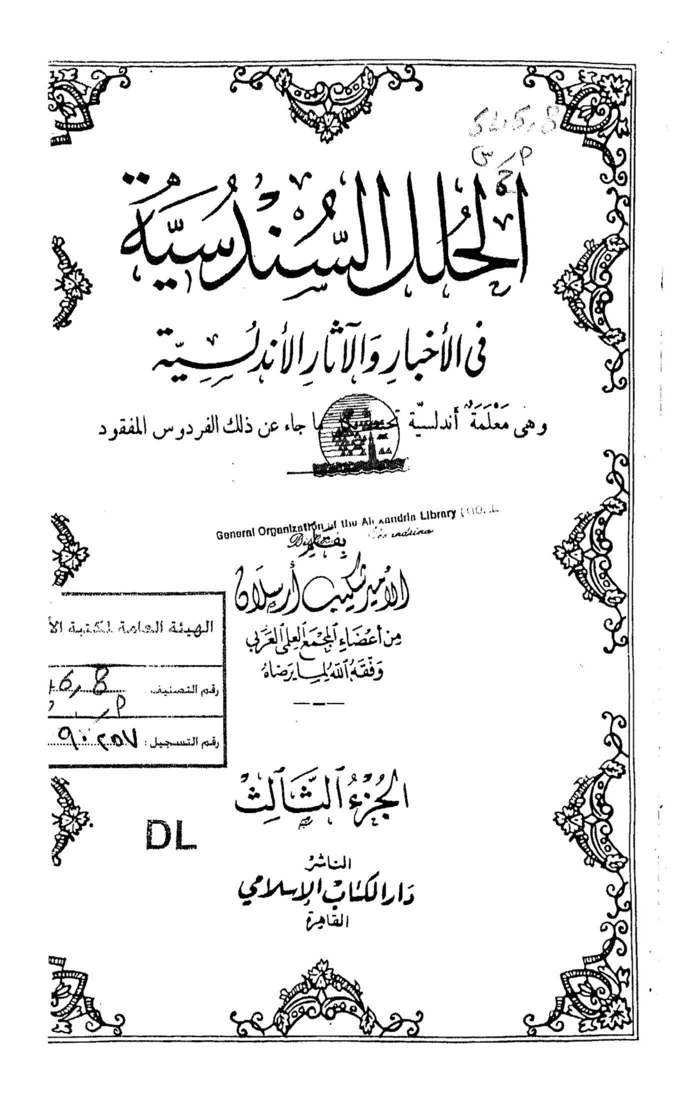
الجزء الثالث











الحلل السندسية

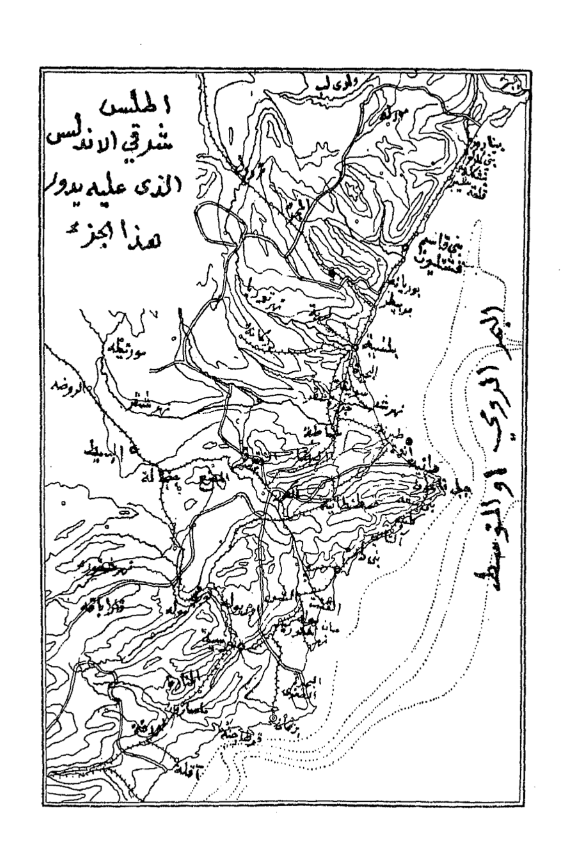
في الأخبار والآثار الأندلسية

وهي معلمة أندلسية تجمع ما جاء عن ذلك الفردوس المفقود

بقلم
الأمير شكيب أرسلان
من أعضاء المجمع العلمي العربي
وفقه الله لما يرضاه

الجزء الثالث

الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة


الطلس
شرقي الاندلس
الذى عليه يدور
هذا الجزء
البحر الرومي او المتوسط
بلنسية
الروضة

فاتحة

الجزء الثالث

من الحلل السندسية فى الآثار والأخبار الأندلسيه

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو الجزء الثالث من كتابنا على الأندلس يتلو أخويه السابقين الجزء الأول والجزء الثانى اللذين ظهرا من سنتين . وهو على نمطهما فى ذكر مواقع البلاد الجغرافية ومزايا كل منها ومن نبغ فيها من العلماء والأدباء، وكما كان الكلام فى الجزئين السابقين على شمالى أسبانية مثل قشتالة وليون ونباره وأراغون وكتلونية داخلة فيها من قواعد العرب المشهورة طليطلة ومجريط ووادى الحجارة وفونكة ومدينة سالم وقلعة أيوب ودروقة وسرقسطة ووشقة ولاردة ومضافاتها سيكون الكلام فى هذا الجزء على شرقى الأندلس من طرطوشة فى الشمال الشرقى نازلا إلى حد لورقة فى الجنوب الغربى مندمجة فى هذا الجزء مملكة بلنسية وملحقاتها ومملكة مرسية وتوابعها مما كان يطلق عليه اسم شرق الأندلس.وقد ترجمنا من نبغ فى هذه البلاد الشرقية من العلماء والأدباء مع زيادة توسع فى أخبارهم ومع بعض استطرادات متشعبة من أصل الموضوع.وسيتلو هذا الجزء من كتابنا الجزء الرابع الذى سيكون الكلام فيه على جيان وقرطبة ونواحيهما

ثم يأتى بعده الجزء الخامس الذى سيكون الكلام فيه على اشبيلية وشريش و بطليوس وغرب الأندلس إلى البرتغال . ثم يتلوه الجزء السادس الخاص بمملكة بنى الأحمر غرناطة والمرية وبسطة ووادى آش والمنكّب ومالقة ورندة وملحقاتها. ثم يتلوه الجزء السابع فى التاريخ من أول الفتح إلى آخر دولة بنى أمية ثم الجزء الثامن من بداية ملوك الطوائف إلى انقضاء دولة المرابطين ثم دولة الموحدين إلى انتهائها. ويأتى بعده الجزء التاسع الذى سيكون الكلام فيه على سلطنة غرناطة إلى حد سقوطها . ويتلوه جزء خاص بتاريخ عرب اسبانية المدجّنين الذين كان يقال لهم الموريسك وهم المسلمون الذين أقاموا تحت حكم النصارى إلى أن طردوهم أخيراً قاطبة وذلك فى نواحى سنة ١٦١٢ وربما يدخل فى هذا الجزء رسالتنا على جزائر الباليار ميورقة وأخواتها . هذا هو رسم كتابنا الأندلسى الذى توخينا أن يكون أوسع كتاب فى هذا الباب سائلين المولى عز وجل أن يفسح فى الأجل ويأخذ باليد لانجازه .

جنيف محرم الحرام سنة ١٣٥٨ شكيب أرسلان

مملكة بلنسية ومرسية

من عادة المؤرخين والجغرافيين أنهم إذا وصلوا إلى ذكر مملكة بلنسية وساحل اسبانية الشرق يذكرون معها جزائر الباليار التى هى ميورقة وميتورقة ويابسة ومنهم من يذكر هذه الجزائر مع كتالونية لأنها مصاقبة من الجهة الشمالية لكتلونية كما هى من الجهة الجنوبية مصاقبة لبلنسية . ونحن اخترنا أن نفرد لهذه الجزائر جزءا مستقلا من الحلل السندسية تحت اسم « الأصول المعرقة والغصون المورقة فى محاسن جزيرة ميورقة » فنذكر هذه الجزيرة وأخواتها ونطوف بجغرافيتها وتاريخها وجميع أخبارها ونعرج على آثارها ونتكلم على رحلتنا اليها ونترجم من نبغ فيها من العلماء والأدباء واشتهر من الأمراء والعظماء سواء كانوا من العرب أو من الأسبانيين فلذلك سنمضى الآن فى ذكر مملكة بلنسية وتوابعها مبتدئين بمدينة طرطوشة التى هى آخر كتلونية من جهة الجنوب وأول البلاد التابعة لبلنسية من جهة الشمال وقد كانت طرطوشة فى الماضى وبقيت مدة طويلة هى الحد الفاصل بين المسلمين والنصارى . وكان يقيم بها فى أيام الخلافة الأموية مندوب من قبل الخليفة ينظر فى أمور الداخلين من بلاد الافرنج إلى المملكة الاسلامية فعلى يده يكون التسريح فى الدخول والخروج . وممن تولوا هذه الخطة القاضى منذر بن سعيد البلوطى الشهير لعهد الخليفة الناصر عبد الرحمن .

طرطوشة (١) Tortosa

وطرطوشة اليوم مدينة متوسطة واقعة على ضفة نهر أبره الذى ينحدر على مقربة

---

(١) يقول الحميرى بن عبد المنعم إن مفرغ وادى طرطوشة فى البحر يقال له « القبطيل » ويعرف أيضاً بالعسكر لأنه موضع عسكر به المجوس واحتفروا حوله خندقاً أثره باق الى الآن .

منها إلى البحر وعدد سكانها نحو من ٢٨ ألف نسمة، وهى مركز اسقفية وقد كان يقال لها فى زمان الرومانيين «درتوزه» Dertosa وكان لها أيضاً اسم آخر وهى مستعمرة «جولية السعيدة» Col onia Julia Augusta وكان لها حق فى سك العملة، وبالنظر لموقعها الجغرافى كانت لها دائما أهمية بين المدن الأسبانية لاسيما أنه بالقرب منها غابات من الصنوبر المتين الصالح لانشاء السفن فلا تخلو طرطوشة أبداً بهذا السبب من دار صنعة بحرية . وقد استولى عليها العرب فى بداية الفتح ولكن الافرنج جاءوا بعد استيلائهم على كتلونية فهاجموا طرطوشة لاستردادها وفى سنة ٨٠٩ للمسيح حاصرها الملك لويس الحليم بن شارلمان فعجزعنها فانكفأ عن حصارها ثم عاودها بعد سنتين ففتحها ثم عاد العرب فاسترجعوها . وعلى طرطوشة وقعت الوقائع بين لويس الحليم ابن شارلمان والحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الأموى الذى أرسل ولده عبد الرحمن بجيش أخرج منها الافرنج . قال لاوى بروفنسال فى الانسيكلوبيدية الاسلامية انه نظراً لوجود طرطوشة فى طرف بلاد المسلمين كان الخلفاء يجعلونها منفى لمن يكرهون إقامته فى داخل المملكة . قال : واليها نفى المنصور بن أبى عامر عبد الملك بن ادريس الجزيرى . ولما تشظت عصا الخلافة ونجمت ملوك الطوائف صارت طرطوشة امارة مستقلة قام بها نبيل الصقلبى من المماليك العامرية واستولى نبيل هذا أيضاً على بلنسية لكن لم يطل أمره بها . وكان قبل نبيل تولى عليها الفتى لبيب وفتى آخر اسمه مقاتل لقّب نفسه بسيف الدولة . وفى سنة ٤٥٢ للهجرة وفق ١٠٦٠ للمسيح ثارت طرطوشة بأميرها نبيل الصقلبى فاضطر أن يلجأ إلى المقتدر بن هود صاحب سرقسطة فبقيت هذه المدينة فى أيدى ملوك بنى هود الى أن تقلص ظل الاسلام عنها وكان النصارى استولوا عليها سنة ٥١٢ هجرية وفق ١١١٨ مسيحية، ثم أخرجهم المسلمون منها إلى أن ضاق النصارى ذرعاً بغارات المسلمين البحرية التى كان أكثرها صادرا عن طرطوشة بمكانها مركزاً عظيما لقرصان المسلمين فصمم ريموند بيرانجه Raymond Béranger الرابع صاحب برشلونه على أخذ طرطوشة ووافته نجدات من فرسان الهيكليين الصليبيين وأساطيل بيزه وجنوة من ايطالية فاقتحموا البلدة براً وبحراً واستولوا عليها فى ١٤ شعبان

سنة ٥٤٣ وفى ٣٠ ديسمبر سنة ١١٤٨ وهى السنة التى استولى فيها النصارى على لاردة وافراغه (١) . فكرّ المسلمون على طرطوشة وكادوا يفتحونها فدافع الأسبان عنها أشد دفاع وظهر من النساء ذلك اليوم استبسال نادر المثال حتى قيل انهن كن السبب فى حفظ طرطوشة من الوقوع فى يد الاسلام فلذلك منحهن بيرانجه وساماً اسمه وسام الفاس وهو عبارة عن شريطة حمراء يحملنها ويتبخترن بها وكذلك أعطين حق التقدم على الرجال فى حفلات الزواج .

---

(١) أما صبح الأعشى فيجعل ماردة مكان لاردة فهو يقول فى الجزء الخامس، صفحة ٢٦٧ من الطبعة الأميرية بمصر مايلى فى عرض البحث عن ملوك قشتالة : « ولما فشلت ريح بنى عبد المؤمن فى زمن المستنصر بن الناصر استولى الفونش على جميع مافتحه المسلمون من معاقل الأندلس ثم هلك الفنس (أى الفونس) وولى ابنه هراندُه (أى فرديناند) وكان أحول وبذلك يلقب فارتجع قرطبة واشبيلية من أيدى المسلمين . وزحف ملك أراغون فى زمنه فاستولى على ماردة وشاطبة ودانية وبلنسية وسرقسطة والزهراء والزاهرة وسائر القواعد والثغور الشرقية »

قلنا هذه المدن لم يرتجعها ملوك أراغون فى وقت واحد . وأما الزهراء والزاهرة فلم نعلم ماذا يقصد بهما صاحب صبح الأعشى فان كانتا مدينة الزهراء التى بالقرب من قرطبة وقصر الزاهرة الذى فيها فليس بصحيح أنهما دخلا فى حوزة ملك أراغون وان كان ذلك أمكنة أخرى فهى لم تظهر لنا حتى الآن ولعل هذه الجملة من خطأ النساخ. وأما ماردة فلم يأخذها ملوك أراغون فيما نعلم وانما ارتجعها ملك ليُون الفنش التاسع سنة ١٢٢٨ وهى فى غرب الأندلس لا فى شرقها ليستولى عليها ملوك أراغون الذين ليست ماردة من خطتهم فلهذا نرجح أن المقصد هو لاردة لا ماردة وانه وقع تصحيف أوجب هذا الاختلاط . ولاردة هى من الثغور الشرقية كانت دائما تابعة لسرقسطة مذكورة معها وكانت من مملكة بنى هود .ولقد لحظنا أن المقرى فى النفح وقع أيضا فى هذا الوهم وجعل ماردة مكان لاردة وعدها من خطة بنى هود أو أن هذا الوهم من النساخ لا من المؤلف .

وكان خلفاء بنى أمية شديدى الاعتناء بطرطوشة. نقل ابن عبد المؤمن الحميرى أنهم خصنوها بأسوار منيعة وجعلوا لها أربعة أبواب وعمرت فى أيامهم عمراناً ذا بال وبنى فيها الخليفة الناصر عبد الرحمن سنة ٣٣٣ وفق ٩٤٥ دار صنعة للسفن لايزال تاريخ انشائها منقوشاً على الحجر (١) . وكان فى طرطوشة مسجد جامع بخمسة صفوف من الأقواس ذكر لاوى بروفنسال أنه مبنى من سنة ٣٤٥ للهجرة ولكن رأيت فى دليل

(١) نشر لاوى بروفنسال فى كتابه « الكتابات العربية فى أسبانية » الكتابة المنقوشة على الحجر المتعلقة بانشاء عبد الرحمن الناصر دار الصناعة البحرية فى طرطوشة المحفوظة فى الجدار الخارجى الشمالى من كنيسة هذه البلدة ولها مثال عنها فى المتحف الآثارى بطركونة والمتحف الآثارى الوطنى فى مجريط وهذه الكتابة هى عشرة أسطر بالخط الكوفى البسيط وهى هذه :

« بسملة . . . . . أمر بانشاء هذه الدارعدة للصناعة والمراكب عبدالله عبدالرحمن أمير المؤمنين أيده الله فتم بناؤها على يدى قائده وعبده عبدالرحمن بن محمد بعون الله ونصره فى سنة ثلث وثلاثين وثلثمائة وكتب عبد الله بن كليب »

قال لاوى بروفنسال : إن هذه البلاطة التذكارية هى من أجمل الوثائق التاريخية الحجرية المحفوظة من أيام اسبانية الاسلامية قال : والملحوظ من قوله (عدة للصناعة والمراكب) انها لم تكن للانشاء فقط بل لاصلاح الأساطيل الخليفية .

ثم نقل لاوى بروفنسال كلام عبد المنعم الحميرى بشأن طرطوشة وهو : وعلى المدينة سور صخر من بناء بنى أمية على رسم أولىّ قديم ولها أربعة أبواب وأبوابها كلها ملبسة بالحديد ولها أرباض من جهة الجوف والقبلة ودار الصناعة قد أحدق على ذلك كله سور صخر بناه عبد الرحمن بن النظّام وبها جامع من خمس بلاطات وله رحبة واسعة بنى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة الخ .

ولاوى برفنسال يظن أن عبد الرحمن بن النظّام هذا هو عبد الرحمن بن محمد الذى تم انشاء دار الصناعة هذه على يديه .

بديكرأن الكنيسة الكاتدرائية فى طرطوشة هى من بناء مطران اسمه « غوفريدُه » اشتغلوا فى بنائها من سنة ١١٥٨ الى ١١٧٨ وذلك فى مكان مسجد بناه الخليفة الناصر سنة ٩١٤ والأقرب أن يكون هذا المسجد هو المسجد الجامع هذا الا اذا كان هناك مسجد آخر بناه الناصر . وعلى كل حال فلا يزال فى صومعة الثياب الكهنوتية إلى اليوم كتابة كوفية تتعلق ببناء هذا المسجد . وفى هذه الصومعة أيضاً خوذة عربية . ثم إن قبة الجرس التى فى هذه الكنيسة هى مأذنة المسجد باقية كما كانت . وكان بنو أمية بنوا فى طرطوشة مبانى أخرى منها أربعة حمامات عمومية وكانت أرباضها فى غاية العمران . قال لاوى بروفنسال : اذا نظرنا الى العلماء الذين يحملون لقب « الطرطوشى » حكمنا بأن هذه البلدة بقيت مدة طويلة مركزاً لامعاً بأنوار العلوم الاسلامية ثم ذكر أشهر العلماء المنسوبين إلى طرطوشة وهو أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى المعروف بابن رُندقة ولد فى طرطوشة سنة ٤٥١ وتوفى فى الاسكندرية سنة ٥٢٠ وهو صاحب كتاب « سراج الملوك » . قال ياقوت فى معجم البلدان : طَرطُوشَة بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية وهى شرق بلنسية وقرطبة قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر أبرة ولها ولاية واسعة وبلاد كثيرة تعد فى جملتها، تحلها التجار ويسافر منها

وقد فاتنا أن نذكر فى الجزء الثانى عند الكلام على طركونة نقل الكتابة التى وجدت فى حائط من كنيسة طركونة الكبرى عند الباب وهى هذه : «بسم الله بركة من الله لعبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين أطال الله بقاه مما أمر بعمله على يدى جعفر فتاه ومولیه سنة تسع وأربعين وثلمائة » وهذه الكتابة هى بالخط الكوفى البديع ثلاثة أسطر فى الرخام سطران متقابلان وسطر من فوقهما وعلو هذه الكتابة متر و ٢٦ وعرضها ٧٦ من المتر ولا شك أنها كتابة متعلقة ببناء الجامع الأعظم فى طركونة أو بترميم فيه وهو الجامع الذى فى مكانه توجد الكنيسة الآن. وأما جعفر المذكور فيها فالأرجح أنه هو جعفر الذى كان يدير أمور الأبنية الخليفية فى زمن الحكم الثانى واسمه جعفر بن عبد الرحمن وقد ورد ذكره فى كثير من الكتابات القرطبية

إلى الأمصار واستولى عليها الافرنج فى سنة ٥٤٣ وكذلك على جميع حصونها وهى فى أيديهم إلى الآن . وينسب اليها أحمد بن سعيد بن ميسرة الغفازى الأندلسى الطرطوشى كتب الحديث الكثير من على بن عبد العزيز ومحمد بن اسماعيل الصايغ وغيرهما وحدث ورحل فى طلب العلم ومات بالأندلس سنة ٣٢٢ . وأبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهرى الطرطوشى الفقيه المالكى مات فى خامس عشر جمادى الأولى سنة ٥٢٠ ويعرف بابن أبى رندقة هذا الذى نشر العلم بالاسكندرية وعليه تفقه أهلها قاله أبو الحسن المقدسى فى كتاب « الرقيات » له، وذكره القاضى عياض فى مشيخة أبى على الصدفى فقال : محمد بن الوليد الفهرى الامام الورع أبو بكر الطرطوشى المالكى يعرف ببلده بابن أبى رندقة براء ونون ساكنة ودال مهملة وقاف مفتوحتين نشأ بالأندلس وصحب القاضى أبا الوليد الباجى وأخذ عنه مسائل الخلاف ثم رحل الى الشرق ودخل بغداد والبصرة فتفقه عند أبى بكر الشاشى وأبى سعيد بن المتولى وأبى أحمد الجرجانى أئمة الشافعية ولقى القاضى أبا عبد الله الدامغانى وسمع بالبصرة من أبى على التسترى والسيمدانى وسمع ببغداد من أبى محمد التميمى الحنبلى وغيرهم، وسكن الشام مدة ودرّس بها وبعد صيته وأخذ عنه الناس هناك علماً كثيراً ثم نزل الاسكندرية واستوطنها . قال القاضى أبو على الحسين الصدفى : صحبته بالأندلس عند الباجى ولقيته بمكة وأخذت عنه أكثر السنن لأبى داود عن التسترى ثم دخل بغداد وأنا بها فكان يقنع بشظف من العيش وكانت له نفس أبية أخبرت أنه كان ببيت المقدس يطبخ فى شَقَف (١) وكان مجانباً للسلطان استدعاه فلم يجبه وراموا الغض من حاله فلم ينقصوه قلامة ظفر، وله تأليف وشعر، فمن شعره فى بر الوالدين :

لو كان يدرى الابن أية غصة ... يتجرّع الأبوان عند فراقه
أمٌّ تهيج بوجدها حيرانة ... وأب يسح الدمع من آماقه
يتجرّعان لبينه غصص الردى ... ويبوح ما كتماه من أشواقه

(١) الشَّقَفُ هو الخزف وقيل الكِسَر منه الواحدة شَقَفَة وفى البلاد الشامية يستعملون الشقفة بمعنى القطعة مطلقاً

لرثى لأم سُـلَّ من أحشائها   وبكى لشيخٍ هام فى آفاقـه
ولبدّل الخلق الأبىّ بعطفه   وجزاها بالعَذْب من أخلاقه

وطلبه الافضل صـاحب مصر فاقدمه من الاسكندرية الى مصر وألزمه الاقامة بها وأزكن [1] عليه أن لا يفارقها الى أن قُيِّد الافضل فصُرف الى الاسكندرية فرجع بحالته الى أن توفى بها سنة ٥٢٠

وجاء فى صبح الاعشى عن طرطوشة ما يلى : قال فى تقويم البلدان بضم الطائين المهملتين وبينهما راء ساكنة مهملة ثم واو ساكنة وشين معجمة وهاء فى الآخر . وهى مدينة فى شرق الاندلس موقعها فى الاقليم الخامس من الاقاليم السبعة. قال ابن سعيد: حيث الطول اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة والعرض أربعون درجة . قال: وهى من كراسىّ مُلك شرق الاندلس . وهى شرق بلنسية فى الجهة الشرقية من النهر الكبير الذى يمر على سرقسطة ويصب فى بحر الزقاق على نحو عشرين ميلا من طرطوشة. قال: وشرق طرطوشة (جزيرة ما يُرْقَة) فى بحر الزقاق والى طرطوشة هـذه ينسب «الطرطوشى» صاحب « سراج الملوك » اهـ . ثم ورد ذكر طرطوشة فى صبح الاعشى فى باب التاريخ عندما ذكر بنى هود فقال: وكان من ممالك بنى هود هؤلاء طرطوشة وقد كان ملكها مقاتل أحد الموالى العامريين سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ومات سنة خمس وأربعين وملكها بعده يعلى العامرى ولم تطل مدته

وملكها بعده نبيل أحدهم إلى أن نزل عنها لعماد الدولة أحمد بن المستعين (بن هود)

---

(١) زكن الخبر زكناً وبالتحريك وأزكنه علمه وأزكنه الخبر ازكاناً أفهمه اياه ولا يتعدى بالحرف ولذلك قالوا فى قول قعنب بن أم صاحب :

ولن يراجع قلبي ودهم أبداً   زَكِنت منهم على مثل الذى زكنوا

انه على التضمين وذلك بايداعه فعل زكن معنى اطلع كأنه قال : اطلعت منهم على مثل الذى اطلعوا عليه منى ، وأما قول ياقوت هنا « وازكن عليه » فهى عامية حجازية بمعنى أعلمه وأما فى الفصيح فلا يتعدى هذا الفعل بالحرف .

سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة فلم تزل فى يده ويد بنيه بعده إلى أن غلب عليها العدو المخذول فى ما غلب عليه من شرق الأندلس . اهـ

وأما الشريف الادريسى فقدمر فى الجزء الأول صفحة ١٠٧ ذكره لطرطوشة[1]

---

(١) قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحميرى فى كتابه « الروض المعطار » عن طرطوشة ما يلى بالحرف: من بلنسية الى طرطوشة مائة ميل وعشرون ميلا مسيرة أربعة أيام وهى فى سفح جبل ولها سور حصين وبها أسواق وعمارات وضياع وَفعَلَة وانشاء للمراكب الكبار من خشب جبالها وبجبالها خشب الصنوبر الذى لا يوجد له نظير فى الطول والغلظ ومنه تتخذ الصوارى والقرى وهو خشب أحمر صافى البشرية بعيد التغيّر لا يفعل فيه السوس ما يفعل فى غيره من الخشب ومنها إلى طرّكونة خمسون ميلا وبينها وبين البحر الشامى عشرون ميلا .وقصبة طرطوشة على صخرة عظيمة سهلة الاعلى وفى الشرق من القصبة جبل الكهف (وهو جبل أجرد)والمصلّى والمدينة فى غربى القصبة وجوفيها وعلى المدينة سور صخر من بناء بنى أمية على رسم أوّلِى قديم ولها أربعة أبواب وأبوابها كلها ملبسة بالحديد ولها أرباض من حومة الجوف والقبلة ودار الصناعة قد أحدق على ذلك كله سور حجر حصين بناه عبد الرحمن بن النّظام وبها جامع من خمس بلاطات وله رحبة واسعة بنى سنة ٣٤٥ وبها أربعة حمامات وسوقها فى الربض القبلى جامعة لكل صناعة ومتجر وهى باب من أبواب البحر ومرقى من مراقيه تحُلها التجار من كل ناحية وهى كثيرة شجر اليقس ومنها يفترق إلى النواحى وخشبها الصنوبر له خاصيّة فى الجودة تفوق جميع خشب الامصار . وقصبة طرطوشة فى المنعة والسمو إلى حد لم يستوفه بالصفة الاّ عبد الملك بن ادريس الكاتب المعروف بالجزيرىّ حين سجنه بها المنصور بن أبى عامر فقال يصف حاله هناك من قصيدة طويلة مشهورة (كامل)

فى رأس أجرد شاهق عالى الذرى ما بعده لمؤمل من مُمْصر (كذا)
يهوى اليه كل أعور ناعق وتهب فيه كل ريح صرصر
ويكاد من يرق اليه مرة من دهره يشكو انقطاع الأبْهُرِ

وأول هذا الشعر :

فيما ذكر من مدن الاندلس ماشيا عليها بالترتيب فهو يقول : ومدينة طرطوشة مدينة على سفح جبل ولها سور حصين وبها أسواق وعمارات وصنّاع وفعلة وانشاء المراكب الكبار من خشب جبالها وبجبالها يكون خشب الصنوبر الذى لا يوجد له نظير فى الطول والغلظ ومنه تتخذ السوارى والقرى وهذا الخشب الصنوبر الذى بجبال هذه المدينة أحمر صافى البشرة دَسِم لا يتغير سريعاً ولا يفعل فيه السوس ما يفعله فى غيره وهو خشب معروف منسوب . ومن طرطوشة إلى موقع النهر فى البحر ١٢ ميلاً ومن مدينة طرطوشة إلى مدينة طرّكونة ٥٠ ميلا اه

ألوى بعزم تجلّدى وتصبّرى ‏ ‏ ‏ ‏ نأى الاحبة واعتماد تذكّر

شحط المزار فلا مزار ونافرت ‏ ‏ ‏ ‏ عينى الهجوع فلا خيالٌ يعترى

وقصرت عنهم فاقتصرت على جوى ‏ ‏ ‏ ‏ لم يدع بالوانى ولا بالمقصر

ومن أهل طرطوشة الفقيه الامام الزاهد أبو الوليد الطرطوشى الفهرى نزل الاسكندرية صاحب التعلقة فى الخلاف وكتاب الحوادث والبدع وغير ذلك سكن بغداد وتفقه على أبى بكر الشاشى وسمع بها الحديث وهو مالكىّ المذهب. قالوا : وزهده أكثر من علمه وانتفع به جماعة وانجلب اليه أكثر من مائتى فقيه « مفت » ومن كبار أصحابه أبو الطاهر بن عوف وسند بن عفان الازدى وعاصر الغزالى وله فى إحيائه كلام وكان منحرفاً عنه سىّء الاعتقاد فيه وكانت وفاته بعد العشر والخمسمائة اه

وقال عن طرّكونة مايلى : بينها وبين لاردة خمسون ميلاً وطرّكونة مدينة ازليّة قاعدة من قواعد العمالقة (ليس للعمالقة هنا مدخل الاّ أن يكون أراد بهم الأولين أو الجبابرة) وجعلها قسطنطين فى القسم الثالث من الاندلس وأضاف اليها مدن ذلك القسم وهى مبنية على ساحل البحر الشامى ومعالمها باقية لم تتغيّروا كثر سورها باق لم يتهدم وهى أكثر البلاد رخاماً محكماً وسورها من رخام أسود وأبيض وقليلاً مايوجد مثله. ومن الغرائب بطرّكونة أرحاء نصبها الأُوَل تطحن عند هبوب الريح وتسكن بسكونها وذكر أهل العلم باللسان اللطينى ان معنى طرّكونة « الارض المشبهة بالجنّة » وكانت فى قديم الزمان خالية لانها كانت فيمابين حد المسلمين والروم والاخياس فيها كثيرة (ربما يكون

قلنا : بين طرطوشة وطركونة مسافة ٨٤ كيلو متراً . وطرطوشة اليوم تابعة لمقاطعة طركونة فهى من كتلونية وبين طرطوشة وبرشلونة ١٧٦ كيلو متراً . وبينها وبين بلنسية ١٩٢ كيلو متراً.وبين طرطوشة ومصب نهر ابره مثلث من الارض مشهور بالخصب . قال المسعودى فى مروج الذهب: وبقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ست وثلاثين وثلاثمائة من شرقى الاندلس طرطوشة وعلى ساحل بحر الروم مما يلى طرطوشة آخذاً فى الشمال «افراغه» على نهر عظيم ثم لاردة ثم بلغنى عن هذه الثغور أنها تلاقى الافرنجة وهى أضيق مواضع الاندلس .

ذكر من نبغ من أهل العلم فى طرطوشة

أشهر من انتسب إلى طرطوشة من العلماء هو ابن أبى رندقة الطرطوشى المتوفى فى الاسكندرية صاحب سراج الملوك قال أحمد بن يحيى بن أحمد بن عُميرة الضبيّ : محمد ابن الوليد بن رَنْدَقَه الطرطوشى أبو بكر فقيه حافظ امام محدّث ثقة زاهد فاضل عالم عامل رحل إلى العراق وقد تفقّه بالاندلس وصحب أبا وليد الباجى مدة . أخبرنى غير واحد

أرادبها السجون ولكن المشهور أن السجن يقال له المحبس لا الخيس فيجوز أن يكون المقصود بالاخياس جمع خيس بكسر أوله وهو منبت الطرفاء وأنواع الشجر والاجمة ويجوز أيضاً أن تكون الكلمة مصحفة عن أحناش) ومبانيها كبيرة وبها أساطين رفيعة مما تضل الاوهام فى حكمته ويعجز المتكلفون اليوم عن صنعته. وذكر شيخ ثقة من أهل شبرانه يقال له ابن زيدان أنه كان يخرج فى السرايا إلى تلك الناحية فنزل فى بعض خرجاته مع جماعة من أصحابه فى البنيان الذى تحت مدينة طركونة فارادوا التحول منه فضلوا ولم يهتدوا منه لمخرج وترددوا كذلك ثلاثة أيام حتى هدوا فى آخر اليوم الثالث لما أراد الله من ابقائهم وزعم قوم أنهم وجدوا هنالك بيوتاً مملوءة قمحاً وشعيراً من الأزمان السالفة قد أسودّ حبّه وتغيّر لونه وفى هذه المدينة يكمن المسلمون عند طلب الفرصة فى الغزو وفيها يكمن العدو أيضاً للمسلمين .

عن الحافظ أبي بكر بن العربي قال : سمعت الحافظ أبابكر الطرطوشي يقول : لم أرحل من الاندلس حتى تفقهت ولزمت الباجي مدة فلما وصلت إلى بغداد دخلت المدرسة العادلية فسمعت المدرّس بها يقول : مسئلة إذا تعارض أصل وظاهر فبأيهايحكم ؟ فما علمت ما يقول ولا دريت إلى مايشير حتى فتح الله وبلغ بي ما بلغ

أقام في رحلته مدة ثم انصرف يريد مصر وكان له غرض في الاجتماع مع أبي حامد الغزالي فجعل طريقه على البيت المقدس فلما تحقق أبو حامد أنه يؤمه حاد عنه ووصل الحافظ أبو بكر فلم يجده . فقصد جبل لبنان وأقام هناك مدة وصحب به رجلاً يعرف بعبد الله السائح من أولياء الله المنقطعين إلى الله تعالى . ثم أراد الحافظ أبو بكر أن يقصد أرض مصر نعرض على أبي محمد عبد الله السائح صحبته والمشي معه وقال له : أنت ههنا بمعزل لا تاتي أحداً ولا يلقاك أحد وإن مت لم تجد من يواريك وفي مخالطة الناس ومقابلتهم ونشر العلم وحضور الجماعة في الجمعة مالا يخفى عليك فقال له عبد الله أنا ههنا آكل الحلال وأعيش في المباح من ثمر هذه الاشجار ولا أجد في غير هذا الموضع من المباح ما أجد فيه . فقال له الحافظ أبو بكر : ان تنظر مصر تنظر موضعاً يعرف برشيد فيه شيئآن مباحان الملح والحطب نقيم به ويكون عيشنا من هذين المباحين فقال له عبد الله : أنت لا يتركك الناس وأفارق موضعي وأفارقك . فعاهده أن لا يفارقه وركبا الطريق إلى مصر حتى وصلا إلى رشيد وأقاما هناك اذا احتاجا إلى قوت تحوجا من حطب أو ملح فباعا ما يحملانه من ذلك على ظهورهما وتقوتا بثمنه . وبقيا هناك مدة إلى أن قتل العبيدى صاحب مصر جماعة من فقهاء أهل الاسكندرية لسبب يطول شرحه ولم يبق بها من يشار اليه وسمع أهل الاسكندرية بكون الفقيه برشيد فركب اليه قاضيها ابن حديدة وجماعة من أهلها فلما وصلوا إلى رشيد سألوا عنه فلم يجدوا من يعرفه الا بعض الفقراء هناك قال لهم: أنا أدلكم عليه اقعدوا هنا فكأن به قد وصل فقعدوا ساعة ووصل الفقيه من الشعراء وعلى ظهره حزمة حطب وصاحبه معه فقال لهم هذا هو ووضع الحزمة بالارض . فأخبروه بما طرأ عليهم في الاسكندرية وباحتياج أهلها اليه وبماله في قصدهم من الاجر فقال لهم : قد علمت ذلك ولكني لا أفارق صاحبي هذا بوجه —

وأشار إلى عبد الله السائح ــ لأنى سقته من موضعه وعاهدته أن لاأفارقه فدونكم فان ساعدنى فانا ناهض معكم : فكلموه فقال : أنا لا أمنعه لكنى أقيم هنا . فقال الحافظ أبو بكر : وأنا لا أفارقه .فتضرعوا الى عبدالله فقال لهم : أنا هنا أعيش فى الحلال وآكل المباح ولا أجد هذا عندكم. فقال له القاضى : ان صاحب صقلية دمره الله يؤدى جزية فى كل عام لاهل الاسكندرية ثلاثمائة قفيز من الشعير وكذا وكذا نخذ الشعير تتقوت به وتصرفه فى منافعك. فقال : أنا لا أحتاج إلى أكثر من رغيف فى كل ليلة . فضمنوا له ذلك . وأقبلا معهم إلى الاسكندرية ووفوا لابى محمد السائح بما قالوه ووضعوا له من الشعير عدة أرغفة ووضعوها له فى حبل فكان يفطر كل ليلة منها على رغيف ويلزم بيته لا يبرح منه. واشتمل أهل الأسكندية على الحافظ أبى بكر وقعد للتدريس ونفع الله به كل من قرأ عليه وانتشر علمه . وكانت بالأسكندرية امرأة متعبدة هى خالة أبى الطاهر بن عوف فخطبته وتزوجها وبنى بها فى المدرسة وكان لها ابن من أهل الدنيا كثير التخليط فصعب ذلك عليه وعمد إلى خنجر واستتر فى المدرسة فلما ابهارّ (١) الليل قصد البيت الذى كانت فيه أمه مع الفقيه فلم يجد فيه أحداً ووجد كل واحد منهما قد قام إلى ورده وسمع صوت الفقيه يقرأ فى الصلاة فأمّ الصوت وخنجره فى يده فلما قرب منه وهو عازم على قتله حالت بينه وبينه سارية من سوارى المدرسة وضرب فيها بوجهه وخرّ مغشياً عليه والفقيه لا يشعر فلما طلع الفجر نزل إلى المدرسة فصلى الصبح ودرس وتصرفت زوجه فى أثناء ذلك فوجدت ابنها مجدلاً لا يعقل فكلمته فلم يكلمها . فلما فرغ الفقيه من التدريس صعد إلى منزله فاعلمته زوجه بمكان ابنها فصعد نحوه فوجده على تلك الحال فجرّ يده على وجهه وتفل وتكلم بكلمات ففتح عينيه فلما أبصر الفقيه قال له: هات يدك فانا تائب إلى الله تعالى والله لا عصيته بعد اليوم أبدا ولا تركتك فى هذا الموضع انتقل إلى دار أهلك فاسكنها ففعل وحسنت توبة الابن بعد ذلك . أخبرنى شيخى أبو المفضّل عبد المجيد بن دليل قال :

---

(١) ابهارّ الليل بالتشديد طال ومنه حديث النبى صلى الله عليه وسلم انه سار ليلة حتى ابهارّ الليل . وقال الاصمعى : ابهارّ الليل حتى انتصف وهو مأخوذ من بهرة الشيء وهو وسطه

أصاب ابن حُديدة قاضي الاسكندرية مرض وكان الفقيه اذا لقيه فى الطريق سلك على أخرى فاوصى القاضى بان يغسله الفقيه عند موته ويصلى عليه قال ففعل وكنا نجتمع على قبره فى كل يوم ونختم القرآن فلما كان فى اليوم السابع انشدنا الحافظ أبو بكر عند قبر القاضى قصيدة منها قوله يرثيه :

هذى قبورهم وتلك قصورهم واعلم بان كما تدين تدان

ولقد أخبرنى انه رآه فى اليوم الذى توفى فيه وعليه فروته التى ساقها معه من طرطوشة . وكانت وفاته فى سنة ٥٢٠ روى عنه جماعة من الحفّاظ منهم الحافظ أبو بكر ابن العربى وأبو على الصدفى وأبو الطاهر بن عوف وغيرهم، وتواليفه كثيرة منها التعليقة فى الخلافيات فى خمسة أسفار وله كتاب كبير يعارض به كتاب الاحياء رأيت منه قطعة يسيرة . وألّف سراج الملوك فى مجلس كان بينه وبين صاحب مصر يطول ذكره وكان أوحد زمانه علماً وورعاً وزهداً لم يتشبث من الدنيا بشىء إلى أن توفى وصلى عليه ابن عوف

وترجم الامام الطرطوشى أبو بكر بن بشكوال فى الصلة فقال : محمد بن الوليد[1] ابن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهرى الطرطوشى أصله منها يكنى أبا بكر ويعرف

---

(١) وقد ترجم هذا الامام العلامة صاحب نفح الطيب وقال انه زار قبره فى الاسكندرية وروى من نظمه قوله من رسالة:

اقلّبُ طرفى فى السماء تردداً لعلى أرى النجم الذى أنت تنظر
وأستعرض الركبان من كل وجهة لعلى بمن قد شمّ عرفك أظفر
وأستقبل الارواح عند هبوبها لعل نسيم الريح عنك يخبّر
وأمشى ومالى فى الطريق مآربٌ عسى نغمةٌ باسم الحبيب ستذكر
وألمح من ألقاه من غير حاجة عسى لمحة من نور وجهك تسفر

وروى له أيضاً :

يقولون ثكلى ومن لم يذق فراق الاحبة لم يثكل

بابن أبى رندقة . ثم ذكر أنه أخذ عن القاضى أبى الوليـد الباجى بسرقسطة وعن أبى بكر الشاشى وأبى أحمد الجرجانى وأبى على التسترى بالشرق وسكن الشام مدة ودرّس بها قال . وكان اماماً عالماً عاملاً زاهداً ورعاً متواضعاً متقللاً من الدنيا راضياً منها باليسير أخبرنا عنه القاضى الامام أبو بكر محمد بن عبد الله المعافرى ووصفه بالعلم والفضل والزهد

لقـد جرّعتنى ليـالى الفراق كؤوساً أمر من الحنظل

قال : وعبر عنه ابن الحاجب فى مختصره الفقهى فى باب العتق بالاستاذ وكان رحمه الله صحب أبا الوليد الباجى وأخذ عنه مسائل الخلاف والفرائض والحساب وقرأ الادب على أبى محمد بن حزم باشبيلية ثم ذكر صاحب النفح رحلته إلى المشرق حسبما ذكر فى ترجمته بالصلة والتكملة وبغية الملتمس وقال الصفدى فى ترجمة هذا الامام : ان الافضل ابن أمير الجيوش أنزله فى مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد وكان يكرهه فلما طال مقامه به ضجر ثم قُتل الافضل وولى بعده المأمون بن البطائحى فاكرمه اكراماً كثيراً وله ألف الشيخ « سراج الملوك » ومن تأليفه مختصر تفسير الثعالبى والـكتاب الـكبير فى مسائل الخلاف وكتاب بدع الامور ومحدثاتها . ولما توفى صلى عليه ولده ودفن قِبلَ الباب الاخضر باسكندرية. وكان القاضى عياض ممن استجازه ولم يلقه وحكى أنه كتب على سراج الملوك الذى أهداه إلى أمير مصر :

الناس يهدون على قدرهم لـكننى أهدى على قدرى
يهدون ما يغنى وأهدى الذى يبقى على الأيام والدهر

وترجمه ابن العماد الحنبلى صاحب « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » فلم يزد على نقل ما نقلناه هنا من تراجمه إلا أنه روى أبياتاً قال انها منسوبة اليه وهى هذه:

اذا كنت فى حاجةٍ مُرسلاً وأنت بانجازها مغرمُ
فأرسل باكمهٍ خلاّبةٍ به صمَمٌ افطس ابكَمُ
ودع عنك كل رسولٍ سوى رسولٍ يقال له الدرهم

فى الدنيا والاقبال على مايعنيه وقال لى : سمعته يقول : اذا عرض لك أمران أمر دنيا وأمر أخرى فبادر بأمر الاخرى يحصل لك أمر الدنيا والاخرى. قال القاضى أبو بكر :وكان كثيراً ما ينشدنا محمد بن الوليد هذا :

ان لله عبـاداً فطنا … طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلمـا علموا … أنها ليست لحىٍّ وطنا
جعلوها لجة واتخذوا … صالح الأعمال فيها سفنا

وتوفى الامام الزاهد أبو بكر بالاسكندرية فى شهر شعبان سنة ٥٢٠

ثم ممن ينتسب الى طرطوشة من أهل العلم أبو مروان عبيد الله بن أبى القاسم خلف بن هانى قاضى طرطوشة .قال ابن بشكوال : انه أجاز لابى جعفر بن مطاهر سنة ٤٦٧ قال وأخذ عنه من شيوخنا القاضى أبو الحسن بن واجب (١)

وعلى بن محمد بن أبى العيش أبو الحسن الطرطوشى نزيل شاطبة تصدّر للاقراء بها وكان من المتقدمين فى هذا العلم مع الصلاح والفضل،أخذ القراءات عن أبى الحسن

وقال الطرطوشى : كنت ليلةً نائماً فى بيت المقدس فبينما أنا فى جنح الليل اذ سمعت صوت حزين ينشد :

خوف ونوم إن ذا لعجيب … ثكلتك من قلبٍ فأنت كذوبُ
أما وجلال الله لو كنت صـادقاً … لما كان للاغماض منك نصيب

قال : فأيقظ النوام وأبكى العيون

(١) وقع فى ترجمة عبيد الله بن خلف بن هانى هذا خطأ فى ترجمة ابن بشكوال له نظنه من خطأ النسّاخ فانه يقول :عبيد الله بن القاسم بن خلف .والحقيقة أنه عبيد الله ابن أبى القاسم خلف بن هانى . وقد ترجمه بن الابّار بقوله :عبيد الله بن خلف بن هانى العمرى من أهل طرطوشة يكنى أبا مروان سمع أباه أبا القاسم خلف بن هانى وأجازله أبو بكر أحمد بن الفضل الدينورى وحدث عنها وولى القضاء ببلده حدث عنه القاضى أبو الحسن محمد بن واجب وغيره. أكثره عن ابن عياد

ابن الدوشن وأبى المطرّف بن الوراق وأبى محمد بن جوشن وأخـذ عنه أبو بكر بن طاهر بن مفوّز وأخوه أبو محمد عبدالله وأبو الحسين بن جُبير، ترجمه ابن الابار فى التكملة ولم يذكر سنة وفاته .

وأبو عبد الله محمد بن يوسف الطرطوشى سكن ميورقة يعرف بابن ختى فضل روى عن أبى اسحق بن فتحون وتفقه بابى ابراهيم بن عايشة وحدث ودرس ببلده الفقه وكان قائماً على المدونة معروفاً بالصلاح أخذ عنه أبو اسحق بن عايشة وقال توفى سنة ٥٩٣ فى أولها وهو ا بن ستين سنة أو نحوها

ومحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أبى العيش اللخمى من أهل طرطوشة وسكن شاطبة يعرف بابن الأصيلى ويكنى أبا عبد الله، تجول فى طلب العلم فأخذ القراءات عن أبى على منصور بن الخير وسمع من أبى عبد الله بن الحاج وأبى عبد الله بن أبى الخصال وأبى القاسم بن ورد وأبى عبد الله ابن أخت غانم ولقى أبا محمد البطليوسى وأبا الحجاج ابن يسعون وأخذ عنهما وقيل انه نشأ بالمرية وتصدر بشاطبة للاقراء والتعليم بالعربية فانتفع به الناس وكان موصوفاً بالمعرفة والفهم ضعيف الخط حدث عنه أبو الحسين بن جبير سمع منه الموطأ فى سنة ٥٥٧ وقد لقيه ابن عياد وكتب عنه يسيراً وذكره ابن سفين وقال توفى سنة ٥٦٦ وقرأت بخط محمد بن عياد أنه توفى سنة سبع وستين قال ومولده بطرطوشة سنة ٤٩٦ ترجمه ابن الأبار فى التكملة .

وخلف بن هانى العمرى من أهل طرطوشة ومن ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه يكنى أبا القاسم روى عن أبى بكر أحمد بن الفضل الدينورى سمع منه بقرطبة سنة ٣٤٦ وروى أيضاً عن أحمد بن معروف وغيرهما وحدث وأسمع. روى عنه ابنه أبو مروان عبيدالله بن خلف وأبو المطرف بن حجاف وأبو محمد بن أبى دليم من شيوخ أبى داود المقرى سمع منه بطرطوشة سنة ٤٠٥ وهو إذ ذاك ابن تسع وسبعين سنة وتوفى ليلة السبت للنصف من رمضان سنة ٤٠٨ ودفن يوم السبت بمقبرة طرطوشة وقد نيف على الثمانين ذكره ابن بشكوال، وغلط فيه هو والحميدى قبله ولم يذكرا وفاته

ولا جوّدا خبره وهما عندى عن أحمد بن أبي زكريا العائذى وأبي عمر بن عياد وغيرهما قاله ابن الأبار [1] فى التكملة

وخلف بن تق الأموى من أهل طرطوشة يكنى أبا القاسم روى عن أبي سعيد خلف الفتى الجعفرى وكان سماعه منه فى سنة خمس وعشرين وأربعمائة، ولم يذكر ابن الأبار القضاعى فى كتابه التكملة عن هذا الرجل سوى هذين السطرين

وخلف بن فتح بن عبد الله بن جبير من أهل طرطوشة يعرف بالجبيرى ويكنى أبا القاسم وهو والد أبي عبيد القاسم بن خلف الجبيرى الفقيه كانت له رحلة الى المشرق ومعه رحل ابنه وهو صغير وكان من أهل العلم والنزاهة وعليه نزل القاضى منذر بن سعيد بطرطوشة فى ولايته قضاء الثغور الشرقية. أخبر أبو بكر بن أبي جمرة عن أبيه عن أبي عمر النمرى اجازة قال أخبرنى أبو مروان عبيد الله بن قاسم الكُزنى وكان من ثقات الناس وعقلائهم عن أبي عبيد القاسم بن خلف الجبيرى الطرطوشى قال نزل القاضى منذر بن سعيد على أبي بطرطوشة وهو يومئذ يتولى القضاء فى الثغور الشرقية قبل أن يلى قضاء الجماعة بقرطبة فأنزله فى بيته الذى يسكنه فكان اذا تفرَّغ نظر فى كتب أبي فمرَّ على يديه كتاب فيه أرجوزة ابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء ويجعل

---

(١) وقد جاءت ترجمة خلف بن هانى هذا فى بغية الملتمس لابن عميرة الضبي وقال انه يكنى أبا القاسم وانه حدَّث بطرطوشة سنة ٤٢٢ وانه سمع من أبي بكر الدينورى سنة ٣٤٦ وقال انه روى عنه القاضى ببلنسية أبو المطرف عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الجحاف . ولكنه لم يذكر أنه عُمرى من ذرية الفاروق رضى الله عنه . وكذلك جاءت ترجمته فى الصلة لابن بشكوال وهى لا تزيد على ما يلى:

خلف بن هانى يكنى أبا القاسم حدّث بطرطوشة سنة ٤٢٢ عن أبي بكر أحمد بن الفضل الدينورى سمع منه القاضى أبو المطرف عبد الرحمن بن عبد الله بن جحاف المعافرى اهـ . فمن هنا يظهر للقارئ الفرق بين رواية ابن الأبّار ورواية ابن بشكوال فى شأن هذا الرجل والخلاف فى تعيين سنة وفاته .

معاوية رابعهم ولم يذكر علياً فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بنى مروان الى عبد الرحمن بن محمد ، فلما رأى ذلك منذر غضب وسب ابن عبد ربه وكتب فى حاشية الكتاب :

أوَمَا علىّ لابرحت ملعّناً   يابن الخبيثة عندكم بامام
ربُّ الكساء وخير آل محمد   دانى الولاء مقدَّم الاسلام

قال أبو عبيد والأبيات بخطه فى حاشية كتاب أبى الى الساعة . وكانت ولاية منذر للثغور مع الاشراف على العمال بها والنظر فى المختلفين من بلاد الافرنج اليها سنة ٣٣٠ .

وخلف مولى جعفر الفتى أبو سعيد المقرئ بطرطوشة توفى سنة ٥٢٥ هكذا جاء فى بغية الملتمس للضبىّ ويظهر أنه وقع خطأ فى الرقم ، والصحيح أنه توفى سنة ٤٢٥ لا ٥٢٥ ، وقد ترجمه ابن بشكوال فى الصلة فقال : خلف مولى جعفر الفتى المقرئ يعرف بابن الجعفرى سكن قرطبة يكنى أبا سعيد روى بقرطبة عن أبى جعفر بن عون الله وغيره ، ورحل الى المشرق وسمع بمكة من أبى القاسم السقطى وغيره ، وبمصر من أبى بكر الادفوى وأبى القاسم الجوهرى وعبد الغنى بن سعيد الحافظ وبالقيروان من أبى محمد بن أبى زيد وغيره ذكره الخولانى وقال : كان من أهل القرآن والعلم نبيلا من أهل الفهم مائلا الى الزهد والانقباض وحدث عنه أبو عبد الله بن عتَّاب وقال : كان خيّراً فاضلاً منقبضاً عن الناس وخرج عن قرطبة فى الفتنة وقصد طرطوشة وتوفى بها سنة ٤٢٥ ، وقال أبو عمرو المقرئ توفى فى ربيع الآخر سنة ٤٢٩ .

وأبو محمد عبد الله بن فيرُّه من أهل طرطوشة كان عالماً بالفرائض والحساب معلماً بذلك أخذ عنه أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى وحكى عنه أنه سمعه يقول : اكترَى تاجر من جمَّال عربى جمله فلما استوى على ظهره صرخ بأعلى صوته :

يا حبذا صَلْصَلَةُ الدراهمْ   عند حلول الكرب العظايمْ

فأجابه الجمَّال :

لولا هواها لم أكن ملازمْ   خدمة من لست له بخادمْ

نقلنا هذا عن ابن الأبار فى التكملة

وعبد الله بن موسى التميمى من أهل طرطوشة يكنى أبا محمد أخذ القراءات عن أبى داود سليمان بن نجاح وتصدر للاقراء ببلده وأخذ عنه أبو على بن عريب عرض عليه القرآن غير مرة بالسبع قاله أبو العباس بن اليتيم وفيه عن ابن عياد. قاله ابن الأبار فى التكملة

ونافع بن أحمد بن عبد الله الأنصارى من أهل طرطوشة سمع بدانية أبا بكر بن برنجال وبمرسية القاضى أبا بكر بن أسود ورحل الى اشبيلية فسمع بها من القاضى أبى الحسن شريح بن محمد موطأ مالك وصحيح البخارى وأجاز له جميع روايته فى رمضان سنة ٥٣٥ وكان فقيهاً مشاوراً معنياً بسماع العلم وروايته ، قال ابن الأبار فى التكملة : قرأت بعض خبره بخط ابن خير

وأحمد بن مالك بن مرزوق بن مالك بن عباس الطرطوشى يكنى أبا العباس ولى قضاء بلده وله نباهة ورواية عن أبيه وعن أبى محمد البطليوسى وتفقه بأبى محمد بن أبى جعفر انتقل فى تملك الروم طرطوشة الى بلنسية فتوفى بها سنة ٥٥٣ ترجمه ابن الأبار فى المعجم الذى ذكر فيه أصحاب القاضى أبى على الصدفى .

ومحمد بن يحي بن مالك بن يحي بن عائذ ولد أبى زكريا الراوية من أهل طرطوشة يكنى أبا بكر تأدب بقرطبة وسمع بها من قاسم بن أصبغ ومحمد بن معاوية القرشى وأحمد ابن سعيد ومنذر بن سعيد وأبى علي القالى وغيرهم وكان حافظاً للنحو واللغة والشعر يفوت من جاراه علي حداثة سنه شاعراً مجيداً مترسلا بليغاً ورحل مع أبيه الى المشرق سنة ٣٤٩ فسمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وحمزة الكنانى وأبى بكر بن أبى الموت وغيرهم وسمع أيضاً بالبصرة وبغداد وخرج الى فارس وسمع هناك وجمع كتبا عظيمة وأقام بها الى أن توفى بأصبهان معتبطاً مع الستين وثلاثمائة ومولده بطرطوشة صدر ذى القعدة سنة ٣٢٣ ذكره ابن حيان وقد نقلنا هذه الترجمة عن ابن الأبار .

ومحمد بن عبد الجبار الطرطوشى وفد إلى المشرق ذكره العماد فى الخريدة ونقل ذلك صاحب نفح الطيب عنه ولم يذكر من أحواله سوى أنه كان يخضب بسواد الرمان

ومحمد بن حسين بن محمد بن عريب الأنصارى من أهل طرطوشة يكنى أبا عبدالله

سكن سرقسطة وتجول كثيراً فى بلاد الأندلس والعدوة وغاب عليه علم العبارة فشهر بها وكان وجيهاً عند الملوك متردداً عليهم ورغب اليه أبو بكر بن تفالويت أمير سرقسطة فى إقراء ابنه فأجابه الى ذلك وتصدر هنالك فى سنة ١٥٠٨ « من خط ابن عياد » روى ذلك ابن الأبار فى التكملة .

وعبد الرحمن بن معاوية بن أهل طرطوشة استشهد فى قتال الروم سنة ٢٨٨ قال الضبى فى بغية الملتمس ذكره أبو سعيد :

وطاهر بن حزم مولى بنى أمية من أهل طرطوشة روى عن يحيى بن يحيى بن كثير الليثى وغيره مات بالأندلس سنة ٢٨٥ شهيداً فى المعرك ذكره فى بغية الملتمس

ومحمد بن أحمد بن عامر البَلَوى من أهل طرطوشة وسكن مرسية يعرف بالسالمى لأن أصله من مدينة سالم ويكنى أبا عامر كان من أهل الأدب والعلم والتاريخ وله فى ذلك كتاب سماه « بدُرر القلائد وغرر الفوائد » ، وله أيضاً فى اللغة كتاب حسن وكتاب فى الطب سماه الشفا ، وكتاب فى التشبيهات وكتب للأمير محمد بن سعد وكان له حظ من قرض الشعر حدث عنه عبد المنعم بن الفرس لقيه بمرسية وأبو القاسم ابن البرّاق كتب اليه وتوفى سنة ٥٥٩ أو نحوها ذكره ابن الأبار .

وأبو على حسين بن محمد بن حسين بن على بن عريب الأنصارى من أهل طرطوشة أخذ القراءات ببلده عن أبى محمد بن مؤمن وبسرقسطة عن ابن الوراق وتفقه بأبى العباس بن مَسْعَدة قاضى طرطوشة وروى الحديث عن أبى على الصدفى وأبى بكر بن العربى وسمع من أبى العرب الصقلى الشاعر أدب الكاتب لابن قتيبة لقيه بطرطوشة وقد قارب المائة سنة وسكن المرية ثم تحول الى مرسية وكان من الأدباء المعدودين . وروى ابن الأبار فى التكملة أنه أخذ العربية والآداب عن أبى محمد بن السيد وأبى بكر اللَّبانى وأبى محمد عبد الله بن فرج السرقسطى وأنه صحب أبا القاسم بن ورد وحكى أبو العباس بن اليتيم أنه أخذ القراءات أيضاً عن أبى طاهر بن سوار وأنه كان يروى أدب الكاتب بعلو عن أبى بكر بن عبد البر عن أبى يعقوب بن خُرّزاد النجيرمى عن أبى الحسين المهلبى عن القاضى أبى جعفر بن قتيبة عن أبيه أبى محمد وهو

سند عزيز الوجود — قال ابن الأبار : انه انتقل من سرقسطة الى المرية فأقرأ بجامعها وخرج منها قبل الأربعين وخمسمائة وكان شيخنا أبو محمد بن غلبون يقول انه خرج منها لما دخلها النصارى فى سنة اثنتين وأربعين فاستوطن مرسية وتصدر للاقراء بها وقدم للصلاة والخطبة بجامعها وانفرد فى وقته بطريقة الاقراء وأخذ عنه الناس وكانت له حلقة عظيمة وكان ربما علم بالعربية والغالب عليه التجويد والتحقيق قال : وكان أديباً حسن البلاغة سلس القياد فى الخطابة حسن الخط «من فوائد ابن حبيش»

وأبو محمد شعيب بن سعيد العبدرى من أهل طرطوشة سكن الاسكندرية روى عن أبى عمرو السفاقسى وأبى محمد الشنتجيالى وأبى حفص الزنجانى وأبى زكريا البخارى وأبى محمد عبد الحق بن هارون وغيرهم، لقيه القاضى أبو علي بن سكّرة بالاسكندرية وأجاز له وحدث عنه أبو الحسن العبسى المقرى. ترجمه ابن بشكوال فى الصلة

وأبو الحسن على بن عبد الرحمن بن عائذ الطرطوشى سمع من أبى الوليد سليمان بن خلف الباجى وأبى العباس العذرى وغيرهما وتوفى سنة ٤٩٥ «ترجمه ابن بشكوال فى الصلة»

وأبو الحسن على بن صالح بن ابى الليث بن أسعد العبدرى بن عز الناس ولد بطرطوشة ونشأ بدانية ورأس الفتوى بها وقتله السلطان محمد بن سعد بن مردنيش سنة ٥٦٧ سمع أبا محمد بن الصيقل وأبا بكر بن العربى وأبا القاسم بن ورد وكان فقيهاً متقنا وعالماً بالأصول والفروع دقيق النظر جيد الاستنباط لسناً فصيحاً وكان كبير فقهاء دانية أخذ عنه أبو عمر بن عياد وابنه محمد وأبو محمد بن سفيان وأسامة بن سليمان وأبو القاسم بن سمحون وكانت ولادته سنة ٥٠٨ فى طرطوشة «ترجمه ابن الأبار»

وعتيق بن على بن سعيد بن عبد الملك بن رزين العبدرى أبو بكر يعرف بابن العقّار أصله من طرطوشة نشأ بميورقة واستوطن بلنسية وقرأ على ابن هذيل وابن النعمة وأبى بكر بن نمارة وأجاز له السافى وكان من أهل التحقيق والتقدم فى الاقراء مع الفقه والبصر بالشروط ولى قضاء بلنسية وخطابتها قال ابن الابار فى التكملة : وكانت فى أحكامه شدة أخذ عنه الناس القراءات والحديث وقرأ عليه بالسبع محمد بن ابراهيم

ابن جوبر وذكر وفاته سنــة ٦٠٠ وقال انه ولد سنة ثلاث وثلاثين بعد الخمسمائة

وعقيل بن عطية أبو طالب القضاعى المراكشى الدار الطرطوشى الاصل روى عن ابن بشكوال وأبى القاسم ابن حبيش وأبى نصر فتح بن محمد وولى قضاء غرناطة وكان مقدماً فى الحديث وله رد على أبى عمر بن عبدالبر وتنبيه على أغلاطه سمع منه أبو جعفر بن الدلال وأبو الحسن بن منخّل الشاطبى وولّى بآخرة من عمره قضاء سجلماسة وتوفى بها فى صفر سنة ٦٠٨ عن ستين سنة ترجمه ابن الابار فى التكملة

وأحمد بن أيمن الطرطوشى فقيه مشهور رحل الى المشرق وسمع من محمد بن عبدالله ابن عبد الرحيم البرقى وغيره ذكره أبو الوليد بن الفرضى. ترجمه ابن عميرة فى بغية الملتمس

وأحمد بن على السبتى المعروف بالطرطوشى أبو العباس فقيه محدّث يروى عن أبى على الصدفى وغيره . ترجمه ابن عميرة فى بغية الملمس

ومحمد بن على بن عبد الرحمن بن عائذ الطرطوشى ومن بيت أبى زكريا العائذى أجاز له أبو على كتاب آداب النفوس لابى جعفر الطبرى وقرأت ذلك بخط أبى على وأبوه على أحد أصحاب الباجى والعذرى وبقراءته سمع الصدفى بحاضرة بلنسية صحيح مسلم على العذرى فى ســنة ٤٧٤ وقد ذكره ابن بشكوال

وأبو الاصبغ عبــد العزيز بن على بن عبد العزيز من أهل طرطوشة سمع من أبى بحر الاسدى وغيره كان من أهل الفقه والادب عارفاً بالفرائض والحساب مشاركا فى الطب توجه رسولا من أهل بلدة طرطوشة الى يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين فتوفى بغرناطة سنة ٥٢٣

وصارم بن عبد الله بن تمحيص ولى قضاء طرطوشة وقضاء بلنسية

وصارم بن تمحيص بن صارم بن عبد الله بن تمحيص وهو حفيد المتقدم الذكر وهم بيت مجد ونباهة

وأبو عامر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الملك بن غالب بن عبد الرءوف بن غالب ابن نفيس العبدرى من بلنسية أصــله من طرطوشة يكنى أبا عامر سمع من أبى محمـد

البطليوسى وأبى محمد بن عطية وكتب بخطه علماً كثيراً وكان ضابطاً حسن الوراقة « عن ابن الأبار »

ولاوى بن اسماعيل بن ربيع بن سليمان يكنى أبا الحسن من أهل طرطوشة. قال ابن الأبار فى التكملة : حُدثت أن أصله من غرب العدوة صحب أبا داود المقرىء وأخذ عنه القراءات ولازمه بدانية من سنة ٤٨١ الى سنة ٤٩١ وله سماع على أبى على الصدفى

وأبو عبد الله محمد بن يوسف الميورقى أصله من طرطوشة وقد ترجم لسان الدين ابن الخطيب فى كتابه الاكليل أديباً جليلا اسمه أبو الحجاج يوسف بن على الطرطوشى .

ونعم الخلف بن عبد الله بن أبى ثور الحضرمى من أهل طرطوشة أو ناحيتها رحل إلى المشرق وأدى الفريضة ولقى بمكة أبا عبد الله بن محمد بن عبد الله الاصبهانى فسمع منه فى سنة ٤٢٢ حدث عنه ابنه القاسم بن نعم الخلف بيسير . ترجمه ابن الابار فى التكملة

وأبو عبد الله محمد بن يونس بن سلمة الانصارى يعرف بالطرطوشى لان أصله منها وانما ولد ببلنسية سنة ٥٠٩ كتب عنه ابن عياد وترجمه ابن الأبار فى التكملة .

هذا ما حضرنا الآن من أسماء من نبغ فى العلم من أهل طرطوشة. ثم نعود الى جغرافية البلاد فنقول :

اذا سار المسافر من طرطوشة جنوبا قاصداً الى بلنسية مر به القطار الحديدى على جسر من الحديد فوق نهر ابره فيمر بمناظر بديعة وبقاع مريعة واقعة بين جبلى «مونتسيا» Montsio « وكارو» Coro علو الاول ٧٦٤ متراً والثانى ٨٦٠ متراً وبعد أن يجتاز مسافة ١٤ كيلو متراً من طرطوشة يصل الى بلدة يقال لها « أولديكونه Uldecona وسكانها نحو من سبعة آلاف نسمة موقعها بحذاء جبل مونتسيا الذى ذكرناه وفى هذه البلدة برج مثمَّن . ثم يمر الخط فوق نهر « سينيه » Cenia الذى هو الحد الفاصل بين مملكة بلنسية القديمة وبين كتلونية ويجد المسافر عن اليمين برجاً مربعاً من بقايا حصن قديم وينظر البحر من عن شماله. وعلى مسافة ٤٤ كيلومتراً من طرطوشة توجد مدينة «فيناروز» Vinaroz أهلها نحو من تسعة آلاف أكثرهم

صيادو سمك وفيها بعض معامل[١] ثم تصل الى مدينة «موريلا[٢] Morella سكانها ثمانية آلاف نسمة وكان يقال لها فى القديم «كاسترا آليا» Castra Aelia فى زمن الرومانيين وهى على مسافة ستين كيلو مترا الى الشمال الغربى من فيناروز ولها جبال شديدة الارتفاع وكان لهذه البلدة شأن عظيم نظراً لمنعتها وشاع ذكرها فى الحرب الكرلوسيَّة سنة ١٨٤٠ وفيها كنيسة باسم السيدة مريم يرجع عهد بنائها الى سنة ١٣١٧ ومن موريلاً طريق عربات الى «الكنيت» Alcaniz يصل الراكب من موريلاًإلى الكنيت بعد قطع ٨٣ كيلو متراً

وعلى مسافة خمسين كيلومتراً من طرطوشة مدينة بنى كارلو Benicarlo وسكانها ثمانية آلاف ولها حصن قديم وفيها كنيسة بديعة لها قبة جرس مثمنة مزينة بالزّليج

---

(١) ذكر لاوى بروفنسال فى كتابه «الكتابات العربية فى اسبانيا» كتابة منقوشة على حجر بقى مدة مستعملاً أسكُفَّةً لباب فى أحد بيوت فيناروز ثم أخذهذا الحجر ووضع فى المتحف الآثارى بمدرسة «سانتو دومنقه» باوريولة والكتابة سطران كل سطر منها على جانب من الحجر وهى بالحفر النافر وبالخط النسخى ونصها .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما . كل نفس ذائقة الموت.

. . . . توفى . . الحسين بن عبد الله بن رحمون الى . . . ى يوم الاحد الثامن للصفر عام تسعة وثلاثين وستمائة

قلنا تاريخ هذا القبر يتأخر عن تاريخ أخذ النصارى لبلنسية والبلاد المجاورة لها بثلاث سنوات لانهم استولوا عليها سنة ست وثلاثين وستمائة

(٢) ينسب الى هذه القصبة أبو محمد القاسم بن علي بن صالح الانصارى المورّقى المقرئ نزيل دانية أخذ القراءات عن أبى العباس القصبى وأبى الحسن بن اليسع وعن ابن العريف الزاهد وعن أبى بن عبد الله بن غلام الفرس وقرأ عليه التفسير سنة ٥٢٩ وتصدر بدانية للاقراء وأخذ عنه أبو بكر أسامة بن سليمان الدانى ذكره ابن الابّار .

الازرق والى الشمال من هذه البلدة حصن بَنَشْكَلَة [1] Peniscola ويسمى هذا الحصن بجبل طارق بلنسية لانه جزيرة متصلة بالبر بلسان من الرمل وقد بقى هذا الحصن فى أيدى العرب الى سنة ١٢٣٣ فاستخلصه منهم جاك الاول ملك اراغون . وقد دخل الفرنسيس هذا الحصن سنة ١٨١١ وقد أقام أحد البابوات بهذا الحصن وهو البابا بندكتس الثامن الذى أعلن مجمع كونستانزا اسقاطه من البابوية فجاء بكرادلته إلى هذا الحصن وأقام به سبع سنين الى أن مات وذلك سنة ١٤٢٤ [2]

---

(١) ينسب الى بنشكلة هذه من أهل العلم أبو الحسن على بن سعيد البنشكلى ذكره ابن الأبَّار فى التكملة . وقال انه كان مقرئاً أخذ عنه محمد بن المعز بفتح الميم اليفرنى من أهل ميورقة .

وينسب الى بنشكلة أيضاً أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن خلف بن بقى القيسى سكن دانية سمع من أبى محمد البطليوسى وأبى على الصدفى وأبى محمد بن عتاب وكان فقيهاً حافظاً مشاوراً مدرسا غلب عليه علم الرأى توفى فى نحو الخمسين وخمسمائة «عن ابن الأبار»

(٢) قال الحميرى فى الروض المعطار : بنشكلة حصن بالأندلس بالقرب من طركونة منيع على ضفة البحر وهو عامر آهل وله قرى وعمارات ومياه كثيرة وبه عين ثرّة تريق فى البحر ويقابل مرسى بنشكلة من بر العدوة جزائر بنى مزغنّاى بينه وبينها ستة مجار .

وذكر فى الروض المعطار « أنيشة » وأظنها محرفة وحقيقتها أبيشة بالباء لا بالنون لأنها بالاسبانيولى أبيشة Abiccha فقال انها موضع على مقربة من بلنسية وبالقرب من بنشكلة وعرّفها بقوله : وعقبة أبيشة جبل معترض عال على البحر والطريق عليه ولا بد من السلوك على رأسه وهو صعب جداً. انتهى. وتعريفه هذا منقول بحرفه عن « نزهة المشتاق » للشريف الادريسى وكذلك تعريفه لبلدة لَقَنْت منقول بالحرف عن الادريسى وغير ذلك. ثم ذكر فى الروض أنه فى أبيشة كانت الوقيعة بين المسلمين من أهل بلنسية وبين النصارى واستشهد فيها الأديب المحدث العلامة أبو الربيع سلمان بن موسى ابن سالم الكلاعى مصنف كتاب «الاكتفاء» فى سير النبى صلى الله عليه وسلم والثلاثة

ثم ان الخط الحديدى ينحرف عن الساحل مصعدا فى الوادى الذى بين جبال «ايرته» Irta وجبال « اتاليا القامة » Ataleya Alcala وعلى مسافة ٧٢ كيلو متراً من طرطوشة قامة « شيبر » [1] Chiber وهى التى يظن المستشرق دوزى أنها الرابطة التى كان يقول لها العرب رابطة « كشطالى » وقد ورد ذكرها فى كتاب الشريف الادريسى وقال انها رابطة منيعة على نحر البحر الشامى يسكنها قوم أخيار . وعلى مسافة ٧٨ كيلو متراً من طرطوشة بلدة يقال لها «طوربلانكه» Torreblanca بيوتها أشبه بأبراج وعلى شمالها قرية يقال لها البلاط فى مستنقع من الارض ثم قرية اسمها «اوروبيزه » Oropésa ومن هنالك تبدأ بمشاهدة جنان البرتقال ويستقبلك جبل فيخترقه الخط الحديدى فى نَفَق وعلى مسافة ١١٠ كيلو مترات من طرطوشة بلدة بنى قاسم Benicasim وهى ذات موقع بديع وفيها برتقال ونخل وقبة كنيستها مزخرفة بالزّليج وعلى مسافة ١٢ كيلومترا من هنالك مدينة «قسطلون البلانة» Castellondelaplana وهى مدينة سكانها ٢٨ الف نسمة وهى مركز مقاطعة كما أنها مركز تجارة عظيمة

الخلفاء وكانت هذه الوقيعة فى سنة ٦٣٤ وكان خطيباً راوية ناظماً ناثراً ورثاه الكاتب أبو عبد الله بن الأبار القضاعى بقصيدة طويلة أولها :

أَلِمَّا بأشلاء العلى والمكارم ... تقد بأطراف القنا والصوارم

أحسن فيها ماشاء وفيها :

سقى الله أشلاءً بسفح أبيشة ... سوافح تزجيها ثقال الغمائم

وفيها :

أضاعهمُ يوم الخميس حفاظَهم ... وكرُّهم فى المأزق المتلاحم

وفيها :

سلام على الدنيا اذا لم يأح بها ... مُحيًّا سليمان بن موسى بن سالم

(١) أشار ابن الأبار الى قرية اسمها شيبر قال انه ينسب اليها أبو الحجاج يوسف الشيبرى الزاهد صحب أبا عبد الله بن مجاهد وسلك طريقه وشهر بالصلاح والورع وله فى ذلك أخبار عجيبة توفى سنة ٥٨٧ أو نحوها وقد قارب الثمانين .

للبرتقال ولها فرضة على البحر يقال لها « غراو » Grao تتصل بخط حديدى الى البلدة والى هذه البلدة ينسب مصور شهير اسمه « ريبالته » Ribalta وله تصاوير محفوظة فى هذه البلدة أحدها فى الكنيسة الكبرى . وفى هذه البلدة أيضاً تمثال للملك جايم الذى بناها وهو من ملوك أراغون . ثم يمر القطار الحديدى بمكان اسمه المجرّ Mijiares على جسر ثلاث عشرة قوساً فوق قناة قسطلون المشتقة من النهر . وقد تقدم لنا الكلام فى الجزء الاول من هذا الكتاب فى ما علَّقناه على كلام الشريف الادريسى نقل ماورد فى دليل بديكر عن هذا الجسر وهذه القناة فانه قال : انها تحفة بديعة من بدائع هندسة العرب تسقى تلك الاراضى منذ ستمائة سنة (١)

ومن هناك تفيض الى بلدة يقال لها « فيلاّ ريال » Villareal وهى بلدة عدد سكانها ستة عشر ألف نسمة وكنيستها ذات قبة مصنوعة بالزليج ولها قبة جرس مثمنة وموقع هذه البلدة من أجمل المواقع وفيها بساتين البرتقال يتخللها بعض النخيل والنساء هناك تستقى بأباريق غريبة الشكل ترجع الى عهد قديم .

ولا تزال مياه المَجَرِّ تتوزع على تلك البساتين الى مدينة « بوريانة » Buriana

(١) من الآثار الاسلامية الباقية فى هذه البلدة كتابة على قبر نقلها لاوى بروفنسال فى كتابه الموسوم بـ « الكتابات العربية فى اسبانية » وهى أحد عشر سطراً بالخط الكوفى المجوف المنقوش فى الحجر :

بسملة . . . . . يأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور هذا قبر غصن ابنة فرج توفيت ليلة الأربعاء لستة خلت لشوال الذى من سنة ثلاثة وخمسين وأربعمائة فرحم الله من دعا لها بالرحمة آمين رب العالمين وصلى الله على محمد .

وقد ذكر لاوى بروفنسال ان لفظة غصن وهو اسم المدفونة غير ظاهرة تماماً كسائر الكتابة وانما يرجح أن الاسم هو غصن وهو لائق باسم امرأة .

التي يصدر منها برتقال كثير. وانظر ماقال الادريسى عن بوريانة فقد ذكر انه من حصن بَنَشْكَلَة الى عقبة أبيشة [١] سبعة أميال وقال ان هذه العقبة جبل معترض عال على البحر والطريق عليه لابد من السلوك على رأسه وهو صعب جداً ونحن نظن ان هذا الجبل هو الذى تقدم ذكره قبل الوصول الى قرية بنى قاسم وأن الخط الحديدى يخترقه بواسطة نفق ثم يقول ان منه الى مدينة بوريانة غرباً ٢٥ ميلا ويقول ان مدينة بوريانة Buriana مدينة جليلة عامرة كثيرة الخصب والأشجار والكروم وهى فى مستو من الأرض وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أميال [٢] . ويقول الادريسى : ومن بوريانة الى مرباطر وهى قرى عامرة وأشجار ومستغلات ومياه متدفقة ٦٠ ميلا وكل هذه الضياع والأشجار على مقربة من البحر ومنها الى بلنسية ١٢ ميلا [٣] .

---

(١) ينسب الى قرية لبرقاط من عمل أبيشة عبيد الله بن عيشون المعافرى سكن بلنسية وستأتى ترجمته بها .

(٢) ينسب الى بوريانة محمد بن أحمد بن عثمان سكن بلنسية. قال ابن الأبار فى التكملة : كان من جلة الأدباء ومشاهير الشعراء وعمر وأسنّ وكان يصحب أبا محمد القُلُنى ويحضر مجلسه. وقد أخذ عنه أبو عبد الله بن نايل وأنشدنى أبو الربيع بن سالم قائلا ان أبا عامر البريانى أنشده لنفسه فى الصنم الذى بشاطبة :

بقيــة من بقايا الروم معجبة	أبدى البناة بها من علمهم حكما
لم أدر ماأضمروا فيه سوى أمم	تتابعت بعــدُ سمَّوه لنا صنما
كالبرد الفرد ماأخطـا مشبهه	حقا لقد برد الأيام والأممـا
كأنه واعظ طـال الوقوف به	ممـا يحدث عن عادٍ وعن إرما
فانظر إلى حجر صلدٍ يكلمنا	أشجى وأوعظ من قس لمن فهما

(٣) يقول الحميرى فى الروض المعطار : ان بُريانة بضم أولها وكسر ثانيها وتشديد الياء هى مدينة جليلة عامرة بقرب عقبة أبيشة وانها كثيرة الخصب والأشجار والكروم وهى فى مستو من الأرض وبينها وبين البحر ثلاثة أميال وهى قريبة من بلنسية .

ثم انك تصل الى مدينة « المنارة » وكان حصنها فى القديم لعهد العرب مفتاح المملكة البلنسية . ويظهر أنه وُجد فى الأندلس عدة منابر فان ياقوت الحموى فى المعجم يذكر اقليم المنارة بالأندلس ويقول انه بقرب شذونة . ثم ينقل عن أبى طاهر السلفى ترجمة رجل يقال له أبو محمد عبد الله بن ابراهيم بن سلامة الأنصارى المنارى نسبة الى « منارة » من ثغور سرقسطة . ولا يزال يوجد فى ناحية سرقسطة بلدة اسمها المنارة ثم يذكر السلفى اسم رجل يقال له أبو الفتح محمد المنارى وآخر اسمه على بن محمد المنارى كان يصحب أبا عبد الله المغامى . فأما المنارة التي فى اقليم شذونة فلا شك بأنها ليست هذه لأن اقليم شذونة هو فى جنوبى اشبيلية بعيد جداً عن منارة بلنسية . وفى منارة بلنسية هذه كانت الوقعة المشؤومة على المسلمين سنة ١٢٣٨ وعلى أثرها استولى جاك الأول ملك أراغون على المملكة البلنسية وقد بنى الأسبانيون كنيسة فى المكان الذى وقعت فيه الواقعة ولا يزال فى بلدة المنارة بقايا هيكل قديم وفى محل يقال له « شلبة » Chelva قناة معلقة قديمة وفى مكان آخر يقال له « كابان » Cabane قنطرة قديمة وهناك كتابات قديمة من أنواع شتى تدل على عظمة البلاد فى الاعصر الغابرة . ثم ان هناك قرية يقال لها فالس valles تحيط بها عدة قرى كلها فى مرج افيح مشهور بالغلات لاسيما الحنطة ثم تتقدم فتقطع نهراً يقال له نهر بلانسية Palancia[1] لايجرى فى الصيف عن يمينه الخط الحديدى الذاهب الى قلعة أيوب فتصير هناك الى مدينة «ساقونتو » Sagonto وهى مدينة أهلها اليوم سبعة آلاف لا غير واقعة على يمين نهر «بلانسية» بحذاء رابية شامخة مشمخرّة منقطعة من جميع جهاتها مغطاة بالابراج والاسوار وكان العرب يقولون لهذه البلدة مرباطر أو مربيطر Murbiter ومعنى هذه اللفظة « الاسوار القديمة » وهى محرفة عن Muriveteres وكان الاسبانيون

(١) هذه اللفظة بلانسية وبالاسبانيولى Palancia هى غير بلنسية المدينة الكبيرة التى يكتبها الاسبانيون valencia فينبغى أن يعرف ذلك والى الاولى ينسب اناس من أهل العلم مثل أبى القاسم خلف بن عبدالله البلانسى ذكره ابن الأبار فى ترجمة محمد ابن المعز اليفرنى الميورقى

الى عهد قريب يسمونها مربيدرو Murvidero ونحن لانذكرها الآن تحت اسم مربيطر بعد أن توخينا فى جميع كتابنا احياء الاسماء العربية فى الاندلس وايراد جميع الاسماء فيها على الوجه الذى كان يتلفظ به العرب . فنقول ان مربيطر كان يقال لها فى القديم لعهد القرطاجنيين والرومان « ساقونتوم Saguntum وهى بلدة ايبيرية فى الاصل يقال انه كانت فيها جالية يونانية اتفقت مع الرومانيين على ادخالهم فى هذه البلدة وذلك قبل المسيح بمائتين وعشرين سنة وكان لقرطاجنة مملكة عظيمة فى اسبانية فخاف انيبال بن أميلكار خلف اسدروبال الاسد الرئبال (١) أن يتبسط الرومان فى اسبانية

---

(١) يدور اسم انيبال وأسد روبال فى تاريخ قرطاجنة الفينيقية ولما كانت اللغة الفينيقية مشتقة من اللغة العربية أخذ الناس فى تخريج هذه الاسماء على موجب اللغة العربية فقالوا لعل انيبال معناه « النبّال » وهو الذى يقاتل بالنبل أى السهام وقالوا فى أسد روبال « الاسد الرئبال » ولكن ظهر فيما بعد أن اسم انيبال هو «حن بعل» وأن اسم أسد روبال هو « أزر بعل » بمعنى عون بعل أو « عزر بعل » أى خادم بعل وقد ذكر ذلك الأخ الفاضل السيد أحمد توفيق المدنى فى كتابه «قرطاجنة» وقال ان لفظة « عزر » بمعنى خادم لاتزال مستعملة فى تونس وهى بقية مما ورثه عرب تونس عن الفينيقيين الذين مهدوا الطريق للعربية فى افريقيــة وبالاجمال فان اسماء هــؤلاء الفينيقيين هى عربية لان الفينيق نفسه هو عربى ولــكن لم يكن معروفاً أصلها عندنا فقد كان تلقّينا هذه الاسماء عن اللاتينيين وهم لايقدرون على التلفظ بالحاء والعين فجعلوا الهاء همزة والعين الفاً فتغيرت هذه الاسماء عن أصلها

وقد جاءنى كتاب من الأخ السيد أحمد توفيق المدنى فى هذا الموضوع يؤيد ما ذكره عنه فى كتابه « قرطاجنة » ويردف ذلك بقوله لى ما يلى :

وقد كنت كتبت عن هذا الامر طويلا فى الجزء الخامس من تقويم المنصور الذى تفضلتم حفظكم الله بكتابة مقال عنه نشرته جريدة الامة الجزائرية وفيه ذكر وثيقة حجرية وجدت بالبرازيل تثبت وصول الفينيقيين القرطاجنيين الى أمريكا وذلك قبل تحطيم رومة لقرطاجنة وأن لغة القوم كانت عربية وأنها أقرب شيء للغة العامية الحاضرة بتونس

فزحف الى مربيطر في ربيع سنة ٢١٩ فقاومه أهل مربيطر مقاومة شـديدة وجرح انبيال في المعركة وكان في جيش القرطاجنيين آلةقتال يقال لهاالـكبش تقذف بالشرر ولها رؤوس محددة من كل جهة فقلما كان العدو يثبت أمام هذا الـكبش النطاح الاأن أهل مربيطر ثبتوا أمامه بشدة القاومة التى امتاز بها الاسبانيون ولا تزال هذه المزية تظهر فيهم في جميع حروبهم القديمة والحديثة فانهم يستبسلون في القاومات استبسالا قلما يتحدث به التاريخ عن أمة من الامم . تأمل في الحروب الـكارلوسية التى نشبت فيما بينهم وفي الحرب التى وقعت بين الفرنسيس والاسبانيين عندما زحف بونابرت علي اسبانية . وتأمل أيضاً في الحرب الاهلية الواقعة بينهم اليوم بينما نحن نكتب هذه هذه السطورسنة ١٩٣٨م كم استبسل فيها الفريقان الحزب المحافظ من جهة والحزب الاشتراكى والشيوعى من جهة أخرى وكم احتقر الموت كل منهما.انك اذا تأملت تقضى العجب من صلابة رؤوس هذه الامة واستخفافها بالمنايا في جانب حقدها وإحنتها حتى ان الفريق المغلوب منها يؤثر الموت علي الاستسلام وإن لم تبق في يده حيلة آخر أن يموت صبراً بيد عدوه على أن ينقاد اليه ويقبل حكمه . وهذا قد حير جميع الواقفين على وقائع هذه الحرب التى بدأت بين الاسبانيين اى منذ عامين وتفجرت فيها دماؤهم كالأنهار وظهرت فيها من الفريقين قسوة في استئصال بعضهم بعضاً لم يكن الناس يظنونها باقية فيهم إلى هذا العصر الذى رقت فيه الطباع وتغيرت الاوضاع. وكل هذا في الحقيقة يزيد في عظمة شأن العرب الذين غزوا هـذه الامة الشديدة الصليبـة في عقر دارها واكتسحوا بسائطها وسخروا شم جبالها ورجالها وأرغموا معاطس أجنادها وأبطالها وضربوا عليهم الذلة والمسكنة من جبل طارق إلى جبال البرانس وإلى خليج غشقونية ولبثوا عدة قرون وهم سادة هذه الارض لاينازعهم فيها منازع الأكبوه علي أم رأسه وعدة قرون أخرى وهم في جلاد شديد مستمر مع هذه الأمة الاسبانيولية التى لاتعرف للموت معنى كما هو ظاهر من ماجريات الحرب التى نحن شاهدوها الآن فلا جرم أن هذه الحرب أتت بشاهد جديد علي فضل العرب إلى مدى لم يكن الناس يتصورونه من قبل وأثبتت أن الامة التى تأتى من وراء البحر وتتغلب على أمة صلبة العود كهذه

الامة وتقارعها مدة ثمانمائة سنة فى وسط دارها لهى أمة خارقة العادة فى البأس وقوة الارادة

ثم نعود إلى حصار القرطاجنيين لمربيطر فنقول انهم توصلوا إلى خرق خط الحصار ودخلوا من ثلمة فى أسوار البلدة فردهم الاسبانيون إلى الوراء بمساعدة الرومانيين فكر القرطاجنيون كرات تشيب لها النواصى وهدموا السور الأول فشيد الاسبانيون أسواراً ثلاثة الواحد وراء الآخر وكاد القرطاجنيون يقطعون الأمل من أخذ البلدة واذا بالرومانيين قد تخلوا عن الاسبان وتركوا ساحة الحرب فبعد حصار استمر ثمانية أشهر دخل انيبال قلعة مربيطر عنوة وقتل أكثر رجال هذه البلدة بذباب السيف لانهم على عادتهم فى حروبهم يفضلون الموت على استسلامهم للعدو وقد ورد وصف هذا الحصار فى كتب باقية من عهد أنيبال أوحن بعل

وقد استرجع الرومان مربيطر سنة ٢١٤ ولكن لم تعد إلى أهميتها الأولى ولا نريد أن نقول إن مربيطر كانت فى زمن الرومان كمية مهملة وكيف يمكن أن يقال ذلك وفيها ذاك المرزخ الرومانى الشهير للتمثيل وفيها ملعب الخيل المدهش وكانت مربيطر لعهد الرومان تضرب فيها السكة وكانت بها معامل خزف هى مضرب الأمثال فى نوعها

فأما ملهى التمثيل الرومانى الذى سارت بذكره الركبان فموقعه على نصف المسافة بين أرض المدينة والقمة التى عليها القلعة وقد لعبت بهذا الملهى أيدى العامة فكانوا يبنون من حجارته ولم تصدر أوامر الحكومة بالمحافظة عليه الا فى أواخر القرن التاسع عشر فمحل التمثيل لم يبق منه تقريباً شىء وانما بقى اقباء رائعة عند المدخل وأجنحة من مقاعد المتفرجين وهى مساحة تستوعب ثمانية آلاف مقعد على عدة صفوف تبلغ عشرة لكل صف منها درجات وهى منفصلة بعضها عن بعض بثلاثة مماش كل ممشى أوسع من الآخر والصفوف السفلى هى أوسع من العليا وكانوا يصعدون الى الطبقات العليا بأروقة رحبة ممتدة تحت درجات المقاعد بارتفاعات مختلفة ولها مخارج نافذة الى السلالم والماشى الواسعة . وان مسارح اللمحات التى تحيط بهذا الملهى من بدائع الطبيعة لتزيد فى جماله .

فأما القلعة فيوصل اليها بجسر نقال يفاض منه الى ساحة يقال لها ساحة أرماس Armas وهناك باب اسمه باب محمد يؤدى من جهة الغرب الى ساحة يقال لها غوبرنادور Gobernador واقعة فى مطمئن من الأرض بين ارتفاعين أحدهما الى الغرب والثانى الى الشرق ثم يصعد المتفرج الى حصن « سقونتوه » على نقطة فيه يقال لها عمود اللواء Palo De La Bandera وعلى جدران هذا الحصن نقوش وكتابات منها ماهو من زمن الرومان . والنظر يمتد من هناك على ساحل بنى قاسم الى جبل « مونغو » وجبال القنت وترى من هذه القلعة قباب بلنسية وفى الساحة المسماة مايو Mayo صهريج ماء كبير من صنع العرب ويعود المتفرج الى ساحة « غوبرنادور » فيرى الهوة العميقة التى أمام مدخل القلعة ثم يصعد من ناحية الشرق تدريجاً الى المنارة وهى قلعة دارسة ولكن منظرها بديع يسرح فيها الطرف من جهة البحر والساحل والمدينة وهناك ساحة يقال لها ساحة ايكو Eco عندها آثار رومانية والى الجنوب صهاريج كبيرة يقال انها من بناء الرومان وهناك كنيسة يقال لها سان سلفدور أصلها جامع .

أما ملعب الخيل فانه يمتد على ضفة وادى بلنسية طوله ٢٨٥ متراً وعرضه ٧٢ متراً ولكن قد تحيفت منه البساتين وفى القسم العالى منه نهير عليه جسر رومانى .

وقد جاء ذكر مربيطر فى معجم البلدان فقال : مربيطر بالضم ثم السكون وباء موحدة مفتوحة وياء مثناة من تحت ساكنة وطاء مفتوحة وراء مدينة بالأندلس بينها وبين بلنسية أربعة فراسخ وفيها اللعب وهو ان صح ماذكروه من أعجب العجائب وذلك أن الانسان اذا صعد فيه نزل واذا نزل فيه صعد .

ينسب اليها قاضيها ابن خيرون المربيطرى . وسفيان بن العاصى بن أحمد بن عباس ابن سفيان بن عيسى بن عبد الكبير بن سعيد الأسدى المربيطرى سكن قرطبة يكنى أبا بحر روى عن أبى عمر بن عبد البر الحافظ وأبى العباس العذرى وأكثر عنه وعن أبى الليث نصر بن الحسن السمرقندى وأبى الوليد الباجى وغيرهم وكان من جلة العلماء وكبار الأدباء سمع الناس منه كثيراً ولقيه ابن بشكوال وحدث عنه ومات لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٥٢٠ ومولده سنة ٤٤٠ انتهى كلام ياقوت الحموى

قلت وممن ينسب الى مربيطر من أهل العلم لب بن أحمد بن عبد الودود بن غالب ابن زنون من أهـل مربيطر ترجمه ابن الأبار فى التـكملة وكنيته أبو عيسى روى عن القاضى أبى عبد الله بن سعادة وغيره ومال الى الأدب وعنى بصناعة النظم فبرع وأبدع قال ابن الأبار : سمعت أبا الربيع بن سالم يثنى عليه وأنشدنى من شعره ولم يذكر تاريخ وفاته .

وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالله بن حصن الأنصارى من ولد سعيد بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما أصله من شارقة من مملكة بلنسية وسكن عقبة مربيطر سمع من أبى الوليـد الوقشى ولازمه من سنة احدى وثمانين الى سنة أربع وثمانين بعد الأربعمائة وأخذ عنه الموطأ وكان حسن الخط ذا عناية بالعـلم نبيه البيت معروفا بالبر وتوفى قبل العشرين وخمسمائة قاله ابن الأبار فى التـكملة .

والامام الذى ذكره ياقوت فى معجم البلدان هو سفيان بن العاصى بن أحمد بن العاصى بن سفيان بن عيسى بن عبد الـكبير بن سعيد الأسدى سكن قرطبة وأصله من مربيطر وكنيته أبو بحر قال ابن بشكوال فى الصلة أخذ عن أبى عمر بن عبد البر وأبى العباس العـذرى وأبى الليث السمرقندى وأبى الوليد الباجى وطاهر بن مفوّز واختص بالقاضى أبى الوليد بن أحمد الـكنانى وكذلك انه أخذ عن أبى عبدالله بن سعدون القروى وأبى اسحق الـكلاعى وأبى داود المقرى وأجاز له عيسى بن أبى ذر الهروى وكان من جلّة العلماء وكبار الأدباء ضابطاً لـكتبه صدوقاً فى روايته حسن الخط جيد التقييد من أهل الرواية والدراية سمع الناس منه كثيراً قال ابن بشكوال : وحدث عنه جماعة من شيوخنا واختلفت اليه وقرأت عليه وسمعت كثيراً من روايته وأجاز لى بخطه سائرها غير مرة . قال : وتوفى شيخنا أبو بحر رحمه الله ليلة الأربعاء أول الليل لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ٥٢٠ ودفن يوم الأربعاء بعد العصر بالربض وصلى عليه أبو القاسم بن بقى وكان مولده سنة ٤٤٠ .

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن أبى الفتح ابن حصن بن لريق بن عفيون بن عفايش بن رزق بن عفيف بن عبد الله بن رواحة

ابن سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجى أصله من شارقة سكن مربيطر سمع من صهره أبي علي بن بسيل وولى قضاء مربيطر مضافاً الى الصلاة والخطبة بها وكان سرياً نزيهاً. قال ابن الأبار فى التكملة : وهو خال شيخنا أبى الخطاب بن واجب سماه ابن سفيان فى معجم شيوخه وتوفى سنة ٥٦٧ .

وأبو عبد الله محمد بن هشام بن عبد الله البتى المربيطرى أدرك أبا محمد البطليوسى وسمع من ابن الدباغ تولى الصلاة والخطبة والأحكام بمربيطر سماه ابن سالم فى معجم شيوخه ونقل ابن الأبار عن ابن سالم أنه توفى سنة ٥٨١ .

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدرى من أهل مربيطر وأصله من أبيشة [1] بالباء من ثغور بلنسية وهى التى تنسب اليها عقبة أبيشة التى ذكرها الشريف الادريسى فى كلامه عن البلاد الواقعة بين طرطوشة وبلنسية روى أبو عبدالله محمد هذا عن أبيه أبى العباس وغيره ورحل حاجاً فسمع بمكة من أبى الحسن على بن حميد الطرابلسى وبالاسكندرية من أبى الطاهر بن عوف وأبى عبد الله بن الحضرمى وأبى طاهر السلفى وأبى طالب التنوخى وأبى القاسم بن جارة وأبى الطاهر بن عثمان وأبى الضياء بدر بن عبد الله بن حبشى وأبى الحجاج يوسف بن محمد القيروانى ثم صدر الى بلده مربيطر وحدث بهـا وتوفى فى بلده سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين وخمسمائة رواه ابن الأبار عن ابن سالم .

وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يونس القضاعى من أهل أُندة دار القضاعيين بالأندلس ومن قرية بجهتها لكنه سكن مربيطر وكان يعرف بابن خيرون سمع الأئمة الكبار مثل أبى عمر بن عبد البر وأبى الوليد الباجى وأبى الوليد الوقشى وأبى العباس العذرى وأبى المطرف بن جحّاف وأبى الفتح السمرقندى قال ابن الأبار : كان راوية جليلا فقيهاً حافظاً أديباً له حظ من قرض الشعر وكان صهراً لأبى بحر الأسدى وبقراءته الموطأ على أبى عمر بن عبد البر سمعه أبو بحر وذلك بشاطبة سنة ٤٥٦

---

(١) وممن ينسب الى أبيشة هذه من أهل العلم أبو العباس بن هذيل الأبيشى وهو من شيوخ محمد بن على بن الزبير بن أحمد بن خلف القضاعى الاندى المربيطرى

وتولى قضاء مربيطر من قبـل أبي الحسن بن واجب وأخـذ عنه جماعة منهم صهره أبو علي بن بسيل وأبو محمد بن علقمة وأبو عبد الله محمد بن محمد بن يعيش وأبو العرب عبد الوهاب بن محمد التجيبي وتوفى بمربيطر وهو قاضيها حول سنة ٥١٠ قال ابن الأبار فى التكملة : قرأت بخط أبي العباس أحمـد بن حسن بن سليمان إن ابن خيرون هذا حدثه قال : حدثنى الفقيه الامام الحافظ أبو عمر يعنى ابن عبد البر عن أشياخه رضى الله عنهم أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فأتوا اليه فقالوا : يارسول الله انا نسمع منك حديثاً فاذا جئنا لنحدث به ذهب عنا اللفظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدثتم عنى بالمعنى فحسبكم .

وأبو عبد الله محمد بن على بن الزبير بن أحمد بن خلف بن أحمد بن عبـد العزيز بن الزبير القضاعى من أهل مربيطر أصله من أُندة عمل بانسية سمع من أبي الحسن بن النعمة وأجاز له وسمع من أبي العباس بن هذيل الايشى وأخذ قراءة نافع عن أبي جعفر طارق بن موسى بن طارق وأجاز له من اشبيلية أبو عبدالله بن زرقون سنة ٥٨٥ وأجاز له من الاسكندرية سنة ٥٧٢ أبو طاهر السلفى ثم أبو الطاهر بن عوف وأبو عبدالله بن الحضرمى وأبو القاسم بن جاره وأبو الثناء الحرّانى وتولى الصلاة والخطبة ببلده مربيطر وتقدم للأحكام بها وكان له بصر بالأحكام وبعقد الشروط ومشاركة فى علم الفرائض والحساب . قال ابن الأبار فى التكملة : لقيته مرارا ببلده ثم ببلنسية وحدثنى بحكايات وأجاز لى بلفظه مارواه وتوفى مغرّباً عن وطنه بسحر ليلة الخميس السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٢٧ (أى قبـل سقوط بانسية فى أيدى الأسبانيول بتسع سنوات) ودفن بقبلى المصلى من ظاهر بلنسية . قال : ومولده بين صلاتى الظهر والعصر من يوم الأربعاء للنصف من جمادى الأولى سنة ٥٤٤ .

وأبو محمد عبـد الله ابراهيم بن الحسن بن منتيال الورّاق المربيطرى سكن بلنسية سمع من أبي العطاء بن نذير وأبي عبد الله بن هذيل الايشى وأجاز له أبو بكر بن أبي جمرة وأبو الحجاج بن أيوب وغيرهما ومن الاسكندرية أبو طاهر السلفى وأبو الطاهر بن عوف وأبو القاسم بن جاره ورحل حاجاً فسمع فى طريقه من أبي محمد عبد الحق بن

عبد الرحمن الاشبيلى نزيل بجاية وسمع بالاسكندرية من أبى عبد الله الحضرمى. قال ابن الأبار فى التكملة : وكتب بخطه علماً كثيراً على رداءته وقفل الى بلنسية ، وكان له دكان بالقيسارية يقعد فيه للتجارة ويبيع الكتب لقيته مرراً عند شيخنا أبى الخطاب بن واجب وعند والدى رحمهما الله وهو استجازه لى فأذن لى فى الرواية عنه لفظاً وتوفى ببلنسية فى ذى القعدة سنة ٦١١ ومولده قبل الخمسين وخمسمائة .

وعتّيق بن على بن خلف بن أحمد الأموى المروانى أبو بكر يقال له ابن قنترال من مربيطر سكن مالقة أخذ القراءات والعربية عن أبى الحسن بن النعمة وسمع من عبدالله ابن سعادة ولقى بمرسية أبا القاسم بن حبيش وباشبيلية أبا بكر بن الجد وابن زرقون وأخذ عنهم وأخذ بمالقة عن أبى محمد بن دحمان وحج سنة اثنتين وستين وخمسمائة فسمع بالاسكندرية من السلفى وبمكة من على بن عبدالله المكناسى ثم رجع الى الأندلس وتصدر للاقراء بمالقة ثم حدث ببلنسية وكان مقرئاً صالحا ورعاً أخذ عنه جماعة من علمائها .

وعلى بن محمد بن عبد الودود من أهل مربيطر صاحب الصلاة والخطبة بها والأحكام أيضاً أخذ القراءات عن أبى عبد الله بن واجب وأجاز له أبو الطاهر بن عوف وكان صالحاً قال ابن الأبار فى التكملة : أخذت عنه يسيراً توفى فى ذى الحجة سنة ٦٣٣ (أى قبل سقوط بلنسية بثلاث سنين) .

وأبو على الحسين بن أحمد بن الحسين بن بسيل العبدرى المربيطرى سمع من أبى محمد ابن خيرون وغيره وولى قضاء مربيطر من قبل أبى الحسن بن واجب وكان نبيه البيت حسن الخط حدث عنه صهره القاضى أبو عبد الله بن حصن والاستاذ أبو الوليد يونس ابن أيوب بن بسام وغيرهما وتوفى بعد سنة ٥٣٧ ذكره ابن الأبار

وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن على المربيطرى سمع من أبى القاسم بن حبيش وأبى بكر بن بيبش وأجاز له أبو الطاهر بن عوف وكان واقفاً على كتاب سيبويه علم بذلك وقتاً ثم عُنى بالطب حتى رأس فيه وخدم به الأمراء فنال دنيا عريضة توفى بمراكش سنة ٦١٩ ذكره ابن الأبار .

ومن مدينة مربيطر إلى مدينة أشكرب Segorbe ٣١ كيلو متراً

هذه البلدة هى من أعمال بلنسية ينسب اليها أناس من أهل العلم كما سيأتى وسكانها اليوم سبعة آلاف نسمة ولها موقع بديع على ضفة نهر بلاّنسية Palancia تحف بها آكام مشرفة على رؤوسها قصور شامخة . واشتقاق اسم شيكورب ويقول الاسبانيول سيغورب هو من اسم سيغوبريكا Segobriga الذى كان معروفا فى زمان السلتيبيريين Celtipéres فهى بلدة قديمة وفيها كنائس ذات آثار عتيقة وإذا أقبل الانسان من مربيطر نحو بلنسية مر ببساتين بلنسية الشهيرة وفى خلال البساتين كثير من القرى مثل «بوزول» PuzoI و« بويغ » Puig و « كابانيال » CabaniaI ثم يعبر القطار الحديدى نهراً اسمه « توريه » Turia فيصل إلى بلنسية

ذكر ياقوت الحموى مدينة اشكرب هذه فضبطها بالكسر مع سكون الراء وآخرها باء موحدة وقال انها مدينة فى شرق الأندلس ينسب اليها أبو العباس يوسف ابن محمد فارُه الاشكربى ولد باشكرب ونشأ بجيّان فانتسب اليها وسافر الى خراسان وأقام ببلخ الى أن مات بها فى سنة ٥٤٨ .

بلنسية (١) Valencia

حاضرة من حواضر الأندلس الكبرى ماحضر منها وماغبر، ومصر من الأمصار المعدودة فى ماعمره البشر، كانت احدى العواصم الست التى ترجع اليها اسبانية العربية

---

(١) قال الحميرى فى الروض المعطار : بلنسية فى شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوما وعلى الجادة ثلاثة عشر يوما . وهى مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس فى مستو من الأرض عامرة القطر كثيرة التجارات وبها أسواق وحط واقلاع وبينها وبين البحر ثلاثة أميال وهى على نهر جار ينتفع به ويسقى المزارع ولها عليه بساتين وجنات وعمارات متصلة والسفن تدخل نهرها وسورها مبنى بالحجر والطوابى ولها أربعة أبواب وهى من أمصار الأندلس الموصوفة وحواضرها المقدمة

وهى قرطبة فى الوسط وطليطلة فى الوسط الى الشمال ومرقسطة فى الشمال الى الشرق واشبيلية فى الغرب وغرناطة فى الجنوب وبلنسية [1] هذه فى الشرق ومازالت هذه المدَرة منذ خيم الاسلام بعقرتها الى أن تقلص ظله عنها دار علم وتفكير وفضل غزير ونعيم وملك كبير عدا ماتحلّت به من مرجها النضير ومحرثها الذى ليس له نظير، وكانت دائماً معقل عروبة ومركز عربية وموطن بحث وتحقيق ومحط تصنيف وتنميق وفيها من كل نزعة عربية صحيحة وكل عرق فى العرب عريق.ومن مزاياها أنها متصلة بالبحر

ولأهلها حسن زى وكرم طباع والغالب عليهم طيب النفوس والميل الى الراحات وهى فى أكثر الأمور راخية الأسعار كثيرة الفواكه والثمار جامعة لخيرات البر والبحر ولها أقاليم كثيرة ، وهى فى الجزء الرابع من قسمة قسطنطين وكان الروم تغلبوا على بلنسية قديماً ثم أحرقوها عند خروجهم منها سنة ٤٩٥ ، فقال أبو اسحق ابراهيم بن أبى الفتح بن خفاجة :

عاثت بساحتك الظُّبى يادار ... ومحا محاسنك البلى والنار
فاذا تردد فى جنابك ناظر ... طال اعتبار فيك واستعبارُ
أرض تقاذفت النوى بقطينها ... وتمخضت بخرابها الأقدار
فجعلت أنشد خير سادة أهلها ... لا أنت أنت ولا الديار ديار

وقال الأستاذ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن خلصة البلنسى :

وروضة زرتها للأنس مبتغياً ... فأوحشتنى لذكرى سادةٍ هلكوا
تغيرت بعدهم خرباً وحق لها ... مكان نوّارها أن ينبت الحسك
لو أنها نطقت قالت لفقدهم ... بان الخليط ولم يربوا لما تركوا

ثم فى سنة ٦٣٠ ملك الروم بلنسية صلحاً (استولى جاك الأول ملك أراغون على بلنسية فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٢٣٨ فيكون الى آخر هذه السنة مضى على خروج بلنسية من يد الاسلام سبعمائة سنة) واستولى عليها ملك أراغون وأكثر أدباؤها بكاءها والتأسف عليها نظماً ونثراً (وسننقل مراثيها ومراثى غيرها فى آخر هذا الجزء الخاص بشرق الأندلس) .

والجبل فلا يزال عيشها هنيئاً ولا يبرح سمكها طريئاً وجبنها طريئاً وان لم يكن فيهاسوى بساتينها التى لايشبهها فى الدنيا شىء سوى غوطة دمشق وما يقال عن شِعب بوّان وصُغد سمرقند وربما كانت رقعة بساتين بلنسية أرحب وكان مداها أطول لأن المسافر يلبث فى القطار الحديدى عدة ساعات لايقع نظره الا على دوح ملتف وجنان لاتكاد تنفذ خلالها الشّمس الى أن يصل المدينة وهى اليوم البلدة الثالثة فى اسبانية من جهة عدد السكان وأهلها يزيدون على ٢٣٣ ألف نسمة لايفوقها سوى مجريط وبرشلونة وهى مركز ولاية بلنسية وفيها مدرسة جامعة ودار أسقفية وبينها وبين البحر مسافة لاتزيد على أربعة كيلو مترات وبجانبها نهر يقال له وادى الابيار Guadalaviar وقيل وادى الأبيض وانما حرفه الاسبانيون عن لفظه الأصلى وقد سبق نقلنا لما ذكره عن بلنسية صاحب نفح الطيب بحيث لانحتاج الى التكرار وما أنشده من الشعر الذى قيل انه فى محاسنها، ويعجبنى منه قول مروان بن عبد الله بن عبد العزيز أمير بلنسية يصف بلدته :

كأن بلنسية كاعبٌ ... وملبسها سندس أخضرُ
اذا جئتها سترت نفسها ... بأكمامها فهى لاتظهر

وهو شعر مطابق للواقع لأن المسافر لايرى بلنسية حتى يصير فى وسطها وذلك من كثرة جنانها التى تغطيها ومع هذا فالنظر يسرح منها الى مسافة عشرين كيلو متراً فى الجبال التى الى غربيها ويرى قلعة مربيطر فى شماليها وجبل القنت فى الجنوب الشرقى منها ولقبابها المرصعة بالزليج الأزرق والأبيض والمذهب منظر شائق تحت أشعة الشمس الحادة. وكان الأقدمون يقولون ان بلنسية قطعة سقطت من السماء. ونقل بديكر أن العرب كانوا يسمونها مدينة أبى طرب وأنهم عندما فارقوها أكثروا من النواح عليها ورثوها بالقصائد وأنشد شعراً بالأسبانيولى قال انه ترجمة نشيد عربى قاله العرب فى بلنسية عند مافارقوها ، ومعناه أنه كلما ظهرت محاسنها ازدادت الحسرة عليها . وسنأتى فى هذا الكتاب على بعض ماقيل فى بلنسية من المراثى .

قال الشريف الادريسى : بلنسية قاعدة من قواعد الأندلس وهى فى مستو من الأرض غامرة القطر كثيرة التجار والعمار وبها أسواق وتجارات وحط واقلاع وبينها وبين البحر ثلاثة أميال مع النهر الى آخر ماقال مما تقدم نقله . وقال ياقوت فى معجم البلدان : بلنسية السين مهملة مكسورة وياء خفيفة كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير وهى شرقى تدمير وشرقى قرطبة وهى برية بحرية ذات أشجار وأنهار وتعرف بمدينة التراب [1] وتتصل بها مدن تعد فى جملتها والغالب على شجرها القراصية ولا يخلو منه سهل ولا جبل ، وينبت بكورها الزعفران وبينها وبين تدمير أربعة أيام ومنها الى طرطوشة أيضاً أربعة أميال . وكان الروم قد ملكوها سنة ٤٨٧ واستردها الملثمون الذين كانوا ملوكا بالغرب قبل بنى عبد المؤمن وذلك سنة خمس وتسعين وأهلها خير أهل الأندلس يسمّون عرب الأندلس بينها وبين البحر فرسخ. وقال الأديب أبو زيد عبد الرحمن بن مُقانا الأشبونى الأندلسى :

ان كان واديك نيلاً لايجاز به ... فما لنا قد حرمنا النيل والنيلا
ان كان ذنبى خروجى من بلنسية ... فما كفرت ولا بدلت تبديلا
دع المقادير تجرى فى أعنتها ... ليقضى الله أمراً كان مفعولا

وقال أبو عبد الله محمد الرصافى [2] :

خليلىّ ما للبلد قد عبقت نشرا ... وما لرؤوس الركب قد رجحت سكرا
هل المسك مفتوقاً بمدرجة الصبا ... أم القوم أجروا من بلنسية ذكرا
بلادى التى راشت قويدمتى بها ... فُريخاً وآوتنى قرارتها وكرا

(١) مانقلناه عن دليل بديكر من أن العرب كانوا يقولون لبلنسية مدينة أبى طرب نظنه محرفاً لأن المدينة الموصوفة بالطرب فى الأندلس انما هى مدينة اشبيلية وأما بلنسية فهى موصوفة بكثرة التراب لاتساع محارثها ومزارعها وقد ورد هذا عن بلنسية فى كتب العرب وقول ياقوت هذا هو من الجملة .

(٢) نسبة الى الرصافة وهى رصافة بلنسية التى سيأتى ذكرها .

أعيذكمُ إنى بكيت لبينكم | وكل يدٍ منا على كبدٍ حرّى
نؤمل لقياكم وكيف مطارُنا | بأجنحةٍ لا نستطيع لها نشرا
فلو آب ريعان الصبا ولقاؤكم | اذاانقضت الأيام حاجتنا الكبرى
فان لم يكن الاّ النوى ومشيبنا | فمن أى شيءٍ بعد نستعتب الدهرا

ثم ذكر ياقوت من أبيات الشعر التى قيلت فى بلنسية ما تقدم نقله عن نفح الطيب فلا حاجة إلى تكراره ولكننا ننقل منه هنا ماينسب إلى خلف بن فرج الألبيرى المعروف بابن السمسير

بلنسيةٌ بلدةٌ جنّةٌ | وفيها عيوب متى تختبر
فخارجها زَهَرٌ كله | وداخلها برك من قذر

قال وذلك لأن كنفهم ظاهرة على وجه الارض لايحفرون لها تحت التراب وهو عندهم عزيز لأجل البساتين . وروايته هذه تشبه مارواه عن البصرة وهو أن للحشوش فيها أثماناً وافرة وأن لها تجاراً يجمعونها فاذا كثرت اجتمع عليها أصحاب البساتين ووقفوا تحت الريح ليختبروا نتنها فما كان منها أنتن كان ثمنها أكثر إلى آخر ماقال وأنشد فى ذلك شعراً لمحمد بن حازم الباهلى من جملته

يعتق سلحه كيما يغالى | به عند المبايعة التجارُ

هذا وكم من بلدة فى الارض تتمنى أن يكون لها جنان بلنسية ونخيل البصرة. ثم قال ياقوت : وينسب إلى بلنسية جماعة من أهل العلم بكل فن منهم سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد أبو الحسن الأنصارى البلنسى فقيه صالح ومحدث مكثر سافر الكثير وركب البحر حتى وصل إلى الصين وانتسب لذلك صينياً وعاد إلى بغداد وأقام بها وسمع بها أبا الخطاب بن البطير وطرّاد بن محمد الزينبى وغيرهما ومات ببغداد فى المحرم سنة ٥٤١ [١] اه . وقد استغربنا من ياقوت كونه لم يذكر من مشاهير علماء بلنسية غير واحد وسترى أنه نبغ منهم فيها مئات

وجاء فى صبح الاعشى : القاعدة التاسعة بلنسية، قال فى تقويم البلدان : بفتح الباء

(١) ستأتى ترجمته بأوفى من هذا

الموحدة واللام وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح المثناة من تحت وهاء فى الآخر وموقعها أواخر الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة. قال ابن سعيد : حيث الطول عشرون درجة والعرض ثمان وثلاثون درجة وست دقائق . قال فى تقويم البلدان : وهى من شرق الأندلس شرق مرسية وغربى طرطوشة وهى فى أحسن مكان وقد حفت بالأنهار والجنان فلا ترى الا مياهاً تتفرع ولا تسمع الا أطياراً تسجع وهى على جنب بحيرة حسنة على القرب من بحر الزقاق [1] يصب فيها نهر يجرى على شمالى بلنسية .ولها عدة منازه : منها الرصافة ومنية ابن عامر وحيث خرجت منها لا تلق الا منازه . قال ابن سعيد : ويقال ان ضوء مدينة بلنسية يزيد على ضوء بلاد الاندلس، وجوها صقيل أبداً لا يرى فيه مايكدره ولها مضافات منها مدينة شاطبة الى آخر ماقال . وفى بعض نسخ صبح الأعشى مذكورة هذه الجملة : وقد صارت الآن من مضافات برشلونة فى جملة أعمال صاحبها من ملوك النصارى

قلنا: فى أيام القلقشندى صاحب صبح الأعشى كان مضى على خروج العرب من بلنسية ١٨٥ سنة لأن بلنسية سقطت سنة ٦٣٦ ولان ابا العباس أحمد بن على بن أحمد القلقشندى مؤلف صبح الأعشى توفى ليلة السبت عاشر جمادى الآخرة سنة ٨٢١

وجاء فى الانسيكلوبيدية الاسلامية عن بلنسية بقلم لاوى بروفنسال مايلى: بلنسية هى المدينة الثالثة فى أسبانية عدد سكانها يبلغ ٢٥٠ الف نسمة وهى الى الشرق من جزيرة الاندلس على أربعة كيلو مترات من البحر المتوسط ولها مرسى يقال له «الغراو» وهى مربوطة بمجريط بخط حديدى طوله ٤٩٠ كيلو متراً على أنه لو كان الخط مستقيما بين بلنسية ومجريط لما زاد على ثلاثمائة كيلو متر . وبلنسية مركز ولاية وفيها رئاسة أساقفة وموقعها يستجاب النظر فى وسط محرثها الخصيب الذى يشرب من نهر «توريا» Turia أو الوادى الأبيض كما كان يقول العرب . وبلنسية بخلاف قرطبة وطليطلة لم تفقد مكانتها الماضية بل زادها الدهر أهمية ولا تزال إلى يوم الناس هذا عاصمة شرق

---

(١) هذا من باب التوسع والا فبحر الزقاق الذى هو بوغاز جبل طارق ليس على مقربة من بحيرة بلنسية

الأندلس ويقال لهذه البلدة بلنسية السيد Cid نظراً للدور العظيم الذى لعبه هـذا البطل القشتالى فى بلنسية

ولقد بنى بلنسية الرومانيون سنة ١٣٨ قبل المسيح وذلك أن جونيوس بروتُس Brutus بعد موت الثائر فيرياث Viriathe أسكن فيها جالة من العساكر القدماء الذين لبثوا أمناء لرومة. ثم ان الاهالى انحازوا إلى سيرتوريوس Sertorius سنة ٧٥ بعد المسيح فاجتاحها بومبى Pompèe ثم عادت فازدهرت فى زمن أغسطس وفى سنة ٤١٣ استولى عليها القوط وفى سنة ٧١٤ صارت بلنسية مدينة اسلامية بعد أن فتحها طارق هى والمدن التى تجاورها مثل ساقونته وشاطبة ودانية . ولم يكن لها ذلك الشأن فى دور بنى أمية . وقد غلبت عليها وعلى أعمالها العروبة بنزول القيسية فيها وفى ارباضها . وهكذا استمرت بلنسية طيلة عهد الاسلام من أعظم مراكز العربية فى جزيرة الاندلس على أنه كان يوجد فى جبالها بعض قرى بربرية . وكانت بلنسية فى زمن بنى أمية مركز مقاطعة أو كورة كما قال المقدسى والرازى وياقوت الحموى وكان يقيم بها الوالى من قبل الخليفة الذى فى قرطبة ولم تبدأ بأن تكون مركز حكومة مستقلة الا بعـد سقوط الخلافة الاموية فصارت من ذلك الوقت من أهم أهداف استرداد الاسبانيول للاندلس وصـار لها ذكر عظيم فى التواريخ الاسبانية والعربية التى وصلت إلى ايدينا وكان تأسيس الحكومة المستقلة فى بلنسية سنة ٤٠١ وفق ١٠١٠ على أيدى إثنين من مماليك بنى عامر مبارك ومظفر كانا إلى ذلك الوقت مفتشين للرى فى بساتين بلنسية. فلما سقطت الخـلافة غلبا على الامر وتقاسما سلطنة هـذه الكورة [1] ثم لم يلبث مبارك أن مات وثار الاهالى بمظفر فطردوه وبايعوا صقلبياً آخر

---

(١) قال الامام أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسى القرطبى المتوفى سنة ٤٥٦ رحمه الله فى كتاب « الاخلاق والسير فى مداواة النفوس » مايلى :

«وأقصى غايات الصـداقة التى لا مزيد عليها من شاركك بنفسه وبماله لغير علة توجب ذلك وآثرك على من سواك ولولا انى شاهدت مظفراً ومباركاً صاحبى بلنسية لقدّرت أن هذا الخلق معدوم فى زماننا ولـكنى مارأيت قط رجلين استوفيا جميع

اسمه لبيب جعل نفسه تحت سيادة قمط برشلونة . ثم آل أمر بلنسية الى عبد العزيز ابن عبد الرحمن من أحفاد المنصور بن أبي عامر وكان قد لجأ الى منذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة فلما تولى بلنسية تلقب بالحاجب لقب جده المنصور وطالت مدته فى هذه الامارة فكان دور أمان وسلام فى بلنسية ومات سنة ٤٥٢ ولما تولى الخلافة فى قرطبة القاسم بن حمود بادر عبد العزيز هذا الى مبايعته فلقبه بالمؤتمن ذى السابقتين وكانت صلاته حسنة مع ملوك المسيحيين . وعند وفاته خلفه ابنه الملقب بالمظفر وكان يافعاً فكفله الوزير ابن عبد العزيز ولم يطل الأمر حتى زحف فرديناند ملك قشتالة وليون على بلنسية وكاد يدخلها وخرج البلنسيون لقتاله خارج البلدة فهزمهم فاستصرخ المظفر عبد الملك المأمون بن ذى النون فسار هذا الى بلنسية وخلع أميرها الشاب واستولى عليها وجعل وكيلاً عنه فيها الوزير أبا بكر بن عبد العزيز وذلك سنة ٤٥٧ وبقيت هذه الحال الى سنة ٤٦٧ اذ مات المأمون بن ذى النون وخلفه ابنه يحيى القادر الذى اشتهر بسوء تدبيره فنقضت بلنسية بيعة القادر هذا ولأجل أن يقدر عليها وهو عاجز عنها لجأ الى الفونش السادس ملك قشتالة واستمده لأخذ بلنسية فانتهى الأمر بأن نزل له عن عاصمته طليطلة سنة ٤٧٨ وفق ١٠٨٥ وأما بقية الحوادث والدور الذى لعبه السيد لذريق دياز آل بيفار سواء ما كان منه حقيقة أو خرافة فقد استوفيناه عند ذكر السيد فى حرف السين من المعلمة الاسلامية .

ولما جاء المرابطون حاولوا استرداد بلنسية للاسلام الا أنهم لم يقدروا على السيد فلما مات سنة ٤٩٢ هـ وفق ١٠٩٩م عجزت أرملته شيمان عن حفظها فأحرقت بلنسية وخرجت منها فاستولى عليها المرابطون فى ١٥ رجب سنة ٤٩٥ وبقى المرابطون يولون عليها أمراء من قبلهم الى أواسط القرن الثانى عشر واذ ذاك استقلت بلنسية واتحدت مع مرسية ، وأطاعت لابن مردنيش سنة ٥٤٢ ولم يطل الأمر أكثر من أربع

أسباب الصداقة مع تأتى الأحوال الموجبة للفرقة غيرهما اهـ. قلت وحسبك هذه الشهادة من رجل مثل ابن حزم

سنوات حتى انتقضت عليه ثم استولى عليها الموحدون فكانت سيادتهم عليها اسمية وبقيت كذلك الى أن استولى عليها النصارى فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٢٢٨ وذلك بعد استيلائهم على قرطبة بسنتين (١) . انتهى ما قاله لاوى بروفنسال بشأن بلنسية فى الانسيكلوبيدية الاسلامية ، وأما ماذكره عن السيد فى الانسيكلوبيديه فيتلخص فيما يلى:

السيد هو أشهر أبطال الفروسية القشتالية وأحبهم الى الشعب الاسبانى وكان له دور عظيم فى اسبانية الاسلامية أثناء النصف الثانى من القرن الحادى عشر ومن الممكن تمحيص الحقيقة فى أمر هذا الرجل وإخراج ماوشيت به سيرته من الأقاصيص، فالمستشرق الهولاندى دوزى هو الذى يرجع اليه الفضل فى تبيين حقيقة السيد بما نقله سنة ١٨٤٤ عن الذخيرة لابن بسّام التى اطلع على نسخة منها كانت محفوظة فى مكتبة « غوتا » Gotha وظهر أن كتاب الفونس العالم عن حياة السيد الذى كان يظن أنه محض اختراع هو مترجم من العربية، والغالب أنه ترجمة كتاب لمحمد بن خلف بن علقمة اسمه « البيان الوضيع فى الملم الفظيع » كتب فى زمن السيد . وهكذا تيسر وضع سيرة السيد على أركان صحيحة وتجريدها من الأقاصيص الملحقة بها . فلذريق Rodrigo دياز Diaz آل بيڤار De Vivar كان من سلالة عائلة نبيلة قشتالية ولد فى برغش قيل سنة ١٠٢٦ وقيل سنة ١٠٤٠ والمعلوم عنه أنه اشتهر بالبسالة وحارب فى صف شانجه الثانى ملك قشتالة لما قاتل شانجه ملك نباره Navarre وبارزه أحد فرسان نباره فتغلب عليه ثم صار قائداً عاماً لجيش قشتالة فلذلك تلقب بالكمبيدور Campeador وصار العرب يقولون له « الكمبيثور » (وفى نفح الطيب القنبيذور) ثم انه بعد ذلك نصح لذريق هذا شانجه الثانى بالاستيلاء على مملكة ليون فاستولى عليها وأسر أخاه الفونش وحبسه ففر الفونش هذا لاجئاً الى المأمون بن ذى النون

(١) أما رواية نفح الطيب فهى أن العدو دخل بلنسية صلحاً يوم الثلثاء سابع عشر صفر من سنة ست وثلاثين وستمائة وان العدو استولى على قرطبة يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال سنة ستمائة وست وثلاثين أى ان بلنسية سقطت قبل قرطبة

صاحب طليطلة ثم انه فى ١٧ اكتوبر سنة ١٠٧٢ قتل شانجه ملك قشتالة فى أثناء حصاره لزمورة فاجتمع فرسان قشتالة لينتخبوا ملكاً مكانه وكانوا راغبين عن أخيه الفونش اللاجئ الى المسلمين ولكن لم يجدوا بداً من مبايعته على شرط أن يقسم لهم يميناً بأنه لم يكن ذا يد فى مقتل أخيه وكان متولّى تحليف اليمين لذريق دياز وذلك فى كنيسة سانتا قاديه Gadia فى برغش فكان الفونش السادس يحفظ فى صدره وغراً على لذريق من أجل هذه اليمين المهينة له إلا أنه كان يخشاه ويريد أن يخصه بنفسه فأزوجه شيمان ابنة عمه كونت اويبط Obida ثم انه بعد ذلك أرسل الفونش السادس لذريق سفيراً الى المعتمد بن عباد فى اشبيليه يستأدى منه الإتاوة التى كانت مفروضة عليه لقشتالة فى مقابلة محالفة اسمية وفى أثناء وجوده هناك اقتتل بنو عباد أصحاب اشبيلية وبنو زيرى أصحاب غرناطة التى كان أميرها عبد الله بن باديس فوقعت الواقعة فى مدينة قبرة Cabra وخاض لذريق البيقارى فيها وأسر جملة من فرسان المسيحيين الذين كانوا فى صف ابن زيرى ومنهم الكونت غرسيه اوردونه من العائلة الملوكية الذى أطلق لذريق سبيله ، فلما رجع من مهمته لدى المعتمد بن عباد اتهمه الفونش السادس بأنه غلّ فى بعض ما حمله من الهدايا باسم الفونش وانتهز أول فرصة للانتقام منه وهى أنه غزا بلاد طليطلة بدون اذنه فاخرجه الملك من مملكته ومن ذلك الوقت بدأت معيشة لذريق المترددة تارة يقاتل المسلمين وطوراً يقاتل بنى ملته بحسب ما يعنّ له. وكان قد أحب الاتصال بقمط برشلونة فلم يكن له حظ بقربه فلوى عنانه نحو أحمد بن سليمان بن هود الملقب بالمقتدر صاحب سرقسطة فضمّه هذا الى جيشه مع أصحابه من المرتزقة ثم مات المقتدر فخلفه ابنه يوسف المؤتمن أميراً على سرقسطة بينما أخوه المنذر يتولّى دانية وطرطوشة ولاردة فلم تلبث الحرب أن وقعت بين الاخوين فكان لذريق بيقار خادماً للمؤتمن وكان المنذر معتمداً على شانجه راميره ملك اراغون ورامون بيرانجه الثانى قمط برجلونة . والتقى الجمعان بقرب حصن النار الى الشمال الغربى من لاردة فانهزمت الفئة الأخرى بفضل شجاعة لذريق وأخذ قمط برشلونة أسيراً فعفّ عنه وأطلقه ودخل سرقسطة فى فرح عظيم وأنعم عليه ابن هود وغمره بالصلات والهدايا

وصارت له المكانة العليا وجعل المسلمون يلقبونه « بسيدى » وكان يترجمها الأسبانيول بجملة Mio Cid ثم بطول الاستعمال استغنوا عن لفظة « ميو » فبقيت « سيد » وحدها فصار هذا لقبه . ثم انه تطفّر فى وقعة ثانية تحت لواء المؤتمن بن هود . ومات المؤتمن فخلفه ابنه المستعين الثانى والسيد فى خدمته ومن ذلك الوقت فكر السيد فى الاستيلاء على بلنسية التى كان يليها عبد العزيز العامرى من أحفاد المنصور بن أبى عامر وكانت انضمت الى طليطلة سنة ١٠٦٥ ولما تولى ملك طليطلة القادر بن ذى النون بعد وفاة أبيه المأمون أرسل والياً على بلنسية أبا بكر بن عبد العزيز الذى انتقض على ابن ذى النون وتحالف مع الفونش السادس غير أن الفونش خذله فى سنة ١٠٨٥ وباع بلنسية من القادر بن ذى النون وأرسله الى بلنسية وأرسل معه جيشاً قشتالياً بقيادة القارفانز[1] Alvar Fanez وهكذا تم دخول القادر الى بلنسية . إلا أن أهالى هذه البلدة ثاروا على القادر فلما أجاز يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين الى اسبانية وهزم المسيحيين فى معركة الزلاقة (٢٣ أكتوبر سنة ١٠٨٦) استدعى الفونش قائده السالف الذكر من بلنسية واستغاث القادر بن ذى النون بالفونش وبالمستعين صاحب سرقسطة لأجل رد المنذر صاحب طرطوشة الذى كان يوالى الغارات على بلاده فكان المستعين صاحب سرقسطة يطمح الى ملك بلنسية ويفكر فى فتحها بواسطة السيد لذريق بن بيفار الذى وعده المستعين بالتخلى له عن جميع غنائم الفتح . إلا أن هذا الاقتراح لم يرق السيد محافظة على ولاء الفونش وفى سنة ١٠٨٩ ذهب السيد الى قشتالة واستقبل باحتفال عظيم وأكرم الفونش مثواه . ثم خرج السيد الى شرق الأندلس ومعه سبعة آلاف مقاتل فكان المستعين بن هود قد انتهز فرصة غيابه وتحالف مع بيرانجه قمط برشلونة الذى ذهب يحاصر بلنسية فلما أقبل السيد نكص قمط برشلونة على أعقابه ففرض السيد على القادر صاحب بلنسية بأن يحمى له بلاده ببدل عشرة آلاف دينار كل شهر وفى هيعة ذلك أرسل الفونش الى السيد يستنفره لقتال يوسف بن تاشفين فلم يجب نداءه وسار سيرة رئيس عصابات غير متقيد بأمر

---

(١) العرب كانوا يقولون لهذا القائد القشتالى « البرهانس »

أحد وعاث فى جميع شرق الأندلس من أوريولة الى شاطبة وزحف نحو طرطوشة وأجبر صاحبها على طلب حمايته ثم هزم قمط برشلونة وعقد معه معاهدة واضطر صاحب برشلونة أن يسترضيه بمبالغ من المال كما أنه فرض إتاوات على جميع ملوك المسلمين الذين كانوا فى شرقى الأندلس مثل ابن رزين صاحب السهلة ومثل أمير البونت وأمير مربيطر وأمير اشكرب وأمير شارقة وأمير النارة[1] وكان الخلاف يزداد بين ملك قشتالة الفونش السادس والسيد الى أن أجمع الفونش إخراج السيد من بلنسية فزحف

---

(١) السهلة تقدم الكلام عليها فى الجزء الثانى وهى التى يقال لها شنتمرية ابن رزين أوشنتمرية الشرق . وأما البونت فهى مدينة من عمل بلنسية ذكرها ياقوت فى « معجم البلدان » فقال : بالضم والواو والنون ساكنان والتاء فوقها نقطتان وربما قالوا البُنْت وقد ذكر أنه ينسب اليها ابو طاهر اسماعيل بن عمران بن اسماعيل الفهرى البونتى قدم الاسكندرية حاجاً ذكره السلفى وكان أديباً أريباً قارئاً . وعبد الله بن فتوح بن موسى ابن أبى الفتح بن عبدالله الفهرى البونتى أبو محمد كان من أهل العلم والمعرفة وله كتاب فى الوثائق والأحكام توفى فى جمادى الآخرة سنة ٤٦٢ وقال تحت لفظة « البُنت » بدون واو بالضم ثم السكون وتاء مثناة بلد بالأندلس من ناحية بلنسية ينسب اليها أبو عبد الله محمد البُنْتى البلنسي الشاعر الأديب اهـ وأما مربيطر التى يقال لها اليوم « صاقنتُه » فقد مر ذكرها فى هذا الجزء . وأما « اشكرب » فهى التى يقول لها الاسبانيون Segorbe فالعرب قلبوا السين شيناً على عادتهم ووضعوا فى الأول ألفاً فراراً من الابتداء بالساكن وهى بلدة قال عنها ياقوت : بالكسر وراء ساكنة وباء موحدة مدينة فى شرقى الأندلس ينسب اليها أبو العباس يوسف بن محمد بن فارو الاشكربى ولد باشكرب ونشأ بجيان فانتسب اليها وسافر الى خراسان وأقام ببلخ الى أن مات سنة ٥٤٨ اهـ .

وقد فسر لاوى بروفنسالى Segorbe بشبرب وهو خطأ فان لفظة «سقورب» هى أقرب أن تكون « اشكرب» من أن تكون «شبرب» وشبرب أيضا هى بلدة من عمل بلنسية ذكرها فقال : بالضم وبعد الراء باء موحدة بلدة بالاندلس من عمل بلنسية ينسب اليها أبو طاهر بن سلفة أبا العباس احمد بن طالوت البلنسي الشبربى

بجيش لحصار المدينة وكان يعاونه من البحر أسطول جنوة وأسطول بيزة من إيطالية
وكان السيد حينئذ يحارب ملك أراغون المسيحي في صف ملك سرقسطة المسلم فلما
بلغه كون الفونش باشر حصار بلنسية ترك سرقسطة وذهب فشن الغارة على «ناجرة»
و «وكلاهرّة» من مقاطعة عدوه غرسيه أوردونه Garcia Ordonez ودمّر مدينة
« لوكروني » فاضطر الفونش الى رفع الحصار عن بلنسية . وكان السيد قد ترك في
بلنسية نائباً عنه لدى صاحبها القادر بن ذي النون رجلاً مسلماً يقال له ابن فرج ففي
سنة ١٠٩٢ ثار الأهالي باغراء القاضي ابن جحاف وقتلوا ابن الفرج وغلب على الأمر
القاضي ابن جحاف يؤيده نائب من قبل دولة المرابطين فانتظر السيد الى السنة التالية

أحد الطلاب وكان فاضلاً في الطب والأدب اه . وأما شارقه Jerica فقد ذكرها
أيضاً ياقوت فقال : بعد الراء المهملة قاف حصن بالأندلس من أعمال بلنسية في شرق
الأندلس ينسب اليها رجل من أهل القرآن يقال له الشارقي اسمه أبو محمد عبدالله بن موسى
روى عن أبي الوليد بن مغيث بن الصفا اه . وأما المنارة فهي اسم عدة بلاد من الأندلس
ذكر منها ياقوت المنارة التي بقرب شذونة والمنارة التي بقرب سرقسطة . والذي أعرفه
أن القرية التي على مقربة من سرقسطة اسمها المنار لا المنارة وهكذا جاء في تاج العروس .
فالمنارة هنا هي التي كانت تابعة لبلنسية . وقد قرأت في الجغرافية المصورة لاسبانية
والبرتغال تأليف « جوسه » P . Jousset أن السيد كان قد ضرب جزى عظيمة على
بعض المدن فكان يأخذ من طرطوشة ٥٠ ألف دينار في السنة وكان يأخذ من
القادر بن ذي النون عن بلنسية ١٢٠ ألف دينار . وكان يأخذ من ابن رزين صاحب
شنتمرية عشرة آلاف دينار . وكان له على البونت عشرة آلاف دينار أيضا وعلى كل
من مربيطر واشكرب ستة آلاف دينار ، وكان يكتفي من المنارة بثلاثة آلاف في السنة:
وأراد السيد أن يفرض على أمير لاردة أيضاً اتاوة تبلغ ألفي دينار في السنة فأبى هذا
ان يؤديها وبينما السيد يفكر في غزو لاردة إذ أشار عليه بعض أصحابه باسترضاء سيده
الملك الفونش وكانت الفرصة لائحة لأن الألفونش كان يجهز جيوشه لغزو المسلمين
فسار السيد الى مولاه وتلاقيا في مارتوس Mertos فنصب السيد خيمته في طرف المعسكر

وزخف بجيع عساكره قاصداً بلنسية فاستولى على أرباضها مثل « بلنوبة » Villanueva و « الكدية » Alqudyia ورضى بمفاوضة ابن جحاف الذى كان رئيس الجماعة فى بلنسية لكنه لم يرفع الحصار عن المدينة ومازال يضيق عليها حتى عضها الجوع بأنيابه فاضطر القاضى رئيس الجمهورية البلنسية الى تسليمها ودخلها السيد فى ١٥ يونيو سنة ١٠٩٤ ولكنه لم يأتِ الأهالى بأذى وكان يعاملهم بالرعاية وكانوا هم طائعين له إلاّ أنه أمر باحراق القاضى ابن جحاف حياً انتقاماً منه . وجاء جيش من المرابطين لاسترداد البلدة فخرج اليهم وهزمهم وبعد ذلك انحصر همه فى بسط سلطانه على النواحى المجاورة لبلنسية فاستولى على المنارة ومربيطر سنة ١٠٩٨ وكان قد دخل فى سن الشيخوخة وشعر بانتهاء همته وحول المسجد الأعظم الى كنيسة وأسس فى بلنسية أسقفية عيّن لها المطران جيروم برى غورد Péri gord ثم صالح سيده الفونش السادس ملك قشتالة وأزوج بنتيه

الى جهة السهل حتى اذا دلف العدو يكون هو صاحب الصدمة الأولى فلم يعجب ذلك الفونش وعدها تطاولاً من السيد، ولما فشلت تلك الغزاة اتهمه الفونش بالخيانة ففر السيد من وجهه فسار الألفونش الى بلنسية ليأخذها فسار السيد واجتاح ممالك الفونش واستولى على «لوكرونى» فاضطر الفونش أن يرفع الحصار عن بلنسية ويعود الى بلاده وكان المرابطون قد استولوا على غرناطة واشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان وزحفوا لأخذ بلنسية وكان للسيد معتمد فى بلنسية يسهر له على أميرها القادر بن ذى النون وكان هذا المعتمد هو ابن الفرج فحدث أن أصابته علة شغلته عن السياسة فأرسل القاضى ابن جحاف الى قائد المرابطين ابن عائشة يعرض عليه سراً تسليم البلد فشعر ابن الفرج بالمكيدة فأمر بالقبض على ابن جحاف إلا أن العامة حالت دون القبض عليه وألقيت الحبال من عن الأسوار الى المرابطين حتى يتسلقوا الأسوار بواسطتها ويدخلوا الى البلدة ففى هيعة ذلك وجد القادر بن ذى النون فرصة للفرار مرتدياً ثياب امرأة واختفى فى بعض الأرباض ونهبت العامة القصر فأمر ابن جحاف بالبحث عن القادر فى الربض فعثروا عليه وبعد أن أخذوا منه الجواهر التى كان خبأها تحت ثيابه احتزوا رأسه وأتوا به الى ابن جحاف وكان ذلك فى نوفمبر سنة ١٠٩٢ وبايع أهل بلنسية ابن جحاف

من أبناء الملوك فاحداهما مارية تزوجها رامون بيرانجه الثالث والثانية كراستينه تزوجها راميرو ولى عهدنباره . ثم فكر السيد فى فتح شاطبة التى كانت لاتزال بأيدى المرابطين فانهزم جيشه فى واقعة شاطبة واستشاط غضباً والتاع حزناً فمات سنة ١٠٩٩ وقامت مقامه زوجته شيمانة فهاجمها المرابطون مدة سنتين ثم تقدم القائد المزدلى اللمتونى لحصر بلنسية فى أواخر سنة ١١٠١ وضيق عليها واستمر الحصار سبعة أشهر فى اثنائها حاول الفونش السادس الدفاع عنها فلم يفز بطائل فنصح لشيمانة بترك بلنسية فخرجت منها ولكن بعد أن أحرقتها فلما دخلتها جيوش المرابطين وجدتها رماداً . ولما خرجت شيمانة من بلنسية احتملت جسد زوجهامعها ودفنته بقرب برعش فى دير « سان بدروه كردينيه» وماتت شيمانة فى سنة ١١٠٤ ودفنت عند زوجها . انتهى كلام لاوى بروفنسال عن السيد فى الانسيكلوبيدية الاسلامية

كرئيس لحكومتهم الجمهورية ولكنهم مقتوه فى الآخر لشده طمعه وسوء تدبيره فلما بلغ السيد قتل حليفه القادر زحف الى بلنسية وقبل الوصول اليها امتنعت عليه بلدة سيبوله Cebolla فكتب الى ابن جحاف يتقاضاه إرسال الحنطة التى كانت للسيد فى بلنسية وأمر السيد رجاله بأن يأخذوا طعام الجيش من أهالى القرى بدون أن يؤذوا الأهالى وكان ابن جحاف يتأهب للدفاع عن المدينة إلا أن الخلف وقع بينه وبين أبى ناصر قائد المرابطين فاراد السيد بمكره أن يستغلّ هذه المناظرة فكتب الى القاضى ابن جحاف يقول له إنه حاضر للاعتراف بحكومته اذا كان يمالئه على طرد المرابطين فأظهر ابن جحاف الارتياح الى ما عرضه السيد لكنه فى الوقت نفسه أرسل كتاباً الى السلطان يوسف بن تاشفين يلتمس منه إمداد بلنسية فعلم السيد بأن القاضى كان يلعب على الحبلين كما يقال، وكان استولى على سيبولّه فى يوليو سنة ١٩٣ فزحف منها صوب بلنسية واستولى على ربضين من أرباضها، ومن دهائه أمر عسكره بأن لا يمسوا أحداً من الأهالى بسوء ومن يفعل ذلك يقتل ثم أعلن للمسلمين بأنهم يكونون آمنين على أملاكهم ففت ذلك فى عضد القاضى ابن جحاف الذى اضطر الى الصلح على أن يبعث الى السيد الحنطة التى كانت له فى بلنسية ويدفع عشرة آلاف دينار كل شهر وهكذا رفع السيد الحصار عن بلنسية إلا أن قائد المرابطين كان يريد الأخذ بالثار باخراج البلنسيين

وقد كنا حررنا ترجمة السيد هذا فى خلاصة تاريخ الأندلس الذى ذيلنا به ترجمتنا لرواية ابن سراج فقلنا : أما مملكة قشتالة أجلّ ممالك النصرانية فى الأندلس فان رافع منارها فرديناند الأول الملقب بالكبير الذى انتزع كثيرا من أملاك المسلمين وكان معاصراً لابن عباد وقسم ممالكه بين أولاده الثلاثة فأعطى شانجه مملكة قشتالة والفونس أو اذفنش مملكة ليون وغارسيا الصغير مملكة غاليسيا أو جليقية إلاّ أن الفونس تمكن فى الآخر من ضم الجميع الى ملكه وصار خلفاً لأبيه وهو الذى استولى على طليطلة قلب اسبانيا وجعلها مقر سلطانه وفى أيامه ظهر السيد بطل الاسبانيين الذى تنسب الى ذريته عروس رواية شاتوبريان التى ذيلنا عليها هذا التاريخ المختصر ولما كان التناسب الذى هو شرط الحسن يقتضى الافادة عن آل بيفار أجداد دماء بمثل ما أفدنا عن آل سراج أجداد ابن حامد رأينا أن نلمع الى شىء من أخبار السيد حسبما ذكر المحققون

لعسكره منها فوقع القاضى ابن جحاف فى حيص بيص بين السيد والمرابطين واستعفى من رئاسة الجمهورية . فقام مقامه ابن طاهر وشاع إذ ذاك أن المرابطين قادمون بجيش فاشتدت بذلك عزائم المسلمين إلا أن المرابطين أخلفوا الظن وإذا بالنصارى هم الذين حصروا البلدة فبُدّل المسلمون بفرحهم غماً وشرع الجيش الاسبانيولى بالحصار وأقاموا سوقاً بالكدية من بادية بلنسية وكثرت المجاعة فى بلنسية عن أنيابها فخاف البلنسيون على أنفسهم وراجعوا ابن جحاف فى قبول رئاسة الجمهورية لعله بتدبيره يقنع السيد بالرجوع عن بلدتهم ، فأجاب القاضى سؤلهم وتقبّض على بنى طاهر حلفاء المرابطين وسلمهم الى السيد ثم ذهب وقابل السيد وطلب اليه الصلح فأظهر له السيد مزيد الاحتفاء ولكنه اشترط عليه بأن تكون جميع جبايات بلنسية وأرباحها عائدة اليه وتكون تحت نظر مشارف من قبله فشق هذا الشرط على ابن جحاف ولكنه أبدى الرضى به . ولما كان السيد يعلم تلون ابن جحاف طلب اليه أن يجعل عنده ابنه رهينة لديه فانصرف ابن جحاف ولم يعاود . فاستمر السيد يحاصر بلنسية الى أن بلغت المجاعة الحد الذى لا يتصوره العقل فأكلوا الحيوانات والفيران والأعشاب والجلود وقيل انهم أكلوا لحوماً بشرية وكان ابن جحاف خوفا على نفسه مصمما على الدفاع فأخذ يُضَيِّقُ على البلنسيين ويبحث فى

فنقول : هو السيد لذريق بن دياغو بن لاين نوناز بن لاين كالفو من كبار قضاة قشتالة تزوج السيد بشيانة وولد دياغو لذريق الذى مات فى حياة والده وابنتين احداهما تزوجت بابن ملك نافار والأخرى بابن ملك أراغون

وشيانة هذه هى ابنة الكونت لوزانو دوغورماز من فحول قواد الملك فرديناند : وسبب اقتران السيد بها أن والدها كان قد صفع دياغو والد السيد وهو بالغ من الكبر عتياً فلم يمكنه أخذ ثاره بيده لكن ولده لذريق أخذ السيف ودعا غورماز الى البراز فقتله ولما لم يكن فى قتل البراز جناح جاءت ابنته شيانة تشكو الى الملك فرديناند كون لذريق يأتى كل يوم وبازه على يده فيطلقه فى بيت حمامها فيفتك بالحمام ويذيق فراخها كؤوس الحمام وقد بعثت تقول له فى ذلك فجاوبها بالوعد قائلاً ان الملك الذى يسمح بقهر اليتيم ولا يقتص ممن اعتدى عليه لا يليق أن يسمى ملكا .

زوايا بيوتهم عن القوت ويقال انه كان فى ذلك الوقت يعيش عيشة المترفين فثار عليه بعض الأشداء وائتمروا به فقبض عليهم وقتلهم، وبلغ الخبر السيد فهاجم البلدة فارتد على عقبه وكاد يؤخذ أسيراً فرجع عنها تاركا أخذها لطول الحصار فلما ازدادت اللأواء فى البلدة جاء الناس إلى القاضى ابن جحاف وقالوا له انه لا مناص من تسليم المدينة فلم يجدبداً من القبول فتوجه أحدالفقهاء إلى السيد وصارت المقاولة على أن يرسل البلنسيون رسلا الى ملك سرقسطة ابن هود والى ابن عائشة قائد المرابطين فى مرسية يلتمسون منهما النجدة فاذا لم تردهم نجدة فى مدة خمسة عشر يوماً يسلمون المدينة وبعد تسليمها يكون القاضى ابن جحاف هوصاحب الاحكام مثل ذى قبل ولا يتغير شىء من الأحكام ولا يقيم السيد بنفسه فى البلدة وتكون الحامية النصارى الذين يتولون حراسة البلدةمن النصارى المستعربين الذين يألفهم المسلمون. فوافق السيد على جميع هذه الشروط إلاّ أنه اشترط ان الرسل الذاهبين الى سرقسطة ومرسية لا يحمل الواحد منهم أكثر من خمسين ديناراً فلما خرج الرسل من المدينة فتش جماعة السيد فى ثيابهم فوجدوا معهم كثيراً من الذهب والفضة والجواهر فأخذوها كلها ما عدا الخمسين ديناراً التى

فتحير فرديناند فى أمره لأن لذريق كان أقوى عضد له فى مواقفه مع المسلمين والاسبانيون يزعمون أن السيد أسر خمسة من ملوك الاسلام وبعد أن قادهم بخزائنهم الاستكانة منّ عليهم باطلاق سبيلهم ودعوه سيدهم فلم يجد فرديناند مخرجاً من الأمر إلا بتزويج السيد بشيمانة

وأما نسبة السيد الى بيڤار فلولادته فى ذلك القصر وهى كما لا يخفى عادة الافرنج فى ألقاب الشرف . ومن شهير أفعال السيد أنه لما اصطلت الحرب بين قشتالة واراغون لعهد فرديناند وقع الاتفاق بين هذا الملك وبين أخيه على تحكيم السيف وابراز قرنين بالنيابة عنهما من أبطالها واعطاء الحق لمن منهما حقت له الغلبة فكان السيد نائباً عن ملك قشتالة وكان مارتين غوماز نائباً عن صاحب اراغون أخيه فعند اللقاء فتك السيد بخصمه وبرد الحق لفرديناند دون أخيه . وفى هاتيك الأيام كان هنرى الثانى امبراطوراً لألمانية فسمت نفسه الى ادخال اسبانية فى طاعته لكونها

تقررت لكل منهم . وكان البلنسيون فى هذه المهلة تمكنوا من استجلاب القوت إلا أن النجدات لم تصل فطلب السيد تسليم البلدة فطلب ابن جحاف مهلة أخرى فاستشاط السيد غضبا وأعلن انه ينقض شروط الصلح ويستبيح البلدة ففتح ابن جحاف الابواب ظهر يوم الخميس ١٥ يونيو سنة ١٠٩٤ فدخل السيد ظافراً وأمر جنوده بعدم الاعتداء على الأهالى وقابل المسلمين بمزيد الرعاية وكانوا يظهرون له الطاعة ويقبلون يده واستدعى أعيان المسلمين وقال لهم ان الله أعطاه بلنسية فلا يريد أن يقابل هذا العطاء بالاثم والعدوان حتى لا يخسر ما أفاءه الله عليه وان عليهم أن يعودوا إلى أشغالهم آمنين وأن من كانت له منهم ظلامة فما عليه إلا أن يرفع له قصته ، فقد عين يومين من الأسبوع الاثنين والخميس لسماع القصص وسيكون هو القاضى وهو الوزير وهو الأب الشفيق عليهم . قال لهم وانه ليس كامرائهم الذين كانوا يقضون أوقاتهم بالطرب والشرب فى داخل حريمهم . وأبلغهم أن جنوده ستبقى فى الأرباض مثل الكدية وغيرها وأنه هو نفسه سيقيم عند جسر القنطرة وأنه لن يرى أحد منهم سوءاً إلا الذين اعتدوا

من ولايات سلطنة الغرب ويقال ان البابا فيكتور الثانى مالأه على مقصده فلما أبلغ ذلك الامبراطور والبابا الى فرديناند مال الى الخضوع خوفاً منهما لكن السيد عارض فى الأمر وجمع عسكراً وزحف به الى طلوزة قاصداً لقاء العدو فلما علم البابا به خاف العواقب وصرف امبراطور المانيا عن دعواه

ولما مات فرديناند لم يكن لشانجه ولده ساعد أشد من السيد وهو الذى نصره فى وقعة « غولبيجاره » وكان بجانبه عند ما قتل فى زامورة . وفى مدة الفونس أخيه انصرف السيد الى مرابطة المغاربة ووالى عليهم الهزائم حتى لقب بالكمبيادور ومعناه بلغتهم قائد المعسكر . الاَّ أن ما حازه من الشهرة أثار عليه حسد الأقران وضغائن الأنظار فانقبض بنفسه عن الحضرة وسكن البادية وبلغه أثناء ذلك أن مسلمى سرقسطة والثغر الأعلى اجتاحوا أراضى قشتالة وأثخنوا فى الاسبانيول فنهد اليهم وساق منهم سبعة آلاف أسير واكتسح بسائط طليطلة وكانت فى يد المأمون صاحبها فشكا الى

على الناس وبلَّصوهم من أموالهم . وكان ابن جحاف عرض على السيد هدية من الأموال التى عنده فأبى قبولها منه فعلم أنه مأخوذ لا محالة فلما خاطب السيد أعيان المسلمين بهذا الكلام قال لهم انه لا يريد منهم إلاَّ تسليم ابن جحاف اليه فذهبوا وقبضوا على ابن جحاف وسلموه اليه . فأرسله السيد أولاً إلى «سيبوله» ثم ردَّه إلى بلنسية وأمره بأن يقيد له فى جدول جميع ما عنده من الحلى والمتاع والنفائس بدون أن يكتم شيئاً وأنه إن كتم شيئاً فيكون اعترف بأن للسيد الحق فى قتله . فأقسم القاضى بأنه لن يخفى شيئاً فجاء عبد وقرر أنه دفن فى بعض زوايا بيته نفائس لم يذكرها فى الورقة التى قيد بها أمواله فوجدوا عنده مقداراً من الذهب والحجارة الكريمة فمنذ ذلك أجمع السيد قتله انتقاماً من هذا الغادر الذى قتل القادر بن ذى النون غيلة ولعب بين المرابطين من جهة والنصارى من جهة أخرى يخون كلاً من الفريقين بينما يستعديه على الآخر ، وهو الذى سلب ماسلب من أموال أهل بلنسية وكنزها لنفسه وأقسم بأنه يخبر عنها وحنث بيمينه وظهر أن عنده أموالاً مطمورة تحت الأرض فهذا ما أوجب عند السيد قتل ابن جحاف

الاذفونش خرق الصلح بدون موجب فاستشار الملك خاصته وأجمعوا على نفى السيد وضربوا له أمداً تسعة أيام لأجل الخروج فأطاع ولكنه لم يكن يملك من المال ما يكفى لبرة الثلاثمائة فارس التى هى فى صحبته فأعمل فى الحيلة وأرسل صندوقين مفعمين رملاً الى بعض اليهود مؤكداً أنهما مملوآن حلياً وأخذ عليهما مبلغاً من الذهب ثم وفى دينه بعد ذلك بما حازه من الغنائم أثناء غزواته فى بلاد الاسلام وبقى مدة بعيداً عن الحضرة الى أن رضى عنه الملك وأعاده وأذن له فى الغزو وحده فابتنى لنفسه قصراً بقرب اراغون لم يزل معروفا باسم صخرة السيد الى الآن وجعلها لنفسه وكراً يأوى اليه وينطلق منه للغزو. وكان أكثر ما يغزو مملكة ابن عباد لكونه هو الذى دعا يوسف ابن تاشفين إلى الاندلس على أنه لما أراد ابن تاشفين استخلاص ملك اشبيلية من يد ابن عباد واستنجد الطاغية أرسل اليه عشرين ألفاً قيل انه عقد عليهم للسيد لكن لم

ثم شعر السيد بأن أهل بلنسية يتأهبون للانتقاض عليه فاستدعاهم وأخبرهم بانه هو الآن مالك ناصية المدينة وأنه يقدر أن يفعل بها مايشاء فمن شاء منهم الاقامة فى داخلها فله الحق فى حفظ منزله وأن يكون له خادم وبغلة ولكن على شرط أن يكون أعزل وأما الذين لايقبلون هذه الشروط فما عليهم إلا أن يخرجوا ويسكنوا فى الكدية وفى غيرها من الأرباض ولا يتعرض لهم أحد بسوء بل تبقى لهم أملاكهم ومساجدهم وقضاتهم ويكون الحكم وضرب السكة للسيد . فخرج كثيرون من أهل بلنسية من بلدتهم وعند ذلك أمر السيد فألقى بابن جحاف فى النار . وقيل انه حفرت له حفرة ألقى فيها وجعلوا النار من حوله فكان يأخذ الحطب المشتعل بيده لتعجيل موته واختصار عذابه فكان العقاب شديداً ورجع الناس فعدّوه شهيداً ولكن لم يكن من هؤلاء أولئك الذين جار عليهم ابن جحاف وقتل ذويهم

ثم ان السيد جعل مدينة بلنسية تحت حماية ملك قشتالة سيده . وقيل انه كان ينوى فتح جنوبى اسبانية إلا أنه لم يكن لذلك العهد قبل للسيد بالاستقرار فى بلاد مأهولة كلها بالمسلمين . وكان المرابطون قد انتشروا فى جنوبى الأندلس وقد جعلوا بلنسية نصب أعينهم فخاف السيد عليها وتعاهد مع « بتره » ملك أراغون وذهب يحشد

ينالوا له وطراً اذ كان فى المرابطين سادات بدل السيد . ثم زحف السيد بعسا كره نحو بلنسية وضيّق عليها الحصار وكان فيها القاضى أحمد بن جعفر المعافرى بحسب رواية بعض مؤرخى الافرنج ومنهم لاقاله . والذى فى كتب العرب أن الذى كان فيها هو القاضى أبو أحمد بن جحاف واتفقت روايات العرب والافرنج أن لذريق دخلها صلحاً وعاهد القاضى لكنه لم ينشب أن أحرقه بالنار بعد الاستيلاء قيل لكون السيد طلب اليه أن يدله على ذخيرة كانت للقادر بن ذى النون فأقسم أنها ليست عنده فأحرقه وعاث فى بلنسية . وفى ذلك يقول ابن خفاجة الشاعر المشهور :

عاثت بساحتكِ الظبا يادارُ ... ومحا محاسنك البلا والنارُ

فاذا تردد فى جنابك ناظر ... طال اعتبارٌ فيك واستعبار

أرض تقاذفت الخطوب بأهلها ... وتمخضت بخرابها الأقدار

كتبت يد الحدثان فى عرصاتها ... لا أنتِ أنتِ ولاالديار ديار

جيوشه ويجمع ذخيرته فى « بينا كاتيل » Benacatel التى أراد جعلها مقراً عاماً له ووافاه ملك أراغون وزحف الجميع الى شاطبة وكان فيها محمد بن عائشه قائد المرابطين فاستدرجهم إلى مكان اختاره هو للقتال فنشبت المعركة بقرب «غاندية» Gandia فى مكان يقال له «بيرن» Beiren وقع فيه جيش النصارى بين جيش المرابطين والأسطول الاسلامى من جهة البحر وكادت تكون هزيمتهم تامة لولا ثبات السيد وحسن تدبيره. ثم ذهب السيد فحاصر مربيطر فلما اشتد الأمر بأهلها طلبوا من السيد مهلة ثلاثين يوماً حتى اذا لم تأتهم فى أثنائها نجدة سلموا اليه مدينتهم فانقضت المهلة ولم تأتهم نجدة فاستمهلوا اثنى عشر يوماً أخرى فأمهلهم قائلا لهم انهم فى نهاية هذا الأجل ان لم يفتحوا له أبواب المدينة يقتلهم جميعاً أو يحرقهم بالنار . فلما مضت هذه المدة أيضاً طلبوا مهلة ثالثة فأمهلهم إلى عيد للقديس يوحنا وأذن لهم فى الخروج من البلدة بعائلاتهم وأموالهم فخرج منهم طائفة ودخل السيد فى ٢٤ يونيو سنة ١٠٩٨ وأمر ببناء كنيسة على اسم القديس يوحنا . وما مضى إلا قليل حتى ضرب السيد مغارم على الذين لم يخرجوا من مربيطر فعجزوا عن أدائها فباعهم السيد ارقاء فى سوق بلنسية . وفى سنة ١٠٩٩

وورد فى نفح الطيب ما نصه بالحرف « وكان استيلاء القنبطور » (تحريف القمبدور أو الكمبدور لقب السيد) سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل فى التى قبلها وبه جزم ابن الأبار قائلاً فتم حصار القنبطور اياها عشرين شهراً وذكر أنه دخلها صلحاً . وقال غيره انه دخلها وحرقها وعاث فيها وممن أحرق فيها الأديب أبو جعفر بن البناء الشاعر المشهور رحمه الله تعالى وعفا عنه فوجه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الأمير أبا محمد مزدلى ففتحها الله على يديه سنة خمس وتسعين وأربعمائة وتوالى عليها أمراء الملثمين » انتهى

وفى حرق قاضى بلنسية قد أتى « لافاله » بجميع أصناف المعاذير تغطية لعمل القنبطور واتهم القاضى بالخيانة . وأنكر أن يكون السيد فعل ذلك بسبب الذخيرة بل لمكيدة لا بد أن يكون اطلع عليها ورمى مؤرخى العرب بتشنيع سيرة السيد تعصبا منهم وكراهية لاسمه لما كان عليه من الغيرة على النصرانية

فى شهر يوليو مات السيد وكانت هــــذه هى الســنة التى استولى فيها الصليبيون على بيت المقدس . فلما علم المرابطون بموت السيد أقبلوا بجيش عظيم فكانت شيمانة أرملة السيد تدافع عن بلنسية أشد الدفاع وبقيت حافظة بلنسية مدة سنتين بعد موت زوجها إلا أنه فى أكتوبر سـنة ١١٠١ زحف المزدلى قائد المرابطين بجحفل جرار فأرسلت شيمانه بالصريخ إلى ملك قشتالة فوافى بجيشه فرأى حفظ بلنسية وهى يومئذ فى عقر دار الاسلام متعذراً فأشار باخلائها . ولم يكن غير السيد من يقدر أن يستولى على مركز إسلامى كهذا فى ذلك الوقت ، فقد سبق السيد التاريخ وأوغل فى بلاد الاسلام التى بقيت تحتضر أربعة قرون بعد ذلك حتى خلت من أمة محمد . هذا ولما خرجت شيمانة من بلنسية وذلك فى ٥ مايو سنة ١١٠٢ ودخلها المزدلى بالمرابطين خرج منهـا جميع عسكر السيد والنصارى الذين كانوا توطنوا فيها ولم يحاول المرابطون أن يتعرضوا بسوء لجيش شيمانة راضين منهـم بالجلاء عن البلد فمشت المقدمة بقيادة بيرُه برموده Pero Bermudez يحمل راية السيد ومعه أربعمائة فارس وتلاهم أربعمائة فارس آخرون يحمون الدواب والأثقال ، ثم جاء حصان السيد المسمى بابيكا Babéca وعليه جثة السيد

وذهب غير واحد من المؤرخين الأوربيين الى غير ذلك ومنهم ستانلى لانبول الانكليزى وزعموا أن مسئلة فضائل السيد من وضع قصّاصى الاسبانيول، وهاك بعض ما يقوله المؤرخ المذكور مما يرتبط بهذا المقام وهو :

« ان من الغلط البين والخطأ المتعين أن يظن أن مقاتلة قشتالة وليون كانوا على ما يرام تخييله من الشهامة والشرف وآداب الفروسية وأن يتصور أنهم على شئ من دماثة الأخلاق والتهذيب . والصحيح أن مسيحي الجهة الشمالية كانوا على نقيض ما كان عليه أقرانهم المغاربة فان العرب الأجلاف لأول نزولهم باسبانية قد تهذبوا

وقد وضعوا ترسه فى عنقه والسيف فى يده . وكان له سيفان أحدهما يسمى « تيزونه » Tisona والثانى « كولاده » Colada وكان السيد محنطاً تحنيطاً جيداً وكانت لحيته مرتبة كما لو كان حياً . وسار المطران جيروم من جهة و « ميلدياز » من جهة أخرى يخفران جثة السيد ومعهما مائة فارس . ثم فى الساقة الأميرة شيمانة وسيدات القصر ومعهن ستمائة فارس وسارت هذه القافلة بتؤدة حتى بلغت قشتالة فلم يسارعوا بدفنه بل عندما وصلوا الى « سان بدرُه كاردينه » وضعوه على كرسى من العاج على يمين المذبح وأسندوا رأسه على مخدة من المخمل وفى يده اليسرى سيفه « تيزونه »

ولم يطل حكم المرابطين فى بلنسية لأن الموحدين كانوا خلفوهم إلا أنه كان قد ثار بالموحدين حزب أندلسى يمثله أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن احمد بن مردنيش فغلب على بلنسية ومرسية وماجاورهما ،وهذا الرجل يرجح أنه من أصل اسبانيولى مسيحى واسم مردنيش محرّف عن مرتينش Martinez أى ابن مارتين ويقال ان والد جده هو الذى اسلم وكان ينزع به عرق الاسبانولية لأنه كان يتشبه بملوك النصارى فى لباسه وسلاحه وكان أكثر جنده من مرتزقة قشتالة ونبارة وكتلونيه ولذلك كان أعداؤه من المسلمين ينبزونه بكونه مرتداً وكان على صلة دائمة بملوك النصارى يهاديهم بالتحف والألطاف وربما بعث اليهم بالجمال الى حد انكلترة، وكانت له قوة جسم عجيبة وبسالة نادرة ضُربت بهما الأمثال وكذلك كان رفيقه ابن هيموشُه (ابن همشك الذى

وتمدنوا بالأندلس فيما بعد وباستعدادهم الفطرى مالوا الى التأنق والرفاهية والتحقق بالحضارة العالية وعكفوا على طلب العلم وقرض الشعر وحفظ الأدب فكانت أذواقهم فى أسمى مكانات السلامة واحساساتهم فى أقصى مظان الرقة كما هو شأن من تحقق بالمدنية وذاق حسن المعيشة وغلب عليهم التأمل والشعر فكانوا يؤدون من الجوائز على منظومة واحدة ما يكفى لميرة كتيبة كاملة ولم يكن الأمير الظالم منهم والملك الغاشم السفاح يأنف من الآداب والمعارف فالفصاحة والموسيقى وسائر فروع العلم والأدب من الأمور الطبيعية عند هذه الأمة وقد أوتوا ملكة الانتقاد والتمييز ولطف الذوق فى نقد أجزاء الكلام وتفاصيل القول مما نعرفه فى زماننا لأمة الفرنسيس

تقدم ذكره فى الجزء الثانى) إلاّ أن ابن مردنيش وابن هيموشه انهزما فى غرناطة حيث تغلّب عليهما الموحدون وصارت كلمة الأندلس شاملة لجميع جنوبى اسبانية

وفى ٢٨ سبتمبر سنه ١٢٣٨ استرجع الدون جايم ملك أراغون بلنسية ولما جاءها كان جيشه خفيفاً إلاّ أن نجدات المسيحيين توافت اليه من جبال أراغون وما خلفها وأقبل مطران أربونة Narbonne ومعه نخبة من الشجعان فقد كانت هذه الغزاة غزاة صليبية وكان فى بلنسية الأمير ابن زيّان فاستصرخ صاحب تونس فأرسل أسطولا مؤلفاً من ثمانى عشرة سفينة إلا أنهم لم يقدروا أن ينزلوا الى البر لأن الدون جايم كان واقفاً بجيشه سداً بين الأسطول الاسلامى وبلنسية . ثم خرج أسطول الكتلان فاضطر أسطول تونس الى التقهقر ولم يعاود . ودام الحصار أربعة أشهر الى أن رضى البلنسيون بتسليم بلدهم على أن يخرجوا منها سالمين بأموالهم وكانت هذه النوبة هى النوبة النهائية التى خرج بها المسلمون من بلنسية غير راجعين وكان دخول الاسبانيول الى بلنسية فى عيد سان ميكائيل. وبرج « ميكاليت » Miquelete فى بلنسية تذكار لذلك . وكان جايم فاتح بلنسية قد فتح ميورقة سنة ١٢٣٢ ثم فتح مينورقة سنة ١٢٤٢ وكان من أقوى ملوك عصره انتهى ملخصاً كلام جوسه Jousset ولكن صاحب هذا الكتاب الذى نقلنا عنه وقائع السيد هذه يلتمس له جميع الأعذار لتخفيف شناعة موبقاته ونحن تركنا رواياته على حالها حتى نقارنها بغيرها مما يخالفها ويبقى الحكم للقارىء

وأما نصارى الشمال فعلى خلاف ذلك كله فانهم وان كانوا سلائل أمة قديمة فحالتهم كانت حالة أمة حادثة أجلاف جفاة أجانب عن العلم منقطعى السبب فى العرفان. نعم كان عند بعض أمرائهم مسكة من التربية لـكنهم فى هذا الأمر مساكين فى جانب أمراء العرب. وانما كان المسيحيون هناك أنجاد حرب وأحلاس نزال يحبون الهيجاء مثل أقرانهم المسلمين لـكنهم أقوم منهم عليها وأصبر على تحمل مشاقها. ولم يكن عندهم ماتصوره لنا هذه الخيالات الشعرية من أخلاق الفروسية بل كانوا ضرابى سيف. انتهى

وقد يحملهم فقرهم على المحاربة بالأجرة وتقديم من يزيد لهم على غيره فى الخدمة. وقد رأينا كيف ان الوزير المنصور استخدم جماً منهم فى حرب ليون وفتح صانتياغو وتاريخ شمالى اسبانية مملوء بشواهد ذلك من استخدام أمراء المسلمين لفرسان النصارى فى الجيش.

ومما يؤيد قول هذا المؤرخ الانـكليزى ماورد فى تاريخ المنصور بن أبى عامر من أنه فى انـكفائه عن باب شنت ياقب بتلك الغزوة التى لم يبلغ مثلها أحد وقع فى عمل القواميس المعاهدين الذين فى عسكره فأمر بالـكف عنها ومرّ مجتازاً حتى خرج على حصن بيليقية من افتتاحه فاجاز هنالك القوامس بجملتهم على أقدارهم. انتهى. ويظهر أنهم لم يقتصروا فى الخدمة على ملوك الأندلس بل ربما أجازوا إلى المغرب أجناداً عند ملوكه. وابن خلدون يروى أنه كان يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان قد استخدم طائفة منهم مستكثراً بمكانهم مباهياً بهم فى المواقف والمشاهد

ولنعد إلى كلام ستانلى لانبول قال. « ولـكن لم يوجد من هؤلاء من بلغ شهرة السيد بطل اسبانية واسمه لذريق دياز البيڤارى ولقب بالسيد لـكون ذلك هو اللقب الذى كان يدعوه به المغاربة وهو مخفّف عن سيّد بالتشديد[1] إلى ان قال: وهو محارب شهير كان يتقدم الصفوف مثل جلياد أمام جيوش بنى اسرائيل ولم يعرف أحد طارَ له من الشهرة فى الغزو أكثر من « سيدى القمبدور » كما كانوا يدعونه كما انه ليس

(١) بل هو على أصله فالسيد بكسر السين وسكون الياء الذئب والتشبيه به عند العرب ذم لأنه مفترس غادر حقير بخلاف التشبيه بالأسد فانه مدح

من السهل أن يقرر الانسان الحقيقة ويمحص الواقع مما يحاط به اسم السيد من الوقائع لأن مؤرخي النصارى يقولون انه يستحيل الاحاطة بوصفه وأن الأناشيد الأسبانيولية تتوج السيد بالفضائل والكمالات وتنسى أن تلك الفضائل كانت مجهولة أو غير معتبرة عند نفس السيد ومعاصريه، وكتاب العرب الذين هم غالباً أحسن انصافاً للحقوق تجدهم قد شددوا الحكم على ذلك النصراني الذي أذاق مسلمي بلنسية ما أذاقهم من الوبال » قلت وأي تشديد فانك ترى كيف جاء اسم القنبطور مُردَفاً باللعنة في نفح الطيب وبأي شعر نظم ابن خفاجة نثر عمران تلك البلدة

قال ستانلي لانبول : « ونحن في عصر انتقاد مضطرون إلى طرح المفرح من أقاصيص مؤرخينا التي تليق بالاحداث والسيد لم يستثن من الانتقاد بل ان أحد المستشرقين الراسخين ألف عنه كتاباً مستقلاً قرر فيه أن السيد لم يكن ذلك البطل الذي ظن انه كان، بل رجلاً غداراً سـ اكاً نهاباً فتاكاً نا كث العهد ناقض الذمام . كذلك الأستاذ دوزي (مؤرخ اسبانية الجليل) ذهب إلى أن قصة السيد هذه اختراعية وكتب عن السيد الحقيقي نقيض ماورد في تلك الأقاصيص إلى أن قال :وغير صحيح أنه كان حامي الدين فانه قاتل في مصاف المسلمين كما قاتل في مصاف النصارى، وذكر أنه استولى على بلنسية بسبب التحريك والفرقة باعانة ملك سرقسطة ودخلها صلحاً .وهذا طبق ماذكره مؤرخو العرب من أن الذي أنهضه هو يوسف بن أحمد بن هود صاحب سرقسطة

وأما « لاڤاله » فيقول في شأنه : انه هو بطل الاسبانيول المقدم حبيب الشعب الذي يحلونه بجميع فضائل الابطال ويتغنون بوقائعه في الأشعار والأزجال ، فاذا شاء المؤرخ معرفة الحقيقة من الوهم أشكل عليه الأمر بما يعرض له من الاختلاط فقد يقع أن المؤرخ لأجل الخروج من حيرته ينتهي الى انكار وجود المؤرخ عنه أصلاً كما أنكر «ماسدو» وجود السيد قمبدور ولم يبلغ الشك من غيره درجة انكار وجوده بل أنكروا عليه المأثور من الفضائل وتخيلوه زعيم أشقياء ورئيس عصابة شر بعد أن جعلته القصص مثالا تاما للفضل والشهامة والنبل

فأنت تجد أن السيد كـكثير من الرجال الذين ولعت بذكرهم العامة منهم من جعله

سيداً غطريفاً (بالتشديد) ومنهم من جعله سيداً عملساً (بالتخفيف) . ومات السيد سنة ١٠٩٩ وهي التي فتح الصليبيون فيها بيت المقدس . وبعد موته عادت بلنسية الى الاسلام وبقيت زماناً حتى استولى عليها جقوم كما ذكرنا سابقاً وحملت جثة السيد محنطة على جواده المشهور وبيده أحد سيفيه المسمّى تيزونه وقدم نعشه فى الجمع كما كان هو مقدماً فى الحروب ودفن فى كنيسة ماربطرس دوكردنه وماتت شيمانة امرأته بعده بسنتين وبقيت رايته وسيوفه فى ذلك الدير يحملها ملوك قشتالة فى حروبهم تيمناً بالنصر ، ورواية كورنيل المسماة بالسيد أشهر من قفانبك انتهى .

فالقارىء يمكنه أن يقابل بين ما كتبناه فى خلاصة تاريخ الأندلس من تسع وثلاثين سنة وبين ما نقلناه الآن ولا نزال ننقله عن علماء العرب والافرنج ولم يبلغ أحد فى تمحيص قضية القنبيذور الملقب بالسيد ما بلغه العلامة شيخ المستشرقين دوزى الهولاندى وسنأثر كثيراً مما قاله وماوصل اليه من الاستنتاج الدقيق بعد مقابلته الروايات بعضها ببعض ، كما أننا سنذكر الآن كلام ابن بسّام الذى كان عليه أكثر اعتماد دوزى فى نقض ما نقضه من مزاعم الاسبانيول المتعلقة بمعالى أخلاق السيد . ولقد كان دوزى وقف على نسخة من «ذخيرة» ابن بسّام وذلك فى أثناء وجوده فى بلدة غوتة Gotha صيف سنة ١٨٤٤ إذ عثر على مخطوط عربى رقمه ٢٦٦ عليه عنوان يفيد أنه قسم من نفح الطيب للمقرى فلما تصفح هذا المخطوط علم أن هذا العنوان خطأ وأن المخطوط هو القسم الأول من الجزء الثالث من « الذخيرة » لابن بسّام وهى كتاب تراجم للأدباء الذين نبغوا فى الاندلس فى القرن الخامس للهجرة قال دوزى : فما تناولت الكتاب ومضيت فى قراءته الا وجدت قطعة مهمة وافية تتعلق بالقنبيذور يعلم أهميتها من عرف أن ابن بسّام قد كتب هذا الكتاب فى اشبيلية سنة ٥٠٣ للهجرة أو ١١٠٩ للمسيح أى بعد موت السيد بعشر سنوات لا زيادة فهذا التاريخ للسيد هو أقدم تاريخ وجد فى الأيدى وهو أقدم باثنتين وثلاثين سنة من السيرة اللاتينية التى كتبت على السيد فى جنوبى فرنسة كما أنه يزيد فى قيمة كتابة ابن بسّام استشهاده بشاهد عرف السيد معرفة شخصية

وهذه القطعة من سيرة السيد واقعة فى فصل يدور على ابن طاهر أمير مرسية المخلوع الذى بعد أن فقد امارته على مرسية جاء فتوطن بلنسية . وسأجتهد فى ترجمة هذا البحث كله برغم ماتخلله من العبارات الشعرية التى تصعب ترجمتها بلغة عصرية وسأبلغ فى ذلك الجهد ما أمكن لأنى واقع بين المحافظة على النص الأصلى بالعربى من جهة وبين المحافظة على أساليب اللغة الافرنسية من جهة أخرى. انتهى

ونحن لسنا فى حاجة إلى ترجمة الترجمة التى كتبها دوزى وانما ننقل كلام ابن بسام بنصه العربى. وقد ذكر دوزى انه اطلع على نسخة ثانية من الجزء الثالث من ذخيرة ابن بسّام اقتناها المسيو « غايانكوس » Gayangos الذى اشتراها من افريقية فبالمقابلة بين النسختين أمكنه تصحيح ما فيهما من أغلاط النسّاخ وأما الكتاب الذى ورد فى الذخيرة لابن طاهر مرسلاً الى ابن عم لابن جحّاف فنزيده تأييداً وروده فى كتاب « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان، ويقول دوزى انه نقله بعد مقابلة ست نسخ بعضها ببعض . وهذا نص الكتاب :

« وله من رقعة الى ابن جحاف أيام ثورة ابن عمه ببلنسية » :

قد ألبستنى أعزك الله من برّك مالا أخلعه وحمّلتنى من شكرك مالا أضيعه فأنا أستريح اليك استراحة المستنيم وأصرف الذنب على الزمن المُليم ، وان ابن عمك مدّ الله بسطته لما ثار ثورته التى ظن أنه قد بلغ بها السماك وبذّ معها الافلاك نظر إلىّ متخازراً متشاوساً وتخيلنى حاسدا أومنافسا ولعن الله من حسده جمالها

فلم تكُ تصلح الاّ له ولم يكُ يصلح إلا لها

ثم تورّم علىّ أنف عزّته فرمانى بضروب محنته وفى كل ذلك أتجرّعه على مضضه وأتغافل لغرضه وأطويه على بلله وما انتصر بشئ سوى عمله الى أن رأى اليوم بسوء رأيه أن يزيد فى تعسّفه وبغيه فاستقبلتُ من الأمر غريباً ما كنت أحسبه ولابان إلىّ سببه، ولما جاءه رسولى مستفهماً عبس وبسر وأدبر واستكبر، فأمسكت محافظةً للجانب وعملاً على الواجب، لاأن هيبة أبى أحمد قبضتنى ولاأن مبرّته عندى اعترضتنى، وأقسم بالله حلفَةَ برّ لو الأيام قذفت بكم الىّ وأنا بمكانى لأوردتكم العذب من مناهلى وحملت

جميكم على عاتق وكاهلي ، ولكن الله يعمر بكم أوطانكم ويحمى من النوب مكانكم ويحوط هذه السيادة الطالعة فيكم البانية لماليكم الخ ثم قال ابن بسام : ومُدّ لأبى عبد الرحمن ابن طاهر هذا فى البقاء حتى تجاوز مصارع جماعة الرؤساء وشهد محنة المسلمين ببلنسية على يدى الطاغية الكمبيطور قصمه الله وجُعل بذلك الثغر فى قبضة الأسر سنة ٤٨٨[1] ومنها كتب رقعة إلى بعض اخوانه يقول فيها : كتبت منتصف صفر وقد حصلنا فى قبضة الأسر بخطوب لم تجر فى سالف الدهر ، فلو رأيت قطر بلنسية نظر الله اليه وعاد بنوره عليه وما صنع الزمان به وبأهليه لكنت تندبه وتبكيه ، فلقد عبث البلى برسومه وعفى على أقماره ونجومه ، فلا تسأل عما فى نفسي وعن نكدى ويأسى ، وضُممت الآن إلى الافتداء بعد مكابدة أهوال ذهبت بالذماء ، وما أرجو غير صنع الله الذى عوّد وفضله الذى عهد، وساهمتك مساهمة الصفىّ لما أعلم من وفائك وتهمّمك الحفىّ ، مستمطراً من تلقائك دعوة اخلاص على انها عسى أن تكون سبباً إلى فرج وخلاص باذن الله فهو عزّ وجهه يقبل الدعاء من داعيه ، ومازال مكانك منة ترى البركة فيه اه

قال أبو الحسن (أى ابن بسام) : واذ قد انتهى بنا القول إلى ذكر بلنسية فلابد من الاعلان بمحنتها والاتيان بنبذ من أخبار فتنتها التى غرّب شأوها فى الاسلام وتجاوز عفوها جهد الكروب العظام وذكر الأسباب التى جرّت جرائرها ، وأدارت على المسلمين دوائرها ، والاشارة باسم من سلك فى طريقها ونهج ، ودخل من أبواب عقوقها وحرج

ذكر الخبر عن تغلب العدو عليها وعودة المسلمين اليها

قال أبو الحسن : ونذكر ان شاء الله فى القسم الرابع نُكتاً وجوامع تؤدى إلى

---

(١) وفى النسخة الافريقية التى اقتناها غايانكوس العبارة هنا هى ما يأتى : على يدى طاغية كان يدعى الكنبيطر وحصل لديه أسيراً سنة ٨٨

كيفية تغلُب اذفنش طاغية طاغوت الجلالقة قصمها الله على مدينة طليطلة واسطة السلك واشمخ ذرى الملك بهذه الجزيرة ، واشرح الأسباب التى ملّكته قيادها ووطأته مهادها حتى اقتعد صهوتها وتبحبح(١) ذروتها، وان يحيى بن ذى النون المتلقب من الألقاب السلطانية بالقادر بالله كان الذى هيج أولاً نارها وأجّج أوارها وكان عندما خُلّى بين اذفنش وبين طليطلة ــ جدذ الله رسمها وأعاد الى ديوان المسلمين اسمها ــ قد عاهده على أنْ يعيد له صعب بلنسية ذلولا وأن يمتعه بنصرتها ويملك حضرتها ولو قليلا علماً منه أنه أسير يديه وعيال عليه، فصارت تهرّه(٢) المعاقل وتبرأ منه المراحل، حتى استقر بقصبة قونكة عند أشياعه بنى الفرج حسبما نشرحه فى القسم الرابع إن شاء الله وهم كانوا ولاة أمره وأوْعية عُرفه ونكْره، بهم أولاً صدع وإليهم أخيراً نزع ، وطفق يداخل ابن عبد العزيز بمعاذير يلفّقها وأساطير ينمقّها، وأعاجيز من الباطل وصدور يجمعها ويفرقها، وابن عبد العزيز يومئذ يضحك قليلاً ويبكى كثيراً ويظهر أمراً ويخفى أموراً والفلك يدور وأمر الله ينجد ويغور، وورد الخبر بموت ابن عبد العزيز أثناء ذلك واختلاف ابنيه بعده هنالك فانسلّ ابن ذى النون الى بلنسية انسلال القطا الى الماء وطلع عليها طلوع الرقيب على خلوات الأحباء وانتهجت السبيل بين ملوك أفقنا وبين أمير المسلمين رحمه الله على ماقدمنا ذكره سنة ٧٩ وصدم اذفنش الطاغية قصمه الله تلك الصدمة المتقدمة الذكر يوم الجمعة فرجع لعنه الله وقد هيض جناحه وركدت رياحه وتنفس خناق يحيى بن ذى النون هذا فتنسّم روح البقاء وتبلّغ بما كان بقى له من ذماء ودخل من معاقدة أمير المسلمين فيما دخل فيه معشر الرؤساء ولم يزل ادبارهم على ماذكرنا يستشرى وعقاب بعضهم الى بعض تدب وتسرى حتى أذن الله لأمير المسلمين(٣) فى إفساد سعيهم وحسم ادواء بغيهم والانتصار لكواف(٤) المسلمين من فعلهم الذمم

(١) تبحبح الدار: توسطها

(٢) فلان تهرّه الناس: أى تكرهه

(٣) يعنى به يوسف بن تاشفين

(٤) الظاهر أنه يريد بكواف جمع كافة، وهى أول مرة مررت بها مجموعة ولست

ورأيهم الأثيم فشرع فى ذلك على ماقدمناه سنة ٨٣ فجملت البلاد عليه تنثال والمنابر باسمه تزدان وتختال واستمر ينثر نجومهم ويطمس رسومهم باقى سنة ٣ وسنة ٤ بعدها وفى ذلك يقول الأديب ابو تمام بن رياح :

كأن بلادهم كانت نساء   تطالبهـا الضرائر بالطلاق

وفى ذلك أيضاً يقول أبو الحسين بن الجد وأراه عرّض بصاحب ميورقة بعـد خلع بنى عبـاد

ألا قل للذى يرجو منـاماً   بعيـد بـين جنبك والفِراشُ

بأول مرة مررت بها مضافة كما لا يخفى ، نعم نبَّه أكثر العلماء على أن « كافة » لاتأتى إلا حالاً وعلى أنها لاتضاف ولا تدخل عليها ال، ولما قال الجوهرى : الكافة الجميع من الناس أنكروا عليه . وقال صاحب القاموس : لا يقال جاءت الكافة . وقال الزبيدى فى التاج انه هو الذى أطبق عليه جماهير أئمة العربية وأورد بحثه النووى فى التهذيب وعاب على الفقهاء وغيرهم استعماله معرفاً بأل أو الاضافة . وأشار اليه الهروى فى الغريبين وبسط القول فى ذلك الحريرى فى درة الغوّاص وبالغ فى النكير على من أخرجه عن الحالية . وقال أبواسحق الزجّاج فى قوله تعالى (وقاتلوا المشركين كافة) منصوب على الحال وهو مصدر على فاعلة كالعافية والعاقبة وهو فى موضع قاتلوا المشركين محيطين قال : فلا يجوز أن يثنى ولا يجمع . لا يقال: قاتلوهم كافات ولا كافين كما أنك اذا قلت : قاتلهم عامة لم تُثن ولم تجمع وكذلك خاصة . على أن قول الجمهور لا يقال جاءت الكافة ردَّه الشهاب (الخفاجى) فى شرح الدرة وصحح أنه يقال ونقله عن عمر وعلى رضى الله عنهما وأقرَّهما الصحابة وناهيك بهم فصاحة وهو مسبوق بذلك فقد قال شارح اللباب إنه استعمل مجروراً واستدل له بقول عمر بن الخطاب : على كافة بيت مال المسلمين . ونقله الشمنى فى حواشى المغنى وقال الكورانى : من قال من النحاة ان كافة لاتخرج عن النصب فحكمه ناشىء عن استقراء ناقص اه وختم الزبيدى كلامه بما يفيد انه ان ثبت شىء مما ذكروه ثبوتاً لا مطعن فيه فالظاهر أنه قليل جداً

أبو يعقوب من حدثتَ عنه　　فرش سهم العداوة او فراش
اذا رفش القضاء جبال رضوى　　فكيف تراه يصنع بالفراش

ولما أحس أحمد بن يوسف بن هود المنتزى الى وقتنا هذا على ثغر سرقسطة بعساكر أمير المسلمين تُقْبِل من كل حدب وتطلع على أطرافه من كل مرقب آسَدَ كلباً من اكلُب الجلالقة يسمى برذريق ويدعى بالكمبيطور وكان عقالاً وداء عضالاً له فى الجزيرة وقائع على طوائفها بضروب المكروه اطلاعات ومطالع وكان بنو هود قديماً هم الذين أخرجوه من الخمول مستظهرين به على بغيهم الطويل وسعيهم المذموم المخذول وسلطوه على أقطار الجزيرة يضع قدمه على صفحات أنجادها ويركز علمه فى أفلاذ أكبادها حتى غلظ أمره وعم أقاصيها وأدانيها شره، ورأى هذا منهم حيث خاف وهى ملكه وأحسّ بانتثار سلكه أن يضعه بينه وبين سرعان عساكر أمير المسلمين فوطّأله أكناف بلنسية وجبا اليه المال وأوطأ عقبه الرجال فنزل بساحتها وقد اضطرب حبلها وتسرّب أهلها وذلك أن الفقيه أبا أحمد بن جحّاف متولى القضاء بها يومئذ لما رأى عساكر المرابطين تترى وأحسَّ بهذا الطاغية لعنه الله من جهة أخرى امتطى صهوة العقوق وتمثل من فرص اللص ضجة السوق وطمع فى الرئاسة بخدع الفريقين وذهل عن قصة الثعلب بين الوعلين فاستجاش لأول تلك الوهلة لمَّةً يسيرة من دعاة أمير المسلمين فهجم بهم على ساحة ابن ذى النون الجافى على حين من غفلته وانفضاض من جملته واستشراء من علته حيث لم يكن له ناصر إلا الشكوى ولا هادل [1] إلا صدر العصا فقتله زعموا بيد رجل من بنى الحديدى طلب بذَحْل عما كان هو قتل من سلفه وهدم من بيوت شرفه فى خبر سيأتى ذكره ويشرح بمشيئة الله فى موضعه من هذا الكتاب أمره. وفى قتله لابن ذى النون يقول أبو عبد الرحمن بن طاهر:

---

(١) لا نرى معنى للفظة « هادل » هنا ونظنها « هادن » هدن فلان فلاناً هدناً سكنه عنه أو عن شىء بكلام أو باعطاء عهد لا ينوى وفاءه، يقولون : هدن الصبى أى أرضاه بالكلام ليسكت عن البكاء

أيهـا الأخيف[1] مهلاً   فلقـد جئت عويصاً
اذ قتلت الملك يحـيي   وتقمصت القميصـا
رُبَّ يومٍ فيـه تجزى   لم تجـد عنـه محيصا

ولمـا تم لأبي أحمد شأنه واستقر به على زعمه سلطانه وقع فى هراش وتفرقت الظباء على خداش[2] ودُفع الى النظر فى أمور سلطانية لم يتقدم قبل فى غوامض حقائقها، والى ركوب أساليب سياسية لم يكن له عهد باقتحام مضايقها ولا بالدخول فى ضنك مآزقها ، ولم يعلم أن تدبير الاقاليم غير تلقين الخصوم وأن عقد ألوية البنود غير الترجيح بين العقود وانتخال الشهود ، وشُغل بما كان احتجن من بقية ذخائر ابن ذى النون وأنسته عن استجلاب الرجال والنظر فى شيء من الاعمال وانفَضَّت عنه تلك الجملة اليسيرة المرابطية التى كان تعلق بسببها وموَّه على الناس بها لضيق المذاهب وغلظة ذلك العدو المصاقب، وقوى طمع لذريق فى ملك بلنسية فلازمها ملازمة الغريم وتلذذ بها تلذّذ العشاق بالرسوم ينتسف أقواتها ويقتل حماتها ويسوق اليها كل مَنيَّة ويطلع عليها من كل ثنيّة فربّ ذروة عزّ قد طالما بلدت الامانى والنفوس دونها، ويئست الأقمار والشموس من أن تكونها قد ورد ذلك الطاغية يومئذٍ معينها وأذال مصونها وربّ وجهٍ كانت تدميه الذر وتحسده الشمس والبدر ويتغاير عليه المرجان والدر قد أصبح ذرية لزجاجه[3] نعلاً لاقدام أراذل أعلاجه ، وبلغ الجهد بأهلها

---

(١) الاخيف هو الذى إحدى عينيه زرقاء والأُخرى كحلاء ، ويظهر أن أبا احمد ابن جحاف كان كذلك . وفى إحدى نسختى كتاب الذخيرة « أيها الأحنف مهلاً » وهو الذى تميل قدماه كل واحدة الى أختها

(٢) وتروى على خراش وأصله بيت شعر

تفرقت الظباء على خراشٍ   فلا يدرى خراشٌ مايصيد

(٣) لا نرى معنى لهذه الجملة « ذرية لزجاجه » فهى من خطأ النسّاخ والذى يلوح لنا أنها « دريئة لزجاجهِ » والدريئة كما لا يخفى: حلقة يتعلم عليها الطعن قال :

والامتحان أن أحلّوا محرّم الحيوان، وأبو أحمد المذكور فى أنشوطة ماسهّل وسنّى، وشَرَكِ ماجرّ على نفسه وجنى، يستصرخ أمير المسلمين على بعد داره وتراخى مزاره فتارةً يسمعه ويحركه وتارة ينقطع دونه ولا يدركه، وقد كان من أمير المسلمين بموضع ومن رأيه الجميل بمرأى ومسمع ولكن أبطأ عنه نصره بنأى الدار ونفوذ القدار واذا قدرّ الله أمراً فتّح أبوابه ويسّر أسبابه، وتم للطاغية لذريق مراده الذميم من دخول بلنسية سنة ٨٨ على وجه من وجوه غدره وبعد اذعان من القاضى المذكور لسطوة كبره ودخوله طائعاً فى أمره على وسائل اتخذها وعهود ومواثيق بزعمه أخذها لم يمتد لها أحد ولا كثر لأيامها عدد وبقى معه مُديدة يضجر من صحبته ويلتمس السبيل الى نكبته حتى أمكنته زعموا بسبب ذخيرة نفيسة من ذخائر ابن ذى النون وكان لذريق لأول دخوله قد سأله عنها واستحلفه بمحضر جماعة من أهل الملّتين على البراءة منها، فأقسم بالله جهد أيمانه غافلاً عما فى الغيب من بلائه وامتحانه، وجعل لذريق بينه وبين القاضى المذكور عهداً أحضره الطائفتين وأشهد عليه أعلام الملتين ان هو انتهى بعد اليها وعثر عنده عليها ليستحلن إخفار ذمه وسفك دمه فلم ينشب لذريق أن ظهر على الذخيرة المذكورة لديه لما كان حُمّ من اجراء محنته على يديه ولعلها كانت منه حيلة أدارها وداهية من دواهيه سدّاها وأنارها، فأنحى على أمواله بالنهاب وعليه وعلى أهله بأنواع العذاب حتى بلغ جهده ويئس مما عنده، فأضرم له ناراً أتلفت ذماءه وحرقت أشلاءه. حدثنى من رآه فى ذلك المقام وقد حُفر له حفير الى رُفغيه وأضرمت النار حواليه وهو يضم ما بعد من الحطب بيديه[1] ليكون أسرع لذهابه وأقصر لمدة

ولقد أرانى للرماح دريئةً　　　من عن يمينى تارة وشمالى

وأما الزجاج فهى الرماح من باب تسمية الكل باسم البعض والزُج هو الحديدة التى فى أسفل الرمح . قال زهير

ومن يعص أطراف الزجاج فانه　　　يطيع العوالى رُكّبت كل لَهْذَم

قال الزوزنى الزجاج (بكسر أوله) جمع زُجّ الرمح: وهو الحديد المركب فى أسفله

(١) يعجب الانسان من هذه القسوة التى عند الأسبان زيادة على ما عند غيرهم

عذابه كتبها الله له فى صحيفة حسناته ومحا بها سالف سيئاته ، وكفانا بعد أليم نقماته ويسّرنا الى ما يزلف الى مرضاته.وهمّ يومئذ الطاغية لعنه الله بتحريق زوجته وبناته فكلمه فيهن بعض طغاته فبعد لأيٍ ما لَفَتَهُ عن رأيه وتخلصن من يدى نكدائه وأضرم هذا المصاب الجليل أقطار الجزيرة يومئذٍ ناراً،وجلّل سائر طبقاتها حزناً وعارا وغلظ أمر ذلك الطاغية حتى فَدَحَ التهائم والنجود وأخاف القريب والبعيد.حدثنى من سمعه يقول وقد قوى طمعه ولج به جشعه : عَلَى رذريق فُتحت هذه الجزيرة ورذريق يستنقذها . كلمة ملأت الصدور وخيّلت وقوع المخوف والمحذور ، وكان هذا البائقة وقته فى درب[1] شهامته واجتماع حزامته وتناهى صرامته آية من آيات ربه الى أن رماه سريعاً بحتفه وأماته ببلنسية حتف أنفه . وكان لعنه الله منصور العَلَم مظفراً

وأنهم لا يكتفون بالقتل المجرد بل يحرقون عدوهم بالنار زيادة فى عذابه.وهذا القمبيذور عليه ما استحق من العذاب كان يحرق بالنار وما اكتفى بحرق القاضى ابن جحاف فى ساحة بلنسية بل حرق سواه ممن لا نعلم أسماءهم وممن حفظت أسماؤهم لشهرتها منهم ابن البتّى الشاعر الذى ستأتى ترجمته . وكذلك ديوان التفتيش كان اذا اطلع على أن أحد المسلمين أو اليهود المتنصرين لايزال على دينه فى الباطن يبادر الى حرقه بالنار. وكان الناس الذين يقرأون هذه الأخبار يرتابون فى صحتها أو يذهبون الى أنها كانت من قبيل النادر،والحقيقة هى خلاف ذلك فقد حرقوا بالنار ألوفا ولم يجدوا فى ذلك حرجاً فى صدورهم ومن تأمل اليوم فى الحرب الأهلية الاسبانية وما يفعله كل فريق من الفريقين المتقاتلين بعدوه من التقتيل والتعذيب أيقن بأن تلك الوقائع الماضية لم يكن فيها مبالغة إلاّ قليلا جداً ، فهذه الأمة الاسبانيولية على ما فيها من شمم وأَنَفَة وكرم وأَنَسَة وخلال خير كثيرة اذا غضبت أبعدت فى النكاية ولم تتنكّب الذهاب بالقسوة الى النهاية

(١) فى هذا الكتاب تحريف كثير من النسّاخ ولعل أصل هذه الجملة « فى دروب شهامته » أو « فى ضروب شهامته » أو فى « ذَرَب شهامتهِ » والذرب الحدة

على طوائف العجم لقى زعماءهم مراراً كغرسيه Garcia المنبوز بالفم المعوّج ورئيس الأفرنج وابن ردمير، ففلّ حد جنودهم وقتل بعدده اليسير كثير عديدهم، وكان زغموا تُدرس بين يديه الكتب وتقرأ عليه سير العرب فاذا انتهى إلى أخبار المُهلّب استخفه الطرب وطفق يعجب منها ويتعجب . وفى بلنسية يومئذ يقول أبو اسحق ابن خِفاجة :

عاثت بساحتكِ الظُّبى يادار ومحا محاسنكِ البلا والنار
فاذا تردّد فى جنابك ناظرٌ طال اعتبار فيك واستعبار
(إلى آخر الأبيات وقد تقدمت)

وتجرد أمير المسلمين رحمه الله لما بلغه هذا النبأ العظيم واتصل به هذا الرزء الشنيع وكان قذى أجفانه وجماع شأنه وشغل يده ولسانه يسرّب اليها الرجال وينصب عليها الحبائل والحبال والحرب هنالك سجال والحال بين العدو وبين عساكر أمير المسلمين ادبار واقبال ، حتى رحض عارها وغسل شنارها وكان آخر أمراء أجناده المجهَّزين اليها فى جماهر اعداده الأمير أبو محمد مزدلى ظُبَة حسامه وسلك نظامه ففتحها الله عليه وأذن فى تخاصها على يديه فى شهر رمضان سنة ٩٥ كتب الله منزله فى عِلّيين وجزاه عن جده وجهاده أفضل جزاء المحسنين . وفى ذلك التاريخ كتب أبو عبدالرحمن ابن طاهر الى الوزير أبى عبد الملك بن عبد العزيز رُقعةً يقول فيها : كتبت منتصف الشهر المباع وقد وافى بدخول بلنسية جبرَها الله بالفتح بعد ما خامرها القبح فأضرم أكثرها ناراً وتركها آية للسائلين واعتبارا، وتغشّاها سوادا كما لبست به حدادا، فهى تنظر من طرف خفى وتتنفّس عن قلب يتقلب على جمر ذكى ، غير أنه بقى لها جسمها الأنعم وتربها الأكوم الذى هو كالمسك الأذفر والذهب الأحمر ، وحدائقها الغُلْب ونهرها العذب، وبسعد أمير المسلمين واقباله عليها ينجلى ظلامها ويعود عليها حليها ونظامها، وتروح فى الحلل وتبرز كالشمس فى بيت الحمل، فالحمد لله مالك الملك مطهرها من الشرك ، وفى عودتها الى الاسلام عزّ وعزاء عما نفذ به قدر وقضاء انتهى .
وكتب يومئذ الى الوزير الفقيه ابن جحاف يعزّيه بابن عمه أبى أحمد المحرق المتقدم

الذكر : مثلك وقاك الله المحاذير فى وفور الدين وصحة اليقين وسلامة الضمير وعدم النظير وقوة الرجحان ومعرفة الزمان أعطى الحوادث صبرا،وردّها على أعقابها صغرا فلم يخضع لصولتها ولم يحفل بسورتها ودرى أنها الايام والغير والحمام والقدر ، ودارت الخطوب عصمك الله من المامها وحماك من اخترامها بمصرع الفقيه القاضى أبى أحمد عفاالله عنه ومهلكه وانحطاطه من فلكه،فانقضّت لعمرى نجوم المجد بانقضاضه وبكت سماء الفضل على تداعيه وانفضاضه،فانه كان من جمال المذاهب والغوث عند النوائب بحيث يكون الغيث فى قيظ المَحْل والحاب عند انقطاع الرِّسْل [١] بعيداً عن القسوة صفوحاً عن الهفوة عطوفاً على الجيران عزيزاً على الاخوان يستهوى القلوب ببشره ويتملك الأحرار ببرّه.وان الدنيا بعده لفى حداد لِما أقصدَته يد[٢] زناد قائماً بأعبائها مبيراً لاعدائها ، فهى تبكيه بأربعة سنجام وتندبه فى كل مقام،ويا أسرع ما سلبته المنون وقدقرتّ به منكم العيون،وطوّقكم طوق الفخار وأناف بقدركم على الاقدار، فانالله وإنااليه راجعون على أليم المصاب وعند الله نحتسبه كريم الأصل والنصاب وطوداً منيعاً ومرمى رفيعا وقدتساوينا فى الرزية فلنعدل إلى التسلية فذلك أوفر ذخراً وأعظم أجراً.

قال أبو الحسن : وأبو عبد الرحمن أكثر احساناً وأوضح خبراً وعيانا من أن يحاط باخباره أو يعبر عن جلالة مقداره،وقد استوفيت معظم كلامه فى كتاب مفرد ترجمته بسلك الجواهر فى ترسيل ابن طاهر،وهو اليوم يبلنسية سالم ينطق وحى يرزق وقد نيف [٣] عن الثمانين وما أحوجه سمعه إلى ترجمان بل هو حتى الآن يَهَبُ للطاروس من ألفاظه ما يفضح العقود الدرية وتعسعس [٤] معه الليالى البدرية وفيما أوردنا كفاية من الذى يمكنه النهاية .

---

(١) الرسل بكسر فسكون : اللبن .

(٢) لم يظهر لنا وجه هذه الجملة

(٣) المعروف فى اللغة « نيف على الثمانين » لا « عن الثمانين »

(٤) عسعس الليل أقبل وأدبر من الاضداد . أنشدنى السيد جواد العاملى الذى كان قاضى الشيعة فى بعلبك فى أيام الدولة العثمانية منذ أربعين سنة ثلاثة أبيات فى آل البيت حفظتها من دور واحد لسهولتها :

تتمة خبر أمير المسلمين ووقائع بلنسية

فلما تحقق عند النصارى أنه قد جاز وقطع البحر وفاز اتفقوا على تدويخ شرق الأندلس وشنّ الغارات على سرقسطة وجهاتها وتمادوا إلى بلنسية ودانية وشاطبة ومرسية وذواتها فانتسفوها انسفا وتركوها قاعا صفصفا، وأخذوا حصن «مره[١] وايط» وغيرها فساء حال المشرق وحسن المغرب بمن كان فيه من المرابطين وخرج الحاجب منذر بن أحمد بن هود من لاردة ونزل على بلنسية وحصرها طامعاً فى أخذها من يد القادر فلما سمع به ابن أخيه المستعين استنصر بالقنبيطور لعنه الله وخرج معه فى أربعمائة فارس والقنبيطور فى ثلاثة آلاف وغزا معه بنفسه حرصاً منه على ملك بلنسية على أن للقنبيطور أموالها وللمستعين جفنها[٢] فلما سمع بمجيئه عمّه الحاجب رحل عنهـا ولم يَحْلُ بطائل منها فلم يزل محاصراً لها حتى حصّلها وفى هذه السنة وهى سنة ٤٨١ كان السيل الأعظم فى صدمة اكتوبر الذى خرب بلنسية وغيرها وهدم برج القنطرة . ثم ان الفنش خف روعه وانتعشت نفسه فحشد وجمع واستعد وخرج قاصداً لمنازلة بلنسية ومحاصرتها بعد أن كتب إلى أهل جنوة وفيشة[٣] أن يأتوه فى البحر فوصلوا

من الأُلى جَدُّهمُ نبيُّهم — وأُمُّهم فاطمةٌ خير النسا

يروى حديث المجد عن جدِّهم — وكلهم يروون عن أهل الكسا

ماعسعس الليل على قاصدِهم — الا وصبح جودهم تنفسا

وفى التنزيل (والليل اذا عسعس)

(١) Miravet وهى بقرب طرطوشة

(٢) لم نعلم ما المراد بلفظه « جفنها » هنا والعلامة المستشرق دوزى يقول ان معناها هنا « المدينة » وليس فى اللغة شىء كهذا ولعله من اصطلاح عامة الأندلس أو تكون اللفظة محرفة بغلط النسّاخ

(٣) يريد بفيشة بيزا احدى مدن ايطالية المشهورة واقعة على نهر آرنو

اليه فى نحو أربعمائة قلاع فاستحكم طمعه فيها وفى جميع سواحل الجزيرة فارتاع له كل من فى السواحل ثم ان الله تعالى خالف بين كلمتهم وأذن بتفرقهم فأصبح وهو راحل ولم يحصل على طائل ولما نزل الفنش على بلنسية غضب القنبيطور واحتد وجمع وحشد لأنه كان يعدها له طاعة والقادر بها عامله إذ لاقدرة له على الدفاع ولا استطاعة لمخالفه إلى قشتالة فخرق وهدم فكان ذلك أقوى الأسباب فى افتراق ذلك الجمع عن بلنسية وانصرف الفنش إلى قشتالة مسرعاً والقنبيطور قد ولى راجعا ونزل أسطول جنوة وغيرها على طرطوشة وجاءهم ابن ردمير وصاحب برشلونة فثبتها الله ودفع عنها وانصرف جيعهم خائبا منها فكرّ القنبيطور إلى بلنسية واتفق معهم على مائة ألف مثقال جزية فى كل عام

وفى هذا العام استحكم طمع أصناف النصارى على الجزيرة فضيّق غرسية [١] على المرية وألفانه [٢] على لورقة وحاصر البرهانس [٣] مرسية والقنبيطور شاطبة . وبنى أسقف افرنجى فى ضفة البحر حصن «ششنة» [٤] فحميت عند ذلك نفوس من باشبيلية من المرابطين وتقدم عليهم القائد محمد بن عائشة وقصد بهم مرسية والتقى بهم مع جملة من النصارى فهزموهم وقتلوا منهم وأسروا جماعة وخلع صاحب مرسية وتمادى الى دانية ففرّ صاحبها ابن مجاهد فى البحر وآوى الى الدولة الحمّادية . ودخل ابن عائشة دانية فوافاه بها ابن جحاف قاضى بلنسية وسأله النهوض اليها معه فلم يمكنه أن يفارق موضعه فأنفذ معه عسكراً وقدّم عليه قائده أبا ناصر فوصلا اليها وقصدا القادر وقتلاه وذلك سنة ٤٨٥ فلما انتهى ذلك الى القنبيطور وهو محاصر لسرقسطة غاظه وحميت نفسه وزال عنه أنسه لأنها

---

(١) اسم علم وهو Garcia والمظنون أن غرسية هذا هو غرسية اوردو فليز كونت ناجره

(٢) Alfano وهو مجهول عندنا ولم يعرفه دوزى

(٣) البرهانس هو Alvar Fanez

(٤) حصن كان يقال له عند الاسبانيول Xixona والآن يكتبونها Xiyona وهو حصن بين شاطبة والقنت

كانت بزعمه طاعته لأن القادر كان يعطيه منها مائة ألف دينار فى العام جزية فرحل عن سرقسطة فنزل على بلنسية وحاصرها مدة من عشرين شهراً الى أن دخلها قهراً بعد أن لقى أهلها فى تلك المدة ما لم يلقه بشر من الجوع والشدة الى أن وصل عندهم فأر دينار (١) وكان دخوله إياها سنة ٤٨٧ وفى هذه المدة انقطع الى القنبيطور وغيره من أشرار المسلمين وأرذالهم وفجارهم وفساقهم وممن يعمل بأعمالهم خلق كثير وتسموا بالدوائر فكانوا يشنون على المسلمين الغارات ويكشفون الحرمات يقتلون الرجال ويسلبون النساء والأطفال وكثير منهم ارتد عن الاسلام ونبذ شريعة النبى ﷺ الى أن انتهى بيعهم للمسلم الأسير بخبزة وقدح خمر ورطل حوت ومن لم يفد نفسه قطع لسانه وفقئت أجفانه وسلطت عليه الكلاب الضارية فأخذته أخذة رابية وتعلقت منهم طائفة بالبرهانس لعنه الله ولعنهم فكانت تقطع ذكور الرجال وفروج النساء ورجعوا له من جملة الخدمة والعمال وفتنوا فتنة عظيمة فى أديانهم وسلبوا جملة إيمانهم . وأخذ (أمير المسلمين) فى المصدر الى العدو وقد كان أنفذ جملة من جيشه الى « كنكة »(٢) وقدم عليه (؟ عليها) محمد بن عائشة فالتقوا مع البرهانس لعنه الله فانهزم أمامهم واستأصلوا محلته وانصرفوا فرحين وبالظفر مستبشرين . ثم نهض الى ناحية جزيرة شقر للقاء العدو وذكر له أنه يؤمها ويقصدها فالتقوا بجملة من جند القنبيطور فأوقع بهم وقتلهم شر قتلة ولم يفلت إلا اليسير من تلك الحملة فلما وصل الفل اليه مات غمة لا رحمه الله . وفى سنة ٤٩٤ جاز الأمير مزدلى فى جيش عرمرم وقصد بلنسية منازلا ومحاصراً لها فأقام عليها سبعة أشهر فلما رأى الفنش ماحل برجاله من ألم الحصار وأهواله وصل بمحلته الذميمة اليها وأخرج جميع من كان من الروم لديها وأضرمها ناراً وتركها آية واعتباراً اه

قد أطلنا فى ذكر هذه الوقائع التاريخية التى من حقها أن توضع فى القسم التاريخى من هذا الكتاب وذلك نظراً لكثرة ورود ذكر القنبيطور فى الكلام على بلنسية

(١) كذا فى الأصل ولعله أن وصل ثمن الفأر ديناراً من شدة الجوع

(٢) لعلها قونكة

التى نحن فى صددها وبديهى أن ماجاء فى القسم الجغرافى من كتابنا هذا من الأخبار لايعاد فى القسم التاريخى منه وان أعيد منه شيء فيكون على وجه التلخيص : أما القنبيطور فلم نستوف هنا كل الكلام عليه وسيكون له دور ثان عند الوصول الى التاريخ

ذكر من نبغ فى بلنسية من أهل العلم

منهم محمد بن أبى الأسود البلنسى فقيه محدّث سمع من فضل بن سلمة ذكره أبو الوليد الفرضى نقل ذلك ابن عميرة فى بغية الملتمس . ومحمد بن جعفر بن احمد بن حميد أبو عبد الله قاضى بلنسية مقرئ نحوى أديب متقدم فاضل أقرأ القرآن والعربية بمرسية مدة . روى عن جماعة منهم أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح . وأبو بكر ابن مسعود بن أبى عتبة . وروى عنه بعضهم أيام كونه ببلنسية أنه قال له : لوددت أن أمير المؤمنين كلفنى شرح كتاب سيبويه حتى أخلّف فى تفسيره شرحاً يقطع أوراق الأستاذين ولا يحتاج معه الى معلّم . فقيل له : ولم لاتفعل أنت ذلك . فقال : لا يمكننى ذلك بسبب الشغل ولا يمكننى أن أجرّد لذلك وقتاً ولو دخلت تحت الأمر كنت أعذر فى تجرُّدى وانفرادى . توفى رحمه الله سنة ٥٨٦ بمرسية ودفن بإزاء صاحبه القاضى أبى القاسم ببقيع مسجد الجرف : نقل ذلك ابن عميرة وقال : وهو أول من قرأت عليه وسنى دون العشر . ومحمد بن جعفر بن شرويّة أبو عامر الخطيب ببلنسية فقيه فاضل محدث ذكره ابن عميرة أيضا وكانت وفاته سنة ٥٤١ .

وعبد الرحمن بن طاهر الذى كان أمير مرسية ثم فقد إمارته على مرسية وتحول الى بلنسيه . قال ابن بسّام فى كتابه « الذخيرة » : ومدّ لأبى عبد الرحمن بن طاهر هذا فى البقاء حتى تجاوز مصارع جماعة الرؤساء وشهد محنة المسلمين ببلنسية على يدى الطاغية الكنبيطور قصمه الله وجعل بذلك الثغر فى قبضة الأسر سنة ٤٨٨ وتوفى أبو عبد الرحمن المذكور ببلنسية وصلّى عليه بقبلة المسجد الجامع منها اثر صلاة العصر من يوم الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٠٨ ثم سير به الى مرسية

ودفن بها قد نيّف على الثمانين، وعلى مكانه من البراعة والبلاغة فى الرسائل فلم أقف له على شعر سوى قوله فى مقتل القاتل يحيى بن اسماعيل بن المأمون يحيى بن ذى النون على يدى أبى أحمد جعفر بن عبد الله بن جحاف المعافرى عند انتزائه ببلنسية وانتقاله من خطة القضاء الى الرآسة وكان أخيف :

أيها الأخيف مهلا (الأبيات)

فقضى الله أن تسلط عليه الطاغية الكنبيطور بعد أن أمّنه فى نفسه وماله عند دخوله بلنسية صلحا وتركه على القضاء نحواً من عام ثم اعتقله وأهل بيته وقرابته وجعل يطلبهم بمال القادر بن ذى النون ولم يزل يستخرج ماعندهم بالضرب والاهانة وغليظ العذاب ثم أمر بإضرام نار عظيمة كانت تلفح الوجوه على مسافة بعيدة وجيء بالقاضى أبى أحمد يرسف فى قيوده وأهله وبنوه حوله فأمر بإحراقهم جميعاً فضج المسلمون والروم وقد اجتمعوا لذلك ورغبوا فى ترك الأطفال والعيال فأسعفهم بعد جهد شديد واحتفر للقاضى حفرة وذلك بولجة[1] بلنسية وأدخل فيها

---

(١) الوَلَجة فى اللغة واحدة وِلاج، ووِلاج الوادى معاطفه وتجمع أيضا على الوُلُج وأنشد لطريح فى الوليد بن عبد الملك

أنت ابن مسلنطح البطاح ولم
تعطف عليك الحُنِيُّ والوُلُج
لو قلت لليل دع طريقك والمو
ج عليه كالهضب يعتلج
لارتد أو ساخ أو لكان له
فى سائر الأرض عنك منعرج

جاء هذا فى لسان العرب . قالو أيضا : الولجة بالتحريك كهف يستتر فيه المارة من مطر أو غيره . والولجة شيء يكون بين يدى فناء القوم اه. قلت ومنه ولجة بلنسية لك أن تأخذها بأحد هذه المعانى وتسمى اليوم ساحة مركادو La Plaza del Mercado وفيها أحرق السيد القاضى أحمد بن جحاف وقد شاهدت هذه الساحة بعينى وهى

إلى حجزته [1] وسُوِّى التراب حوله وضمت النار نحوه فلما دَنَتْ منه ولفحت وجهه قال : بسم الله الرحمن الرحيم وقبض على أقباسها وضمها الى جسده يستعجل المنية فاحترق رحمه الله وذلك فى جمادى الأولى سنة ٤٨٨ ويوم الخميس منسلخ جمادى الأولى من السنة قبلها كان دخول الكنبيطور المذكور بلنسية . هذا وقد كان أبو عبدالرحمن ابن طاهر من كبار الأدباء فضلا عن كونه من كبار الأمراء .

ومنهم أحمد بن عبد الولى البتّى أبو جعفر ينسب إلى بتّة قرية من قرى بلنسية كاتب شاعر لبيب أحرقه القنبيطور لعنه الله حين غلب على بلنسية وذلك سنة ٤٨٨ ذكره الرشاطي فى كتابه . نقل ذلك ابن عميرة فى « بغية الملتمس » ونقله عنه دوزى فى كتابه « مباحث عن تاريخ أسبانية وآدابها فى القرون الوسطى » ونقل دوزى أيضا عن السيوطى فى تراجم النحاة ذكر أحمد بن عبد الولى البلنسى هذا فقال انه كان قائما على الآداب وكتب النحو واللغة والأشعار كاتباً شاعراً كتب عن بعض

أمام باب من أبواب بلنسية

(١) الحُجْزة معقد الازارة ومعنى العبارة ان القنبيطور وضع ابن جحاف فى حفرة الى حد معقد إزاره وجعل النار على القسم الأعلى من جسمه حتى يحترق بها فلذلك رواية المستشرق دوزى فى كتابه المسمى « مباحث عن تاريخ اسبانيا وآدابها فى القرون الوسطى » Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendan le Moyen Age أن هذه اللفظة وهى حجزة هى حنجرة وترجمته لها بالافرنسية بلفظة larynx هى خطأ منه دخل عليه من تصحيف حجزة بحجرة بدون نقطة فظن دوزى أن اللفظة محرفة عن حنجرة وهذا غير معقول لأن الحفرة لا يمكن أن تكون الى حنجرة القاضى إذ لو كانت كذلك ما استطاع القاضى أن يقبض على أقباس النار ويقربها اليه استعجالاً للموت فان يديه تكونان حينئذ تحت التراب . والصحيح أن الحفرة كانت إلى علو معقد إزاره ومما يؤيد ذلك قول أبى عبد الرحمن بن طاهر وقد نقلنا ذلك من قبل وهو « وقد حفر له حفير

الوزراء وأحرقه القنبيطور لعنه الله لما تغلب على بلنسية سنة ٨٨ . ومنهم محمد بن الخلف ابن الحسن بن اسماعيل الصدفى بلنسى أبو عبد الله بن علقمة صحب أبا محمد بن حيان الأروشي وأمثاله روى عنه ابنه عبدالله وكان ينتحل الكتابة وقرض الشعر على تقصيره فيهما وله تاريخ فى تغلب الروم على بلنسية قبل خمسمائة سماه « بالبيان الواضح فى الملم الفادح » ليس بذاك . وله تأليف غيره مولده سنة ٤٢٨ وتوفى يوم الأحد لخمس بقين من شوال سنة ٥٠٩ . نقل ذلك ابن عبد الملك المراكشى فى كتابه « الذيل والتكملة على الموصول والصلة » وهو كتاب تسعة مجلدات جعله ابن عبد الملك هذا تكملة لكتابين أحدهما « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضى والثانى « الصلة » لابن بشكوال . ومن المعلوم أن كتاب « الصلة » ألفه ابن بشكوال تكملة لكتاب ابن الفرضى فلهذا قال ابن عبد الملك المراكشى فى اسم كتابه « الذيل والتكملة على الموصول والصلة » وقد أشار الى هذا الكتاب ابن الخطيب والسيوطى والمقّرى ولكنه لم يرد ذكره فى كشف الظنون : قال دوزى : « وفى أوروبة من هذا الكتاب مجلدان أحدهما فى مكتبة دير الأسكوريال فى اسبانية والآخر فى مكتبة باريس ومؤلفه يقال له قاضى الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبدالملك الأنصارى ثم الأوسى المراكشى » ومنهم محمد بن سعيد أبو عامر التاكرنى الكاتب قال ابن عميرة فى بغية الملتمس : كان من أهل الأدب والبلاغة والشعر ذكره أبو عامر بن شهيد سكن بلنسية وخَدَم صاحبها عبد العزيز بن الناصر بعد الأربعمائة .

ومنهم أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصارى البلنسى عرف بابن اليتيم سكن مالقة وحدّث بها عن ابن ورد وابن أبى أحد عشر وابن وضّاح أبى عبد الله وغيرهم .

ومنهم جعفر بن عبد الله بن جعفر بن جحاف بن يُمن قال ابن عميرة : هو قاضى بلنسية ورئيسها وآخر القضاة من بنى جحاف بها أحرقه القنبيطور لعنه الله سنة ٤٨٨ . وهو أبو احمد النار ذكره والمشهور أمره

الى رفغَيْه وأضرمت النار حواليه وهو يضم ما بَعُدَ من الحطب بيديه ليكون أسرع لذهابه وأقصر لمدة عذابه » فالرفغ فى اللغة أصل الفخذ وهو مطابق للحجزة لا للحنجرة

ومنهم جحاف بن يمن قاضي بلنسية قال ابن عميرة : وَلاَّهُ أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد القضاء بها محدث استشهد بالأندلس فى غزو الروم فى غزوة الخندق سنة ٣٢٨ وله هناك عقب يتداولون القضاء ومنهم من رأس بها وغلب عليها الى أن كان آخرهم القاضى أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن جعفر بن جحاف بن يُمن المتقدم الذكر الذى أحرقه القنبيطور لعنه الله حسبما قدَّمنا ذكره .

ومنهم عبد الله بن حيان الأُروشى نزيل بلنسية قال ابن عميرة فى البغية : فقيه محدث عارف توفى سنة ٤٨٧ ومولده فى عام ٤٠٩ روى عن أبى عمر بن عبد البر وأبى عمر وعثمان بن أبى بكر السفاقسى وأبى القاسم بن الافليلى وأبى هارون جعفر بن احمد ابن عبد الملك وأبى الفضل محمد بن محمد بن عبد الواحد التميمى البغدادى وكانت له همة عالية فى اقتناء الكتب وجمعها ذكر ابن علقمة فى تاريخه أن ابن ذى النون صاحب بلنسية أخذ كتب الأُروشى من داره وسيقت الى قصره وذلك مائة عِدْل وثلاثة وأربعون عِدلاً من أعدال الحمَّالين يقدر كل عدل منها بعشرة أرباع وقيل إنه كان قد أخفى منها نحو الثلث .

ومنهم وهب بن نذير أبو العطاء قاضى بلنسية يروى عن أبى الوليد الدباغ وأبى الحسن بن النعمة توفى فى بلنسية فى نواحى التسعين بعد الخمسمائة :

ومنهم أبو الحسن البرقى بلنسي أديب شاعر بليغ ذكره ابن عميرة فى « بغية الملتمس » . واحمد بن محمد بن حزب الله يكنى أبا الحسن من أهل بلنسية كان مفتياً فى بلده عالماً بالشروط توفى سنة ٤٥٩ ذكره ابن مدير وترجمه ابن بشكوال فى «الصلة» وخليص بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله الانصارى من أهل بلنسية . يكنى أبا الحسن روى عن عمر بن عبد البر فيما زعم . قال ابن بشكوال فى «الصلة» : قرأت بخطه أنه روى أيضاً عن أبى الوليد الباجى وأبى العباس العذرى وأبى الوليد الوقشى وأبى المطرف ابن جيان ولم يكن بالضابط لما كتب وسمعت بعضهم يضعفه وينسبه الى الكذب توفى رحمه الله سنة ٥١٣ انتهى

ومنهم سليمان ابن أبى القاسم نجاح مولى أمير المؤمنين هشام المؤيّد بالله سكن دانية وبلنسية يكنى أبا داود قال ابن بشكوال : روى عن أبى عمر وعثمان بن سعيد المقرى وأكثر عنه وهو أثبت الناس به وروى عن أبى عمر بن عبد البر وأبى العباس العذرى وأبى عبد الله بن سعدون القروى وأبى شاكر الخطيب وأبى وليد الباجى وغيرهم وكان من جلّة المقرئين وعلمائهم وفضلائهم وخيارهم عالماً بالقراءات ورواياتها وطرقها حسن الضبط لها وكان ديّنا فاضلا ثقةً وله تواليف كثيرة فى معانى القرآن العظيم وغيره وكان حسن الخط جيّد الضبط روى الناس عنه كثيراً وأخبرنا عنه جماعة من شيوخنا ووصفوه بالعلم والفضل والدين . قال : توفى أبو داود سليمان بن نجاح يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر ودفن يوم الخميس لصلاة العصر بمدينة بلنسية واحتفل الناس بجنازته وتزاحموا على نعشه وذلك فى رمضان لست عشرة ليلة خلت منه سنة ٤٩٦ وكان مولده سنة ٤١٣ وعبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف المعافرى قاضى بلنسية يكنى أبا عبد الرحمن ويلقب بحيدرة روى بقرطبة عن أبى عيسى الليثى وأبى بكر بن السليم وأبى بكر بن القوطية وغيرهم وكان من العلماء الجلّة ثقة فاضلاً ذكره ابن خزرج وقال : بلغنى أنه توفى ببلنسية قاضيا سنة ٤١٧ وله بضع وثمانون سنة . قال ابن بشكوال : وقرأت بخط بعض الشيوخ أنه توفى فى شهر رمضان سنة ٤١٨ وحدث عنه أبو محمد بن حَزْم وقال : هو من أفضل قاض رأيته دينا وعقلا وتصاونا مع حظه الوافر من العلم . وعبد الله بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النّمرى ولد الحافظ أبى عمر بن عبد البر سكن مع أبيه بلنسية وغيرها يكنّى أبا محمد وأصله من قرطبة روى عن أبيه وعن أبى سعيد الجعفرى وأبى العباس المهدى وغيرهم ذكره الحميدى وقال : كان من أهل الادب البارع والبلاغة الذائعة والتقدم فى العلم والذكاء مات بعد الخمسين وأربعمائة . قال ابن بشكوال فى الصلة : وأنشدنى له بعض أهل بلادنا :

لا تكثرنَّ تأملاً واحبس عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته فرماك فى ميدان حتفك

قال : قال لى بعض أصحابنا توفى سنة ٤٥٨ وصلى عليه القطينى الزاهد . وعبدالرحمن ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف المعافرى من أهل بلنسية وقاضيها يكنى أباالمطرف روى عن أبى القاسم خلف بن هانى الطرطوشى وغيره قال ابن بشكوال : وسمع منه أبو بحر الأسدى شيخنا وحدث عنه ببغداد أبو الفتح وأبو الليث السمرقندى وتوفى فى سنة ٤٨٢ وقد نيف على الثمانين ومولده سنة ٣٨٤ قرأت مولده ووفاته بخط النميرى وعبد العزيز بن محمد بن سعد من أهل بلنسية يعرف بابن القدرة يكنى أبا بكر روى عن أبى عمر بن عبد البرّ وغيره وكان فقيهاً مشاوراً فى بلده قال ابن بشكوال : حدث عنه شيخنا أبو عمر الأسدى وأبو على بن سكّرة وغيرهما وتوفى سنة ٤٨٤ . وعمر بن محمد بن واجب من أهل بلنسية يكنى أبا حفص روى عن أبى عمر الطلمنكى المقرىء وسمع من أبى عبد الله بن الحذا صحيح مسلم وغيره وكان صاحب أحكام بلنسية ومن أهل الفضل والجلالة قال ابن بشكوال : أخبرنا عنه حفيده أبو الحسن محمد بن واجب ابن عمر بن واجب القاضى توفى قريباً من السبعين والأربعمائة وسنه نحو الستين وكان قد حج ذكر ذلك ابن مدير وقد أخذ عنه أيضاً أبو على بن سكّرة . وذكر غيره أنه توفى فى شعبان سنة ٤٧٦ . وأبو عبد الله محمد بن ربيعة كان من ساكنى بلنسية وأصله من جزيرة شقر من عملها وكان مفتى أهل بلنسية فى زمانه مقدما فى الشورى حافظاً للفقه وتوفى يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ٤٨٧ قال ابن بشكوال كتب لى وفاته شيخنا أبو الحسن عبد الجليل المقرىء .

ومحمد بن باسّه بن أحمد بن ارذمان الزهرى المقرىء من أهل انده سكن بلنسية يكنى أبا عبد الله روى القراءات عن أبى القاسم خلف بن ابراهيم المقرىء الطليطلى وغيره وكان مقرئا فاضلاً ديّناً وتوفى باشبيلية فى شهر رمضان سنة ٥١٥ وقد نيّف على السبعين قاله ابن بشكوال . ومحمد بن واجب بن عمر بن واجب القيسى من أهل بلنسية وقاضيها يكنى أبا الحسن روى عن أبى العباس العذرى وعن أبى الفتح وأبى الليث السمرقندى وأبى الوليد الباجى وغيرهم قال ابن بشكوال : كتب الينا باجازة ماروواه بخطه وكان محبباً الى أهل بلده رفيعاً فيهم جامد اليد عن أموالهم من بيت فضل وجلالة ونباهة وصيانة

وتوفى رحمه الله فى صدر ذى الحجة سنة ٥١٩ ومولده فى شوال سنة ٤٤٦ . ومحمد بن سليمان بن مروان بن يحيى القيسى يعرف بالبونى سكن بلنسية وغيرها يكنى أبا عبد الله روى عن أبى داود المقرى وأبى عبد الله محمد بن فرج وأبى على الغسّانى وأبى الحسن ابن الروش وأبى على الصدفى وأبى محمد بن عتاب وكانت له عناية كثيرة بالعلم والرواية وأخبار الشيوخ وأزمانهم ومبلغ أعمارهم وجمع من ذلك كثيراً قال ابن بشكوال : ووصفه أصحابنا بالثقة والدين والفضل وتوفى بالمرية ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر من سنة ٥٣٦ . وموصل بن أحمد بن موصل من ناحية بلنسية سمع من أبى عبد الله بن الفخار وأبى القاسم البريلى وأبى عمر بن عبد البر وتوفى قريباً من الثمانين قال ابن بشكوال : ذكره ابن مدير وحدث عنه أبو جعفر بن مطاهر . وسليمان ابن عبد الملك بن رويبيل بن ابراهيم بن عبد الله العبدرى من أهل بلنسية يكنّى أبا الوليد سمع من قاضيها أبى الحسن بن واجب ومن أبى عبد الله محمد بن باسّه وأبى محمد بن السيد وسمع من جماعة آخرين بشرق الأندلس قال ابن بشكوال : وسمع بقرطبة من شيخنا أبى محمد ابن عتاب وغيره وعنى بالقراءات وكتب بخطه كثيراً وتولى الأحكام بغير موضع وتوفى بأشبيلية صدر شعبان من سنة ٤٣٠ وكان مولده فيما أخبرنى به سنة ٤٩٦ .

والحسن بن محمد بن بهلول القيسى من أهل بلنسية يكنى أبا على روى عن أبى عبد الله محمد بن الحسن البلَنْى ذكره ابن الأبار القضاعى فى كتاب «التكملة» لكتاب «الصلة» . والحسن بن على بن عبد الله بن سعيد من ناحية بلنسية يكنى أبا علي أخذ عن أبى زكريا يحيى بن محمد بن أبى اسحاق وعن أبى عمر وعثمان بن يوسف البلجيطى وله رحلة حج فيها كان حياً فى سنة ٥٩٠ ذكره ابن الأبّار فى «التكملة» . وحسن ابن احمد بن محمد بن موسى بن سعيد بن سعود الأنصارى من أهل بلنسية يكنى أبا على ويعرف بابن الوزير وشُهِرَ بنسبته الى بطرنة قرية بشرق بلنسية صحب القاضى أبا العطاء بن نذير وسمع منه وتفقه به قال ابن الأبار فى التكملة : وأخذ القراءات عن شيخنا أبى على بن زلال وعنى بعقد الشروط وكان ذا بصر بها وولى قضاء بعض الجهات وأمّ بالمسجد المنسوب الى ابن حزب الله فى صلاة الفريضة نحواً من أربعين سنة

وصلى التراويح بالولاة قديماً وحديثاً وكان من أهل التجويد والتحقيق بالإقراء . قال ابن الأبار : لازمته طويلاً لمجاورة ومصاهرة أوجبتا ذلك وسمعت منه وأذن لى فى الرواية عنه وتوفى بين العشاءين ليلة السبت التاسع والعشرين لذى الحجة سنة ٦٢٤ وهو ابن ثمان وسبعين سنة . وحسن بن عبد العزيز بن اسماعيل التجيبي من أهل بلنسية يعرف بالبقشليونى نسبة الى قرية بغربيها[١] ويكنى أبا على أخذ القراءات عن أبى الحسن ابن هذيل وأجازله إجازة عامة فى جمادى الآخرة سنة ٥٦٣ وكان يكتب المصاحف وصار أخيراً الى مدينة تونس وأقرأ بها القرآن ورأيت الأخذ عنه فى سلخ شعبان سنة ٦٣٥ وعلى أثر ذلك توفى بها .

والحسن بن محمد بن الحسن بن فاتح من أهل بلنسية يُكنَّى أبا على ويعرف بالشعّاز وجدُّه فاتح مولى بنى فلفل من أهل قرطبة لقى أبا الحسن بن النعمة وأخذ عنه القراءات السبع وأجاز له وأخذها أيضاً عن أبى محمد أيوب بن غالب المكتّب وسمع من أبى العطاء بن نذير صحيح البخارى ومن أبى عبدالله بن نوح كتاب السيرة لابن اسحاق ورحل حاجا فأدى الفريضة وانصرف فاحترف بالتجارة وقعد لإقراء القرآن بآخرة من عمره . قال ابن الأبار فى كتابه «التكملة» : وسمعت أنا منه فى منتصف رمضان سنة ٦٣٥ أثر منازلة الروم بلنسية بعشرة أيام حكايات وأشعاراً وأجاز لى بلفظه مارواه وتوفى يوم السبت عيد الأضحى من السنة المذكورة ودفن بداخل المدينة وأخبرنى أن مولده أول سنة ٥٥٢

وجزب الله بن خلف بن سعيد بن هذيل من أهل بلنسية يعرف بالتبرالبي ويكنى أبا محمد رحل حاجاً وسمع بالاسكندرية من السلفي وغيره فى سنة ٥٣٩ وكان من أهل المعرفة بالفرائض والحساب . وحمدون بن محمد من أهل بلنسية بعرف بابن المعلّم ويكنى أبا بكر سمع من أبى العباس العذرى وأبى الوليد الوقّشى ولازمه وأكثر عنه وكان من أهل العلم والأدب يضرب فى قرض الشعر بسهم وتولى الصلاة والخطبة بمسجد رحبة

---

(١) يقول لها الاسبان كستلون Castellon

القاضى من بلنسية بعد تغلب الروم عليها واحتيازهم المسجدالجامع بها وذلك سنة٤٨٩
ثم خرج منها مع جماعة من أهلها فراراً بدينه فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٩٠ بعضه
من تاريخ ابن علقمة قاله ابن الأبار فى «التكملة» . وحيان بن عبد الله بن محمد بن هشام
ابن عبد الله بن حيان بن فرحون بن علَم بن عبدالله بن موسى بن ملك بن حمدون بن حيان
الأنصارى الأوسى من أهل بلنسية وأصل سلفه من أروش عمل قرطبة يكنى أبا البقاء
أخذ القراءات عن أبى الحسن بن النعمة وروى عن أبى محمد بن عبيد الله لقيه بسبتة
وعن أبى الحسن نجبة بن يحيى وناظر عليه بمراكش فى كتاب سيبويه وتأدب بأبى
الحسن بن سعد الخير قال ابن الأبار : وكان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً يشارك فى الكتابة
ويستعمل العويص حسن الخط جيد الضبط وقد أقرأ وقتاً بجامع بلنسية نصبه لذلك
القاضى أبو عبد الله بن حميد لقيته وسمعت مذاكراته وتوفى سنة ٦٠٩ . وخلف بن عمر
من أهل جزيرة شقر سكن بلنسية يكنى أبا القاسم ويعرف بالأخفش كان يعلم العربية
والآداب وكان حسن التفهيم والتلقين مع المعرفة بالعروض ورّاقاً محسناً ضابطاً
يتنافس فيما يكتب ذكره ابن عزيز وأخذ عنه وحكى أنه كان بملازمته النسخ والوراقة
ربما أشكل عليه ضبط الألفاظ فقرأ العربية كبيراً وبرع فيها قال : وتوفى بعد الستين
والأربعمائة . نقل ذلك ابن الأبار . وأبو القاسم خلف بن أحمد بن داود الصدفى من أهل
بلنسية وأصله من جهة ركانة من ثغورها وبالنسبة إليها كان يعرف سمع أبا عمر بن عبدالبر
والباجى والوقشى وأبا المطرف بن جحاف وغيرهم وأخذ العربية عن أبى عبد الله بن رُلّان[1]
وعلم بها ثم مال الى قراءة الفقه وسماع الحديث ففقُه وعلم الرأى وكان أديباً شاعراً وتوفى
فى مدة حصار الروم بلنسية يوم الجمعة لسبع خلون من ذى الحجة سنة ٤٨٦ وقد أربى
على السبعين قاله ابن الابار وقال : كان هذا الحصار عشرين شهراً أولها رمضان من

---

(١) العرب فى اسبانية كانت دخلت بينهم الأسماء الأوروبية مثل « بونُه »
و « لب » و « فيرُه » و « مردنيش » و « رُلاّن » وغيرها وهذا الاسم « رُلاّن »
هو Rolland

رمضان من سنة ٤٨٥ الى أن دُخِلَتْ صلحاً فى سنة ٤٨٧ . وخليفة بن عيسى بن رافع ابن أحمد بن خليفة بن سعيد بن رافع بن جليس الاموى من أهل بلنسية يكنى أبا بكر روى عن أبى داود المُقْرِى ذكر ذلك ابن عيَّاد ونقله ابن الأبار . وداود بن محمد بن خليل بن يوسف بن نضير الأنصارى يكنى أبا الحسن أصله من سرقسطة وسكن بلنسية أخذ القراءات عن أبى الحسن بن النعمة وأبى عبد الله بن ريان وغيرهما ذكره محمد ابن عياد ونقله ابن الأبار . وزكريا بن على بن يوسف بن على الانصارى من أهل بلنسية يعرف بالجعيدى ويكنى أبا يحيى كان مقرئاً فاضلاً وهو والد أبي زكريا الجعيدى توفى آخر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة أو أول سنة ٥٧٤ قاله ابن الابار .

وطارق بن موسى بن يعيش بن الحسين بن على بن هشام المخزومى من أهل بلنسية يعرف بالمنصفى من قرية فى غربيّها يكنى بأبى محمد وبأبي الحسن أيضاً رحل قبل العشرين وخمسمائة فأدى الفريضة وجاور بمكة وسمع بها من أبى عبدالله الحسين بن على الطبرى ومن الشريف أبى محمد عبد الباقى الزهرى المعروف بشقران أخذ عنه كتاب الإحياء لأبى حامد الغزالى عن مؤلفه وسمع بالاسكندرية من أبى بكر الطرطوشى وأبى الحسن ابن مشرّف وأبى عبد الله الرازى وأبى طاهر السلفى وغيرهم ثم قفل الى بلده فحدث وأخذ الناس عنه وكان شيخاً صالحاً عالى الرواية ثقة قال ابن عياد : لم ألق أفضل منه. وحدث عنه بالسماع والإجازة جِلّةٌ منهم أبو الحسن بن هذيل وأبو محمد القُلُنّى وأبو مروان بن الصيقل وأبو العباس الاقليشى وأبو بكر بن خير وأبو عبد الله بن حميد وأبو الحسن بن سعد الخير وأبو محمد عبدالحق الاشبيلى وأبو بكر عتيق بن أحمد بن الخصم وأبو جعفر طارق بن موسى وأبو عبد الملك بن عبد العزيز وأبو بكر بن جوزيه وغيرهم ثم رحل ثانية الى المشرق مع صهره أبى العباس الاقليشى وأبى الوليد بن خيرة الحافظ وذلك سنة ٥٤٢ وقد نيّف على السبعين فأقام بمكة مجاوراً الى أن توفى بها سنة ٥٤٩ روى ذلك ابن الابّار وقال أكثر خبره عن ابن عياد . وطارق بن موسى بن طارق المعافرى المقرىء من أهل بلنسية ومن ولد يمن بن سعيد المعافرى والد جحاف بن يمن يكنى أبا جعفر أخذ القراءات عن أبى الحسن بن هذيل وعن أبى الاصبغ بن المرابط

ورحل الى أبي الحسن شريح بن محمد فأخذ عنه بأشبيلية ولقى بمالقة أبا على منصور ابن الخير وأبا عبد الله ابن أخت غانم وأبا الحسين بن الطراوة فأخذ عنهم وسمع أيضاً من أبي بكر بن العربي فى تردده على بلنسية ومن أبي بكر بن أسد وطارق بن يعيش وأبي محمد القلنى وأبي بكر بن برنجال وغيرهم وتصدر للاقراء ببلنسية وكان من أهل التجويد والاتقان فى القراءة قاله ابن الأبار وكان يقرىء بالمسجد الجامع ويصلى فيه التراويح وتولى الحسبة والمواريث وقتل عند بكوره الى صلاة الصبح فى جمادى الأولى سنة ٥٦٦ .

وأبو عيسى لب[1] بن حسن بن أحمد التجيبي يعرف بابن الخصب من أهل بلنسية أخذ القراءات عن أبي بكر بن نمارة وأبي الحسن بن النعمة وأبي جعفر بن طارق وأخذ قراءة نافع عن أبي الحسن بن هذيل وكان رجلا صالحاً توفى بدانية قبل سنة ٦١٠ .
ومحمد بن سعد بن عثمان التجيبي يعرف بابن القدرة ويكنى أبا عبدالله روى عن أبي عبد الرحمن بن جحاف المعروف بحيدرة وأبي عبد الله بن الفخار روى عنه ابنه أبوبكر عبد العزيز بن محمد الفقيه قاله ابن الأبار . قلتُ قد تقدم ذكر عبد العزيز بن محمد بن سعد هذا فى تراجم علماء بلنسية ومحمد بن حسين البلنسى أصله من ناحية لرية من عملها يكنى أبا عبدالله ويعرف بابن رلان (أى رولان Rollan) قال ابن الأبار : وابن عزير يقول فيه أورليان (أى Orléan يظهر أن أصله اسبانيولى) أخذ عن أبي محمد بن الأسلمية وغيره وكان أديباً متفنناً متسع المعرفة معلما بالعربية واللغة من أهل القرآن حاملاً له عارفا باعرابه وغريبه أخذ عنه محمد بن أبي الفضل البنتي .

ومحمد بن عبيد الله بن عبد البر بن ربيعة من أهل بلنسية أصله من جزيرة شقر يكنى أبا عبد الله سمع من أبي عمر بن عبد البر وأبي المطرف بن جحاف وأبي عبد الله ابن حزب الله وغيرهم وكان فقيها حافظا مفتيا توفى فى حصار الروم ببلنسية سنة ٤٨٧ ذكر ذلك ابن علقمة قال ابن الأبار : انه قد ذكره ابن بشكوال ولكن لم ينسبه ولا

(١) بالاسبانيولى Lope

سمى شيوخه قلنا : قد تقدم ذكر هذا الفاضل نقلاً عن ابن بشكوال ولم يذكر من أسمائه سوى محمد بن ربيعة قال : كان من ساكنى بلنسية وأصله من جزيرة شقر من عملها . ومحمد بن يوسف بن سعيد بن عيسي الكنانى من أهل طايطلة سكن بلنسية يكنى أبا عبد الله روى عن أبى بكر أحمد بن يوسف بن حمّاد سمع منه مختصر الطليطلى فى الفقه وروى عنه أبو الحسن بن هذيل وكان فقيهاً أديباً أصولياً متكلماً وامتحن بأبى أحمد بن جحاف الأخيف فى أيام رآسته فخرج إلى المريّة وبها توفى قبل الخمسمائة ذكر ذلك ابن الأبار فى التكملة نقلا عن ابن عياد . ومحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن سهل الأنصارى الأوسى من أهل سرقسطة سكن بلنسية يكنى أبا عبدالله ويعرف بابن الخرّاز روى عن أبى عبد الله بن أوس الحجارى وأبى العباس العذرى وأبى الوليد الوقّشى واختص به وسمع منه روايته وهو كان القارئ لما يؤخذ عنه وكان أديباً شاعراً راوية مكثراً حسن الخط وكان أبوه أبو جعفر شاعراً أيضاً وهو الذى خاطبه أبو عامر بن غرسية بالرسالة المشهورة حدّث عنه أبو محمد القاننّى وأبو عبد الله بن ادريس المخزومى وأبو طاهر التميمى قال ابن الأبار فى التكملة ذلك ونقل بعضه عن ابن حبيش ونقل عن ابن الدباغ أنه أقرأ القرآن بالثغر وكان عنده أدب صالح . ومحمد ابن أحمد بن عبد الله بن حصن الأنصارى من ولد سعيد بن سعد بن عبادة كان من أهل بلنسية وسكن عقبة مربيطر وأصله من شارقة يكنّى أبا عبدالله سمع من أبى وليد الوقّشى وكان يلازمه وأخذ عنه الموطأ وغيره .وكان حسن الخط ذا عناية بالعلم نَبيه البيت وتوفى قبل العشرين وخمسمائة عن التكملة لابن الأبار . ومحمد بن عبد الله بن سيف الجذامى من أهل بلنسية وسكن شاطبة يكنّى أبا عبد الله أخذ القراءات عن أبى داود وابن الدوشن وسمع من أبى بكر بن مفوّز وتعلم العربية بدانية على أبى يحيي ابن الفرضى وتصدّر للاقراء وكان مقرئا ضابطا وأديباً شاعراً روى عنه أبو محمد عبد الغنى بن مكى وتوفى قبل العشرين وخمسمائة روى أكثره ابن عياد قاله ابن الأبار ومحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن خُلَصة بن فتح بن قاسم بن سليمان بن سويد اللخمى النحوى من أهل بلنسية أصله من شُرَيُون من أعمالها يكنّى أبا عبد الله سمع أبا على الصدفى

وأبا بكر بن العربى قال ابن الأبار : وكان أستاذا فى علم اللسان مقدّماً فى صناعة العربيّة والأدب ولا أدرى عمن أخذها فصيحا مفوّهاً ذا سمْت حسن وذكاء معروف حافظا للغات العرب قائماً عليها ونثره فوق نظمه ورسالته التى رد فيها على ابن السيد من أجود الرسائل وقدحملت عنه، وكان ابن العربى يجلّه ويثنى عليه بعلمه وربما زاره فى منزله أقرأ بدانية وبلنسية ثم انتقل عنها بآخرة من عمره إلى المريّة وأقرأ بها وأخذ عنه أبو بكر بن رزق وحضر إقراءه لكتاب سيبويه ولم يزل مقيما بالمرّية إلى أن توفى بها منتصف ليلة السبت فى عشر المحرم سنة ٥٢١ ودفن لصلاة العصر منه بمقبره الحوض وصلى عليه الخطيب أبو الأصبغ بن الحطان . قال ابن الأبار : قرأت ذلك بخط ابن رزق ووافقه ابن حبيش على سنة احدى وعشرين وهو الصحيح . وقال ابن عياد : سمعت أبا بكر بن تمارة يقول : توفى أبو عبد الله بن خلصة بالمرّية سنة ٥٢٠ أو نحوها وهو أحد من حدّث عن ابن العربى ومات قبله بمدة . وتوفى ببلنسية ابن زرياب وهو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن سعيد بن عبد الله بن سعيد من أهل دروقة وقد مرّ ذكرها فى صفحة ٩٨ من الجزء الثانى من « الحلل السندسية » كتابنا هذا وذلك فى صدر الفصل الذى عنوانه « من نبغ من أهل العلم من مدينـة دروقة » وكانت وفاته ببلنسية ليلة الخميس منتصف رمضان سنة ٥٢٨ وهو ممن أخذ عن أبى بكر بن العربى وكان من أهل العلم والفقه مع الزهد، روى ابن الأبار خبره عن أيوب بن نوح وعن ابن سالم . ومحمد بن عمر بن عبد الله بن محمد العقيلى من أهـل بلنسية يعرف بابن القباب ويكنى أبا بكر روى عن أبى الوليد الوقشى وخليص بن عبد الله وابن السيد وغيره ولقى بقرطبة أبامحمد بن عتاب وابن طريف وأبا بحر الأسدى فسمع منهم فى سنة ٥١٣ وبعدها وله أيضا سماع من أبى بكر بن أسود وكتب عنه عامة أهـل الأندلس كأبى على الغسانى وابن أبى تليد وابن سكّرة وابن العربى وأبى عبدالله المورورى وهو من بيت نباهة وأصالة وكان ذا عناية بالرواية حسن الخط جيد الضبط توفى بعد سنة ٥٣٠ عن أبى عياد وابن سالم ذكره ابن الأبّار . ومحمد بن خليل بن يوسف الأنصارى

من أهل سرقسطة سكن بلنسية يكنى أبا عبد الله أخذ عن أبى المطرف بن الوراق وأبى محمد عبد الله بن يوسف بن سمحون وكان سماعه من ابن سمحون فى سنتى ٣٠ وإحدى وثلاثين وخمسمائة . ومحمد بن سعادة بن عمر الأنصارى من أهل بلنسية يكنّى أبا عبد الله ويعرف بابن قديم تفقه بأبى الوليد الوقّشى وتعلم العربية عند أبى العباس الكفيف وتوفى فى نحو سنة ٥٣١ عن ابن عياد ذكره ابن الأبَّار . ومحمد بن أحمد بن عثمان من أهل بلنسية ولد ببربانة من أعمالها واليها ينسب يكنّى أبا عامر كان من جلّة الأدباء ومشاهير الشعراء وعمّر وأسن وكان يصحب أبا محمد القلنى وقد أخذ عنه أبو عبد الله بن نابل قال ابن الأبار : وأنشدنى أبو الربيع بن سالم قال أنشدنى أبو عامر البريانى لنفسه فى الصنم الذى بشاطبة :

بقية من بقايا الروم معجبة أبدى البناة بها من علمهم حكما

الى آخر الأبيات . وقد تقدم خبر هذا الرجل وذكر هذه الأبيات عند ذكر مدينة « بريانة » من أعمال بلنسية التى هى بين قرية بنى قاسم ومدينة مرباطر فلا لزوم لاعادة الأبيات ثانية

قال ابن الأبار : إن أباعامر هذا توفى سنة ٥٣٣ وقد بلغ ستا وثمانين سنة قال : وفيها مات أبو اسحاق الخفاجى وكان من أترابه وأصحابه .

ومحمد بن عبيد الله بن بيّبش [1] المخزومى من أهل بلنسية وأصله من قلّييرة بناحيتها الغربية يكنى أبا بكر أخذ عن مشيخة بلنسية وعنى بالفقه وكان من أهل الفتيا وحجّ وسمع بالأسكندرية من أبى طاهر السلفى فى سنة ٥٣٩ قال ابن الأبار : وتوفى هنالك فى الفتنة آخر سنة تسع وثلاثين أو أول ٥٤٠ ومولده سنة ٥٠٠ بعضه عن ابن سالم . قال ذلك ابن الأبار

ومحمد بن على بن عطية من أهل بلنسية يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشواش كان أديباً يشارك فى الكتابة وقرض الشعر وانفرد فى وقته بحسن الخط وكان بديع الوراقة

---

(١) هذا أيضاً اسم اسبانيولى أصله Vives

أنيقها يتنافس فيما كتب الى اليوم، قال ابن الأبار ولم أقف على أسماء شيوخه ولا على تاريخ وفاته وأحسبها في نحو الأربعين وخمسمائة. ومحمد بن أحمد بن خلف بن بيبش العبدري من أهل أنده سكن بلنسية يكنى أبا عبد الله له رواية عن أبي عبد الله الخولاني وكان فقيهاً عارفاً بالشروط روى عنه ابنه أبو بكر بيبش بن محمد قال ابن الآبار: وقرأت بخطه أن أباه توفى ببلنسية عصر يوم الثلاثاء الرابع من صفر سنة ٥٤١ .

ومحمد بن مروان بن يونس من أهل لِرْيَة وسكن بلنسية يعرف بابن الأديب ويكنى أبا عبد الله سمع من أبي بكر بن العربي وطارق بن يعيش وغيرهما وكان حسن الوراقة معروفاً بذلك وكتب بخطه علماً كثيراً وولاه القاضي مروان بن عبد العزيز خطة السوق أخذ عنه ابن عياد وكتب من فوائده عقيدة أبي بكر المرادي وأشعاراً لابن العربي وغير ذلك وقال توفى ببلنسية سنة إحدى أو اثنتين وأربعين وخمسمائة وقد نيف على الستين . قاله ابن الأبار

ومحمد ابن أحمد بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز من أهل بلنسية يكنى أبا عبد الله روى عن أبي الحسن بن هذيل أخذ عنه القراءات وعن طارق بن يعيش سمع منه السنن لأبي داود بقراءته في سنة ٥٣٦ وله أيضاً سماع عن ابن الدباغ وابن النعمة وتفقه بأبي بكر بن أسود وأبي محمد بن عاشر وولي قضاء بلده مرتين إحداهما عند تأمّر ابن عمه مروان بن عبد الله والثانية في امارة ابن سعد وكان وقوراً حليماً حسن السيرة صلباً في الحق شديد العارضة . وقتله أبو مروان عبد الملك بن شلبان في ثورته ببلنسية سنة ٥٤٧ ومولده سنة ٥٠٧ ذكر ذلك ابن عياد وقال ابن سفين قبل سنة ست وأربعين وهو وهم . عن ابن الأبار . ومحمد بن جعفر بن خيرة مولى لابن فُطَيْس القرطبي من أهل بلنسية وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها يعرف بابن شرويّة ويكنى أبا عامر سمع من أبي الوليد الوقشي ولازمه وأجاز له وكان ضهره وقد تكلم في روايته عنه لصغره ومن أبي بكر عبد الباقي بن بُرّال وأبي داود المقرى وسمع من طاهر ابن مفوز الحديث المسلسل في الأخذ باليد وأجاز له أبو القاسم حاتم بن محمد وأبو عبد الله ابن السقاط القاضي وكان شيخاً فاضلاً نزيهاً جميل الشارة ذا جهارة في خطبته ونباهة في بلده واقتنى من الدواوين والدفاتر كثيراً وأسن وعمر طويلاً وثقل حتى كان لا يرقى

المنبر للخطبة إلا بمُعين حدث عنه ابن بشكوال وأُغفله وابن حميد وابن عياد وعبدالمنعم ابن الفرس وابن أبى جمرة شيخنا وغيرهم وتوفى سحر ليلة الاثنين سادس ذى القعدة سنة ٥٤٧ ودفن خارج باب بيطاله ومازال قبره هنالك معروفاً يتبرك به الى أن استولى الروم ثانية على بلنسية فى أواخر صفر سنة ٦٣٦ فطمسوه وسائر قبور المسلمين وصلى عليه أبو الحسن بن النعمة وقد قارب المائة فى سنه وكان أضنّ الناس بالاعلام بمولده ذكره القنطرى وابن عياد وابن سفين وغيرهم قال ابن حبيش فى وفاته سنة ست وأربعين وهو وهم منه . عن ابن الأبار

ومحمد بن عبد الله بن البرا من أهل بلنسية يكنى أبا عبد الله روى عن أبى الحسن بن هذيل وأبى حفص بن واجب وأبى الحسن بن النعمة وتفقه بأبى محمد بن عاشر وأبى بكر بن أسد ورحل الى المرية فاقى أبا القاسم بن ورد وسمع منه وكان فقيهاً حافظاً متصرفاً فى وجوه الفتيا من أهل الدين والفضل وولى خطة الشورى ببلده للقاضى أبى محمد بن جحاف وتوفى فى رجب سنة ٥٤٨ عن ابن عياد وابن سفين . عن ابن الأبار أيضاً .

ومحمد بن سليمان بن سيدراى الكلابى الوراق من أهل قلعة أيوب سكن بلنسية وبالقَلْعى كان يعرف . وقد تقدمت ترجمته فى صفحة ٩٦ من الجزء الثانى من هذا الكتاب وذلك بين علماء قلعة أيوب فليراجع فى مكانه .

وأبو بكر محمد بن الحسن بن محمد العبدرى من أهل بلنسيه يعرف بابن سُرْنْباق قال ابن الأبار : والى سلفه ينسب المسجد الذى بربض ابن عطوش من داخل بلنسية ويقال له مسجد الغرفة سمع خليص بن عبد الله وأبا على الصدفى وأبا عامر بن حبيب وبقرطبة ابن عتاب وابن مغيث وأبا بحر الأسدى وأخذ بأشبيلية عن أبى الحسن بن الأخضر وكان من أهل العلم والرواية والرحلة فى سماع العلم . قال : بعضه عن ابن سالم أى بعض نقله هذا . وأبو عبد الله محمد بن يونس بن سلمة الأنصارى وولد ببلنسية سنة ٥٠٩ ونزل بالمرية وأصله من طرطوشة ولهذا كان يقال له الطرطوشى كتب عنه ابن عياد وذكر أنه صحب أباالعباس بن العريف . عن ابن الأبار .

وأبو عبد الله محمد بن على بن بيطش الكنانى من أهل بلنسية يعرف بابن الألشى روى عن أبى بكر بن أسد وأبى محمد بن عاشر وتفقه بهما وحمل عن أبيه كثيراً من علم الرأى وولّى خطة الشورى ببلده . قال ابن الأبار ، وكان فاضلاً نزيهاً صموتا وتوفى سنة ٥٥٠ أو نحوها ذكره ابن سفيان وكان صاحب ثروة ويسار . وأبو عبد الله محمد بن احمد بن سعيد ابن عبد الرحمن العبدرى من أهل بلنسية يعرف بابن مَوْجُوال روى عن أبى الحسن بن هذيل وأخذ عنه القراءات وعن أبى محمد البطليوسى وسمع من أبى على الصدفى قبل موته بأيام . قال ابن الأبار : نزل هو وأخوه أبو محمد عبد الله أشبيلية فلقيا مشايخها وسمعا بها من أبى محمد بن أيوب الحديث المسلسل فى الأخذ باليد وعنى محمد هذا بالقراءات عناية أخيه بالفقه وقد أخذ عنه . وأبو عبد الله محمد بن رافع بن أحمد بن خليفة بن سعيد بن رافع بن حَلْبَس الأموى من أهل بلنسية أقرأ العربية وكان من أهل المعرفة. قال ابن الأبار : وله ولأخويه عيسى المقرئ وعلى نباهة ورواية ولخليفة بن عيسى أيضاً ذكرهم جميعاً ابن عياد .

ومحمد بن عبد الوهاب بن عبد الملك بن غالب بن عبد الرءوف بن غالب بن نفيس العبدرى الوراق من أهل بانسية وأصله من طرطوشة يكنى أبا عامر وأبا عبد الله سمع من أبى محمد البطليوسى ومن محمد بن عطية القاضى وكان ضابطاً حسن الوراقة : عن ابن الأبار .

ومحمد بن أحمد بن عمران بن عبد الرحمن بن محمد بن عمران بن نمارة الحَجَرى بفتح الجيم من أهل بلنسة يُكَنّى أبا بكر وهو من ولد أوس بن حَجَر التميمى شاعر تميم فى الجاهليّة وقد نشأ محمد هذا فى المريّة . وذلك لأن أباه أحمد نقله إلى المريّة سنة ٤٨٧ بعد تغلب الروم على بلنسية فنشأ بالمريّة وقرأ القرآن بها على أبى الحسن البرجى وسمع الحديث من أبى على الصدفى وعياد بن سرحان وأبى القاسم بن العربى وعبد القادر بن الحناط وأبى عبد الله البانى وصحب أبا العباس بن العريف ولقى أبا عبد الله بن الفرّاء ورحل إلى قرطبة سنة ٥٠٦ فأخذ بها القراءات عن أبى القاسم بن النخاس وعليه اعتمد لعلوّ روايته التى ساوى بها فى بعض الطرق أبا عمرو المقرئ وسمع منه ومن

أبي بحر الأَسَدى وأجاز له كثيرون كأبي محمد بن عتاب وأبي عبد الله الخولانى وأبي الحسن شريح وأبي بكربن عطية وأبي بكر بن الفصيح وعاد إلى بلنسية وطنه سنة ٥٠٨ فأخذ العربية والآداب عن أبي محمد البطليوسى وتفقه بأبي القاسم ابن الأنقر السرقسطى وسمع منهما وأجازا له ، وكذلك لقى فى مرسية أبا محمد بن أبي جعفر فروى عنه وتصدّر للاقراء بآخرة من عمره ووصفه ابن الأبار بالنزاهة والتواضع مع النباهة والوجاهة فى بلده قال : وكان أبو الحسن بن هذيل يثنى عليه ويصفه بالانقباض عن خدمة السلطان على كثرة ماله وسعة حاله . وامتحن بالسجن فى سنة ثلاث وثلاثين وهنالك كتب بخطه شرح مقدمة ابن باب شاذ. قال ابن الأبار : حدثنا عنه غير واحد من شيوخنا وتوفى يوم الاثنين الرابع والعشرين وقيل السابع عشر وقيل الثامن عشر من شعبان سنة ٥٦٣ ودفن غدوة الثلاثاء وصلى عليه أبو الحسن بن النعمة وكانت جنازته مشهودة ومولده ببلنسية يوم الأربعاء عاشر المحرم سنة ٤٨٤. أكثره عن ابن عياد وابن سفيان.

وأبو عبد الله محمد بن موفق المكتّب مولى ابن على بن أم الحور من أهل بلنسية يعرف بالخرّاط أخذ القراءات عن أبي محمد بن سعدون الضرير وأبي الاصبغ بن المرابط ولقى أبا زيد بن الوراق عند خروجه من سرقسطة وسمع أبا الحسن بن هذيل وكان صناع اليد عارفا بمرسوم الخط فى المصاحف معروفا بالضبط وحسن الوراقة يُغَالَى فيما يكتب ، أخذ عنه ابن عياد وابنه محمد قال ابن الأبار : توفى بلرية مستهل ذى الحجة سنة ٥٦٣ ومولده سنة ٤٨٨ وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن الحسن ابن أبي الفتح بن حصن بن لَرْبيق بن عفيون بن غفايش بن رزق بن عفيف بن عبدالله بن رواحة بن سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجى من أهل بلنسية سكن مربيطر وأصله من شارقة سمع من صهره أبي على بن بسيل وغيره وولى قضاء مربيطر مضافاً إلى الصلاة والخطبة وكان سريّاً نزيهاً، قال ابن الأبار : وهو خال شيخنا أبي الخطّاب بن واجب سمّاه ابن سفيان فى معجم شيوخه وتوفى سنة ٥٦٧ .

وأبو بكر محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن حاضر الأزدى من أهل بلنسية أخذ القراءة عن أبي الحسن بن هذيل وسمع من أبي الوليد بن الدباغ وأبي

الحسن بن النعمة وأقرأ بجامع بلنسية مدة ثم توجه الى ميورقة وبها توفى حول سنة ٥٥٥ ومولده حول سنة ٥١٠ ذكره ابن عياد ونقله ابن الأبار

وأبو عبد الله محمد بن عتيق بن عطاف الأنصارى من أهل لاردة سكن بلنسية يعرف بابن المؤذن أخذ عن أبى محمد القلنّى وناظر عليه فى المدوّنة ورحل الى قرطبة فناظر على أبى عبد الله بن الحاج وقدّم للشورى والفتيا ببلنسية وكان عارفاً بالفقه حافظاً للرأى، قال ابن عياد : مولده حول التسعين وأربعمائة وقال ابنه محمد بن عياد : مولده حول سنة خمس وتسعين وتوفى فى شعبان سنة ٥٧٨ . عن ابن الأبار

وأبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن واجب بن عمر بن واجب القيسى من أهل بلنسية سمع أباه أبا حفص وتفقه به وأبا الحسن بن النعمة وأخذ القراءات عن أبى محمد بن سعدون الضرير وولّى القضاء بعدة كُوَر من بلده وقدم للشورى والخطبة بالمسجد الجامع مناوباً لشيخه ابن النعمة وتقلد النيابة فى الأحكام مدة قضاء أبى تميم ميمون بن جبارة وكان دَرِياً بها مقدما فيها معروفاً بالنزاهة والفضل ورجاحة العقل حسن السمت رائق الشارة غرّةً فى أهل بيته. قال ابن الأبار : توفى ضحى يوم الاثنين مستهل ربيع الأول سنة ٥٨٣ ومولده ضحى يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة سنة ٥١٧ بعضه عن ابن سالم وكان يرفع به جداً ويقول لم يكن فى بنى واجب على نباهتهم أنبه منه .

وأبو عبد الله محمد بن مقاتل بن حيدرة بن مسعود بن خلف بن سعيد الزُّهرى من أهل بلنسية صحب أبا جعفر بن جبير وغيره وكان فقيهاً أديباً ولّى القضاء بلرية وغيرها من الكور سماه ابن عياد وابن سالم فى مُعْجَمَىْ شيوخهما . وتوفى فى صدر المحرّم سنة ٥٨٦ ومولده سنة ٥١٥ . وأبو عبد الله محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد ابن مأمون الأموى من أهل بلنسية أصله من قرية بغربها تعرف بأسِيلة أخذ القراءات عن أبى الحسن بن هذيل ثم رحل الى غرناطة فأخذ القراءات بها عن أبى الحسن بن ثابت وأبى عبد الله بن أبى سمرة ورحل الى اشبيلية فأخذ القراءات عن أبى الحسن شريح سنة ٥٣٥ وقصد جيّان للقاء الأستاذ أبى بكر بن مسعود فاختلف اليه ثلاثين شهراً يأخذ عنه العربية والآداب واللغة وسمع هنالك من أبى الأصبغ بن عبادة الرعينى

ولقى أيضا أبا القاسم بن الأبرش فأخذ عنه العربية وقيّد كثيراً من فوائده ودخل المرية سنة تسع وثلاثين فسمع فيها من أبى محمد بن عطية القاضى ومن أبى الحجاج القضاعى وأجاز له كثيرون منهم أبو الحسن بن مغيث وأبو بكر بن فندلة وأبو مروان الباجى وأبو بكر بن مدير وأبو الحسن بن موهب وأبو بكر بن العربى وأبو عبد الله ابن معمّر وأبو عامر بن شروية وأبو الحكم بن غشليان وقفل الى بلده بعلم جم ورواية عالية فأقرأ وحدث وعلم العربية وأخذ عنه الناس وولى قضاء بلنسية فى العاشر من جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانين وأقام على ذلك أعواماً حميد السيرة مرضىّ الطريقة عدلا فى أحكامه جزلا فى رأيه صليبا فى الحق إماما يعتمد عليه فى القراءة والعربية لتقدمه فى معرفتهما مع الحظ الوافر من البلاغة والتصرف البديع فى الكتابة وحسن الإمتاع بما يورده ويحكيه وأوطن مرسية بآخرة من عمره وناوب فى الصلاة بها والخطبة أبا القاسم بن حبيش وتوفى بها عند صَدَره عن قرطبة فى النصف الثانى من جمادى الأولى سنة ٥٨٦ قيل فى السابع عشر منه ودفن بظاهر مرسية عند مسجد الجُرف خارج باب ابن أحمد الى جانب صاحبه أبى القاسم بن حبيش رحمهما الله، ومولده ببلنسية سنة ٥١٣ . قال ابن الأبار بعد أن روى كل هذا: بعض خبره عن أبى زكريا الجعيدى .

ومحمد بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن واجب بن عمر بن واجب القيسى المقرئ من أهل بلنسية يكنى أبا عبد الله روى عن أبيه وأبى العباس بن الحلال وأبى عبد الله ابن سعادة وأبى الحسن بن النعمة وقرأ أيضاً على أبى جعفر طارق بن موسى بقراءة نافع ولقى أبا على بن عريب وأبا عبد الله بن الفرس وأخذ عنهما وكتب اليه أبو القاسم ابن حبيش وأبو عبد الله بن حميدوغيرهما وكان يقرئ القرآن بمسجد ابن حزب الله من داخل بلنسيه ويؤم الناس فى صلاة الفريضة وكان موصوفاً بالاتقان والضبط والذكاء مع الصلاح والخير وكان صنع اليد بارع الخط صاحب تذهيب. قال ابن الأبار : روى لنا عنه أبو الحسن بن عبد الودود الربيطرى وتوفى سنة ٥٨٦ ومولده سنة ٥٣٧ بعضه عن ابن سالم . وأبو عبد الله محمد بن على بن محمدبن على بن هذيل من أهل بلنسية ويكنى

أبا بكر أيضاً روى عن أبيه وأبى عامر بن شرويه وأبى الحسن طارق بن يعيش وأبى الوليد بن الدباغ وأبى الحسن بن النعمة وغيرهم ورحل حاجاً فلقى بالأسكندرية أبا طاهر السلفى سنة ٥٣٩ وحج سنة أربعين بعدها فسمع بمكة من أبى على بن العرجاء وأجازله أبو المظفر الشيبانى وقفل الى الأندلس سنة ست وأربعين . قال ابن الأبار : وأخذعنه أبو عمر بن عياد وابناه محمد واحمد ومن شيوخنا أبو الربيع بن سالم وأبو زيد بن حماس وأبو بكر بن محرز وكان غاية فى الصلاح والورع وأعمال البرّ له حظ من علم العبارة ومشاركة يسيرة فى اللغة وكتب بخطه على ضعفه كثيراً ولد سنة ٥١٩ وقال ابن محرز انه ولد فى حدود سنة ٥٢٠ وتوفى سنة ٥٨٨ .

وأبوعبدالله محمدبن عبد الله بن محمد بن أبي زاهر الخطيب من أهل بلنسية أخذالقراءات عن أبى الحسن بن هذيل وسمع أبا الحسن بن النعمة وكان من أهل الدين والصلاح والفضل والورع سمع منه ابنه أبو حامد محمد بن محمد المكتّب وغيره وأقرأ القرآن طول عمره وأسمع كتب الرقائق والمواعظ وكان خطيباً ببعض نواحى بلنسية توفى بها مستهل ربيع الأول سنة ٥٩٠ وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت جنازته مشهودة لم يتخلف عنها أحد . عن ابن الأبار . وأبو عبدالله محمدبن على بن محمد المكتّب من أهل بلنسية يعرف بابن عذارى سماه أبو الربيع بن سالم فى شيوخه وقد كان معلّمه فى الكُتّاب عن ابن الأبار وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجد الأنصارى من أهل بلنسية أخذ القراءات عن أبى بكر بن نمارة وأبى زكريا يحيى بن أحمد بن أبى اسحاق ورحل حاجًّا سنة ٥٧١ فأدى الفريضة فى سنة اثنتين بعدها وحج بعد ذلك حجّتين وجاور بمكة عامين وسمع بها من أبى الحسن على بن حميد بن عمار الطرابلسى صحيح البخارى وكان قد سمعه من أبى مكتوم عيسى بن أبى ذر الهروى وسمع أيضا من أبى محمد المبارك بن الطباخ وسمع بالاسكندرية من أبى طاهر السلفى وعاد إلى بلنسية بعد سنة ٥٧٦ وأخذ عنه أبو الحسن بن خيرة وأبو عبد الله بن أبى البقاء وغيرهما . قال ابن الأبار : كان من أهل الصلاح والفضل والورع متحققا بأعمال البرّ من الصدقات ومفاداة الأسرى محترفا بالتجارة مولده بعد الثلاثين وخمسمائة توفى بمرسية ليلة الأربعاء الثانى أو الثالث

من المحرم سنة ٥٩٨ . وصُلّي عليه صلاة العصر من اليوم المذكور ودفن خارجها بالمصلى الجديد. وأبو عبد الله بن خلف بن مرزوق بن أبي الأحوص الزناتي من أهل بلنسية أصله من أندة من أعمالها ينسب الى زناته من نواحيها يعرف بابن نِسع (بالنون) أخذ القراءات عن أبي الحسن بن هذيل ولازمه وأصهر اليه وأخذ عن أبي عبد الله بن سعادة وأبي الحسن بن النعمة وأجازوا له. قال ابن الأبار : وسمع من أبي الحسن طارق بن يعيش كتاب السيرة لابن اسحاق ولكن لم يُجزِله وأخذ عن أبي بكر عتيق بن الخصم مختصر العين للزبيدي وأجاز له أبو القاسم بن حبيش مارواه وألفه وكان مقرئاً صالحاً زاهداً ورِعاً أخذ عنه الناس وكثيراً ما كان يسمع كتاب السيرة لعلوّ إسناده فيه وكذلك الاستيعاب حتى كاد يحفظهما . قال ابن الأبار : حدثني بذلك والدى عبد الله ابن أبي بكر وسمع منه هو وجماعة منهم أبو الحسن بن خيرة وأبو الربيع بن سالم وأبو عبد الله بن أبي البقاء وأبو بكر بن محرز وأبو جعفر بن الدلال وأبو محمد بن مطروح وغيرهم ولد سنة ٥٠٩ وتوفى صبح السبت الثاني عشر من شعبان سنة ٥٩٩ وهو ابن تسعين سنة ودفن لصلاة العصر من اليوم المذكور بمقبرة باب بَيْطالة وصلى عليه أبو الحسن بن خيرة وكانت جنازته مشهودة . وأبو عبد الله محمد بن يحيى بن خلف بن يحيى ابن خلف بن شلبون الأنصاري النحوي من أهل بلنسية سمع من أبي بكر بن جزيه وأبي العطاء بن نذير وأبي عبد الله بن نسع وأبي الحجاج بن أيوب وأبي عبد الله بن نوح وأبي جعفر الحصّار وابن كوثر وابن عروس وابن حميد. قال ابن الأبار : وكان من أهل الرواية والدراية مع الضبط والاتقان وحسن الخط وعنى بالعربية والآداب فبرع فيها وقعد للتعليم بها قال : ووصف لى بالتحقيق وقد وقفت له على نظم ضعيف وتوفى معتبطاً سنة ٥٩٩ .

ومحمد بن يحيى بن خزعل بن سيف الطلحي الشريف من ولد طلحة ابن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه من أهل بلنسية يكنى أبا عبد الله ، سمع أبا عبد الله بن حميد وأخذ عنه العربية وأجاز له أبو محمد بن عبيد الله وأبو القاسم السهيلي وغيرهما . وكان أديبا نحويا بارعا فاضلا توفى بمراكش سنة ٦٠٤ عن ابن سالم

قاله ابن الأبار . ومحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن محمد الزهرى من أهل بلنسية يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن القح سمع من صهره أبي الحسن بن هذيل ومن أبي الحسن بن النعمة وأبى عبد الله بن سعادة وأبى الحسن طارق بن يعيش ومن أبى بكر بن خير سمع منه باشبيلية سنة ٥٧١ وأخذ عن أبي القاسم بن حبيش وأبي الحسن ابن سعد الخير وكان لهحظ من الفقه والقراءات أخذ عنه ابنه أبو بكر محمد وأبوعبدالله ابن أبي البقاء وغيرهما. قال ابن الأبار : ورأيته وأنا صغير وتوفى سحر ليلة الجمعة الثانى لجمادى الآخرة سنة ٦٠٥ ومولده سنة سبع وعشرين وخمسمائة . وأبو عبد الله محمدبن يوسف بن يحيى بن محمد بن عمر الأنصارى من أهل بلنسية يعرف بابن غبرة . قال ابن الأبار : أخذ القراءات عن أبي عبد الله بن نوح وأبي جعفر الحصار من شيوخنا وسمع من أبى عبد الله بن نسع وأبى بكر بن على القاضى وسمع بلرية عن أبي زكريا يحيى بن محمد بن أبى اسحاق وأبى عبد الله بن عياد وأبى عبد الله بن فريع وأخذ بمرسية عن أبى بكر بن أبى جمرة وأخذ باشبيلية القراءات عن أبي الحسن نجبة بن يحيى وأبى اسحق ابراهيم الطريانى وأبى جعفر بن مضاء وغيرهما وعنى بالرواية أتم العناية قال : ولا أعلمه حدث هذا ولم يذكر ابن الأبار سنة مولده ولا سنة وفاته . وأبو عبدالله محمد بن عبد الله بن أبى يحيى بن محمد بن مطروح التجيبى من أهل بلنسية أصله من سرقسطة سمع من أبيالحسن بن النعمة وأجاز له أبو بكر بنأبيجمرةوكان وراقا يبيع الكتب أخباريا أديباً حلو النادرة فكيها وجمع شعر أبى بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطى وسماه « روضة المحاسن وعمدة المحَاسن » قال ابن الأبار . روى عنه أبو عبد الله بن أبى البقاء وابنه أبو محمد عبد الله شيخنا وقال لى : توفى سنة ٦٠٦ ومولده بعد الأربعين وخمسمائة . وأبو عبد الله محمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن محمد ابنوهببننوحالغافقى منأهل بلنسية ودار سلفه النبيه سرقسطة سمعمنأبيه أبى محمد أيوب ومن أبى الحسن بن هذيل وأبى عبد الله بن سعادة وأبى الحسن بن النعمة وأبى القاسم بن حبيش وتفقه بأبى بكر يحيى بن محمد بن عقال واستظهر المدونة عليه وأخذ العربية والآداب عن ابن النعمة وأجاز له أبو مروان بن قزمان . وأبو بكر بن محرز

البطليوسى وأبو مروان بن سلمة الوشقى وأبو القاسم بن بشكوال وغيرهم وكتب اليه من الاسكندرية أبو طاهر السلفى وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية مع وفور حظه منها وميله فيها الى الأعلام المشاهير دون اعتبار لعلوّ الأسانيد وولى خطة الشورى فى حياة شيوخه وزاحم كبارهم فى الحفظ والتحصيل ولم يكن فى وقته بشرق الأندلس له نظير كان رأساً فى العلماء الراسخين وصدراً فى الفقهاء المشاورين تقدم فى الفتيا واطلع على الآداب واضطلع بالغريب وشارك فى التفسير وتحقق بالقراءات، وأما عقد الشروط فاليه انتهت الرآسة فيه وبه اقتدى من بعده لم يسبقه أحد من أهل زمانه إلى ماتميز به فى ذلك مع حسن الخط وبراعة الضبط والبصر بالحديث والحفظ للانساب والأخبار وله تنايه فى فنون شتى ولو عنى بالتأليف لأربى على من سلف، وكان كريم الخلق عظيم القدر سمحاً جوادا وولّى قضاء بعض الكور النبيهة وخطب بجامع بلنسية وقتاً.
قال ابن الأبار : ولم يحظ بعلومه حظوة غيره وامتحن بالولاة والقضاة وكانوا يجدون السبيل اليه بفضل دعابة كانت فيه مع غلبة السلامة عليه فى إعلانه واسراره واستغراق آناء ليله فى تلاوة القرآن وأطراف نهاره وكان على سعة علمه مزجى البضاعة فى نظمه وكان نثره أصلح منه ، وأنشدنى ابنه أبو الحسن محمد غير مرة قال : أنشدنى أبى لنفسه

كأن يقيننا بالموت شك ... وما عقل من الشهوات يذكو
أرى الشهوات غالبة علينا ... وعند المتقين لهن فتك

هكذا كان ينشدنا غير مرتاب ولم أزل فى ذلك معوّلاً على ضبطه حتى أفادنى بعض أصحابنا فى تونس فى أول سنه ٦٤٥ أو قبلها بيسير قطعة نسبها إلى ابن المعتز وأولها :

كأن يقيننا بالموت شك ... ولا عقل مع الشهوات يذكو
لهونا والحوادث دائبات ... لهن بمن قصدن اليه فتك
وفى الأحداث من أهل الملاهى ... رهائن لاتعاد ولا تفك
وللدنيا عِداتٌ بالتمنى ... وكل عِداتها كِذب وإفكُ

ويشبه أن يكون أبو الحسن سمع أباه رحمه الله يتمثل بهذين البيتين فحسبهما من

قوله ونسبهما اليه، وبالجملة فلم يكن لشيخنا فى باب المنثور والمنظوم ما يناسب براعته فى أفانين العلوم أقرأ القرآن وأسمع الحديث ودرس الفقه وعلم بالعربية والآداب وأخذ الناس عنه ورحلوا اليه وسمع منه جلة من شيوخنا وأصحابنا وطال عمره حتى أخذ عنه الآباء والأبناء . تلوت عليه القرآن بالسبع وأجاز لى وسمعت منه بعد والدى رحمه الله ومعه وهو أغزر من لقيت علما وأبعدهم صيتاً ولد أول وقت الظهر من يوم السبت الثانى من جمادى الآخرة سنة ٥٣٠ قرأت ذلك بخط أبيه أيوب رحمه الله، وتوفى فى أول وقت الظهر أيضاً من يوم الاثنين لست مضين من شوال سنة ٦٠٨ ودفن يوم الثلاثاء بعده لصلاة العصر بمقبرة باب الحنش وهو ابن ثمان وسبعين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام وصلى عليه أبو الحسن بن خيرة وهو تولى غسله فى جماعة من أصحابه الجلة وشهدت الخاصّة والعامّة جنازته وأتبعوه ثناء حسنا ورثى بمراث كثيرة رحمه الله . عن ابن الأبار بتصرّف . وأبو عبد الله محمد ين محمد بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الأنصارى النحوىّ من أهل بلنسية وأصله من سرقسطة يعرف بالنسبة إلى ابن أبى البقاء خاله سمع من أبى العطاء بن نذير وأبى بكر بن أبى جمرة وأبى عبد الله بن نسع وأبى عبد الله بن نوح وأبى الخطاب بن واجب وغيرهم وأجاز له أبو محمد بن الفرس وأبو ذر الخشنى وأبو الحسين بن جبير وغيرهم وكتب اليه من أعيان أهل المشرق أبو محمد يونس بن يحيى الهاشمى وأبو عبد الله بن أبى الصيف وأبوشجاع زاهر بن رستم وأبو الحسن بن المفضل وغيرهم وكان يحدث عن أبى مروان بن قزمان وعن أبى طاهر الخشوعى باجازته لأهل الأندلس وفى شيوخه كثرة وكان شديد العناية بالسماع والرواية مع الحظ الوافر من المعرفة والدراية يتحقق بعلم اللسان ويتقدم فى العربية بصيرا بصناعة الحديث معانيا للتقييد مع حسن الخط وجودة الضبط وكتب بخطه علما جمّا وربما تعيّش من الوراقة لاقلاله. قال ابن الأبار : نقلت من خطه مانسبته اليه فى هذا الكتاب وأجاز لى بلفظه وسمعت منه بعض نظمه وكان شاعرا مجوّدا حسن التصرف وتوفى فى شهر ربيع الأول سنة ٦١٠ ودفن بمقبرة باب بَيْطَالَة ومولده فى صفر سنة ٥٦٣ . انتهى بتصرف . ومحمد بن عبد الله بن محمد بن على بن مفرّج بن سهل

الأنصارى من أهل بلنسية يعرف بابن غطّوس ويكنى أبا عبد الله كان يكتب المصاحف وينقطها وانفرد فى وقته بالامامة فى ذلك ويقال انه كتب ألف نسخة من كتاب الله عز وجل ولم يزل الملوك فمن دونهم يتنافسون فيها إلى اليوم وكان قد آلى على نفسه أن لايخطّ حرفا من غيره ولايخالط به سواه تقربا إلى الله وتنزيها لتنزيله فما حنث فيما أعلم وأقام على ذلك حياته كلها خالفا أباه وأخاه فى هذه الصناعة التى اشتهروا بها، وكان فيها آية من آيات خالقه مع الخير والصلاح والانقباض عن الناس والعزوف عنهم قال ابن الأبار: رأيته على هذه الصفة واستفدت منه بعضا من مرسوم الخط لقيته عند معلّمى أبى حامد وتغلب عليه الغفلة وتوفى حول سنة ٦١٠ . وأبو عبدالله محمد بن وهب ابن لب بن عبد الملك بن أحمد بن محمد بن نذير الفهرى من أهل بلنسية وأصل سلفه من شنت مرية الشرق سمع أباه وأبا الحسن بن هذيل وأبا القاسم بن حبيش وغيرهم وأجاز له أبو الطاهر بن عوف وأبو عبد الله بن الحضرمى وكتب اليه السلفى وإلى أخيه أبى عامر نذير وأبيهما أبى العطاء القاضى وخطب بجامع بلنسية مناوبا أباه واستقضى ببعض الكور. قال ابن الأبار: أخذت عنه جملة من أول الملخص للقابسى وكان قد سمعه على ابن حبيش وعاقنى عن إكماله بالقراءة مرضه الذى توفى منه ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين لشوّال سنة ٦١٣ ودفن لصلاة العصر منه بمقبرة باب الحنش وصلى عليه أبو الحسن بن خيرة ومولده سنة ٥٥١ أو نحوها . انتهى بتصرّف .

وأبو قاسم محمد بن محمد بن أيوب بن محمد بن نوح الغافقى من أهل بلنسية سمع من أبيه ومن أبى القاسم بن حبيش وغيرهما وأجاز له أبو مروان بن قزمان وأبو بكر ابن محرز البطليوسى وغيرهما وكان مشاركا فى الفقه ماهراً فى عقد الشروط متقدما فى الآداب شاعرا مكثرا وقد كان تولى قضاء جزيرة شقر وكان جده أيوب بن محمد وجد أبيه محمد بن وهب توليا هذا القضاء من قبل ثم ولى بعد مدة قضاء المريّة ومنها نقل إلى قضاء بلنسية سنة ٦١١ قال ابن الأبار فى التكملة : ولم تحمد سيرته وصرف عن قضاء بلنسية مستدعى الى مرّاكش بعد انبعاث من أهل بلده لمطالبته، قال : وشيعته حينئذ فيمن شيعه وفاتنى السماع منه فأخذت بعض منظومه عن أخيه وعاجلته منيته بعد صرفه

عن القضاء فتوفى بمراكش اثر صلاة الظهر من يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦١٤ وهو ابن ستين سنة أو نحوها

وأبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى من أهل بلنسية نزل أبوه شاطبة وانتقل هو إلى غرناطة روى عن ابن الحاج وأخذ العربية عن ابن يسعون وسمع بشاطبة من أبيه أبي جعفر وأبي عبد الله الأصيل وأبي الحسن بن أبي العيش .وأجاز له أبو الوليدابن الدباغ وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى والتميمى السبتى وعنى بالآداب فبلغ منها الغاية وتقدم فى صياغة القريض وصناعة الكتابة ونال بها دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها وتحرك لنيته الحجازية فى شوال سنة ٥٧٨ صحبة أبي جعفر بن حسان فأدى الفريضة وسمع بمكةمن أبي حفص الميانشي ولقى بدمشق أبا الطاهر الخشوعى فأخذ عنه مقامات الحريرى بين قراءة وسماع فى جمادى الأولى سنه ٥٨٠ وحدث بها عنه إجازة وأجاز له أبو محمد عبد اللطيف الخجندى وأبو أحمد عبد الوهاب بن على الصوفى وأبو محمد بن عساكر وأبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التونسى المجاور بمكة وأبو جعفر أحمد بن على القرطبى نزيل دمشق وغيرهم وقفل إلى الأندلس وسمع منه بها وحمل عنهشعره وهو كثير مدوّن . قال ابن الأبار : حدثنا عنه به أبو تمام بن اسماعيل بلفظه بين سماع ومناولة وغيره من شيوخنا وأصحابنا ثم رحل ثانية إلى المشرق تاسع شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وعاد الى المغرب ثم رحل ثالثة سنة ٦٠١ وجاور بمكة وبالقدس وحدث هنالك وأخذ عنه وتوفى بالاسكندرية ليلة يوم الأربعاء التاسع والعشرين لشعبان سنة ٦١٤ وهو ابن خمس وسبعين سنة مولده ببلنسية سنة ٥٣٩ . وقيل بشاطبة سنة أربعين . قاله ابن الأبار . وقال المَقَّرى فى نفح الطيب عندذكر أعلام الأندلس الذين لهم رحلة إلى الشرق : ومنهم أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى صاحب الرحلة وهو من ولد حمزة بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة أندلسى شاطبى بلنسى مولده ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة أربعين وخمسمائة ببلنسية وقيل فى مولده غير ذلك وسمع من أبيه بشاطبة ومن أبي عبد الله الأصيلي وأبي الحسن بن أبي العيش وأخذ عنه القراءات وعنى بالأدب فبلغ الغاية فيه

وتقدم فى صناعة القريض والكتابة ومن شعره قوله وقد دخل إلى بغداد فاقتطع غصناً نضيراً من أحد بساتينها فذوى فى يده :

لا تغترب عن وطن واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغُصن إذا ما فارق الأصل ذوى

وقال رحمه الله يخاطب الصدر الخجندى :

يامن حواه الدين فى عصره صدرا يحل العلم منه الفؤاد
ماذا يرى سيدنا المرتضى فى زائر يخطب منه الوداد
لا يبتغى منه سوى أحرف يعتدها أشرف ذخر يُفاد
ترسمها أُنْمُله مثلما نمق زهر الروض كف العهاد
فى رقعة كالصبح أهْدى لها يد المعالى مسك ليل المداد
إجازة يورثنيها العلى جائزة تبقى وتفنى البلاد
يستصحب الشكر خديمًا لها والشكر للامجاد أسنى عتاد

فأجابه الصدر الخجندى :

لك الله من خاطب خلتى ومن قابس يجتدى سقط زندى
أجزت له ما أجازوه لى وما حدثوه وما صح عندى
وكاتب هذى السطور التى تراهن عبد اللطيف الخجندى

قال صاحب النفح : ورافق ابن جبير فى هذه الرحلة أبو جعفر أحمد بن الحسن ابن أحمد بن الحسن القضاعى وأصله من أندة من عمل بلنسية رحل معه فأديا الفريضة وسمعا بدمشق من أبى الطاهر الخشوعى وأجازلهما أبو محمد بن أبى عصرون وأبو محمد القاسم بن عساكر وغيرهما ودخلا بغداد وتجولا مدة ثم قفلا جميعا إلى المغرب فسمع من كل منهما بعض ما كان عنده وكان أبو جعفر هذا متحققا بعلم الطب وله فيه تقييد مفيد مع المشاركة الكاملة فى فنون العلم . توفى أبو جعفر هذا بمراكش سنة ثمان أو تسع وتسعين وخمسمائة ولم يبلغ الخمسين فى سنه . رجع الى ابن جبير قال لسان الدين بن الخطيب فى حقه : انه من علماء الأندلس بالفقه والحديث والمشاركة فى الآداب وله الرحلة المشهورة واشتهرت

فى السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب له قصيدتان إحداهما أولها :

أطلّت على أفقك الزاهر سعود من الفلك الدائر

ومنها

رفعت مغارم مكس الحجاز بإنعامك الشامل الغامر
وأمنت أكناف تلك البلاد فهان السبيل على العابر
وسحب أياديك فياضة على وارد وعلى صادر
فكم لك بالشرق من حامد وكم لك بالغرب من شاكر

والأخرى منها فى الشكوى من ابن شكر الذى كان أخذ المكس من الناس فى الحجاز :

وما نال الحجاز بكم صلاحاً وقد نالته مصر والشآم

قلت : حيث ذكر المقرى فى النفح شيئاً عن ابن جبير نقلاً عن لسان الدين بن الخطيب فقد رأيت الأولى أن أنقل كلامه عنه من كتابه الاحاطة فى أخبار غرناطة قال : محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد ين عبد السلام الكنانى الواصل إلى الأندلس دخل جده عبد السلام الأندلس فى طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيرى فى محرَّم سنة ثلاث وعشرين ومائة وهو من ولد حمزة بن كنانة بن بكر ابن عبد بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بلنسى الأصل ثم غرناطى الاستئصال شرَّق وغرَّب وعاد إلى غرناطة ، كان أديبا شاعراً مجيدا سنياً فاضلا نزيه الهمة سرىّ النفس كريم الأخلاق أنيق الطريقة كتب بسبتة عن أبى سعيد عثمان بن عبد المؤمن وبغرناطة عن غيره من ذوى قرابته وله فيهم أمداح كثيرة ثم نزع عن ذلك وتوجه إلى المشرق وجرت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته وإجادته ، ونظمه فائق ونثره بديع وكلامه المرسل سهل حسن وأغراضه جليلة ومحاسنه ضخمة وذكره شهير ورحلته نسيجة وحدها طارت كل مطار رحمه الله . قال من عُنى بخبره: رحل ثلاثاً من الأندلس إلى الشرق وحج فى كل واحدة منها فصَل عن غرناطة

أول ساعة من يوم الخميس لثمان خلون من شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمائة صحبة أبى جعفر بن حسان ثم عاد إلى وطنه غرناطة لثمان بقين من محرم عام أحد وثمانين ولقى أقواما يأتى التعريف بهم فى مشيخته وصنف الرحلة المشهورة وذكر مانقله فيها وما شاهده من عجائب البلدان وغرائب المشاهد وبدائع الصنائع ، وهو كتاب مؤنس ممتع مثير سواكن الأنفس إلى تلك المعالم. ولما شاع الخبر المبهج بفتح القدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى قوى عزمه على إعمال الرحلة الثانية فتحرك اليها من غرناطة يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول سنة خمس وثمانين وخمسمائة، ثم آب إلى غرناطة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة سبع وثمانين وسكن بغرناطة ثم بمالقة ثم بسبتة ثم بفاس منقطعا إلى إسماع الحديث والتصوف وترْوية ماعنده، وفضله بديع وورعه يحقق أعماله الصالحة . ثم رحل الثالثة من سبتة بعد موت زوجه عاتكة أم المجد بنت الوزير أبى جعفر الوقشى وكان كلفه بها جماً فعظم وجده عليها فوصل مكة وجاوربها طويلاً ثم ببيت المقدس ثم تحول لمصر والاسكندرية فأقام يحدث ويؤخذ عنه إلى أن لحق بربّه .

قال ابن الخطيب عن ابن جبير : روى بالأندلس عن أبيه وأبى الحسن بن محمد بن أبى العيش وأبى عبد الله بن أحمد بن عروس وابن الأصيلى وأخذ العربية عن الحجاج ابن يسعون، وبسبتة عن أبى عبد الله بن عيسى التميمى السبتى وأجازله أبو ابراهيم بن اسحق ابن عبد الله بن عيسى التميمى السبتى التونسى وأبو حفص عمر بن عبد المجيد عم القرشى الميَانجى نزيل مكة وأبو جعفر أحمد بن على القرطبى الفتكى وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن على بن ابراهيم بن محمد البغدادى وصدر الدين أبو محمد عبد اللطيف الخجندى رئيس الشافعية باصبهان وببغداد العالم الحافظ أبو الفرج وكنّاه أبو الفضل بن الجوزى وحضر مجالسه الوعظية فشاهد رجلاً ليس بعمرو ولا زيد وكل الصيد فى جوف الفرا. وبدمشق أبو الحسن أحمد بن حمزة بن على بن عبد الله بن عباس السلمى الحوارى وأبو سعيد عبد الله بن محمد ابن أبى عصرون وأبو الطاهر الخشوعى وسمع عليه وعماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهانى من أئمة الكتّاب وأخذ عنه بعض كلامه

وأبوالقاسم عبدالرحمن بن الحسين بن الاحصر بن على بن عساكر وسمع عليه وأبوالوليد اسماعيل بن على بن ابراهيم اه .

قلنا : أما أبو الحسن أحمد بن حمزه بن على بن عبد الله بن عباس السلمى فقد ورد فى شذرات الذهب ذكر عبد الكريم بن حمزة أبى محمد السلمى الدمشقى مسند الشام روى عن أبى القاسم الحنَّائى والخطيب وأبى الحسين بن مكى وكان ثقة توفى فى ذى القعدة سنة ست وعشرين وخمسمائة. وورد أيضاً ذكر أبى يعلى حمزة بن أحمد بن فارس بن كروَّس السلمى الدمشقى وكان شيخاً مباركاً حسن السمت توفى فى صفر سنة سبع وخمسين وخمسمائة وله أربع وثمانون سنة . وأما أبو طاهر بركات بن ابراهيم الخشوعى[1] مسند الشام فقد مات سنة ثمان وتسعين وخمسمائة عن تسع وثمانين سنة وقد ورد ذكره فى الجزء الرابع صفحة ٣٣٧ من شذرات الذهب. وقال ابن خلكان فى وفيات الأعيان:

(١) ويجدر بأن نذكر هنا من آثار الشيخ بركات بن ابراهيم الخشوعى توقيعاً له على سجل نسب أجداد محرر هـذه السطور فى اثبات حكم به قاضى القضاة محي الملة والدين أبو المعالى محمد بن أبى الحسن على بن محمد بن يحي بن على بن عبد العزيز بن على بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن عبد الرحمن بن أبان ابن عثمان بن عفان رضى الله عنه القرشى الشافعى المعروف بابن زكى الدين الذى كان لعهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وكانت له عنده المنزلة العالية وهو الذى خطب فى المسجد الأقصى فى أول جمعة بعد استخلاص صلاح الدين بيت المقدس من أيدى الافرنج وهى تلك الخطبة المشهورة وكان هذا الاثبات الذى حكم به القاضى ابن الزكى المشار اليه فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة. ونص شهادة أبى طاهر الخشوعى هكذا :

« شهد أبو الطاهر بركات ابن المرحوم الشيخ أبى اسحق ابراهيم ابن الشيخ أبى الفضل طاهر الخشوعى الدمشقى » وبعده مذكور شهادة العماد الأصفهانى وهى هكذا : « شهد كاتبه عماد الدين أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبى الفرج محمد بن حامد الاصفانى » : وبعده شهادة أبى محمد القاسم ثقة الدين على بن أبى محمد الحسن

انه أبو الطاهر بركات ابن الشيخ أبي اسحق ابراهيم ابن الشيخ أبي الفضل طاهر ابن بركات ابن ابراهيم بن على بن محمد بن أحمد بن العباس بن هاشم الخشوعى الدمشقى القُرشى بضم الفاء وسكون الراء وبعدها شين مثلثة ـ نسبة الى بيع الفرش ومثل ذلك الانماطى . قال ابن خلكان : كان له سماعات عالية واجازات تفرّد بها وألحق الأصاغر بالأكابر وانفرد بالاجازة من أبي محمد القاسم الحريرى البصرى صاحب المقامات وهو من بيت الحديث حدّث هو وأبوه وجدّه وسُئل أبوه : لم سُمّوا الخشوعيين ؟ فقال : كان جدنا الأعلى يؤم بالناس فتوفى فى المحراب فسمى الخشوعى نسبة الى الخشوع . وكان مولد أبي الطاهر المذكور بدمشق فى رجب سنة عشر وخمسمائة وتوفى ليلة السابع والعشرين من صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ودفن من الغد بباب الفراديس على والده رحمها الله تعالى . وأما عماد الدين أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبي الفرج محمد بن حامد الاصبهانى فيذكر الذهبى وفاته فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة وهو العماد الاصبهانى الكاتب الشهير كاتب السلطان صلاح الدين. قال ابن خلكان

الدمشقى وشهادة أبي مغيث شهاب بن صدقة البصروى وشهادة أبي منصور عبد الغفار ابن أبي الحسن طاووس الدمشقى وشهادة أبي اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندى النحوى وكتبه أبو عبد الله عثمان بن عمر الدمشقى . ذكرنا هذا لأجل اثبات معاصرة أبي طاهر الخشوعى للعماد الاصفهانى كاتب صلاح الدين يوسف ولابن جبير الأندلسى الذى نحن بصدده. وكانت وفاة أبي الطاهر الخشوعى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة أى بعد توقيعه هذا على نسب أجدادنا بثلاث سنوات وكانت وفاة أبي عبد الله محمد بن صفى الدين المعروف بالعماد الكاتب فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة. وأما أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندى فيقول ابن خلكان انه بغدادى المولد والمنشأ دمشقى الدار والوفاة سافر عن بغداد فى شبابه واستوطن حلب ثم انتقل إلى دمشق وصحب الأمير عز الدين فرّوخ شاه ابن أخى السلطان صلاح الدين إلى الديار المصرية ثم عاد إلى دمشق وكانت وفاته فيها سنة ثلاث عشرة وستمائة. وذكر الذهبى أيضاً وفاته فى تلك السنة وكان من النحاة المشهورين . وكانت وفاة ابن جبير الأندلسى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة فى الاسكندرية

فى الوفيات : أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبى الفرج محمد بن نفيس الدين أبى الرجاء حامد بن محمد بن عبد الله بن على بن محمود بن هبة الله الملقب عماد الدين الكاتب الأصبهانى المعروف بابن أخى العزيز كان العماد المذكور فقيهاً شافعى المذهب تفقه بالمدرسة النظامية زماناً وأتقن الخلاف وفنون الأدب وله من الشعر والرسائل مايغنى عن الاطالة فى شرحه وذكر منشأه باصبهان وقدومه لطلب العلم فى بغداد وانه اتصل بالوزير عون الدين يحيى ابن هبيرة ببغداد فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط فلما مات الوزير المذكور نكب أتباعه فهاجر العماد الأصبهانى الى دمشق فوصلها فى شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة وسلطانها يومئذ الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن اتابك زنكى وقاضيها كمال الدين بن الشهرزورى فتعرف به وعرفه أيضاً الأمير الكبير نجم الدين والد السلطان صلاح الدين . وفى تلك المدة تعرّف بصلاح الدين أيضاً . ولما توفى نور الدين زنكى نظمه صلاح الدين فى سلك جماعته واستكتبه واعتمد عليه فصار من الصدور المعدودين وكان ملازماً لصلاح الدين وله التآليف الكثيرة . ولما مات السلطان صلاح الدين اختلت أحوال العماد الأصبهانى فلزم بيته وأقبل علي التأليف وكانت ولادته سنة تسع عشرة وخمسمائة باصبهان وتوفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق وذكره صاحب شذرات الذهب فى الصفحة ٣٣٢ من الجزء الرابع وترجمته فى الشذرات لاتخرج عن مآل ترجمته فى الوفيات، وذكر انه تلاقى مع القاضى الفاضل عبد الرحيم ابن على البيسانى وزير صلاح الدين فقال له العماد : سِرْ فلا كبا بك الفرس . وهى جملة تقرأ طرداً وعكساً . فأجابه القاضى على البديهة : دام علاء العماد . وهى أيضاً تقرأ طرداً وعكساً . وكذلك ذكره الذهبى فى تاريخه فى من مات سنة سبع وتسعين وخمسمائه اه . وقد نقلنا تراجم هؤلاء الأعيان من المشارقة الذين أخذ عنهم ابن جبير الأندلسى نظراً لشهرتهم ولأجازاتهم لعلماء الأندلس. ونعود الى نقل ماقاله لسان الدين ابن الخطيب عن ابن جبير وهو مايأتى :

من أخذ عنه

قال ابن عبد الملك أخذ عنه أبو اسحق بن مهيب وابن الواعظ وأبو تمام ابن اسماعيل

وأبو الحسن بن نصر بن فاتح بن عبد الله البجائى وأبو الحسن على الشادى وأبو سليمان ابن حوط اللهوأبو زكريا وأبو بكر بن محمد يحيى بن أبى الغمر وأبو عبد اللهبن حسن بن مجير وأبو العباس بن عبد المؤمن البنانى وأبو محمد بن الحسن اللواتى وأبو محمد بن سالم وعثمان ابن سفيان بن أشقر التميمى التونسى

وممن أخذ عنه بالاسكندرية رشيد الدين أبو محمد عبدالكريم بن عطاء الله وبمصر رشيد الدين بن العطار ونخر القضاة بن الجباب وابنه جمال القضاة .

تصانيفه

منها نظمه . قال ابن عبد الملك وقفت منه على مجلد على قدر ديوان ابى تمام حبيب ابن أوس . وجزء سماه « نتيجة وجد الجوانح فى تأبين القرين الصالح» فى مراثى زوجه أم المجد . وجزء سماه « نظم الجمان فى التشكي من اخوان الزمان » وله ترسل بديع وحكم مستجادة وكتاب رحلته . وكان ابو الحسن الشادى يقول انها ليست من تصانيفه وإنما قيد معانى ما تضمنته فتولى ترتيبها وتنضيد معانيها بعض الآخذين عنه على ما تلقاه والله أعلم . قلت : هذا غير صحيح لان نسجه معروف وأسلوبه العالى واحد لا تختلف فيه جملة عن جملة وديباجة كلام ابن جبير لا تخفى على أحد .

شعره

من ذلك القصيدة الشهيرة التى نظمها وقد شارف المدينة المكرمة طيبة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

اقول وآنست بالليل نارا	لعل سراج الهدى قد انارا
وإلا فما بال أفق الدجى	كأن سنا البرق منه استنارا
ونحن من الليل فى حندس	فما باله قد تجلى نهارا
وهذا النسيم شذا المسك قد	أعير أم المسك منه استعارا
وكانت رواحلنا تشتكى	وجاها فقد سبقتنا ابتدارا
وكنا شكونا عناء السرى	فعدنا نبارى سراع المهارى
أظن النفوس قد استشعرت	بلوغ هوى تخذته شعارا

بشائر صبح السرى آذنت | فان الحبيب تدانى مزارا
جرى ذكر طيبة ما بيننا | فلا قلب فى الركب إلا وطارا
حنيناً الى احمد المصطفى | وشوقا يهيج الضلوع استعارا
ولاح لنا أُحُدٌ مشرقاً | بنور من الشهداء استعارا
فمن أجل ذلك ظل الدجى | يحل عقود النجوم انتشارا
ومن طرب الركب حث الخطى | اليها ونادى البدارا البدارا
ولما حللنا فناء الرسول | نزلنا بأكرم مجد جوارا
وحين دنونا لفرض السلام | قصرنا الخطى ولزمنا الوقارا
فما نرسل اللحظ إلا اختلاسا | وما نرجع الطرف إلا انكسارا
ولا نظهر اللفظ إلا اختلاسا | وما نرجع القول إلا سرارا
سوى أننا لم نطق أعينا | بأدمعها غلبتنا انفجارا
وقفنا بروضة دار السلام | نعيد السلام عليها مرارا
ولولا مهابته فى النفوس | لثمنا الثرى والتزمنا الجدارا
قضينا بزورته حجّنا | وبالعمرتين ختمنا اعتمارا
اليك اليك نبيَّ الهدى | ركبت البحار وجبْت القفارا
وفارقت أهلى ولا منَّة | ورب كلام يجر اعتذارا
وكيف تمنّ على من به | نؤمل للسيئات اغتفارا
دعانى اليك هوى كامن | أثار من الشوق ما قد أثارا
فناديت لبيك داعى الهوى | على وقلت رضيت اختيارا
أخوض الدجى وأروض السرى | ولا أطعم النوم إلا غرارا
ولو كنت لا أستطيع السبيل | لطرت ولولم أصادف مطارا[١]

---

(١) كأن ابن جبير ينطق بما فى ظهر الغيب فقد جاء وقت صار الناس فيه يؤمون الحجاز بالطيارات

عسى لحظة منك لى فى غد ... تمهد لى فى الجنان القرارا
فما ضل من بسراك اهتدى ... ولا ذل من بذراك استجارا

وفى غبطة من منّ الله عليه بحج بيته وزيارة قبر نبيه ﷺ يقول :

هنيئاً لمن حج بيت الهدى ... وحط عن النفس أوزارها[1]
فان السعادة مضمونة ... لمن حج طيبة أوزارها

وفى مثل ذلك يقول :

اذا بلغ المرء أرض الحجاز ... فقد نال أفضل ما أمّله
وان زار قبر نبيّ الهدى ... فقد كمّل الله ما امّ له

وقال فى تفضيل المشرق

لايستوى شرق البلاد وغربها ... الشرق حاز الفضل باستحقاق
انظر ترى للشمس عند طلوعها ... زهواً يزيد ببهجة الاشراق
وانظر لها عند الغروب كهيئة ... صفراء تعقب ظلمة الآفاق
وكفى بيوم طلوعها من غربها ... أن تؤذن الدنيا بعزم فراق

وقال فى الوصايا:

عليك بكتمان المصائب واصطبر ... عليها فما أبقى الزمان شقيقا
كفاك بشكوى الناس اذذاك انها ... تسر عدواً أو تسىء صديقا

وقال :

ومصانع المعروف فلتة عاقل ... ان لم تضعها فى محل عاقل

---

(١) هذا الجناس المركب قد ورد أيضاً فى شعر آخر . فقد قيل فى قبر محي الدين بن عربى فى صالحية الشام :

قبر محي الدين ابن العربى ... كل من لاذ به أو زاره
قضيت حاجاته من بعد ما ... غفر الله له أوزاره

وهو كلام يستغفر الله عليه

كالنفس فى شهواتها ان لم تكن　　وقفاً لها عادت بضر عاجل

نثره

من حكمه قوله: ان شرف الانسان فبشرف وإحسان . وان فاق فبفضل وارفاق. ينبغى أن يحفظ الانسان لسانه كما يحفظ الجفن انسانه . فرب كلمة تقال تحدث عثرة لاتقال . كم كست فلتات الألسنة الحداد من ورائها ملابس حداد . نحن فى زمان لايحصل فيه نفاق الا من عامل بالنفاق . شغل الناس عن الطريق بزخارف الأعراض فنسوا الصدود عنها والإعراض . . آثروا دنيا هى أضغاث أحلام وكم هفت فى حبها من أحلام . وأطالوا فيها آمالهم وقصروا أعمالهم. ما بالهم لم يتفرغوا لغيرها، مالهم فى غير ميدانها استباق ولا لسوى هواها اشتياق . تالله لو كشفت الأسرار لما كان هذا الاصرار ، ولسهرت العيون وتفجر من شؤنها الجفون . لو أن عين البصيرة من سنتها هابّة لرأت مافى الدنيا ريحاً هابة . ولكن استولى العمى على البصائر ولا يعلم الانسان مااليه صائر، وأسأل الله هداية سبيله ورحمة تورد نسيم الفردوس وسلسبيله . انه الحنان المنان لارب سواه .

فلتات الهبات أشبه شئ بفلتات الشهوات . منها نافع لا يعقب ندما، ومنها ضار يبقى فى النفس ألما . فضرر الهبة وقوعها عند من لا يعتقد لحقها أداء وربما أثرت عنده اعتداء . وضرر الشهوات أن لا توافق ابتداء فتصير لمتبعها داء . مثلها كمثل السكر يلتذ صاحبه بحلاوة جناه فاذا صحا عرف ما قد جناه . وعكس هذه القضية هى الحالة المرضية .

مولده

ببلنسية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة . وقيل بشاطبة فى هذا التاريخ

وفاته

توفى بالاسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان سنة أربع عشرة وستمائة وكان أبو الحسن بن الحسين بن جبير المترجم به قد نال بالأدب دنيا عريضة ثم

رفضها وزهد فيها (وقال صاحب الملتمس) فى حقه : الفقيه الكاتب أبو الحسين بن جبير ممن لقيته وجالسته كثيراً ورويت عنه وأصله من شاطبة وكان أبو جعفر من كتابها ورؤسائها ذكره ابن اليسع فى تاريخه ونشأ أبو الحسين على طريقة أبيه وتولع بغرناطة فسكن بها. قال ومما أنشدنيه قوله يخاطب أبا عمران الزاهد باشبيلية :

أبا عمران قد خلفت قلبى — لديك وأنت أهل للوديعة

صحبت بك الزمان أخا وفاء — فها هو قد تنمر للقطيعة

قال وكان من أهل المروءات عاشقا فى قضاء الحوائج والسعى فى حقوق الاخوان والمبادرة لايناس الغرباء وفى ذلك يقول :

يحسب الناس بأنى متعب — فى الشفاعات وتكليف الورى

والذى يتبعهم من ذاك لى — راحة فى غيرها لن أفكرا

وبودّى لو أقضى العمر فى — خدمة الطلاب حتى فى الكرى

قال ومن أبدع ما أنشده رحمه الله أول رحلته :

طال شوقى الى بقاء ثلاث — لا تشد الرحال الا اليها

ان للنفس فى سماء المعالى — طائراً لا يحوم الا عليها

قص منه الجناح فهو مهيض — كل يوم يرجو الوقوع لديها

وعاد رحمه الله الى الأندلس بعد رحلته الأولى التى حل فيها دمشق والموصل وبغداد وركب الى المغرب من عكا مع الافرنج فعطب فى خليج صقلية الضيق وقاسى شدائد الى أن وصل الأندلس سنة ٥٨١ ثم أعاد السير الى المشرق بعد مدة الى أن مات بالاسكندرية كما تقدم ومن شعره أيضا :

لى صديق خسرت فيه ودادى — حين صارت سلامتى منه ربحا

حسن القول سيء الفعل كالجز — ار سمى وأتبع القول ذبحا

وحدث رحمه الله بكتاب الشفاء عن أبى عبد الله محمد بن عيسى التميمى عن القاضى عياض. ولما قدم مصر سمع منه الحافظان أبو محمد المنذرى وأبو الحسين يحيى بن على القرشى. وتوفى ابن جبير بالاسكندرية يوم الأربعاء السابع والعشرين من شعبان

سنة ٦١٤ والدعاء عند قبره مستجاب قاله ابن الرقيق رحمه الله . وقال (أبو الربيع بن سالم) أنشدنى أبو محمد عبد الله بن التميمى البجائى ويعرف بابن الخطيب لأبى الحسين ابن جبير وقال وهو مما كتب إلىّ به من الديار المصرية فى رحلته الأخيرة لما بلغه ولايتى قضاء سبتة وكان أبو الحسين سكنها قبل ذلك وتوفيت هنالك زوجته بنت أبى جعفر الوقشى فدفنها بها :

بسبتة لى سكن فى الثرى　　وخل كريم اليها أتى
فلو أستطيع ركبت الهوى　　فزرت بها الحى والميتا

وأنشد ابن جبير رحمه الله لنفسه عند صدوره عن الرحلة الأولى الى غرناطة أو فى طريقها قوله :

لنحو أرض المنى من شرق أندلس　　شوق يؤلف بين الماء والقبس

الى آخرها

وقال رحمه الله :

وانى لاوثر من أصطفى　　وأغضى على زلة العاثر
وأهوى الزيارة ممن أحب　　لاعتقد الفضل للزائر .

وقال رحمه الله :

عجبت للمرء فى دنياه تطمعه　　فى العيش والأجل المحتوم يقطعه
يمسى ويصبح فى عشواء يخبطها　　أعمى البصيرة والأعمال تخدعه
يغتر بالدهر مسروراً بصحبته　　وقد تيقن أن الدهر يصرعه
ويجمع المال حرصاً لا يفارقه　　وقد درى انه للغير يجمعه
تراه يشفق من تضييع درهمه　　وليس يشفق من دين يضيعه
وأسوأ الناس تدبيراً لعاقبة　　من أنفق العمر فيما ليس ينفعه

وقال :

صبرت على غدر الزمان وجعده　　وشاب لى السم الذعاف بشهده
وجربت اخوان الزمان فلم أجد　　صديقاً جميل الغيب فى حال بعده

وكم صاحب عاشرته وألفته ... فما دام لى يوماً على حسن عهده
وكم غرنى تحسين ظنى به فلم ... يضئ لى على طول اقتداحى لزنده
وأغرب من عنقاء فى الدهر مغرب ... أخو ثقة يسقيك صافىَ وده
بنفسك صادم كلَّ أمرٍ تريده ... فليس مضاء السيف إلا بحده
وعزمك جردْ عنـد كل مهمة ... فما نافع مكث الحسام بغمده
وشاهدت فى الأسفار كل عجيبة ... فلم أر من قد نال جَداً بِجِدّه
فـكن ذا اقتصاد فى أمورك كلها ... فاحسن أحوال الفتى حسن قصده
وما يحرم الانسان رُزقاً لعجزه ... كما لا ينال الرزق يوماً بكده
حظوظ الفتى من شقوة وسعادة ... جرت بقضاء لا سبيل لرده

وقال :

الناس مثل ظروف حشوها صبر ... وفوق أفواهها شئ من العسل
تغرُّ ذائقها حتى اذا كشفت ... له تبين ما تحويه من دَخَل

وقال :

تغير اخوان هـــذا الزمان ... وكل صديق عراه الخلل
وكانوا قديماً عـــلى صحة ... فقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم ... فصرت أطالع باب البدل

انتهى بتصرف. ولابن جبير رحمه الله تعالى :

من الله فاسأل كل أمر تريده ... فما يملك الانسان نفعا ولا ضرا
ولا تتواضع للولاة فانهـم ... من الكبر فى حال تموج بهم سكرا
واياك أن ترضى بتقبيل راحة ... فقد قيل عنها انها السجدة الصغرى

وهو نحو قول القائل:

أيهـا المستطيل بالبغى أقصر ... ربما طأطأ الزمان الرؤسا
وتذكر قول الاله تعـالى ... ان قارون كان من قوم موسى

وقال وقد شهد العيد بطندة من قرى مصر :

شهدنا صلاة العيد فى أرض غربة بأجواز مصر والأحبة قد بانوا
فقلت لخلى فى النوى جد بمدمع فليس لنا إلا المدامع قربان

وقال ابن جبير :

قد أحدث الناس أموراً فلا تعمل بها ابى امرئ ناصح
فما جماع الخير إلاّ الذى كان عليه السلف الصالح

وقال :

رب ان لم تؤتنى سعة فاطوِ عنى فضلة العمر
لا أحب اللبث فى زمن حاجتى فيه إلى البشر
فهم كسر لمنجبر ماهم جبر لمنكسر

ولما وصل ابن جبير رحمه الله مكة ١٣ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ أنشد قصيدته التى أولها

بلغت المنى وحللت الحرم فعاد شبابك بعد الهرم
فأهلاً بمكة أهلاً بها وشكراً لمن شكره يلتزم

وهى طويلة وسيأتى بعضها . وقال رحمه الله عند تحركه للرحلة الحجازية :

أقول وقد دعا للخير داع حنت له حنين المستهام
حرام أن يلذ لى اغتماض ولم أرحل إلى البيت الحرام
ولا طافت بى الآمال ان لم أطف مابين زمزم والمقام
ولا طابت حياة لى إذا لم أزر فى طيبة خير الأنام
وأهديه السلام واقتضيه رضى يدنى إلى دار السلام

ولنختم ترجمته بقوله :

أحب النبى المصطفى وابن عمه عليا وسبطيه وفاطمة الزهرا
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم وأطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم وحبهم أسنى الذخائر للأخرى
وما أنا للصحب الكرام ببغض فانى أرى البغضاء فى حقهم كفرا

همُ جاهدوا فى الله حق جهاده ... وهم نصروا دين الهدى بالظبى نصرا
عليهم سلام الله مادام ذكرهم ... لدى الملأ الأعلى وأكرم به ذكرا

وقوله فى آخر الميمية:

نبى شفاعته عصمة ... فيوم التنادى به يعتصم
عسى أن تجاب لنا دعوة ... لديه فنكفى بها ما أهم
ويرعى لزوّاره فى غدٍ ... ذماما فما زال يرعى الذمم
عليه السلام وطوبى لمن ... ألم بتربته فاستلم
أخى كم تتابع أهواءَب ... وتخبط عشواؤها فى الظلم
رويدك جُزتَ فعج واقتصد ... أمامك نهج الطريق الأعم
وتب قبل عض بنان الأسى ... ومن قبل قرعك سن الندم

ومنها:

وقل رب هب رحمة فى غد ... لعبدٍ بوسم العصاة اتسم
جرى فى ميادين عصيانه ... مسيئاً ودان بكفر النعم
فيارب صفحك عما جنى ... ويارب عفوك عما اجترم

وقال المقرى رحمة الله عليه فى الباب السابع من كتابه مانصه : ومن الحكايات فى فى مروءة أهل الأندلس ماذكره صاحب الملتمس فى ترجمة الكاتب الأديب الشهير أبى الحسين بن جبير صاحب الرحلة وقد قدمنا ترجمته فى الباب الخامس من هذا الكتاب وذكرنا هنالك أنه كان من أهل المروءات عاشقاً فى قضاء الحوائج والسعى فى حقوق الاخوان وأنشدنا هنالك قوله: (يحسب الناس بأنى متعب الخ) وقد ذكر ذلك كله صاحب الملتمس ثم قال (أعنى صاحب الملتمس) : ومن أغرب ما يحكى أنى كنت أحرص الناس على أن أصاهر قاضى غرناطة أبا محمد عبد المنعم بن الفرس فجعلته يعنى أبا جبير الواسطة حتى تيسر ذلك فلم يوفق الله مابينى وبين الزوجة فجئته وشكوت له ذلك فقال : أنا ما كان القصد بى فى اجتماعكما ولكن سعيت جهدى فى غرضك وها أنا أسعى أيضا فى افتراقكما اذهو من غرضك وخرج فى الحين ففصل القضية. ولم أر

فى وجهه أولاً ولا أخيراً عنوانا لامتنان. ثم انه طرق بابى ففتحت له ودخل وفى يده محفظة فيها مائة دينار مؤمنية فقال : ياابن أخى اعلم انى كنت السبب فى هذه القضية ولم أشك أنك خسرت فيها مايقارب هذا القدر الذى وجدته الآن عند عمك فبالله الا ماسررتنى بقبوله فقلت له : أنا ما أستحى منك فى هذا الأمر والله ان أخذت هذا المال لأتلفنه فيما أتلفت فيه مال والدى من أمور الشباب ولا يحل لك أن تمكننى به بعد أن شرحت لك أمرى، فتبسم وقال : لقد احتلت فى الخروج عن المنة بحيلة وانصرف بماله انتهى. ثم قال صاحب الملتمس : وتذاكرنا يوماً بمعه حالة الزاهد أبو عمران المارتلى فقال : صحبته مدة فما رأيت مثله وأنشدنى شعرين مانسيتهما ولا أنساهما مااستطعت، فالأول قوله :

الى كم أقول فلا أفعل وكم ذا أحوم ولا أنزل
وأزجر عينى فلا ترعوى وأنصح نفسى فلا تقبل
وكم ذا تعلل لى ويحها بعل وسوف وكم تمطل
وكم ذا أومل طول البقا وأغفل والموت لايغفل
وفى كل يوم ينادى بنا منادى الرحيل ألا فارحلوا
أمن بعد سبعين أرجو البقا وسبع[١] أتت بعدها تعجل
كأن بى وشيكاً الى مصرعى يساق بنعشى ولا أمهل
فياليت شعرى بعد السؤال وطول المقام لما أنقل

والثاني قوله:

اسمع أخى نصيحتى والنصح من محض الديانة
لا تقربن الى الشها دة والوساطة والأمانة
تسلم فلا تعزى لزو ر أو فضول أو خيانة

قال فقلت له : أراك لم تعمل بوصيتك فى الوساطة فقال ما ساعدتنى رقة وجهى

---

(١) من هنا يفهم أنه لناظم هذا الشعر كان ابن سبع وسبعين وهذا ينقض قول من قال انه مات عن خمس وسبعين

على ذلك. انتهى

وفى كتاب رحلة العبدرى ما صورته قال: وأنشدنى (شيخنا أبو زيد) أيضاً قال: أنشدنى أبو عمرو بن الشقر. قال أنشدنى الفقيه الزاهد المنقطع الى الله بمهجته أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى بالاسكندرية لنفسه:

تأن فى الأمر لاتكن عجلا فمن تأنى أصاب أو كادا
وكن بحبل الإله معتصما تأمن به بغى كلّ مَن كادا
فمن رجاه فنال بغيته عبد مسىء بنفسه كادا
ومن تطل صحبة الزمان له يلق خطوبا به وأنكادا

وبنحوه له

ذدالعقل عن لحظة فى الهوى فان البصيرة طوع البصر
وغض جفونك عن عفة فان زناء العيون النظر

وأنشدنى أيضا بمثله:

أما فى الدهر معتبر ففيه الصفو والكدر
فسلنى عن تقلبه فعند جهينة الخبر
صحبناه الى أجل نراقبه ونحتذر
فياعجبا لمرتحل ولا يدرى متى السفر

وقال العبدرى أيضاً بعد وصفه الاسكندرية وعجائبها: ومن الأمر المستغرب والحال الذى أفصح عن قلة دينهم أنهم يعترضون الحجاج ويجرعونهم من بحر الاهانة الملح الأجاج ويأخذون على وفدهم الطرق والفجاج يبحثون عما بأيديهم من مال ويأمرون بتفتيش النساء والرجال وقد رأيت من ذلك يوم ورودنا عليهم ما اشتد له عجبى وجعل الانفصال عنهم غاية أربى، وذلك لما وصل اليها الركب جاءت شرذمة من الحرس لاحرس الله مهجهم الخسيسة ولا أعدم منهم لأسد الآفات فريسة فمدوا فى الحجاج أيديهم وفتشوا الرجال والنساء وألزموهم أنواعاً من المظالم وأذاقوهم ألوانا من الهوان ثم استحلفوهم وراء ذلك كله وما رأيت هذه العادة الذميمة والشيمة اللئيمة

فى بلدةٍ من البلاد ولا رأيت فى الناس أقسى قلوبا ولا أقل حياء ومروءة ولا أكثر اعراضا عن الله سبحانه وجفاء لأهل دينه من أهل هذا البلد نعوذ بالله من الخذلان فلو شاء لاعتدل المائل وانتبه الوسنان، وكنت إذ رأيت فعل المذكورين ظننت ان ذلك أمر أحدثوه حتى حدثنى نور الدين أبو عبد الله بن زين الدين أبى الحسن يحيى بن الشيخ وجيه الدين أبى علي منصور بن عبد العزيز بن حباسة الاسكندرى بمدرسة جده المذكور حكاية اقتضت ان لهم فى هذا الفضائح سلفا غير صالح وذلك انه حدثنى املاءً من كتابه قال حدثنى الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد السبتى الحميرى بثغر الاسكندرية سنه ٦٦٢ قال حدثنى الشيخ الامام المحدث أبو الحسين محمد ابن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى سنة ٦١١ انه ورد إلى الاسكندرية فى ركب عظيم من المغاربة برسم الحج فأمر الناظر على البلاد بعد اليد فيهم للتفتيش والبحث عما بأيديهم ففتش الرجال والنساء وهتكت حرمة الحرم ولم يكن فيهم ابقاء على أحد قال فلما جاءتنى النوبة وكانت معى حرم ذكرتهم بالله ووعظتهم فلم يعرجوا على قولى ولا التفتوا إلى كلامى وفتشونى كما فتشوا غيرى فاستخرت الله تعالى ونظمت هذه القصيدة ناصحاً لأمير المسلمين صلاح الدين يوسف بن أيوب ومذكراً بالله فى حقوق المسلمين ومادحا له فقلت :

أطلّت على أفقك الزاهر ... سعود من الفلك الدائر
فابشر فان رقاب العدى ... تمد الى سيفك البائر
وعما قليل يحل الردى ... بكيدهم الناكث الغادر
وخصب الورى يوم يسقى الثرى ... سحائب من دمها الهامر
فكم لك من فتكة فيهم ... حكت فتكة الأسد الخادر
كسرت صليبهم عنوة ... فلله درك من كاسر
وغيرت آثارهم كلها ... فليس لها الدهر من جابر
وأمضيت جدك فى غزوهم ... فتعسا لجدهم العاثر

فأدبر ملكهم بالشآم ... وولى كأمسهم الدابر
جنودك بالرعب منصورة ... فناجز متى شئت أو صابر
فكلهم غارق هالك ... بتيار عسكرك الزاخر
ثأرت لدين الهدى فى العدى ... فآثرك الله من ثائر
وقمت بنصر إله الورى ... فسماك بالملك الناصر
وتسهر جفنك فى حق من ... سيرضيك فى جفنك الساهر
فتحت القدس من أرضه ... فعادت الى وصفها الطاهر
وجئت الى قدسه المرتضى ... فخاصته من يد الكافر
وأعليت فيه منار الهدى ... وأحييت من رسمه الدائر
لكم ذخر الله هذى الفتوح ... من الزمن الأول الغابر
وكم خص من بعدما زدته ... بها لاصطناعك فى الآخر
محبتكم ألقيت فى النفوس ... بذكر لكم فى الورى طاهر
فكم لهم عند ذكر الملوك ... بمثلك من مثل سائر
رفعت مغارم أرض الحجاز ... بانعامك الشامل الغامر
وآمنت أكناف تلك البلاد ... فهان السبيل على العابر
وسحب أياديك فياضة ... على وارد وعلى صادر
فكم لك بالشرق من حامد ... وكم لك فى الغرب من شاكر
وكم بالدعاء لكم كل عام ... بمكة من معلن جاهر

ومنها عمن يظلم الحجاج

يعنت حجاج بيت الاله ... ويسطو بهم سطوة الجائر
ويكشف عما بأيديهم ... وناهيك من موقف صاغر
وقد أوقفوا بعدما كوشفوا ... كأنهم فى يد الآسر
ويلزمهم حلفاً باطلاً ... وعقبى اليمين على الفاجر
وإن عرضت بينهم حرمة ... فليس لها عنه من ساتر
أليس يخاف غداً عرضه ... على الملك القادر القاهر

وليس على حرم المسلمين … بتلك المشاهد من غائر
ولا حاضر نافع زجره … فيا ذلة الحاضر الزاجر
ألا ناصح مبلغ نصحه … الى الملك الناصر الظافر
ظلوما تضمن مال الزكاة … لقد نفست صفقة الخاسر
يسر الخيانة فى باطن … ويبدى النصيحة فى الظاهر
فاوقع به حادثاً انه … يقبح أحدوثة الذاكر
فما للمناكر من زاجر … سواك وبالعرف من آمر
وحاشاك ان لم تزل رسمها … فما لك فى الناس من عاذر
ورفعك أمثالها موسعاً … رداء فخارك من ناشر
وآثارك الغر تبقى بها … وتلك المآثر للآثر
نذرت النصيحة فى حقكم … وحق الوفاء على الناذر
وحبك ألطفنى بالقريض … وما أبتغى صلة الشاعر
ولا كان فيما مضى مكسبى … وبئس البضاعة للتاجر
اذا الشعر صار شعار الفتى … فناهيك من لقب شاهر
وإن كان نظمى له نادراً … فقد قيل لا حكم للنادر
ولكنها خطرات الهوى … تعن فتغلب بالخاطر
وأما وقد زار تلك العلى … فقد فاز بالشرف الباهر
وان كان منك قبول له … فتلك الكرامة للزائر
ويكفيك سمعك من سامع … ويكفيك لحظك للناظر
ويزهى على الروض غب الحيا … بما حاز من ذكرك العاطر

قلت هكذا حدثنى أبو عبد الله بهذه الحكاية وقد وقعت فى كتابه مشهورة لم يذكر فيه إلا ما أثبته وبالله التوفيق

وأنشدنى أبو عبد الله أيضاً عن أبى العباس المذكور عن ابن جبير قصيدة نظمها ارتجالا حين تراءت له مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى هذه الأبيات

أقول وآنست . الأبيات

وقال على بن ظافر فى « بدائع البدائه » أنبأنى المسكين : نزلت من القرافة لوداع الاجل أبى الحسين بنجبير فقال : كنت على المجىء اليك، فقات : وهمة سيدى هى التى أتت به . فسألنى عن القرافة فقلت هى موضع يصلح للخير والشر من طلب شيئا وجده فقال : خذ هذه الحكاية كنت متفرجا فى مكان وبت به ثم أقبلت منه بكرة فلقينى تلميذ لى فقال:

من أين أقبلت يامن لا نظير له ومن هو الشمس والدنيا له فلك

فأجبته مسرعاً :

من موضع تعجب النساك خلوته وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا

ولقد أطلنا فى أخبار ابن جبير الأندلسى زيادةً على كل أندلسى وذلك لزيادة شهرته لا سيما فى المشرق الذى طال تردداه اليه واختلاطه بأهله واجتماعه بعلمائه . ولما كانت شهرته فى نثره لا فى نظمه وهذه رحلته المتداولة بين جميع الأيدى أعظم شاهد على ملكه أعنة البيان وكونه فى النثر الفذ المشار اليه بالبنان نقلنا هنا أمثلة من هذه الرحلة السَرِيَّة وعباراتها العبقرية وحَلَّينا بنقلها جيد هذا التاريخ ليكون له حظ من الأدب فضلاً عن تمثيل حالة الشرق فى ذلك العصر واظهار مابين الشرق وصنوه الغرب من الناسبات والعلاقات ولا سيما لما فى هذه الرحلة من وصف البيت الحرام وذكر المشاعر العظام وزيارة مرقد الرسول عليه الصلاة والسلام

شهر رمضان المعظم عرفنا الله بركته

استهل هلاله ليلة الاثنين التاسع عشر لدجنبر عرفنا الله فضله وحقه ورزقنا القبول فيه وكان صيام أهل مكة له يوم الأحد بدعوى فى رؤية الهلال لم تصح لكن أمضى الأمير ذلك ووقع الايذان بالصوم بضرب دبادبه ليلة الأحد المذكور لموافقته مذهبه ومذهب شيعته العلويين ومن اليهم لأنهم يرون صيام يوم الشك فرضاً حسبما يذكر

والله أعلم بذلك . ووقع الاحتفال فى المسجد الحرام لهذا الشهر المبارك وحُق ذلك من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعيل وغير ذلك من الآلات حتى تلألأ الحرم نورا وسطع ضياء وتفرقت الأئمة لاقامة التراويح فرقاً فالشافعية فوق كل فرقة منها قد نصبت إماماً لها فى ناحية من نواحى المسجد والحنبلية كذلك والحنفية كذلك والزيدية وأما المالكية فاجتمعت على ثلاثة قراء يتناوبون القراءة وهى فى هذا العام أحفل جمعاً وأكثر شمعاً لأن قوماً من التجار المالكيين تنافسوا فى ذلك فجلبوا لامام الكعبة شمعاً كثيراً من أكبره شمعتان نصبتا أمام المحراب فيهما قنطار وقد حفت بهما شمع دونهما صغار وكبار فجاءت جهة المالكية تروق حسناً وترتمى الأبصار نوراً وكاد لا يبقى فى المسجد زاوية ولا ناحية الا وفيها قارئ يصلى بجماعة خلفه فيرتج المسجد لأصوات القراءة من كل ناحية فتعاين الأبصار وتشاهد الأسماع من ذلك مرأى ومستمعاً تنخلع له النفوس خشيةً ورقّةً ، ومن الغُرباء من اقتصر على الطواف والصلاة فى الحجر ولم يحضر التراويح ورأى أن ذلك أفضل ما يغتنم وأشرف عمل يلتزم وما بكل مكان يوجد الركن الكريم والملتزم. والشافعى فى التراويح أكثر الأئمة اجتهاداً وذلك أنه يكمل التراويح المعتادة التى هى عشر تسليمات ويدخل الطواف مع جماعة فاذا فرغ من الأسبوع وركع عاد لاقامة تراويح أُخر وضرب بالفرقعة الخطيبية المتقدمة الذكر ضربة (يسمعها) المسجد لعلو صوتها كأنها إيذان بالعود الى الصلاة فاذا فرغوا من تسليمتين عادوا لطواف أسبوع فاذا أكملوا ضربت الفرقعة وعادوا لصلاة تسليمتين ثم عادوا للطواف هكذا الى أن يفرغوا من عشر تسليمات فيكمل لهم عشرون ركعة ثم يصلون الشفع والوتر وينصرفون وسائر الأئمة لا يزيدون على العادة شيئاً والمتناوبون لهذه التراويح القامية خمسة أئمة أولهم امام الفريضة وأوسطهم صاحبنا الفقيه الزاهد الورع أبو جعفر بن (على) الفنكى القرطبى وقراءته ترق الجمادات خشوعا وهذه الفرقعة المذكورة تستعمل فى هذا الشهر المبارك وذلك أنه يضرب بها ثلاث ضربات عند الفراغ من أذان المغرب ومثلها عند الفراغ من أذان العشاء. وهى لا محالة من جملة البدع المحدثة فى هذا المسجد المعظم قدسه الله

والمؤذن الزمزمى يتولى التسحير فى الصومعة التى فى الركن الشرقى من المسجد بسبب قربها من دار الأمير فيقوم فى وقت السحور فيها داعياً ومذكراً ومحرضاً على السحور ومعه أخوان صغيران يجاوبانه ويقاولانه وقد نصبت فى أعلى الصومعة خشبة طويلة فى رأسها عود كالذراع وفى طرفيه بكرتان صغيرتان يرفع عليهما قنديلان من الزجاج كبيران لا يزالان يقدان مدة التسحير فاذا قرب تبين خيطى الفجر ووقع الايذان بالقطع مرة بعد مرة حط المؤذن المذكور القنديلين من أعلى الخشبة وبدأ بالأذان وثوّب المؤذنون من كل ناحية بالاذان وفى ديار مكة كلها سطوح مرتفعة فمن لم يسمع نداء التسحير ممن يبعد مسكنه عن المسجد يبصر القنديلين يقدان فى أعلى الصومعة فاذا لم يبصرهما علم أن الوقت قد انقطع. وفى ليلة الثلاثاء الثانى من الشهر مع العشى طاف الأمير مكثر بالبيت مودعاً وخرج للقاء الأمير سيف الاسلام (طغتكين) ابن أيوب أخى صلاح الدين وقد تقدم الخبر بوروده من مصر[1] منذ مدة ثم تواتر إلى أن صح وصوله إلى الينبوع وانه عرج إلى المدينة لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدمت أثقاله الى الصفراء والمتحدث به فى وجهته قصد اليمن لاختلاف وقع فيها وفتنة حدثت من أمرائها لكن وقع فى نفوس المكيين منه ايحاش خيفة واستشعار خشية فخرج هذا الأمير المذكور متلقياً ومسلماً وفى الحقيقة مستسلماً والله تعالى يعرّف المسلمين خيراً. وفى ضحوة يوم الأربعاء الثالث من الشهر المبارك المذكور كنا جلوساً بالحجر المكرم فسمعنا دبادب الأمير مكثر وأصوات نساء مكة يولولن عليه فبينا نحن كذلك دخل منصرفاً من لقاء الأمير سيف الاسلام المذكور وطائفاً بالبيت المكرم طواف التسليم والناس قد أظهروا الاستبشار لقدومه والسرور

---

(١) جاء فى كتاب التاريخ لصاحب حماه تأليف تاج الدين شاهنشاه بن أيوب: ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة وكان صلاح الدين وأهله خائفين من نور الدين فاتفق رأيهم على تحصيل مماكة غير مصر بحيث ان قصدهم نور الدين قاتلوه فان هزمهم التجأوا الى تلك المماكة فجهز صلاح الدين أخاه توران شاه الى النوبة فلم تعجبهم بلادها ثم سيرّه فى هذه السنة بعسكر الى اليمن ثم قال ما محصله: ان توران شاه انتزع

بسلامته وقد شاع الخبر بنزول سيف الاسلام الزاهر[1] وضرب أبنيته فيه ومقدمته من العسكر قد وصلت الى الحرم وزاحمت الأمير مكثر فى الطواف فبينا الناس ناظرون اليهم اذ سمعوا ضوضاء عظيمة وزعقات هائلة فراعهم إلا الأمير سيف الاسلام داخلاً من باب بنى شيبة ولمعان السيوف أمامه يكاد يحول بين الابصار وبينه والقاضى عن يمينه وزعيم الشيبيين عن يساره والمسجد قد ارتج وغص بالنظارة والوافدين والأصوات بالدعاء له ولأخيه صلاح الدين قد علت من الناس حتى صكت الاسماع وأذهلت الأذهان والمؤذن الزمزمى فى مرقبته رافعاً عقيرته بالدعاء له والثناء عليه وأصوات الناس تعلو على صوته والهول قد عظم مرأى ومستمعاً ، فلحين دنو الأمير من البيت المعظم أغمدت السيوف وتضاءلت النفوس وخلعت ملابس العزة وذلت الأعناق وخضعت الرقاب وطاشت الألباب مهابة وتعظيما لبيت ملك الملوك العزيز الجبار الواحد

اليمن من يد صاحبه عبد النبى وهجم زبيد وملكها وأسر عبد النبى وافتتح عدن وأسر صاحبها ياسر ودخلت تلك البلاد فى مملكة صلاح الدين . وذكر فى حوادث سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ان صلاح الدين أرسل أخاه سيف الاسلام طغتكين الى اليمن ليقطع الفتن منها ويملكها فذهب وتغلب على الأمراء الذين كانوا بها مثل حطان بن منقذ الكنانى وعز الدين عثمان الزنجيلى وقد كان توران شاه وهو أخو صلاح الدين الأكبر توفى فى الاسكندرية فى سنة ٥٧٦ وكان له نواب على اليمن فاختلت بعد وفاته أمور اليمن فبعد سنين من وفاته أرسل صلاح الدين أخاه الآخر طغتكين الى اليمن وكانت هى السنة التى حج فيها ابن جبير أى سنة ٥٧٨ نصادفه فى البيت الحرام حاجاً ومنه سافر الى اليمن

(١) الزاهر هو الذى يقال له اليوم فى مكة « الشهداء » وهو بسيط من الأرض متسع الرقعة تحيط به آكام من الرمل والحجارة وتسيل فى وسطه عين ماء عليها بستان نضير وحرّ هذه البقعة أخف بكثير من حرّ مكة المكرمة بحيث ان كثيرين من أهل مكة يصعدون عند الغروب الى الزاهر فيبيتون فيه تحت النجم ولايشعرون بشئ من حرارة البلد الحرام ومنهم من لهم فى الزاهر مرتبعات ومصايف

القهار مؤتى الملك من يشاء ونازع الملك ممن يشاء سبحانه جات قدرته وعز سلطانه ثم تهافتت هذه العصابة الغزّية (١) على بيت الله العتيق تهافت الفراش على المصباح وقد نكس أذقانهم الخضوع وبات سبالهم الدموع وطاف القاضي وزعيم الشيبيين بسيف الاسلام والأمير بمكثر قد غمره ذلك الزحام فأسرع فى الفراغ من الطواف وبادر الى منزله وعندما أكمل سيف الاسلام طوافه صلى خاف المقام ثم دخل قبة زمزم فشرب من مائها ثم خرج على باب الصفا الى السعى فابتدأه ماشياً على قدميه تواضعاً وتذللاً لمن يجب التواضع له والسيوف مصلوطة (٢) أمامه وقد اصطف الناس من أول المسعى الى آخره سماطين مثل ماصنعوا أيضاً فى الطواف فسعى على قدميه طريقين من الصفا الى المروة ومنها الى الصفا وهرول بين الميلين الأخضرين ثم قيده الاعياء فركب وأكمل السعى راكباً وقد حشر الناس ضحى يعنى وقتاً ثم عاد هذا الأمير الى المسجد الحرام على حالته من الارهاب والهيبة وهو يتهادى بين بروق خواطف السيوف المصلتة وقد بادر الشيبيون الى باب البيت المكرم ليفتحوه ولم يكن يوم فتحه ووضع الكرسى الذى يصعد عليه فرقى فيه الأمير وتناول زعيم الشيبيين فتح الباب فاذا المفتاح قد سقط من كمه فى ذلك الزحام فوقف وقفة دهش مذعور ووقف الأمير على الأدراج فيسر الله للحين فى وجود المفتاح ففتح الباب الكريم ودخل الأمير وحده مع الشيبى وأغلق الباب وبقى وجوه الأغزاز وأعيانهم مزدحمين على ذلك الكرسى فبعد لأى ما فتح لأمرائهم المقربين فدخلوا وتمادى مقام سيف الاسلام فى البيت الكريم مدة طويلة ثم خرج وانفتح الباب للكافة منهم فياله من ازدحام وتراكم وانتظام حتى صاروا كالعقد

---

(١) أظنها نسبة الى الغز وهم جنس من الترك وكان هذا الاسم شائعاً بمصر

(٢) هكذا وجدناها فى الطبعة المصرية التى تاريخها ١٣٢٦ ولاشك فى أنها من خطأ النساخ وحقها أن تكون بالتاء لا بالطاء ، وكذلك لا يوجد صلت السيف بمعنى جرده وإنما هو أصلت السيف واسم المفعول مصلت ويؤكد ذلك ورود هذه اللفظة على هذا الوزن بعد هذا بأسطر قلائل

المستطيل وقد اتصلوا وتسلسلوا فكان يومهم أشبه شىء بأيام السرو فى دخولهم البيت حسبما تقدم وصفه

وركب الأمير سيف الاسلام وخرج الى مضرب بنيّته بالموضع المذكور وكان هذا اليوم بمكة من الأيام الهائلة المنظر العجيبة المشهد الغريبة الشأن ، فسبحان من لا ينقضى ملكه ولا يبيد سلطانه لا إله سواه، وصحب هذا الأمير جملة من حجاج مصر وسواها اغتناماً لطريق البر والأمن فوصلوا فى عافية وسلامة والحمد لله وفى ضحوة يوم الخميس بعده كنا أيضاً بالحجر الكريم فاذا بأصوات طبول ودبادب وبوقات قد قرعت الآذان وارتجت لها نواحى الحرم الشريف فبينا نحن نتطلع لاستعلام خبرها طلع علينا الأمير مكثر وحاشيته الأقربون حوله وهو رافل فى حلة ذهب كأنها الجمر المتقد يسحب أذيالها وعلى رأسه عمامة شرب [1] رقيق سحابى اللون قد علا كورها رأسه كأنها سحابة مركومة وهى مصفحة بالذهب وتحت الجلة خلعتان من الدبيقى [2] المرسوم البديع الصنعة خلعها عليه الأمير سيف الاسلام فوصل بها فرحاً جذلان والطبول والدبادب تشيعه عن أمر سيف الاسلام إشارة بتكرمته وإعلاماً بمأثرة منزلته فطاف بالبيت المكرم شكراً لله على ماوهبه من كرامة هذا الأمير بعد أن كان أوجس فى نفسه خيفة منه والله يصلحه ويوفقه بمنه [3]. وفى يوم الجمعة وصل الأمير سيف

---

(١) هذه اللفظة وهى الشرب ترد فى وصف الثياب وقد جاءت فى خطط المقريزى وكأنها وصف لما يرسل من عَذَبَة ونحوها ومنه الشرّابة لهذه الخيطان التى تتدلى عن الطربوش فى كلام العوام ومنه شراريب الأخراج ونحوها، وكأنهم فى أصل الوضع لحوا فيها النزول وقد جاء فى اللغة وصف السبال بقولهم الشوارب وعرّفوا الشوارب بأنها الشعر الذى يسيل على الفم وكأنه نزل ليشرب

(٢) دبيق قرية من قرى مصر كان يعمل فيها نفائس الأثواب والستور الحريرية المطرزة بالذهب ورد ذكرها فى خطط المقريزى

(٣) الملحوظ أن ابن جبير كان يكتب مشاهداته اليومية فى حينها على نسق مراسلى الجرائد فى هذه الأيام

الاسلام للصلاة أول الوقت وفتح البيت المكرم فدخله مع الأمير مكثر وأقام به مدة طويلة ثم خرجا وتزاحم الغز للدخول تزاحماً أبهت الناظرين حتى أزيل الكرسي الذى يصعد عليه فلم يغن عن ذلك شيئا وأقاموا على الازدحام فى الصعود باشالة بعضهم على بعض وداموا على هذه الحالة الى أن وصل الخطيب فخرجوا لاستماع الخطبة وأغلق الباب وصلى الأمير سيف الاسلام مع الأمير مكثر فى القبة العباسية فلما انقضت الصلاة خرج على باب الصفا وركب الى مضرب أبنيته. وفى يوم الأربعاء العاشر منه خرج الأمير المذكور بجنوده الى اليمن والله يعرف أهلها من المسلمين فى مقدمه خيراً بمنه . وهذا الشهر المبارك قد ذكرنا اجتهاد المجاورين للحرم الشريف فى قيامه وصلاة تراويحه وكثرة الأئمة فيه وكل وتر من الليالى العشر الأواخر يختم فيها القرآن ، فأولها ليلة احدى وعشرين ختم فيها أحد أبناء أهل مكة وحضر الختمة القاضى وجماعة من الاشياخ فلما فرغوا منها قام الصبى فيهم خطيباً ثم استدعاهم أبو الصبى المذكور إلى منزله إلى طعام وحلو قد أعدها واحتفل فيهما ثم بعد ذلك ليلة ثلاث وعشرين وكان المختتم فيها أحد أبناء المكيين ذوى اليسار غلاماً لم يبلغ سنه الخمس عشرة سنة فاحتفل أبوه لهذه الليلة احتفالاً بديعاً وذلك انه أعد له ثريا مصنوعة من الشمع مغصّنة قد انتظمت أنواع الفواكه الرطبة واليابسة وأعد اليها شمعاً كثيراً ووضع فى وسط الحرم مما يلى باب بنى شيبة المحراب المربع من أعواد مشرجبة قد أقيم على قوائم أربع وربطت فى أعلاه عيدان نزلت منها قناديل وأسرجت فى أعلاها مصابيح ومشاعيل وسُمِّرَ دائر المحراب كله بمسامير حديدة الأطراف غرز فيها الشمع فاستدار بالمحراب كله وأوقدت الثريا المغصنة ذات الفواكه وأمعن الاحتفال فى هذا كله ووضع بمقربة من المحراب منبر مجلل بكسوة مجزعة مختلفة الألوان وحضر الامام الطفل فصلى التراويح وختم وقد احتشد أهل المسجد الحرام اليه رجال ونساء وهو فى محرابه لا يكاد يبصر من كثرة شعاع الشمع المحدق به ثم برز من محرابه رافلا فى أفخر ثيابه بهيبة إمامية وسكينة غلامية مكحل العينين مخضوب الكفين الى الزندين فلم يستطع الخلوص الى منبره من كثرة الزحام فأخذه أحد سدنة تلك الناحية فى ذراعه حتى ألقاه على ذروة

منبره فاستوى مبتسماً وأشار على الحاضرين مسلماً وقعد بين يديه قراء فابتدروا القراءة على لسان واحد فلما أكملوا عشراً من القرآن قام الخطيب فصدع بخطبته يحرك لها أكثر النفوس من جهة الترجيع لا من جهة التذكير والتخشيع، وبين يديه فى درجات المنبر نفر يمسكون أنوار الشمع فى أيديهم ويرفعون أصواتهم بيارب يارب عند كل فصل من فصول الخطبة يكررون ذلك والقراء يبتدرون القراءة فى أثناء ذلك فيسكت الخطيب الى أن يفرغوا ثم يعود لخطبته وتمادى فيها منصرفا فى فنون من التذكير، وفى أثنائها اعترضه ذكر البيت العتيق كرمه الله فحسر عن ذراعيه مشيراً، اليه وأردفه بذكر زمزم والمقام فأشار اليهما بكلتا أصبعيه ثم ختمها بتوديع الشهر المبارك وترديد السلام عليه ، ثم دعا للخليفة ولكل من جرت العادة بالدعاء له من الأمراء ثم نزل وانفض ذلك الجمع العظيم وقد استطرف ذلك الخطيب واستنبل . وان لم تبلغ الموعظة من النفوس ما أمل، والتذكرة اذا خرجت من اللسان لم تتعد مسافة الآذان . ثم ذكر أن المعينين من ذلك الجمع كالقاضى وسواه خُصّوا بطعام حفيل وحَلْوَاء على عادتهم فى مثل هذا المجتمع وكانت لأبى الخطيب فى تلك الليلة نفقة واسعة فى جميع ما ذكر ،ثم كانت ليلة خمس وعشرين فكان المختتم فيها الامام الحنفى وقد أعد ابناً له لذلك سنه نحو من سن الخطيب الأول المذكور فكان احتفال الامام الحنفى لابنه فى هذه الليلة عظيما أحضر فيه من ثريات الشمع أربعاً مختلفات الصنعة منها مشجرة مغصّنة مثمرة بأنواع الفواكه الرطبة واليابسة ، ومنها غير مغصّنة فصففت امام حطيمه وتوّج الحطيم بخشب وألواح وضعت أعلاه وجالل ذلك كله سُرُجاً ومشاعيل وشمعاً فاستنار الحطيم كله حتى لاح فى الهواء كالتاج العظيم من النور، وأحضر الشمع فى أنوار الصفر ووضع المحراب العودى المشرجب فجالل دائره الأعلى كله شمعاً وأحدق الشمع فى الأطوار به فاكتنفته هالات من نور ونصب المنبر قبالته مجالاً أيضا بالكسوة الملونة واحتفال الناس لمشاهدة هذا المنظر النير أعظم من الاحتفال الأول فختم الصبى المذكور ثم برز من محرابه الى منبره يسحب أذيال الخفر فى أثواب رائقة المنظر فسوّر منبره وأشار بالسلام على الحاضرين وابتدأ خطبته بسكينة ولين، ولسان عن حالة الحياة مبين ، فكأن الحال على طفولتها كانت

أوقر من الأولى وأخشع ، والموعظة أبلغ والتذكرة أنفع وحضر القراء بين يديه على الرسم الأول وفى أثناء فصول الخطبة يبتدرون القراءة فيسكت خلال اكمالهم الآية التى انتزعوها من القرآن ثم يعود الى خطبته وبين يديه فى درجات المنبر طائفة من الخدمة يمسكون أنوار الشمع بأيديهم ومنهم من يمسك المجمرة تسطع بعرف العود الرطب الموضوع فيها مرة بعد أخرى فعندما يصل الى فصل من تذكير أو تخشيع رفعوا أصواتهم بيارب يارب يكررونها ثلاثاً أو أربعاً وربما جاراهم فى النطق بعض الحاضرين الى أن فرغ من خطبته ونزل ، وجرى الامام أثره على الرسم من الاطعام لمن حضر من أعيان المكان إما باستدعائهم الى منزله تلك الليلة أو بتوجيه ذلك الى منازلهم . ثم كانت ليلة سبع وعشرين وهى ليلة الجمعة بحساب يوم الأحد فكانت الليلة الغراء والختمة الزهراء والهيبة الموفورة الكهلاء[1] والحالة التى تمكن عند الله تعالى فى القبول والرجاء ، وأى حالة توازى شهود ختم القرآن ليلة سبع وعشرين من رمضان خلف المقام الكريم وتجاه البيت العظيم، وانها لنعمة تتضاءل لها النعم تضاؤل سائر البقاع للحرم، ووقع النظر والاحتفال لهذه الليلة المباركة قبل ذلك بيومين أو ثلاثة وأقيمت إزاء حطيم امام الشافعية خشب عظام بائنة الارتفاع موصول بين كل ثلاث منها بأذرع من الأعواد الوثيقة فاتصل منها صف كاد يمسك نصف الحرم عرضا ووصلت بالحطيم المذكور ثم عرضت بينها ألواح طوال مدت على الأذرع المذكورة وعلت طبقة منها طبقة أخرى حتى استكملت ثلاث طبقات فكانت الطبقة العليا فيها خشبة مستطيلة مغروزة كلها مسامير محددة الأطراف لاصقاً بعضها ببعض كظهر السهم نصب عليها الشمع والطبقتان تحتها ألواح مثقوبة ثقباً متصلا وضعت فيها زجاجات المصابيح ذوات الانابيب المنبعثة من أسافلها وتدلت من جوانب هذه الألواح والخشب ومن جميع الأذرع المذكورة قناديل كبار وصغار وتخللها أشباه الأطباق المبسوطة من الصفر

---

(١) لم نعرف الكهلاء بمعنى الكهلة ولاندرى أهى هكذا أم من خطأ النساخ ولاسيما أن الطبعة المصرية لرحلة ابن جبير وهى التى اعتمدنا عليها مشحونة أغلاطا مطبعية يحار القارئ فى ردها الى اصلها .

قد انتظم كل طبق منها ثلاث سلاسل تقلها فى الهــواء وخرقت كلها ثقــباً ووضعت فيها الزجاجات ذوات الانابيب من أسفل تلك الأطباق الصفرية لايزيد منها أنبوب على أنبوب فى القد ، وأوقدت فيها المصابيح فجاءت كأنها موائد ذوات أرجل كثيرة تشتعل نوراً ووصات بالحطيم الثانى الذى يقابل الركن الجنوبى من قبة زمزم خشب على الصفة المذكورة اتصلت إلى الركن المذكور واوقد المشعل الذى فى رأس نحـل القبة المذكورة وصففت طرة شبا كها شمعاً مما يقابل البيت المكرم وحف المقام الـكريم بمحراب من الأعواد المشرجبة المخرمـة محفوفة الأعلى بمسامير حديدة الأطراف على الصفة المذكورة جللت كلها شمعاً ونصب عن يمين المقام ويساره شمع كبير الجرم فى أنوار تناسبها كبراً وصفت تلك الأنوار على الـكراسى التى يصرفها السدنة مطالع عند الايقاد وجلل جدار الحجر المـكرم كله شمعاً فى أنوار من الصفر فجاءت كأنها دائرة نور ساطع وحدقت بالحرم المشاعيل، وأوقد جميع ماذكر وأحدق بشرفات الحرم كلها صبيان مكة وقد وضعت بيد كل واحد منهم كرة من الخرق المشبعة سليطاً فوضعوهامتقدة فى رؤوس الشرفات وأخذت كل طائفة منهم ناحية من نواحيها الأربع فجعلت كل طائفة تبارى صاحبتها فى سرعة إيقادها فيخيل للناظر أن النارتثب من شرفة الى شرفة لخفاء أشخاصهم وراء الضوء المرتمى الابصار، وفى أثناء محاولتهم لذلك يرفعون أصواتهم بيارب يارب على لسان واحد فيرتج الحرم لأصواتهم فلما كمل إيقاد الجميع بما ذكر كاد يغشى الأبصار شعاع تلك الأنوار فلا تقع لحةطرف إلا على نور يشغل حاسة البصر عن استمالة النظر فيتوهم المتوهم لهول مايعاينه من ذلك أن تلك الليلة المباركة تنزهت لشرفها عن لباس الظلماء فزينت بمصابيح السماء . وتقدم القاضى فصلى فريضة العشاء الآخرة ثم قام وابتدأ بسورة القدر وكان أئمة الحرم فى الليلة قبلها قد انتهوا فى القراءة اليها وتعطل فى تلك الساعة سائر الأئمة من قراءة التراويح تعظيماً لختمة المقام وحضروا متبركين بمشاهدتها وقد كان (المقام) المطهر أخرج من موضعه المستحدث فى البيت العتيق حسبما تقدم الذكر أولاً له فيما سلف من هذا التقييد ووضع فى محله الـكريم المتخذ مصلى مستوراً بقبته التى يصلى الناس خلفها فختم القاضى بتسليمتين وقام خطيبا مستقبل المقام والبيت العتيق فلم يتمكن من سماع الخطبة

للازدحام وضوضاء العوام فلما فرغ من خطبته عاد الأئمة لاقامة تراويحهم وانفض الجمع ونفوسهم قد استطارت خشوعاً وأعينهم قد سالت دموعاً والانفس قد أشعرت من فضل تلك الليلة المباركة رجاء مبشراً بمن الله تعالى بالقبول ومشعراً أنها أو لعلها ليلة القدر المشرف ذكرها فى التنزيل، والله عز وجل لايخلى الجميع من بركة مشاهدتها وفضل معاينتها انه كريم منان لاإله سواه. ثم ترتبت قراءة أئمة المقام الخمسة المذكورين أولا بعد هذه الليلة المذكورة بآيات ينتزعونها من القرآن على اختلاف السور تتضمن التذكير والتحذير والتبشير بحسب اختيار كل واحد منهم ورسم طوافهم اثر كل تسليمتين باق على حاله والله ولى القبول من الجميع . ثم كانت ليلة تسع وعشرين منه فكان المختتم فيها سائر أئمة التراويح ملتزمين رسم الخطبة اثر الختمة والمشار اليه منهم المالكى فتقدم باعداد أعواد بازاء محرابه نصبها ستة على هيئة دائرة محراب مرتفعة عن الأرض دون القامة يعترض على كل اثنين منها عود مبسوط فادير بالشمع أعلاها وأحدق أسفلها ببقايا شمع كثير قد تقدم ذكره عند ذكر أول الشهر المبارك وأحدق أيضاً داخل تلك الدائرة شمع آخر متوسط فكان منظراً مختصراً ومشهداً عن احتفال المباهاة منزهاموفراً رغبة فى احتفال الاجر والثواب ومناسبة لموضع هيئة المحراب نصبت للشمع فيه عوضاً من الانوار اثافى من الاحجار فجاءت الحال غريبة فى الاختصار، خارجة عن محفل التعاظم والاستكبار ، داخلة مدخل التواضع والاستصغار واحتفل جميع المالكية للختمة فتناوبها أئمة التراويح فقضوا صلاتهم سراعاً عجالاً كاد يلتقى طرفاها خفوفاً واستعجالا ، ثم تقدم أحدهم فعقد حبوته بين تلك الأثافى وصدع بخطبة منتزعة من خطبة الصبى ابن الامام الحنفى فأرسلها معادة إلى الأسماع ثقيلا لحنها على الطباع ثم انفض الجمع وقد جمد فى شؤونه الدمع واختطف للحين من أثافيه ذلك الشمع، وأطلقت عليه أيدى الانتهاب ولم يكن فى الجماعة من يستحى منه أو يهاب وعند الله تعالى فى ذلك الجزاء والثواب انه سبحانه الكريم الوهاب ، وانتهت ليالى الشهر ذاهبة عنا بسلام جعلنا الله ممن طهر فيها من الآثام ، ولا أخلانا من فضل القبول ببركة صومه فى جوار الكعبة البيت الحرام ، وختم الله

انا ولجميع أهل الملة الحنيفية بالوفاة على الاســلام ، وأوزعنا حمداً يحق هــذه النعمة وشـكرا وجعلها للمعاد لنا ذخراً ووفقنا عليها ثواباً من لديه وأجراً يرجى بفضله وكرمه انه لا يضيع لديه أيام اتخذ لصيامها ماء زمزم فطراً انه الحنان المنان لارب سواه

واليك هذا المثال الآخر من أمثلة بيان ابن جبير الساحر الذى كله طبقة واحدة وانما نختار منه كيفما اتفق . قال :

والقبلة فى عرفات هى إلى مغرب الشمس لأن الـكعبة المقدسة فى تلك الجهة منها فأصبح يوم الجمعة المذكور فى عرفات جمعا لاشبيه له الا الحشر لـكنه ان شاء الله تعالى حشر للثواب مبشر بالرحمة والمغفرة يوم الحشر للحساب زعم المحققون من الأشياخ المجاورين انهم لم يعاينوا قط فى عرفات جمعاً أحفل منه ولا أري كان من عهد الرشيد الذى هو آخر من حج من الخلفاء جمع فى الاسلام مثله جعله الله جمعاً مرحوماً معصوماً بعزته، فلما جمع بين الظهر والعصر يوم الجمعة المذكور وقف الناس خاشعين باكين والى الله عز وجل فى الرحمة متضرعين والتـكبير قد علا وضجيج الناس بالدعاء قد ارتفع فما رؤى يوم أكثر مدامع ولا قلوباً خواشع ولا أعناقاً لهيبة الله خوانع خواضع من ذلك اليوم فما زال الناس على تلك الحالة والشمس تلفح وجوههم إلى أن سقط قرصها وتمـكن وقت المغرب وقد وصل أمير الحاج مع جملة من جنده الدارعين ووقفوا بمقربة من الصخرات عند المسجد الصغير المذكور وأخذ السرو[1] اليمنيون مواقفهم بمنازلهم المعلومة لهم فى جبال عرفات المتوارثة عن جد فجد من عهد النبى صلى الله عليه وسلم لاتتعدى قبيلة على منزل أخرى وكان المجتمع منهم فى هذا العام عدداً لم يجتمع قط مثله. وكذلك وصل الأمير العراقى فى جمع لم يصل قط مثله ووصل معه من أمراء الأعاجم الخراسانيين ومن النساء العقائل المعروفات بالخواتين واحدتهن خاتون ومن السيدات بنات الأمراء كثير ومن سائر العجم عدد لا يحصى فوقف الجميع وقد جعلوا قدوتهم فى النفر الامام المالـكى لأن مذهب مالك رضى الله عنه يقتضى ان لا ينفر حتى

(١) السرو ما ارتفع عن السهل وانحط عن غلظ الجبل وقد أطلقه الـكاتب على اليمانين من الحجاج لأنهم ينزلونه من قديم الزمان فى صعود الحج إلى عرفة

يتمكن سقوط القرصة ويحين وقت المغرب . ومن السرو اليَمَنِيّنَ من نفر قبل ذلك فلما ان حان الوقت أشار الامام المالـكي بيديه ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر دفعاً ارتجت له الأرض ورجفت الجبال فياله موقفاً ما أهول مرآه وأرجى فى النفوس عقباه جعلنا الله ممن خصه فيـه برضاه وتغمده بنعماه انه منعم كريم حنان منان. وكانت محلة هـذا الأمير العراقى جميلة المنظر بهية العدة رائعة المضارب والأبنية عجيبة القباب والأروقة على هيئات لم يرَ أبدع منها منظراً فأعظمها مرآى مضرب الأمير وذلك انه أحدق به سرادق كالسور من كتان كأنه حديقة بستان أو زخرفة بنيان وفى داخـله القباب المضروبة وهى كلها سواد فى بياض مرقشة ملونة كأنها أزاهير الرياض. وقد جللت صفحات ذلك السرادق من جوانبه الأربعة كلها أشـكال درقية من ذلك السواد المنزل فى البياض يستشعر الناظر اليها مهابة بتخيلها درقاً لمطية[1] قدجللتها مزخرفات الأغشية، ولهذا السرادق الذى هو كالسورالمضروب أبواب مرتفعة كأنها أبواب القصور المشيدة يدخل منها الى دهاليز وتعاريج ثم يفضى منها الى الفضاء الذى فيه القباب وكأن هذا الأمير ساكـن فىمدينة قد أحدق بها سورها تنتقل بانتقاله وتنزل بنزوله وهى من الابهات الملوكيـة المعهودة التى لم يعهد مثالها عند ملوك المغرب . وداخل تلك الأبواب حجاب الأمير وخـدمه وحاشيته وهى أبواب مرتفعة يجئ الفارس برايته فيدخل عليها دون تنـكيس ولا تطأطؤ قد أحكمت اقامة ذلك كله أحراش وثيقة من الـكتان يتصل بأوتاد مضروبة أدير ذلك كله بتدبير هندسى غريب. ولسائر الأمراء الواصلين صحبة هذا الأمير مضارب دون ذلك لـكنها على تلك الصفة وقباب بديعة المنظر عجيبة الشكل قد قامت كأنها التيجان المنصوبة الى ما يطول وصفه ويتسع القول فيه من عظيم احتفال هذه المحلة فى الآلات والعدة وغير ذلك مما يدل على سعة الأحوال وعظيم الاحتراف فى المكاسب والأموال ولهم أيضا فى مراكبهم على الابل قباب تظلهم بديعة المنظر عجيبة الشـكل قد نصبت

---

(١) لمطة أرض لقبيلة من البربر ينسب اليها الدرق اللمطية لأنهم ينقعون الجلود فى الحليب سنة تامة ثم يعملون منها الدرق فلا يؤثر فيها السيف القاطع

على محامل من الأعواد يسمونها القشاوات وهى كالتوابيت المجوفة هى لركابها من الرجال والنساء كالأمهدة للأطفال تملأ بالفرش الوثيرة ويقعد الراكب فيها مستريحاً كأنه فى مهاد لين فسيح وبازائه مُعادله أو مُعادلته فى مثل ذلك من الشقة الأخرى والقبة مضروبة عليهما فيسار بهما وهما نائمان لا يشعران أو كيف ما أحبا فعند ما يصلان الى المرحلة التى يحطان بها ضرب سرادقهما للحين إن كانا من أهل الترفه والتنعم فيدخل بهما الى السرادق وهما راكبان وينصب لهما كرسى ينزلان عليه فينتقلان من ظل قبة المحمل الى قبة المنزل دون واسطة هواء يلحقهما ولا خطفة شمس تصيبهما وناهيك من هذا الترفيه فهؤلاء لا يلقون لسفرهم وان بعدت شقته نصباً ولا يجدون على طول الحل والترحال تعباً . ودون هؤلاء فى الراحة راكبوا المحارات وهى شبيهة بالشقادف التى تقدم وصفها فى ذكر صحراء عيذاب لكن الشقادف أبسط وأوسع وهذه أضمّ وأضيق وعليها أيضا ظلائل تقى حر الشمس ومن قصرت حاله عنها فى هذه الأسفار فقد حصل على نصب السفر الذى هو قطعة من العذاب

(وله فى ذكر مدينة السلام بغداد حرسها الله تعالى)

هذه المدينة العتيقة وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية ومثابة الدعوة الأمامية القرشية الهاشمية قد ذهب أكثر رسمها ولم يبق منها إلا شهير اسمها، وهى بالاضافة إلى ما كانت عليه قبل انحاء الحوادث عليها والتفات أعين النوائب اليها كالطلل الدارس والأثر الطامس أو تمثال الخيال الشاخص(١) فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعى من المستوفز العقلة والنظر إلا دجلتها التى هى بين شرقيها وغربيها منها كالمرآة المجلوة

(١) عند ماذهب ابن جبير إلى بغداد فى أيام الخليفة الناصر العباسى كانت بغداد غير بغداد الأولى التى أجمع المؤرخون على انها بقيت مدة قرنين إلى ثلاثة بالأقل أغظم مدينة فى العالم لا أعظم مدينة فى الاسلام فقط، فان رومة فى عصر عمران بغداد

بين صفحتين أو العقد المنتظم بين لبتين ، فهى تردها ولا تظمأ، وتتطلع منها فى مرآة صقيلة لاتصدأ والحسن الحريمىّ بين هوائها ومائها ينشأ من ذلك على شهرة فى البلاد معروفة موصوفة ففتن الهوى — الا أن يعصم الله منها — مخوفة، وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء ويذهب بنفسه عجباً وكبرياء ، يزدرون الغرباء ويظهرون لمن دونهم الأنفة والاباء ويستصغرون عمن سواهم الأحاديث والأنباء ، قد تصور كل منهم فى معتقده وخلده ان الوجود كله يصغر بالاضافة لبلده فهم لا يستكرمون فى معمور البسيطة مثوى غير مثواهم ، كأنهم لايعتقدون ان لله بلاداً أو عباداً سواهم ، يسحبون أذيالهم أشراً أو بطراً ، ولا يغيرون فى ذات الله منكراً ، يظنون ان أسنى

كانت انحطت عن درجتها السابقة فلم تكن تعادل شطراً من بغداد فضلاً عن ان تعادل بغداد كلها . وكذلك كانت القسطنطينية فى عصر عظمة بغداد مدينة عظيمة ولكنها لم تبلغ فى العظمة ما بلغته بغداد ولا نصف مابلغته بغداد فى القرنين الأولين من بنائها ، ولا نعلم هل كان فى الصين والهند لذلك العهد حواضر تعادل بغداد أم لا لكننا نرجح النفى لأنه لو كان وجد فيهما أو فى احداهما مدينة تعادل بغداد لكان انتشر خبرها ولكانت قوبلت ببغداذ لأن العرب كانوا على اتصال مستمر بالهند والصين وكانت السفن تختلف بين البصرة وسيراف وكنتون وغيرها من مرافئ الصين كما تختلف اليوم بين شربورغ ونيويورك مثلاً . ومما يفتخر به الاسلام كون بغداد مدينة اسلامية محضة عمرها المسلمون بأيديهم ولم يرثوها عن أمة سابقة وكانت حضارتها اسلامية من أولها إلى آخرها ولم تبلغ بلدة فى الاسلام مابلغته دار السلام من عظمة وسعة وثروة ونعمة ومنعة وقوة، وجميع مدن الاسلام التى اشتهرت فى التاريخ كدمشق وحلب والقاهرة والقيروان وفاس ومراكش وقرطبة وغرناطة والبصرة وأصفهان وسمرقند وفى الاعصر الأخيرة استانبول لم تصل إلى درجة بغداد بل كانت رديفاً لبغداد. وقرطبة التى كانت فى القرون الوسطى أعظم حاضرة فى أوربة كانت فى أيام عظمتها هذه تعادل نصف بغداد أو كما قال ابن حوقل فيما أتذكر تعادل أحد جانبى بغداد . نقل الحافظ أبو بكر أحمد بن على الخطيب صاحب تاريخ بغداد فى الصفحة الأولى من الجزء الأول عن عبد العزيز بن أبى الحسن القرمسينى عن عمر بن أحمد عن أبى بكر النيسابورى انه قال :

الفخار فى سحب الازار ولا يعلمون ان فضله بمقتضى الحديث المأثور فى النار. يتبايعون بينهم بالذهب قرضاً وما منهم مايحسن لله قرضاً، فلا نفقة فيها إلا من دينار تقرضه وعلى يدى مخسر للميزان تعرضه ، لاتكاد تظفر من خواص أهلها بالورع المفيف ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلها الاّ على من ثبت له الويل فى سورة التطفيف لايبالون فى ذلك بعيب كأنهم من بقايا مدين قوم النبى شعيب ، فالغريب فيهم معدوم الارفاق متضاعف الانفاق لايجد من أهلها إلا من يعامله بنفاق اويهش اليه هشاشة انتفاع واسترفاق ، كأنهم من التزام هذه الخلة القبيحة على شرط اصطلاح بينهم واتفاق فسوء معاشرة أبنائها يغلب على طبع هوائها ومائها ، ويعلل حسن المسموع من أحاديثها

سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : قال لى الشافعى : يايونس دخلت بغداد ؟قال قلت: لا . قال ما رأيت الدنيا

فليتأمل الانسان ان صاحب هذا القول هو الامام الشافعى رضى الله عنه الذى لم يكن ممن تزدهيه الدنيا أو تسكره زينتها أو تغلب على عقله عظمتها لـكنه برجاحة عقله كان فى مقدمة الرجال الذين يقدرون الأمور أقدارها فلذلك قال : ان من لم يرَ بغداد لم يعرف الدنيا . ولقد راجعت الانسيكلوبيـدية الاسلامية لأعلم ماتقول عن عمران بغداد فى عنجهية أمرها ولم تـكن هذه الانسيكلوبيدية فى شىء من التحمس لتاريخ الاسلام بل هى أميل إلى بخسه من أشيائه منها إلى اعطائه أكثر من حقه ومع هذا فقد رأيتها تقول فى الصفحة ٥٧٦ من جزئها الأول : ان بغداد كانت لعهد الأوائل من الخلفاء العباسيين أعظم مركز تجارى فى آسية ومنبع حياة فكرية عظيمة وكانت بعظمتها وثروتها وزخرفها تشغل المقام الأول فى العالم المتمدن فى ذلك الزمن. وقالت الانسيكلوبيدية فى تلك الصفحة نفسها : ان هذه الحاضرة يوم وفاة الخليفة المهدى أى قبل أيام الرشيد كانت مساحتها من سبعة إلى ثمانية كيلو مترات طولاً إلى مثلها عرضاً . قلنا فاذا حسبنا هذه المساحة بضرب ثمانية فى ثمانية كانت أربعة وستين ألف متر مربّـع فلنقل مائة ألف ذراع مربّـع . فمساحة كهذه لاتسع أكثر من مائتى ألف بيت إذا حسبنا انه سيدخل فى هذه المساحة الشوارع والساحات والمساجد

وأبنائها، استغفر الله إلا فقهاءهم المحدثين ووعاظهم المذكورين لا جرم أن لهم فى طريقة الوعظ والتذكير ومداومة التنبيه والتبصير والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحط كثيراً من أوزارهم ويسحب ذيل العفو على سوء آثارهم ويمنع القارعة الصماء أن تحل بديارهم لكنهم معهم يضربون فى حديد بارد ويرومون تفجير الجلامد، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعتهم من واعظ يتكلم فيه، فالموفق منهم لا يزال فى مجلس ذكر أيّامَهُ كلها، لهم فى ذلك طريقة مباركة ملتزمة، فأول من شهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضى الدين القزوينى رئيس الشافعية وفقيه المدرسة النظامية والمشار اليه بالتقديم فى العلوم الأصولية، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور فصعد المنبر وأخذ القراء أمامه فى القراءة على كراسى موضوعة فتوّقوا وشوّقوا وأتوا بتلاحين معجبة ونغمات محزنة مطربة، ثم اندفع الامام الشيخ المذكور فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف فى أفانين من

والحمامات والقصور والثكن العسكرية فاذا حسبنا لكل بيت خمس نسمات كان عدد سكان بغداد فى زمان المهدى العباسى نحواً من مليون نسمة ونظن هذا التعديل أقل من الواقع بكثير، وقد كانت قرطبة تزيد على مليون نسمة وهى كأحد جانبى بغداد. وقد جاء هذا التعديل فى الانسيكلوبيدية دون ذكر السند الذى توكأ عليه كاتب الفصل فى قوله ان بغداد فى أيام المهدى كانت مساحتها من سبعة إلى ثمانية كيلو مترات طولا ومثلها عرضاً. ثم انه مما اتفق عليه المؤرخون ان أوج عظمة بغداد كان من زمان الرشيد إلى زمان المعتصم فبغداد فى أيام الرشيد والمأمون والمعتصم لم يكن فيها أقل من ثلاثة ملايين نسمة ولا شك أنه مثل هـذا العدد قد يلزمه من أربعة الى خمسة آلاف حمام بالنظر للترف الذى كانت تسبح فيه بغداد ولكون أهلها من مباديهم الدينية الاغتسال والنظافة، فأما الستون ألف حمام والثلاثمائة ألف مسجد فهذا من كلام العوام وقد أخطأ الحافظ أبو بكر بن الخطيب رحمه الله فى مجرد نقله دون رد وتعقيب، ولكن حبه لبلده جعله يروى هـذه المبالغات على علاتها، والأحسن والأنصح والأجدر بالثقة هو نقل الروايات المعقولة الموزونة دون المبالغات المردودة. حدث أبو الحسن الهلال بن المحسّن بن

العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل وايراد حديث رسوله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه، ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب فأجاب وماقصر وتقدم وما تأخر ، ودفعت اليه عدة رقاع فيها فجمعها جملة فى يده وجعل يجاوب على كل واحدة منها وينبذ بها إلى أن فرغ منها وحان المساء فنزل وافترق الجمع فكان مجلسه مجلس علم ووعظ وقوراً هيناً ليناً ظهرت فيه البركة والسكينة ولم تقصر عن ارسال عبرتها فيه النفس المستكينة ، ولا سيما آخر مجالسه فانه سرت حُميا وعظه إلى النفوس حتى أطارتها خشوعاً وفجرتها دموعاً ، وبادر التائبون اليه سقوطاً على يده ووقوعاً، فكم ناصية جز ، وكم مفصل من مفاصيل التائبين طبق بالموعظة وحَز . فبمثل مقام هذا الشيخ المبارك ترحم العصاة وتتغمد الجناة وتستدام العصمة والنجاة ، والله تعالى يجازى كل ذى مقام عن مقامه، ويتغمد ببركة العلماء الأولياء عباده العاصين من سخطه وانتقامه برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لارب سواه ولا معبود إلاّ إياه ، وشهدنا له مجلساً ثانياً اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثانى عشر من الشهر المذكور وحضر ذلك اليوم

ابراهيم الصابى الكاتب صاحب التاريخ قال : كنت يوما بحضرة جدى أبى اسحق ابراهيم بن هلال الصابى فى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة إذ دخل عليه أحد التجار الذين كانوا يخدمونه فقال له فى عرض حديث : قال لى أحد التجار ان ببغداد اليوم ثلاثة آلاف حمام فقال له جدى : سبحان الله هذا سدس ما كنا عددناه وحصرناه . فقال له كيف ذاك ؟ فقال جدى : أذكر وقد كتب ركن الدولة أبو على الحسن بن بُوَيه إلى الوزير أبى محمد المهلبى بما قال فيه : ذُكر لنا كثرة المساجد والحمامات ببغداد واختلفت علينا فيها الأقاويل وأحببنا أن نعرفها على حقيقة وتحصيل فتعرّفنا الصحيح من ذلك . قال جدى : وأعطانى أبو محمد الكتاب وقال لى : امض إلى الأمير معزّ الدولة فاعرضه عليه واستأذنه فيه ففعلت : فقال له الأمير : استعلم عن ذلك وعرفنيه فتقدم أبو محمد المهلبى إلى أبى الحسن البادرجى ـ وهو صاحب المعونة ـ بعد المساجد والحمامات، قال جدى : فأماالمساجد فلاأذكر ماقيل فيها كثرة . وأما الحمامات فكانت بضعة عشر ألف حمام . وعدت إلى معز الدولة وعرفته ذلك فقال : اكتبوا فى

مجلسه سيد العلماء الخراسانية ورئيس الأئمة الشافعية ، ودخل المدرسة النظامية بهز عظيم وتطريف آماق تشوقت له النفوس، فأخذ الامام المتقدم الذكر فى وعظه مسروراً بحضوره ومتجملاً به فأتى بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم الذكر فى هذا التقييد المشتهر المآثر والمكارم المقدم بين الأكابر والأعاظم . ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين أبى الفضائل بن علىّ الجوزى بازاء داره على الشط بالجانب الشرقى وفى آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقى وهو يجلس به كل يوم سبت ، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفى جوف الفرا كل الصيد، آية الزمان وقرة عين الايمان ، رئيس الحنبلية والمخصوص فى العلوم بالرتب العلية، امام الجماعة وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم فى البلاغة والبراعة ، مالك أزمة الكلام فى النظم والنثر، والغائص فى بحر فكره على نفائس الدر فأما نظمه فرضى الطباع مهيارى الانطباع، وأما نثره فيصدع بسحر البيان ويعطل المثل بقس وسحبان، ومن أبهر آياته

الحمامات بأنها أربعة آلاف . واستدللنا من قوله على اشفاقه وحسده إياه على بلدٍ هذا عظمه وكبره . وأخذ أبو محمد وأخذنا نتعجب من كون الحمامات هـذا القدر . وقد أحصيت فى أيام المقتدر بالله فكانت سبعة وعشرين ألف حمام . وليس بين الوقتين من التباعد ما يقتضى هـذا التفاوت . قال هلال الصابى : وقيل انها كانت فى أيام عضد الدولة بن بوية خمسة آلاف حمام وكسراً اه

قلت أما زمان المقتدر بالله فكان فى عهد الثلاثمائة بعد الهجرة وصاعدا . وأما زمان عضد الدولة بن بويه فبدأ فى بغداد سنة سبع وستين وثلاثمائة فيكون بين العهدين نحو من ستين أو سبعين سنة . فيكون من العجب العجاب أنه فى حقبة كهذه ينزل عدد الحمامات من سبعة وعشرين ألفاً إلى خمسة آلاف فلذلك أظن أن فى قولهم كانت الحمامات فى بغداد أيام المقتدر سبعة وعشرين ألف حمام مبالغة عظيمة ، وعندى دليل آخر أقرب الى العقل من هذا على وجود المبالغة فى الخبر وهو قولهم ان الحمامات كانت فى أيام الامير معزّ الدولة بن بويه والوزير أبى محمد المهلبى بضعة عشر ألف حمام ثم قولهم

وأكبر معجزاته انه يصعد المنبر ويبتدئ القراء بالقرآن وعددهم نيف على العشرين قارئاً فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة وقد أتوا بآيات مشتبهات لايكاد المتقد الخاطر يحصيها عدداً أو يسميها نسقاً ، فاذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن فى ابراد خطبته عجلا مبتدراً وأفرغ فى اصداف الاسماع من ألفاظه درراً ، وانتظم أوائل الآيات المقروآت فى أثناء خطبته فقراً وأتى بها على نسق القراءة لها لامقدماً ولا مؤخراً ، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آيةٍ منها فلو ان أبدع من فى مجلسه تكلف تسمية ما قرأ من القرآن آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك فكيف بمن ينتظمها مرتجلا ويورد الخطبة الغرا بها عجلاً (أفسحرٌ هذا أمْ أنْتمْ لاَ تُبْصِرُونَ انَّ هذَا لَهُوَا الفضلُ المبينُ) فحدث ولاحرج عن البحر ، وهيهات ليس الخبر عنه كالخبر ، ثم انه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر طارت لها القلوب اشتياقاً ، وذابت بها الأنفس احتراقاً إلى أن علا الضجيج وتردد بشهقاته

انها كانت فى أيام عضد الدولة خمسة آلاف حمام وكسراً . فقد كان معز الدولة بن بويه فى زمان الخليفة المطيع لله وكانت وفاة معزّ الدولة سنة ست وخمسين وثلاثمائة. وكانت وفاة عضد الدولة بن بويه سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة أى لم يكن بين العهدين أكثر من ست عشرة سنة . فكيف يمكن فى مدة قصيرة كهذه أن يتقاص العمران كل هذا التقاص ويتساقط عدد الحمامات من بضعة عشر ألفا الى خمسة آلاف وكسر ؟ فالأرجح عندى أن الحمامات كانت من أربعة إلى خمسة آلاف حمام فى العهدين أى عهد معزّ الدولة وعهد عضد الدولة ، نعم فى زمن المقتدر يجوز أن تكون حمامات بغداد عشرة آلاف فاكثر لان عمران بغداد فى زمن المقتدر كان أحفل جداً منه فى أيام المطيع والطائع أى أيام بنى بويه . على أننا لو قلنا انه كان فى بغداد خمسة آلاف حمام فليس ذاك بقليل لأننا لو جعلنا لكل مائتى بيت حماماً واحداً لكان مجموع البيوت مليون بيت فاذا جعلنا لكل بيت خمس أنفس كان مجموع سكان بغداد خمسة ملايين وهو أقصى مايتصوّر لعدد سكان بغداد . وان

النشيج، وأعلن التائبون بالصياح وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح كل يلقى ناصيته بيده فيجزها ويمسح على رأسه داعياً له ومنهم من يغشى عليه فيرفع فى الأذرع اليه فشهدنا هولاً يملأ النفوس انابة وندامة ويذكرها هول يوم القيامة، فلو لم نركب ثبج البحر ونعتسف مفازات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على أن منّ بلقاء من يشهد الجمادات بفضله ويضيق الوجود عن مثله . وفى أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل وتطير اليه الرقاع فيجاوب أسرع من طرفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا إله سواه . ثم شهدنا مجلساً ثانياً له بكرة يوم الخميس الحادى عشر لصفر بباب بدر فى مساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه وهذا الموضع المذكور وهو من حرم الخليفة وخص بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم ويفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع وقد بسط بالحصر وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس

قلنا انهم من أجل كونهم مسلمين وولوعهم بالاستحمام لأجل النظافة وما كانوا منغمسين فيه من الترف كان الحمام الواحد لا يكفى الا لمائة بيت وجب أن يكون فى بغداد مليونا بيت أى عشرة ملايين نسمة وهذا بعيد عن العقل ، فالأرجح هو التعديل الأول

أما فى الزمن الذى ذهب فيه ابن جبير إلى بغداد وهو آخر القرن السادس فقد ذكر أنه كان فيها ألفا حمام لا زيادة

وقد كان الفرق عظيما جداً بين أيام المقتدر وأيام المطيع والطائع وذلك لأن عمران بغداد من بعد المعتصم أخذ بالتدنى ثم كان الفرق أعظم بين أيام المطيع والطائع وأيام الناصر الذى فى زمنه دخل ابن جبير بغداد. وقد جاء فى تاريخ بغداد لابن الخطيب تفصيل استقبال المقتدر لسفراء ملك الروم مما يتجاوز تصور العقول فى الابهة والفخامة وكثرة العدد والعدد، فقد رووا أنه كان عند المقتدر احد عشر ألف خادم خصيّ عدا الغلمان الحجرية والحواشى من الفحول وكانوا ألوفا وقيل كانت عدة كل نوبة من نوب الفراشين فى دار المتوكل على الله أربعة آلاف فرّاش ، ولما جاء رسل ملك الروم صف

فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور وقعدنا إلى أن وصل هذا الحبر المتكلم فصعد المنبر وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان وقد تسطّر القراء أمامه على كراسى موضوعة فابتدروا القراءة على الترتيب وشوقوا ماشاءوا وأطربوا ما أرادوا وبادرت العيون بارسال الدموع فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات صدع بخطبته الزهراء الغراء وأتي بأوائل الآيات فى أثنائها منتظمات ومشى الخطبة على فقرة آخر آية منها فى الترتيب إلى أن أكملها وكانت الآية (الله الذى جعلَ لكم الليلَ لتسكنُوا فيه والنهارَ مُبصراً ان الله لذُو فضل على الناس) فتمادى على هذا السين وحسّن أى تحسين فكان يومه فى ذلك أعجبَ من أمسه . ثم أخذ فى الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته وكنى عنها بالستر الأشرف والجناب الأرأف، ثم سلك سبيله فى الوعظ كل ذلك بديهةً لارويّة ، ويصل كلامه فى ذلك بالآيات المقروآت على النسق مرة أخرى، فأرسلت وابلها العيون وأبدت النفوس سر شوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين بالتوبة معلنين وطاشت الألباب والعقول

المقتدر لهم العسكر من دار صاعد إلى دار الخلافة فكان عدد الجيش المصطف مائة وستين ألفاً بين فارس وراجل ثم رسم المقتدر أن يطاف بالرسل فى دار الخلافة وليس فيها من العسكر أحد البتة وانما فيها الخدم والحجّاب والغلمان السود فكان عدد الخدم سبعة آلاف منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجّاب سبعمائة حاجب وعدد الغلمان السود غير الخدم أربعة آلاف . قالوا وكان عدد ماعُلّق يومئذٍ فى قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطرز المذهبة الجليلة المصورة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع والطرد والستور الكبار الصنعانية والأرمنية والواسطية والبهنسية السواذج والمنقوشة والدبيقية المطرزة ثمانية وثلاثين ألف ستر وعدد البسط والنخاخ الجهرمّية والدورقية فى الممرات والصحون التى وطىء عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد باب العامة الجديد إلى حضرة المقتدر بالله سوى ما فى المقاصير والمجالس من الأنماط الطبرى والدَّبيقى التى لحقها النظر دون الدوس اثنان وعشرون ألف قطعة وأدخل رسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الأعظم

وكثر الوله والذهول وصارت النفوس لا تملك تحصيلا ولا تميز معقولا ولا تجد للصبر سبيلا . ثم فى أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق بديعة الترقيق، تشعل القلوب وجداً ويعود موضوعها النسيبى زهداً ، وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام ، وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام :

أين فؤادى أصابه الوجد   وأين قلبى فما صحا بعد
يا سعد زدنى جوى بذكرهم   بالله قل لى فديت يا سعد

ولم يزل يرددها والانفعال قد أثر فيه والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه إلى أن خاف الافحام فابتدر القيام ونزل عن المنبر دهشاً عجلاً وقد أطار القلوب وجلاً وترك الناس على أحر من الجمر يشيعونه بالمدامع الحمر فمن معلن بالانتحاب ومن متعفر فى التراب فياله من مشهد ما أهول مرآه وما أسعد من رآه ، نفعنا الله ببركته وجعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته بمنه وفضله. وفى أول مجلسه أنشد قصيدا نير القبس: عراقى النفس ، فى الخليفة أوله :

إلى الدار المعروفة بخان الخيل وهى دار أكثرها أروقة بأساطين رخام وكان فيها من الجانب الأيمن خمسمائة فرس عليها خمسمائة مركب ذهباً وفضة بغير أغشية ومن الجانب الأيسر خمسمائة فرس عليها الجلال الديباج بالبراقع الطوال وكل فرس فى يدى شاكرى بالبزة الجميلة ، ثم ادخلوا من هذه الدار إلى الممرات والدهاليز المتصلة بحير الوحش وكان فى هذه الدار من أصناف الوحش التى أخرجت اليها من الحير قطعان تقرب من الناس وتتشممهم وتأكل من أيديهم . ثم أخرجوا إلى دار فيها أربعة فيلة مزينة بالديباج على كل فيل ثمانية نفر من السند الزراقين بالنار فهال الرسل أمرها ثم أخرجوا إلى دار فيها مائة سبع خمسون يمنة وخمسون يسرة كل سبع منها فى يد سباع وفى رؤوسها وأعناقها السلاسل والحديد . ثم أخرجوا إلى الجوسق المحدث وهى دار بين بساتين فى وسطها بركة رصاص قلعى حواليها نهر رصاص قلعى أحسن من الفضة المجلوة طول البركة ثلاثون ذراعا فى عشرين ذراعا وحولها مجالس مزينة بالدبيقى المطرز وحوالى هذه البركة بستان بميادين فيه نخل عدده أربعمائة نخلة قد لبس جميعها ساجا منقوشاً

فى شُغُلٍ من الغرام شاغِل　　ما هاجه البرق بسفح عاقل

يقول فيه عند ذكر الخليفة:

يا كلمات الله كونى عوذة　　من العيون للامام الكامل

ففرغ من انشاده وقد هز المجلس طرباً ثم أخذ فى شأنه وتمادى فى ايراد سحر بيانه ، وما كنا نحسب أن متكلماً فى الدنيا يعطى من ملكة النفوس والتلاعب بها ماأعطى هذا الرجل ، فسبحان من يخص بالكلام من يشاء من عباده لا إله غيره وشهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد ممن يستغرب شأنه بالاضافة لما عهدناه من متكلمى الغرب ، وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة شرفها الله مجالس من قد ذكرناه فى هذا التقييد فصغرت بالاضافة لمجلس هذا الفذ فى نفوسنا قدراً ولم نستطب لها ذكراً وأين تقعان مما أريد وشتان بين اليزيدين وهيهات الفتيان كثير والمثل بمالك يسير ، ونزلنا بعد بمجلس يطيب سماعه ويروق استطلاعه وحضرنا له مجلساً ثالثاً يوم السبت الثالث عشر لصفر بالموضوع المذكور بازاء داره على الشط الشرقى فأخذت معجزاته

من أصلها الى حد الجمّارة بحاق شبه مذهبة ثم أخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة فى وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف وللشجرة ثمانية عشر غصناً لكل غصن منها شاخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة وأكثر قضبان الشجرة فضة وهى تمايل فى أوقات ولها ورق مختلف الألوان يتحرك كما يتحرك أوراق الشجر الطبيعى بالريح الهابّة وقيل فى هذه الشجرة ان وزنها كان خمسمائة ألف درهم. قالوا وكان تعجّب رسول ملك الروم من هذه الشجرة أكثر من تعجبه من كل ما شاهده. وكانت الطيور المصنوعة التى على الشجرة تتحرك بحركات قدجعلت لها. ثم انه كان فى جانب الدار يمين البركة تماثيل خمسة عشر فارساً على خمسة عشر فرساقد ألبسوا الديباج وغيره وفى أيديهم مطارد على رماح يدورون على خط واحد خبباً وتقريباً فيظن أن كل واحد منهم الى صاحبه قصد. وفى الجانب الأيسر مثل ذلك . ثم أدخلوا الى القصر المعروف بالفردوس فكان فيه من الفرش والآلات مالا يحصى وكان فى دهاليز الفردوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلّقة. ثم أخرجوا منه الى ممر طوله

البيانية مأخذها فشاهدنا من أمره عجباً، صعد بوعظه أنفاس الحاضرين سحباً ، وأسال من دمعهم وابلاً سكبا، ثم جعل يردد فى آخر مجلسه أبياتاً من النسيب شوقا زهديا وطربا، إلى أن غلبته الرقة فوثب من أعلى منبره والهاً مكتئباً وغادر الكل متندماً على نفسه منتحجاً لهفان ينادى ياحسرتا واحربا والنادبون يدورون بنحيبهم دورالرحا، وكل منهم بعدمن سكرته ماصحا، فسبحان مَنْ خَلَقَهُ عبرة لأولى الألباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الأسباب لا إله سواه (ثم نرجع إلى ذكر بغداد) هى كما ذكرناه جانبان شرق وغربى ودجلة بينهما فأما الجانب الغربى فقد عمَّه الخراب واستولى عليه وكان المعمور أولاً وعمارة الجانب الشرقى محدثة لكنه مع استيلاء الخراب عليه يحتوى على سبع عشرة محلة كل محلة منها مدينة مستقلة ، وفى كل واحدة منها الحمامان والثلاثة والثمانى منها بجوامع يصلى فيها الجمعة فأكبرها القرية وهى التى نزلنا فيها بربض منها يعرف بالمربعة على شط دجلة بمقربة من الجسر فحملته دجلة بعدها السيلى فعاد الناس يعبرون بالزوارق والزوارق فيها لا تحصى كثرة، فالناس ليلاً ونهاراً من تمادى العبور فيها فى

ثلاثمائة ذراع قد علّق من جانبيه نحو من عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضة ودرع وردية وجعبة محلاة وقسى وقد أقيم نحو ألفى خادم بيضاً وسوداً صفين يمنة ويسرة . ثم أخرجوا بعد أن طيف بهم ثلاثة وعشرين قصراً وذلك الى الصحن التسعينى وفيه الغلمان الحجرية بالسلاح الكامل والبزة الحسنة ، وفى أيديهم الشروخ والطبرزينات والأعمدة، ثم مرّوا بمصاف من علية السواد من خلفاء الحجاب وأصاغر القواد ودخلوا دار السلام وكانت عدة كثيرة من الخدم والصقالبة فى كل من القصور يسقون الناس الماء المبرّد بالثلج والأشربة والفقّاع ، ومنهم من كان يطوف مع الرسل ولطول المشى بهؤلاء جلسوا واستراحوا فى سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا. وكان أبو عمر عدى ابن أحمد بن عبد الباقى الطرسوسى رئيس الثغور الشامية من قبل الخليفة يطوف معهم وعليه قباء أسود وسيف ومنطقة ووصلوا الى حضرة المقتدر بالله وهو جالس فى قصر التاج مما يلى دجلة وكان الخليفة على سرير أبنوس قد فرش بالدّبيقى المطرز بالذهب ومن يمنة السرير تسعة عقود من اللآلئ مثل السبح معلقة ومن يسرته تسعة أخرى من أفخر الجواهر

نزهة متصلة رجالا ونساء والعادة أن يكون لها جسران أحدهما مما يقرب من دور الخليفة والآخر فوقه لكثرة الناس والعبور في الزوارق لا ينقطع منها، ثم الكرخ وهي مدينة مسوّرة، ثم محلة باب البصرة وهي أيضا مدينة ولها جامع المنصور رحمه الله وهو

غالب ضوءها على ضوء النهار. ومثّل الرسول وترجمانه بين يدى المقتدر بالله فكفّر له وكان الرسول شاباً والترجمان شيخاً وقد كان ملك الروم عقد الأمر في الرسالة للشيخ إذا حدث بالشاب حدث الموت فناوله المقتدر جوابه لملك الروم وكان ضخما كبيراً فتناوله وقبّله اعظاما له ثم أُخرجا من باب الخاصة إلى دجلة وأقعدا وسائر أصحابهما في شذاً من الشذوات الخاصة ـ الشذا نوع من السفن ـ وأصعدا إلى دار صاعد التي أنزلا فيها وحُمل اليهما خمسون بدرة كل بدرة خمسة آلاف درهم. فهذا ما كانت عليه دار الخلافة في أيام المقتدر وذلك في نحو سنة خمس وثلاثمائة. ونقل عن أبي نصر خوا شاذة خازن عضد الدولة بن بويه قال: طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها فكان ذلك مثل مدينة شيراز. قال هلال الصابي: وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين خبيرين. ومع هذا فقد كانت بغداد في أيام عضد الدولة انحطت كثيراً عما كانت في أيام المقتدر أي قبل ذلك بستين أو سبعين سنة. وكانت في أيام المقتدر قد نزلت كثيراً عن درجتها في أيام المأمون والمعتصم. وأما في أيام الناصر وهي التي فيها زار ابن جبير بغداد أي بعد أيام المقتدر بمائتين وخمسين سنة فكانت بغداد لا تعدّ شيئاً بالقياس الى ما كانت عليه من قبل

وأما جامع الخليفة المتصل بداره الذي يقول فيه ابن جبير ان فيه سقايات عظيمة ومرافق كثيرة فنظنه الجامع الذي بناه الخليفة المكتفي سنة تسع وثمانين ومائتين فقد ورد في تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر الخطيب ان الناس كانوا يصلون الجمعة في دار الخلافة نفسها وليس هناك رسم لمسجد فلما استُخلف المكتفي أمر ببناء مسجد جامع في داره يصلي فيه الناس فصاروا يبكرون إلى المسجد الجامع في الدار يوم الجمعة فلا يمنعون من دخوله ويقيمون فيه إلى آخر النهار قال الخطيب: وحصل ذلك رسماً باقياً الى الآن.

جامع كبير عتيق البنيان حفيله ، ثم الشارع وهى أيضا مدينة فهذه الأربع أكبر المحلات . وبين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان وهى مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير ببغداد وهو على دجلة وتتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس ويطالعون أحوال المرضى به ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون اليه ، وبين أيديهم قومة يتناولون طبخ الأدوية والأغذية وهو قصر كبير فيه القاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكية والماء يدخل اليه من دجلة ، وأسماء سائر المحلات يطول ذكرها كالوسيطة وهى بين دجلة ونهر يتفرع من الفرات وينصب فى دجلة يجىء فيه جميع المرافق التى فى الجهات التى يسقيها الفرات ويشق على باب البصرة الذى ذكرنا محلته نهر آخر منه وينصب أيضاً فى دجلة. ومن أسماء المحلات العتابية وبها تصنع الثياب العتابية وهى حرير وقطن مختلفات الألوان . ومنها الحربية وهى أعلاها وليس وراءها الا القرى الخارجة عن بغداد إلى أسماء يطول ذكرها . وباحدى هذه المحلات قبر معروف الكرخى وهو رجل من الصالحين مشهور فى الأولياء. وفى الطريق إلى باب البصرة مشهد حفيل البنيان داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه. وفى الجانب الغربى أيضاً قبر موسى بن جعفر رضى الله عنهما الى مشاهد كثيرة مما لم يحضرنا تسميته من الأولياء والصالحين والسلف الكريم رضى الله عن جميعهم وبأعلى الشرقية خارج البلد محلة كبيرة بازاء محلة الرصافة . وبالرصافة كان الطاق المشهور على الشط وفى تلك المحلة مشهد حفيل البنيان له قبة بيضاء سامية فى الهواء فيه قبر الامام أبى حنيفة رضى الله عنه وبه تعرف المحلة . وبالقرب من تلك المحله قبر الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه . وفى تلك الجهات أيضاً قبر أبى بكر الشبلى رحمه الله وقبر الحسين بن منصور الحلاج ، وببغداد من قبور الصالحين كثير رضى الله عنهم . وبالغربية هى البساتين والحدائق ومنها تجاب الفواكه إلى الشرقية وأما الشرقية فهى اليوم دار الخلافة وكفاها بذلك شرفاً واحتفالاً ودور الخليفة مع آخرها وهى تقع منها فى نحو الربع أو أزيد لأن جميع العباسيين فى تلك الديار معتقلين اعتقالاً جميلاً لا يخرجون ولا يظهرون ولهم المرتبات القائمة بهم وللخليفة من تلك الديار جزء كبير قد اتخذ فيها المناظر المشرفة والقصور الرائعة والبساتين

الأنيقة وليس له اليوم وزير انما له خديم يعرف بنائب الوزارة يحضر الديوان المحتوى على أموال الخلافة وبين يديه الكتب فينفذ الأمور وله قيم على جميع الديار العباسية وأمين على كافة الحرم الباقيات من عهد جده وأبيه وعلى جميع من تضمه الحرمة الخلافية يعرف بالصاحب مجد الدين أستاذ الدار هذا لقبه ، ويدعى له اثر الدعاء للخليفة وهو قلما يظهر للعامة اشتغالاً بما هو بسبيله من أمور تلك الديار وحراستها والتكفل بمغالقها وتفقدها ليلاً ونهاراً. وررونق هذا الملك انما هو على الفتيان والأحابش المجابيب منهم فتى اسمه خالص وهو قائد العسكرية كلها أبصرناه خارجاً أحد الأيام وبين يديه وخلفه أمراء الاجناد من الأتراك والديلم وسواهم وحوله نحو خمسين سيفاً مسلولة فى أيدى رجال قد احتفوا به فشاهدنا من أمره عجباً فى الدهر وله القصور والمناظر على دجلة وقد يظهر الخليفة فى بعض الأحيان بدجلة راكباً فى زورق وقد يصيد فى بعض الأوقات فى البرية وظهوره على حالة اختصار تعمية لأمره على العامة فلا يزداد أمره مع تلك التعمية إلاّ اشتهاراً وهو مع ذلك يحب الظهور للعامة ويؤثر التحبُّب لهم وهو ميمون النقيبة عندهم قد استسعدوا بأيامه رخاء وعدلا وطيب عيش فالكبير والصغير منهم داع له، أبصرنا هذا الخليفة المذكور وهو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ابن المستضىء بنور الله أبى محمد الحسن بن المستنجد بالله أبى المظفر يوسف ويتصل نسبه إلى أبى الفضل جعفر المقتدر بالله إلى السلف فوقه من أجداده الخلفاء رضوان الله عليهم بالجانب الغربى أمام منظرته، وقد انحدر عنها صاعداً فى الزورق إلى قصره بأعلى الجانب الشرقى على الشط وهو فى فتاء من سنه أشقر اللحية صغيرها كما اجتمع بها وجهه حسن الشكل جميل المنظر أبيض اللون معتدل القامة رائق الرواء سنه نحو الخمس والعشرين سنة لابساً ثوبا أبيض شبه القباء برسوم ذهب فيه وعلى رأسه قلنسوة مذهبة مطوقة بوبر أسود من الأوبار الغالية القيمة المتخذة للباس الملوك مما هو كالفنك[1] وأشرف متعمداً بذلك زى الأتراك تعمية لشأنه لكن الشمس لاتخفى وان سترت وذلك عشية يوم السبت السادس لصفر

(١) الفنك محركة: دابة يلبس جلدها

سنة ثمانين ، وأبصرناه أيضا عشى يوم الأحد بعده متطلعا من منظرته المذكورة بالشرق الغربى وكنا نسكن بمقربة منها . والشرقية حفيلة الأسواق عظيمة الترتيب تشتمل من الخلق على بشر لا يحصيهم الا الله تعالى الذى أحصى كل شيء عدداً، وبها من الجوامع ثلاثة كلها يجمع فيها جامع الخليفة متصل بداره وهو جامع كبير وفيه سقايات عظيمة ومرافق كثيرة كاملة مرافق الوضوء والطهور . وجامع السلطان وهو خارج البلد ويتصل به قصور تنسب للسلطان أيضا معروف بشاهشاه وكان مدبر أمر أجداد هذا الخليفة وكان يسكن هنالك فابتنى الجامع أمام مسكنه . وجامع الرصافة وهو على الجانب الشرقى المذكور وبينه وبين جامع هذا السلطان المذكور مسافة نحو الميل . وبالرصافة تربة الخلفاء العباسيين رحمهم الله فجميع جوامع البلد ببغداد المجمّع فيها أحد عشر . وأما حماماتها فلا تحصى عدة ذكر لنا أحد أشياخ البلد أنها بين الشرقية والغربية نحو الألفى حمام(١) وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل للناظر أنها رخام أسود صقيل . وحمامات هذه الجهات أكثرها على هذه الصفة لكثرة القار عندهم لأن شأنه عجيب يجلب من عين بين البصرة والكوفة. وقد أنبط الله ماء هذه العين ليتولد منه القار فهو يصير فى جوانبه كالصلصال فيجرف ويجلب وقد انعقد فسبحان خالق ما يشاء لا إله سواه . وأما المساجد بالشرقية والغربية فلا يأخذها التقدير فضلاً عن الاحصاء ، والمدارس بها نحو الثلاثين وهى كلها بالشرقية وما منها مدرسة إلا وهى يقصر القصر البديع عنها ، وأعظمها وأشهرها النظامية وهى التى ابتناها نظام الملك وجددت سنة أربع وخمسمائة ، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير الى الفقهاء المدرسين بها ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم ولهذه البلاد فى أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد ، فرحم الله واضعها الأول ورحم من تبع ذلك السنن الصالح . وللشرقية أربعة

---

(١) ذكرنا بحث الحمامات هذه فيما تقدم من الكلام عن بغداد واذا كان عدد حمامات بغداد يوم دخلها ابن جبير الأندلسى ألفين فلا يكون عدد سكانها حينئذ أقل من مليون نسمة .

أبواب فأولها وهو فى أعلى الشط باب السلطان ثم باب الظفرية ثم يليه باب الحلبة ثم باب البصلية هذه الأبواب التى هى فى السور المحيط بها من أعلى الشط الى أسفله هو ينعطف عليها كنصف دائرة مستطيلة وداخلها فى الأسواق أبواب كثيرة وبالجملة فشأن هذه البلدة أعظم من أن يوصف وأين هىْ مما كانت عليه . هى اليوم داخلة تحت قول حبيب : لا أنتِ أنتِ ولا الديار ديار :

واتفق رحيلنا من بغداد الى الموصل اثر صلاة العصر من يوم الاثنين الخامس عشر لصفر وهو الثامن والعشرون لمايه فكان مقامنا بها ثلاثة عشر يوما ونحن فى صحبة الخاتونين خاتون بنت مسعود المتقدمة الذكر فى هذا التقييد وخاتون أم معز الدين صاحب الموصل وأرض الأعاجم المتصلة بالدروب التى الى طاعة الأمير مسعود والد إحدى الخاتونين المذكورتين وتوجه حاج خراسان وما يليها صحبة الخاتون الثالثة ابنة الملك الدقوس[1] وطريقهم على الجانب الشرقى من بغداد وطريقنا نحن الى الموصل على الجانب الغربى منها وهاتان الخاتونان هما أميرتا هذا العسكر الذى توجهنا فيه وقائدتاه والله لا يجعلنا تحت قول القائل : « ضاع الرعيل ومن يقوده »

ولها أجناد برسمها وزادها الخليفة جنداً يشيعونهما مخافة العرب الخفاجيين المضرين بمدينة بغداد . وفى تلك العشية التى رحلنا فيها فجاءتنا خاتون المسعودية المترفة شبابا وملكاً وهى قد استقلت فى هودج موضوع على خشبتين معترضتين بين مطيتين الواحدة أمام الأخرى وعليهما الجلال المذهبة . وهما يسيران بها سير النسيم سرعة ولينا وقد فتح لها أمام الهودج وخلفه بابان وهى ظاهرة فى وسطه متنقبة وعصابة ذهب على رأسها وأمامها رعيل من فتيانها وجندها وعن يمينها جنائب المطايا والهماليج العتاق ووراءها ركب من جواريها قد ركبن المطايا والهماليج على السروج المذهبة وعصبن رؤوسهن بالعصائب الذهبيات والنسيم يتلاعب بعذباتهن وهن يسرن خلف سيدتهن سير السحاب ولها الرايات والطبول والبوقات تضرب عند ركوبها وعند نزولها. وأبصرنا من نخوة الملك النسائى واحتفاله رتبة تهز الأرض هزا وتسحب

(١) كذا

أذيال الدنيا عزاً ويحق أن يخدمها العز ويكون لها هذا الهز. فان مسافة مملكة أبيها نحو الأربعة الأشهر وصاحب القسطنطينية يؤدى اليه الجزية وهو من العدل فى رعيته على سيرة عجيبة ومن موالاة الجهاد على سنة مرضية ، وأعلمنا أحد الحجاج من أهل بلدنا أن فى هذا العام الذى هو عام تسعة وسبعين الخالى عنا استفتح من بلاد الروم نحو الخمسة والعشرين بلداً ولقبوه عز الدين واسم أبيه مسعود وهذا الاسم غلب عليه وهو عريق فى المملكة عن جدّ لجدّ . ومن شرف خاتون هذه واسمها سلجوقة ان صلاح الدين استفتح آمد بلد زوجها نور الدين[1] وهى من أعظم بلاد الدنيا فترك البلد لها كرامة لأبيها وأعطاها المفاتيح فبقى ملك زوجها بسببها. وناهيك من هذا الشأن والملك ملك الحى القيوم يؤتى الملك من يشاء لا إله سواه . فكان مبيتنا تلك الليلة فى احدى قرى بغداد نزلناها وقد مضى هدء من الليل. وبمقربة منها دجيل وهو نهر يتفرع من

(١) هو نور الدين محمد بن قره أرسلان بن داود بن سكمان بن ارتق صاحب حصن كيفا لما فتح صلاح الدين آمد سنة ٥٧٩ أى ثانى السنة التى حج فيها ابن جبير الأندلسى سلمها اليه على أن يكون من أعوانه وكان وعده بها قبل فتحها فوفى بوعده وأظهر صلاح الدين كرما زائداً فى ذلك الفتح فانه سمح لابن نيسان أميرها بأن ينقل منها كل ما يقدر على حمله من أمواله فنقل مالا يحصى وبقى فيها مالا يحصى جاء «فى الروضتين فى أخبار الدولتين» : لما تسلم السلطان آمد وجد فيها من السلاح وآلات الحصار ومن المجانيق واللعب والزرادت أشياء كثيرة لا يمكن أن يوجد فى بلد مثلها، ووجد فيها برج فيه مائة ألف شمعة وبرج مملوء بنصول النشاب وأشياء يطول شرحها . وكان فيها خزانة كتب كان فيها ألف ألف وأربعون ألف كتاب (أى مليون و ٤٠ ألف كتاب) فوهب السلطان الكتب للقاضى الفاضل . ويقال ان ابن قرة ارسلان باع من ذخائر آمد وخزائنها مما لا حاجة له به مدة سبع سنين حتى امتلأت الأرض من ذخائرها وقيل للسلطان : انك وعدته بآمد وما وعدته بما فيها من الذخائر والأموال وفيها من الذخائر مايساوى ثلاثة آلاف ألف دينار قال : لاأضن عليه بما فيها من الأموال فانه قد صار من أصحابنا

دجلة يسقى تلك القرى كلها وغدونا من ذلك الموضع ضحى يوم الثلاثاء السادس عشر لصفر المذكور والقرى متصلة فى طريقنا فاتصل سيرنا الى أثر صلاة الظهر ونزلنا وأقمنا باقى يومنا ليلحقنا من تأخر من الحاج ومن تجار الشام والموصل ثم رحلنا قبيل نصف الليل وتمادى سيرنا الى أن ارتفع النهار فنزلنا قائلين ومريحين على دجيل وأسرينا الليل كله فنزلنا مع الصباح بمقربة من قرية تعرف (بالخَرْبة) من أخصب القرى وأفسحها ورحلنا من ذلك الموضع وأسرينا الليل كله ونزلنا مع الصباح من يوم الخميس الثامن عشر لصفر على شط دجلة بمقربة من حصن يعرف (بالمعشوق) ويقال انه كان متفرجاً لزبيدة ابنة عم الرشيد وزوجه رحمه الله، وعلى قبالة هذا الموضع فى الشط الشرقى مدينة (سُرَّ من رأى) وهى اليوم عبرة من رأى ، أين معتصمها وواثقها ومتوكلها مدينة كبيرة قد استولى الخراب عليها الا بعض جهات منها هى اليوم معمورة . وقد أطنب المسعودى رحمه الله فى وصفها ووصف طيب هوائها ورائق حسنها وهى كما وصف وان لم يبق الا الأثر من محاسنها والله وارث الأرض ومن عليها لا اله غـيره فأقمنا بهذا الموضع طول يومنا مستريحين وبيننا وبين مدينة تـكريت مرحلة، ثم رحلنا منـه وأسرينا الليل كله فصبحنا تـكريت مع الفجر من يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر وهو أول يوم من يونيه فنزلنا ظاهرها مستريحين ذلك اليوم

ولما كنا قد ذكرنا طرفاً مما قال ابن جبير عن بغداد اقتضى العدل أن نذكر طرفاً مما قاله عن دمشق حتى نشخص انطباعات بلاد الشرق فى ذهن هـذا السائح الـكبير القادم أليها من الغرب

(ذكر مدينة دمشق حرسها الله تعالى)

جنة المشرق ومطلع حسنه المؤنق المشرق، وهى خاتمة بلاد الاسلام التى استقريناها وعروس المدن التى اجتليناها ، قد تحلت بأزاهير الرياحين وتجلت فى حلل سندسية من البساتين، وحلت من موضع الحسن بالمـكان المـكين، وتزينت فى منصتها أجمـل تزيين وتشرفت بأن آوى الله تعالى المسيح وأمه صلى الله عليهما منها إلى ربوة ذات قرار

ومعين ، ظل ظليل وماءساسبيل تنساب مذائبه انسياب الأراقم بكل سبيل ، ورياض يحيى النفوس نسيمها العايل تتبرج لناظريها بمجتلى صقيل، وتناديهم هلموا إلى معرس للحسن ومقيل ، قد سئمت أرضها كثرة المـاء حتى اشتاقت إلى الظمأ فتـكاد تناديك بها الصم الصلاب(اركض برجلك هـذا مغتسل بارد وشراب) قد أحدقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر واكتنفتها اكتناف الـكمامة للزهر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتدادالبصر ، فـكل موضع لحظته بجهاتها الأربع نضرته اليانعة قيد النظر ، ولله‌صدق القائلين عنها : إن كانت الجنة فى‌الأرض فدمشق لاشك فيها ، وان كانت‌فى السماء فهى‌بحيث تسامتها وتحاذيها

(ذكر جامعها المـكرم شرفه الله تعالى)

هو من أشهر جوامع الاسلام حسناً واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين وشهرته المتعارفة فى‌ذلك تغنى عن استغراق الوصف، فيه ومن عجيب شأنه انه لا تنسج به العنـكبوت ولا تدخـله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف . انتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك رحمه الله ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره باشخاص اثنى عشر ألفا من الصناع من بلاده وتقدم اليه بالوعيد فى ذلك ان توقف عنه فامتثل أمره مذعناً بعد مراسلة جرت بينهما فى ذلك ممـا هو مذكور فى كتب التواريخ فشرع فى بنائه وبلغت الغاية فى التأنق فيه وانزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء وخالطت بها أنواع من الأصبغة الغريبة قـد مثلت أشجارا وفرعت أغصانا منظومة بالفصوص ببدائع من الصنعة الأنيقة المعجزة وصف كل واصف فجاء يغشى العيون وميضاً وبصيصاً وكان مبلغ النفقة فيه حسبما ذكره ابن المعلى الأسدى فى‌جزء وضعه فى ذكر بنائه مائة صندوق فى كل صندوق ثمـانية وعشرون ألف دينار ومائتا ألف دينار فـكان مبلغ الجميع احد عشر ألف ألف دينار ومِئَتَىْ ألف دينار ، والوليد

هذا (هو) الذى أخذ نصف الكنيسة الباقية منه فى أيدى النصارى وأدخلها فيه لأنه كان قسمين قسما للمسلمين وهو الشرقى وقسما للنصارى وهو الغربى لان أبا عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه دخل البلد من الجهة الغربية فانتهى إلى نصف الكنيسة وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى ، ودخل خالد بن الوليد رضى الله عنه عنوةً من الجانب الشرقى وانتهى إلى النصف الثانى وهو الشرقى فاجتازه المسلمون وصيروه مسجداً وبقى النصف المصارع عليه وهو الغربى كنيسة بأيدى النصارى إلى أن عوضهم منه الوليد فأبوا ذلك فانتزعه منهم قهرا وطلع لهدمه بنفسه وكانوا يزعمون أن الذى يهدم كنيستهم يجن فبادر الوليد وقال أنا أول من يجن فى الله وبدأ الهدم بيده فبادر المسلمون وأكملوا هدمه. واستعدى النصارى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أيام خلافته وأخرجوا العهد الذى بأيديهم من الصحابة رضى الله عنهم فى ابقائه عليهم فهم بصرفه اليهم فاشفق المسلمون من ذلك ثم عوضهم منه بمال عظيم أرضاهم به فقبلوه. ويقال ان أول من وضع جداره القبلى هو النبى عليه الصلاة والسلام وكذلك ذكر ابن المعلى فى تاريخه والله أعلم بذلك لا إله سواه. وقرأنا فى فضائل دمشق عن سفيان الثورى انه قال ان الصلاة فيه بثلاثين ألف صلاة وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم: انه يعبد الله عز وجل فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة

(ذكر تذريعه ومساحته وعدد أبوابه وشمسياته)

ذرعه فى الطول من الشرق إلى الغرب مائتا خطوة وهما ثلاثمائة ذراع ، وذرعه فى السعة من القبلة إلى الجوف[1] مائة خطوة وخمس وثلاثون خطوة وهى مائتا ذراع فيكون تكسيره من المراجع الغربية أربعة وعشرين مرجعاً وهو تكسير مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ان الطول فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبلة إلى الشمال وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلات من الشرق إلى الغرب سعة كل بلاطة منها

(١) لاتنسَ اصطلاح الأندلسيين والمغاربة على تسمية الشمال جوفاً .

ثمان عشرة خطوة والخطوة ذراع ونصف وقد قامت على ثمانية وستين عموداً منها أربع وخمسون سارية وثمانى أرجل حصينة تخللها واثنتان مرخمة ملصقة معها فى الجدار الذى يلى الصحن ، وأربع أرجل مرخمة أبدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب وأشكالاً غريبة قائمة فى البلاط الأوسط تقل قبة الرصاص مع القبة التى تلى المحراب سعة كل رجل منها ستة عشر شبراً وطولها عشرون شبراً . وبين كل رجل ورجل فى الطول سبع عشرة خطوة وفى العرض ثلاث عشرة خطوة . فيكون دور كل رجل منها اثنين وسبعين شبراً . ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته الشرقية والغربية والشمالية سعته عشر خُطىً وعدد قوائمه سبع وأربعون منها أربع عشرة رجلاً من الجص وسائرها سوارٍ فيكون سعة الصحن حاشا السقف القبلى والشمالى مائة ذراع . وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص. وأعظم ما فى هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وسطه سامية فى الهواء عظيمة الاستدارة قد استقل بها هيكل عظيم هو غارب لها يتصل من المحراب إلى الصحن وتحته ثلاث قباب قبة تتصل بالجدار الذى الى الصحن وقبة تتصل بالمحراب وقبة تحت قبة الرصاص بينهما والقبة الرصاصية قد اغضت الهواء وسطه فاذا استقبلتها أبصرت منظرا رائعاً ومرأى هائلا يشبهه الناس بنسر طائر كأن القبة رأسه والغارب جؤجؤه ونصف جدار البلاط عن يمين ونصف الثانى عن شمال جناحاه . وسعة هذا الغارب من جهة الصحن ثلاثون خطوة فهم يعرفون الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه . ومن أى جهة استقبلت البلد ترى القبة فى الهواء منيفة على كل علو كأنها معلقة فى الجو. والجامع المكرم مائل الى الجهة الشمالية من البلد وعدد شمسياته الزجاجية المذهبة الملونة أربع وسبعون منها فى القبة التى تحت قبة الرصاص عشر، وفى القبة المتصلة بالمحراب مع ما يليها من الجدار أربعة عشر شمسية . وفى طول الجدار عن يمين المحراب ويساره أربع وأربعون. وفى القبة المتصلة بجدار الصحن ست وفى ظهر الجدار الى الصحن سبع وأربعون شمسية . وفى الجامع المكرم ثلاث مقصورات : مقصورة الصحابة رضى الله عنهم، وهى أول مقصورة وضعت فى الاسلام

وضعها معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما وبازاء محرابها عن يمين مستقبل القبلة باب حديد كان يدخل معاوية رضى الله عنه الى المقصورة منه الى المحراب . وبازاء محرابها لجهة اليمين مصلى أبى الدرداء رضى الله عنه، وخلفها كانت دار معاوية رضى الله عنه، وهى اليوم سماط عظيم للصفارين يتصل بطول جدار الجامع القبلى ولا سماط أحسن منظراً منه ولا أكبر طولا وعرضاً . وخلف هذا السماط على مقربة منه دار الخيل برسمه وهى اليوم مسكونة وفيها مواضع للكمادين[1] . وطول المقصورة الصحابية المذكورة أربعة وأربعون شبراً وعرضها نصف الطول ويليها لجهة الغرب فى وسط الجامع المقصورة التى أحدثت عند اضافة النصف المتخذ كنيسة الى الجامع حسبما تقدم ذكره وفيها منبر الخطبة ومحراب الصلاة . وكانت مقصورة الصحابة أولا فى نصف الخط الاسلامى من الكنيسة وكان الجدار حيث أعيد المحراب فى المقصورة المحدثة فلما أعيدت الكنيسة كلها مسجداً صارت مقصورة الصحابة طرفا من الجانب الشرقى وأحدثت المقصورة الأخرى وسطاً حيث كان جدار الجامع قبل الاتصال . وهذه المقصورة المحدثة أكبر من الصحابية . وبالجانب الغربى بازاء الجدار مقصورة أخرى هى برسم الحنفية يجتمعون فيها للتدريس وبها يصلون وبازائها زاوية محدقة بالأعواد الشرجبة كأنها مقصورة صغيرة . وبالجانب الشرقى زاوية أخرى على هذه الصفة هى كالمقصورة كان وضعها للصلاة فيها أحد أمراء الدولة التركية وهى لاصقة بالجدار الشرقى . وبالجامع المكرم عدة زوايا على هذا الترتيب يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس وهى من جملة مرافق الطلبة وفى الجدار المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات القبلية عشرون بابا متصلة بطول الجدار قدعلتها قِسِيّ جصّية مخرّمة كلها على هيئة الشمسيات فتبصر العين من اتصالها أجمل منظر وأحسنه، والبلاط المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات من ثلاث جهات على أعمدة وعلى تلك الأعمدة أبواب مقوسة تقلها أعمدة صغار تطيف بالصحن كله . ومنظر هذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها وفيه مجتمع أهل البلد وهو متفرجهم ومتنزههم كل عشية تراهم فيه ذاهبين

---

(١) أى القصّارين

وراجعين من شرق الى غرب من باب جيرون الى باب البريد فمنهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ لا يزالون على هذه الحال من ذهاب ورجوع الى انقضاء صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرفون . ولبعضهم بالغداة مثل ذلك وأكثر الاحتفال انما هو بالعشى فيخيل لمبصر ذلك أنها ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم لما يرى من احتفال الناس واجتماعهم لا يزالون على ذلك كل يوم وأهل البطالة من الناس يسمونهم الحراثين . وللجامع ثلاث صوامع واحدة فى الجانب الغربى وهى كالبرج المشيد تحتوى على مساكن متسعة وزوايا فسيحة راجعة كلها الى اغلاق يسكنها أقوام من الغرباء أهل الخير، والبيت الأعلى منها كان معتكف أبى حامد الغزالى رحمه الله ويسكنه اليوم الفقيه الزاهد أبو عبد الله بن سعيد من قلعة يحصب[1] المنسوبة لهم وهو قريب لبنى سعيد المشهرين بالدنيا وخدمتها . وثانية بالجانب الغربى على هذه الصفة وثالثة بالجانب الشمالى على الباب المعروف بباب الناطفيين . وفى الصحن ثلاث قباب احداها فى الجانب الغربى منه وهى أكبرها وهى قائمة على ثمانية أعمدة من الرخام مستطيلة كالبرج مزخرفة بالفصوص والأصبغة الملونة كأنها الروضة حسناً وعليها قبة رصاص كأنها التنور العظيم الاستدارة يقال انها كانت مخزناً لمال الجامع وله مال عظيم من خراجات ومستغلات تنيف على ما ذكر لنا على الثمانية آلاف دينار صورية فى السنة وهى خمسة عشر ألف درهم مؤمنية أو نحوها . وقبة أخرى صغيرة فى وسط الصحن مجوفة مثمنة من رخام قد ألصق أبدع الصاق قائمة على أربعة أعمدة صغار من الرخام وتحتها شباك حديد مستدير وفى وسطه أنبوب من الصفر يمج الماء الى علو فيرتفع وينثنى كأنه قضيب لجين يشره الناس لوضع أفواههم فيه للشرب استظرافاً واستحساناً ويسمونه قفص الماء والقبة الثالثة فى الجانب الشرقى قائمة على ثمانية أعمدة على هيئة القبة الكبيرة لكن أصغر منها . وفى الجانب الشمالى من الصحن باب كبير يفضى الى مسجد كبير فى وسطه صحن قد استدار فيه صهريج من الرخام كبير يجرى الماء فيه دائماً من صفحة رخام أبيض مثمنة قد قامت وسط الصهريج على رأس عمود مثقوب يصعد

---

(١) بالأندلس

الماء منه اليها ويعرف هذا الموضع بالكلاسة[1] ويصلى فيه اليوم صاحبنا الفقيه الزاهد المحدث أبو جعفر الفنكى القرطبى. ويتزاحم الناس على الصلاة فيه خلفه التماساً لبركته واستماعاً لحسن صوته، وفى الجانب الشرقى من الصحن باب يفضى الى مسجد من أحسن المساجد وأبدعها وضعاً وأجملها بناء يذكر الشيعة أنه مشهد لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه، وهذا من أغرب مختلقاتهم ، ومن العجيب أنه يقابله فى الجهة الغربية فى زاوية البلاط الشمالى من الصحن موضع هو ملتقى آخر البلاط الشمالى مع أول البلاط الغربى مجلل بستر فى أعلاه وأمامه ستر أيضاً منسدل يزعم أكثر الناس أنه موضع لعائشة رضى الله عنها وأنها كانت تسمع الحديث فيه ، وعائشة رضى الله عنها فى دخول دمشق كعلىّ رضى الله عنه لكن لهم فى على رضى الله عنه مندوحة من القول وذلك أنهم يزعمون أنه رؤى فى المنام مصلياً فى ذلك الموضع فبنت الشيعة فيه مسجداً وأما الموضع المنسوب لعائشة رضى الله عنها فلا مندوحة فيه وانما ذكرناه لشهرته فى الجامع، وكان هذا الجامع المبارك ظاهرا وباطناً منزلا كله بالفصوص المذهبة مزخرفا بأبدع زخاريف

---

(١) وفى الكلاسة هذه دفن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله وقد كانت وفاته بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة وكانوا استحضروا له الشيخ أبا جعفر أمام الكلاسة وهو رجل صالح ليبيت عنده حتى اذا احتضر لقنه الشهادتين وذكره الله تعالى ففعل وكان ذهنه يغيب أحياناً فى حالة الاحتضار فذكر الشيخ أبو جعفر أنه لما انتهى الى قوله تعالى : (هو الله الذى الذى لا إله الاَّ هو عالم الغيب والشهادة) سمعه يقول رحمة الله عليه « صحيح » وأبو جعفر هذا أمام الكلاسة هو نفس أبى جعفر الفنكى القرطبى الأندلسى الذى ذكر ابن جبير أنه كان امام الكلاسة. قال القاضى بهاء الدين ابن شداد الذى كان هناك ليلتئذ هو والقاضى الفاضل والقاضى ابن الزكى : وهذه يقظة فى وقت الحاجة وعناية من الله تعالى به . وقال ابن شداد أيضاً : ولقد حُكى لى انه لما بلغ الشيخ أبو جعفر الى قوله تعالى : (لا إله إلاَّ هو عليه توكلت) تبسم وتهلل وجهه وسلمها إلى ربه . قال ابن شداد أيضاً : ثم اشتغل بتغسيله وتكفينه

البناء المعجز الصنعة فأدركه الحريق مرتين فتهدم وجدد وذهب أكثر رخامه فاستحال رونقه فأسلم مافيه اليوم قبلته مع الثلاث القباب المتصلة بها. ومحرابه من أعجب المحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهباً كله وقد قامت فى وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سويريات مفتولات فتل الأسورة كأنها مخروطة لم ير شىء أجمل منها وبعضها حمر كأنها مرجان فشأن قبلة هذا الجامع المبارك مع ما يتصل بها من قبابه الثلاث وإشراق شمسياته المذهبة الملونة عليه واتصال شعاع الشمس بها وانعكاسه إلى كل لون منها حتى ترتمى الأبصار منه أشعة ملونة يتصل ذلك بجداره القبلى كله عظيم لايلحق وصفه ولاتبلغ العبارة بعض مايتصوره الخاطر منه، والله يعمره بشهادة الاسلام وكلمته بمنه. وفى الركن الشرقى من المقصورة الحديثة فى المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان رضى الله عنه وهو المصحف الذى وجه به إلى الشام وتفتح الخزانة كل يوم أثر الصلاة فيتبرك الناس بلمسه وتقبيله ويكثر الازدحام عليه. وله أربعة أبواب (باب) قبلى ويعرف بباب الزيارة وله دهليز كبير متسع له أعمدة عظام وفيه

فما أمكننا أن نُدخل فى تجهيزه ماقيمته حبة واحدة الاَّ بالقرض حتى فى ثمن التبن الذى يُلَثّ به الطين. وغسله الدولعى الفقيه وأخرج بعد صلاة الظهر فى تابوت مسجًّى بثوب فوط وكان ذلك وجميع مااحتاج اليه من الثياب فى تكفينه قد أحضره القاضى الفاضل – عبد الرحيم بن على البيسانى – من وجه حِلٍّ عرفه. وارتفعت الأصوات عند مشاهدته وعظم من الضجيج والعويل ما شغلهم عن الصلاة فصلى عليه الناس أرسالاً، وكان أول من أم بالناس القاضى محي الدين بن الزكى. ثم أعيد إلى الدار التى فى البستان وكان متمرضاً بها ودفن فى الصفة الغربية منها. اهـ قلت وعلى ضريحه اليوم قبة بنيت فيما بعد وفاته رحمه الله، ولا يكاد سائح ذو بال يزور دمشق إلاَّ يزور مدفن صلاح الدين، وقد زاره قيصر المانية سنة ١٨٩٨ مسيحية وانحنى أمام قبره اجلالاً واعظاماً ثم أهدى إلى المقام قنديلاً عظيم القيمة فعلّق فيه وذلك فى أيام الحرب الكبرى فلما دخل الانكليز إلى دمشق فى نهاية الحرب الكبرى قيل انهم أخذوا القنديل من هناك

حوانيت للخرزيين وسواهم وله مرأى رائع ومنه يفضى الى دار الخيل ، وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين وهى كانت دار معاوية رضى الله عنه وتعرف بالخضراء (وباب) شرقى وهوأعظم الأبواب ويعرف بباب جيرون و(باب) غربى ويعرف بباب البريد (وباب) شمالى ويعرف بباب الناطفيين وللشرقى والغربى والشمالى أيضاً من هـذه الأبواب دهاليز متسعة يفضى كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل الكنيسة فبقيت على حالها وأعظمها منظراً الدهليز المتصل بباب جيرون يخرج من هذا الباب الى بلاط طويل عريض قد قامت أمامه خمسة أبواب مقوسة لها ستة أعمدة طوال، وفى وجه اليسار منه مشهد كبير حفيل كان فيه رأس الحسين بن على رضى الله عنهما ثم نقل الى القاهرة (١) وبازائه مسجد صغير ينسب لعمر بن عبـد العزيز رضى الله عنـه وبذلك المشهد ماء جار . وقد انتظمت أمام البلاط أدراج ينحدر عليها الى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل إلى باب عظيم الارتفاع ينحسر الطرف دونه سمواً قـد حفته أعمدة كالجذوع طولا وكالأطواد ضخامة وبجانبي هـذا الدهليز

فالقنديل المذكور ليس الآن فى تلك القبة وقد سألنى الأمبراطور المشار اليه عن هذه القصة فأجبته بأنى سمعتها كما سمعها هو وعددت هذا العمل مستغرباً من الانكليز. هذا وقد كانت وفاة ابن جبير ـ الذى علقنا هـذه الحواشى على كلامه اجلالاً لقدر بيانه ـ ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان سنة ٦١٤ أى بعد وفاة صلاح الدين بخمس وعشرين سنة

(١) الذى أتذكره مما قرأته فى خطط المقريزى أن رأس الحسين رضى الله عنه كان فى عسقلان وأنه لما جاء الأفرنج الى البلاد خيف من استيلائهم على عسقلان فنقله الخلفاء الفاطميون الى القاهرة حيث لايزال الى اليوم نقل المقريزى ذلك عن محمد ابن على بن يوسف بن ميسر انه فى شعبان سنة احدى وتسعين وأربعمائة خرج الأفضل بن أمير الجيوش وزير الفاطميين بعساكر جمة الى القدس وكان فيه الأتراك فراسلهم الأفضل فى تسليم القدس بغير حرب فامتنعوا فقاتل البلد الى أن استولى عليه واستولى على عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله

أعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها الحوانيت المنتظمة للعطارين وسواهم وعليها شوارع أخرى مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكراء مشرفة على الدهليز وفوقها سطح يبيت فيه سكان الحجر والبيوت . وفى وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تقلها أعمدة من الرخام ويستدير بأعلاها طرة من الرصاص واسعة مكشوفة للهواء لم ينعطف عليها تعتيب . وفى وسط الحوض الرخامى أنبوب صفر يزعج الماء بقوة فيرتفع إلى الهواء أزيد من القامة لم [١] وحـــوله أنابيب صغار ترمى الماء إلى علو فيخرج عنها كقضبان اللجين فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ومنظرها أعجب وأبدع من أن يلحقه الوصف وعن يمين الخارج من باب جيرون فى جدار البلاط الذى أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر قد فتحت أبوابا صغاراً على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيراً هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمى بازيين مصورين من صفر قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما أحدهما تحت أول باب من تلك الأبواب والثانى آخرها

عنهما فأخرجه وعطره وحمله فى سَفَط الى أجلّ دار بها وعمّر المشهد فلما كمل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشياً الى أن أحلّهُ فى مقرّه . وقيل ان المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش أبو الأفضل وكان حمل الرأس من عسقلان الى القاهرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة جاء به الأمير سيف المملكة تميم والى عسقلان ومعه القاضى المؤتمن بن مسكين وحصل الرأس الشريف فى القصر الفاطمى يوم الثلثاء العاشر من جمادى الآخرة . ثم ذكر نقلاً عن ابن عبد الظاهر أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد قصد نقل الرأس من عسقلان لما خاف عليها من الأفرنج وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لايكون الرأس الاّ عندنا فدفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة فى خلافة الفائز سنة تسع وأربعين وخمسمائة. وقد ذكر المقريزى بعد ذكر المشهد الحسينى بمصر قصة قتل سيدنا الحسين رضى الله عنه وكيف جىء برأسه الى يزيد وكيف استقبل هذا الأمر يزيد مما لاحاجة الى ذكره. ثم قال انه أنزل فى خزائن السلاح الى أن ولى سليمان

(١) بياض بالأصل

والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازيين يمدان أعناقهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عظيم عجيب تتخيله الأوهام سحراً وعنـد وقوع البندقتين فى الطاستين يسمع لهما دوى وينغلق الباب الذى هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لا يزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الأبواب كلها وتنقضى الساعات ثم تعود الى حالها الأول ولها بالليل تدبير آخر وذلك أن فى القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتى عشرة دائرة من النحاس مخرمة وتعترض فى كل دائرة زجاجة من داخل الجدار فى الغرفة مدبر ذلك كله منها خلف الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور

ابن عبد الملك فجعله فى سَفَط وطيّبهُ وجعل عليه ثوباً ودفنه فى مقابر المسلمين . فلما ولّى عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن بيت السلاح أن وجّه إلىّ برأس الحسين بن على فـكتب اليه ان سليمان بن عبد الملك أخذه وجعله فى سفط وصلى عليه فلما دخلت المسودّة ـ أى العباسيون ـ سألوا عن موضع الرأس الشريف فنبشوه وأخذوه والله أعلم ماصنع به . اه

فمن هنا يعلم أن رأس الحسين رضى الله عنه مختلف فى محل وجوده . فان كان الرأس الحقيقى هو الذى أخذه العباسيون من دمشق فلماذا يجعلونه فى عسقلان ولايأخذونه إلى المدينة المنورة أو إلى بغدادعاصمتهم ؟ فوجود الرأس مدفوناً فى عسقلان أمر مستغرب ولم أطلع حتى الآن على قصة نقله من دمشق إلى عسقلان . ومن الجهة الثانية يكون غريباً أن الخلفاء الفاطميين ينقلون رأس الحسين الى مصر بهذا الاهتمام العظيم خوفاً عليه من الأفرنج لولم يكونوا واثقين بكونه رأس الحسين عليه السلام وعلى كل حال فان ابن جبير ذكر نقل رأس الحسين الى القاهرة قائلاً انه كان فى دمشق لافى عسقلان وكلامه هذا كان سنة ٥٧٨ ورواية القريزى هى أن الرأس نقل الي القاهرة سنة ٥٤٩ فلا تضادّ بين الروايتين الاّ فى قضية عسقلان وقول ابن جبير « ثم نقل الى القاهرة » لاينفى أنه كان قد نقل من دمشق الى عسقلان قبل نقله منها الى القاهرة

به المـاء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عمّ الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة أمامها شعاعها فلاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك إلى الأخرى حتى تنقضى ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها . وقد وكل بها فى الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها يعيدفتح الأبواب وصرف الصنج الى موضعها وهى التى يسميها الناس المنجانة . ودهليز الباب الغربى فيه حوانيت البقالين والعطارين وفيه سماط لبيع الفواكه وفى أعلاه باب عظيم يصعد اليه على أدراج وله أعمدة سامية فى الهواء ، وتحت الأدراج سقايتان مستديرتان سقاية يمينا وسقاية يساراً لكل سقاية خمسة أنابيب ترمى الماء فى حوض رخام مستطيل ودهليز الباب الشمالىّ فيه زوايا على مصاطب محدقة بالأعواد المشرجبة هى محاضر لمعلمى الصبيان وعن يمين الخارج فى الدهليز خانقة مبنية للصوفية فى وسطها صهريج ويقال أنها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ولها خبر سيأتى ذكره بعد هذا . والصهريج الذى فى وسطها يجرى الماء فيه ولها مطاهر يجرى الماء فى بيوتها . وعن يمين الخارج أيضاً من باب البريد مدرسة للشافعية فى وسطها صهريج يجرى الماء فيه ولها مطاهر على الصفة المذكورة . وفى الصحن بين القباب المذكورة عمودان متباعدان يسيراً لهما رأسان من الصفر مستطيلان مشرجبان قد خُرّما أحسن تخريم يسرجن ليلة النصف من شعبان فيلوحان كأنهما ثريان مشتعلتان . واحتفال أهل هذه البلدة لهذه الليلة المذكورة أكثر من احتفالهم ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم . وفى هذا الجامع المبارك مجتمع عظيم كل يوم اثر صلاة الصبح لقراءة سبع من القرآن دائماً ومثله اثر صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية يقرأون فيها من سورة الكوثر الى الخاتمة ويحضر فى هذا المجتمع الكوثرىّ كل من لا يجيد حفظ القرآن . وللمجتمعين على ذلك اجراء كل يوم يعيش منه أزيد من خمسمائة انسان . وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم فلا تخلو القراءة منه صباحاً ولا مساء : وفيه حلقات للتدريس للطلبة وللمدرسين فيها اجراء واسع وللمالكية زاوية للتدريس فى الجانب الغربى يجتمع فيها طلبة المغاربة ولهم اجراء معلوم ومرافق هذا الجامع المكرم للغرباء وأهل الطلب كثيرة واسعة

وأغرب ما يحدث به أن سارية من سواريه هى بين المقصورتين القديمة والحديثة لها وقف معلوم يأخذه المستند اليها للمذاكرة والتدريس أبصرنابها فقيهاً من أهل إشبيلية يعرف بالمرادىّ . وعند فراغ المجتمع السبعىّ من القراءة صباحاً يستند كل انسان منهم الى سارية ويجلس أمامه صبىّ يلقنه القرآن وللصبيان أيضا على قراءتهم جراية معلومة فأهل الجِدَة من آبائهم ينزهون أبناءهم عن أخذها وسائرهم يأخذونها وهذا من المفاخر الاسلامية . وللأيتام من الصبيان محضرة كبيرة بالبلد لها وقف كبير يأخذ منه المعلم لهم ما يقوم به وينفق منه على الصبيان ما يقوم بهم وبكسوتهم وهذا أيضا من أغرب ما يحدث به من مفاخر هذه البلاد . وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها انما هو تلقين ويتعلمون الخط فى الأشعار وغيرها تنزيها لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالاثبات والمحو وقد يكون فى أكثر البلاد الملقِّن على حدة والمكتِّب على حدة فينفصل من التلقين الى التكتيب لهم فى ذلك سيرة حسنة ولذلك يأتى لهم حسن الخط لأن المعلم له لا يشتغل بغيره فهو يستفرغ جهده فى التعليم والصبى فى التعلم كذلك ويسهل عليه لأنه بتصويره يحذو حذوه . ويستدير بهذا الجامع المكرم أربع سقايات فى كل جانب سقاية كل واحدة منها كالدار الكبيرة محدقة بالبيوت الخلائية والماء يجرى فى كل بيت منها وبطول صحنها حوض من الحجر مستطيل تصب فيه عدة أنابيب منظمة بطوله وإحدى هذه السقايات فى دهليز باب جيرون وهى أكبرها وفيها من البيوت ماينيف على الثلاثين وفيها زائداً على السقاية المستطيلة مع جدارها حوضان كبيران مستديران يكادان يمسكان لسعتهما عرض الدار المحتوية على هذه السقاية والواحد بعيد من الآخر ودور كل واحد منهما نحو الأربعين شبراً والماء نابع فيهما . والثانية فى دهليز باب الناطفيين بازاء المعلمين والثالثة عن يسار الخارج من باب البريد والرابعة عن يمين الخارج من باب الزيادة وهذه أيضا من المرافق العظيمة للغرباء وسواهم والبلد كله سقايات قلّ ما تخلو سكة من سككه أو سوق من أسواقه من سقاية. والمرافق به أكثر من أن توصف والله يبقيه دارا سلام بقدرته .

ومن أمثلة بيان ابن جبير قوله عن الشام

وكل من وفقه الله بهذه الجهات من الغرباء للانفراد يلتزم ان أحب ضيعة من الضياع فيكون فيها طيب العيش ناعم البال وينهال الخبز عليه من أهل الضيعة ويلتزم الامامة أو التعليم أو ماشاء ومتى سئم المقام خرج الى ضيعة أخرى أو يصعد الى جبل لبنان أو الى جبل الجودى فيلاقى بها المريدين المنقطعين الى الله عز وجل فيقيم معهم ما شاء وينصرف الى حيث شاء . ومن العجب أن النصارى المجاورين لجبل لبنان اذا رأوا به أحد المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت وأحسنوا اليهم ويقولون هؤلاء ممن انقطع الى الله عز وجل فتجب مشاركتهم. وهذا الجبل من أخصب جبال الدنيا فيه أنواع الفواكه وفيه المياه المطردة والظلال الوارفة وقل مايخلو من التبتيل والزهادة واذا كانت معاملة النصارى لضد ملتهم هذه المعاملة فما ظنك بالمسلمين بعضهم مع بعض ومن أعجب ما يحدث به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى وربما يلتقى الجمعان ويقع المصاف بينهم ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم شاهدنا فى هذا الوقت الذى هو شهر جمادى الأولى من ذلك خروج صلاح الدين بجميع عسكر المسلمين لمنازلة حصن الكرك وهو من أعظم حصون النصارى وهو المعترض فى طريق الحجاز والمانع لسبيل المسلمين على البر بينه وبين القدس مسيرة يوم أو أشفَّ قليلاً وهو سرارة[1] أرض فلسطين وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة يذكر أنه ينتهى الى أربعمائة قرية فنازله هذا السلطان وضيق عليه وطال حصاره واختلاف القوافل من مصر الى دمشق على بلاد الافرنج غير منقطع واختلاف المسلمين من دمشق الى عكة كذلك وتجار النصارى أيضا لا يمنع أحد منهم ولا يعترض وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها فى بلادهم . وهى من الأمنة على غاية وتجار النصارى أيضا يؤدون فى بلاد المسلمين على سلعهم والاتفاق بينهم والاعتدال فى جميع

---

(١) سرارة الأرض : أطيبها

الأحوال وأهل الحرب مشتغلون بحربهم والناس فى عافية والدنيا لمن غلب. هذه سيرة أهل هذه البلاد فى حربهم وفى الفتنة الواقعة بين أمراء المسلمين وملوكهم كذلك ولا تعترض الرعايا ولا التجار فالأمن لا يفارقهم فى جميع الأحوال سلما أو حربا وشأن هذه البلاد فى ذلك أعجب من أن يستوفى الحديث عنه والله يعلى كلمة الاسلام بمنه . ولهذه البلد قلعة يسكنها السلطان منحازة فى الجهة الغربية من البلد وهى بازاء باب الفرج من أبواب البلد وبها جامع السلطان يجمع فيه وعلى مقربة منها خارج البلد فى جهة الغرب ميدانان كأنهما مبسوطان خزاً لشدة خضرتهما وعليهما حلق والنهر بينهما وغيضة عظيمة من الحور متصلة بهما وهما من أبدع المناظر يخرج السلطان اليهما ويلعب فيهما بالصوالجة ويسابق بين الخيل فيهما ولا مجال للعين كمجالها فيهما، وفى كل ليلة يخرج أبناء السلطان اليهما للرماية والمسابقة واللعب بالصوالجة(١). وبهذه البلدة أيضاً قرب مائة حمام فيها وفى أرباضها وفيها نحو أربعين داراً للوضوء يجرى الماء فيها كلها وليس فى هذه البلاد كلها بلدة أحسن منها للغريب لأن المرافق بها كثيرة. وفى الذى ذكرنا من ذلك كفاية والله يبقيها دارا سلام بمنه . وأسواق هذه البلدة من أحفل أسواق البلاد وأحسنها انتظاماً وأبدعها وصفاً ولا سيما قيسارياتها وهى مرتفعات كأنها الفنادق مسقفة كلها بأبواب حديد كأنها أبواب القصور وكل قيسارية منفردة بصبغتها وأغلاقها الحديدية ولها أيضاً سوق يعرف بالسوق الكبير يتصل من باب الجابية إلى باب شرقى (إلى أن يقول) :

ولأهل دمشق وغيرها من هذه البلاد فى جنائزهم رتبة عجيبة وذلك أنهم يمشون أمام الجنازة بقرّاء يقرأون القرآن بأصوات شجية وتلاحين مبكية تكاد تنخلع لها النفوس شجواً وحناناً يرفعون أصواتهم بها فتتلاقى الآذان بأدمع الأجفان وجنائزهم يصلى عليها فى الجامع قبالة المقصورة فلابد لكل جنازة من الجامع فاذا انتهوا إلى بابه قطعوا القراءة ودخلوا إلى موضع الصلاة عليها إلا أن يكون الميت من أئمة الجامع أو من

---

(١) يعنى بذلك المرجة التى فى أول دمشق

صدنته فان الحالة المميزة له فى ذلك أن يدخلوه بالقراءة إلى موضع الصلاة عليه وربما اجتمعوا للعزاء بالبلاط الغربى من الصحن بازاء باب البريد فيصلون أفراداً أفراداً ويجلسون وأمامهم ربعات من القرآن يقرؤنها ونقباء الجنائز يرفعون أصواتهم بالنداء لكل واصل للعزاء من محتشمى البلدة وأعيانهم ويحلونهم بخططهم الهائلة التى قد وضعوها لكل واحد منهم بالاضافة إلى الدين فتسمع ماشئت من صدر الدين أو شمسه أو بدره أو نجمه أو زينه أو بهائه أو جماله أو مجده أو فخره أو شرفه أو معينه أو محييه أو زكيه أو نجيبه إلى مالا غاية له من هذه الألفاظ الموضوعة وتتبعها ولاسيما فى الفقهاء بما شئت أيضاً من سيد العلماء وجمال الأئمة وحجة الاسلام وفخر الشريعة وشرف الملة ومفتى الفريقين الى مالانهاية له من هذه الألفاظ المحالية فيصعد كل واحد منهم الى الشُرْفة ساحباً أذياله من الكبر ثانياً عطفه وقذاله فاذا استكملوا وفرغوا من القراءة وانتهى المجلس بهم منتهاه قام وعاظهم واحداً واحداً بحسب رتبهم فى المعرفة فوعظ وذكر ونبه على خدع الدنيا وحذر وأنشد فى المعنى ماحضر من الأشعار ثم ختم بتعزية صاحب المصاب والدعاء له وللمتوفى، ثم قعد وتلاه آخر على مثل طريقته الى أن يتفرغوا ويتفرقوا فربما كان مجلساً نافعاً لمن يحضره من الذكرى . ومخاطبة أهل هذه الجهات قاطبة بعضهم لبعض بالتخويل والتسويد وبامتثال الخدمة وتعظيم الحضرة واذا لقى أحداً منهم آخر مسلماً يقول جاء المملوك أو الخادم برسم الخدمة كناية عن السلام فيتعاطون المحال تعاطياً والجد عندهم عنقاء مغرب، وصفة سلامهم ايماء للركوع أو السجود فترى الأعناق تتلاعب بين رفع وخفض وبسط وقبض وربما طالت بهم الحالة فى ذلك فواحد ينحط وآخر يقوم وعمائمهم تهوى بينهم هوياً اه .

وقد يستغرب القارئ كيف ترجمنا الى الآن مئات من علماء الأندلس واكتفينا من تراجمهم بعدة أسطار لكل واحد منهم عاملين بالمثل القائل : يكفى من القلادة ماأحاط بالجيد. ولكننا خرقنا هذه العادة فى ترجمة ابن جبير السائح الأندلسى فنقلنا من ترجمة حياته ومن عيون فصوله وغرر كلماته مالم ننقله لغيره من علماء الأندلس. والجواب عن هذا السؤال هو شهرة رحلته التى شرّقت وغرّبت وذكر فيها عن الشرق وأهله

حوادث خالدة ومباحث طريفة وقصصاً لطيفة لم نجد مثلها لكتّاب الغرب وسيّاحهم فتمثل لنا شرقنا من خلال وصف ابن جبير فى تلك الحقبة التى استرجع فيها المسلمون بيت المقدس بشكل نكاد نرى فيه الوقائع بالعيان ونراه المثل الأعلى من سحر البيان .

ثم نعود الى استقصاء ذكر العلماء والأدباء الذين انتسبوا الى بلنسية فنقول : وممن ينسب الى بلنسية من أهل العلم أبو بكر حمدون بن محمد المعروف بابن المعلم لازَم أبا الوليد الوقشى وسمع من أبى العباس العذرى وتولى الصلاة والخطبة بمسجد رحبة القاضى من بلنسية بعد تغلّب الروم عليها أول مرّة واستيلائهم على المسجد الجامع وذلك سنة ٤٨٩ ثم خرج منها مع جماعة من أهلها فراراً بدينهم سنة ٤٩٠ نقله ابن الأبّار عن ابن علقمة

وأبو سليمان داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن خلف ابن عبد الله بن عبد الرؤوف بن حوط الله الأنصارى الحارثى من أهل أندة عمل بلنسية سكن مالقة أخذ عن أبيه وأخيه أبى محمد عبد الله وطاف فى الأندلس فأخذ ببلنسية عن أبى عبد الله بن نوح وبشاطبة عن أبى بكر بن مغاور ولقى بمرسية أبا القاسم بن حبيش وأبا عبد الله بن حميد وغيرهما ولزم أبا القاسم بن بشكوال بقرطبة نحواً من عامين وسمع بها أبا عبد الله بن عرّاق وأبا الحسن الشقورى وأبا الحسين بن ربيع وغيرهم ولقى باشبيلية أبا عبد الله بن زرقون وأبا محمد بن جمهور وأبا جعفر بن مضى وبمالقة أبا عبد الله بن الفخّار وأبا زيد السهيلى وأبا محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجى ولقى بمدينة المنكّب أبا محمد عبد الحق بن بونوه[1] وأبا القاسم سجوم وبغرناطة أبا عبد الله بن عروس وأبا الحسن ابن كوثر وغيرهما ولقى بسبتة أبا محمد بن عبيد الله وغيره وكتب اليه كثيرون من أعيان المشرق ومنهم أبو الطاهر بن عوف وأبو عبد الله بن الحضرمى وأبو الرضا أحمد ابن طارق وأبو الثناء الحرّانى وأبو الطاهر الخشوعى الدمشقى وأبو اليمن الكندى الدمشقى وألّف فى أسماء شيوخه كتاباً قال ابن الأبّار انه قرأه عليه وانهم يزيدون على مائتى رجل وقال انه هو وأخوه أبو محمد كانا أوسع أهل الأندلس رواية فى وقتهما لا ينازعان فى ذلك ولا يدافعان مع الجلالة والعدالة وتولى أبو سليمان هذا قضاء الجزيرة

(1) Bono

الخضراء ثم قضاء بلنسية سنة ٦٠٨ بعد أبي عبد الله بن اصبغ ثم تولى قضاء مالقة وتوفى وهو على قضائها السادس من ربيع الآخر سنة ٦٢١ ومولده بأندة سنة ٥٥٢ قال : والغالب على أحواله التواضع ولين الجانب مع النزاهة والعدل والاعتدال

ولب[1] بن عبد الله بن لب بن أحمد الرصافي رصافة بلنسية يكنى أبا عيسى أخذ العربية عن أبي الحسن بن النعمة وغيره وكان قائماً على شرح ابن باب شاذ لجمل الزجاجي قال ابن الأبّار في التكملة : وعنده تعلّم كثير من شيوخنا وكانت وفاته في نحو التسعين وخمسمائة .

وممن يناسب ذكره في أعيان بلنسية محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قاسم ابن على بن قاسم بن يوسف أمير الأندلس ابن عبد الرحمن الفهري يكنى أبا عبد الله ويلقب بيمن الدولة كان رئيساً بقلعة البونت من أعمال بلنسية مقر آبائه الرؤساء وبها أخذ عن أبي الحسن على بن ابراهيم التبريزي وغيره وله صنّع أبو محمد بن حزم رسالته في فضل أهل الأندلس وأطال الثناء عليه وعلى سلفه رحمهم الله ذكر ذلك ابن الأبّار في التكملة .

وممن يناسب ذكره محمد بن عبد الرحمن بن أبي العاصي بن يوسف بن فاخر بن عتاهية ابن أبي أيوب بن حيّون بن عبد الواحد بن عفيف بن عبد الله بن رواحة بن سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي قال ابن الأبّار في التكملة : قرأت نسبه بخطه ونقلته منه وهو من أهل شارقة قلعة الأشراف عمل بلنسية صحب أبا الوليد الوقّشي وله رواية عن أبي محمد بن السيد روى عنه ابنه أبو العاصي الحكم بن محمد وتوفى في نحو العشرين وخمسمائة

ومحمد بن عبد العزيز بن سعيد بن عقال الفهري من أهل البونت عمل بلنسية وكانت مركزاً للفهريين وقد تولى محمد المذكور قضاء بلده للحاجب نظام الدولة ثم لولاة المرابطين قال ابن الأبّار : وهو من أهل المعرفة والنباهة وتوفى قبل العشرين وخمسمائة

ومحمد بن الحسين بن أبي البقاء بن فاخر بن الحسين الأموي يكنى أبا عبد الله ويقال انهم من ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه روى عن أبي بكر بن العربي وأبي الحسن شريح وأبي الوليد بن بقوة وغيرهم وتفقّه بأبي القاسم عبد الرحيم بن جعفر المزياتي لقيه بتلمسان وولّى الأحكام هناك وباشبيلية ثم ولى الصلاة والخطبة والأحكام في لرية من

(1) Lope

أعمال بلنسية من قبل القاضي أبي الحسن بن عبد العزيز سنة ٥٣٠ وولى أيضاً قضاء شبرانة من الثغر الشرقي[1] وكان فقيهاً حافظاً واقفاً على مسائل المدوّنة محسناً لعقد الشروط ضابطاً لما رواه قال ابن الأبّار في التكملة : انه كان مقلاً صابراً خيّراً فاضلاً ونقل عن ابن عيّاد أنه توفى بأندة بلده في رمضان سنة ٥٣٥ وهو ابن سبعين أو نحوها

وأبو عبد الله محمد بن فرج بن مسلم بن حديدة بن خلدون من ثغر البونت عمل بلنسية روى عن أبي محمد القلّني وغيره وشارك في اللغة وكان حسن الخط وولّى قضاء بلده من قبل أبي عبد الله بن عبد العزيز وذلك في سنة ٥٤٠

ومحمد بن ادريس بن عبد الله بن يحيى المخزومي من أهل بلنسية سكن جزيرة شقر لقي أبا الوليد الوقشي ولازمه وصحب أبا محمد الركلي وأبا عبد الله بن الجزّار وأبا محمد ابن السيد وأبا عبد الله بن خُلَصَة قال ابن الأبّار : كان من أهل الآداب واللغة متحققاً بذلك له حظ من النظم ومشاركة في الحديث وميز رجاله والكلام على معانيه توفى ببلنسية في ذي القعدة سنة ٥٤٦

وأبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن أبي اسحق بن عمرو بن العاصي الأنصاري من أهل لرية عمل بلنسية أخذ عن مشيخة بلده ثم خرج منه في الفتنة سنة ٤٨٨ بعد تغلّب الروم على بلنسية فاستوطن جيّان نحواً من سبعة أعوام وأخذ بها الأدب عن أبي الحجاج الكفيف ولما عادت بلنسية الى الاسلام في رجب سنة ٤٩٥ عاد اليها فأخذ بها القراءات عن أبي بكر بن الصنّاع المعروف بالهدهد وكان قد قصد أبا داود المقرئ ليأخذ عنه فألفاه مريضاً مرضه الذي توفى منه سنة ٤٩٦ وسمع من أبي محمد البطليوسي وأبي بكر بن العربي وأجاز له في سنة ٥٢٢ وتصدّر ببلده لرية فأحيا رسم القراءة هناك ثم أقرأ ببلنسية، قال ابن الأبّار : وبها أخذ عنه شيخنا أبو عبد الله بن نوح وله في التمييز بين ألف الوصل وألف القطع مجموع قد حُمل عنه وتوفى بلرية صبيحة يوم الأحد السادس من شوال سنة ٥٤٧ وصلى عليه أخوه أبو محمد ودفن بمقبرة بني زنّون منها وقد قارب الثمانين وكان مولده سنة ٤٧٠

---

(١) عمل سرقسطة

وأبو الحسن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن واجب القيسى روى عن شريح وابن العربى وأبى القاسم بن رضا وتفقه بعمه أبى حفص بن واجب وحضر عند أبى بكر ابن أسد وأبى محمد بن عاشر المناظرة فى كتب الرأى وله رواية عن ابن النعمة وأبى الوليد ابن خيرة وأبى الحسن بن هذيل وولى القضاء بقسطنطانية وغيرها من الجهات الشرقية حدّث عنه ابنه أبو عبد الله وكذلك ابن سفيان ووصفه بالأدب والنباهة وكف اليد والاعتدال فى أموره توفى ببيران سنة ٥٥٣ .

وأبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يعيش اللخمى روى عن أبى محمد ابن خيرون ورحل حاجاً فى سنة ٥٠٦ ثم فى السنة التى بعدها واقى بمكة رزين بن معاوية ولكن لم يحمل عنه شيئا وانصرف إلى مصر فسكنها نحواً من عشرين سنة ولقى هناك أبا بكر عبد الله بن طلحة اليابرى فسمع منه بعض تواليفه وتواليف شيخه أبى الوليد الباجى وسمع فى طريقه بالاسكندرية من أبى بكر الطرطوشى وأبى طاهر السلفى وأبى عبد الله ابن منصور بن الحضرمى ثم قفل إلى بلده سنة ست وعشرين وخمسمائة قال ابن الأبّار : ولم يكن له كبير معرفة بالحديث وتوفى بشاطبة إماماً فى الفريضة بقصبتها سنة ٥٥٦ وكان مولده سنة ٤٨٢.

وأبو عبد الله محمد بن خلف بن يونس من أهل لرية عمل بلنسية أخذ بشاطبة عن أبى عمران بن أبى تليد وتلقّى علم الشروط عن أبى الأصبغ عيسي بن موسى المنزلى والأدب عن أبى الحسن بن زاهر ترك وطنه فى الفتنة وكان على الصلاة والخطبة بجامع بلده وكان معدلاً ذكره ابن الأبّار وقال نقلاً عن ابن عيّاد انه توفى بشاطبة فى رجب سنة ٥٥٧ .

وأبو عبد الله محمد بن مخلوف بن جابر اللواتى النحوى صحب أبا محمد البطليوسى وسمع منه ومن القاضيين أبى بكر بن العربى وأبى بكر بن أسود وأخذ عن أبى الحسن ابن هذيل وكان من أهل المعرفة بالعربية والآداب معلماً بها له حظ من قرض الشعر ذكره ابن الابار .

وأبو عبد الله محمد بن غالب الرفاء الرصافى رصافة بلنسية سكن مالقة . قال ابن الابار فى

التكملة : كان شاعر وقته المعترف له بالاجادة مع العفاف والانقباض وعلو الهمة والتعيّش من صناعة الرفو التى كان يعالجها بيده لم يبتذل نفسه فى خدمة ولا تصدى لانتجاع بقافية حملت عنه فى ذلك أخبار عجيبة وقد سكن غرناطة وقتاً وامتدح واليها حينئذ ثم رفض تلك العُلق ورضى بالقناعة مالا وهو مع ذلك مرغوب فيه ينظم البديع ويبدع المنظوم وكان من الرقة وسلاسة الطبع وتنقيح القريض وتجويده على طريقة متحدة وسمعت شيخنا أبا الحسن بن حريق يعيبه بالاقلال وليس كذلك وخرج صغيراً من وطنه رصافة بلنسية فكان يكثر الحنين اليه ويقصر أكثر منظومه عليه وشعره مدوّن بأيدى الناس متنافس فيه ومحاسنه كثيرة قال : وتوفى صرورة لم يتزوج قط وذلك فى يوم الثلاثاء التاسع عشر من رمضان سنة ٥٧٢ وقبره بمالقة

وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن غزلون ابن مطرف بن طاهر بن هارون بن عبد الرحمن بن هاجر بن الحسين بن حرب بن أبى شاكر الأنصارى من أهل شون عمل بلنسية رحل حاجاً سنة ٥٦٣ وأدى الفريضة سنة ٥٦٤ وحج ثلاث حجات متواليات ولقى بالاسكندرية أباطاهر السلفى سنة ٤٦٦ وسمع منه الأربعين حديثاً من جمعه وقفل إلى بلده شون فسمعها منه أبو الخطاب بن واجب وأبو عمر بن عياد . قال ابن الأبار : وبخطه قرأت نسبه وعلى الصواب ثبت هنا كان مولده سنة ٥١٠ وتوفى بمربيطر يوم الخميس السادس والعشرين لجمادى الأولى سنة ٥٧٤ وسيق إلى بلنسية فدفن بها وصلّى عليه القاضي أبو تميم ميمون بن جبارة

ومحمد بن علي بن محمد المكتّب يكنى أباعبد الله ويعرف بابن عذارى سماه أبو الربيع ابن سالم فى شيوخه وهو كان معلمه فى الكتّاب وحكى أنه كتب عن أبى عبد الله مولى الزيدى بعض ما رواه عن أبى شرف من شعره ولم يسم شيوخه ولا ذكر وفاته ذكره ابن الأبار

وأبو عبد الله محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرحمن بن بكر الفهرى قال ابن الأبار : سمع من شيوخنا أبى عبد الله بن نوح وأبى الخطاب بن واجب وأبى عمر بن عات وغيرهم وكتب بخطه علماً كثيراً ــ وكان متحققاً بعلم الحساب مشاركا فى الطب حافظاً

للحديث والتواريخ من بيت كتابة ونباهة صحبته وعارضت معه كتاب المصابيح لأبى محمد بن مسعود وسمعت منه أخباراً وأشعاراً وتوفى سنة ٦١٨ .

وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن سلمون روى عن أبى الحسن بن هذيل وأخذ عنه قراءة ورش وسمع منه الموطأ وصحيح البخارى وكان عدلاً مرضياً قال ابن الأبار : له دكان بالعطارين يقعد فيه أحياناً سمعت منه أخبارا وناولنى وأجاز لى ولم يكن له علم بالحديث ولا بغيره وقد أخذ عنه بعض أصحابنا وتوفى ليلة الأحد الثانى والعشرين لربيع الآخر سنة ٦٢٤ ودفن لصلاة العصر من اليوم المذكور بمقبرة باب بيتالة ومولده فى النصف من سنة ٥٤٧ قلت رحم الله ابن الأبار فان لم يكن لهذا المترجم أى علم لا بالحديث ولا بغيره فلماذا هذا الاعتناء بترجمته وهذا التدقيق فى تاريخ وفاته ومكان دفنه وتاريخ مولده

وأبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن يحيى بن يحيى الغافقى من بلنسية أصله من الشارّة احدى قراها أخذ الفقه عن أبى محمد بن عاثر وسمع عليه كثيراً من كتابه الذى سمّاه « الجامع البسيط وبغية الطالب النشيط » فى شرح المدوَّنة وأخذ القراءات عن أبى نصر فتح بن يوسف المعروف بابن أبى كبّة من أصحاب أبى داود المقرئ وانتقل الى سبتة فى الفتنة سنة ٥٦٢ حدّث عنه ابنه أبو الحسن قرأ عليه الموطأ وجامع الترمذى وكتب عنه الحديث والفقه والأدب والتاريخ ، وحكى أنه زجره عن كتب الجاحظ وقد رآه ينظر فى بعضها وأنشده فى ذلك :

مهما شككت فلا تشـ ـك بأن كتب الجاحظ

من شر ما يملى اللسا ن على الرقيب الحافظ

ونقل ابن الأبار عن ابنه أنه توفى سنة ٦٢٤ عن سن عالية تقارب التسعين

وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن مسلم البكرى قال ابن الأبّار : سمع من شيخنا أبى عبد الله بن نوح قديماً وأخذ عنه العربية والآداب وأقرأ بها ، وكان مقدماً حسن التعليم بها وهو أحد من أخذتها عنه قرأت عليه جملة من أول الايضاح لأبى على

الفارسي وكان من أهل الديانة والنزاهة والانقباض وتوفي سنة ٦٢٨ ودفن بمقبرة باب الحنش .

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن نعمان البكرى أخذ القراءات عن أبي بكر بن جُزَىّ وعلم الفرائض والحساب عن أبي بكر بن سعد الخير وكان مقدماً في ذلك مع الصلاح والعدالة قال ابن الأبار : سمعت منه أبيات أبي الحسن بن سعدالخير في وصف الدولاب وأصيب بفالج طاوله الى أن توفي صدر سنة ٦٣٢ ومولده سنة ٥٥١

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن يوسف الأنصارى من أهل بلنسية انتقل سلفه من شلب الى شبرب من أعمالها روى عن أبي بكر ابن نمارة قال ابن الأبار : صحبته بحانوت أبي عبد الله البطرني وكان كثيراً ما يقعد معنا هنالك واستجزته حينئذ ولا أعلم له رواية عن غير ابن نمارة وكان فقيهاً وتوفي في الحادى والعشرين لربيع الأول سنة ٦٣٢ ومولده في رجب سنة ٥٤٢

ومحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي زاهر سبقت ترجمة والده ، أخذ القراءات عن أبيه وسمع من أبي العطاء بن نذير وأبي عبد الله بن تسع وغيرهما وأدّب بالقرآن قال ابن الأبار : وهو كان معلمي وعنه أخذت قراءة نافع وانتفعت به في صغرى وأجاز لي وسمع مني كتاب « معدن اللجين في مراثي الحسين » من تأليفي وكان امرأ صدق ناشئاً في الصلاح محافظاً على الخير متواضعا يجمع الى جودة الضبط براعة الخط ونحا في ما كتب من المصاحف منحا أبي عبد الله بن غطّوس فأجاد وصلى بالناس الفريضة في مسجد رحبة القاضي من داخل بلنسية دهراً طويلاً وكان من العدالة والنزاهة بمكان ورحل حاجاً سنة ٦٣٢ فرض بالاسكندرية وتوفي بعيذاب قاصداً بيت الله الحرام في آخر سنة ٦٣٣ .

وأبوعبدالله محمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن موسى بن سعيد بن سعود الانصارى المعروف بابن الوزير ولكن غلبت عليه الشهرة بابن البطرني أخذ القراءات عن أبيه أبي على وسمع من أبي العطاء بن نذير ومن أبي الحجاج يوسف بن محمد المعافرى الشاطبي وغيرهما وأجاز له أبو محمد بن عبيد الله وأبو جعفر بن حكم وأبو محمد عبد المنعم بن الفرس

وأبو بكر بن أبى جمرة وأبو جعفر بن عميرة الضبى وعنى بعقد الشروط وكان له فيها نفوذ وبها معرفة مع براعة الخط وحسن الوراقة وولى قضاء بعض الكور. قال ابن الأبار فى التكملة : سمعت منه المعجم فى مشيخة أبى على الصدفى للقاضى أبى الفضل بن عياض قرأ جميعه علىّ بلفظه وكان صهرى وانتقل معى الى مدينة تونس وبها توفى رحمه الله بين صلاتى الظهر والعصر من يوم الأربعاء الرابع لشهر ربيع الآخر سنة ٦٣٧ ودفن لصلاة الغداة من يوم الخميس بعده بمقربة من المصلى بظاهرها ومولده ببلنسية سنة ٥٧٣ اه . قلت سنة ٦٣٦ يوم الثلاثاء السابع عشر لصفر تغلّب العدو على بلنسية واضطر أهلها الى التسليم ولكنهم لم يسلموها الى سنة ٦٣٧ فيظهر أن المترجم كان من جملة من جلوا عنها فى تلك السنة الى تونس ذهب مع نسيبه الحافظ أبى عبد الله محمد بن أبى بكر القضاعى البلنسى المعروف بابن الأبار

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن خلف بن على بن قاسم الأنصارى من أهل بلنسية ويقال انه من بيت أبى محمد بن قاسم قاضى قلعة أيوب وكان هو يقول أصلى من قلعة أيوب وكان جدى بها قاضياً سمع من أبى العطاء بن نذير ومن أبى الخطاب بن واجب ولكن أكثر أخذه كان عن أبى عبد الله بن نوح وعنى بعقد الشروط فى أول طلبه ثم رغب عن ذلك وزهد فى الدنيا واعتزل الناس وأقبل على النظر فى العلم وكان له تحقق بالتفسير وقعد لذلك بجامع بلنسية وقتاً إلا أن طريقة التصوّف كانت أغلب عليه وألّف كتاب « نسيم الصبا » فى الوعظ على طريقة الجوزى قال ابن الأبار : قرأ علىّ بلفظه مواضع منه وكتاب « بغية النفوس الزكية فى الخطب الوعظية » من إنشائه كتبته عنه وسمعت منه غير ذلك وأجاز لى وصحبته طويلا وكان يحدثنى باصطحابه مع أبى رحمه الله فى السماع من أبى عبد الله بن نوح ويرعى ذلك لى وقد سمع بقراءتى بجامع بلنسية بين العشاءين لضوء السراج كثيراً مما أخذت عن أبى الخطاب بن واجب لجامع الترمذى وغيره ودُعى الى الخطبة بعد وقوع الفتنة وعرف بالحاجة الماسة اليه فى ذلك فأجاب ثم استعفى فأعفى وأقام بشاطبة حال حصار بلنسية لأنه كان وُجّه الى مرسية لاستمداد أهلها وتوفى باوريولة عصر الخميس

الثانى والعشرين لرجب سنة ٦٤٠ ودفن لصلاة الجمعة وحضر جنازته الخاصة والعامة، وازدحموا على نعشه حتى كسروه به قال : وفى ظهر يوم الخميس العاشر من شوال بعده. قدم أحمد بن محمد بن هود والى مرسية بجماعة من وجوه النصارى فملكهم مرسية صلحاً اه . قلت : رحم الله أبا البقاء صالح بن شريف الرندى القائل فى مرثيته الشهيرة للأندلس :

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية وأين شاطبة أم أين جيّان

نعم لم يتأخر سقوط مرسية عن سقوط بلنسية إلا ثلاث سنوات لأنهما على خط واحد وكل منهما أشبه بدمشق فى كثرة الجنان والتفاف الأشجار وتدفق الأنهار « وما أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ »

وأبو بكر محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان الزهرى يعرف بابن محرز وكان بيتهم قديماً يعرف بابن القح سمع من أبيه أبى عبد الله ومن خاليه أبى بكر وأبى عامر ابنى أبى الحسن بن هذيل ومن أبى محمد بن عبيد الله الحجرى ومن أبى عبد الله بن الغازى وأبى عبد الله بن نوح وأبى عبد الله بن الناصف وغيرهم وأجاز له أبو بكر بن خير وأبو محمد بن فليح وأبو الحسن بن النقرات وأبو العباس بن مضاء وغيرهم من أهل الأندلس ومن أهل المشرق أجاز له أبو الحسن بن المفضل وأبو عبد الله الكركنتى وأبو الفضل الغزنوى وأبو القاسم هبة الله بن سعود البوسيرى قال ابن الأبار : وكان أحد رجال الكمال علماً وإدراكاً وفصاحة مع الحفظ بالفقه والتفنن بالعلوم والمتانة بالآداب والغريب وله شعر رائق بديع سمعت منه كثيراً وأجاز لى وتوفى ببجاية (بلاد الجزائر) فى الثامن عشر لشوال سنة ٦٥٥ عن سن عالية ومولده ببلنسية سنة ٥٦٩ .

ومعاوية بن محمد ولى قضاء بلنسية سنة ٢٣٩ ذكره ابن حارث ولم يزد ابن الأبّار فى ترجمته على هذا السطر الواحد .

ومروان بن محمد بن عبد العزيز التجيبى من أهل بلنسية وأصل سلفه من قرطبة وفى انتسابهم إلى تجيب خلاف . يكنى أبا عبد الملك وكنّاه طاهر بن مفوز بأبى المطرّف فى اجازة أبى عمر بن عبد البر له ولابنيه محمد وأحمد سمع من أبى المطرّف بن جحاف

وأبى الوليد الوقّشى وأبى عبد الله بن سعدون القروى وأبى داود المقرىء وأبى بكر بن القدرة وغيرهم وأجاز له ابن عبد البر وأبو مروان بن سراج ولابنيه أحمد وعبد الله فى جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ وكان معتنياً بسماع الحديث وروايته وانتساخ دواوينه مع جلالة القدر ونباهة البيت والى أخيه الوزير أبى بكر أحمد بن محمد كان تدبير بلنسية فى الفتنة ولم يدخل مروان فى شىء من ذلك ومن ولده بنو عبد العزيز الباقون ببلنسية إلى أن تغلب الروم عليها ثانية فى آخر صفر سنة ٦٣٦ قال ابن الأبار الذى نقلنا عنه هذه الترجمة : وتوفى بعد التسعين وأربعمائة

ومن هذه العائلة ترجم ابن الأبار رجلا آخر وهو مروان بن أحمد بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز كان يكنى أبا عبد الملك وكان من أهل النباهة عريق البيت فى الرئاسة والعلم قال : وقد تقدم ذكر أبيه وأخيه محمد ولا أعرف لمروان هذا رواية وتوفى فى السابع عشر من جمادى الأولى سنة ٥٥٨ ومولده سنة ٥٠٩ عن ابن عيّاد

وترجم ابن الأبار شخصاً آخر من هذه الشجرة وهو مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز من أهل بلنسية وقاضيها ورئيسها ويكنى أبا عبد الملك سمع من أبى الحسن بن هذيل وأبى محمد البطليوسى وأبى الحسن طارق بن يعيش وأبى بكر بن أسود وأبى الوليد بن الدباغ وأبى عبد الله بن سعيد الدانى وأجاز له أبو عمران بن أبى تليد وأبو على بن سكّرة وأبو عبد الله بن الفرّاء قاضى المرية وأبو الحسن ابن موهب وغيرهم وولى قضاء بلنسية فى ذى الحجة سنة ٥٣٨ وقيل فى السنة التى بعدها ثم صار أميراً على بلنسية عند انقراض دولة المرابطين وبويع له بذلك سنة ٥٤٠ وأقام بالامارة يسيراً وخُلع واعتقله اللمتونيون فى أخريات أيامهم فى أحد معاقل ميّورقة فبقى هنالك نحواً من اثنتى عشرة سنة ثم تخلّص وسار إلى مراكش فى قصة طويلة وأخذ عنه هنالك جلّة من العلماء وتوفى بمراكش سنة ٥٧٨ ومولده ببلنسية سنة ٥٠٤ وكان لدة أبى القاسم بن حبيش كل هذا عن ابن الأبار

وأبو مروان بن السمّاد المقرى من أهل بلنسية وصاحب الصلاة والخطبة بها بعد تغلب الروم عليها أول مرة بغارة القنبيطور الملقب عند الأسبانيين بالسيد سمع أبو مروان

هذا من أبي الوليد الباجي صحيح البخاري وكان موصوفا بالفضل والصلاح وحكى القاضي أبو الحسن محمد بن واجب أنه سمع أكثر صحيح البخاري بقراءة ابن السماد هذا على أبي الوليد الباجي بمسجد رحبة القاضي من بلنسية رواه ابن الأبار في التكملة

وأبو الخيار مسعود بن محمد بن مسعود الأنصاري من أهل بلنسية وأصله من ثغرها يعرف بابن النابغة كان من أهل الثقة والعدالة والمشاركة في الأدب وحفظ اللغة وله حظ من القريض ولي الأحكام بلرية من كور بلنسية وخطب بموضع سكناه من غربيها توفي بعد الأربعين وخمسمائة

وماجد بن محفوظ بن مرعى بن ترخان بن سيف الشريف الطاحي البكري من ولد طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه يكنى أبا المعالي وأبا الشرف سمع من أبي عبد الله بن نوح وأبي جعفر بن عبد الغفور وغيرهما ولقي بأشبيلية أبا عمران الميرتلي وأخذ عنه بعض شعره الزهدي وكان أديباً ماهراً شاعراً مجيداً من أبرع الناس خطاً وأكرمهم عشرة وأحسنهم سمتاً وأشهرهم تصاوناً له معرفة بالشروط وقد قعد لعقدها وتوفي بمراكش معتبطاً سنة ثلاث أو أربع وستمائة نقل ذلك ابن الأبار عن ابن سالم ونابت [1] بن المفرّج بن يوسف الخثعمي أصله من بلنسية سكن مصر يكنى أبا الزهر قال السلفي : قدم مصر بعد خروجي منها وتفقه على مذهب الشافعي وتأدّب وقال الشعر الفائق وكتب إليّ بشيء من شعره وتوفي بمصر في رجب سنة ٥٤٥ نقل ذلك ابن الأبّار عن ابن نقطة .

وعبد الله بن محمد بن حزب الله يروى عن وهب بن مسرّة الحجاري حدّث عنه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الوثايقي الفقيه قال ابن الأبّار : وبنو حزب الله أهل العلم والنباهة وإليهم ينسب المسجد بداخل بلنسية .

وأبو محمد عبد الله بن سيف الجذامي أخذ عن أبي نصر هارون بن موسى النحوي وكان نحوياً أديباً متفنناً ضابطاً أخذ عنه جماعة وتوفي حول الثلاثين وأربعمائة نقل ذلك ابن الأبّار عن ابن عزير وغيره .

---

(١) وقد نقل صاحب نفح الطيب هذه الترجمة بحروفها عن ابن الأبّار ولم يزد شيئاً

وأبو محمد عبد الله بن أبى دُليم سكن بلنسية وسمع بطرطوشة من أبى القاسم خلف ابن هانى العمرى فى سنة ٤٠٥ وكان ابن هانى إذ ذاك ابن تسعة وسبعين عامًا روى عن ابن أبى دُليم المذكور أبو داود المقرئ سمع منه أحاديث خراش بن عبد الله فى سنة ٤٣٦ وكان إذ ذاك ابن ثمانين عاماً قال ابن الأبّار : قرأت ذلك بخط أبى داود .

وأبو محمد عبد الله بن خميس بن مروان الأنصارى وُلّى القضاء بدانية وأعمالها لاقبال الدولة على بن مجاهد صاحبها وذلك فى شوال سنة اثنتين وأربعمائة قال ابن الأبّار: وقفت على نسخة عهده بذلك من انشاء أبى محمد بن عبد البر ثم إن على بن مجاهد أمير دانية صرف ابن خميس المذكور بسعاية محمد بن مبارك وولّى مكانه أبا عمر بن الحذّاء هذا ولما احتضر أبو عمرو المقرئ أوصى ابنه أبا العباس بأن عبد الله بن خميس يصلى عليه فأنفذ وصيته وكان ذلك فى النصف من شوال سنة ٤٤٤ قال ابن الأبّار : وكان من أهل العلم والفضل ورأيت خطه فى رسم مؤرخ سنة ٤٧٦ .

وأبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف المعافرى من أهل بلنسية وصاحب خطة الرد والمظالم بهـا روى عن أبيه القاضى أبى المطرف وغيره وكان فقيهاً حافظاً من بيت علم ونباهة سمع منه ابنه عبد الرحمن وحمل عنه المدونة والمستخرجة وقدّمه ابن عمه أبو أحمد الأخيف للقضاء مكانه وأدركته فتنة القنبيطور المتغلّب على بلنسية وهو يتولى بها خطة الرد والمظالم وكان ذلك فى سنة ٤٨٥ ودخل القنبيطور المدينة صلحاً يوم الخميس منسلخ جمادى الأولى سنة ٤٨٧ فتم حصاره اياها عشرين شهراً عن ابن الأبار

وأبو العباس عبد الله بن أحمد بن سعدون روى عن أبى عمر بن عبد البر وغيره وكان صاحبا لأبى بحر الاسدى معينا له فى مقابلة كتبه حدّث عنه أبو العباس أحمد ابن محمد بن عبد الرحمن النمـارى الحجرى ذكره ابن الأبار

وأبو محمد عبد الله بن خلف بن سعيد بن حاتم العبدرى يعرف بالزواوى صحب أبا داود المقرىء وسمع منه ، ذكره ابن الأبار وقال انه حدّث عن أبى داود المقرىء بالتلخيص لأبى عمرو المقرىء عن مؤلفه وأنه رأى خطه بذلك فى المحرم سنة ٥١٦

وأبو الحسن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز من أهل بلنسية وقاضيها سمع من أبي على الصدفى واستجاز له ولأخيه أحمد أبوهما مروان بن محمد أبا الوليد الوقشى فى رجب سنة ٤٧٧ وتولى أبو الحسن عبد الله القضاء ببلنسية سنة ٥٢٠ بعد وفاة أبي الحسن بن واجب وأقام فى القضاء نحواً من عشر سنين وكان حميد السيرة قويم الطريقة صليباً فى الحق بصيراً بالأحكام صادق الفراسة والركن، له فى ذلك أخبار محفوظة وهو من بيت نباهة ورئاسة توفى مصروفاً عن القضاء فى رجب سنة ٥٣٥ نقل ذلك ابن الأبّار عن ابن حبيش وعن ابن عيّاد

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن الخلف بن الحسن بن اسماعيل الصدفى يعرف بابن علقمة روى عن أبيه أبي عبد الله صاحب التاريخ وعن أبي محمد البطليوسى وسمع من أبي محمد بن خيرون موطأ مالك وكان أديباً شاعراً فاضلا ورعاً مشاركاً فى الفقه حسن الخط وكتب للقاضى أبي الحسن بن عبد العزيز وله خطب حسان من إنشائه توفى فى حدود الأربعين وخمسمائة نقل أكثر ذلك ابن الأبار عن ابن عيّاد .

وأبو محمد عبد الله بن سعيد يعرف بالطرّاز صحب أبا بكر بن عقال الفقيه فى رحلته الى قرطبة وكان سماعهما من ابن العربى واحداً وكان عظيم الحفظ دؤوباً على الدرس نقل ذلك ابن الأبار عن ابن عياد ولم يذكر سنة وفاته .

وأبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبدالله ابن عبد الرحمن (ثلاث مرات) بن جحاف المعافرى لقى أبا الحسن عاصم بن القدرة وغيره وكان فقيهاً أديباً شاعرا وولى قضاء بعض الكور ونقل عنه ابن عياد أبو عمر هذه الأبيات :

لئن كان الزمان أراد حطى … وحاربنى بأنياب وظفر
كفانى أن تصافينى المعالى … وان عاديتنى يا أم دَفْرِ
فما اعتزّ اللئيم وان تسامى … ولا هانَ الكريم بغير وفر

وقال ابن عيّاد انه توفى فى صفر سنة ٥٥١

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن مقاتل التجيبى من أهل بلنسية أصله من سرقسطة

صحب القاضى أبا بكر بن أسد وتفقه به وحضر مجلس أبي محمد بن عاشر وكان فقيهاً عارفاً بعقد الشروط وكتب للقضاة ببلده قال أبو محمد بن نوح : توفى ليلة الجمعة الثالث والعشرين من صفر سنة ٥٩٢

وأبو محمد عبد الله بن محمدبن على بن مفرّج بن سهل الأنصارى روى عن ابن هذيل هو وأخوه وشهر بالاتقان لضبط المصاحف مع براعة الخط كان الناس يتنافسون فى ما يكتب هو وابنه محمد وقد تقدم ذكر محمد هذا .

وأبو محمد عبد الله بن أبى بكر بن عبد الأعلى بن محمد بن أيوب المعافرى يعرف بالشبارتى لأن أصله من «شبارت» كان من أهل بلنسية وسكن شاطبة أخذ القراءات عن أبى الحسن بن هذيل وغيره وأخذ عن أبى عبد الله بن سعادة وأبى الحسن بن النعمة وتصدّر بشاطبة للاقراء وأخذ عنه الناس وكان ماهراً مجوّداً صالحاً خيّراً قال ابن سفيان انه توفى سنة ٥٦٠ وقال ابن عيّاد انه توفى سنة ٥٦١ عن ابن الأبّار

وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد بن عبد الرحمن العبدرى يعرف بابن موجوال أخذ القراءات عن ابن باسُه وروى عن أبى على الصدفى ولازم أبا محمد البطليوسى وأخذ عن أبى الحسن بن واجب وأبى عبد الله بن أبى الخير الموروري وغيرهم ورحل إلى اشبيلية فأوطنها وسمع بها من القاضى أبى مروان الباجى وأبى الحسن شُريح بن محمد وأبى بكر بن العربى وكان هذا يثنى عليه وكانت له رواية أيضاً عن أبى الفضل بن عياض وأبى الطاهر السلفى ولقى باشبيلية أبا محمد عبد الله بن محمد بن أيوب فأخذ عنه الحديث المسلسل فى الأخذ باليد وكان فقيهاً بصيراً صالحاً زاهداً وله كتاب فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج مات قبل اتمامه قال ابن الأبّار فى التكملة ان الحافظ أبا بكر بن الجد كان يغصّ به ويغضّ منه وقال انه أجاز لأبى الخطاب بن واجب وأبى عبد الله الأندرشى من شيوخنا وتوفى باشبيلية سنة ٥٦٦

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سَمَاعَة أخذ عن أبى الحسن بن هذيل وقرأ بمرسية على أبى محمد بن أبى جعفر وكان من أهل النباهة قال ابن الأبّار : قرأت وفاته بخط أبى عمر بن عيّاد

وأبو محمد عبد الله بن موسى بن محمد بن موسى بن صامت الأنصارى سكن بلنسية وأصله من بعض نواحيها ، روى عن أبيه وعن أبى محمد البطليوسى وأخذ عنه أبو عمر ابن عيّاد وهو من أصحابه وكان أصمّ ورووا عنه بيتين قال ان أبا محمد البطليوسى أنشدها لنفسه وكتبهما له بخطه وذلك فى حَب الملوك وهو هذه الفاكهة المعروفة :

أطعمنى حبَّ الملوك امرؤٌ   يحتاج بالرغم اليه الملوك

مثـل اليواقيت ولـكنه   ينظم فى الأفواه لا فى السلوك

قال ابن الأبّار : ثم رأيت بعد انهما لأبى العرب الصقلى . توفى عبد الله بن موسى المذكور بعد السبعين وخمسمائة

وأبو الحسن عبد الله بن مروان بن أحمد بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز التجيبى روى عن أبى الحسن بن النعمة وعنى بعقد الشروط وأكره على القضاء بكورة شبرب من كور بلنسية فتوجه اليها عن غير اختيار منه، وحكى انه باع بعض ثيابه لينفق على نفسه مدة اقامته هناك ثم استعفى فأعفى وكان من أهل الفضل والصلاح والعدالة الكاملة مع نباهة البيت وجلالة السلف ، مولده سنة ٥٣٥ ووفاته يوم الأحد خامس عشر شوال سنة ٥٩٣ ودفن ثانى يوم بمقبرة باب الحنش من بلنسية ذكره ابن الأبّار نقلاً عن ابن أبى العافية وابن عيّاد

وأبو محمد عبد الله بن يوسف بن على الأنصارى يعرف بابن عطية كان من أهل النباهة سمّاه أبو الربيع بن سالم فى من صحبه وأخذ عنه ولم يذكر أحداً من شيوخه وقد ذكره ابن الأبّار دون أن يذكر سنة وفاته

وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن سالم المكتّب الزاهد يعرف بالصبطير روى عن أبى الحسن بن النعمة وقال ابن الأبّار : أخذ القراءات قديماً عن أبى جعفر ابن عون الله الحصّار شيخنا وأدّب بالقرآن وكان من أهل الصلاح والزهادة والاجتهاد فى العبادة كثير التلاوة لكتاب الله تعالى وكان لوالدى به اختصاص، ولم يزل يصحبه

إلى أن توفى بعد عيد الفطر من سنة ٦٠١ ودفن خارج باب بيطالة وكانت جنازته مشهودة والجمع فيها عظيماً

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن يوسف بن سعدون الأزدى روى عن الأستاذ أبى محمد المعروف بعبدون وأخذ عنه العربية والآداب وحضر عند القاضى أبى تميم ميمون بن جبارة وكان ماهراً فى العربية واللغة بديع الخط أنيق الوراقة استكتبه بعض الرؤساء فبرع نظمه ونثره. قال ابن الأبّار : أجاز لى وسمعت منه حروفاً من اللغة يفسّرها وتوفى فى آخر سنة ٦٢٢

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبى يحيى بن محمد بن مطروح التجيبى من أهل بلنسية أصله من سرقسطة ، سمع أباه وأبا العطاء بن نذير وأبا عبد الله بن نسع وأبا الحجاج بن أيوب وأخذ القراءات والعربية عن أبى عبد الله بن نوح ولقى شيوخاً لا يكاد يحصى عددهم وأجاز له أبو بكر بن الجد وأبو عبد الله بن زرقون وغيرهما من علماء الأندلس ، ومن علماء المشرق أبو الطاهر بن عوف وأبو عبد الله بن الحضرمى وغيرهما وولّى القضاء بعدة كور من كور بلنسية وولّى بآخرة من عمره قضاء دانية. قال ابن الأبّار الذى ترجمه : ثم صُرف بى عند ماقلّدت ذلك فى رمضان سنة ٦٣٣ ثم أعيد اليها لما استعفيت من قضاء دانية وكان فقيهاً عارفاً بالأحكام عاكفاً على عقد الشروط من أهل الشورى والفتيا أديباً شاعراً مقدماً فكهاً صدوقاً فى روايته، قال وتوفى ببلنسية مصروفاً عن القضاء عند المغرب من ليلة الجمعة التاسع لذى القعدة سنة ٦٣٥ والروم محاصرون بلنسية ودفن بمقبرة باب الحنش لصلاة ظهر الجمعة قبل امتناع الدفن بخارج بلنسية ومولده سنة ٥٧٤

وأبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الأعلى بن فرغلوش . قال ابن الأبار عنه : صاحبنا روى معنا عن شيوخنا أبى عبد الله بن نوح وأبى الخطاب بن واجب وأبى الحسن بن خيرة وأبى الربيع بن سالم وغيرهم وأخذ القراءات عن أبى زكريا الجعيدى وابن سعادة والحصّار وابنه زلال إلى أن قال : وولّى صلاة الفريضة والخطبة

بجامع بلنسية مدة الى أن تملكها الروم صلحاً فى آخر صفر سنة ٦٣٦ فانتقل الى دانية وولى أيضا الخطبة بجامعها ثم انتقل منها الى مرسية وتردد بينها وبين أوريولة وخطب باوريولة الى أن توفى بها سنة ٦٣٨ وسيق الى مرسية فدفن بها .

وعبيد الله بن عبد البر بن ملحان كان من أهل العلم بالفقه وألف بمدينة بلنسية مجموعا فى ذلك لبعض بنى عبد العزيز وأصل بنى ملحان من بُرجانة بغرب الأندلس ، وذكر ابن بشكوال عبيد الله بن يوسف بن ملحان قاله ابن الأبار .

وعبد الرحمن بن جحاف بن يمن بن سعيد المعافرى من أهل بلنسية وقاضيها للحكم المستنصر بالله كان بقرطبة فى سنة ٣٥١ إذ قدم الطاغية ملك الجلالقة فحضر هو وأيوب ابن حسين قاضى وادى الحجارة الى منية خصيب بقرطبة ووجههما الحكم المستنصر الى ملك الجلالقة ابن عم الأول يؤكدون عهده ويقبضون بيعته. عن ابن الأبار .

وأبو المطرّف عبد الرحمن بن غلبون من أهل قرطبة ، سكن بلنسية ورد عليها من قلعة أيوب وكان كاتباً لصاحبها وكان من أهل العلم بالعربية واللغة أقرأ كتاب سيبويه طول إقامته ببلنسية وأخذ عنه جماعة . وكانت لهم خادم سوداء أقرأت بعد موته النوادر والعروض ، توفى ببلنسية سنة ٤٤٣ عن ابن الأبار .

وعبد الرحمن بن عبد الله بن سيد الكلبى يكنى أبا زيد كان عالما بالعدد والحساب مقدماً فى ذلك ولم يكن أحد من أهل زمانه يعدله فى علم الهندسة انفرد بذلك ، ذكره صاعد الطليطلى وسمع من أبى عمر بن عبد البر فى ذى القعدة سنة ٤٥٦ .

وأبو المطرّف عبد الرحمن بن أحمد بن مثنَّى الكاتب من أهل قرطبة ، سكن بلنسية ويعرف بابن صبغون كان من جلّة الكتاب والأدباء مشاركاً فى علم الحديث ، وكان أبوه أحمد من أكابر أبناء الفقهاء بقرطبة سار الى المأمون يحيى بن اسماعيل بن ذى النون صاحب طليطلة عند انفصاله عن المنصور أبى الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن محمد بن أبى عامر صاحب بلنسية فحظى عنده واستوزره وانتفع الناس به لدينه وسكون طائره وسلامة باطنه وظاهره وتوفى ببلنسية لليلتين خلتا من صفر سنة ٤٥٨ ودفن يوم الثلاثاء بعده ذكره ابن حيّان وأثنى عليه فأطال وأطاب. قاله ابن الأبار فى التكملة

وأبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن جحاف المعافرى سمع من أبيه عبد الرحمن صاحب الرد والمظالم سنة ٤٧٤ وسمع أيضاً من جده القاضى أبى المطرّف وروى عنه أبو الحسن ابن النعمة وأبو عمر زياد بن الصفّار وابن موجوال. عن ابن الأبار.

وأبو مروان عبد الملك بن عمر بن عبدالرحمن الحجرى له سماع كثير من أبى داود المقرئ فى سنة ٤٧٤ .

وأبو مروان عبد الملك بن على بن سَلَمة المدى الغافقى يعرف بابن الجلّاد أخذ عن أبى الطاهر مقاماته اللزومية وروى عن أبى العرب عبد الوهاب بن محمد التجيبى سمع منه ببلنسية مع أبى الحسن بن سعد الخير سنة ٥٥١ وكان مشاركا فى علم الطب محترفاً به وتوفى سنة ٥٧٤ أو ٥٧٥ نقل ذلك ابن الأبار عن ابن سالم .

وعبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن سعدون الأزدى الطبيب عنى بالطب فبرع فيه وسمع من أبى الحسن بن هذيل ولقى ابن جبير الرحّالة الشهير وروى من شعره وتوفى فى رمضان سنة ٦٠٥ ، عن ابن الأبار .

وأبو محمد عبد الجبار بن يوسف بن محرز روى عن أبى داود المقرئ وكان من أهل العدالة والضبط والمعرفة بعقد الشروط وكتب للقضاة ببلده وتوفى فى نحو الثلاثين وخمسمائة. عن ابن الأبار عن ابن سالم.

وأبو حفص عمر بن محمد بن واجب بن عمر بن واجب القيسى صاحب الأحكام ببلنسية سمع من أبيه محمد بن واجب ومن أبى محمد بن خيرون وأبى بحر الأسدى وأبى بكر بن العربى وأبى محمد البطليوسى وكان فقيهاً حافظاً للمسائل بصيراً بالأحكام مفتياً مشاوراً درّس فى حياة أبيه ولم يعتن بالحديث كثيراً وكان متواضعاً حسن الهدى متعففاً قانعاً منقبضاً عن السلطان ولّى قضاء دانية قال ابن الأبار : حدّث عنه حفيده شيخنا أبو الخطاب أحمد بن محمد وأبو عمر بن عيّاد وأبو عبد الله بن سعادة وأبو محمد ابن سفيان وتوفى فى سلخ رمضان سنة ٥٥٧ عن إحدى وثمانين سنة وهو آخر حفّاظ المسائل بشرق الأندلس .

وأبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن على بن عُديس القضاعى البلنسى اللغوى صحب أبا محمد البطليوسى واختُصَّ به ورحل الى باجه فأخذ عن أبى العباس بن خاطب وقرأ عليه الكامل وألَّف كتاباً فى المثلّث حافلا فى عشرة أجزاء ضخام دل على تبحّره وسعة حفظه للّغة، وشرح الفصيح شرحا مفيداً وسكن تونس وبها توفى فى حدود السبعين وخمسمائة .

وأبو الحسن على بن عطية الله بن مطرّف بن سلمة اللخمى يعرف بابن الزقّاق أخذ عن أبى محمد البطليوسى وبرع بالآداب وتقدم فى صناعة الشعر وامتدح الكبار فأجاد ، توفى فى حدود الثلاثين وخمسمائة وقيل سنة ثمان وعشرين لم يبلغ أربعين سنة ذكره ابن الأبار .

وأبو الحسن على بن محمد بن على بن هذيل لازم أبا داود المقرى نحواً من عشرين سنة بدانية وبلنسية ونشأ فى حجره وكان زوج أمه وسمع منه الكثير وهو أثبت الناس فيه وصارت اليه أصوله العتيقة فى فنون العلم وسمع من أبى محمد الركلى صحيح البخارى ومن أبى عبد الله بن عيسى مختصر الطليطلى فى الفقه ومن أبى الحسن طارق بن يعيش صحيح مسلم وأجازله أبو على بن سكّرة وكان منقطع القرين فى الفضل والدين والورع والزهد مع العدالة والتواضع صوّاماً كثير الصدقات ، كانت له ضيعة فيخرج لتفقدها تصحبه الطلبة فمن قارئ ومن سامع ، وهو منشرح طويل الاحتمال مع ملازمتهم إياه ليلاً ونهاراً ، وأسن وانتهت اليه الرئاسة فى صناعة الاقراء لعلو روايته وامامته فى التجويد وحدّث نحو ستين سنة ، ولد سنة ٤٧٠ وقيل ٤٧١ وتوفى يوم الخميس سابع عشر رجب سنة ٥٦٤ ودفن يوم الجمعة وصلى عليه أبو الحسن ابن النعمة وحضره السلطان أبو الحجاج يوسف بن سعد وتزاحم الناس على نعشه يجتهدون أن يمسّوه بأيديهم ثم يمسحون بها على وجوههم، كان يتصدق على الأرامل واليتامى فقالت له زوجته : إنك لتسمى بهذا فى فقر أولادك، فقال لها : لا والله بل أنا شيخ طمّاع أسمى فى غناهم .

وأبو الحسن علي بن عبد الله بن خلف بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الملك الأنصارى ولد بالمرية وسكن بلنسية وكان يقال له أبو الحسن بن النعمة أخذ فى صغره عن أبى الحسن بن شفيع وانتقل به أبوه الى بلنسية سنة ٥٠٦ فقرأ بها القرآن على أبى عمران موسى بن خميس الضرير وأبى عبد الله بن باسّه وأخذ العربية عن أبى محمد البطليوسى واختص به، وروى عن أبى بحر الأسدى وغيره ودخل قرطبة سنة ٥١٣ فتفقّه بأبى الوليد بن رشد وأبى عبد الله بن الحاج وسمع من أبى على الصدفى وأبى الحسن بن مغيث وغيرهما وكان عالماً متقناً حافظاً للفقه ومعانى الآثار والسير متقدماً فى علم اللسان فصيحاً مفوهاً ورعاً فاضلاً معظماً عند الخاصة والعامة محبوباً بدماثة خُلقه ولين جانبه وولى خطة الشورى والخطابة ببلنسية دهراً وانتهت اليه الرئاسة فى الاقراء والفتوى وصنّف كتاب « رِىّ الظمآن فى تفسير القرآن » وهو عدة مجلدات وكتاب « الامعان فى شرح مصنّف أبى عبد الرحمن » النسائى وكثر الراحلون اليه. قال ابن الأبار : وهو خاتمة العلماء بشرق الأندلس توفى فى رمضان سنة ٥٦٧ عن بضع وسبعين سنة .

وأبو الحسن على بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير الأنصارى سمع من أبى محمد القُلَنّى وأبى الوليد بن الدبّاغ ولازم أبا الحسن بن النعمة وتأدّب به واقرأ العربية حياته كلها فكان فيها اماماً وكان بارع الخط كاتباً بليغاً شاعراً مجيداً وكانت فيه غفلة معروفة وله كتاب على كامل المبرّد توفى باشبيلية فى ربيع الآخر سنة ٥٧١ .

وأبو الحسن على بن حسين النجار الزاهد يعرف بابن سعدون من جزيرة شقر سكن بلنسية كان من أهل الزهد والصلاح التام والعلم وتؤثر عنه الكرامات وكان يخبر بأشياء خفية لاتتوانى أن تظهر جلية، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعظ فى المساجد وكانت العامة حزبه توفى سنة ٥٧٨ وازدحم الخلق على نعشه ذكره ابن الأبّار .

وأبو الحسن على بن موسى بن محمد بن شلّوط البلنسى الشبارتى حج وسمع بمكة من على بن حميد بن عمّار وسكن تلمسان واحترف بالطب. قال ابن الأبّار : أخذت عنه بعض صحيح البخارى وأجاز لى وتوفى فى نحو سنة ٦١٠ .

وأبو الحسن على بن محمد بن أحمد بن حريق المخزومى. قال ابن الأبّار انه شاعر بلنسية الفحل المستبحر فى الآداب أخذ عن أبى عبد الله بن حميد وكان حافظًا لأيام العرب وأشعارها شاعراً مفلقًا ذا بديهة اعترف له بالسبق بلغاء وقتـه ودوّن شعره فى مجلدتين . قال : وصحبته مدة وأخذ عنه أصحابنا ولد سنة ٥٥١ وتوفى فى ثامن عشر شعبان سنة ٦٢٢ .

وأبو الحسن على بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن على البلوى سمع أبا بكر ابن خير وأبا عمر بن عطية وغيرهما ولقى باشبيلية ابن بشكوال والسهيلى وسمع منهما وكان فارضاً متقدماً فقيها حافظًا، توفى فى ربيع الآخر سنة ٦٢٣ .

وأبو الحسن على بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة خطيب بلنسية أخذ عن أبى جعفر طارق بن موسى قراءة ورش وأخذ القراءات عن أبى جعفر بن عون الله وسمع من أبى العطاء بن نذير وغيره وحج سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وسمع من أبى عبد الله ابن الحضرمى وحمّاد الحرّانى ولقى عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلى الحافظ ببجاية وأبا حفص الميانشى وانصرف إلى بلده بلنسية وأقام على حاله من الانقباض وحسن السمت إلى أن تقلد الصلاة ببلنسية فتولاها أربعين سنة وكان راجح العقل. قال ابن الأبّار: تلوت عليه بالقراءات السبع وسمعت منه جلّ ماعنده واختلط قبل موته بأزيد من عام وأُخّر عن الصلاة لاختلال ظهر فى كلامه. ولد سنة خمسين أو احدى وخمسين وخمسمائة وتوفى فى أواخر رجبُ سنة ٦٣٤ ونزل فى قبره أبو الربيع بن سالم وكانت جنازته مشهودة حضرها السلطان .

وعيسى بن محمد بن فتوح بن فرج الهاشمى يكنى أبا الاصبع ويعرف بابن المرابط أخذ القراءات عن أبى زيد الورّاق وأبى بكر بن الصنّاع المعروف بالهدهد وسمع من أبى على الصدفى وكان أحد الرؤساء فى القراءة قال ابن الأبّار : أخذ عنه أبو عمر بن عيّاد وابنه محمد وشيخنا أبو عبد الله بن سعادة توفى فى رجب سنة ٥٥٢ وقد جاوز السبعين

وعتيق بن عبد الجبار أبو بكر الجذامى البلنسى سمع من أبى داود المقرئ وأبى محمد

البطليوسى وكان بارعاً بالشروط كتب للقضاة ببلنسية نحواً من أربعين سنة توفى سنة ٥٣٩ .

وعتيق بن احمد بن محمد بن خالد المخزومى أبو بكر أخذ القراءات عن ابن هذيل وسمع من أبي الوليد بن الدبّاغ ودرّس الفقه والعربية والأصول وبرع فى علوم عديدة وتوفى سنة ٥٤٨ .

وعتيق بن احمد بن سلمون أبو بكر البلنسى أخذ القراءات عن ابن هذيل والنحو عن أبي محمد بن عبدون واستشهد فى كائنة غربالة سنة ٥٨٠ .

وعتيق بن على بن سعيد بن عبد الملك بن رزين أبو بكر العبدرى يعرف بابن العقّار من طرطوشة ونشأ بميورقة واستوطن بلنسية وقرأ على ابن هذيل وابن النعمة وابن نمارة وأجاز له السلفى وغيره وكان من أهل التقدم فى الاقراء مع الفقه والبصر بالشروط ولى قضاء بلنسية وخطابتها وقتاً وكانت فى أحكامه شدة وتوفى فى ذى الحجة سنة ستمائة وكانت ولادته سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة . وجميع هؤلاء العتقاء الأربعة ترجمهم ابن الأبار فى التكملة . ومنهم ابن العقّار تقدمت ترجمته فى علماء طرطوشة لأن أصله منها .

والفتح بن خلف أبو نصر البلنسى المقرئ أخذ عن داود المقرئ وطبقته ولم يذكر ابن الأبار عنه أكثر من هذا .

وفتح بن يوسف أبو نصر البلنسى يعرف بابن أبى كبّة أخذ أيضاً عن أبى داود وأخذ عنه أبو عبد الله الشارّى ولم يذكر ابن الابار عنه غير هذا ولكنه قال ان أبا عبد الله الشارّى توفى سنة ٦٢٤ .

وأبو الوليد سليمان بن عبد الملك بن روبيل العبدرى سمع من أبى محمد بن عتّاب وغيره توفى سنة ٥٣٠ شاباً (ذكر فى صفحة ١٠٧)

وأبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسّان الحميرى الكلاعى [1] كان

---

(١) هو الذى تقدم ذكره وانه استشهد فى واقعة أنيشة ورثاه ابن الأبار القضاعى صاحب التكملة .

معروفاً بأبي الربيع بن سالم سمع ببلده بلنسية أبا العطاء بن نذير وأبا الحجاج بن أيوب ورحل فسمع أبا القاسم بن حبيش وأبا بكر بن الجد وأبا الوليد بن رشد وأبا محمد بن جهور وخلقاً وأجازله أبو العباس بن مضاء وأبو محمد عبد الحق الاشبيلي وآخرون وعني أتم عناية بالتقييد والرواية وكان اماماً في الحديث حافظاً عارفاً بالجرح والتعديل ذاكراً للمواليد والوفيات يتقدم أهل زمانه في ذلك وفي حفظ أسماء الرجال خصوصاً الذين عاصروه ، وكان حسن الخط لانظير له في الاتقان والضبط مع الاستبحار في الأدب والاشتهار بالبلاغة وكان فرداً في انشاء الرسائل مجيداً في النظم خطيباً مفوهاً مدركاً مع الشارة الأنيقة والزي الحسن، وقد كان يتكلم عن الملوك في مجالسهم ويعبّر عما يريدونه فيخطب في ذلك على المنابر وولي خطابة بلنسية. وله تصانيف مفيدة منها كتاب « الاكتفاء في مغازي الرسول عليه السلام والثلاثة الخلفاء » في أربعة مجلدات وكتاب حافل في معرفة الصحابة والتابعين لم يكمله وكتاب في ترجمة البخاري واليه كانت الرحلة في عصره للأخذ عنه. قال ابن الأبار : أخذت عنه كثيراً وانتفعت به في الحديث كل الانتفاع وحضّني على هذا التاريخ وأمدّني من تقييداته وطرفه بماشحنته مولده في رمضان سنة ٥٦٥ واستشهد بكائنة أنيشة على ثلاثة فراسخ من بلنسية مقبلاً غير مدبر في العشرين من ذي الحجة سنة ٦٣٤ قال : وكان أبداً يحدثنا أن السبعين منتهى عمره لرؤيا رآها قلت : لكنه بحسب هذه الأرقام كما قرأناها في التكملة يكون بلغ تسعاً وسبعين سنة

وسعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري البلنسي ذكره ابن الأبار ولم يزد على قوله: ترجمته عندي . فلعله كان يريد أن يلحقها بالتكملة ففاته ذلك(١)

---

(١) أما صاحب نفح الطيب فقد استوفى ترجمة هذا الرجل فقال انه رحل الى أن دخل الصين ولذا كان يكتب سعد الخير الأنصاري البلنسي الصيني وركب البحار وتفقه ببغداد على أبي حامد الغزالي وسمع بها أبا عبدالله النعال وطراداً الزينبي وغيرهما وباصبهان أبا سعد المطرّز وسكن اصبهان وتزوج فيها وولدت له بها ابنته فاطمة ثم سكن بغداد

وأبو محمد واجب ابن أبي الخطاب بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب بن عمر ابن واجب بن عمر بن واجب القيسي سمع ابن هذيل وأبا عبد الله بن سعادة وغيرهما وأجاز له أبو مروان بن قزمان والسالي وتولى قضاء أندة من عمل بلنسية وشكرت سيرته وكان كاتباً بليغاً شاعراً خطيباً مصقعاً من بيت جلالة صحب السلطان وتوفى بمراكش سنة ٥٨٢

وأبو محمد واجب بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب بن عمر سمع ابن هذيل وابن سعادة وابن النعمة وتولى القضاء بأماكن قال ابن الأبار : سمعت منه وأجاز لى وتوفى سنة ٦١٠ .

ويحي بن محمد بن عبد العزيز بن عقال الفهرى سمع من أبي الوليد ابن الدباغ وابى بكر بن برنجال وتفقه بأبي محمد بن عاشر وأبي بكر بن أسد ولقى بقرطبة أبا جعفر البطرجي وسمع بغرناطة من القاضى عياض وتولى قضاء أندة من كور بلنسية وقضاء ألش من كور مرسية فحمدت سيرته. قال ابن الأبار : أخذ عنه شيخنا أبو عبد الله ابن نوح وتفقه به، توفى فى صفر سنة ٥٦٧ وتوفى فى المحرم قبله أخوه محمد وعاش يحيى ثلاثا وستين سنة

وأبو زكريا يحيى بن زكريا بن على بن يوسف الأنصارى يعرف بالجعيدى أخذ القراءات عن أبي عبد الله بن حميد وأبي عبد الله بن نوح وسمع من أبي عبد الله بن نسع وجماعة وتصدر للاقراء فى حياة الشيوخ وكان أحد العلماء مع الصلاح التام والورع المحض. قال ابن الأبار : أخذت عنه الكافى لأبى عبد الله بن شريح وتوفى فى جمادى

وتوفى بها فى المحرم سنة ٥٤١ وصلى عليه الغزنوى وحضر جنازته قاضى القضاة الزينبى والأعيان ودفن الى جانب عبد الله بن الامام احمد بن حنبل بوصية منه. وقال المقرى أيضا انه تأدب على أبي زكريا التبريزى شارح الحماسة وانه روى عنه ابن عساكر وابن السمعانى وأبو موسى المدينى وأبو اليمن الكندى وأبو الفرج بن الجوزى وابنته فاطمة بنت سعد الخير

الأولى سنة ٦١٩ وله ثمان وأربعون سنة وكان صاحب والدى

وأبو الحجاج يوسف بن عبدالله بن يوسف بن أيوب الفهرى الدانى سكن بلنسية وسمع أباه وأبا بكر بن برنجال وأخذ القراءات عن أبي عبد الله بن سعيد الدانى وأبى عبد الله المكناسى والعربية عن أبى العباس بن عامر وتفقه بأبى محمد بن بقى وكان متقدماً فى الآداب اماماً فى معرفه الشروط كاتباً بليغاً شاعراً كتب للقضاة وناب فى الأحكام توفى فى شعبان سنة ٥٩٢ وكانت ولادته سنة ٥١٦.

وأبو الحجاج يوسف بن سليمان بن يوسف بن عبد الرحمن بن حمزة أخذ القراءات عن أبى عبد الله الدانى سنة ٥٣٧ وعن أبىالأصبغ بن فتوح الهاشمى وكان ثقةفاضلاً وتوفى قبل السمائة.

وأبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى الفتح يعرف بابن المرينة. قال ابن الأبار: سمع معنا من أبىعبد الله بن نوح وأبى عبد الله بن سعادة وأبى الخطاب بن واجب وأبى عبد الله بن زلال وأبى سليمان بن حوط الله وانفرد بلقاء جماعة منهم أبو القاسم الطرسونى وأبو الحسن بن يقى ومهر فى علم العربية وقعد لاقرائها نحو عشرين سنة وكان مشاركاً فى الفقه مع الصلاح والزكاء وولى قضاء بلنسية سنة ٦٣٣ وتوفى بشاطبة فى جمادى الآخرة سنة٦٣٦ وولد سنة ٥٨٩

وإشراق السويداء العروضية مولاة أبى المطرّف عبد الرحمن بن غلبون القرطبى الكاتب سكنت بلنسية وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة وفاقته فى كثير مماأخذته عنه وأتقنت العروض.قال أبو داود سليمان بن نجاح: أخذت عنها العروض وقرأت عليها النوادر لأبى على والكامل للمبرّد وكانت تحفظ الكتابين وتتكلم عليهما وتوفيت بدانية بعد وفاة سيدها وكانت وفاته سنة ٤٤٣.

وزينب بنت محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الزهري البلنسية وتدعى عزيزة بنت محرز سمعت جدها لأمها أبا الحسن بن هذيل وأخذت عنه التقصى لابن عبد البر وكانت صالحة وكان خطها ضعيفاً وتوفيت سنة ٦٣٥ وقدبلغت الثمانين.

وأم العز بنت أحمد بن على بن هذيل وأخذت قراءة نافع عن أم معفّر حرم الأمير

محمد بن سعد وبرعت فى حفظ الأشعار وتوفيت بشاطبة اثر خروجها من حصار بلنسية فى أحد الربيعين سنة ٦٣٦

وأبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن يعقوب بن أحمد بن عمر الأنصارى البلنسى قال الضبّى صاحب بغية الملتمس : صاحبنا محدّث ثقة ثبت روى ببلنسية عن أبى الحسن بن النعمة وغيره ثم رحل إلى المشرق فأقام بالاسكندرية فى مدرسة الحافظ السلفى نحواً من عشرين سنة وكتب عنه مالم يكتب أحد وكان عالماً بالرجال متقللاً من الدنيا لم يغيّر من هيئته التى كان بها بالأندلس سكنت معه بالمدرسة مدة فحمدت حاله وزهده وورعه وانقباضه عن الناس قال : لما صار الحافظ السلفى رحمه الله فى عشر المئة أنشدنا

ما كنت أرجو إذ ترعرعت ان أبلغ من عمرى سبعينا
فالآن والحمد لربى فقد جاوزت من عمرى تسعينا

ولما قارب المئة أنشدنا :

أنا من أهل الحديث وهمُ خير فئه
جزت تسعين وأرجو لأَجوزنَّ مئه

ولما جاوز المئة أنشدنا :

أنا ان بان شبابى ومضى فبحمد الله ذهنى حاضرُ
ولئن خنَّت وجفَّت أعظمى كِبَراً غصن علومى ناضر

قال الضبى : سمع بقراءتى بالاسكندرية كثيراً وحدَّث بها أخيراً وروى عن كافة أهلها وعن الواردين عليها واستجاز جميع محدثى العراق والشام فأجازوه. قال : وتوفى ابراهيم بن عبد الله فى حدود التسعين وخمسمائة

وابراهيم بن عبد الصمد يكنى أباعبد الصمد البلنسى سكن بلنسية قال الضبى وأظنه من أهلها شاعر مشهور. فمن شعره يصف قوماً:

أناس إذا ماجئتُ أجلسُ بينهم لأمرٍ أرانى فى جماعتهم وحدى

إذا غضبوا كان الوعيدانتقامَهم وانوعدوا لم يأتِ منهم سوى الوعدِ

وأبو القاسم خلف بن أحمد بن بطّال البكرى روى عن أبى عبد الله بن الفخّار والقاضى أبى عبد الرحمن بن جحّاف وغيرهما. قال ابن بشكوال فى الصلة حدّث عنه أبو داود المقرى وشيخنا أبو بحر الأسدى وذكره أيضاً أبو محمد بن خزرج وقال لقيته باشبيلية سنة ٤٥٤ وكان فقيهاً أصولياً من أهل النظر والاحتجاج لمذهب مالك واستقضى ببعض نواحى بلنسية ومولده حدود سنة ٣٩٨ ودخل افريقية سنة ٤٢٣ وتردد بالمشرق نحو أربعة أعوام طالباً للعلم وحج سنة ٤٥٢ وله مؤلفات حسان انتهى بتصرف .

وأبو القاسم خلف مولى يوسف بن بهلول يعرف بالبربلى سكن بلنسية كان فقيهاً حافظاً للمسائل وله مختصر فى المدونة حسن جمع فيه أقوال أصحاب مالك وهو كثير الفائدة . وكان أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه يقول : من أراد أن يكون فقيهاً من ليلته فعليه بكتاب البربلى وكان مقدماً فى علم الوثائق وتوفى سنة ٤٤٣ وقد نيف على السبعين ذكره ابن بشكوال فى الصلة قال : قرأت وفاته فى كتاب ابن حُدير وقرأت بخط بعض أصحابنا أنه توفى ليلة الأربعا ودفن يوم الأربعا لخمسٍ بقين من ربيع الآخر عام ٤٤٣

وأبو بكر عبد العزيز بن محمد بن سعد يعرف بابن القدرة روى عن أبى عمر بن عبد البر وغيره وكان فقيها مشاوراً ببلده بلنسية قال ابن بشكوال فى الصلة : حدث عنه شيخنا أبو بحر الأسدى وأبو على بن سكّرة وغيرهما وتوفى سنة ٤٨٤

وأبو شاكر عبد الواحد بن محمد بن موهب التجيبى القبرى نسبة إلى « قَبْرة » من عمل قرطبة سكن بلنسية سمع من أبى محمد الأصيلى وأبى حفص بن نابل وكان من أهل النبل والذكاء سرياً متواضعاً تقلّد الصلاة والخطبة والأحكام ببلنسية وذكره الحميدى وقال فيه : فقيه محدّث أديب خطيب شاعر أنشدنى له أبو الحسن على العائذى:

يا روضتى ورياض الناس مجدبة وكوكبى وظلام الليل قد ركدا

ان كان صرف الليالى عنك أبعدنى فان شوقى وجزنى عنك ما بعدا

ولد يوم الخميس لعشر خلون من ذى القعدة سنة ٣٧٧ وتوفى ليلة الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ٤٥٦ بمدينة شاطبة وحمل إلى بلنسية فدفن بها وصلى عليه القاضى أبو المطرف بن جحاف قال ابن بشكوال فى الصلة : قرأت بخط ابن مدير : كان أبو شاكر ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير وسيما جميلاً حسن الهيئة والخلق حسن السمت والهدى وكان أشبه الناس بالسلف الصالح رضى الله عنهم

وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن المغلّس القيسى ترجمه صاحب نفح الطيب فقال : انه كان مشاراً اليه فى العربية رَحَلَ من الأندلس وسكن بمصر وقرأ الأدب على أبى العلاء صاعد اللغوى صاحب الفصوص وعلى أبى يعقوب يوسف بن خرقان ودخل بغداد وله شعر حسن فمن ذلك قوله :

مريض الجفون بلا علةٍ ولكن قلبى به ممرضُ
أعان السهاد على مقلتى بفيض الدموع فما تغمضُ

ومن شعره قوله فى حمّام :

ومنزل أقوام إذا ما اعتدوا به تشابه فيه وغدُهُ ورئيسُهُ
يخالطُ فيه المرء غيرَ خليطهِ ويضحى عدوُّ المرء وهو جليسه
يُفرِّجُ كربى ان تزايد كربُهُ ويؤنس قلبى أن يُمد أنيسه
اذا ما أعرتُ الجوَّ طرفاً تكاثرت على مائة أقماره وشموسه

توفى يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الأولى سنة ٤٢٧ وقيل ٤٢٩ وصلى عليه الشيخ أبو الحسن على بن ابراهيم الحوفى صاحب التفسير . ومُغَلِّس بضم الميم وفتح الغين وتشديد اللام المكسورة وبعدها سين مهملة

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن زكريا المعافرى المقرئ الفرضى الأديب ترجمه المقرى فى النفح وقال انه ولد سنة ٥٩١ ونشأ ببلنسية وأقام بالاسكندرية وقرأ القرآن على أصحاب ابن هذيل ونظم قصيدة فى القراءات أكثر أبياتاً من الشاطبية وكانت له يد فى

الفرائض والعروض . ولم يذكر عنه أكثر من هذا ولم ترد له ترجمة فى تكملة ابن الأبار ، يظهر أن السبب فى ذلك كونه متأخراً لم يبلغ فى زمن ابن الأبار شهرة يترجمه من أجلها وقد أقام بالاسكندرية بعيداً عن ابن الأبار

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدرى ولد سنة ٥١٩ وسمع من أبيه وجماعة ورَحَل حاجاً فسمع من السانى وابن عوف والحضرمى والتنوخى والعثمانى وغيرهم ورجع بعد الحج إلى الأندلس وبلده بلنسية فحدّث فيها وكان غاية فى الصلاح والورع ترجمه صاحب النفح

وأبو عبد الله محمد بن على بن يوسف بن محمد بن يوسف الأنصارى الشاطبى الأصل البلنسى المولد ولد سنة احدى وستمائة وتوفى بالقاهرة فى جمادى الأولى سنة ٦٨٤ ترجمه صاحب النفح وقال ان المشارقة كانوا يلقبونه برضى الدين وقرأ المترجم ببلده بلنسية على ابن صاحب الصلات آخر أصحاب ابن هذيل وسمع منه كتاب التلخيص للوانى وسمع بمصر من ابن المقيّر وجماعة وروى عنه الحافظ المزنى واليونينى والظاهرى وآخرون. ويكفيه أن الشيخ أبا حيّان الأندلسى امام عصره فى اللّغة كان من تلاميذه وأثنى عليه وقرأ عليه كتاب التيسير ولما توفى أنشد أبو حيّان ارتجالاً

نُعى لى الرضىّ فقلت لقد نُعِى لىَ شيخ العلا والأدب

فمن للغات ومن للثقات ومن للنحاة ومن للنسب

لقد كان للعلم بحراً فغار وان غؤور البحار العجب

فقدّس من عالم عامل أثار لشجوى لما ذهب

ولرضى الدين نظم حسن منه ماقاله وهو يحتضر :

حان الرحيل فودّع الدار التى ما كان ساكنها بها بمخلّد

واضرع إلى الملك الجواد وقل له عبد بباب الجود أصبح يجتدى

لم يرضَ غير الله معبوداً ولا ديناً سوى دين النبى محمد

ومن نظمه أيضاً :

أقول لنفسى حين قابلها الردى فرامت فراراً منه يسرى الى يمنى

ترى تحملي بعض الذى تكرهينه ... فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهنى

وله أيضا :

لولا بناتي وسيئاتى ... لطرت شوقاً الى الممات

لأننى فى جوار قوم ... بغضنى قربهم حياتى

وروى أبو حيان الأندلسى فى البحر عنه أبياتاً لزينب بنت اسحق النصرانى الرسعينى فى حب آل البيت وهذا من غريب الروايات قالت :

عدىّ وتيم لا أحاول ذكرهم ... بسوء ولكنى محبٌّ لهاشم

وما يعتريني فى عَلِيٍّ ورهطه ... اذا ذُكروا فى الله لومة لائم

يقولون ما بال النصارى تحبهم ... وأهل النهى من أعرب وأعاجم

فقلت لهم انى لأحسب حبهم ... سرى فى قلوب الخلق حتى البهائم

وقال المقرى فى النفح : رأيت بخطه كتباً كثيرة بمصر وحواشى مفيدة فى اللغة وعلى دواوين العرب رحمه الله تعالى:

واليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عبد الله الغافقى. قال المقرى فى النفح من أهل بلنسية وأصله من جيان وسكن المرية ثم مالقة يكنى أبا يحى كتب لبعض الأمراء بشرق الأندلس . وله تأليف سماه « المُغرب فى أخبار محاسن أهل المغرب » جمعه للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب عند ما رحل من الأندلس إلى الديار المصرية سنة ستين وخمسمائة وكانت وفاته بمصر يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة ٥٧٥ .

وأبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سَيد بونه الخزاعى قرأ وتفقّه ببلنسية وأخذ عن أبى الحسن بن النعمة وأبى الحسن بن هذيل وحج ولقى فى رحلته جلّة أكبرهم الولى الكبير سيدي أبو مدين شعيب وانتفع به ورجع من عنده بعجائب دينية ورفيع أحوال ايمانية كما قال لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة ترجمه أبو العباس المقرى فى نفح الطيب وقال عنه : انه العارف الكبير الولي الصالح الشهير كان كثير الأتباع

بعيد الصيت شهر بالعبادة وتبرك الناس به وتوفى رحمه الله تعالى فى شوال سنة ٦٢٤ وعاش نيفاً وثمانين سنة . وقال لسان الدين بن الخطيب : لقيت قريبه الشيخ أبا تمام غالب بن الحسين بن سيد بونة حين ورد غرناطه فكان يحدث عنه بعجائب وقال انه انتقل الكثير من أهله وأذياله عند تغلب العدو على الشرق إلى هذه الحضرة فسكنوا بها ربض البيّازين على دين وانقباض وبالحضرة اليوم منهم بقية أى أنه لما غلب العدو على شرق الأندلس هاجروا إلى غرناطة وذكر لسان الدين أن موضع وفاة الشيخ المذكور مكان يقال له زناتة .

وأحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي البلنسى أصله من شقورة يكنى أبا المطرّف قال لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة لم يكن من أهل بيت نباهة ووقع لابن عبد الملك فى ذلك نقل كان حقه التجافى عنه لو وفّق روى عن أبى الخطاب ابن واجب وأبى الربيع بن سلام وأبى عبد الله بن فرج وأبى على الشلوبين وأبى عمر ابن عات وأبى محمد بن حوط الله وأجازوا له وروى عنه كثيرون وصحب أبا عبد العزيز ابن عبد الله بن خطاب قبل تولّيه ما تولّى من رئاسة بلده وكتب عن الرئيس أبي جميل زيّان بن سعد وغيره من شرق الأندلس . ثم انتقل إلى العدوة واستكتبه الرشيد أبو محمد بن أبى الوليد بمراكش ثم صرفه عن الكتابة وولّاه قضاء مليانة من نظر مراكش الشرقى فتولاه قليلاً ثم نقله إلى رباط الفتح وتوفى الرشيد فأقرّه على ذلك الوالى بعده أبو الحسن المعتضد أخوه ثم نقله إلى قضاء مكناسة الزيتون ثم لما قتل المعتضد لحق بسبتة وركب البحر منها إلى افريقية فقدم بجاية على الأمير أبى زكريا . ثم توجه إلى تونس فنجحت بها وسائله وولى قضاء مدينة الأريس ثم انتقل إلى فاس وبها طالت مدة ولايته فاستدعاه المستنصر بالله محمد ابن أبى زكريا ولطف محله منه حتى كان يحضر مجالس أنسه وداخَلَهُ بما قرفته الألسن بسببه . قال ابن عبد الملك : كان أول طلبه شديد العناية بشأن الرواية فاستكثر من سماع الحديث وأخذ عن مشايخ أهله وتفنن فى العلوم ونظر فى العقليات وأصول الفقه ومال الى الأدب فبرع فيه براعة عُدَّ بها من كبار

مجيدى النظم وأما الكتابة فهو علمها المشهور وواحدها التى عجزت عن ثانيه الدهور ولا سيما فى مخاطبة الاخوان هنالك استولى على أمد الاحسان وله المنقولات المنتخبة والقصار المقتضبة وكان يعلم كلامه نظماً ونثراً بالاشارة إلى التاريخ ويودعه الماعات بالمسائل العلميـة متنوعة المقصد . قال لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة : قلت وعلى الجملة فذات أبى المطرف فيما ينزع اليه ليست من ذوات الأمثال فقد كان نسيج وحده ادراكا وتفنناً بصيراً بالعلوم محدثاً مكثراً راوية ثبتـا متبحراً فى التاريخ والأخبار ريان مضطلعاً بالأصلين قائما على العربية واللغة كلامه كثير الحلاوة والطلاوة جم العيون غزير المعانى والمحاسن شفّاف اللفظ حر المعنى ثانى بديع الزمان فى شكوى الحرفة وسوء الحظ ورونق الكلام ولطف المأخذ وتبريز النثر على النظم والقصور فى السلطانيات قال : كان يذكر أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فناوله أقلاماً فكان يرى ويُرى له أن تأويل الرؤيا ما أدرك مـن التبريز فى الكتابة وارتفاع الذكر والله أعلم . ومن بديع ماصدر عنه فى ما كتب فى غرض التورية قطعة من رسالة أجاب بها العباس بن أمية وقـد أعلمه باستيلاء الروم على بلنسية فقال : بالله أى نحو تنحو أو مسطور تثبت أو تمحو، وقد حُذف الأصل والزائد، وذهبت الصلة والعائد، وباب التعجب طال، وحال اليأس لا تخشى الانتقال، وذهبت علامة الرفع، وفقدت نون الجمع، والمعتل أعدى الصحيح، والمثلث أردى الفصيح، وامتنعت الجموع من الصرف، وأمنت زوائدها من الحذف، ومالت قواعد الملة، وصرنا جمع القلّة، وظهرت علامة الخفض، وجاء بدل الكل من البعض .

وله تأليف فى كائنة المرية وتغلّب الروم عليها نحا فيها نحو العماد الأصفهانى فى الفتح القدسى وكتابة فى تعقّبه على فخر الدين بن الخطيب الرازى فى كتاب « المعالم » فى أصول الفقه منه وردّه على كمال الدين أبى محمد عبد الكريم السماكى فى كتابه المسمى « بالتبيان فى علم البيان » واختصار نبيل من تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك من التعاليق والمقالات ودوّن الاستاذ أبو عبد الله بن هانى السبتى كتابته وما يتخللها من الشعر فى سفرين بديعين وسمى ذلك « بغية المستطرف وغنية المتطرّف . من كلام

امام الكتابة. ابن عميرة أبي المطرّف » .مولده بجزيرة شقر وقيل ببلنسية فى رمضان عام اثنين وثمانين وخمسمائة ووفاته بتونس ليلة الجمعة الموفية عشرين ذى الحجة عام ستة وخمسين وستمائة

وأبو عبد الله محمد بن أبى سفيان بن أبى اسحق الواعظ سمع من أبى المعالى ادريس بن يحيى الواعظ وولى الحسبة بالسوق وكان يعظ بمسجده المشتهر بمسجد الغَلَبَة قال ابن الأبار: وفيه قرأت على شيخنا أبى عبد الله بن نوح هذا وقد كتب أبو الحسن بن النعمة كثيراً مما سمعه من المترجم مستفاداً عن أبى المعالى ادريس المذكور وذلك فى سنة ٥١٢

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البراء روى عن أبى هذيل وابن النعمة وأبى حنض ابن واجب وتفقّه بأبى محمد بن عاشر وأبى بكر بن أسد ورحل إلى المرية فاتى أبا القاسم ابن ورد وكان فقيهاً حافظاً من أهل الدين والفضل وولى خطة الشورى ببلنسية للقاضى أبى محمد بن جحاف وتوفى فى رجب سنة ٥٤٨ ، عن ابن الأبار

وأبو مروان عبيد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن مسعود بن عيشون المعافرى من أهل بلنسية وأصله من لبرُقاط عمل أبيشة من ثغورها الشرقية روى عن أبى الوليد ابن الدبّاغ ورحل حاجاً فأدى الفريضة ولقى أبا على بن العرجاء بمكة وأبا طاهر السلفى بالاسكندرية وأبا عبد الله المازرى بالمهديّة قال ابن الأبار : وكان نهاية فى الصلاح والفضل وأعمال البر والخير وجيهاً متواضعاً صروزة لم يتزوج قط وكان اخبارياً ممتعاً واقتنى من الدواوين والدفاتر كثيراً وكان صاحب ثروة ويسار وهو بنى المسجد المنسوب اليه على مقربة من باب القنطرة من داخل بلنسية ووقف عليه داراً لسكنى من يؤم به وتوفى سنة ٥٧٣ أو ٥٧٤

عود إلى جغرافية بلنسية وملحقاتها

ان مملكة بلنسية القديمة مقسومة الآن إلى ثلاث مقاطعات الأولى قشتليون Castellon ومساحتها ٦٤٦٥ كيلو متراً مربعاً وعدد سكانها ٣٢٢٢١٣ والثانية

بلنسية ومساحتها ١٠٧٥٨ كيلو متراً مربعاً وعدد سكانها مع ملحقاتها ٨٨٤٢٩٨ والثالثة مقاطعة القنت ومساحتها ٥٧٩٩ كيلو متر أمربعاً وعــــدد سكانها ٤٩٧٦١٦ وهذه البلاد هى عبارة عن شاحل البحر وما يليه من الداخل تنحدر اليها مياه عدة أودية أهمها وادى الأبيض فتجرف من الأتربة ما تجرفه حتى يقال ان ساحل البحر ارتفع نحواً من مائة متر عما كان من قبل ولذلك هى موصوفة بالخصب وضفاف بحيرة[1] بلنسية تعطى عدة مواسم فى السنة . وظاهر على أهل هذه الشواطئ سحناء العرب وهم أهل شغل ودأب لاسيما فى الفلاحة والزراعة وعندهم حسن خلق لـكن أمزجتهم عصبية . ويوجد عند الأسبانيين مثل سائر يشير إلى طبائعهم ولـكن فى الحقيقة غير مطابق للواقع فهم يقولون عنهم ان الحيوان عندهم نبات والنبات ماء والذكر أنثى والأنثى لاشىء

وكانت بلنسية حافظة مسحتها العربية إلى العصر الأخير الذى تبدلت فيه هيئتها وغلب فيها طرز البناء الجديد فلم يبق منها على الهيئة القديمة سوى آثار معدودة فقد هدموا السور سنة ١٨٧١ ولم يبق غير برجين مشرفين على الحارة القديمة وقد جعلوا مكان السور حدائق فاصلة بين البلد القديم والحارات الجديدة . ولبلنسية مرافئ احدها يقال له غراو Grav والثانى كابانال Cabanal وأما الرصافة المعروفة من زمان العرب فهى إلى الجنوب الشرقى وأمام محطة الشمال يوجد حديقة كستلار Castelar وأشهر شارع فى بلنسية اليوم شارع سان فيسانت Sanvicente ثم شارع سان فرنندو Sanfernando وفيها ساحة يقال لها ساحة السيد Plazadel Cid وساحة يقال لها ساحة الملـكة فى وسط الحارة القديمة ومن أشهر كنائسها كنيسة سانتا كتلينا Santa Catalina ولها برج مثمن ثم كنيسة سان أندريا وهى جامع قديم تجدد بناؤه على الطراز الحاضر سنة ١٦١٠ ومن أبنية بلنسية المعروفة البناء الذى يقال له المدرسة البطرركية Colegio del Patriaca ثم المدرسة الجامعة تجددت فى القرن التاسع عشر فيها ألف طالب فى الطاق الاول منها متحف تاريخ طبيعى وخزانة كتبها تشتمل على ستين ألف مجلد وفى هذه الخزانة مئات من الـكتب المخطوطة

---

(١) يقول لها الاسبان البفيرة Albufera وذلك أنهم كثيراً مايجعلون الحاء فاء

وأما الكنيسة الكبرى فانها قائمة فى محل هيكل قديم تحوّل بعد النصرانية إلى كنيسة ثم بعد دخول الاسلام إلى جامع ثم لما استرجع الاسبان بلنسية أعادوا الجامع كنيسة وكان ذلك سنة ١٢٦٢ ثم أخذوا يحولون هذه الكنيسة تدريجاً عن هيئتها الأصلية . وفى هذه الكنيسة جرس عظيم يقال انه يدق لتعريف ساعات السقيا للبساتين ومن أعلى برج الجرس يشرف الانسان على جميع بساتين بلنسية ويرى جبال بنى قاسم وهضاب مربيطر وأعالى القنت ومن جهة الشمال تلوح له جبال اشكرب وجبال ركّانة وعلو قبة الجرس ٤٥ مترا . ومن مشهورات الكنائس كنيسة يقال لها سيدة المساكين

ومن الأماكن المعروفة فى بلنسية ديوان المياه الباقى من أيام العرب ينعقد كل يوم خميس عند الظهر أمام باب الرسل من الكنيسة الكبرى وأعضاء هذا الديوان كلهم من الفلاحين وهم ينتخبون رئيسهم والمباشر يستدعى المتخاصمين والشهود والمحاكمات علنية وشفهية ومن لم يخضع للحكم يبقى بستانه دون شرب . ويوجد فى بلنسية متحف للصنائع والفنون فى محل كان فى القديم ديراً . والحديقة العمومية التى تمتلئ بعد الظهر من أهل بلنسية واقعة على نهر « تريه » وهو النهر الأبيض وفى بلنسية ساحة يقال لها ساحة تطوان تشرف عليها قلعة بناها الأمبراطور شارلكان لحماية المدينة من غارات خير الدين بربروس . وفى بلنسية ساحة أخرى يقال لها ساحة « مركادو » هى أوسع ساحات البلدة وكانت الاحتفالات تنعقد فيها ويعلق الجناة على المشانق وفيها أُحرق القاضى ابن جحاف وإلى الشمال الشرقى من هذه الساحة يجد الانسان حارة بلنسية القديمة

وفى بلنسية كنيسة اسمها سان نيقولا كانت أيضاً جامعاً . وأما حديقة النبات ففيها ستة آلاف نوع من النباتات . وأما مرفأ بلنسية الأكبر وهو غراو فيختلف اليه فى السنة ثلاثة آلاف باخرة محمولها مليونا طن . وأما غوطة بلنسية التى تشرب من النهر الأبيض بسبعة جداول فان مساحتها نحو من عشرة آلاف هكتار . فلها من جهة الشمال القناة التى يقال لها ساقية مونكادة Acequia de Moncada وأقنية طورموس Tormos ومستالّه Mastalla وركسانه Rascana ومن جهة الجنوب

أقنية كوارت Cuarte ومسلاته Mislata وفباره Favara وروبلّه Rovella فساقية الكوارت تنصب إلى البحيرة وأما الأقنية الأخرى فتعود إلى النهر وكل من هـذه الأقنية لها شعب لا ينتهى عددها وهى متشابكة لا يعلم مبتداها ومنتهاها الاّ أصحاب البساتين وعلى كل حال لايبقى من الأرض الداخلة فى هـذه الغوطة شبر واحد دون شرب ومن العادة أنهم يقوّمون كل هكتار من أرض السقى بخمسة هكتارات من أرض العِذى وذلك أن الأرض بلاماء لا تعطى هناك شيئا يذكر وقلّما تباع أرض بلا ماء . وكل هذا جرى ترتيبه المتناهى فى الدقة من أيام العرب ولما كان الحر يشتد إلى النهاية فى بلنسية فان مياه النهر الأبيض لا يبقى منها شىء تقريباً فى فصل الصيف جارياً إلى البحر بل تشربها كلها البساتين وان الانسان ليحار عند ما يدخل تلك الجنان ويرى ما فيها من الجداول راكباً بعضها فوق بعض منها ما هو معلّق فى الفضاء ومنها ما هو أنفاق تحت الارض. ولكل من الأقنية الكبرى الثمان يوم تنفتح فيه لسقيا البساتين المتعلقة بها فتجرى المياه منها إلى القنىّ الصغار التى لا تحصى ولا تعد وبساتينها تسقى بالساعات وما أسرع صاحب البستان إلى فتح مفجر قناته عند ما يصل الدور اليه فقاعدة السقيا هناك هى العدّان . ولهذه الأقنية هيئات خاصة لادارة أمورها كل قناة لها هيئة ينتخبها أصحاب البساتين ثم هـذه الهيئات تجتمع اجتماعا عاماً كل سنتين مرة ولها لجنة اجرائية . ومن هذه النقابات يتألّف ديوان المياه الذى مر الكلام عليه والذى هو المرجع فى المنازعات الواقعة على المياه وعند ما يحتاجون إلي اصلاح الأقنية يفرضون ضريبة على أصحاب البساتين كل واحد بحسب مقدار أرضه . وأما الزراعات التى تشتمل عليها هـذه الغوطة فهى متنوعة منها القنّب والحنطة والذرة والبقول والبطيخ الأصفر أما الاشجار فأهمها البرتقال والرمان والكمثرى والتين والمشمش وهم يزرعون القنب فى مارس ويحصدونه فى وسط يوليو ويزرعون اللوبياء فى يوليو ويحصدونها فى آخر اكتوبر ويزرعون الحنطة فى نوفمبر ويحصدونها فى وسط يونيو ويزرعون الذرة فى يونيو ويحصدونها فى آخر اكتوبر فتتعدد المواسم فى السنة الواحدة . وأوفى الزراعات غلّة فيما يظهر هى زراعة القنب فى السنين التى تشح فيها

المياه يهملون سائر الزراعات ويتركونها تشرق فتكون فداء للقنب وفى السنين التى يكون الجفاف فيها شديداً يحق لنقباء المياه أن يغيروا القواعد المرعية بحسب المصلحة عائداً ذلك إلى رأيهم فيدخرون المياه لأجل زراعات دون أخرى ويداولون فى العدّان ويحق لهم بحسب الامتيازات القديمة المعطاة لهم من الملك جاك فاتح بلنسية أن يتقاضوا القرى العالية التى تنحدر منها المياه أن يسدّوا مجارى المياه التى يسقون منها مدة أربعة أيام وأربع ليال متواليات فيتجمع حينئذ من المياه ما ينقذون به الموسم . وإذا امتنع أهالى القرى المذكورة عن إجابة هذا الطلب فان نقباء المياه يراجعون الوالى، وعلى هذا أن ينفذ طلبهم ذلك هذا النظام يرجع الى سنة ١٢٣٩ حينما فتح جاك الأول ملك أراغون مملكة بلنسية فأمر أن تكون هذه المياه تابعة للبساتين دون أدنى بدل ولا ضريبة نعم انه خصص تاج الملك بقناة مونكادة وبعد ذلك بثلاثين سنة احتاج أصحاب البساتين إلى قناة مونكادة نفسها فصاروا يستفيدون من مياهها ببدل معلوم فى السنة

والناس يتناقشون فى قضية هذه التراتيب العجيبة لسقيا غوطة بلنسية هل العرب هم الذين أوجدوها أم هى كانت مرتبة من قبل فأتقنوها وأكملوها ولما كان كثير من الأفرنج ينقصُّون بمكان العرب فى العمران ولا يريدون أن يعترفوا بفضائلهم فان جوسّه Jusset صاحب كتاب اسبانية والبرتغال المصوّر يزعم أن العرب أخذوا هذه التراتيب عن الرومانيين سواء كان ذلك فى اسبانية أوفى شمالى افريقية. والحقيقة خلاف ذلك فان العرب أينما وجدوا أتقنوا فن توزيع المياه على الأراضى ولم يقلدوا فيه غيرهم وان كونهم غادروا بلنسية وهذه التراتيب فيها على أجمل وجه هو ثابت فبقى هناك قضية هل أخذوها عمن سلف أم لا ؟ فهذا هو مجرد افتراضات وتخرصات واليقين لا ينفع فى جانبه التخرص والذين يحاولون غمط فضل العرب هم مصداق قوله تعالى (ان نظن إلاّ ظنّاً وما نحن بمستيقنين)

ثم ان أعالى بلنسية التى لا تصل اليها المياه مكسوة بالزيتون والخرُّوب والكرم وبالاجمال فيندر فى الدنيا أرض رمت بأفلاذها وجادت بخيراتها مثل أرض بلنسية ومن مر بين تلك البساتين وشاهد تلك الاغصان المتهدلة الواصلة إلى الارض من ثقل

ما عليها من عناقيد الثمار التى تكاد تغطى الورق ورأى قُطُر البهائم الموقرة من جميع أصناف الالبان والفواكه والحبوب منحدرة إلى المدينة رأى عجباً عجاباً

أما البحيرة فهى بقية من البحر المتوسط انفصلت عنه بلسان من الارض وتحولت مياهها الى العذوبة بطول الأيام وطولها عشرون كيلومتراً ومنها الى البحر قناة وفيها أنواع الأسماك ويحوم فوقها من الطيور المائية شىء كثير ويمكن صيده عن كثب وجيرة هذه البحيرة يزرعون الأرز على ضفافها . والى الغرب من بلنسية قرية « مانيسيس »[1] Manises ثم قرية « لرية » على سبعة كيلو مترات من بلنسية وفى مانيسيس عشرون معملاً للزّليج يشتغل بها ١٥٠٠ فاعل والتراب اللازم لهذه الصناعة يؤخذ من الجوار والى الشمال من بلنسية قرية « مليانة » Meliana وفيها معمل للفسيفساء التى يقال لها فسيفساء نولاً Nolla ثم قرية « بورجازوت » Burjasot على أربعة كيلو مترات إلى الشمال الغربى من بلنسية وعلى طريقها يجد المسافر معملاً يصنعون به القاشانى المغربى . وهناك يرى الانسان مخازن الحنطة التى كانت عند العرب يقال لها المطامير واحدها مطمورة ومن قرى تلك الناحية « شيبه » Chiva وهى قرية سكانها خمسة آلاف نسمة وفيها حصن داثر وقرية « البنيول » Bunol وسكانها نحو من خمسة آلاف نسمة أيضاً وفيها حصن من أيام العرب وعلى ٧٦ كيلو متراً من بلنسية مدينة « ركانة » Requena وسكانها ستة عشر الفاً . وجميع هذه القرى كانت فى أيام العرب معروفة

ولنذكر الآن ماوجدناه فى الكتب العربية عن ملحقات بلنسية ولاسيما القرى والقصبات التى كانت معمورة فى زمان العرب وقد نبغ منها رجال من أهل العلم

---

(١) الذى يظهر لنا أن العرب كانوا يقولون لهذه البلدة منيش على عادتهم فى قلب السين شيناً أو منيشة والى هذه البلدة ينسب الشاعر الأديب أبو القاسم المنيشى ترجمه صاحب بغية الملتمس وقال انه بليغ ذكره الفتح فى كتاب المطمح وله من غزل

إن كان قدّك غصناً فالثدى به ... هى الكمائم قد زرت على الزهر

ياقاتل الله لحظى كم شقيت به ... من حيث كان نعيم الناس بالنظر

وأقرب هذه القرى الى بلنسية هى قصبة « لرية » Liria والذى يظهر أن هذه القرى قد انحطّت عما كانت عليه لعهد الاسلام

لرية LIRIA

ينسب اليها من أهل العلم محمد بن يحي بن محمد بن يحي بن أبي اسحق الأنصارى أخذ القراءات عن أبيه وغيره وأجاز له أبو طاهر السلفى فى الاسكندرية ولما عاد من الشرق تصدّر للاقراء ببلده لرية قال ابن الأبار فى التكملة : وهو من بيت نباهة وديانة وعلم وزهادة كان هو وأبوه وجده من جلّة المقرئين . وكذلك كان ابنه أبو زكريا يحي ابن محمد توفى سنة ٥٩٧ أو نحوها

وأبو محمد عبد الله بن يحي بن محمد بن أبي اسحق الانصارى روى عن أخيه أبي عبد الله المقرىء وأبي بكر بن العربى وأبي الوليد بن الدبّاغ سمع منه أبو عمر بن عيّاد مسلسلات ابن العربى وقال : كان له اعتناء بالحديث توفى مبطونا سنة ٥٥٠ ومولده سنة ٤٧٦

وأبو زكريا يحي بن عبد الله بن يحي بن محمد بن أبي اسحق الأنصارى روى عن أبيه وعمه محمد بن يحي وسمع من ابن هذيل وسمع صحيح البخارى من ابن الدبّاغ وأخذ النحو عن أبي بكر عتيق بن الخصم وأقرأ العربية بلرية وخطب بجامعها. قال ابن الأبّار نقلا عن أبي عبد الله بن عيّاد انه توفى فى ذى الحجة سنة ٥٦٣ وكانت ولادته سنة ٥٠٧

وأبو بكر يحي بن محمد بن يحي بن أبي اسحق الأنصارى أخذ عن أبيه القراءات وأخذ عن أبي الحسن بن هذيل وأجاز له أبو عبد الله الدانى وأجاز له السلفى وخلف أباه فى الاقراء وأخذ عنه الكثيرون ومنهم أبو عبد الله بن غَبَرَة أخذ عنه سنة ٥٨٧

وأبو زكريا يحي بن محمد بن يحي بن محمد بن يحي بن اسحق الأنصارى أخذ عن أبي عبد الله بن نوح وكان من الفقهاء مع الصلاح الكامل وأخذ عنه كما أخذ عن

أبيه وجده وجد أبيه وأقاربه وتوفى سنة ٦٣٣ . فهؤلاء كلهم فروع شجرة واحدة اشتهرت بالعلم والفضل

وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن أبى زيد يعرف بابن عيّاد سمع من أبيه أبى عمر وأبى الحسن بن هذيل وأبى بكر بن نمارةوأبى عبد الله بن سعادة وأبى الحسن بن النعمة وغيرهموأجاز له ولأبيه أبو مروان بن قزمان وأبو القاسم بن بشكوال وأبو بكر بن خير وغيرهم وكتب اليهما أبو طاهر السلفى من الاسكندرية وكان أبو عبد اللهمحمد من أهل العناية بالرواية والتقييد للآثار والأخبار والحفظ للتاريخ قال ابن الأبار : وله فى مشيخة أبيه مجموع مفيد على حروف المعجم كتبت منه ومن سائر ما وقع الىّ بخطه فى هذا الكتاب ما نسبته اليه ولم يخلُ من أغلاط نبهّت عليها وكان يضرب فى الآداب والعربية بسهم وربما قرض أبياتا من الشعر وحدّث عنه ابن سالم قال لى : توفى ببلده لرية سنة ٦٠٣ ومولده وقت الزوال من يوم الخميس السابع والعشرين من شعبان سنة ٥٤٤ قرأت ذلك بخط أبيه أبى عمر

وأما أبو عمر بن عيّاد والد المترجم فهو يوسف بن عبد الله بن أبى زيد من لرية دخل بلنسية سنة ٥٢٨ ولقى بها ابن هذيل وابن النعمة وابن الدباغ وطارق بن يعيش وخلقا وكان معنيا بصناعة الحديث جمّاعة للدفاتر معدوداً فى الاثبات المكثرين سمع العالى والنازل ولقى الكبير والصغير يحفظ أخبار المشايخ ويدون قصصهم ووفياتهم أنفق عمره فى ذلك وكانقد شرع فى تذييل كتاب ابن بشكوال وله كتاب «الكفاية فى مراتب الرواية» و «المرتضى فى شرح المنتقى» و «المنهج الرائق فى الوثائق» و بهجة الحقائق فى الزهد والرقائق» و «طبقات الفقهاء من عصر ابن عبد البر» حدّث عنه ابنه أبو عبد الله محمد وأبو محمد بن غلبون ووصفه بعضهم بالمشاركة فى الآداب والفهم بالقراءات وأنه من أهل التواضع ، وقال ابن الأبار : توفى شهيداً ببلده لرية عندما كبسه العدو فقاتل حتى أثخن جراحاً ثم أجهزوا عليه وذلك يوم العيد سنة ٥٧٥ وقد كمّل سبعين سنة

وأبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن يوسف بن فَرين مَن أهل لرية وصاحب الأحكام بها سمع من أبى الحسن بن هذيل وابن النعمة وابن سعادة وغيرهم وأجازله أبو طاهر السلفى سنة ٥٧٥ وأبو محمد المبارك بن الطبّاخ قال ابن الأبار : وكان شيخاً فاضلاً توفى سنة ٦١٠

وأبو عبد الله محمد بن خلف بن يونس سمع قديماً بشاطبة من أبى عمران بن أبى تليد وأخذ علم الشروط عن أبى الأصبغ المنزلى والأدب عن أبى الحسن بن زاهر وولى الصلاة والخطبة بجامع لرية وكان معدّلاً خياراً خرج من وطنه فى الفتنة فتوفى بشاطبة فى رجب سنة ٥٥٧ نقل ذلك ابن الابار عن ابن عياد

وأبو بكر محمد بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن عثمان الانصارى أصله من لرية وسكن المريّة وكان يعرف بالغفايرى وبابن العسال أخذ عن أبى القاسم بن ورد وعن أبى محمد الرشاطى ولما تغلّب العدو على المريّة المرة الاولى وهى الواقعة التى استشهد فيها الرشاطى خرج المترجم من المرية وسكن فى لرية بلده الأصلى فكتب عنه ابن عياد من شعر ابن ورد

وأبو عبد الله محمد بن مروان بن يونس يعرف بابن الاديب من لرية سكن بلنسية سمع من أبى بكر بن العربى وطارق بن يعيش وغيرهما وكان حسن الوراقة معروفاً بذلك ولاّه القاضى مروان بن عبد العزيز خطة السوق أخذ عنه ابن عياد وقد تقدمت ترجمته فى أدباء بلنسية

رُكَانَة Requena

قد تقدم ذكر هذه القصبة ولاتزال عامرة الى الآن وقد قال عنها ياقوت فى معجم البلدان انها مدينة لطيفة من عمل بلنسبة ونقل عن ابن سقّاء أنه أنشده أبو محمد عبدالله بن محمد بن معدان الرُكانى اليحصبى من شعره وأنه كان من أهل الأدب وحج مرات هو وأخوه على الركانى ولقيه السلفى فى الاسكندرية اهـ .

وقد ترجم ابن الابار فى التكملة فى الجزء الثانى رجلاً اسمه أبو بكر عبدالرحمن ابن سعدون المكتّب قال انه يُعرف بالركانى لهرحلة سمع فيها من أبى محمد بن الوليد وأبى اسحق الشيرازى وكان رجلاً صالحا حدّث عنه القاضى أبو عامر بن اسماعيل الطليطلي.

وقد ضبط ياقوت الحموى رُكانة بضم الراء وبدون تشديد الكاف ولكن ضبطه لهذا الاسم لم يكن بالحروف حتى لايقع لبس وإنما كان بالحركات . أما ابن الابار فلم نطلع له الى الآن على ضبط بالحروف لهذا الاسم . وأما فى طبعة مجريط من التكملة فهو يضبطها بتشديد الكاف وفتح الراء ولانعلم هل كانوا يلفظونها بالتشديد أم لا وأما الاسبانيون فيكتبونها Requena أى دون تشديد وبضم أولها

قُلَيْرة CULLERA

قصبة سكانها فى هذا الوقت ١٢٠٠٠ نسمة على ضفة نهر شقر Jucar وهى لطيفة الموقع فيها آثار حصن قديم ومنها الى قصبة طبرنة عشرة كيلو مترات . ذكر ابن الأبّار فى التكملة محمد بن عبيد الله بن يبش المخزومى من بلنسية قال ان أصله من قليره بناحيتها الغربية يكنى أبا بكر عنى بالفقه وكان من أهل الفتيا والشورى ورحل حاجاً وسمع بالاسكندرية من أبى الطاهر السلفى سنة ٥٣٩ . وقال الشريف الادريسى فى نزهة المشتاق : ومن بلنسية إلى حصن قُليرة ٢٥ ميلاً وحصن قُليرة قد أحدق البحر به وهو حصن منيع على موقع نهر شقر . وفى دليل بديكر يذكر أن قُليرة على الضفة اليسرى من نهر شقر وان بها آثار حصن قديم

أُنْدَة

وهى مدينة من أعمال بلنسية قال ياقوت الحموى فى المعجم أُندة بالضم ثم السكون

مدينة من أعمال بلنسية بالأندلس كثيرة المياه والرساتيق والشجر وعلى الخصوص التين فانه يكثر بها وقدنسب اليها كثير من أهل العلم منهم أبوعمر يوسف بن خيرون القضاعى الأندى سمع من أبى عمر يوسف بن عبد البر وحدّث عنه الموطّأ ودخل بغداد سنة ٥٠٤ وسمع من أبى القاسم بن بيان وأبى الغنائم بن النرسى ومن أبى محمد القاسم بن على الحريرى مقاماته وعاد إلى المغرب فهو أول من دخلها بالمقامات قاله ابن الدُّبَيْثِى . وينسب اليها أيضاً أبو الحجاج يوسف بن على بن محمد بن عبد الله بن على ابن محمد القضاعى الأندى مات فى سنة ٥٤٢ قاله أبو الحسن بن المفضّل المقدسى. وأبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن إبراهيم الأندى المعروف بابن الدبّاغ حدّث عن أبى عمران ابن أبى تُليد وغيره وله كتاب لطيف فى مشتبه الأسماء ومشتبه النسبة سمع منه الحافظ أبو عبد الله محمد الأُشبيرى . وورد فى نفح الطيب : ومن عُمل بلنسية مدينة أُندة التى فى جبلها معدن الحديد[1]

قلنا وممن انتسب إلى أُندة من أهل العلم أبو عبد الله محمد بن عياض سمع ببلده

---

(١) نظن أن الاسبانيين يقولون لأنده غاندة Gandia فهى بلدة فى وسط غوطة بلنسية على ٣٦ كيلو متراً من بلنسية وسكانها اليوم عشرة آلاف ومنها إلى البحر أربعة كيلو مترات وهى على ضفة نهير يقال له سربيس Serpis وفيها باقية أسماء عربية منها شارع يقال له « ابادیا » ولا نعلم أصل هذه اللفظه لأنها محرّفة بلسان الأسبانيول وفيها شارع آخر صغير ضيّق يقال له « شانسور » Chanzor ونظن هـذا الاسم محرفاً عن الخنصر (ان نظن إلاّ ظناً وما نحن مستيقنين) وفيها قصر لآل « بورجيه » صار اليوم مدرسة لليسوعيين ومن هذه البلدة إلى بلدة اسمها الكُوى Alcoy خمسون كيلومتراً والخط الحديدى يصعد مشرفاً على وادٍ جميل هو وادى سربيس ويكون على يمينه الجبل المعروف بشارة بنى كادل Sierradel Beni-Cadel ولا نعلم إلى الآن أصل هذا الاسم أى بنى كادل إذ لاشك فى كونه محرفاً عن العربى بلسان الاسبانيول .

من أبي القاسم عبد العزيز بن جعفر البغدادى وكانت له رحلة حج فيها وكان فقيهاً
كتب عنه أبو عمرو المقرى ولم يذكر تاريخ وفاته

وأبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبي البقاء بن فاخر بن الحسين الأموى يقال
انهم من ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه روى عن أبي بكر بن العربى وأبي الحسن
شريح وأبي الوليد بن بقوة وأبي جعفر محمد بن باق لقيه بتلمسان ولقى بها أبا القاسم
عبد الرحيم بن جعفر المزيانى وولى الأحكام هناك ثم باشبيلية ثم ولى الصلاة .والخطبة
والأحكام فى لرية من أعمال بلنسية من قبل القاضى أبي الحسن بن عبد العزيز
سنة ٥٣٠ وولى أيضاً قضاء شبرانة من الثغر الشرق وكان فقيهاً حافظاً واقفاً على
مسائل المدوّنة محسناً لعقد الشروط ضابطاً لما رواه مُقلاً صابراً خيّراً فاضلاً حدث
عنه ابن عيّاد وقال توفى بأندة فى رمضان سنة ٥٣٥ وهو ابن سبعين أو نحوها عن
ابن الأبّار

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن يبش العبدرى من أهل أندة سكن
بلنسية له رواية عن أبي عبد الله الخولانى وعن عبد القادر بن الحنّاط وكان فقيهاً عارفاً
بالشروط روى عنه ابنه أبو بكر يبش بن محمد قال ابن الأبّار : وقرأت بخطه أن أباه
توفى ببلنسية عصر الثلثاء الرابع من صفر سنة ٥٤١

وأبو الحجاج يوسف بن محمد بن على بن خليفة القضاعى الأندى نزل بلنسية
وسمع أبا محمد بن عبيد الله وأبا الحسن بن النقرات وجماعة وأخذ العربية عن أبي
ذر الخشنى وأبي بكر بن زيدان وأقرأ العربية حياته كلها وكان منقبضاً مقبلاً على
شأنه قال ابن الأبّار : أخذت عنه جملة من كتب النحو واللغة وأجاز لى توفى فى حصار
بلنسية فى ذى القعدة سنة ٥٦٣ عن ثمان وسبعين سنة

وأبو محمد عبد الله بن محمد العبدرى له رحلة إلى المشرق دخل فيها بغداد وسمع
بها من الشيوخ كتب عنه أبو عمرو المقرى ترجمه ابن بشكوال فى الصلة

وأبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن عمر بن فيرّه يعرف بابن الدبّاغ
قال ابن بشكوال : صاحبنا من أهل أندة نزل مرسية روى عن أبي على الصدفى ولازمه

طويلا وأخذ عنه جماعة شيوخنا وصحبنا عند بعضهم وكان من أنبل أصحابنا وأعرفهم بطريقة الحديث وأسماء الرجال وأزمانهم وثقاتهم وضعفائهم وأعمارهم وآثارهم ومن أهل العناية الكاملة بتقييد العلم ولقاء الشيوخ وكتب عنهم وشوور ببلده ثم خطب به وقتاً وتوفى رحمه الله سنة ٥٤٦ وقال لى : مولدى سنة ٤٨١

وأبو سليمان داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن خلف ابن عبد الله بن عبد الرؤف بن حوط الله الأنصارى الحارثى من أندة سكن مالقة وولّى قضاء الجزيرة الخضراء ثم قضاء بلنسية وكان محمود السيرة وتوفى قاضياً بمالقة سنة ٦٢١

وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يونس القضاعى من أهل أندة وهى دار القضاعيين بالأندلس ومن قرية بجهتها منها أوليّة أبى الوليد بن الدبّاغ يعرف بابن خيرون سكن مربيطر وولّى قضاء مربيطر من قبل أبى الحسن بن واجب وكان سماعه من أبى عمر بن عبد البر وأبى الوليد الباجى وأبى المطّرف بن جحّاف وأبى العباس العذرى وأبى الوليد الوقشى وأبى الفتح السمرقندى وكان راوية جليلاً فقيهاً حافظاً أديباً له حظ من الشعر أخذ عنه جماعة منهم صهره أبو على بن بسيل وأبو محمد ابن علقمة وأبو عبد الله بن يعيش وأبو العرب التجيبى وتوفى بمربيطر وهو قاضٍ بها سنة ٥١٠

وأبو محمد عبد الله بن ادريس بن محمد بن على بن الحسن القضاعى من أهل أندة سكن بلنسية كان يعرف بابن شق الليل سمع بقرطبة من ابن بشكوال وغيره كان من أهل الوجاهة بصيراً بالحساب ثقة صدوقاً توفى سنة ٦٠٧

وأبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن خلف ابن حوط الله الأنصارى الحارثى ولد بأندة وقرأ فى بلنسية استأدبه المنصور بن أبى عامر لبنيه وتولّى الخطط النبيهة مثل قضاء قرطبة واشبيلية ومرسية وسبتة وسلا وتوفى سنة ٦١٢

وأبو محمد عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبى بكر القضاعى والد الحافظ ابن الأبار البلنسى القضاعى الشهير صاحب كتاب « التكملة لكتاب الصلة » والتصانيف الكثيرة قال عن والده انه سكن بلنسية وأخذ القراءات عن أبى جعفر الحصّار وسمع من أبى عبد الله بن نوح وأبى بكر بن قنترال وأبى عبدالله ابن نسَع وأبى على بن زلال وصحب أبا محمد بن سالم الزاهد المعروف بالسَّبَطْيَرْ قال ابن الأبار : كان رحمه الله ولا أزكّيه مقبلا على ما يعنيه شديد الانقباض بعيداً عن التّصنّع حريصاً على التخاّص مقدماً فى حمَلَة القرآن كثير التلاوة له والتهجّد به صاحب ورد لا يكاد يهمله ذاكراً للقراءات مشاركاً فى حفظ المسائل آخذاً فى ما يستحسن من الأدب معدّلاً عند الحكام وكان القاضى أبو الحسن بن واجب يستخلفه على الصلاة بمسجد السيدة من داخل بلنسية تلوت عليه القرآن بقراءة نافع مراراً وسمعت منه أخباراً وأشعاراً واستظهرت عليه كثيراً أيام أخذى عن الشيوخ يمتحن بذلك حفظى حدثنى غير مرة أنه ولد بأندة سنة ٥٧١ ثم قال ابن الأبار ان والده توفى ببلنسية وهو غائب بثغر بطليوس وكانت وفاته عند الظهر من يوم الثلاثاء الخامس لشهر ربيع الأول سنة ٦١٩ ودفن لصلاة العصر من يوم الأربعاء بعده بمقبرة باب بيطالة وهو ابن ثمان وأربعين سنة وكانت جنازته مشهودة والثناء عليه جميلا نفعه الله بذلك .

وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد العزيز بن محمد بن نميل من أهل أندة ، سكن بلنسية كان مقرئاً وكان يحترف مع ذلك بالوراقة توفى بعد الثمانين وخمسمائة .

وأبو الحجاج يوسف بن على بن محمد القضاعى من أهل أندة نزل المرية يعرف بالقفّال وبالحدّاد حج وذهب الى بغداد بعد الخمسمائة ، وسمع من أبى طالب الحسين الزينبى أخى طراد ومن غيره وقرأ على نفس الحريرى مقاماته وقفل الى الأندلس سنة ٥١٢ ونزل المرية ثم رحل ثم رجع الى الأندلس سنة ٥١٦ وحدّث عنه جماعة وكان صدوقاً صحيح السماع استشهد فى تغلّب الروم على المرية أول مرة وكان ذلك يوم الجمعة عشرين من جمادى الأولى سنة ٥٤٢ واستشهد يومئذ أبو محمد الرشاطى

وأبو الاصبغ عبد العزيز بن أحمد بن غالب من أهل أندة سكن بلنسية كان مقدماً

فى علم القراءات صواماً قواماً صرورةً ما تزوج قط توفى فى بلنسية سنة ٥٧٣ .

وأبو محمد عبد الحق بن محمد بن عبد الرحمن بن على الأندى نزيل بلنسية كان من أهل الفضل وكان محترفا بالتجارة عدلاً وعُمّر حتى ألحق الصغار بالكبار لأنه ولد سنة ٥٣٧ وتوفى سنة ٦٢٢ .

وأبو عبد الله محمد بن باسُّه بن أحمد بن ارذمان الزهرى المقرئ من أهل أندة سكن بلنسية وكان مقرئاً فاضلاً توفى باشبيلية سنة ٥١٥ .

وعبد العزيز بن جعفر بن محمد بن اسحق بن محمد بن خُواست الفارسي البغدادى المعمَّر سكن باندة يكنى أبا القاسم روى بالمشرق عن أبى بكر محمد بن عبد الرزاق التمار وعن اسماعيل الصفَّار وأبى بكر النقَّاش وأبى عمر الزاهد غلام ثعلب وغيرهم روى عنه أبو الوليد بن الفرضى وذكر أنه لقيه بمدينة التراب (أى بلنسية) فى ربيع الأول سنة ٤٠٠ قال ابن بشكوال فى الصلة : وفى هذا التاريخ كان ابن الفرضى قاضياً ببلنسية. قال أبو عمرو المقرئ : وتوفى فى ربيع الأول سنة ٤١٣ وهو ابن اثنين وتسعين سنة دخل الأندلس تاجراً سنة ٣٥٠ وروى ابن بشكوال عن حَكَم بن محمد أن المترجم قال له انه ولد فى رجب سنة ٣٢٠.

وأبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن عيسى بن عبد الحميد بن روبيل الأنصارى أصله من اندة من أعمالها وأبوه انتقل منها الى بلنسية قال ابن الأبار : سمع معنا من شيوخنا ابى عبد الله بن نوح وأبى الخطَّاب بن واجب وأبى على بن زلال وأبى سليمان بن حوط الله وأبى الربيع بن سالم وأبى الحسن بن خيرة وأبى محمد عبد الحق الزهرى وانفرد بالرواية عن جماعة استجازلى بعضهم وكتب اليه والىّ جماعة من أهل المشرق وعنى بعقد الشروط ودراسة الفقه . وشارك فى العربية وولّى قضاء مربيطر فحمدت سيرته ثم ولى بعد ذلك قضاء دانية والخطبة بجامعها مناوباً غيره فيها وتوفى بها وهو يتقلد ذلك فى الثامن أو التاسع والعشرين من المحرم سنة ٦٣٦ ونُعى الينا ببلنسية فى آخر محاصرة الروم إياها لاستيلائهم عليها صلحاً فى يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر قال : ومولده سنة ٥٩١

وأبو محمد عبد الله بن يوسف بن على بن محمد القضاعى قال ابن الأبار : من أهل المرية وأصله من اندة وبها نزلت قضاعة سمع من أبيه أبى الحجاج الراوية ومن أبى جعفر بن غزلون ورحل الى المشرق فسمع بالأسكندرية سنة ٥١٣ من أبى عبد الله الرازى والسلفى وقد أخذ عنه أبو الحسن ابن المفضّل المقدسى

مِلْيَانة MELIANA

الى الشمال من بلنسية على سبعة كيلو مترات منها ولم نعثر حتى الآن على ذكرها فى كتب العـرب وكذلك قرية أخرى على أربعـة كيلو مترات الى الشمال الغربى من بلنسـيه اسمها « بورجاسوط » Burjasot وقرية اسمها « قرطوجة » Cartoja وبلدة على ٣٤ كيلو متراً من بلنسية سكانها خمسة آلاف فيها حصن قديم يقال لها « شيبه » Chiva ولـكن على بعد ٤٢ كيلو متراً من بلنسية قرية اسمها « البُنيول » على ضفة نهير يقال له أيضاً البُنيول وفيها حصن قديم فهذه القرية أى البنيول وارد لها ذكر فى كتب العرب ومنسوب اليها اناس من أهل العلم

ومن قرى بلنسية قرية أسيلة وسكانها اليوم خمسة آلاف وفيها نخل كثيروتـكتب بالاسبانيولى « سيلّة » Silla وقد بحثنا عن موقع هذه البلدة واسمها فأما موقعها فعلى الشمال من بحيرة بلنسية ومنها طريق حديدى الى قليرة وعلى مقربة منها قرية اسمها « سولاّنة » Sollana ثم قصبة يقال لها « سويقة » Suece سكانها اليوم ١٢ الف نسمة فأسـيلة هذه ربما ذكرها فى معجم البلدان لـكن بلا تأنيث وذلك أنه قال:

أصيل بياءسا كنة ولام بلد بالأندلس. قال سعد الخير ربما كان من أعمال طليطلة ينسب اليه أبو محمد عبد الله بن ابراهيم الأصيلى محدّث متقن فاضل معتبر تفقه بالأندلس فانتهت اليه الرئاسة وصنّف كتاب الآثار والدلائل فى الخلاف ثم مات بالأندلس فى نحو سنة ٣٩٠ اهـ . ولا نعلم هل « أصيل » التى ذكرها ياقوت فى المعجم هى أسيلة

المؤتثة التى قد ورد ذكرها فى التكملة لابن الأبار فى الجزء الاول أم غيرها فانه ترجم رجلا يقال له محمد بن جعفر بن احمد بن خلف بن حميد بن مأمون الأموى من أهل بلنسية قال ابن الابار وصاحب البيت ادرى : ان أصله من قرية بقرب بلنسية تعرف بأسيلة وقال فى ترجمته انه أخذ القراءات عن أبى الحسن بن هذيل وأنه رحل الى غرناطة والى اشبيلية وسمع من شيوخها وأنه قصد جيّان للقاء الاستاذ أبى بكر بن مسعود فاختلف اليه ثلاثين شهراً يأخذ عنه العربية وسمع هناك أبا الاصبغ الرعينى وأباالقاسم ابن الابرش ودخل المرية سنة ٥٣٩ فسمع فيها من أبى محمد بن عطية وأبى الحجاج القضاعى وأجازله ابو الحسن بن مغيث وأبو مروان الباجى وأبو بكر بن العربى وجماعة كثيرة من المشاهير وقفل الى بلنسية بعلم جم ورواية عالية وأقرأ العربية وتولى قضاء بلنسية سنة ٥٨١ وأقام فى القضاء حميد السيرة وكان عدلاً فى أحكامه جزلاً فى رأيه صليباً فى الحق إماماً يعتمد عليه فى العربية والقراءة مع الحظ الوافر من البلاغة، وأوطن مرسية بأخرة من عمره وناوب فى الصلاة بها والخطبة أبا القاسم بن حبيش وتوفى بها عشية السبت من جمادى الاولى سنة ٥٨٦ ودفن بظاهرها عند مسجد الجُرف خارج باب ابن أحمد الى جانب صاحبه أبى القاسم بن حبيش وكان مولده ببلنسية سنة ٥١٣

وأما البنيول فقد ورد ذكرها أيضاً فى تكملة ابن الابار فى الجزء الاول فانه ترجم محمد بن خلف بن عبيد الله المعافرى من أهل جزيرة ميورقة قال ان أصله من نواحى بلنسية يكنى أبا عبد الله ويعرف بالبنيولى ، وترجم رجلاً آخر من أهل ميورقة وهو أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الجليل العبدرى يعرف بالبُنيولى . قال ابن الابار : وبنيول من أعمال بلنسية وضبطها بضم أولها (كما هو بالاسبانيولى Bunol) .

وقد تقدم ذكر رصافة بلنسية ولم يذكرها ياقوت فى معجمه وانما ذكر رصافة قرطبة وذكر بعض العلماء المنسوبين الى هذه الرصافة مما سنذكره ان شاء الله عند الوصول الى رصافة قرطبة، بل روى شعراً لابى عبد الله الرفاء الرصافى الشاعر نقل انه من رصافة قرطبة

ولكن صاحب نفح الطيب ذكر أن فى بلنسية رصافة أيضاً، ونقل عن ابن سعيد أن برصافة بلنسية مناظر وبساتين وأنه لا يُعلم فى الاندلس مايسمّى بهذا الاسم غير رصافة بلنسية ورصافة قرطبة . ثم ان ابن الآبّار وهو من بلنسية ــ وصاحب البيت أدرى كما سبق القول ــ ترجم أبا عبد الله محمد بن غالب الرفّاء الرصافى ونسبه الى رصافة بلنسية وقال عنه انه كان شاعر وقته مع العفاف والانقباض وعلو الهمة وأنه كان يعيش من صناعة الرفو يعالجها بيده ولم يبتذل نفسه فى خدمة ولا تصدى لانتجاع بقافية حُملت عنه فى ذلك أخبار عجيبة ، وقد تقدم ذكره فى تراجم علماء بلنسية فلا حاجة الى إعادة ذلك

ومن أعمال بلنسية قرية المنصف التى منها الفقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفى وقبره كان بسبتة رحمه الله تعالى ومن نظمه :

قالت لى النفس أتاك الردى وأنت فى بحر الخطايا مقيم

فما ادّخرت الزاد قلت اقصرى هل يُحمل الزاد لدار الكريم

ذكر ذلك المقرى فى نفح الطيب . ثم اننا قرأنا فى التكملة لابن الابار ترجمة أبى محمد طارق بن موسى بن يعيش المخزومى المنصفى المتوفى بمكة سنة ٥٤٩ وقد نقلنا ترجمته بين تراجم علماء بلنسية وهو فى الحقيقة من المنصف قرية من قرى بلنسية

طبرنة TABERNAS

ومن أعمال بلنسية طَبَرْنة وهى على عشرين كيلو متراً من بلنسية وهى فى وسط جنان بلنسية الشهيرة. وفى هذه القرية كانت الوقعة المشهورة للنصارى على المسلمين وهى التى يقول فيها أبو اسحق بن يعلى الطرسونى :

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم حُلل الحرير عليكم ألوانا

ما كان أحسنكم وأقبحهم بها لو لم يكن بطبرنة ما كانا

وقد ذكر هذه القرية صاحب النفح واستشهد بهذين البيتين

جزيرة شُقر

ومن أعمال بلنسية جزيرة شقر[1] والاسبانيون يقولون لهذه القصبة جوكار Jucar وكان الرومانيون يقولون لها سوكرو Sucro وفيها آثار حصن قديم وموقعها من أبدع المواقع ولها نهر يجرى بجانبها وزراعاتها كثيرة وفيها البرتقال والنخيل ويزرعون فى جوانبها الارز وجزيرة شقر يدور ذكرها كثيراً فى كتب الأندلس وقد جاءت فى معجم البلدان قال ياقوت جزيرة شَقْر بفتح أوله وسكون ثانيه فى شرق

(١) قال الحميرى فى الروض المعطار : شُقر جزيرة بالاندلس قريبة من شاطبة وبينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلاً وهى حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار وبها أناس جلة وبها جامع ومساجد وفنادق وأسواق وقد أحاط بها الوادى والمدخل اليها فى الشتاء على المراكب وفى الصيف على مخاضة . وفى إحاطة الوادى بها يقول ابن خفاجة فى شعر يتشوق فيه الى معاهده ويندب ماضى زمانه:

بين شُقْر وملتقى نهريها ... حيث ألقت بنا الامانى عصاها
ويُغنِّى المُكَّاء فى شاطئيها ... يستخف النهى فحلَّت حباها
عيشة أقبلت يشهِّى جناها ... وارف ظلها لذيذ كراها
لعبت بالعقول إلا قليلا ... بين تأويبها وبين سراها
فانثنينا مع الغصون غصوناً ... مَرَحاً فى بطاحها ورباها
ثم ولَّت كأنها لم تكن تلـ ... ـبث الا عشية أو ضحاها
آه من غربة ترقرق بثاً ... آه من رحلة تطول نواها
آه من فرقة لغير تلاق ... آه من دار لا يجيب صداها
فتعالى ياعين نبكى عليها ... من حياة ان كان يغنى بكاها
وشباب قد فات الا تناسـ ... ـيه ونفس لم يبق إلا شجاها
مالعينى تبكى عليها وقلبى ... يتمنى سواده لو فداها

الاندلس وهى أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجراً وماء. وكان الاديب أبو عبد الله محمد بن عائشة الاندلسى كثيراً مايقوم بها وله فى ذكرها شعر منه

ألا خلّيانى والصبا والقوافيا … أرددها شجوى فأجهش باكيا

ومنها :

وهيهات حالت دون شَقْر وعهدها … ليال وأيام تخال لياليا

فقل فى كبير عاده عائد الصبا … فأصبح مهتاجاً وقد كان ساليا

فيارا كباً مستعمل الخطو قاصداً … ألاعج بشقر رائحاً ومغادياً

وقف حيث سال النهر ينساب أرقماً … وهب نسيم الأيك ينفث راقياً

وقل لاثيلاث هناك واجرع … سُقيت أثيلات وحُيّتَ واديا

وقيل لها جزيرة شقر لأنها بموقعها على نهر شَقر أشبه بجزيرة والأسبانيون يقولون لها « السيرة » Alcira وهى تحريف جزيرة وليس ذلك بغريب فعندنا جزر صغيرة مركّبة من الأنهر تقول العامة للواحدة منها « زيرة » بحذف الجيم وهكذا حصل فى الأندلس . وجزيرة شقر اليوم مدينة سكانها يزيدون على عشرين ألفاً وربما كانت فى زمان العرب أعمر منها اليوم

وأما من ينسَب من العلماء والأدباء إلى جزيرة شقر فعدد كبير منهم أبو عبد الله ابن مسلم بن فتحون المخزومى كان فقيهاً مشاوراً

ومنهم أبو القاسم محمد بن أحمد بن حاضر الجزيرى الخزرجى قدم مصر وسكن قوص وكان فصيحاً عالماً وكان من عدول بلنسية ومات بالقاهرة سنة ٦٣٩ ترجمه صاحب نفح الطيب

وفى جزيرة شقر يقول الكاتب أبو المطرف بن عميرة .

فقد حازنا نأى عن الاهل بعدما … نأينا عن الأوطان فهى بلاقع

نرى غربة حتى تنزّل غربة … لقد صنع البين الذى هو صانع

وكيف بشقر او بزرقة مائه … وفيه لشقر أو لزرق شوارع

ومنهم أبو الحجاج يوسف بن أحمد بن طحلوس صحب أبا الوليد بن رشد وأخذ عنه علمه وسمع من أبى عبد الله بن حميد وأبى القاسم بن وضّاح وكان من العلماء والأطباء وهو آخر الاطباء بشرق الأندلس مع الديانة ولين الجانب والتحقق بعلوم الأوائل ومعرفة النحو توفى سنة ٦٢٠ ذكره ابن الأبار

وأبو محمد بن أحمد بن الحاج الهوارى يعرف بابن حفّاظ روى عن أبى وليد الباجى وتفقّه به وكان من أصحاب أبى الحسن طاهر بن مفوّز وكان ورعاً فاضلاً ذكره ابن الأبار فى التكملة

وأبو محمد عبد الله بن عمر السُلَمى وهو والد القاضى أبى حفص بن عمر روى عن صهره أبى محمد اللخمى سبط أبى عمر بن عبد البر وسكن معه أغمات بالمغرب الأقصى حين ولّى قضاءها وبها ولد له ابنه أبو حفص، ولما ولّى القضاء قال له صهره أبو محمد اللخمى : إنك قد ابتليت بالقضاء وهو أمر عظيم فأوصيك بما يهونه عليك وينفعك الله به: لاتبيتنّ وفى قلبك غش أو عداوة لأحد من خلق الله . قال أبو حفص فكذلك كان رحمه الله

وأبو محمد عبد الله بن باديس بن عبد الله بن باديس اليحصبى من أهل جزيرة شقر سكن بلنسية قال ابن الأبار : سمع شيخنا عبد الله بن نوح وتفقّه به ثم رحل إلى اشبيلية وأخذ عن مشيختها وأجاز البحر إلى فاس فلقى هناك أبا الحجاج بن نوّى وطبقته من أهل علم الكلام وأصول الفقه فأخذ عنهم وأجاز له جماعة منهم وعاد إلى بلنسية فاجتُمع اليه بالمسجد الجامع منها ونوظر عليه فى المستصفى لابى حامد وغير ذلك وقد حضرت تدريسه وصحبته وقتاً وكان شكس الخلق مع الانقباض والتصاون وتنسّك بآخرة من عمره وأجهد نفسه قياماً وصياماً إلى أن توفى فى شعبان سنة ٦٢٢ وكانت جنازته مشهودة انتهى ما قاله ابن الأبار

وأبو مروان عبيد الله بن أحمد بن ميمون المخزومى ولّى قضاء بلده جزيرة شقر وكانت له رواية عن أبى عمر بن عبد البر سمع منه سنة ٤٤٥

وأبو مروان عبد الله بن ميمون الأنصارى يعرف بابن الأديب . كان من أهل المعرفة بالقراءات موصوفاً بالفطنة والحزامة ولّى قضاء بلده وتوفى سنة ٥٥٦

وابن سعدون أبو الحسن على بن حسين النجار الزاهد تقــدمت ترجمته فى تراجم علماء بلنسية

وأبو يوسف يعقوب بن محمد بن خلف بن يونس بن طلحة الشقرى سكن شاطبة وقرأ الموطأ على ابى بكر عتيق بن أسد وصحب أبا اسحق بن خفاجة وحمل عنه شعره وكان فقيها مشاوراً أديباً بارعاً روى عنه طلحة بن يعقوب وأبو القاسم بن بقىّ وأبو القاسم البراق وتوفى سنة ٥٨٤ عن ثمان وسبعين سنة

وأبو الحسن طاهر بن خلف بن خِيرة روى عن أبى الوليـد الباجى وقرأ على أبى على بن سُكَّرة الصدفى بدانية وسمع أبا داود المقرئ سنة ٤٩١

وأبو عبد الله محمد بن منخَّل بن ريان كان من أهل العلم بالقراءات والنحو متحققاً بالفرائض والحساب بصيراً بالمساحة توفى ببلده جزيرة شقر سنة ٥٥١

وأبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى بن خُشين لم يكن فى زمانه من يكتب المصاحف مثله ولا من يدانيه فى المعرفة بنقطها مع حسن الخط توفى فى حدود الثلاثين وستمائة

وأبو عبد الرحمن محمـد بن جعفر بن أحمد بن محمـد بن جعفر بن سفيان المخزومى رحل حاجاً فلقى فى طريقه أبا محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلى نزيل بجاية وسمع منه بعض تآليفه قال ابن الأبار : ولم يكن يبصر الحديث وكان له حظ منزور من منظوم ومنثور توفى سنة ٦٣٢

وأبو بكر محمد بن محمد بن وضَّاح اللخمى من أهل جزيرة شقر وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها رحل حاجاً فأدّى الفريضة سنة ٥٨٠ ولقى بالقاهرة أبا محمد قاسم بن فيرُّه الضرير الشاطبى فسمع منه قصيدته الطويلة فى الاقراء المعروفة « بحرز الأمانى ووجه التهانى » وتصدَّر ببلده للاقراء وكان رجلاً صالحا توفى سنة ٦٣٤

وأبو عبد الله محمد بن ادريس بن على بن ابراهيم بن القاسم من أهل جزيرة شقر يعرف بمرج الـكحل وكان شاعراً مفلقاً توفى ببلده سنة ٦٣٤

وأبو بكر أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومى زاهد ورع فاضل أديب من أهل بيت جلالة ورئاسة كان ملجأ للفقراء والمساكين. قال ابن عميرة فى بغية الملتمس : أخبرنى ابنه الفقيه انه وقع له تسمية الأملاك التى باعها أبوه فى الفقراء والمساكين فوجدت أربعة وعشرين ألف دينار سوى ما أغفل منها . وقيل انه رحل إلى قرطبة واستفتى جميع من بها هل يخرج من جميع ماله وينقطع إلى الله عزّ وجلّ أم يبقى فيه وكيلا للفقراء والمساكين . توفى فى حدود سنة ٥٨٠

وأبو جعفر أحمد بن محمد بن طلحة من بيت مشهور بجزيرة شقر كتب عن بنى عبد المؤمن ثم استكتبه ابن هود وربما استوزره وكان شاعراً من فحول الشعراء قتله أبو العباس السبتى وكان بلغه أنه هجاه

وأبو عبد الله محمد بن مسلم بن فتحون المخزومى كان فقيهاً مشاوراً ولابنه ابراهيم رواية ذكره ابن الأبار فى التكملة

وأبو عبد الله محمد بن ربيعة من أهل جزيرة شقر سكن بلنسية وكان مفتى أهل بلنسية فى زمانه مقدما فى الشورى حافظاً للفقه توفى يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ٤٨٧ ذكره ابن بشكوال فى الصلة

ومحمد بن وضاح أبو القاسم الحاج خطيب جزيرة شقر كان فاضلاً ورعاً مقرئاً حسن التلاوة أخذ القراءات السبع على ابن العرجا امام المقام بمكة المكرمة . قال ابن عميرة فى بغية الملتمس : أول ما لقيته بمرسية فى مجلس القاضى أبى القاسم بن حبيش فلما خرج من عنده قال لى : هذا رجل لم يكذب قط . فأحببته وصحبته إلى أن مات سنة ٥٨٧

بنى فَيُّو Benifayo

وغير بعيد من جزيرة شقر قرية يقال لها الآن « بنى فَيُّو » يظن المستشرق ليفى بروفنسال أنهـا محرفة عن بنى فَيُّوم ونحن لا نظن ذلك بل نرجح تحريفها عن بنى حَيُّون وذلك ان من عادة الأسبانيول قلب الحاء فاء لانهم لايقدرون على لفظ الحاء

كما لا يخفى فكثيراً ما يجعلونها فاء مثل ماقالوا « البُفيرة » فى لفظهم للبحيرة ثم ليس من عادة العرب أن يضيفوا لفظة بنو أو بنى إلى بلدة وانما يضيفونهما إلى قبيلة ولم نسمع باسم قبيلة يقال لها فيُّوم وانما هى بلدة فى مصر . فأما حيون فهو اسم معروف عند العرب للرجال وشاع فى الأندلس فالأرجح أن هذه البلدة اسمها بنى حَيُّون، ثم بالترخيم صارت بنى حَيُّو . وفى تلك الناحية بلدة سكانها بضعة عشر ألفاً يقال لها « قرقاجنت » Carcagente ذات برتقال ونخيل وفيها أيضا شجر التوت ومن هذه البلدة فرع للخط الحديدى يذهب الى دانية وهناك بلدة أخرى على الضفة الغربية من نهر شقر يقال لها « ألْبرِيك » Alberique وبالقرب منها نهير يقال له « البيضا » Abaida وبالقرب من هذا النهير حصن « شنتيانة » Sentana وقد مر بنا ذكر علماء يقال فى نسبتهم الشنتيانى نظنهم منسوبين إلى هذا المكان وجميع هذه البلاد التى ذكرناها واقعة بين بلنسية وشاطبة . ومن مضافات بلنسية قصبة «اوليبة» Oliva فيها كثير من التوت والزيتون والبرتقال وفيها أنخر أجناس العنب وهى بين جبال أحدها يقال له « جبل سيقاريا » والآخر « جبل نيغرو » وجبل « مونكو » وهناك قرية يقال لها أنداره معروفة من أيام العرب ينتسب اليها أناس من أهل العلم منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المعافرى الأندارى

ومن أعمال بلنسية المشهورة فى زمان العرب

شارقة[1] Gérica

وكان العرب الأندلسيون يلفظونها بالامالة كما هو شأنهم وهى بلدة واقعة فى آخر

---

(١) لما زحف جاك الأول ملك أراغون على مملكة بلنسية بدأ بشارقة واستولى على حصنها الذى هو مفتاح بلنسية وكان استيلاؤه على شارقة مبدأ انهيار ملك العرب فى بلنسية وملحقاتها ولذلك قال ابن الأبَّار القضاعى فى قصيدته السينية التى يستصرخ

حدود ولاية بلنسية إلى الشمال بينهما وبين ولاية سرقسطة وهى مشرفة على نهر بلنسية وفيها حصن عربى عظيم استولى عليه جاك الأول ملك أراغون سنة ١٢٣٥ وله برج عال ارتفاعه ثلاثون متراً . ومن شارقة إلى الغرب وادٍ خصيبٌ وهناك بلدة اشكرب التى مرَّ ذكرها . وكان يقال لشارقة « قلعة الأشراف » وقد ورد ذكر شارقة فى معجم البلدان قال : حصن بالأندلس من أعمال بلنسية فى شرق الأندلس ينسب اليها رجل من أهل القرآن يقال له الشارق اسمه أبو محمد عبد الله بن موسى روى عن أبى الوليد يونس بن مغيث بن الصفا عن أبى عيسى عن عبد الله بن يحيى بن يحيى انتهى

وينسب إلى شارقة أبو المطرّف عبد الرحمن بن العاصى الأنصارى الخزرجى من ولد سعد بن عبادة روى عن أبى الوليد الباجى سمع منه بسرقسطة صحيح البخارى سنة ٤٦٣ كان فقيهاً جليلاً ولّى الأحكام ببلده شارقة ولابنه محمد بن عبد الرحمن رواية أيضاً ذكره ابن الأبّار

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبى العاصى بن يوسف بن فاخر بن عتاهية ابن أبى أيوب بن حيّون بن عبد الواحد بن عفيف بن عبد الله بن رواحة بن سعيد ابن سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى ترجمه ابن الأبّار وقال انه قرأ نسبه بخطه ونقله منه وهو من أهل شارقة قلعة الأشراف عمل بلنسية صحب أبا الوليد الوقّشى وله رواية عن أبى محمد بن السيد روى عنه ابنه أبو العاصى الحَكَم بن محمد وتوفى فى نحو العشرين وخمسمائة

وممن ينسب إلى شارقة ابن حُبيش وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف

فيها الملك أبا زكريا يحيى بن عبد الواحد الحفصى صاحب تونس وذلك قوله :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ان الطريق إلى منجاتها درسا

ومنها اشارة الى شارقة وأخذ العدو لها :

فى كل شارقـة إلمام بائقةٍ يعود مأتمها عند العدى عُرُسا

وكل غاربة احجاف نائبةٍ تثنى الأمان حذاراً والسرور أسى

وستأتى هذه القصيدة الطنانة فى آخر هذا الجزء

ابن أبي عيسى الأنصاري يكنى أبا القاسم انتقل جده عبد الله من شارقة إلى المرية
فنشأ المترجم في المرية وتفقّه بأبي القاسم بن ورد وأبي الحسن بن نافع وأخذ العربية
عن أبي عبد الله بن أبي زيد ورحل إلى قرطبة سنة ٥٣٠ فسمع بها من بقايا رجالها
أبي الحسن بن مغيث وأبي عبد الله بن مكّي وأبي عبد الله بن اصبع وأبي عبد الله بن
أبي الخصال وسمع من القادمين اليها كالقاضي أبي بكر بن العربي وغيره وأجاز له
أبو الحسن شريح بن محمد وأبوالوليد بن بقوة وأبو بكر بن مدير وأبو الفضل بن عياض
وكتب اليه من الاسكندرية أبو طاهر السلفي وأقام بقرطبة نحواً من ثلاثة أعوام
يسمع الحديث والغريب ثم انصرف إلى وطنه المرية فلما تغلّب النصارى عليها أول مرة
سنة ٥٤٢ خرج منها إلى مرسية فأقام بها قليلاً ثم انتهى إلى جزيرة شقر فأوطنها
وولي بها الصلاة والخطبة والأحكام نحواً من اثنتي عشرة سنة ثم انه في سنة ٥٥٦
نُقل من جزيرة شقر إلى مرسية خطيباً بجامعها فالتزم ذلك مناوباً لأبي عبد الله بن
سعادة وأبي علي بن عُريب، وسنة ٥٧٥ تولّى قضاء مرسية وكان محمود السيرة معروف
النزاهة لا يُنعى عليه إلاّ حَرَج في خُلقه وكان آخر أئمة المحدثين بالمغرب والمسلَّم له في حفظ
غريب الحديث ولغات العرب وتواريخها ورجالها وأيامها لم يكن أحد من أهل زمانه
يجاريه في معرفة رجال الحديث وأخبارهم ومواليدهم ووفياتهم وكان خطيباً فصيحاً
حسن الصوت وله خطب حسان في أنواع شتى ونقل ابن الأبّار عن أبي عبد الله
ابن عيّاد انه كان صارماً في أحكامه جزلاً في أموره مكرماً لأصحابه منوهاً بهم وكانت
الرحلة اليه في وقته وطال عمره حتى ساوى الأصاغر الأكابر في الرواية عنه واقتضب
صلة ابن بشكوال وعلّق عليها ولم يؤلف في الحديث على كثرة تقييده غير مجموع في
الألقاب صغير ولكن له كتاب في المغازي في مجلدات وكانت ولادته في المرية في
النصف من رجب سنة ٥٠٤ وكان يكره أن يسأله أحد عن مولده وكانت وفاته بمرسية
على رأس الثمانين من عمره ضحى يوم الخميس الرابع عشر من صفر سنة ٥٨٤ ودفن
خارج باب ابن أحمد ازاء مسجد الجُرف في موضع مُطلّ هناك كان يرتاح إلى الجلوس
فيه وصلّى عليه أبو حفص الرشيد أمير مرسية وكانت جنازة لم يشاهد مثلها حتى كاد
يهلك فيها ناس من كثرة الزحام. عن ابن الأبّار

ومن مشهورات المدن التى كانت فى عمل بلنسية مدينة البونت

البونت Funte la Higuero

وهى بلدة عالية بينها وبين بلنسية مائة كيلو متر وأهلها اليوم لايزيدون على أربعة آلاف وهى فى الجبل معدودة من الصرود وبردها شديد فى الشتاء وليس فيها أشجار نظير الجروم والسواحل بل أكثر غراسها الكرم وطريق الحديد يصل اليها فى نفق تحت الأرض طوله ١٥١٤ متراً وقد مررت من هناك راجعاً من بلنسية الى مجريط فى أثناء رحلتى الى الأندلس سنة ١٩٣٠ فرأيت أن البونت يصح أن تكون مصطاف بلاد بلنسية التى يشتد فيها الحر فى فصل الصيف لأن الجبال العالية فى شرقيها وشماليها حاجز بينها وبين الهواء البارد وقد ذكر ياقوت فى معجم البلدان هذه البلدة فى مكانين فقال :

« بُنْت » بالضم ثم السكون وتاء مثناة بلد بالأندلس من ناحية بلنسية ينسب اليها أبو عبد الله محمد البنتى البلنسى الشاعر الأديب اه . ثم قال فى مكان آخر :
« البونت » بالضم والواو والنون ساكنان والتاء فوقها نقطتان حصن بالاندلس وربما قالوا البُنت وقد ذكر . ينسب اليه أبو طاهر اسماعيل بن عمران بن اسماعيل الفهرى البُنتى قدم الاسكندرية حاجاً ذكره السلفى وكان أديباً أريباً قارئاً . وعبد الله ابن فتوح بن موسى بن أبى الفتح بن عبد الله الفهرى البُنتى أبو محمد كان من أهل العلم والمعرفة وله كتاب فى الوثائق والأحكام وله أيضا رواية توفى فى جمادى الآخرة سنة ٤٦٢ . انتهى[١]

---

(١) قد أورد ليفى بروفنسال فى مجموعة الكتابات العربية فى اسبانية Inscriptions Arabes D'Espagne ذكر قبر وجد فى مدينة البونت ظهر من كتابته انه قبر عز الدولة أمير البونت المتوفى سنة ٤٤٠ وفق سنة ١٠٤٨ وقد وجد رخام هذا القبر دار فى التحف الأثرية ببلنسية وكتابته سبعة أسطر بالخط

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن سعيد بن عقال الفهرى وستأتى ترجمة والده أبى عبد الله محمد .

وأبو محمد عبد الله بن فتّوح بن موسى بن عبد الواحد الفهرى البونتى قال ابن عميرة فى بغية الملتمس : له كتاب حسن مفيد جمع فيه الوثائق والمسائل من كتب الفقهاء

وأبو النصر فتوح بن موسى بن أبى الفتوح بن عبد الواحد الفهرى وهو والد الأول روى بطليطلة عن أبى نصر فتح بن ابراهيم وأبى اسحق بن شنظير وصاحبه أبى جعفر وأبى بكر محمد بن مروان بن زهر وغيرهم قال ابن بشكوال فى الصلة : وقد أخذ عنه ابنه عبد الله

وأبو عبد الله محمد بن سليمان بن مروان بن يحي القيسى يعرف بالبونتى سكن بلنسية روى عن أبى داود المقرئ وأبى عبد الله بن فرج وأبى على الغسّانى وأبى الحسن ابن الروش وأبى على الصدفى وغيرهم وكانت له عناية كثيرة بالعلم والرواية وأخبار الشيوخ وأزمانهم ومبلغ أعمارهم وجمع من ذلك كثيراً . قال ابن بشكوال : ووصفه أصحابنا بالثقة والدين والفضل وتوفى بالمرية ليلة الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر من سنة ٥٣٦ .

السكوفى ومن كلماتها ماقد امّحى تماماً والذى أمكن قراءته منها هو هذا :

بعد البسملة ياأيها الناس إنّ وعد الله حق فلا تغرّنكم الحياةُ الدنيا ولا يغرّنكم بالله الغَرور هذا قبر الحاجب عز الدولة أحمد بن محمد بن قاسم بن

يوم خلت من رجب سنة

فهو يشهد ان لا إله إلا الله .

ويقول ليڤى بروڤنسال ان أحمد بن قاسم هذا رجل له ذكر فى التاريخ قد خلف أباه محمد يمن الدولة على امارة البونت وهذا خلف أباه عبد الله نظام الدولة وكانت وفاة أحمد بن قاسم سنة ٤٤٠ تاركاً امارته لأخيه عبد الله جناح الدولة الذى تولّى البونت الى سنة ٤٨٥ إذ غلبت عليه دولة المرابطين وأخرجته من تلك الامارة وفى هذه الكتابة

وأبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعيد بن عقال الفهرى ولّى قضاء بلده للحاجب نظام الدولة أبى محمد عبد الله بن محمد بن قاسم ثم لولاه لمتونة بعد ذلك وهو من أهل المعرفة والنباهة وتوفى قبل العشرين وخمسمائة ومن أهل العلم ابنه عبد الله وقد تقدم ذكره

وأبو بكر محمد بن عبد الله البونتى الأندلسى الأنصارى ترجمه المقّرى فى نفح الطيب فى جملة الراحلين إلى المشرق قال : قدم مصر وأقام بالقرافة مدة وكان شيخاً صالحاً زاهداً فاضلاً وتوجه إلى الشام فهلك . قال الرشيد العطّار : وكان من فضلاء الأندلسيين ونبهائهم ساح فى الأرض ودخل بلاد العجم وغيرها من البلاد البعيدة وكان يتكلم بألسنة شتّى

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قاسم بن على بن قاسم بن يوسف أمير الأندلس قبل بنى أمية ابن عبد الرحمن الفهرى كان يلقب يمن الدولة وكان رئيساً بقلعة البونت من أعمال بلنسية مَقَرّ آبائه الرؤساء وله صنع أبو محمد بن حزم رسالته فى فضل أهل الأندلس وأطال الثناء عليه وعلى سلفه رحمهم الله. اه من كلام ابن الأبّار

يثبت أن اسم هـذا الأمير كان « عز الدولة » لا « عضد الدولة » كما ذكر بعض مؤرخى العرب وقد وجدت مسكوكات باسم هـذا الأمير تؤيد ان اسمه عز الدولة كما هو مكتوب على قبره

وقد أوردنا بين تراجم أعيان البونت ترجمة أبى عبد الله محمد يمن الدولة نقلاً عن ابن الأبّار فهو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قاسم بن على بن قاسم بن يوسف ابن عبد الرحمن الفهرى من سلالة يوسف الفهرى أمير الأندلس يوم دخلها عبد الرحمن الداخل الأموى

وورد أيضاً ذكر والد يمن الدولة وهو نظام الدولة فى ترجمة محمد بن عبد العزيز ابن سعيد الفهرى الذى يذكر ابن الأبّار أنه تولّى قضاء البونت لنظام الدولة الفهرى المذكور

وذكر ابن عذارى فى الجزء الثالث من كتاب « البيان المغرب فى أخبار ملوك الأندلس والمغرب » فى صفحة ٢١٥ من الطبعة الجديدة التى وقف عليها ليفى بروفنسال

فى التكملة . قات ومن سلالة هذا البيت بنو الجد الفهريون بفاس اليوم وهم بيت مجد وعلم وفضل ترجمهم مولاى سليمان أحد سلاطين المغرب فى مؤلف خاص ولا تزال إلى عهدنا هذا تظهر منهم النوابغ ومنهم فى هذا العصر السيد العبقرى علال الفاسى من أقطاب الحركة الوطنية المغربية الذى نفته السلطة الى القابون من بلاد خط الاستواء ومنهم السيد محمد الفاسى المدرس اليوم برباط الفتح وهو من جلة أدباء العصر على الاطلاق

وأبو محمد عبد الله بن الفضل بن عمر بن فتح اللخمى البونتى سكن دانية روى عن أبى الوليد الوقشى وأبى عبد الله بن رولاَّن وتأدب بهما وقعد لاقراء العربية ببلنسية وكان أديباً جليلاً ذا حظ من اللغة والنحو والشعر بارع الخط رائق الوراقة أخذ عنه أبو عبد الله بن سعيد الدانى وغيره وتوفى بميورقة بعد التسعين والأربعمائة

وأبو محمد عبد الله بن مفرّج بن موسى بن أبى الفتح بن عبد الواحد الفهرى وهو ابن أخى فتّوح بن موسى الفهرى الذى تقدمت ترجمته

ومن قرى بلنسية قرية يقال لها « شُبْرُبْ » قرأ بجامعها عبد الله بن أحمد بن نام الصدفى كتاب التمهيد لأبى عمر بن عبد البَر سنة ٤٨٣

مايأتى : وفى سنة ٤٣٤ توفى يمن الدولة صاحب مدينة البونت من كورة شنت برية وهو محمد بن عبد الله بن قاسم الفهرى ولم تزل بأيدى بنى قاسم من أول الفتنة وأول من ملكها منهم نظام الدولة عبد الله بن قاسم الى أن هلك سنة ٤٢١ ثم وليها محمد هذا يمن الدولة الى أن هلك فى هذا العام فلم يزالوا يتعاقبون فيها الى سنة خمسمائة . اه

وقد أورد ليفى بروفنسال فى مجموعة الكتابات العربية التى تقدم ذكرها كتابة قبر وجد فى قرية بنى مَقْلِة Benimaclet التى تقع على الضفة الشمالية من النهر الأبيض على مقربة من بلنسية وهذه الكتابة كانت فى أحد بيوت بلنسية نمرة ٤ من شارع « كروز » Cruz ونصّها :

بسملة ربنا الله ياأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرّنكم

ومن قرى بلنسية قرية ذكرها ابن الأبّار يقال لها « شون » لم نعلم حتى الآن كيفية لفظها عند الأسبانيين وقد ورد فى الاحاطة لابن الخطيب انها قرية من اقليم البيرة فيظهر انها قرية أخرى بهذا الاسم لأن لسان الدين بن الخطيب كان يعرف جيداً اقليم البيرة وذلك ان اقليم البيرة هو اقليم غرناطة ولسان الدين هو وزير غرناطةوأعلم الناس بأمرها وكذلك ابن الأبّار القضاعى صاحب التكملة هو أدرى الناس بأخبار

الحياة الدنيا ولا يغرّنكم بالله الغرور هذا قبر محمد بن عبد الله بن سيد بونه الأنصارى كان يشهد ان لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وان محمداً عبد ورسوله وان الجنة حق وان النار حق وان الساعة آتية لاريب فيها توفى رحمه الله وغفر له ليلة الخميس مستهل جمادى الأولى من سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة رحمه الله اه . وقد ذكر ليفى بروفنسال ملاحظة ان هـذا الاسم سيد بونه مركّب من لفظة « سيد » العربية و (بونه) اللاتينية وان هـذا لم يكن نادراً فى الأندلس فقد أورد المسيو « ريباره » عدة أسماء اسبانيولية دخلت فىاللغةالعربية منها « ببش » Vives و بشكوال « Pascual » و « غرسية» Garcia و « لب » Lope و « فيرّوه » Ferro وغيرها ومن جملتها « بونُه » والتسمية بها لاتدل على ان المسمَّى اسبانيولى الأصل . وقد ذكر ليفى بروفنسال رجلاً من أهل قسطنطانية اسمه أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونه الخزاعى توفى سنة ٦٢٤ نقلاً عن ابن الأبّار

ونحن نقول انه قد مرّ بنا هذا الاسم مراراً فى أثناء التراجم وانه مرّ بنا أيضاً ذكر أبى زكريا يحيى بن أحمد بن يحيى بن سيد بونه الخزاعى من قسطنطانية توفى سنة ٥٧٨ فيظهر انه من العائلة نفسها لقوله انه خزاعى ولكن هـذا أقدم من الذى أشار اليه ليفى بروفنسال وهذا الذى أشار اليه ليفى بروفنسال هو جعفر بن عبد الله ابن محمد بن سيد بونه يكنى أبا أحمد الولى الشهير ترجمه لسان الدين بن الخطيب وقال فى « الاحاطة » انه كان أحد الأعلام المنقطعى القرين فى طريق الله تعالى أصله من شرق الأندلس وقد ترجمناه نقلاً عن الاحاطة عند ذكر قسطنطانية

بلنسية واقليمها . هذا وقد انتسب إلى شون البلنسية أبو عبـد الله محمد بن يوسف ابن محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن غزلون بن مطرّف بن طاهر بن هرون ابن عبد الرحمن بن هاجر بن الحسين بن حرب بن أبي شاكر الأنصاري رحل حاجاً سنة ٥٦٣ وأدّى الفريضة في السنة التي بعدها وحج ثلاث حجات متواليات ولقي في الاسكندرية أبا طاهر السلفي وتوفي بمربيطر سنة ٥٧٤ ودفن ببلنسية . وأما شون التي من اقليم البيرة فينسب اليها أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن أبي القاسم الأزدي تأتي ترجمته ان شاء الله عند الوصول الى غرناطة

ومن قرى بلنسية « شيركة » ذكره ياقوت في المعجم وقال انه حصن بالأندلس من أعمال بلنسية

ومن أعمال بلنسية « المنارة » ذكرها ياقوت في معجم البلدان وجعلها من ثغور سرقسطة ، والذي أعلمه انه يوجد قرية اسمها المنار بقرب « بَلَغِي » من عمل لاردة وهما اليوم من أعمال كتالونية ولكن في زمان العرب كانت لاردة ومضافاتها تابعة لسرقسطة . وأما قول ياقوت ان المنارة بالتأنيث هي من ثغور سرقسطة فلا يمنع أن تكون من أعمال بلنسية فان الثغور تكون دائماً على الحدود بين مملكتين وان كثيراً من هذه الثغور كانت تتبع أحيانا المملكة الواحدة وأحيانا تكون تابعة للمملكة الأخرى . وعلى كل حال فقد ذكر ياقوت من أهل العلم أبا محمد عبد الله بن ابراهيم بن سلامة الأنصاري المناري ذكره السلفي أنه كان يسمع عليه الحديث سنة ٥٣٠ وأنه كان سمع بالأندلس على أبي الفتح محمد المناري . وذكر ياقوت أيضاً رجلاً اسمه علي بن محمد المناري كان من أصحاب أبي عبد الله المنامي

ومن قرى بلنسية « بتّة » التي ينسب اليها احمد بن عبد الولي البتي أبو جعفر كاتب شاعر لبيب أحرقه القمبيطور لعنه الله حين غلب على بلنسية سنة ٤٨٨ ذكره الرشاطي في كتابه عن بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس لأحمد بن يحيى بن عميرة الضبي

ومن قرى بلنسية « شريّون » بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد الياء حصن من

حصون بلنسية نسب اليها أبو طاهر السلفي المحدّث المعمّر المشهور الذى كان بالأسكندرية أبا مروان عبد الملك بن عبد الله الشريونى تفقه على أبى يوسف الريانى على مذهب مالك .

وينسب أيضاً الى شريّون أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عَدَبَّس الأنصارى روى عن أبى عمر بن عبد البر وسمع بطليطلة من أبى بكر جماهر بن عبد الرحمن وغيره وسكن طليطلة مدة حدّث عنه أبو عامر بن حبيب الشاطبي توفى بفاس منتصف شوال سنة ٥٠٥

ومن البلاد المنسوبة الى بلنسية « اندارة » وقد ذكرنا فى هذا الكتاب بعض العلماء المنسوبين اليها وجاء ذكرها فى التكملة لابن الأبار على أنها قرية من القرى ولكن عبد الله محمد بن عبد الله الحميرى فى كتابه « الروض المعطار » يقول انها مدينة عظيمة فى شرق الأندلس خرّبتها البربر ؟

مذكرة بقلمنا عن رحلتنا الى مرسية وبلنسية

وجدنا من جملة كُنّاشاتنا دفتر جيب نقول فيه :

فى ٢٢ أغسطس (١٩٣٠) الساعة الواحدة ونصف الساعة بعد الظهر سار بنا القطار الحديدى من مرسية الى قرطاجنة وقد مررنا بجنان مرسية النادرة النظير فى الدنيا بما فيها من التين والرمان والبرتقال ومزروعات الزعفران وغيرها. وأول محطة وصلنا اليها محطة يقال لها «بنياخان» وأصل الاسم «بنياجان» بالجيم ولكن الاسبانيين يقلبون الجيم خاءً كما لا يخفى، فنصف الاسم عربى وهو «بنى» والنصف الآخر اسبانيولى والأقرب أنه محرف عن اسم عربى قديم، ومن الغريب اجتماع الضدين فى تلك البقعة كما فى دمشق فان الجبال فوقها كجبل قاسيون وغيره جبال جرد وهضاب صلع لا يكاد يرى فيها الناظر أدنى نبات وحذاءها غوطة دمشق التى تضرب بها الأمثال وهنا الحالة بعينها فاذا نظرت الى ما فوقك عن الشمال رأيت جبالاً جرداً وهضاباً صلعاً لا يقع نظرك فيها على شجرة

واحدة ولا على غصن أخضر واذا نظرت عن يمينك وقع نظرك على جنان يصح أن يقال فيها انها جنان الله فى أرضه فى عظمة أشجارها والتفاف أدواحها وتهدل ثمارها وتفجر أنهارها .

ثم مررنا بمحطة يقال لها « القرية » Alqueria وهذه لفظة عربية لاجدال فيها ولم نلبث أن خرجنا من وسط الجنان الى أرض قاحلة ومررنا بين أهاضيب جرد قليلة النبات واذا بنا وصلنا الى محطة يقال لها « قنطرة » Cantera ومازلنا نسير فى أرض جرداء بيضاء اللون لانجد فى أطرافها إلاّ بعض زياتين متفرقة الى أن وصلنا الى محطة يقال لها « ريكلمه » Riquelma ثم أفضينا الى سهل أفيح فيه شجر زيتون صغير ووقفنا فى محطة يقال لها « بالسيكا » Balsiga ثم سرنا فى هذا السهل وقد كثر فيه الشجر ووقفنا فى محطة « باشيقو » Pacheco ثم فى محطة أخرى يقال لها « بارو دو بارال » Barro De Paral ولم يزل السهل يتسع أمامنا وقد كثر فيه الزرع والشجر

وفى الساعة الثالثة والنصف دخلنا قرطجنة

قرطاجنة CARTHAGENA

وهى مرسى حربى فى جون طبيعى محاط من كل الجهات بجبال عليها قلاع وفى داخل الجون مدينة هى قرطجنة ولم أجد فى هذه المدينة آثاراً عربية ظاهرة مع أن العرب عمروها كسائر مدن الاندلس ولم يتسع لى الوقت أن أنقب عن آثار العرب فيها لأنى بت فيها ليلة واحدة وثاني يوم ٢٣ أغسطس رجعت على طريق مرسية قاصداً مدينة القنت فوصلنا الى محطة مرسية نفسها ونزلنا من القطار وركبنا قطاراً آخر قاصدين القنت فأول محطة وقف القطار بها اسمها « بنيال» Beniel والراجح أن اسمها من أصل عربى ولكنى لم أتبين هذا الاصل ، ثم وصلنا الى محطة أوريولة وهى المدينة المشهورة وكان لها اسم آخر وهو تدمير ومرجها هو الغاية فى الخصب والقنب فيه بكثرة

ثم مررنا بمحطة بلدة اسمها « قلوزة شقوره » Callosa Segira وقبل الوصول الى هذا المحط رأيت غابة نخيل وقنباً كثيراً. وبعد اجتيازنا قلوزه هذه لم نزل نشاهد شجر النخل وكذلك الزيتون وكيفما توجه الانسان فى الأندلس لابد أن يرى الزيتون

ثم وصلنا الى «الباترة» Albatra والنخيل بها كثير الى الغاية والسهل مد النظر والجبال الجرد محيطة بالمروج الغنّاء وتسمى الجبال التى فى الشمال جبال « كريفيلانت » Crevilente والتى فى الجنوب جبال « قلّوزة » ولو لم يكن للعرب جاذب الى هذه البلاد سوى هذا النخل الكثير لكفى ويكثر أيضاً فى هذه البقعة شجر الرمان

ثم وصلنا الى كريفيلنت ولها سهول خصبة وكروم متسعة وزيتون ورمّان وخرّوب وكل ذلك من الكثرة بمكان . ثم وصلنا الى محطة « ألش » Elche وفيها غابة نخل لا يوجد مثلها فى الاندلس تخيَّل لك أنك فى افريقية أو فى جزيرة العرب، ورأيت بين النخل اناساً يصنعون الحبال كما يصنعونها فى مزّة الشام وفى ألش خروب ورمان وزيتون وكله لاينقطع

ثم وصلت الى القنت الساعة الثانية عشرة ونصف الساعة فرأيتها بلدة لطيفة خفيفة على الروح أخف جداً على الروح من قرطجنة وبمدخلها أيضاً غابة من النخل وللبلدة مرسى لطيف على البحر له رصيف منتسقة فيه صفوف من النخل . ووراء القنت جبل عليه حصون وهو قريب من البحر يكاد يتدلّى الى الماء

سافرت الساعة الثامنة والنصف من القنت الى دانية فى قطار حديدى صغير يجرى على خط ضيق فذهب بنا الى الشمال على شاطئ البحر ولم يمض إلا قليل حتى دخلنا فى كروم زيتون وعنب يسقى بجداول ومررنا بعد ذلك بغيضة نخل ورأينا كثيراً من الخروب والسهل منبسط ترابه أبيض ينتهى الى سلسلة جبال عالية فالذى يرى هذا النخل كله لا يظن أنه فى قارة أوروبة . وبعد نحو ساعة من مسيرنا دخلنا فى أرض ذات آكام قاحلة وأودية يابسة ثم لم تزل هذه الآكام تصاحبنا والبحر من جهة أخرى يصاقبنا حتى رجعت الاشجار تظهر شيئاً فشيئاً لاسيما الخروب والزيتون واللوز . وقد

وقف بنا القطار فى ثلاث محاط وذلك فى مسيرة ساعة واحدة وكانت المحطة الثالثة عند مدينة صغيرة فوق البحر اسمها « فيلاّ كويوزا » ثم عبرنا على جسر عال فوق نهر يابس عميق وسرنا فى أرض تربتها بيضاء والخروب واللوز هناك بكثرة زائدة وهذان الصنفان من الشجر يكثران فى الأراضى الناشفة : ثم سألت من رافقنى فى القطار من أهل فيلاّ كويوزا : هل عندهم آثار عربية فى بلدتهم ؟ فقالوا لا نعرف سوى أن الكنيسة كانت فى الأصل جامعاً . ثم وقفنا فى محطة يقال لها « بنى دورم» Beni Dorm ونظنها بنى دارم فى الأصل تحرّف لفظها بلسان الاسبانيول وفى الجوار قرى كثير أسماؤها بنى وبنى أى أسماء عربية وهى بنى منتل وبنى فايو وبنى أرطاة وبنى أرفيح وبنى اليوبة وبنى دوليش وبنى أرنبيش وغيرهامما ظهر لنا أصله العربي مثل بنى أرطاة ومما لم يظهر وربما كانت هناك عائلات اسبانية من الأصل استعربت بجوار العرب فأطلقوا عليها لفظة بنى ، ولهذا أمثال مثل بنى « قسىّ » فى شرق الأندلس وبنى « انجلينو » وبنى « سباريكو » فى أشبيلة وغير ذلك . والأراضى فى كل هذه المسافة ليست فيها مياه جارية وترابها أبيض إلا أننا نحو الساعة العاشرة ونصف الساعة وصلنا الى قرية لطيفة مشرفة على البحر لها آكام رفيعة تتخللها زرائع تسق من عيون جارية واسم هذه القرية « ألطيه » Altea ومن يدرى فقد تكون محرفة عن آل طى فان المقّرى فى النفح يقول ان منازل طى بقبلى مرسية .

ثم وقفنا بمحطة قرية اسمها «قليوزه» Caliosa de Ensarria أى الأنصارية بلا شك لأن القبائل التى كانت تنسب إلى الأنصار من عرب الأندلس لاتعد ولاتحصى ولهم أماكن تعرف بهم . ثم دخل القطار فى جبال صخرية قريبة من البحر ووصلنا إلى محطة يقال لها « كلب » Calape وأمامها سهل صغير ممتد إلى البحر ثم بعده جبل ناتىء من نفسه فى البحر شاهق يرتفع عن البحر نحواً من أربعمائة متر كأنه جبل طارق صغير .

ثم وصلنا إلى محطة يقال لها « بنيسَه » Benisa وأظنها محرّفة عن بنى سعد

وهى عِذْى وفيها كروم وزياتين ورأيت فيها نواعير تدور دواليها على الحيوانات كنواعير ساحل الشام . ثم وقفنا بمحطة يقال لها « طولاذه » Teulada والأسبان يلفظونها بالذال المعجمة ، ثم دخلنا فى جبال صخرية بغاية الوعورة ومررنا بنفق تحت الأرض وشاهدنا بلدة اسمها « حافية » فى سفح جبل اسمه « برنيا » وسمعت الأهالى يلفظون الحاء كما نلفظها نحن العرب لا كما يلفظها الأفرنج أى هاء . ثم وصلنا إلى محطة بلدة اسمها « غاتَه » Gata فهل أصلها قاتَه أو هى محرّفة لا نعلم أصلها . ثم مررنا وراء الجبل المشرف على البحر وأخذت الأرض هناك تميل إلى الحمرة لكن الخرّوب لا يزال كثيراً وكذلك اللوز وكذلك كروم العنب وشاهدت مساطيح الزبيب كما هى عندنا فى جبل لبنان .

وفى الساعة الثانية عشرة نهاراً وصلت إلى دانية وهى اليوم بلدة صغيرة لها حصن على رأس رابية مشرفة على البحر تعلو عنه ٣٠ أو ٤٠ متراً وهذا الحصن من بناء العرب ووراء دانية جبل يعلو خمسمائة متر عن البحر وبسفوحه قرى عامرة وجنان زاهرة . علمت أنه انكشف مؤخراً فى دانية مقبرة عربية فنسفوها كلها وأهدوا حجارتها متحف بلنسية .

هذا الخط كله شديد الحرارة فى الصيف مرسية وأريوله وقرطاجنة والقنت ودانية الاّ الأماكن الجبلية وفى النهار قد تهب ريح تخفّف الحرارة إلا أن هذه الريح قد تنقطع ليلاً فلا يمكن النائم أن يقبل الغطاء وقد بت ليلة واحدة فى مرسية وليلة فى قرطجنة وليلة فى القنت وليلة فى دانية وما أتذكر أننى قدرت أن ألقى على نفسى لحافاً أو غطاء مهما كان رقيقاً وكنت مع ذلك أترك النوافذ مفتوحة وأحياناً أترك الباب أيضاً مفتوحاً حتى أتمكن من الرقاد فلا عجب ان كان العرب أحبوا هذه السواحل وعمروها لأنهم آتون من الأقاليم الحارة .

فى ٢٥ أغسطس ركبت الساعة الثامنة صباحاً قطاراً قاصداً شاطبة فبلنسية فمررنا بكروم وزياتين كثيرة وشاهدت مساطيح الزبيب ثم أخذنا نمر ببساتين البرتقال ووقفنا بثلاث محاط أهمها محطة « أوليفا » Oliva وهى بلدة صغيرة لطيفة تغطيها بساتين

البرتقال ووراءها الى الشمال الجبل ثم وصلنا الى « كنديا » Gendia وأظنها البلدة التى يسميها العرب « اندة » المحفوفة بأجمــــل بساتين بلنسية وهى على مسافة أربعة كيلو مترات من البحر . ثم بعد أن تجاوزناها نحو بلنسية ضاق السهل بين الجبل والبحر ثم وقفنا فى محطة « جاراكو » Jaraco ثم وصلنا الى طبرنة وهى فى سفح جبل تحف بها البساتين والكروم ثم وقفنا فى محطة « بلدينية » Valdiagna ثم فى محطة « لابرّاقه » Labarraca لعلها البرّاقة ولكن لم أجد هذا الاسم فى كتب العرب . ومن قبل أن نجتاز طبرنة كان الخروب متصلاً وكذلك حراج الصنوبر ولم نزل كذلك نشاهد هذه الحراج الى أن قاربنا بلنسية فعندها دخلنا بين بساتين البرتقال ورأينا كثيراً من شجر النخل ونزلنا بمحطة « قرقاجنت » Carcagente

ثم سرنا بقطار آخر الى بلنسية فرأينا غوطة بلنسية الشهيرة وهى كلها مغطاة بالبرتقال والتوت وأصناف الفواكه والزرائع والماء يجرى فى الجداول من كل نواحيها ثم وقفنا فى جزيرة شقر ويقولون لها « السيرة » Alcira وهى على نهر صغير هو نهر شقر ومرج بلنسية شبيه بمرج غرناطة فى الخصب وكثرة الشجر والزراعات لكنه أكثر دوحاً من مرج غرناطة وفيه القرى الكثيرة كما فى غوطة دمشق وتخيلت نفسى بازاء بساتين البرتقال كأنى فى بساتين صيدا أو يافا او طرابلس الشام الا أن رقعة بساتين بلنسية أوسع . ثم وقفنا بمحطة « الجنيت » Algenet وهناك خف الشجر وصار أكثر المرج مباقل وزراعات حبوب متنوعة

ثم وقفنا بمحطة يقال لها « بنى فيّو » Beni - Fayo ظهر لنا منها برج عربى بقرب سكة الحديد ورأيت برجاً عربياً آخر فى وسط البلدة . ولا أعلم أصل كلمة بنى فيّو وإنما أظن أنها بنى حيّو وأن حيو مرخّم عن حيّون والترخيم كثير فى العربى لاسيما فى المغرب . هذا ومن بعد ان تجاوزنا بنى فيو قاصدين بلنسية انقطعت البساتين بعض الشىء وصارت الأشجار من الخروب والزيتون ولكن لم تلبث خضرة السقى ان رجعت وظهرت آثار الوادى الأبيض . ثم وقفنا بمحطة بلدة اسمها « سيلا » Silla ولاشك أنها أسيلة التى ذكرها ابن الأبار . ثم وقفنا فى محطة بلدة اسمها « كاتاروجه » ولم يظهر لى أصلها

ثم وقفنا بمحطة بلدة هى أقرب أرباض بلنسية الى نفس المدينة وهذه المحطة هى « الفافار » Alfafar وبنى توزر فأما الفافار فأظنها محرفة عن الحفار أو الحفر لأنهم يقلبون الحاء فاء كما قالوا فى البحيرة البفيرة . وأما توزر فهو اسم بلدة فى افريقية فى نواحى الزاب الكبير من أعمال الجريد وهى كثيرة النخل والبساتين فلعل الذين عمروا هذه البلدة كانوا من ناقلة توزر ، ثم وصلنا الى بلنسية نحو الساعة الثانية عشرة فكانت المسافة اليها من دانية بالقطار الحديدى أربع ساعات . وبلنسية ثالث مدينة فى اسبانية من جهة العظمة لا يوجد أعظم منها سوى مجريط وبرشلونة وهى قد خلعت عنها الثوب العربى تماماً فانى لم أجد فيها آثاراً عربية قديمة كما وجدت فى طليطلة واشبيلية وقرطبة وغرناطة بل كل ماوجدته من آثار العرب أبراج وبوابات معدودة . ثم إنى وجدت فى المدن الأخرى لاسيما فى اشبيلية أبنية محدثة قلدوا فيها طراز البناء العربى ولكن لم أجد شيئاً من ذلك فى بلنسية وإنما سمعت الموالية العربية باللغة الاسبانية فى المقاهى بواسطة الحاكى أى الكراموفون اه فهذا ما وجدته فى دفتر جيب محفوظ عندى عن انطباعات ذهنى بما رأيته من مرسية الى بلنسية

ثم وجدت أيضاً تقييدات فى الدفتر نفسه عن مسيرتى من بلنسية الى مجريط وذلك بعد أن ذهبت من بلنسية الى الجزائر الشرقية وأقمت بميورقة نحواً من عشرين يوماً فرجعت الى بلنسية ومنها قصدت مجريط وطريقها الى مجريط هى غير طريق مرسية فها أنذا أنقل ماقيدته يومئذ من لمحاتى قلت :

فى الساعة العاشرة قبل الظهر ركبت القطار من بلنسية قاصداً مجريط فبقى يخب بنا فى غوطة بلنسية بين زرائع متنوعة وأشجار ملتفة الغالب عليها البرتقال والجداول والأنهار تشق هذه الغوطة من كل جهة ثم انه بعد مسير ساعة بالسكة الحديدية وصلنا الى أوعار تغير فيها النسق وانقطعت النسبة ولكن هذه الأوعار لم يطل أمرها حتى رجعنا الى مرج أخضر ذى زرائع وكروم من عنب ورمان وتوت والجداول تسقيها أيضا . ثم وقفنا فى محطة شاطبة وهى بلدة بين المرج والجبل فالمرج أمامها والجبل وراءها وعلى الجبل قلعتان شاهقتان واسم الجبل « برنيسا » Bernisa والمرج كله من بلنسية الى شاطبة

معمور بالقرى أشبه بغوطة الشام . ثم انتهينا من المرج وسرنا الى الوعر ووقفنا بمحطة بلدة فيها قلعة قديمة عظيمة يقال لها « منتيشة » وبالاسبانيولى Montesa وقد ذكر هذه القرية صاحب نفح الطيب وقال انه ينسب اليها عدد من العلماء لكنه لم يذكر منهم احداً . فأما ياقوت فى معجم البلدان فقد ذكر منتيشه بالفتح ثم السكون وكسر التاء المثناة من فوقها وياء وشين معجمة قال : أنها مدينة بالأندلس قديمة من أعمال كورة جيّان حصينة مطلّة على بساتين وأنهار وعيون وقيل انها من قرى شاطبة (وهو الصحيح) منها أبوعبدالله محمد بن عبد الرحمن بن عياض المخزومى الأديب المقرئ الشاطبي ثم المنتيشي روى عن أبى الحسن على بن المبارك المقرى الواعظ الصوفى المعروف بأبى البساتين روى عنه أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدبّاغ الحافظ . اه

ثم مررنا بقرية « الكُدية » وهى على ٦٣ كيلو متراً من بلنسية ولا يخفى أن اسم الكدية عربى ومعنى الكدية الأرض الغليظة وتأتى أيضا بمعنى الصَّفاة العظيمة الشديدة . ثم نحو الساعة الثانية عشرة وقفنا عند محطة بلدة اسمها « موجَنْتا » وقد ورد فى دليل بديكر أنها مدينة قديمة بناها العرب وفيها حصن باقيـة آثاره وهى على ٨٢ كيلو متراً من بلنسية وأرضها فى غاية الخصب وقد كثر الزيتون هنا بدلاً عن الخرّوب . ثم وقفنا بمحطة فى الوعر اسمها « باريلاً » Parilla ثم صعدنا فى الجبل وما برحنا فى التصعيد حتى وصلنا الى نفق طويل ١٥٠٠ متر ومن قبله مررنا بنفق قصير والجبل هناك يقال له جبل ماريا كا فاصل بين «شارة انقيرة» Sierra de Ingeurra فى الشمال الغربى وشارة « غروزه » Grosa فى الجنوب الشرقى وعلى مسافة مائة كيلو متر وصلنا الى مدينة البونت وسكانها اليوم أربعة آلاف نسمة وهى فى مكان عال والفرق بين البونت وبلنسية هو فرق الصرود عن الجروم وهناك الأشجار نادرة فالأرض مغطاة بكروم العنب . ونحو الساعة الثانية عشرة وثلاثة أرباع الساعة وصلنا الى محطة « انسينا » Encina وهى ملتقى الخطين الخط الحديدى الآتى من بلنسية الى مجريط والخط الآخر الآتى من القنت الى مجريط . ثم فى الساعة الواحدة وربع الساعة وصلنا الى بلدة يقال لها « النصا » Almansa وهى بلدة عربية يسير اليها

طريق الحديد فى جبال عالية وأما نفس البلدة فهى واقعة على بسيط من الأرض والجبال تحيط بذلك البسيط ولها صخرة مرتفعة مشرفة فوقها حصن قديم وفيها حوض ماء من بناء العرب طوله ألفا متر وعرضه ألفا متر وعمقه ثمانون متراً وقد بُنى هذا الحوض على شكل سد بين الجبلين كلما ارتفع السد نحو الجبل انخفض البناء فهذا الحوض يقال له فى العربية « المصنع » ولذلك نقول بلا تردد ان « المنصا » هى مقلوب مصنع ويظهر أن الماء قليل هنالك والأرض فى غاية الخصب فأحدث العرب هذا المصنع لأجل ري الأراضى ولكنه الآن فى حالة الخراب .

وقبل الساعة الثانية وصلنا الى محطة بلد يقال له « ألبيرة » Alpera وفى هذا البلد يوجد كهفان فيا سمعت منقوش فيهما على الصخور صور حيوانات ورجال يقال انها باقية من العصر الجليدى وفى تلك النواحى يكثر شجر البلوط وقد بقينا نحو ساعتين فى القطار نسير فى بسائط من الأرض مرتفعة وكلها من الأراضى الجيدة التى تزكو مزروعاتها. والساعة الثانية وثلاثة أرباع الساعة وصلنا الى « شنجالة » Chinchilla وهى من المدن التى كانت عامرة فى زمان العرب وسيأتى ذكرها وهى اليوم ملتقى سكتى الحديد اللتين احداها تذهب الى مرسية والأخرى الى قرطجنة. وفى الساعة الثالثة مررنا بقرية اسمها « سيلاً » ثم وصلنا الى « البسيط » وهى مدينة صغيرة منقسمة الى قسمين الأعلى والأدنى ، فالحارة العليا هى الحارة القديمة والحارة السفلى هى الحارة العصرية . وأراضى هذه البلدة بسائط لا نهاية لها فهى اسم على مسمّى . وفى ما بعد البسيط الى الشمال قناة ماء تسمّى قناة « سان جورج » وقناة أخرى تسمى قناة « ماريا كريستيا » تنحدر مياهها الى مستنقعات واقعة فى أراضى البسيط . تتولد منها حمّيات . ثم وصلنا الى «مينَيّا» وفى الساعة الرابعة وصلنا الى «الروضة» ثم فى الرابعة ونصف الساعة وصلنا الى بلدة يقال لها « فيلاً روبلادو » Villarrobledo وفى هذه البلدة عشرة آلاف نسمة وفيها شجر البلوط بكثرة ومنه اشتق اسمها. والأرض هناك سهول مد النظر . ثم وصلنا الى بلدة اسمها « سوق وليم » وبالاسبانيولى Socuéllamos ثم مررنا ببلدة اسمها « كريبتانا » Criptana وهى قصبة فيها ثمانية آلاف نسمة

وفيها مطاحن كثيرة وزراعة ولكن سوق وليم فيها حراج من شجر البلوط له ثمر حلو مرغوب فيه ثم وصلنا الى مدينة « القصر » Alcazar de San Juan منها يذهب الخط الحديدي الى الأندلس أى الى جنوبى اسبانية . وسبب تسمية هذه البلدة بالقصر هوأن العرب كانوا بنوا فيها حصناً عظيما ثم لما استرجع الاسبانيول بلاد الأندلس جعل فرسان ماريوحنا مقرّهم فى هذا الحصن واليوم سكان هذه البلدة اثنا عشر ألفاً وفيها معامل لاستخراج البوتاس والسودا لأن هذين المعدنين يوجدان فى جوارها وفيها تجارة عظيمة للخمر . ثم فى نحو الساعة السادسة ونصف الساعة وقف بنا القطار فى « عَرَنْجَو ِيزْ » اه .

وأضيف الى ذلك أنه من بلدة القصر الى الشمال يمر المسافر على بلدة يقال لها « فيلاّ كانا » Villacanas وهى صغيرة ستة أو سبعة آلاف نسمة معيشة أهلها من الغنم وأرضها ليست بِعِذى بل هى تشرب من الجداول ومنها الى الشمال بلدة يقال لها القصر أيضا El Caser وعلى مقربة من هناك أعلى موقع تجرى منه مياه نهر تاجُه ونهر وادى آنة . ثم يصل المسافر الى بلدة يقال لها « قسطيلاّجو » Castillego وفى جوارها معدن الجفصين وبعد ذلك الى الشمال بلدة « قونكة » وقد تقدم ذكرها .

جاء فى جغرافية الشريف الادريسى : من مدينة مرسية الى مدينة بلنسية خمس مراحل ومن مرسية الى جنجالة خمسون ميلاً وقال ان مدينة جنجالة متوسطة القدر حصينة القلعة منيعة الرقعة ولها بساتين وأشجار وعليها حصن حسن ويعمل بها من وطاء الصوف مالا يمكن صنعه فى غيرها باتقان الماء والهواء، ولنسائها جمال فائق . ومن جنجالة الى قونكة يومان وهى مدينة أزلية على منقع ماء مصنوع قصداً ولها سور وليس لها ربض ويصنع بها من الأوطية المتخذة من الصوف كل غريبة اه

وكثرة الصوف فى تلك الجهات جعلت صناعة هذه الأوطية غاية فى الاتقان. ثم انه من عرنجويز الى مجريط مسافة خمسين كيلو متراً

شاطبة Jativa

هى على مسافة ٥٦ كيلو متراً من بلنسية ليس فيها اليوم أكثر من ١٣ ألف نسمة ولها موقع بديع الى الشمال بحذاء جبل «برنيسا» وفيها جندل عظيم مشقوق وعلى كل من شقيه حصن. والبلدة ايبيرية وكان الرومانيون يقولون لها « سيتابيس » Soetabis وكان فيهامركز أسقفية فى زمان القوط وقد استرجعها من أيدى المسلمين جاك الأول ملك أراغون وذلك سنة ١٢٤٤ للمسيح ومن هذه البلدة خرج الفونس بورجيا Borjia وجاء الى ايطالية مستشاراً للملك الفونس الأول صاحب نابولى . ثم انه فى سنة ١٤٥٥ انتخب هذا الرجل لكرسى البابوية وسمى كالكستس الثالث وكان هو المؤسس للعائلة الشهيرة آل بورجيا Borgia ومن هذه العائلة خرج رودريق بورجيا المولود فى شاطبة سنة ١٤٣١ وهو الذى صعد على عرش البابوية باسم اسكندر السادس وكان له تاريخ طويل عريض وأحوال فى سيرته الشخصية لامحل هنا للاشارة اليها لخروجها عن موضوع هذا الكتاب . وكان له ولد اسمه يوحنا ولد بغير صورة شرعية لأبيه البابا اسكندر. ويوحنا المذكور هو أصل العائلة المسماة عائلة دوق غانديا ، ومن هذه العائلة خرج كثير من آباء الكنيسة الكاثوليكية أشهرهم القديس فرنسيس بورجيا

وقد جاء فى الانسيكلوبيدية الاسلامية عن شاطبة مايلى محصَّله : ان ارتفاع شاطبة عن سطح البحر لا يزيد على ١١٥ متراً وسكانها اليوم لا يزيدون على اثنى عشر ألفاً وكانت فى القرون الوسطى مشهورة بمعامل الكاغد يحمل منها الى كل اسبانية والى مصر ولا يزال مخطوطات كثيرة يعرف ورقها بالورق الشاطبى ويقال له فى المغرب الشاطبى وهو نوع من الورق معروف . وبقيت فى شاطبة آثار من زمان الرومان. ونقل المقّرى فى النفح أبياتاً لأبى عامر البُريانى يصف فيه التمثال الذى كان بشاطبة (تقدم ذكر هذه الأبيات) وشاطبة بموقعها الطبيعى كانت من أعظم حصون الأندلس فكانت قابضة من أعالى صخرتها على ناصية ذلك المرج الفسيح الخصيب الذى بحذائها ولا تزال بقايا حصن شاطبة تدل على عظمة أثرية عظيمة بالرغم مما شال الاسبانيول وحطّوا

منذ استرجاعهم اسبانية الى اليوم . وقد ذكر أبو الفداء ثلاثة متنزهات في شاطبة « البطحة » و « الغدير » و « العين الكبيرة » ولما كانت شاطبة على مقربة من بلنسية كان لا بد لها من أن تشاطر حظ بلنسية في مصيرها السياسي وكانت هي المدينة الثانية في الخطة البلنسية وكان أهلها في زمان العرب أكثر جداً مما هم اليوم وبقيت طول مدة الخلافة الأموية ليس لها كبير ذكر الى أن انحلت الخلافة وتولاها حفيد الحاجب الشهير المنصور بن أبي عامر وهو عبد العزيز بعد الصقلبيين المبارك والمظفر . ولما استولى القادر بن ذى النون على شاطبة بمعاونة ملك قشتالة أراد أن يستولي على شاطبة فساق اليها جيشاً فرجع عنها بخفى حنين وجاء المنذر بن المقتدر ابن هود ملك لاردة ودانية وطرطوشة فحمى شاطبة مدة من الزمن ثم وقعت في يد ابن تاشفين سلطان المرابطين بعد وقعة الزلاقة . ثم استولى على شاطبة جاك الأول ملك أراغون سنة ١٢٣٩ المسيحية فأخرج المسلمين منها جميعاً سنة ١٢٤٧ اه

وقال الشريف الادريسي في نزهة المشتاق : ومدينة شاطبة مدينة حسنة ولها قصاب يضرب بها المثل في الحسن والمنعة ويُعمل بها من الكاغد مالا يوجد له نظير بمعمور الأرض ويعم المشارق والمغارب اه .

ثم ان صاحب نفح الطيب ذكر شاطبة فقال : فمن أعمال بلنسية شاطبة التى يضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذى لانظير له ثم قال في محل آخر :

نعم ملقى الرحل شاطبة لفتىً طالت به الرُحَلُ
بلدة أوقاتها سحرٌ وصَباً في ذيله بللُ
ونسيم عرفه أرِجٌ ورياض غصنها ثَمِلُ
ووجوه كلها غررٌ وكلام كله مثلُ

وقال ياقوت في المعجم : شاطبة بالطاء المهملة والباء الموحدة مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة وهي مدينة كبيرة قديمة قد خرج منها خلق من الفضلاء ويُعمل الكاغد الجيد فيها ويحمل منها الى سائر بلاد الأندلس. يجوز أن يقال ان

اشتقاقها من الشطبة وهي السَعَفَة الخضراء الرطبة ، وشطبت المرأة الجريدة شطباً إذا شققتها لتعمل حصيراً والمرأة شاطبة قال الأزهري : شطب إذا عدل ، ورمية شاطبة عادلة عن المقتل . وممن ينسب إلى شاطبة عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة أبو محمد السعدي الأندلسي الشاطبي قال ابن عساكر : قدم دمشق طالب علم وسمع بها أبا الحسين ابن أبي الحديد وعبد العزيز الكتّاني ورحل إلى العراق وسمع بها أبا محمد الصريفيني وأبا منصور بن عبد العزيز العكبري وأبا جعفر بن مسلمة وصنّف غريب حديث أبي عبد الله القاسم بن سلام على حروف المعجم وجعله أبواباً وتوفي في شهر رمضان سنة ٤٦٥ في حوران .

ومنها أيضاً أحمد بن محمد بن خلف بن محرز بن محمد أبو العباس المالكي الاندلسي الشاطبي المقرىء قدم دمشق وقرأ بها القرآن المجيد بعدة روايات وكان قرأ على أبي عبد الله الحسين بن موسى بن هبة الله المقرىء الدينوري وأبي الحسن علي بن مكوّس الصقلي وأبي الحسن يحيى بن علي بن الفرج الخشّاب المصري وأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد المالكي المحاربي المقري وصنف كتاب المقنع في القراءات السبع قال الحافظ أبو القاسم : وأجاز في مصنّفاته وكتب سماعاته سنة ٥٠٤ وكان مولده في رجب سنة ٤٥٤ بالأندلس وقال أبو بحر صفوان بن أدريس المرسي في وصف شاطبة :

شاطبة الشرق شرُّ دارٍ ليس لسكانها فلاحُ
الكسب من شأنهم ولكن أكثر مكسوبهم سُلاحُ

(بضم السين) اه .

قلنا ليس اشتقاق شاطبة من الشطبة ولا من الشطب فان هذا عربي واسم شاطبة في أصله ليس بعربي اذ كان الرومانيون يقولون لهذه البلدة « سيتابي » فلما جاء العرب وكان يغلب عليهم تحويل السين الى الشين حرّفوها الى شاطبة تبعاً للأوزان العربية

وقال القلقشندي في صبح الأعشى : مدينة شاطبة بفتح الشين المعجمة وألف بعدها طاء مهملة مكسورة ثم باء موحدة مفتوحة وهاء في الآخر هي مدينة عظيمة لها معقل في غايه الامتناع وعدة مستنزهات منها البطحاء والغدير والعين الكبيرة واليها ينسب

الشاطبي صاحب القصيدة فى القراآت السبع وقد صارت الآن مضافة الى ملك برشلونة فى يد صاحبها اه . وكان صاحب صبح الأعشى من أهل أواخر القرن الثامن للهجره أى أنه لما كتب صبح الأعشى كان قد مضى على سقوط شاطبة فى أيدى أصحاب أراغون وبرشلونة نحو من مائة وثمانين سنة

وأهم شارع فى شاطبة هو المسمّى بشارع منكادة منه يفيض المسافر الى المكان الذى يقال له «اوفالو» Ovalo فيرى العين المسمّاة «عين الخمسة والعشرين ميزاباً» وفيها كنيسة اسمها «سان فليو» San Feliu وهى كنيسة قديمة طرز بنائها عربي وبالقرب منها دير اسمه «مونت سانت» فيه صهريج من زمان العرب . وأما أعجوبة شاطبة فهى الحصن المشرف عليها كانوا يعتقلون فيه مشاهير الرجال ومن جملة من اعتقل فيه ورثة تاج أراغون عندما اعتدى عليهم شانجُه الرابع سنة ١٢٨٤ ثم دوق كالبره ولى عهد نابولى فى زمان فرديناند الكاثوليكى زوج ايزابلا

ومن شاطبة يذهب الخط الحديدى الى الجنوب الغربى فيدخل فى وادى منتيشة ويقطع النهر على جسر طوله ٥٦ متراً ثم يمر على الكدية ومنتيشة وعلى بلاد أخرى من جملتها البونت كما تقدم الكلام عليه ومن هناك الى مجريط

من انتسب الى شاطبة من أهل العلم

منهم أبو الربيع سليمان بن مُنخَّل النفزى صحب أبا عمر بن عبد البر وكان فقيهاً حطيباً توفى سنة ٤٥٦ ذكره ابن بشكوال فى الصلة نقلاً عن ابن مدير

وسيّد بن أحمد بن محمد الغافقى أبو سعيد نزل شاطبة سمع بقرطبة من أبى محمد الأصيلى وأبى عمر بن المكوى كان من أهل الأدب أخذ عنه أبو القاسم بن مدير وتوفى سنة ٤٥٤

وأبو زكريا يحيى بن أيوب بن القاسم الفهرى روى عن أبى الحسن طاهر بن مفوّز

ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٥ وحج وأخذ عن أبي العز الجوزى وغيره بمكة ترجمه ابن بشكوال فى الصلة

وأبو الحجاج يوسف بن القاسم بن أيوب الفهرى حدّث عن أبي الحسن طاهر ابن مفوّز وعن غيره وكان ثقة فى روايته وروى الناس عنه وهو من بيت نباهة وديانة

وأبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن جحدر الأنصارى روى عن أبي الحسن طاهر ابن مفوّز وأبي عبد الله محمد بن سعدون وغيرهما وكان حافظاً للفقه بصيراً بالفتوى ثقة ضابطاً واستقضي ببلده شاطبة وتوفى مصروفاً عن القضاء سنة ٤١٥

وأبو عبد الرحمن حيدرة بن مفوّز بن أحمد بن مفوّز بن عبد الله بن مفوّز بن غفول ابن عبد ربه بن صواب بن مدرك بن سلاّم بن جعفر الداخل إلى الأندلس المعافرى سمع أخاه أبا الحسن الطاهر بن مفوّز وكان من عباد الله الصالحين يحسن تعبير الرؤيا وابنه أبو بكر محمد بن حيدرة من مفاخر الأندلس ترجمه ابن الأبّار فى التكملة

وأبو القاسم خلف بن محمد بن غفول الشاطبى كان من أصحاب طاهر بن مفوّز المختصّين به وسمع من غيره وانتقل إلى فاس فسكنها إلى أن توفى بها بعد سنة ٥٢٠ قاله ابن بشكوال

وأبو بكر يبش بن عبد الله بن يبش القاضى بشاطبة فقيه محدّث عارف عدل فى أحكامه مُعان على تغيير المنكر قال ابن عميرة فى بغية الملتمس : صحبته فحمدته توفى بعد الثمانين وخمسمائة

وأبو حامد شاكر بن خيرة العامرى مولى لهم نشأ بشاطبة وقرأ على أبي عمرو المقرئ وتوفى بعد السبعين والأربعمائة رواه ابن بشكوال عن ابن مدير

وأبو الحسن طاهر بن مفوّز بن أحمد بن مفوّز المعافرى روى عن أبي عمر بن عبد البر الحافظ الكبير واختص به وهو أثبت الناس فيه وسمع من أبي العباس العذرى وأبي الوليد الباجى وأبي شاكر الخطيب وأبي الفتح السمرقندى وغيرهم عني بالحديث

عناية كاملة وشهر بحفظه واتقانه وكان حسن الخط جيد الضبط مع الفضل والصلاح والورع والانقباض والتواضع وله :

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير البريّه
اتّق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملنّ بنيّه

وهارون بن أحمد بن عات من أهل شاطبة فقيه عارف من أهل بيت جلالة وعلم توفى بعد الخمسمائة عن بغية الملتمس لابن عميرة الضبّى

وخلف بن موسى بن أبي تُليد الخولانى واسم أبي تُليد خصيب بن موسى من أهل شاطبة وهو جد أبي عمران بن أبي تُليد سمع من عبد الوارث بن سفيان بقرطبة وحدّث عنه ابنه أبو المطرّف عبد الرحمن ذكره ابن الدبّاغ وقرأه ابن الأبّار بخط ابن حُبيش

وأبو القاسم خلف بن مفرج بن سعيد الكنانى من أهل شاطبة يعرف بابن الجنّان روى عن أبي الوليد الباجى وأبي عبد الله بن سعدون القروى وأبي الحسن طاهر بن مفوّز وولّى القضاء باحدى الكور الشرقية لأبي أميّة بن عصام وكان فقيهاً مشاوراً حدّث ودرّس ببلده روى عنه عبد الله بن مغاور وأبو محمد بن مكى وغيرهما

وأبو محمد طلحة بن يعقوب بن محمد بن خلف بن يونس بن طلحة الأنصارى من أهل شاطبة وأصله من جزيرة شقر روى عن أبيه وغيره وكان كاتباً بليغاً شاعراً أخذ عنه الخطيب أبو محمد بن برتله وغيره وتوفى فى رمضان سنة ٦١٨ عن ابن الأبّار فى التكملة

والطيّب بن محمد بن عبد الله بن مفوّز بن غفول المعافرى سمع من أبيه كثيراً ورحل إلى قرطبة فسمع من مشيخة وقته كالقاضى أبي عبد الله بن مفرّج ومسلمة ابن بُترى وغيرهما نقله ابن الأبّار من خط طاهر بن مفوّز

وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن مُعافى روى عن أبي عبدالله بن الفخّار وعن أبي عمر بن عبد البر وله رحلة الى المشرق حج فيها وصحب العلماء وأخذ الناس عنه

وتوفى سنة ٤٥٤ وقيل ٤٥٣ وتولّى غسله والصلاة عليه أبو محمد بن مفوّز الزاهد

وأبو محمد عبد الله بن مفوّز بن أحمد بن مفوّز المعافرى روى عن أبى عمر بن عبد البر كثيراً ثم زهد فيه لصحبته السلطان وأخذ عن أبى العباس العذرى وأبى تمام القطينى وكان من أهل العلم والفهم والصلاح والورع والزهد مشهوراً بذلك توفى سنة ٤٧٥ ترجمه ابن بشكوال

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن دُرّى التجيبى المعروف بالركلى (نسبة الى ركلة من قرى الثغر الأعلى) سكن شاطبة روى عن أبى الوليد الباجى وأبى مروان بن حيّان وغيرهما وكان من أهل الأدب قال ابن بشكوال : وسمع منه أصحابنا ووثّقوه وتوفى سنة ٥١٣ وقد ترجمه أيضاً ابن عميرة فى بغية الملتمس

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أيوب الفهرى سمع من أبى الحسن بن مفوّز ومن أبى الحسن ابن الروش وسمع من جماعة من شيوخ شرق الأندلس وسمع بقرطبة. قال ابن بشكوال : وحدثنا بحديث مسلسل عن أبى الحسن طاهر بن مفوّز وأخذ عنه الناس فى كل بلد قدمه ووفاته بشاطبة فى شعبان سنة ٥٣٠ أخبرنى بوفاته أبو جعفر ابن بقاء صاحبنا وذكر لى أنه شاهدها اه .

وعبد الله بن يوسف بن ملحان كان خيّراً فقيهاً رفيعاً عند أهل بلده شاطبة تولّى القضاء عندهم وتوفى عند الثلاثين والأربعمائة نقله ابن بشكوال عن ابن مدير

وأبو محمد عبد الله بن أيوب الشاطبى الفهرى فقيه محدّث توفى بشاطبة سنة ٥٣٠ وقد قارب السبعين ذكره ابن عميرة فى بغية الملتمس

وأبو المطرّف عبد الرحمن بن خلف بن موسى بن أبى تُليد روى عن أبى عبد الله ابن الفخّار وسمع كثيراً من أبى عمر بن عبد البر وتوفى سنة ٤٧٥ بحسب قول ابن مدير وقال أبو عمران ابن المترجم انه توفى سنة ٤٧٤

وأبو محمد عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ثابت الأموى الخطيب بالمسجد الجامع بشاطبة روى عن أبى عمر بن عبد البر وعن أبى العباس العذرى وكان رجلاً فاضلاً

زاهداً ورعاً منقبضاً قال ابن بشكوال : سمع منه جماعة من أصحابنا ورحلوا اليه واعتمدوا عليه ووصفوه بما ذكرنا من حاله وقال لى بعضهم توفى سنة ٥٠٩ وقال ابن عميرة فى « البغية » انه توفى سنة ٥١٠ ومولده سنة ٤٤٦ وقال لى أبو الوليد صاحبنا وأملاه علىّ : قال لى أبو محمد الخطيب هذا : زارنا أبو عمر بن عبد البر فى منزلنا فأنشد وأنا صبىّ صغير فحفظته من لفظه:

ليس المزار على قدر الوداد ولو كانا كفيّين كنا لانزالُ معا

وأبو الاصبغ عبد العزيز بن عبد الله بن الغازى من أهل شاطبة حدَّث بالمرية وتوفى بها سنة ٤٩٣ وكان قد سمع من طاهر بن مفوَّز ومن أبى الوليد الكنانى وأجاز له ابن عبد البرّ

وأبو الحسن على بن سيد بن احمد الغافقى روى عن أبى القاسم بن عمر وتوفى سنة ٤٧٥

وأبو الحسن على بن عبد الرحمن بنى أحمد الأنصارى المقرىء المعروف بابن الروش من أهل شاطبة أصله من قرطبة روى عن أبى عمرو المقرى وعن أبى عمر بن عبد البَر وغيرهما وأقرأ الناس القرآن وأسمعهم الحديث وكان ثقة ثبتاً ديناً فاضلاً قال ابن بشكوال فى الصلة : قرأت بخط القاضى أبى عبد الله بن أبى الخير توفى المقرى أبو الحسن بشاطبة يوم الاربعا ودفن يوم الخميس لأربع خلون من شعبان سنة ٤٩٦

وأبو الحسن عبّاد بن سرحان بن مسلم بن سيّد الناس المعافرى من أهل شاطبة سكن العدوة وكان روى ببلده عن طاهر بن مفوَّز ورحل الى المشرق حاجاً وأخذ بمكة عن أبى الحسين المبارك بن الصيرفى وأبى محمد رزق الله التميمى وأبى بكر ترخان وأجاز له أبو عبد الله الحُميدى. قال ابن بشكوال : قدم علينا قرطبة سنة ٥٢٠ فسمعنا منه وأجاز لنا بخطه ماروا وكانت عنده فوائد وكان يميل الى مسائل الخلاف ويدّعى معرفة الحديث ولا يحسنه عفا الله عنه وكان مولده سنة ٤٦٤ وتوفى بالعدوة فى نحو سنة ٥٤٣

وأبو عامر محمد بن أحمد بن عامر الشاطبى وكان لغوياً أديباً نحوياً محدثاً ألَّف كتباً

كثيرة فى اللغة والأدب والتاريخ والحديث قال ابن عميرة فى بغية الملتمس : حدثنى عنه أبو محمد عبد المنعم بن محمد قال جالسته وناولنى بعضها

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عياض الشاطبى فقيه محدّث يروى عن القاضى أبى على بن سكّرة .

وموسى بن عبد الرحمن بن خلف بن أبى تُليد فقيه حافظ محدّث مشهور روى عن عمر بن عبد البَر ويروى عنه أبو الوليد بن الدبّاغ الحافظ مولده سنة ٤٤٤ وتوفى سنة ٥١٧ .

وأبو بكر محمد بن حيدرة بن أحمد بن مفوّز المعافرى روى عن عمه أبى الحسن طاهر بن مفوّز وأبى على حسين بن محمد الغسّانى وعن أبى مروان بن سراج وأبى عبد الله ابن فرج الفقيه وأجاز له القاضيان أبو عمر بن الحذّاء وأبو الوليد الباجى وكان حافظاً للحديث وعلله عارفاً بأسماء رجاله متقناً لما كتبه وكان من أهل المعرفة بالأدب والعربية وأسمع الناس بالمسجد الجامع بقرطبة وأخذوا عنه وتوفى فى ربيع الآخر سنة ٥٠٥ ودفن بالربض وكان مولده سنة ٤٦٣ عن ابن بشكوال .

وأبو عامر محمد بن حبيب بن عبد الله بن مسعود الأموى روى عن أبى الحسن ابن مفوّز وأبى داود المقرى وأبى عبد الله بن سعدون القروى قال ابن بشكوال : كتب الينا باجازة ما رواه بخطه وسمع منه أصحابنا ووصفوه بالجلالة والنباهة والفضل والديانة وتوفى بشاطبة سنة ٥٢٨ .

وأبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن خلف بن موسى بن أبى تليد روى عن أبى عمر بن عبد البَر وكان فقيهاً مفتياً ببلده شاطبة أديباً شاعراً ديّناً فاضلًا. قال ابن بشكوال: أنشدنا صاحبنا أبو عمرو زياد بن محمد قال أنشدنا أبو عمران لنفسه :

حالى مع الدهر فى تقلّبه كطائر ضمّ رجله شركُ
همّـه فى فكاك مهجته يروم تخليصها فتشتبـك

حدّث عنه جماعة من أصحابنا ورحلوا اليه ووثّقوه وكتب الينا باجازة ما رواه. وتوفى رحمه الله فى ربيع الآخر سنة ٥١٩ ومولده سنة ٤٤٤ .

وأبو عبد الرحمن مطرّف بن ياسين سمع من ابن عبد البَر وابن معافى وأبى محمد ابن مفوّز وعُنى بالقرآن والحديث وتوفى سنة ٤٨١ وقد قارب السبعين ترجمه ابن بشكوال:

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مفوز بن غفول بن عبد ربه بن صواب بن مدرك ابن سلاّم بن جعفر الداخل الى الأندلس المعافرى من أهل شاطبة رحل الى قرطبة لازم أبا الحزم وهب بن مسرّة وسمع منه سماعاً كثيراً وأجاز له ولما ودعه قال له : أوصنى . قال له : أوصيك بتقوى الله العظيم وحزبك من القرآن وبر الوالدين . ثم رحل الى المشرق حاجاً فكتب بالقيروان عن أبى العباس بن أبى العرب ثم سار الى بلده شاطبة فكان منقطع القرين فى الزهد والعبادة متقللاً من الدنيا كثير الصلاة والصوم دأوباً على تلاوة كتاب الله وكان مجاب الدعوة اشتهر بذلك توفى رحمه الله سنة عشر أو أول سنة ٤١١ وقد قارب المائة نقل ابن الأبار خبره من خط طاهر ابن مفوّز وعن ابن عبد السلام الحافظ وقال ان ابن بشكوال جعله من أهل قرطبة وغلط فى ذلك

وأبو عبد الله محمد بن أيوب بن القاسم الفهرى سمع أبا الحسن طاهر بن مفوّز وصحبه وأحضر ابنه أبا محمد عبد الله للسماع معه وذلك بمسجد ابن وضّاح من شاطبة سنة ٤٨٣ وله سماع كثير من طاهر وكان نبيها فاضلاً قاله ابن الأبار

وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن على بن خَلَصَةَ المعافرى سمع من أبى عمر بن عبد البَر ونظرائه ورحل حاجاً فلقى بمكة أبا الحسن على بن المفرّج الصقلى وسمع منه صحيح البخارى ولقى بها أيضاً أبا محمد هيّاج الحطّينى فأخذ عنه كتاب الزهد لهنّاد بن السرى وذلك فى سنة ٤٦٤ ثم لقى بالاسكندرية أبا القاسم شعيب بن سبعون العبدرى الطرطوشى سنة ٤٦٩ فسمع منه بها مشاهد ابن اسحق وصدر الى الأندلس وأخذ عنه الجِلّة مثل أبى الحسن طاهر بن مفوز وأبى اسحق بن جماعة وأبى الحجاج بن أيوب وغيرهم وتوفى فى نحو التسعين والاربعمائة نقل ذلك ابن الأبار عن ابن عيّاد ومن خط طاهر بن مفوّز

وأبو عبد الله محمد بن على بن أحمد بن محمد الأنصارى يعرف بابن الصيقل صحب طاهر بن مفوز وأبا عبد الله بن سعدون وأبا على الجيّانى ودخل سجلماسة فسمع بها من

ابى محمد بن الفرديس صاحب أبي ذر الهروى وتوفى بمدينة فاس بعد سنة خمسمائة ذكره ابن الأبار

وأبو عبد الله محمد بن خلف روى عن أبي الحسن بن الدوش وغيره ذكره ابن الأبار فى التكملة كما ذكر أكثر هؤلاء

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عياض المخزومى يعرف بالمنتيشى نسبة الى قرية مصاقبة لشاطبة أخذ القراءات عن أبي داود المقرى وأبى الحسن بن الدوش وغيرهما وسمع الحديث من أبي على الصدفى وأبى بكر بن العربى وغيرهما وأخذ عن أبي بكر بن مفوّز وتصدّر للاقراء بشاطبة فأخذ عنه الناس وكان عالماً بتفسير القرآن يقعد لذلك فى كل جمعة مع الحظ الوافر من البلاغة وتوفى بشاطبة سنة ٥١٩ وسنه فوق الأربعين قال ابن الأبار : ونسبة المقامة العياضية اليه غلط إنما هى لمحمد بن عيسى بن عياض القرطبي .

وأبو عبد الله محمد بن منخّل يعرف بالحداد صحب طاهر بن مفوز وأكثر عنه ذكره ابن الدبّاغ فى شيوخه وترجمه ابن الأبار فى التكملة

وأبو عبد الله محمد بن عبدالملك بن منخّل بن محمد بن مشرّف النفزى أخذ بقرطبة عن أبي القاسم بن النحاس قراءة نافع وقرأ التيسير لأبى عمرو المقرئ على أبي محمد ابن سعدون الوشقى الضرير ولما اجتاز أبو على الصدفى بشاطبة الى غزوة كُتَنْدَة التى فُقد فيها أخذ المترجم عنه

وأبو عبدالله محمد بن مغاور بن حكم بن مغاور السلَمى من أهل شاطبة وأصل سلفه من غرب الأندلس روى عن أبيه وأبى جعفر بن جحدر وأبى عمران بن أبى تُليد وأبى على الصدفى وأبى محمد الركلى وأبى بكر بن العربى وأبى القاسم بن الجنّان وأبى الوليد ابن قيرون اللاردى وغيرهم وأجاز له ابن الدوش وابن ورد وكان فقيهاً عالماً بصيراً بعقد الشروط رأساً فى الفتوى وصدراً فى أهل الشورى يتحقق بالفقه ويشارك بالحديث والأدب مع الحلم والوقار توفى ثامن شوال سنة ٥٣٦ وهو ابن ثمان وخمسين سنة

وأبو عبد الله محمد بن على بن خلف بن أبى الفرج التجيبى المقرئ أخذ القراءات

عن ابن شفيع وبعضها عن ابن الدوش وروى عنه ابنه عبد الله وتوفى فى ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ومولده حول سنة ٤٦٠

وأبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن أبى العاصى النفزى الضرير يكنّى بابن اللاّيه أخذ القراءات عن أبى عبد الله بن سعيد بدانية وتصدر ببلده للاقراء. قال ابن الأبار : ومنه أخذ شيخنا أبو عبد الله بن سعادة المعمَّر وأبو محمد قاسم بن فيره وقال فيه القاضى أبو بكر مفوز بن مفوز هو من شيوخى فى القرآن وكان من أهل الدين والفضل والمعرفة بالقراءات وطرقها

وأبو بكر محمد بن عبد العزيز بن يونس بن ميمون اليحصبى سكن شاطبة وهو من « أُنْتُنْيَان » من عملها وكان ينسب اليها له رحلة الى الشرق حج فيها روى بيتين لبعض المصريين لا بأس بنقلها

أكثرت من زوره فملَّك وزدت فى الوصل فاستقلَّك

لو كنت ممن يزور غِبًّا آثر فى قلبه محلَّك

وأبو عامر محمد بن على العكّى ويعرف بابن مُنْكَرَال روى عن ابن الدوش وابن أبى تُليد وأبى محمد الركلى وأبى على الصدفى وكان شيخاً صالحاً معنياً بالآداب والأخبار ثقة عدلاً وعنه أخذ أبو بكر بن مفوز وكان من المعرفة والديانة بمكان وتوفى بشاطبة سنة ٥٤١ عن ابن الأبار

وأبو عامر محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن اليحصبى من أهل شاطبة يعرف بابن حنان سمع أبا عمران بن أبى تُليد وأبا جعفر بن جحدر وأبا على بن سُكَّرة فى اجتيازه بهم غازياً الى كتُندة وأبا الحسن طارق بن يعيش فى بلنسية وكانت له نباهة فى بلده وعناية بالرواية ولم يذكر ابن الأبار سنة وفاته

وأبو عامر محمد بن يحى بن محمد بن خليفة بن يَنّق قرأ القرآن على أبى عبد الله محمد بن فرج المكناسى وسمع الحديث من أبى على الصدفى ورحل الى قرطبة فروى بها عن أبى الحسين بن سراج وطبقته ومال الي الأدب والعربية والعروض فمهر فى ذلك وبلغ الغاية من البلاغة فى الكتابة والشعر ولقى أبا العلاء بن زهر فلازمه مدة

وأخذ عنه علم الطب وحذا حذوه فمال الناس اليه وساعده الجد فبعد صيته فى الطبمع المشاركة فى علوم عدّة وكان محبباً فى بلاده معظماً جميل الرواء وافر المروءة ماباع شيئاً قط ولااشترى مباشراً ذلك بنفسه كثير اللزوم لداره مشتغلاً بالعلم وله تأليف كبير فى الحماسة وآخر فى ملوك الأندلس والأعيان والشعراء بها وأنشأ خطباً عارض بها ابن نباتة حدّث عنه أبو عبد الله المكناسى توفى آخر سنة ٥٤٧ ومولده سنة ٤٨٢ نقل ابن الأبّار أكثر أخباره هذه عن ابن سفيان

وأبو عامر محمد بن عبد الله بن خاف بن سوار من أهل شاطبة سكن دانية له رواية عن الأستاذ أبي الحسن الشقّاق أحد أصحاب أبى عمر بن عبد البر وكان أديباً شاعراً من بيت نباهة. وأدب ترجمه ابن الأبار :

وأبو عبد الله محمد بن سليمان بن سليمان بن خلف النفزى يعرف بابن بركة سمع ببلده شاطبة من أبي عمران بن أبي تُليد وأبى محمد بن ثابت وأبى جعفر بن جحدر وأبي جعفر بن غزلون وأبى القاسم بن الجنّان ، ورحل فى شبابه الى مرسية فسمع بها من أبى على الصدفى وأخذ عن أبى الحسين مفاوز بن حكم القراءات السبع وكان فقيهاً حافظاً للمسائل بصيراً بالفتوى نافذاً فى عقد الشروط يسرد متون الأحاديث ويستظهر المقدمات لابن رشد تولّى خطة الشورى ببلده ورأس فيها . قال ابن عيّاد : سمعت ابن الدبّاغ أباالوليد يقول : أبو عبد الله بن بركة حافظ للمسائل فذكرت ذلك لابن بركة فسُرّ به وترحّم على أبى الوليد . وكان المترجم متقالاً من الدنيا على كثرة ما نال منها مقتصراً على بُلغة كانت بيده ورثها عن أبيه محبباً الى الخاصة والعامة. قال ابن الأبّار : حدّثنا عنه من شيوخنا عبد الله بن سعادة المعمّر وابن أخيه أبو عبد الله محمد بن أحمد النحوى توفى سنة ٥٥٢ على رواية ابن سفيان وقال ابن عياد محمد توفى سنة ٥٥٣ لأربع مضين من جمادى الأولى منها ومولده فى جمادى الأولى سنة ٤٨١ .

وأبو بكر محمد بن عبد الله بن سفيان بن سيدا له التجيبي من أهل شاطبة أصله من قونكة روى عن أبى القاسم بن الجنّان وأبى الوليد بن الدبّاغ وغيرهما وتفقّه بصهره أبى بكر بن أسد ولازمه وبأبى عبد الله بن مغاور وكتب اليه أبو بكر بن العربى وكان

عارفاً بالأخبار حافظاً لأسماء الرواة له مجموع فى رجال الأندلس وصل به كتاب ابن بشكوال ذكر ذلك ابنه أبو محمد عبد الله وسمّاه فى مشيخته وقال توفى سنة ٥٥٨

وأبو عبد الله محمد بن خلف بن عبد الرحمن من أهل شاطبة يعرف بالسلجماسى ، روى عن أبى إسحق بن جماعة وكانت له رحلة حج فيها ولقى بالاسكندرية أبا القاسم ابن جَارة فحمل عنه كتاب المصابيح لأبى محمد الخراسانى ذكره ابن عيّاد وقال لم يكن له اعتناء بالحديث توفى بشاطبة سنة ٥٦١ ومولده ببلنسية لسبع بقين من شوال سنة ٥٠٤ قاله ابن الأبار :

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن فرج بن سليمان بن يحيى بن سليمان ابن عبد العزيز القيسى من أهل شاطبة يعرف بابن تريس ويشهر بالكناسى سمع من أبى على الصدفى وأبى زيد بن الورّاق وأبى القاسم بن الجنّان وأبى عمران بن أبى تُليد وغيرهم وأجاز له أبو بكر بن العربى وأبو الوليد بن رشد وأبو الحسن بن شفيع وأبو القاسم بن ورد وطارق بن يعيش ومن أهل المشرق أبو المظفّر الشيبانى وأبو على ابن العرجاء وروايته متسعة وله فى شيوخه مجموع سماه التعريف وقد سمع من ابن الدبّاغ وحمل عن أبى اسحق بن خفاجة منظومه ومنثوره حدّث عنه أبو الحجاج بن أيوب وأثنى عليه أبو عمر بن عياد ووصفه بالتقلل من الدنيا وقال انه توفى يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة أو اثنتى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٥٦١ وقد قارب السبعين وروى ابن سفيان أن السلفى والمازرى وغيرهما من أهل مصر والشام والحجاز كتبوا اليه ذكره ابن الأبار

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أبى العيش اللخمى من أهل طرطوشة سكن شاطبة يعرف بابن الاصيلى أخذ القراءات عن أبى على منصور بن خير وسمع من أبى عبد الله بن الحاج وأبى عبد الله بن أبى الخصال وأبى القاسم بن ورد وأبى محمد البطليوسى وأبى الحجاج بن يسعون وتصدّر بشاطبة للاقراء والتعليم وكان موصوفاً بالمعرفة والفهم ضعيف الخط حدث عنه أبو الحسين بن جبير سمع منه الموطأ سنة ٥٥٧ وذكره ابن سفيان وقال انه توفى سنة ٥٦٦ وقال محمد بن عيّاد انه توفى سنة ٥٦٧ ومولده

بطرطوشة سنة ٤٩٦

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن الزبير القيسي من أهـل شاطبة يعرف بالاغرشي نسبة إلى بعض أعمالها روى عن أبي محمـد بن جوشن وغيره وولى الصلاة والخطبة بجامع شاطبة وكان موصوفاً بالزهد والخشوع والاخبات والبكاء توفى سنة ٥٦٧ عن ابن الأبار

وأبو الوليد محمد بن عريب بن عبد الرحمن بن عريب العبسي من أهل سرقسطة سكن شاطبة وتولى الصلاة والخطبة بها وقد تقدمت ترجمته في الجزء الثانى من الحلل السندسية وذلك عند الـكلام على من انتسب من أهل العلم إلى سرقسطة

وأبو عمر محمد بن أبي بكر بن يوسف بن عفيون الغافقي روى عن أبي عبد الله بن بركة وأبي محمد بن مكّى وأخذ عن هذا علم الشروط وصحب أباجعفر بن سلاّم وأباالحسين ابن جبير وغيرهما من الأدباء وجمع شعر ابن جبير في صباه وألف كتاباً في عجائب البحر وكتاباً في أخبار الزهاد وتوفى بعد سنة ٥٨٤ ذكره ابن الأبّار

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مطرّف بن أبي سهل بن ياسين النفزى روى عن أبيه أبي زيد عبد الرحمن وغيره وكان معدوداً من الفقهاء والأدباء توفى في العشر الأول من رمضان سنة ٥٩٠ قال ابن الأبار في التـكملة ان جد المترجم وهو مطرّف بن أبي سهل مذكور في الصلة

وأبو عبد الله محمد بن محمد بن مُخْلَد النحوى من أهل شاطبة انتقل من بلده الى غرب الأندلس وله شرح في كتاب الجمل للزجّاجى روى عنه . وما قرأنا في ترجمته أكثر من هذا

وأبو عبد الله محمد بن يحيى بن على بن بقاء اللخمى من أهل شاطبة يعرف بالجنجالى أخذ القراءات عن أبي محمد قاسم بن فيروه الشاطبي قبل رحلته الى المشرق وعن ابن حميد وابن حبيش وأجازوا له وتصدّر للاقراء بشاطبة وممن أخذ عنه القراءات الفقيه الفاضل المتصوّف أبوعبد الله محمد بن أبي الربيع سليمان بن محمد بن عبد الملك المعافرى الشاطبي نزيل الاسكندرية أجاز له في التاسع والعشرين لذى القعدة سنة سبع وستمائة

وأبو بكر محمد بن سليمان بن عبد العزيز بن عمر السُلَمى أخذ عن ابن مغاور وغيره من مشيخة شاطبة وكان من أهل العلم والأدب عدديًا فرضيًّا صاحب مساحة ولى قضاء ألش من كور مرسية وأقرأ مقامات الحريرى وسماه ابن بُرطُله فى شيوخه وكان حسن النظر فى فك المعمّى توفى بشاطبة فى عقب رجب سنة ٦١٢

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن سعادة أخذ القراءات عن أبى الحسن ابن هذيل وأبى بكر بن نمارة وأبى بكر بن سيّد بونُه وغيرهم وأخذ الحديث عن أبى عبد الله بن سعادة وأبى محمد بن عاشر وغيرهما وأخذ العربية واللغة عن ابن النعمة وابن حميد وابن سعد الخير وغيرهم وكان مقرئًا متصدِّراً نحوياً محققاً لغويا أقرأ وأخذ الناس عنه. قال ابن الابار لقيته عند أبى رحمه الله وقد قصده زائراً فأجاز لى جميع روايته بسؤال أبى ذلك منه وتلفَّظ بالاذن فى التحديث عنه وذلك قبل سنة ٦١٢ بعد سماعى من عمه شيخنا المعمَّر أبى عبد الله بن سعادة اهـ وتوفى المترجم سنة ٦١٤

وأبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعادة أخذ القراءات عن أبى الحسن بن هذيل وأبى بكر بن عمارة وأبى عبد الله الدانى وابن النعمة وسمع من أبى عبد الله بن سعادة وأبى حفص بن واجب وأبى محمد بن عاشر وأبى محمد بن عات وكان من أهل الصلاح والقيام على كتاب الله والاتقان للقراءة وأَسَنَّ وأخذ عنه الناس قال ابن الأبار : قدم علينا بلنسية فى أول شوال سنة ٦١٠ فأخذت عنه وأجاز لى مارواه وكان شيخنا أبو الخطاب بن واجب يوثّقه ويثنى عليه ويقول بفضله ويقدم صحبته لابى الحسن بن هذيل وغيره من الشيوخ توفى بشاطبة يوم الثلثاء التاسع من شوال سنة ٦١٤ عن سن عالية بلغت المائة أو أربت عليها يسيراً وهو ممتع بجوارحه كلها مولده سنة ٥١٤ وقيل سنة ٥١٦

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبيد الله النفزى يعرف بابن قَبُّوج أخذ عن ابن هذيل وتفقه بأبى محمد عاشر بن محمد وبابن عات وكان فقيهاً جليلاً حافظاً للرأى والمسائل ثقةً عدلاً روى عنه جماعة منهم ابنه أبو الحسين عبيد الله وتوفى بعد سنة ٦١٦ عن ابن الأبار

وأبو عبد الله محمد بن موسى بن محمد المعروف بالقطيني سمع من أبي الخطاب بن واجب وأبي عمر بن عات وأبي محمد بن حوط الله وغيرهم من شيوخ ذلك الوقت ولقي بمدينة فاس أباالقاسم بن الملجوم وأخذ عن أبي الحسن بن حريق الأدب والعربية وتوفي سنة ٦٢١ قاله ابن الأبار

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن الازدى يعرف بابن صاحب الصلاة سمع كثيراً من ابن هُذيل واحتيج اليه بآخرة من عمره عند انقراض تلاميذ ابن هذيل توفي ببلنسية سنة ٦٢٥ ومولده بشاطبة في صفر سنة ٥٤٢

وأبو القاسم محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الانصارى يعرف بالولي أخذ عن أبيه وعن أبي عبد الله بن سعادة وأبي الخطاب بن واجب وأبي عمر بن عات وأبي جعفر ابن عميرة وأبي القاسم الطرَسُوني وأبي الحسن بن حريق وتصدَّر للاقراء ببلده وأُخذ عنه وتوفي سنة ٦٣٦

وأبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن أبي الحسن الكناني الضرير يعرف بابن الأحدب أخذ عن أبي عبد الله بن نوح وأبي زيد بن ياسين وأبي زكريا بن سيد بونُه الخزاعي وأبي عبد الله بن سعادة وغيرهم واقرأ القرآن دهره كله وكان ضابطاً ماهراً توفي سنة ست أو سبع وثلاثين وستمائة

وأبو عبد محمد بن لب بن محمد بن عبد الله بن حيرة أخذ عن أبي عبدالله القطيني العربية وأقرأها ببلده شاطبة وكانت وفاته فيها في نحو الأربعين وستمائة . هكذا قال ابن الأبّار وقد ترجمه المقّرى في النفح فقال انه حدَّث بالقاهرة وتوفي قريباً من سنة ٦٤٠ وهو أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن بن الصبَّاغ قال : ومن كلامه اشتغالك بوقت لم يأتِ تضييع للوقت الذى أنت فيه

وأبو الحسن مغاور بن حَكم بن مغاور السلمي المكتِّب من أهل شاطبة أصله من غرب الأندلس وحكم أبوه هو المنتقل الى شاطبة أخذ عن أبي الحسن بن الدوش وعن ابن شفيع وأدّب بالقرآن وأقرأ بالسبع وذكّر في مسجده المنسوب بناؤه الى واصل حدَّث عنه ابنه محمد بن مغاور وأبو عبد الله بن بركة وأبو محمد بن مكّي

وغيرهم وتوفى بشاطبة سنة ٥٠٩

وأبو الحسن مكّى بن أيوب بن أحمد بن رشيق التغلبى أصله من بجاية أخذ القراءات عن أبي داود المقرى وأبى عبد الله المغامى وأبى القاسم بن مدير وابن الدوش وابن شفيع وطاهر بن مفوّز أخذ عنه ابنه أبو محمد عبد الغنى بن مكى ولم نطلع على سنة وفاته

وأبو بكر مفوّز بن طاهر بن حيدرة بن مفوّز بن أحمد بن مفوّز المعافرى قاضى شاطبة وهو من أهلها سمع أباه وأبا عامر بن حبيب وأبا اسحق بن جماعة وأبا الوليد ابن الدبّاغ وأبا عبد الله بن سعادة وأبا الحسن بن أبى العيش وأبا عبد الله بن اللايُهْ وأبا محمد عاشر بن عاشر وأبا عبد الله بن مغاور وغيرهم من فحول علماء وقته وكتب اليه فحول آخرون من علماء الأندلس والمشرق مثل ابن مسرّة وابن هُذيل وابن نمارة وابن بشكوال وهؤلاء من الأندلس وأبى الطاهر بن عوف وأبى الفضل بن الحضرمى وأبى الطاهر السانى وأبى القاسم بن جارة ولما تولّى قضاء شاطبة حُمدت سيرته وكان فقيهاً فصيحاً بليغاً جميل الشارة حسن السمت جليل القدر موصوفاً بالبيان والادراك وله حظ من قرض الشعر قال ابن الأبّار : أخبرنا عنه من شيوخنا أبو عامر بن نذير وأبو ربيع بن سالم ومن شعره :

بماذا عسى أن يمدح الورد مادح ... أليس الذى أضحى مُبرًّا على الزهر
حكى لِىَ فى أوراقه وغصونه ... خدود الغوانى تحت أقنعة خضر

وله أيضاً

وقفت على الوادى المنعم دوحه ... فأرسلت من دمعى هنالك وادياً
وغنّت به ورق الحمام عشيّة ... فأذْكرنَ أياما مضت ولياليا

قلت أما البيت الأول فى مدح الورد فهو أشبه بشعر فقيه منه بشعر شاعر . وأما الأبيات الأخرى ولاسيما بيتا الوادى فمن كلام الشعراء المجيدين وفيه رقتهم وجزالتهم . توفى المترجم بشاطبة ضحى يوم الأربعاء الموفى عشرين لشعبان سنة ٥٩٠ ودفن لصلاة العصر منه بمقبرة الربض ومولده سنة ٥١٧ بعد أخيه عبد الله بعام واحد

وأبو محمد عبد الله بن أبي القاسم الحجرى المقرىء قال عنه ابن الأبار انه كان زاهداً فاضلا يقرىء القرآن ويؤم في صلاة الفريضة أخذ عنه أبو عبد الله المكناسي

وأبو محمد عبد الله بن حيدرة بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافرى سمع بقرطبة من أبي الحسن العبسي وبدانية من أبي داود المقرى وأجاز له عمه أبو الحسن بن مفوز سنة ٤٨٢ وسمع من أبي على الصدفى سنة ٥٠١ قال ابن الأبار : وكان عريق البيت فى العلم والنباهة ولا أعلمه حدّث وقدحدث أخواه أبو بكر الامام العلم وطاهر

وأبو محمد عبد الله بن عيسى بن ابراهيم يعرف بابن الأسير صحب أباالحسن طاهر ابن مفوّز وأخذ عن أبي الحسين بن البيّاس وحج فى نحو الثمانين والأربعمائة ثم قفل إلى الاندلس وسمع أبا على الصدفى سنة ٥٠٣ وكان من أهل الصلاح والخير حسن الخط جيد الضبط قال ابن الأبار : ولم أقف على تاريخ وفاته

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن خلف بن موسى بن أبي تُليد الخولانى يعرف بالحصى أخذ القراءات عن ابن الدوش والحديث عن طاهر بن مفوّز وأخذ عن ابن عمه أبي عمران بن تُليد وعن أبي محمد الركلى وأبي عبد الله بن عبد الوارث التدميرى وتصدر لاقراء القرآن بشاطبة حياته كلها وكان فاضلاً مجاب الدعوة وأخذ عنه أبو عمر بن عيّاد وقال ابنه محمد بن عيّاد انه توفى سنة ٥٣٣ وقال ابن الأبّار انه نقل نسب المترجم من خط محمد بن عيّاد

وأبو محمد عبد الله بن على بن أحمد بن على اللخمى سبط أبي عمر بن عبد البر سمع جده أباعمر وأجاز له روايته وتواليفه سنة ٤٦٢ وسمع من أبي العباس العذرى صحيحى البخارى ومسلم ومن أبي الوليد الباجى صحيح البخارى قال ابن الأبار انهما لم يجيزا له شيئاً من روايتهما ولا تواليفهما قال : وقرأت بخط أبي عبد الله بن أبي البقاء أنه روى عن أبي الفتح السمرقندى وهذا أيضاً لم يجزله وتولى قضاء أغمات بالمغرب وأخذ عنه جماعة هناك وعمّر حتى بلغ التسعين وتوفى باغمات وهو يتولى قضاءها سنة ٥٣٢ وقيل سنة ٥٣٣ وهـذه رواية ابن بشكوال فى معجم مشيخته ومولده ببلنسية سنة ٤٤٣

وأبو محمد عبدالله بن يوسف بن أيوب بن القاسم بن بيرة بن عبد الرزاق بن غوصه ابن سليمان بن صالح بن يزيد بن عبد الرحمن بن لبيب الداخل إلى الأندلس القرشى الفهرى سكن دانية وأصله من شاطبة من قرية يقال لها « رغاط » قبلى الفج وتلك القرية نزلها جدهم لبيب وذريته من بعده سمع المترجم من أبيه أبى الحجاج ومن أبى على الصدفى وأبى الحسن طاهر بن مفوّز وأجاز له أبو العباس العذرى وحدّث عنه ابنه يوسف بن عبد الله وغيره وتوفى بدانية يوم عاشوراء سنة ٥٤٨ ومولده فى شوال سنة ٤٦٩.

وأبو محمد عبد الله بن طاهر بن حيدرة بن مفوّز المعافرى من بيت العلم والفضل فى شاطبة أخذ القراءات عن ابن أبى العيش وسمع الحديث من أبيه أبى الحسن طاهر ومن أبى اسحق بن جماعة وأبى الوليد بن الدبّاغ وتفقّه بأبى عبد الله بن مغاور وأبى بكر بن أسد وكتب اليه من الاسكندرية أبو طاهر السلفى فى رمضان سنة ٥٣٦، وكان من أهل المعرفة بالفقه حافظاً لمسائل الرأى بصيراً بالشروط وقوراً رحب الصدر عالى القدر ولى قضاء بلده فحمدت سيرته وجرى على سَنَن سلفه الصالح عدلاً وزكاء وحلماً وأناةً وعفة نفس قال أبو عمر بن عياد : قدم علينا لرية قاضياً عليها من قبل ابن سعد وأفادنا كتاب الامامة لأبى محمد بن مفوّز الزاهد كان يحمله عن أبيه طاهر وكانت وفاته بجزيرة شقر قدمها زائراً لبعض معارفه هناك وكان قاضياً بشاطبة فاحتمل إلى شاطبة ودفن بها إلى جانب سلفه رحمهم الله وأتبعه الناس ثناء جميلا وكانت وفاته سنة ٥٦٧ ومولده سنة ٥١٦ عن ابن الأبّار

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن على بن خلف بن أبى الفرج التجيبى أخذ القراءات عن أبيه أبى عبد الله بن محمد وسمع الحديث من ابن جماعة وابن الدبّاغ وابن سعادة أبى عبد الله وابن أسد أبى بكر وابن عاشر وابن مغاور وأخذ الأدب عن ابن ينّق وأبى جعفر بن عبد الغفور الشاطبى وولّى الأحكام ببعض جهات شاطبة وكان من أهل المعرفة بمسائل القضاء والبصر بالشروط ولد سنة ٥١٢ وتوفى سنة ٥٧٤ عن ابن الأبّار

وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن سفيان التجيبى من أهل شاطبة وأصل سلفه

من قونكة ولذلك يُعرف الواحد منهم بالقونكي سمع جماعة من كبار العلماء مثل ابن الدبّاغ وابن هذيل وابن النعمة وابن سعادة وابن بركة وأبي العرب التجيبي وأبي عامر بن ينّق وأبي محمد المكناسي وأبي العلاء بن الجنّان وأبي الحسن بن سعد الخير فتأدب بهم وتفقّه بهم وبغيرهم من تلك الطبقة العالية وتولّى قضاء لورقة وكان بليغاً مفوّهاً صاحب نظم ونثر توفى فى حدود التسعين وخمسمائة ذكره ابن الأبّار

وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن موسى بن حفص الأنصارى من أهل دانية سكن شاطبة سمع بدانية من أبي بكر أسامة بن سليمان وأبي القاسم بن ادريس وأخذ العربية عن أبي عبد الله التجيبي وعن عمه أبي الحسين يحيي بن عبد الله وسمع باشبيلية من أبي القاسم بن بقيّ موطأ مالك ورحل إلى المشرق فسمع بالاسكندرية ودمشق والموصل جماعة من كبار العلماء منهم أبو عبد الله الحرّانى وأبو نصر الشيرازى وأبو عبد الله المقدسى وأبو اسحق ابراهيم الخشوعى وغيرهم وكتب اليه من مُسنِدى بغداد طائفة منهم أبو صالح الجيلي وأبو القاسم علي بن أبي الفرج الجوزى وكان عنده شعر أبي العلاء المعرّى مسموعاً على أبي اسحق بن أبي اليسر عن والده عن جده عن أبي العلاء نفسه ومال إلى علم الطب وعنى به وكان له حظ من الأدب وكان معاصراً لابن الأبار القضاعى صاحب التكملة الحافظ الشهير والأديب الكبير وقد زكّاه فى التكملة وقال عنه صاحبنا وذكره بالتواضع والطهارة ونزاهة النفس ونباهة البيت وقال انه صاحبه بتونس - وذلك بعد أن استولى العدو على بلنسية وهاجر ابن الأبار إلى تونس - ورحل المترجَم إلى المشرق ثانيةً فى أواخر ذى الحجة سنة ٦٤٥ فتوفى بالقاهرة ظهر يوم الجمعة منسلخ شعبان ودفن يوم السبت بعده مستهل رمضان من سنة ٦٤٦ ومولده قبل التسعين وخمسمائة

وأبو مروان عبد الله بن نجاح بن يسار أخذ القراءات عن ابن الدوش وسمع من أبي على الصدفى فى اجتيازه بشاطبة غازياً إلى كتندة فى صفر سنة ٥١٤ وتصدر للاقراء بشاطبة وأخذ الناس عنه. قاله ابن لأبار

وأبو الحسين بن عبيد الله محمد بن عبيدالله النفزى(١) يعرف بابن قبُّوج روى بشاطبة عن أبيه وعن أبى عمر بن عات وأبى الخطّاب بن واجب وغيرهم وأخذ باشبيلية الفقه عن ابن زرقون ويقول ابن الأبار فى التكملة انه لقيه هنالك سنة ٦١٨ ثم رجع إلى شاطبة فلزم داره واعتزل الناس وأقبل على العبادة ودراسة العلم وكان فى شبيبته جوّد الشعر ثم تنزه عنه زهادة بعد ذلك، وخرج من شاطبة بعد محاصرة الروم إياها وافراجهم عنها على تملك بعضها فركب المترجم البحر من دانية قاصداً بجاية من المغرب الأوسط فتوفى عند وصوله وذلك ليلة الخميس مستهل جمادى الاولى ودفن لصلاة العصر منه سنة ٦٤٢ وكانت له جنازة مشهودة وكان الثناء عليه جميلاً

وأبو المطرّف عبد الرحمن بن عبد الله بن مُعافى القرئ روى عن أحمد بن ثابت التغلبى وروى عنه أبو المطرّف عبد الرحمن بن موسى بن أبى تُليد والد أبى عمران. وروى عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن بن معافى . ذكره ابن بشكوال.

---

(١) بمناسبة « نفزة » نقول انه جاء فى معجم البلدان لياقوت الحموى : نفزة بالفتح ثم السكون وزاى مدينة بالمغرب بالأندلس . وقال السلفى : نِفْزَة بكسر النون قبيلة كبيرة منها بنو عميرة وبنو ملحان المقيمون بشاطبة ينسب اليها أبو محمد عبد الله ابن أبى زيد عبد الرحمن الفقيه النفزى أحد الأئمة على مذهب مالك وله تصانيف . وأبو العباس أحمد بن على بن عبد الرحمن النفزى الأندلسى سمع مشايخنا ودخل نيسابور واصبهان وخرج من بغداد سنة ٦١٣ ودخل شيراز . وأبو عبد الله محمد بن سليمان الميالسى النفزى وهو ابن أخت غانم بن الوليد بن عمرو بن عبد الرحمن المخزومى أبى محمد من الأندلس روى عن خاله مات فى شوال سنة ٥٢٥ ومولده سنة ٤٣٤ . قال أبو الحسن المقدسى : وأبو محمد عبد الغفور بن عبد الله بن محمد بن عبد الله النفزى وله تصانيف مات فى ربيع الآخر سنة ٥٣٩ وأبوه من أهل الرواية مات فى سنة ٥٣٧ انتهى كلام ياقوت

وجاء فى تاج العروس : ونفزة بلدة بالمغرب هكذا نقله الصاغانى. وقال ياقوت فى المعجم : مدينة بالأندلس . وقال شيخنا : وهذا غلط ظاهر إذ لا يعرف ببلاد المغرب

وأبو محمد عبد الرحمن بن مروان العبسى يعرف بابن الطَوْج روى عن ابن عبد البَر وحدّث عنه أبو عبد الله الحوضى المعروف بابن أبى أحد عشر سمع منه كتاب التقصّى لأبى عمر بن عبد البر وذكره ابن بشكوال ووصفه بالصلاح وروى أنه توفى سنة ٥٠٧ وقال ابن الأبّار : أحسبه من أهـل شاطبة .

وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن نزار المرسى قال ابن الأبّار : لعله سكن مرسية ولو كان من شاطبة، روى عن طاهر بن مفوّز ورحل إلى قرطبة فأخذ عن أبى على الغسّانى كتاب التقصّى لابن عبد البر وصحب فى قرطبة القاضى المشهور والحكيم المعروف أبا الوليد بن رشد وأبا محمد بن عتّاب وأبا بحر الأسدى وأبا عبدّ الله بن الحاج وأبا الحسن بن مُغيث وكان علم الرأى أغلب عليه من علم الحديث وولّى خطة الشورى

بلدة يقال لها نفزة وانما المصنّف رأى النسبة اليها فظنها بلدة وهى قبيلة مشهورة من قبائل البربر الذين بالمغرب كما فى البغية فى ترجمة الشيخ أبى حيّان . وقال فى نفح الطيب : وخلص عبد الرحمن الداخل إلى المغرب ونزل على اخواله نفزة وهم قبيلة من برابرة طرابلس انتهى . قلت وهكذا ذكره الحافظ فى « التبصير » ونسب اليها جماعة من المحدثين كالمنذر بن سعيد البلوطى النفزى ذكره الرشاطى، ومحمد بن سليمان المالقى النفزى وعبد الله بن محمد النفزى ذكرهما ابن بشكوال ، ثم قال : ونفزة قرية بمالقة منها ابن أبى العاص النفزى شيخ الشاطبى. فالعجب من انكار شيخنا على المصنّف وقوله انه لا يعرف بالمغرب بلدة اسمها نفزة وقد صرّح ياقوت فى معجمه فى المجلد الثانى لما سرد قبائل البربر فقال : وهذه أسماء قبائلهم التى سمّيت بها الأماكن التى نزلوا بها وهى هوارة وأمناهة وضريسة ومُغيلة وفجُّومة ولبطة ومطماطة وصنهاجه ونفزة وكِتامة إلى آخر ماذكر فكيف يخفى على شيخنا هـذا ؟

قلت ومن المنسوبين إلى هذه وجيه الدين موسى بن محمد النفزى محدّث مات بمصر

والامام أبو عبد الله محمد بن عبّاد النفزى خطيب جامع القزوينى الذى دُفن بباب الفتوح من مدينة فاس وله كرامات شهيرة. وعبد الله بن أحمد بن قاسم بن مناد النفزى ممن لقيه البرهان البقاعى مات قريب الخمسين والثمانمائة اهـ .

بشاطبة وكان فقيهاً حافظًا حافلًا، من أكثر الناس درساً وكانت له مشاركة فى أصول الفقه مع العدالة والتواضع توفى سنة ٥٤٠ .

وأبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن يعيش المُهرى روى عن أبى محمد بن عبد العزيز الأنصارى وحدَّث عنه أبو الحسن ثابت بن أحمد بن عبد الولى الشاطبى قاله أبوالحسن ابن المفضَّل المقدسى. هكذا روى ابن الأبَّار .

وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المكتّب من أهل شاطبة نزل تلمسان روى عن أبى محمد بن أيوب الحديث المسلسل فى الأخذ باليد وكان رجلًا صالحاً حدَّث عنه أبوعبد الله بن عبد الحق التلمسانى . ذكره ابن الأبَّار .

وأبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور بن مغاور بن حكم بن مغاور السلمى سمع من أبيه ومن أبى على الصدفى وأبى جعفر بن غزلون وأبى الوليد بن الدبّاغ وله رواية عن القاضى الحسن ابن واجب وأبى بكر بن العربى وأبى القاسم بن ورد وأبى بكر بن مفوّز وكان فى وقته بقية مشيخة الكتَّاب والأدباء بالأندلس مع صدق اللهجة وكرم النفس وكان بليغاً مفوّهاً مدركاً لحظ وافر من قرض الشعر ومشاركة فى الفقه وله ديوان اسمه «نَور الكمائم وسجع الحمائم» مشهور بأيدى الناس وطال عمره وحدَّث عنه الكثيرون وهو آخر السامعين من أبى على الصدفى لأنه لما مات لم يكن بقى أحد ممن سمعوا من الامام المذكور وأمر أن يخط على قبره :

أيها الواقف اعتباراً بقبرى ... استمع فيه قول عظمى الرميم

أودعونى بطن الضريح وخافوا ... من ذنوبٍ كلومها بأديمى

قلت لا تجزعوا علىَّ فانى ... حسن الظنِّ بالرؤوف الرحيم

واتركونى بما اكتسبت رهيناً ... غَلِقَ الرهن عند رب كريم

ولد بشاطبة سنة ٥٠٢ وتوفى فى صفر سنة ٥٨٧ ، عن ابن الأبَّار .

وأبوزيد عبد الرحمن بن عبد الواحد بن سعيد بن يحيى بن ابراهيم بن محمد بن هارون ابن غالب بن حرب بن أبى شاكر الأنصارى سمع ببلنسية من أبى عبد الله بن يبش

الأندى أحاديث خراش . وروى عن ابن جماعة وابن الدبّاغ وكان من أهـل النباهة والعناية بالرواية .

وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن مطرّف بن أبى سهل بن ياسين النفزى أخذ القراءات عن أبى عبد الله بن عبادة الجيانى وأبى محمد قاسم بن فيروه الضرير وغيرهما وتصدّى للاقراء ببلده شاطبة وأخذ عنه ابنه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن . ذكره ابن الأبّار ولم يذكر تاريخ وفاته .

وأبو القاسم عبد الرحيم بن أحمد بن على بن طلحة الأنصارى من أهل سبتة أصله من شاطبة يعرف بابن عليم سكن مراكش ودخل الأندلس غازياً ورحل حاجاً سنة ٦١٣ وكتب الحديث بمصر ودمشق وبغداد وغيرها ولقى السافى وغيره من الأئمة وبعد أن أقام بالشرق مدة قدم إلى تونس سنة ٦٤٢ وسمع منه ابن الأبّار بعد مهاجرته إلى تونس وأجاز له وأخبره أن مولده عصر الجمعة السادس والعشرين لربيع الآخر سنة ٥٣٥ وتوفى سنة ٦٥٥ قلنا : ان لم يكن هناك خطأ فى النسخ فيكون عمر الترجم ١٢٠ سـنة وليس هذا بقليل الوقوع فى الدنيا ولـكن لو كان عُمّر إلى هذا الحد لـكان ابن الأبّار أشار إلى ذلك فالأرجح عندنا أن هناك غلطاً فى الأرقام .

وأبو مروان بن عميرة الشاطبى يحدّث عنه أبو عبد الله بن المعز اليفرنى الميورقى لم يزد ابن الآبّار فى ترجمته على هذا السطر .

وأبو الحسن طاهر بن حيدرة بن مفوّز بن أحمد بن مفوّز المعافرى من أهل بيت العلم الشهير بشاطبة سمع أخاه أبا بكر وأبا على الصدفى وأبا جعفر بن جحدر وأجاز له عمه طاهر بن مفوّز وكان فقيهاً حافظاً مقدماً فى علم الفرائض يلجأ اليه فى ذلك . ولى قضاء شاطبة وجزيرة شقر جميعاً فحمدت سيرته وشُهرت عدالته ثم استعفى من القضاء فأعفى وتوفى فى المحرم سنة ٥٥٢، عن ابن الأبار

وأبو عيسى لب بن محمد بن محمد من أهـل شاطبة يعرف بالبلنسى لأن أصله منها صحب أبا عمر بن عات وروى عن أبى الخطّاب بن واجب وأبى عبدالله بن سعادة وغيرهما وكان من أهل الثقة والعدالة توفى بشاطبة فى غرّة جمادى الأولى سنة ٦٣١

وامام القراء أبو محمد القاسم بن فيرُّه بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضرير. قال ابن خلكان: صاحب القصيدة التي سماها «حرز الأماني ووجه التهاني» في القراءات وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً وقد أبدع فيها كل الابداع وهي عمدة قراء هذا الزمان في نقلهم فقلَّ من يشتغل بالقراءات ولا يقدم حفظها ومعرفتها وهي مشتملة على رموز عجيبة واشارات خفية لطيفة وما أظنه سبق الى أسلوبها، وقد روى عنه انه كان يقول: لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلاَّ وينفعه الله عز وجل بها لاني نظمتها لله تعالى مخلصاً في ذلك. ثم انه نظم قصيدة دالية في خمسمائة بيت من حفظها أحاط علماً بكتاب التمهيد لابن عبد البر. وكان عالماً بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيراً وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، مبرزاً فيه وكان اذا قُرِئَ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ يصحح النسخ من حفظه ويملي النكت على المواضع التي تحتاج اليها. وكان أوحد زمانه في علم النحو واللغة. ثم ذكر ابن خلكان انه قرأ القرآن بالروايات على المقرئ أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص النفزي وأبي الحسن علي بن محمد ابن هذيل، وانه سمع الحديث من أبي عبد الله بن سعادة وأبي عبد الله محمد الخزرجي والحافظ أبي الحسن بن النعمة وغيرهم وانتفع به خلق كثير. قال: وأدركت من أصحابه جمعاً كثيراً بالديار المصرية وكان يجتنب فضول الكلام ولا ينطق في سائر أوقاته الاَّ بما تدعو اليه ضرورة ولا يجلس إلى الاقراء إلا على طهارة في هيئة حسنة وتخشع واستكانة. وكان يعتلُّ العلَّة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه واذا سُئِلَ عن حاله قال بعافية لا يزيد على ذلك. وكانت ولادته في آخر سنة ٥٣٨ وخطب ببلده على فتاء سنه ودخل مصر سنة اثنين وسبعين وخمسمائة وكان نزيل القاضي الفاضل ورتبه بمدرسته بالقاهرة متصدراً لاقراء القرآن وقراءة النحو واللغة وتوفي يوم الأحد بعد صلاة العصر لثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ودفن يوم الاثنين في قرية القاضي الفاضل بالقرافة وزرت قبره مراراً رحمه الله تعالى، وصلى عليه الخطيب أبو اسحق العراقي خطيب جامع مصر. وفيرّه بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وتشديد الراء وضمها وهو بلغة اللطيني من اعاجم الاندلس معناه في العربي الحديد. والرعيني

بضم الراء وفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون هذه النسبة الى ذى رُعَين وهو أحد أقيال اليمن نسب اليـه خلق كثير . والشاطبى بفتح الشين المعجمة وبعد الألف طاء مكسورة مهملة وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى شاطبة وهى مدينة كبيرة ذات قلعة حصينة بشرق الأندلس خرج منها جماعة من العلماء استولى عليها الفرنج فى العشر الأخير من رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة وقيل ان اسم الشيخ المذكور أبو القاسم وكنيته اسمه، لـكن وجدت فى إجازات أشياخه له أبو محمد القاسم كما ذكرته هنا . اه

وأما صاحب نفح الطيب فقد رجّح أن يكون اسمه أبا القاسم فقال . الامام العلامة أبو القاسم الشاطبى صاحب حرز الامانى والعقيلة وغيرهما وهو أبو القاسم بن فيرّه ابن خلف بن احمد الرُعينى الشاطبى المقرئ الفقيه الضرير الى أن يقول : انه دخل الديار المصرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وحضر عند الحافظ السلفى وابن بَرّى وغيرهما ثم ذكر ولادته سنة ٥٣٨ ووفاته يوم الأحد الثامن والعشرين وقيل الثامن عشر من جمادى الأخرة سنة ٥٩٠ بعد العصر ودفن من الغد بالتربة الفاضلية بسفح المقطم. وحُكى أن الأمير عز الدين موسك الذى كان والد ابن الحاجب حاجباً له بعث الى الشيخ الشاطبى يدعوه الى الحضور عنده فأمر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب اليه :

قل للأمـير مقـالة ... من ناصح فطن نبيه
ان الفقيه اذا أتى ... أبوابكم لاخـير فيه

قال فى النفح ماخلاصته: ان أبا الحسن بن خِيرَه وصف الشاطبى من قوة الحفظ بأمر عجيب وأنه كان موصوفاً بالزهد والعبادة والانقطاع وان قبره بالقرافة يزار وتُرجى استجابة الدعاء عنده، وأن الشاطبى ترك أولاداً منهم أبو عبد الله محمد عاش نحو ثمانين سنة وقال السبكى انه كان قوى الحافظة واسع المحفوظ كثير الفنون فقيهاً مقرئاً محدثاً نحوياً زاهداً عابداً ناسكاً يتوقد ذكاء. قال السخاوى : أقطع أنه كان مكاشفاً وانه سأل كتمان حاله . اه

وقد ترجمت الشاطبي الانسيكلوبيدية الاسلامية فذكرت أن قصيدة الشاطبي في القراءات هي نظم كتاب التيسير لأبي عمرو الداني وذكرت نقلاً عن ياقوت أن القصيدة المذكورة لاتخلو من صعوبة وتعقيد لذلك كثر شراحها. ومن أشهر شارحيها برهان الدين بن عمر الجعبري المتوفى سنة ٧٣٢ ولها شرح آخر لأحد تلاميذ الشاطبي وهو أبو الحسن علي السخاوي ولها شرح ثالث لأبي شامة عبد الرحمن بن اسماعيل ولها شروح أخرى وللشاطبي قصيدة ثانية اسمها « عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد » وموضوع هذه قراءة القرآن على الوجه الأجمل لاذكر أنواع القراءات. ثم للشاطبي قصيدة هي نظم التمهيد لابن عبد البر وقد نقلت الانسيكلوبيدية عن ياقوت أنها قصيدة معقدة أيضاً ولكن لم يقدروا أن ينكروا أهمية كتب الشاطبي ورغبة الناس فيها

وعبد العزيز بن ثابت بن سليمان بن سوارمن أهل شاطبة ومن قرية بهاتسمى بلاله روى عن أبي عمر بن عبد البروصحبه سنين عدة وسمع منه في سنة ٤٥٣ وسمع بعد ذلك معه ابنه أبو محمد عبد الرحمن بن عبد العزيز في سنة ٤٦٠ وذكره ابن الدباغ قال ابن الأبار : قرأت بعضه بخط أبي الحسن طاهر بن مفوّز . ولم يذكر في التكملة تاريخ وفاته

وأبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة السعدي رحل حاجاً وقدم دمشق فسمع بها من أبي الحسن ابن أبي الحديد وعبد العزيز الكناني ودخل العراق فسمع بها أبا محمد الصريفيني وأبا منصور بن عبد العزيز العكبري وأبا جعفر محمد بن احمد بن المسلمة ورتب شرح غريب الحديث لأبي عبيد وسمع منه أبو محمد بن الاكفاني سنة ٤٦٥ وقال توفي بحوران من أعمال دمشق في رمضان سنة ٤٦٥ ذكره بن عساكر

وأبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن سعيد بن خلف الأنصاري روى عن أبي الحسن طاهر بن مفوّز، سمع منه الحديث المسلسل في الأخذ باليد حدّث به عنه أبو زيد ابن يعيش المهري أفادَ ذلك أبو الحسن بن المقدسي الحافظ ذكره ابن الأبار في التكملة ولم يذكر تاريخ وفاته

وأبو الأصبغ عبد العزيز بن محمد بن فرج بن سليمان بن يحيى بن سليمان بن عبد

العزيز القيسى يعرف بالمكناسى أخذ القراءات عن أبيه وأبى الحسن شريح بن محمد وأبى على منصور ين الخير واستوطن غرناطة واقرأ بها الفرائض والحساب وكان من أهل الأدب والعلوم الرياضية مقرئا فقيها متكلما عارفا بالوثائق ولد بشاطبة سنة ٤٥٢ وتوفى بغرناطة فى صفر سنة ٥٣٦ ذكره ابن أخيه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المكناسى وحدّث عنه

وأبو الاصبغ عبد العزيز بن خلف بن ادريس السلمى روى عن أبى جعفر بن جحدر وتفقّه به ولازمه وسمع الحديث من أبى عمران بن أبى تُليد وأبى على الصدفى وأبى القاسم بن الجنّان وكتب للقضاة وولى خطة الشورى وكان حافظا لمسائل الرأى عارفا بها بصيرا بالوثائق دربا بوجوه الفتيا وأحكام القضاء نافذا فى علم اللسان وكانت فى أخلاقه حزونة . روى عنه أبو جعفر بن اشكية وأبو محمد بن سفيان وتوفى بشاطبة سنة ٥٤١ ، عن ابن الأبار

وأبو الأصبغ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز يعرف بابن النيبلش سمع من أبى الوليد بن الدبّاغ موطأ مالك ومن أبى عبد الله بن سعادة السير لابن اسحق . قال ابن الأبّار : وقيدت ذلك عن بعض شيوخنا ثم وقفت بخطه على تسمية شيوخه وهم أبو الحسن بن هذيل وأبو عبد الله بن سعيد الدانى وأبو الحسن بن النعمة وأبو محمد عاشر بن محمد بن عاشر وأبو عبد الله بن سعادة لم يذكر فيهم ابن الدبّاغ وولّى أحكام بلده للقاضى أبى القاسم بن ادريس وكان فقيها حافظا روى عنه أبو محمد بن خيرة وأبو عبد الله بن أبى البقاء أجاز له فى سنة ٦٠٣ وعاش بعد ذلك

وأبو محمد عبد الوهاب بن اسحق بن لب الفهرى يعرف بابن الحمرى منسوب إلى الحمرة قرية بشاطبة كذا قال ابن الدبّاغ والصحيح فى اسمها الحمراء وفى نسبه الحمراوى . أخذ عن صهره أبى جعفر بن جحدر وتفقه به وسمع من أبى محمد عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ثابت الخطيب وغيره وتوفى سنة ٥٢٥

وعبد الحق بن خلف من مفرّج أبو العلا الكنانى الشاطبى يعرف بابن الجنّان سمع أباه وصحب أبا اسحق بن خفاجة وكان من كبار الأدباء وجلّة البلغاء والشعراء وله

بصر بالطب والعربية واللغة توفى سنة ٥٣٩ عن ستين سنة وكان أبوه من فقهاء شاطبة روى عن الباجى ذكره ابن الأبّار فى التكملة

وأبو محمد عبد الغنى بن مكى بن أيوب التغلبى روى عن أبيه وأبى عبد الله بن سيف وسمع أبا بكر بن مفوّز وأبا عمران ابن أبى تُليد وأبا على الصدفى وجماعة. وتفقّه بمرسية عنـد أبى محمد بن جعفر وكان فقيهاً حافظاً عالماً شاعراً ماهراً فى الشروط ولّى خطة الشورى ببلده توفى سنة ٥٥٥

وأبو الحسن على بن محمد بن أبى العيش الطرطوشى نزيل شاطبة أخذ القراءات عن أبى الحسن بن الدوش وأبى المطرّف بن الورّاق وأبى محمد بن جوشن وتصدّر للاقراء بشاطبة، وكان من أهـل الصلاح والفضل مع التقدم فى صناعة القراءات أخذ عنه أبو بكر مفوّز بن طاهر بن مفوّز وأخوه أبو محمد عبد الله وأبو الحسين بن جبير الزاهد وغيرهم . ولم يذكر ابن الأبّار تاريخ وفاته

وعلى بن عبد الله بن على أبو الحسن الشاطبى ابن البنّاد روى عن أبى عبد الله ابن سعادة وأبى عبد الله بن عبد الرحيم واختص بأبى بكر بن أبى جمرة وكان فقيهاً مشاوراً ذا ثروة وفضائل وتصانيف توفى سنة أربع عشرة . هكذا ترجمه ابن الأبّار فى التكملة واقتصر على قوله : توفى سنة أربع عشرة

وأبو الحسن على بن أبى بكر بن محمد بن موسى جمال الدين التجيبى الأندلسى الشاطبى نزيل دمشق روى أبو عبد الله القاسى عنه « الراية » بسماعه لها من المؤلف وهو جد الجمال على بن يحيى بن على الشروطى

وأبو الحسن على بن محمد بن أحمد بن منخل النفزى الشاطبى سمع من عبد المنعم ابن الفرس وأبى بكر بن أبى زمنين وحدّث . توفى فى آخر سنة ٦٣٠ ترجمه ابن الأبّار فى التكملة

وأبو محمد عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف الأنصارى سكن شاطبة سمع من أبى على بن سكّرة وأبى جعفر بن جحدر وأبى عامر بن حبيب وأبى عمران بن أبى تليد

وأبى بحر الأسدى وجماعة وتفقّه بأبى محمد بن أبى جعفر وأخذ القراءات بقرطبة عن أبى العباس بن ذروة وأخذ بعضها عن أبى القاسم بن النحاس وسمع من أبى محمد ابن عتاب وغيره وأجاز له أبو عبد الله الخولانى وكتب اليه من مكة رزين بن معاوية ومن الاسكندرية أبو الحجاج بن نادر وعنى بعلم الرأى وشهر بالفهم والحفظ وولّى خطة الشورى ببلنسية ثم ولّى قضاء مرسية وأقاليمها فنال دنيا عريضة وحمدت سيرته فلما انقضت الدولة اللمتونية سنة تسع وثلاثين صرف ونزل شاطبة يدرّس ويحدّث وكان رأس الفتوى واليه ترد صعاب المسائل ومشكلاتها. وكان متفنناً فى العلوم روى عنه أبو الخطّاب بن واجب وأبو عبد الله بن سعادة وابن أخته أبو محمد بن غلبون وأبو عبد الله الأندرشى وصنّف « الجامع البسيط وبغية الطالب النشيط » دل به على مكانه من العلم ووصل فيه إلى كتاب الشهادات وتوفى قبل اتمامه وهو كتاب مطول رجح فيه واستدل . توفى فى نصف شعبان سنة ٥٦٧ بعد أن كف بصره وولد بحصن يُناشته سنة ٤٨٤ قال ابن الزبير : قال ابن عات وأخذ عنه أخبرنى أنه رأى محمد بن فرج بقرطبة شيخاً كبيراً توفى فى الجامع ليلة سبع وعشرين من رمضان . قال ابن الزبير روى عن عاشر أبو محمد عبدالمنعم بن الفرس والحاج أبو العبّاس بن عمرة وأبو بكر بن أبى جمرة وأبو محمد غلبون الرمى. قيل لأبى سليمان بن حوط الله : هل رأيت أحفظ من ابن الجد ؟ قال : نعم رأيت عاشراً وكان أحفظ منه . فى النسخة توفى سنة سبع وسبعين عن ابن الأبّار

وأبو محمد هرون بن أحمد بن جعفر بن عات النفزى الشاطبى أخذ القراءات عن أبى مروان بن يسار صاحب ابن الدوش وسمع من أبى الوليد بن الدبّاغ ودرس الفقه على أبى جعفر الخشنى ولازمه سبع سنين وعرض عليه المدونة مرات ومهر عنده وكان فقيهاً مشاوراً مستقلاً بالفتاوى فرضياً حاسباً له تواليف استقضى ببلده فحمدت سيرته حدّث عنه أبو عمر بن عيّاد ومن شيوخنا ابنه أبو عمر وأبو عبد الله بن سعادة وتوفى فى شعبان سنة ٥٨٢ وله سبعون سنة

وسليمان المعروف بالبيغى الشاطبى نزيل سبتة لقى أبا عمر بن عبد البر وأبا العباس

العذرى وأبا الاصبغ بن سهل وغيرهم وأجازوا له سمع منه القاضى عياض توفى فى نحو سنة ٥٢٠

وأبو الحسين يحيى بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن طاهر الأنصارى من ولد سعيد ابن عبادة الدانى سكن شاطبة وسمع من صهره أبى بكر بن أبى حمزة وأبى الخطّاب ابن واجب وجماعة كثيرة وعنى بهذا الشأن مع الحظ الوافر من البلاغة والكتابة والضرب بسهم فى الشعر إلى نباهة البيت . قال ابن الأبّار سمعت (منه) وصحبته مدة صارت اليه فى الفتنة رئاسة شاطبة وتدبير أمورها من قبل محمد بن يوسف بن هود والى الأندلس وتوفى فى شعبان سنة ٦٣٤ عن خمس وخمسين سنة

وأبو عبدالله محمد بن سراقة الشاطبى بن محمد بن ابراهيم بن الحسين بن سراقة محيى الدين ويكنى أيضاً أبا القاسم وأبا بكر الأنصارى الشاطبى المالكى ولد بشاطبة سنة ٥٩٢ وسمع من أبى القاسم بن بقى ورحل فى طلب الحديث فسمع ببغداد من الشيخ أبى حفص عمر السهروردى وأبى طالب الغبيطى وأبى جعفر الدينورى وجماعة وسمع بحلب من ابن شداد وغيره وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة بعد وفاة ابن سهل القصرى سنة ٦٤٢ وبقى بها الى أن توفى بالقاهرة فى شعبان سنة ٦٦٣ ودفن بسفح المقطم وكان الجمع كبيراً . وهو أحد الأئمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والنبل وأحد مشايخ الصوفية له فى ذلك اشارات لطيفة مع الدين والعفاف والبشر والوقار والمعرفة الجيدة بمعانى الشعر وكان صالح الفكرة فى حل التراجم مع ماجبل عليه من كرم الأخلاق واطراح التكليف ورقة الطبع ولين الجانب . ومن شعره قوله :

نصبت ومثلى للمكارم ينصب	ورمت شروق الشمس وهى تغرّب
وحاولت احياء النفوس بأسرها	وقد غرغرت يابعد ما أنا أطلب
وأتعب ان لم تمنح الخاق راحة	وغيرى ان لم تتعب الخلق يتعب
مرادى شىء والمقادير غيره	ومن عاند الأقدار لاشك يُغلب

وقوله :

الى كم أمنى النفس مالا تناله فيذهب عمرى والأمانىّ لاتقضى
وقد مر لى خمس وعشرون حجة ولم أرضَ فيها عيشتى فتى أرضى
وأعلم أنى والثلاثون مدّنى حر بغنائى اللهو أوسعها رفضا
فماذ عسى فى هذه الخمس أربّى ووجدى الى أوب من العشر قد أفضى
فيارب عجل لى حياة لذيذة وإلا فبادر بى الى العمل الأرضى

وقال رحمه الله تعالى

وصاحب كالزلال يمحو صفاؤه الشك باليقين
لم يحص إلا الجميل منى كأنه كاتب اليمين

وهذا عكس قول المنازى:

وصاحب خلته خليلا وما جرى غدره ببالى
لم يحص إلا القبيح منى كأنه كاتب الشمال

ترجمه المقرى فى النفح

وأبو الوليد بن الجنان محمد بن الشرف أبى عمرو بن الكاتب أبى بكر بن العالم الجليل أبى الملاء بن الجنان الكنانى الشاطبى. قال ابن سعيد : توارثوا بشاطبة مراتب تحسدها النجوم الثاقبة وأبو الوليد أشعرهم وقد تجدد به فى أقطار المشرق مفخرهم وهو معروف هناك بفخر الدين ومتصدّر فى أئمة النحويين ومرتب فى شعراء الملك الناصر صاحب الشام ومقطعاته الغرامية قلائد أهل الغرام صحبته بمصر ودمشق وحلب، وجريت معه طلق الجموح فى ميادين الأدب وأنشدنى بدمشق :

أنا من سكر هواهم ثمل لا أبالى هجروا أم وصلوا
فبشعرى وحديثى فيهم زمزم الحادى وسار المثل
ان عشاق الحمى تعرفنى والحمى يعرفنى والطلل
رحلوا عن ربع عينى فلذا أدمعى عن مقلتى ترتحل
مالها قد فارقت أوطانها وهى ليست لحماهم تصل

لا تظنوا أنني أسلو فما مذهبي عن حبكم ينتقل

وقوله رحمه الله تعالى:

بالله يابانة الوادي اذا خطرت تلك المعاطف حيث الشيح والغار
فمانقيها عن الصب الكئيب فما على معانقة الأغصان إنكار
وعرفيها بأني فيك مكتئب فبعض هذي لها بالحب أخبار
وأنتم جيرة الجرعاء من اضم لي في حماكم أحاديث وأسمار
وأنتم أنتم في كل آونة وإنما حبكم في الكون أطوار
ويا نسيما سرى تحدو ركائبه لي بالغوير لبانات وأوطار

وله:

يارعى الله اننا بين روض حيث ماء السرور فيه يجول
تحسب الزهر عنده يتثنى وتخال الغصون فيه تميل

وله:

هات المدام فقد ناح الحمام على فقد الظلام وجيش الصبح في غلب
وأعين الزهر من طول البكا رمدت فكحلتها يمين الشمس بالذهب
والكاس حلتها حمراء مذهبة لكن أزرتها من لؤلؤ الحبب
كم قلت للأفق لما أن بدا صلفا بشمسه عندما لاحت من الحجب
ان تهت بالشمس ياأفق السماء فلي شمسان وجه نديمي وابنة العنب
قم اسقنيها وثغر الصبح مبتسم والليل تبكيه عين البدر بالشهب
والسحب قد لبست سود الثياب وقد قامت لترثيه الأطيار في القضب

وله:

عليك من ذاك الحمى يارسول بشرى علامات الرضى والقبول
جئت وفي عطفيك منهم شذى يسكر من خمر هواه العذول

ومنها .

أحبابنا ودعتم ناظرى وأنتم بين ضلوعى نزول
حللتم قلبى وهو الذى يقول فى دين الهوى بالحلول
أنا الذى حدث عنى الهوى بأننى عن حبكم لا أحول
فليزد العاذل فى عذله وليقل الواشى لكم ما يقول

انتهى كلام النور بن سعيد . وقال غيره: ولد المذكور بشاطبة منتصف شوال سنة ٦١٥ ومات بدمشق ودفن بسفح قاسيون وكان عالماً فاضلاً دمث الاخلاق كريم الشمائل كثير الاحتمال واسع الصدر صحب الشيخ كمال الدين بن العديم وولده قاضى القضاة مجد الدين فاجتذبوه اليهم وصار حنفى المذهب ودرّس بالمدرسة الاقبالية الحنفية بدمشق وله مشاركة فى علوم كثيرة

وله أيضاً :

قم اسقنيها وليل الهم منهزم والصبح أعلامه محمّرة العذب
والسحب قدنثرت فى الأرض لؤلؤها تضمن الشمس فى ثوب من الذهب

انتهى . وقد تقدم عن ابن سعيد له مايقارب هذا وله رحمه الله تعالى فى كاتب :

ولى كاتب أضمرت فى القلب حبه مخافة حسادى عليه وعذالى
له صنعة فى خط لام عذاره ولكن سها اذ نقط اللام بالخال

عن نفح الطيب للمقرى .

وأبو عبد الله محمد بن سليمان المعافرى الشاطبى نزيل اسكندرية ويعرف بابن أبى الربيع أحد أولياء الله تعالى شيخ الصالحين صاحب الكرامات المشهورة . جمع بين العلم والعمل والورع والزهد والانقطاع إلى الله تعالى والتخلى عن الناس والتمسك بطريقة السلف قرأ القرآن ببلده بالقراءات السبع على أبى عبد الله محمد بن سعادة الشاطبى وغيره وقرأ بدمشق على الواسطى وسمع عليه الحديث ورحل فسمع من الزاهد أبى يوسف يعقوب خادم أضياف رسول الله صلى الله عيله وسلم بين قبره ومنبره سنة ٦١٧ وسمع بدمشق على أبى القاسم بن صبصرى وأبى المعالى بن خضر وأبى الوفاء بن عبدالحق وغيرهم

وانقطع لعبادة الله تعالى فى رباط سوار من الاسكندرية بتربة أبى العباس الراسى وتلمذ للشاطبي تلميذ الراسى. وصنف كتباً حسنة منها كتاب « المسلك القريب فى ترتيب الغريب » وكتاب « اللمعة الجامعة فى العلوم النافعة » فى تفسير القرآن العزيز وكتاب « شرف المراتب والمنازل فى معرفة العالى فى القراءات والنازل » وكتاب « المباحث السنية فى شرح الحصرية » وكتاب « الحرقة فى إلباس الخرقة » وكتاب « المنهج المفيد فى ما يلزم للشيخ والمريد » وكتاب « النبذ الجلية فى ألفاظ اصطلح عليها الصوفية » وكتاب « زهر العريش فى تحريم الحشيش » وكتاب « الزهر المضى فى مناقب الشاطبى » وكتاب « الأربعين المضية فى الأحاديث النبوية » ومولده بشاطبة سنة ٥٨٥ ووفاته بالاسكندرية فى رمضان سنة ٦٧٢ ودفن بتربة شيخه المجاورة لزاويته رحمهما الله تعالى ونفع بهما . عن المقرى فى النفح

وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة مرسى سكن شاطبة ودار سلفه بلنسية سمع أبا على الصدفى واختص به وأكثر عنه واليه صارت دواوينه وأصوله العتاق وأمهات كتبه الصحاح لصهر كان بينهما وسمع أيضاً أبا محمد بن أبى جعفر ولازم حضور مجلسه للتفقه به وحمل ما كان يرويه ورحل الى غرب الأندلس فسمع محمد بن عتاب وأبا بحر الأسدى وأبا الوليد بن رشد وأبا عبد الله بن الحاج وأبا بكر ابن العربى وغيرهم وكتب إليه أبو عبد الله الخولانى وأبو الوليد بن ظريف وأبوالحسن ابن عفيف وأبو القاسم بن صواب وأبو محمد بن السيد وغيرهم . ثم رحل إلى المشرق سنة عشرين وخمسمائة فلقى بالاسكندرية أبا الحجاج بن نادر الميورقى وصحبه وسمع منه وأخذ عنه الفقه وعلم الكلام وأدى فريضه الحج فى سنة إحدى وعشرين ولقى بمكة أبا الحسن رزين بن معاوية العبدرى امام المالكية بها ، وأبا محمد بن صدقة المعروف بابن غزال من أصحاب كريمة المروية فسمع منها وأخذ عنها. وروى عن أبى حسن على ابن سند بن عياش الغسانى ما حمل عن أبى حامد الغزالى من تصانيفه . ثم انصرف إلى ديار مصر فصحب ابن نادر إلى حين وفاته بالاسكندرية ولقى أبا طاهر بن عوف وأبا عبد الله بن مسلم القرشى وأبا طاهر السلفى وأبا زكريا الزناتى وغيرهم فأخذ عنهم وكان

قد كتب اليه منها أبو بكر الطرطوشي وأبو الحسن بن مشرف الانماطى ولقى فى صَدَره بالمهدية أبا عبد الله المازرى فسمع منه بعض كتاب المعلم وأجاز له باقيه وعاد إلى مرسية فى سنة ست وعشرين وقد حصل فى رحلته علوماً جمة ورواية فسيحة ، وكان عارفاً بالسنن والآثار مشاركا فى علم القرآن وتفسيره حافظاً للفروع بصيراً باللغة والغريب ذا حظ من علم الكلام مائلاً إلى التصوف مؤثراً له أديباً بليغاً خطيباً فصيحاً ينشئ الخطب مع الهدى والسمت والوقار والحلم جميل الشارة محافظاً على التلاوة بالخشوع راتباً على الصوم وولى خطة الشورى بمرسية مضافة إلى الخطبة بجامعها وأخذفى اسماع الحديث وتدريس الفقه ثم ولى القضاء بها بعد انقراض دولة الملثمة ونقل إلى قضاء شاطبة فاتخذها وطناً وكان يسمع الحديث بها وبمرسية وبلنسية ويقيم الخطب أيام الجمع فى جوامع هذه الأمصار الثلاثة متعاقباً عليها . وقد حدّث بالمرية وهنالك أبو الحسن ابن موهب وأبو محمد الرشاطى وغيرهما وسمع منه أبو الحسن بن هذيل جامع الترمذى وألّف كتابه «شجرة الوهم المرقية إلى ذروة الفهم» ولم يسبق إلى مثله وليس له غيره وجمع فهرسة حافلة ووصفه غير واحد بالتفنن فى العلوم والمعارف والرسوخ فى الفقه وأصوله والمشاركة فى علم الحديث والأدب وقال ابن عيّاد فى حقه انه كان صليباً فى الأحكام مقتفياً للعدل حسن الخلق والخلق جميل المعاملة لين الجانب فكه المجالسة ثبتاً حسن الحظ من أهل الاتقان والخط والضبط وحكى أنه كانت عنده أصول حسان بخط عمه مع الصحيحين بخط السلفى فى سفرين ، قال : ولم يكن عند شيوخنا مثل كتبه فى صحتها واتقانها وجودتها ولا كان فيهم من رزق عند الخاصة والعامة من الحظوة والذكر وجلالة القدر ما رزقه . وذكره أبو سفيان أيضاً وأبو عمرو بن عات ورفعوا جميعاً بذكره وتوفى بشاطبة مصروفاً عن قضائها آخر الحجة سنة خمس ودفن أول يوم من سنة ست وستين وخمسمائة ودفن بالروضة المنسوبة الى عمر بن عبد البر ومولده فى رمضان سنة ٤٩٦

والشيخ الفاضل المتقن أبو عبد الله محمد بن على بن يوسف بن محمد بن يوسف الأنصارى

الشاطبي الأصل البلنسي المولد في احد ربيعي سنة احد وستمائة ولقبه المشارقة برضي الدين وتوفي بالقاهرة سنة ٦٨٤ رحمه الله تعالى وقد تقدمت ترجمته

ونزيد هاهنا انه حدث عن أبي المنير وغيره واشتغل الناس عليه بالقاهرة وله تصانيف مفيدة وسمع من الحافظ أبي الربيع بن سالم وكتب على صحاح الجوهري وغيره حواشي في مجلدات وأثنى عليه تلميذه أبو حيان رحم الله تعالى الجميع. ومن فوائده قوله : نقلت من خط أبي الوليد بن خيرة الحافظ القرطبي في فهرسة أبي بكر بن مفوّز : قد أدركته بسني ولم آخذ عنه واجتمعت به أنشدني له أبو القاسم بن الأبرش يخاطب بعض أكابر أصحاب محمد بن حزم والاشارة لابن حزم الظاهري:

يامن تعنى أموراً لن يعانيها خل التماني وأعط القوس باريها
تروى الأحاديث عن كل مسامحة وإنما لمعانيها معانيها

قال وأنشدنا لبعضهم :

لا رعى الله عزمت ضمنت لي سلوة الصبر والتصبر عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت مثل قلبي تقول لا بد منه

وقرأ الرضي ببلده على ابن صاحب الصلات آخر أصحاب ابن هذيل وسمع منه كتاب التلخيص للواني وسمع بمصر من ابن المنير وجماعة وروى عنه الحافظ المزي واليونيني والظاهري وآخرون وانتهت اليه معرفة اللغة وغريبها . وكان يقول احرف اللغة على قسمين قسم أعرف معناه وشواهده وقسم أعرف كيف أنطق به فقط رحمه الله تعالى ومن فوائد الرضي الشاطبي المذكور ما ذكره أبو حيّان في البحر قال وهو من غريب ما أنشدنا الامام اللغوي رضي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي لزينب بنت اسحق النصراني الرسعيني وقد سبق ذكر هذه الأبيات

عدى وتيم لا أحاول ذكرهم بسوء ولكنى محب لهاشم
وما يعترينى فى على ورهطه اذا ذكروا فى الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم وأهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم إنى لاحسب حبهم سرى فى قلوب الخلق حتى البهائم

ومن نظم الرضى المذكور:

منغص العيش لا يأوى الى دعة من كان فى بلد أو كان ذا ولد
والساكن النفس من لم ترض همته سكنى بلاد ولا سكنى الى أحد

وله:

لولا بناتى وسيئاتى لطرت شوقا الى الممات
لأننى فى جوار قوم بغضنى قربهم حياتى

وتحاكم إلى رضى الدين المذكور الجزار والسراج الوراق أيهما أشعر وأرسل اليه الجزار شيئاً فقال هذا شعر جزل من نمط شعر العرب فبلغ ذلك الوراق فأرسل اليه شيئاً فقال هذا شعر سلس وآخر الأمر قال ما أحكم بينكما رحمه الله تعالى

وأم العز بنت أحمد بن على بن هذيل أخذت قراءة نافع عن أم مُعفَّر حرم الأمير محمد بن سعد وبرعت فى حفظ الأشعار وتوفيت بشاطبة اثر خروجها من حصار بلنسية سنة ٦٣٦

وأبو عبد الله محمد بن أحمد حيَّاز الشاطبى الاوسى قدم مصر وكان أخذ عن ابن برطله وابن البراء وغيرهما وعمل فهرسة بشيوخه على حروف المعجم وحج وعاد إلى بلده ومات يوم الجمعة حادى عشر رجب سنة ثمانى عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى وغفر له

وأبو عثمان سعيد بن يونس بن عيال قاضى شاطبة توفى فى المحرم سنة ٤٤٠ ذكره ابن بشكوال فى الصلة

وأبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة السعدى الشاطبى قدم مصر ودمشق طالب علم وسمع أبا الحسن بن أبى الحديد وأبا منصور العكبرى وغيرهما وصنف غريب الحديث

لأبى عبيد القاسم بن سلام على حروف المعجم وسمعه عليه أبو محمد الاكفانى وتوفى بأرض حوران من أعمال دمشق فى رمضان سنة ٤٦٥ رحمه الله تعالى ورضى عنه . عن المقرى فى النفح وقد سبق بعض ترجمته نقلاً عن ابن الأبَّار فى التكملة

ومن أقرب المدن إلى شاطبة مدينة « اوليبة » Oliva وسكانها اليوم ثمانية الآف يحف بها شجر التوت والزيتون ثم بلدة يقال لها « موليتل » Molinell وفى نواحيها كروم كثيرة يصدر منها موسم زبيب معروف بالزبيب البلنسى ثم بلدة يقال لها « ڤرجل » Vergel وبلدة يقال لها « أنداره » Ondara وهذه البلدة الأخيرة أندارة سبق ذكرها وقلنا انه ينسب اليها رجال من أهل العلم فى زمن العرب منهم أبو عبد الله محمد بن عبدالملك المعافرى ذكره ابن الابار فى التكملة يعرف بابن الأندارى

دانية Denia

ثم مدينة « دانية[1] » والسكة الحديدية من بلنسية إلى دانية تشق بساتين قرقاجنت Carcagente ثم يدخل فى وادى ڤالدينية Valldigna ويمر بطبرنة وأندة وأوليبه حتى ينتهى إلى دانية وهذه البلدة قد سقطت اليوم عما كانت عليه فى زمن العرب لجميع سكانها بحسب قول دليل بديكر ١٢٤٠٠ نسمة وقد ورد فى الدليل

---

(١) قال الحميرى فى الروض المعطار : دانية مدينة بشرقى الأندلس على البحر عامرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين وسورها من ناحية المشرق فى داخل البحر قد بُنى بهندسة وحكمة ولها قصبة منيعة جداً وهى على عمارة متصلة وشجر تين كثير وكروم والسفن واردة عليها صادرة عنها ومنها كان يخرج الأسطول إلى الغزو وبها ينشأ أكثره لأنها دار انشاء وفى الجنوب منها جبل عظيم مستدير تظهر من أعلاه جبال يابسة فى البحر . ومن دانية أبو عمرو الدانى المقرىء المعروف بابن الصيرفى له تواليف فى القراءات سمع بالأندلس من محمد بن عبد الله بن أبى زمنين ووصل إلى الشرق فسمع من جماعة توفى بدانية سنة ٤٤٤ ﻫ . قلت تكون وفاته قبل وفاة اللغوى ابن سيد الأندلسى فى دانية بأربع عشرة سنة .

المذكور أنها بلغت فى زمان العرب اوج عظمتها فكان فيها سنة ٧١٥ الموافقة سنة ١٢٥٣ نحو من خمسين ألف نسمة ومنظرها بديع ومسارح لحاتها تبهج الناظر ولها رابية مشرفة على البحر يعلوها حصن تداعى الآن إلى الخراب . والبلدة مبنية إلى الجهة الجنوبية الشرقية من هذه الرابية وقد زرت هذه البلدة فى سنة ١٩٣٠ أثناء سياحتى فى الأندلس وبت فيها ليلة واحدة وتذكرت أيام العرب الخالية فى جملة ماتذكرته فى هذه السياحة . والأسبانيون يلفظون دانية بالامالة كما ذكرنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب وقد نقلوا هذه الامالة عن العرب الذين كانو فى الأندلس كلها يميلون الألف فيقولون للباب بيب ويقولون « خمس ميهْ » لاخمسمائة ويقولون « كل سنى » بدلاً من « كل سنة » واذا قال الواحد منهم « والدنا » كسر الواو وأسكن اللام فتسمعه كأنه يقول « ولّدنا » ويقولون « الامام الأوزيعى » بدلاً من « الامام الأوزاعى » ويلفظون « الحكِيم » بكسر الكاف و «فرقِد» بكسر القاف ويقولون « كتيب » بدلاً من « كتاب » وهلم جرا مما لا يحصى

وكان الرومانيون يقولون لدانية « دانيوم » Dianium وهى فى الأصل مدينة ايبيرية استعمرها اليونانيون أيام ماكانو برسيلية وكان بحذاء الحصن الذى فى دانية هيكل منسوب الى « ديانا » Diana ووراء دانية جبال ذات ارتفاع لها مناظر بهيجة أشهرها جبل مونغو Mongo وعلوه ٧٦١ متراً وفى رأس هذا الجبل آثار من وقت وجود الفرنسيس فى أسبانيا فى أوائل القرن الماضى لأن العالمين الأفرنسيين بيوت Biot واراغو Arago قاسا من هذه القمة سنة ١٨٠٦ خط نصف النهار الباريزى . وبالقرب من دانية رأس فى البحر يقال له رأس « سان انطونيو » وعلى مسافة خمسة كيلو مترات الى غربى دانية قرية يقال لها « جابية » Javia وفى نواحيها كثير من الكروم ويخرج منها موسم زبيب عظيم ودانية اليوم مركز تجارة للزبيب الفاخر يصدرون منه كثيراً الى انكلترة

جاء ذكر دانية فى معجم البلدان قال : دانية بعد الألف نون مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت مفتوحة مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقاً مرساها

عجيب يسمّى السُّمان ولها رساتيق واسعة كثيرة التين والعنب واللوز . وكانت قاعدة ملك أبي الحسن مجاهد العامري وأهلها اقرأ أهل الاندلس لأن مجاهداً كان يستجلب القراء ويفضل عليهم وينفق عليهم الأموال فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده فكثروا في بلاده ومنها شيخ القراء أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني صاحب التصانيف في القراءات والقرآن . اه وجاء في النفح : وأما شرق الأندلس ففيه من القواعد مرسية وبلنسية ودانية والسهلة والثغر الأعلى . فمن أعمال مرسية اوريوله والقنت ولورقة وغير ذلك . ومن أعمال بلنسية شاطبة التي يضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذي لا نظير له وجزيرة شقر وغير ذلك . وأما دانية فهي شهيرة ولها أعمال . وأما السهلة فانها متوسطة بين بلنسية وسرقسطة ولذا عدّها بعضهم من كور الثغر الأعلى ولها مدن وحصون الخ وقد تقدم نقل ذلك عن نفح الطيب

وجاء في صبح الأعشى ذكر دانية قال : هي من شرق الأندلس وموقعها في أوائل الاقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد حيث الطول تسع عشرة درجة وعشر دقائق والعرض تسع وثلاثون درجة وست دقائق وهي غربي بلنسية على البحر عظيمة القدر كثيرة الخيرات ولها عدة حصون وقد صارت الآن من مضافات برشلونة مع بلنسية . اه

وقال الشريف الادريسي في نزهة المشتاق : ومدينة دانية على البحر عامرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين وسورها من ناحية الشرق في داخل البحر قد بني بهندسة وحكمة ولها قصبة منيعة جداً وهي على عمارة متصلة وشجرات تين كثيرة وكروم . وهي مدينة تسافر اليها السفن وبها ينشأ أكثرها لأنها دار انشاء السفن ومنها تخرج السفن إلى أقصى المشرق ومنها يخرج الأسطول للغزو . وفي الجنوب منها جبل عظيم مستدير يظهر من أعلاه جبال « يابسة » في البحر ويسمّى هذا الجبل « جبل قاعون » اه يريد بيابسة جزيرة يابسة التي أعلى قمة في جبالها تعلو ٤٧٥ متراً

وجاء في الانسيكلوبيدية الاسلامية بقلم المستشرق سيبولد Seybold دانية

مركز كورة من الشمال الشرقى من مقاطعة القنت وهى المقاطعة الجنوبية من المقاطعات الثلاث التى كانت تتشكل منها مملكة بلنسية وهذه المقاطعات هى قشتلون وبلنسية والقنت . فدانية التى عدد أهلها اليوم ١٤٠٠٠ واقعة على الطرف الجنوبى الشرقى من خليج بلنسية وإلى الشمال من جبل مونغو الذى كان العرب يقولون له جبل قاعون وهو جبل ارتفاعه ٧١٢ متراً . وإلى الشمال الغربى من رأس سان انطونيو مرسى دانية وهو مرسى جيد والمدينة هى من بناء اليونان الفوسيين الذين كانوا فى مرسيلية وأمبورية بنوها فى القرن السادس قبل المسيح وكان مبنياً على الأكمة المشرفة على دانية هيكل يقال له « أرتميز » وفى زمن الرومان قيل له ديانيوم أى مدينة ديانا . ثم جاء العرب فقالوا دانية ولفظوها بالامالة والاسبانيون يقولون لها دينية Dinia وكانت دانية فى القديم حليفة للرومانيين ولكن القرطاجنيين لم يتعرضوا لها وانتصر « كاتون» فيها على الاسبانيول قبل سنة ١٩٥ كما ان « سرتوريوس » منقذ اسبانية وجد فيها معقلاً حصيناً وكانت فى زمن الرومان إلى جانب بومبى Pompié فانتقم منها قيصر ومع هذا فقد كانت فى أيام الرومانيين زاهرة كما يستدل على ذلك من آثارها الحفرية ولكن لم تبلغ فى وقت من الأوقات مابلغته من العظمة فى أيام العرب إذ كان فيها خمسون ألف نسمة . ولا يعلم كيف كانت دانية فى أيام القوط. وكان لدانية شأن فى زمن عبد الرحمن الأول الأموى ولكن تعاظم شأنها فى أيام ملوك الطوائف بعد سقوط الخلافة سنة ١٠١٣ إذ جاءها مجاهد العامرى مولى عبد الرحمن بن المنصور وهو أبو الجيش مجاهد الموفق الذى استولى عليها سنة ١٠١٥ الى سنة ١٠٣٠ وعلى جزر الباليار وأراد أن يستولى على سردانية ثم خلفه ابنه على اقبال الدولة فملكها من سنة ١٠٤٤ الى سنة ١٠٧٦ ولم يزل فيها الى أن انتزعها من يده المقتدر ابن هود ملك سرقسطة فبقيت الى سنة ١٠٨١ تابعة لسرقسطة . ثم عند ما تقاسم أولاد المقتدر ابن هود مملكة أبيهم خرجت دانية مع لاردة وطرطوشة فى حصة المنذر من أولاد المقتدر فبقيت تحت طاعته الى سنة ١٠٩٠ ثم وليها سليمان سيد الدولة

تحت وصاية بنى بتير الى سنة ١٠٩٢ ثم تعاقبت عليها الولاة من قبل المرابطين والموحدين وكانت تقع فيها ثورات غير قليلة وسنة ١٢٤٤ استرجعها الاسبانيون من المسلمين على يد القائد الألمانى كرّوس Carroz الذى كان أمير جيش جاك الأول ملك أراغون . وسنة ١٣٣٦ جعلها بطرس الرابع كونتية كما أنه فى زمن فرديناند وايزابلا صارت مركيزية [١] . ثم انهم فى سنة ١٦١٠ طردوا منها المسلمين الذين كانوا هناك من أهل العمل والصناعة فسقطت دانية عن مكانتها بذهابهم وكان ذلك فى زمن فيليب الثالث ملك اسبانية وفى حرب الوراثة الاسبانية ظهر لها شأن وحاصرها فيليب الخامس ثلاث مرات وأخذها سنة ١٧٠٨ ثم ان الفرنسيس استولوا عليها سنة ١٨١٢ . انتهى ملخصاً. وقد ذكر سيبولد أن أشهر عالم عربى خرج من دانية هو المفسّر الكبير أبو عمرو عثمان ابن سعيد الدانى

وجاء فى كتاب « البيان المُغرب فى أخبار ملوك الأندلس والمغرب » لأبى العباس ابن عذارى المراكشى فى الجزء الثالث من هذا الكتاب المطبوع على يد المستشرق لاڤى بروڤنسال أن مجاهداً العامرى المتزى على مدينة دانية والجزائر الشرقية كان من فحول فتيان بنى عامر قدّمه المنصور بن أبى عامر عليها وكان عند وقوع الفتنة بقرطبة مقدماً على هذه الجزائر الثلاث فلما صح عنده وقوعها خرج الى دانية وضبطها وجميع أعمالها المنضافة اليها وتسمّى بالموفق بالله وكتب بهذا اللقب عن نفسه وكُتب له به وكان ذا نباهة ورئاسة زاد على نظرائه من ملوك طوائف الأندلس بالأنباء البديعة منها العلم والمعرفة والأدب وكان مع ذلك من أهل الشجاعة والتدبير والسياسة قصد هذه الجزائر ميورقة ومنورقة ويابسة فانتزى على جميعها لنفسه وتغلّب عليها وحماها وغزا منها جزيرة سردانية فغلب على كثير منها. وكان مجاهد هذا من أهل العفاف والعلم فقصده العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب وألّفوا له تواليف مفيدة فى سائر العلوم فأجزل صلاتهم على ذلك بآلاف الدنانير ومضى على ذلك طول عمره الى أن حانت وفاته بعد أن ملكها ستاً وثلاثين سنة جرّها فى أمر ونهى

---

(١) أى اقطاعاً لمركيز

قال حيّان بن خلف : كان مجاهد فتى أمراء دهره وأديب ملوك عصره لمشاركته في علوم اللسان ونفوذه في علوم القرآن عني بذلك من صباه إلى حين اكتهاله ولم يشغله عن ذلك عظيم ما مارسه من الحروب براً وبحراً حتى صار في المعرفة نسيج وحده وجمع من دفاتر العلوم خزائن جمة فكانت دولته أكثر الدول خاصة واسراها صحابة، على أنه كان مع علمه أشد الناس في الشعر وأحرمهم لأهله وأنكدهم على نشيده لا يزال يتعقبه كلمة كلمة كاشفاً لما زاغ فيه من لفظة أو سرقة فلا تسلم على نقده قافية ثم لا يفوز المتخلص من مضماره على الجهد لديه بطائل ولا يحظى له بنائل فأقصر الشعراء عن مدحه وخلّى الشاكرون ذكره ولم يكن في الجود والكرم ينهمك فيُعزى اليه ولا اقصّر عنه فيوصف بضده، أعطى وحرم وجاد وبخل فكأنه نجا من عهدة الذم ثم أكثر التخليط في أمره فطوراً كان ناسكا وتارة يعود خليعاً فاتكاً لا يساتر بلهو ولا لذة ولا يستفيق من شراب وبطالة . اه

وقال في ولده علي بن مجاهد المسمّى اقبال الدولة :

كان علي هذا أسره الروم في صباه حين وقعتهم على أبيه بجزيرة سردانية ومكث عندهم سنين كثيرة وقصته مذكورة مشهورة عند الروم الذين نشأ بينهم وقد كان أبوه قبل فدائه من الاسر رشّح للامارة بعده ولده الأصغر حسن الملقّب بسعد الدولة وصرّف الأمر بعده لعلي هذا الطايق فأورثهما العداوة بينهما فلما فداه أبوه قلّده الامر بعده فمضى أبو الجيش والدهما لسبيله وقد وطّد الأمر لعلي هذا دون أخيه فخيّر علي هذا أخاه أن يصرف له الأمر ويتخلّى له عن الملك فلم يجسر على إظهار ما في نفسه ولم ينصرم الحول حتى أحدث على أخيه ما نذكره

وذلك أنه صار الى المعتضد بن عبّاد وكان زوج أخته فشكا اليه بثّه ودبّر معه أمره وقد وقع في نفسه الفتك بأخيه على فوجّه المعتضد معه الى مدينة دانية غلاماً من غلمانه شجاعاً وجاء حسن معه على وجه الزيارة لأخيه فدبّر معه الرأي في غدر أخيه وزير أبيه في أي وقت ويوم يكون فكان اتفاقهم على حين خروجه من صلاة الجمعة وكانت

عادته اذا خرج سار الى ساحل البحر فيقف عليه ساعة ثم ينصرف . وكان اذا ركب يكون حسن أخوه وراءه فلما انصرف أخذ فى زقاق ضيق فعندما دخل فيه غمز غلام ابن عبّاد لحسن بن مجاهد أن يجرد السكين ويضرب به أخاه فجرده وضربه ضربة دهش فلم يصنع بها شيئاً ثم ثنى عليه بضربة أخرى فلقيه أخوه بيده اليسرى وأراد الغلام أن يطعنه بالرمح الذى كان بيده فحاول تقليبيه اليه فنشب فى الحائط لضيق الزقاق وندر بعض فتيان على بن مجاهد فقتلوا الغلام وفر حسن هذا على وجهه راكضاً فرسه ووقعت هوشة فى الناس ودهشة ولم يعرفوا خبر الكائنة . وخرج حسن فاراً من باب المدينة يقول: غُدرنا يامسلمين الى أن وصل بلنسية وبها زوج أخته عبد الملك بن عبد العزيز بن أبى عامر وقد خاب أمله وحُمل على بن مجاهد الى قصره على حاله فأقام بقية يومه مطرحاً لايتكلم الى غد ذلك اليوم ثم عانى نفسه حتى رجعت قوته . وخرج ذلك الغادر من مدينة بلنسية الى صهره المعتضد بن عبّاد فلم يمكنه من أمنيته وشاعت قصته فى بلاد الأندلس فلم تكن له منزلة عند الناس ثم رجع الى بلنسية فكان فى كنف أخته الى أن فارق الدنيا وبقى أخوه فى بلاده وتقدم فى معاقدة قواده واستوى على سرير ملكه فلم يختلف عليه أحد من أهل عسكره وتصرّفت فى امارته أمور كثيرة يطول شرحها الى أن أخرجه ابن هود منها . اه

ثم ذكر ابن عذارى فى محل آخر احمد بن سليمان بن هود المسمّى بالمقتدر بالله فقال انه أخرج اقبال الدولة على بن مجاهد من دانية بعد أن حاصره بها حتى بادر اليه بارساله فى أن يسلمه فى نفسه وأهله وولده ويسلّم اليه ملكه وينزل له عن قصره بفرشه فقبل منه ابن هود وأمر برفع القتال عنه فكان خروج ابن مجاهد من دانية فى سنة ثمان وستين (وأربعمائة) وأقطع له فيها اقطاعاً لمؤنة عيشه فكان آخر العهد به . قال الورّاق : وقد كان على بن مجاهد هذا وجّه بمركب كبير مملوء طعاماً الى بلاد مصر سنة الجوع العظيم الذى كان بها وذلك فى عام سبعة وأربعين وأربعمائة فرجع اليه المركب مملوءاً ياقوتاً وجوهراً وذهباً فكان ذلك كله عند ابن مجاهد المذكور فى خزائنه فلما استولى ابن هود على دانية ظفر به . وبايع أهل دانية ابن هود خاصتهم وعامتهم

فاتسع عمله وزادت مملكته وأقام فى دانية ريثما نظر فى أمرها وأتقن مارأى إتقانه منها ورحل منها الى حضرة سرقسطة وفى عسكره على بن مجاهد فى زىّ خشن . اه ببعض تصرف

وذكر احمد بن يحيى الضبى فى كتابه بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس مجاهد ابن عبد الله العامرى أبا الجيش الموفّق مولى عبد الرحمن الناصر بن المنصور محمد بن أبى عامر أنه كان من أهل الأدب والشجاعة والمحبة للعلوم وأهلها نشأ بقرطبة وكانت له همة وجلادة وجرأة فلما جاءت أيام الفتنة وتغلّبت العساكر على النواحى بذهاب دولة ابن أبى عامر قصد هو فى من تبعه الجزائر التى فى شرق الأندلس وهى جزائر خصب وسعة فغلب عليها وحماها . ثم قصد منها فى المراكب الى سردانية جزيرة من جزائر الروم كبيرة فى سنة ست أو سبع وأربعمائة فغلب على أكثرها وافتتح معاقلها ثم اختلفت عليه أهواء الجند وجاءت امداد الروم وقد عزم على الخروج منها طمعاً فى تفرق من يشغّب عليه فعاجلته الروم وغلبت على أكثر مراكبه . فأخبرني أبو الحسن نجبة ابن يحيى قال : أنبأنا شريح بن محمد عن أبى محمد بن حزم قال : أخبرنا أبو الفتوح ثابت ابن محمد الجرجانى قال : كنت مع أبى الجيش مجاهد لما غزا سردانية فدخل بالمراكب فى مرسى نهاه عنه أبو خرّوب رئيس البحريين وهبّت ريح فجعلت تقذف مراكب المسلمين مركباً مركباً الى الريف والروم وقوف لاشغل لهم إلا الاسر والقتل للمسلمين فكلما سقط مركب بين أيديهم جعل مجاهد يبكى بأعلا صوته لايقدر هو ولا غيره على أكثر لارتجاج البحر وزيادة الريح وكان أبو خروب يقول : قد كنت حذرته من الدخول ههنا فلم يقبل، فبجريعة الذقن ماتخلصنا فى يسير من المراكب . هذا آخر خبر ثابت بن محمد . ثم عاد مجاهد الى الجزائر الأندلسية التى كانت فى طاعته واختلفت به الأحوال حتى غاب على دانية وما يليها واستقرّت اقامته فيها وكان من الكرماء على العلماء باذلاً للرغائب فى استمالة الأدباء وهو الذى بذل لأبى غالب اللغوى تمام بن غالب ألف دينار على أن يزيد فى ترجمة الكتاب الذى ألفه فى اللغة مما ألفه لأبى الجيش مجاهد على ماذكرنا فى باب التاء .

والذى ذكره ابن عميرة هو أن الأمير المذكورَ أبا الجيش مجاهدا وجّه الى تمام بن غالب أيام غلبته على مرسية ـ وأبو غالب ساكن بها ـ ألف دينار أندلسية على أن يزيد فى ترجمة كتابه فى اللغة لأبى الجيش مجاهد فرد الدنانير وأبى من ذلك ولم يفتح فى هذا باباً البتة، وقال: والله لو بُذلت لى الدنيا على ذلك مافعلت ولا استجزت الكذب فانى لم أجمعه له خاصة لكن لكل طالب عامة . قال ابن عميرة: فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم وتزاهتها توفى أبو غالب تمام بن غالب بن عمر المعروف بابن التيانى المرسى سنة ٤٣٦ وفى السنة نفسها مات أبوالجيش مجاهد الموفق هذا . وفى أبى الجيش مجاهد المذكور يقولُ أبوالعلاء صاعد بن الحسن اللغوى وقد استماله على البعد بخريطة مال ومركب:

أتتنى الخريطة والمركب ... كما اقترن السعد والكوكب
وحط بمينائه قلعه ... كما وضعت حملها القُرْبُ
على ساعة قام فيها الثنا ... على هامة المشترى يخطب

الى أن قال فى آخرها:

مجاهد رضت اباء الشموس ... فأصحب من لم يكن يُصحبُ
فقل واحتكم بسميع الزمان ... مُصيخ اليك بما ترغب

وقد ألّف مجاهد فى العروض كتاباً يدل على قوته فيه. ومن أعظم فضائله تقديمه للوزير الكاتب أبى العباس احمد بن رشيق وتعويله عليه وبسطه يده فى العدل وحسن السياسة وكان موته فى دانية سنة ٤٣٦ وقال ابن عميرة انه كان يروى عن عبدالوارث ابن سفيان عن قاسم عن ابن قُتيبة ويروى عنه حاتم بن محمد وغيره

وقد ذكرت الانسيكلوبيدية الاسلامية مجاهدا العامرى بترجمة خاصة وقالت ان العامريين أرسلوه والياً على دانية فى زمن هشام الثانى وأنه عندما انحلّ أمر الخلافة فى قرطبة كان أول من أعلن استقلاله من الأمراء وذلك بين سنة ١٠٠٩ و١٠١٠ وفى رأس القرن الخامس للهجرة . ثم استولى على جزر الباليار وقليلاً على طرطوشة ونادى بخلافة رجل من بنى أمية اسمه عبدالله المُعيطى وذلك سنة ٤٠٥ وكان قد غزا سردانية

وتوفق فى أوائل غزاته إلا أنه فشل فى الآخر ووقعت امرأته وابنه فى الاسر . وقد وصفه مؤرخو العرب بالعلم والفضل وتنشيط العلوم والآداب وكان مؤرخو النصارى فى القرون الوسطى يسمونه بالملك « لوبو » Rey Lobo فكان له أقوى أسطول فى البحر المتوسط ترتجف منه سواحل كتالونية وبروفنسة وايطاليه . اه ملخصاً

وقد ذكرنا هذا القدر من أخبار مجاهد العامرى مع أنها متعلقة بالقسم التاريخى من الكتاب ونحن الآن فى القسم الجغرافى منه والسبب فى ذلك هو أن دانية اشتهرت بولاية مجاهد العامرى وهو اشتهر بها وفى زمانه عظم شأنها وغلظت شوكتها وكان لها اقليم كبير من جملته قسنطانية وهى اليوم بلدة صغيرة سكانها سبعة آلاف وكانت عامرة فى أيام العرب ذات قلاع وأسوار وأبراج وقد نسب اليها رجال من أهل العلم . وبين دانية وشاطبة تقع بلدة يقال لها بنو غانم على ١٣ كيلو متراً من شاطبة وبلدة أخرى يقال لها « البيضاء » على نحو من ثلاثين كيلو متراً وبلدة « أونتنيان » وقد مرّ ذكرها فى تراجم بعض العلماء الذين انتسبوا الى شاطبة وبلدة يقال لهاالیوم « القوى » Alcoy وهى عامرة فيها ثلاثون ألف نسمةوالطريق من القوى الىالقنت هى طريق عربات وفى تلك المساحة بلدة يقال لها « جيجونة » أهلها سبعة آلاف وفيها حصن عربى قديم وهاتيك البلاد فى غاية الخصب وكثرة الخيرات .

ذكر من انتسب من أهل العلم الى دانية

أبو عبد الله محمد بن خلصة النحوى الكفيف أصله من شذونة وسكن دانية وأخذ بها عن أبى الحسن بن سيده وأقرأ العربية بدانية وبلنسية وكان شاعراً مجوداً متقدماً فى علوم اللسان وشعره مدوّن ، وممن أخذعنه أبو عمر بن شرف وأبو عبد الله ابن مطرف التطيلى وغيرهما ذكره ابن عزيز وقال الحميدى : كان من النحويين المتصدّرين والأساتيذ المشهورين والشعراء المجوّدين رأيته بدانية بعد الأربعين وأربعمائة وقرأت أنا فى ديوان شعره قصيدة له على رویّ الراء يهنئ فيها المقتدر أحمد بن سليمان بن هود

بدخول دانية وتملكها سنة ٤٣٨

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعود الأنصارى المقرى أخذ عن أبى عمر المقرى وكان من كبار أصحابه وتصدّر للاقراء وعنه أخذ أبو داود سليمان بن نجاح قراءة نافع من طريق قالون عند قدومه دانية للأخذ عن أبى عمرو سنة ٤٣٢ وحُكى انه ساكنه ونسخ الأصول منه وهو غلام دون العشرين ولابن سعود هذا تواليف منها كتاب « الاختلاف بين نافع من رواية قالون وبين الكسائى من رواية الدورى » وكتاب « السنن والاقتصاد فى الفرق بين السين والصاد » وكتاب « الاقتضاء للفرق بين الدال والضاد والظاء » قال ابن الأبار فى التكملة : وقفت عليها وبعضها مكتوب عنه قبل السبعين والأربعمائة

وأبو عبد الله محمد بن يحيى بن سليمان العبدرى أخذ القراءات عن أبى عمرو عثمان ابن سعيد الدانى امام القراء وروى عنه تواليفه وحدَّث عنه أبو العباس بن عيشون بالتيسير والتلخيص من كتب أبى عمرو نقل ذلك ابن الأبَّار عن ابن خير

وأبو عبد الله محمد بن أبى المسك يروى عن أبى الوليد الوقشى وعن أبى داود المقرى حدَّث عنه أبو زكريا بن صاحب الصلاة والد الأستاذ أبى محمد المعروف بعبدون بعضه من خط محمد بن عيَّاد الذى نقل عنه ابن الأبار

وأبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمى يعرف بابن اللبَّانة . كان من جلَّة الأدباء وفحول الشعراء غزير الأدب قوى العارضة متصرفاً فى البلاغة وله تواليف منها كتاب « مناقل الفتنة » وكتاب « نظم السلوك فى وعظ الملوك » وكتاب » سقيط الدُرَر ولقيط الزَهَر » سُمع منه بعضها فى حاضرة المرية وشعره مدوَّن توفى بميورقة سنة ٥٠٧ ودفن ازاء أبى العرب الصقلى . وكان هذا طوالاً وكان ابن اللبَّانة دحداحاً ذكر ذلك ابن الأبَّار فى التكملة . وابن اللبَّانة هذا هو الذى قال أحسن قصائده فى المعتمد ابن عبَّاد صاحب اشبيلية وكتب عن آل عبَّاد من النثر أيضاً ماحفظه الناس حفظ النظم لنفاسته. ولما كان كلٌّ من نظمه ونثره فيهم قد شرَّق وغرَّب وأبكى وأطرب فلا بأس فى ذكر بعض ماقاله فيهم فمن ذلك رثاؤه لهم بعد انقراض ملكهم

فى اشبيلية وهى قصيدة رثاء لايماثلها فى التاريخ إلا قصيدة رثاء عمارة اليمنى للخلفاء الفاطميين بمصر . قال ابن اللبّانة فى بنى عبّاد والراثى والمرثى كلٌّ منهما من آل لخم منسوب إلى شرف عبل الذراع ضخم:

تبكي السماء بمزنٍ رائحٍ غادِ ... على البهاليل من أبناء عبّادِ
على الجبال التى هُدَّت قواعدها ... وكانت الأرض منهم ذات أوتادِ
والرابيات عليها اليانعات ذوت ... أنوارها فغدت فى خفض أوهاد
عِرّيسة دَخَلَتها النائبات على ... أساودٍ لهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها ... فاليوم لا عاكف فيها ولاباد(١)
ياضيف أقفر بيت المكرمات فخُذ ... فى ضم رحلك وأجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه ... خَفَّ القطين وجفَّ الزرع بالوادى(٢)
وأنت يا فارس الخيل التى جعلت ... تختال فى عدد منهم واعداد
ألقِ السلاح وخلِّ المشرفى فقد ... أصبحت فى لهوات الضيغم العادى
لما دنا الوقت لم تُخلف له عدةٌ ... وكل شىء بميقات وميعاد

(١) هذا كما فى نفح الطيب وقد رأيت عبد الواحد المراكشى فى كتابه «المعجب فى تلخيص أخبار المغرب» يذكر هنا أبياتاً لم ترد فى النفح وهى

تلك الرماح رماح الخط ثقَّفها ... خطب الزمان ثقافاً غير معتادِ
والبيض بيض الظبى فات مضاربها ... أيدى الردى وثنتها دون اغمادِ
كم من درارىٍّ سعد قد وهت وهوت ... هناك من دررٍ للمجد أفرادِ
نور ونَوْرٌ فهذا بعد نعمته ... ذوى وذاك خبا من بعد ايقادِ

(٢) وهنا فى كتاب المراكشى هذا البيت

ضلت سبيل الندى بابن السبيل فسِرْ ... لغير قصدٍ فما يهديك من هادِ

ان يُخلعوا فبنو العباس قدخُلعوا　　وقدخلت قبل حمص أرض بغداد[١]
حمـوا حريمهم حتى إذا غُلبوا　　سيقوا على نسق فى حبل مقتاد
وأُنزلوا عن متون الشُهب واحتُملوا　　فويق دهم لتلك الخيل أنداد
وعيث فى كل طوق من دروعهم　　فصيغ منهن أغـلال لأجيـاد
نسيتُ الا غـداة النهر كونهم　　فى المنشآت كأمـوات بالحاد
والناس قدملأوا االبرين واعتبروا　　فى لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حُطَّ القناع فـلم تستر مخدَّرةٌ　　ومُزِّقت أوجه تمزيق ابراد[٢]

---

(١) هذا البيت غريب هنا ونظنه مدسوساً على هذه القصيدة فيما بعد لأن دولة بنى العباس لم تـكن انقرضت يوم انقراض بنى عبّاد بل عاشت من بعدها أكثر من مائة وسبعين سنة . فبنو عبّاد قد ثُلَّ عرشهم سنة ٤٨٤ ولم يثل عرش بنى العباس إلا الأربعاء رابع عشر صفر سنة ست وخمسين وستمائة . وقد كانت تقدمت هذه الحادثة حوادث طبيعية هائلة تشاءم الناس بها واستدلوا منها على قرب كائنة عظيمة من قبيل طغيان المياه فى العراق وظهور نار فى الحجاز وحريق المسجد النبوى وغير ذلك ، فقال المؤرخ أبو شامة شعراً :

نار أرض الحجاز مع حرق المسـ　　ـجد مع تغريق دار السلام
بعد ست من المئـتين وخمسـ　　ـين لدى أربـع جرى فى العام
ثم أخـذ التتار بغداد فى أو　　ل عام من بعـد ذاك وعام
لم يُعَنْ أهلها وللـكفر أعوا　　ن عليهم يا ضيعة الاسلام
وانقضَت دولة الخلافـة منها　　صار مستعصم بغير اعتصام
فحنـانًا على الحجاز ومصر　　وسلاما على بلاد الشـــام

(٢) وهنا جاء فى تاريخ عبد الواحد المراكشى البيت الآتى :

تفرقوا حيرة من بعد ما نشأوا　　أهلاً بأهل وأولاداً بأولاد

وفى آخر القصيدة هذا البيت ليس فى النفح وهو :

مَن لى بكم يا بنى ماء السماء اذا　　ماء السماء أبى سقيا حشى الصادى

حان الوداع فضجّت كل صارخةٍ وصارخٍ من مُفَـدّاةٍ ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها كأنها إبلٌ يحدو بهـا الحادى
كم سال فى الماء من دمع وكم حملت تلك القطائع من قطعات أكباد

وله فى قضية المعتمد بن عبّاد القصيدة التالية :

انفض يديك من الدنيا وساكنها فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها السُفلىّ قد كتمت سريرة العـالم العلوى أغمـات
طوت مظلّتها لابل مـذلتها من لم تزل فوقه للعز رايات
من كان بين الندى والبأس أنصله هنـــدية وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تستره سابغة دهر مصيباته نبل مصيبات
انـكرت الاّ التوا آت القيود به وكيف تنـكر فى الروضات حيات
غلطت بينهما بينٌ عقـدن له وبينها فاذا الأنواع أشتـات
وقلت هن ذؤابات فلم عكست من رأسه نحو رجليه الذؤابات
حسبتها من قناة أو أعنته اذا بهـا لثقاف المجـد آلات
دَرَوْهُ ليثاً فخافوا منـه عادية عذرتهم فلعـدو الليث عادات
لو كان يفرج عنه بعض آونة قامت بدعوته حـتى الجمادات
بحر محيط عهـدناه تجىء له كنقطة الدارة السبع المحيطات
لهفى عـــلى آل عباد فانهم أهلّة ما لها فى الأفق هالات
راح الحيا وغـدا منهم بمنزلة كانت لنا بكر فيها وروحات
أرض كأن على أقطارها سرجا قـد أوقدتهن بالأذهان أنبات
وفوق شاطئ واديها رياض رُبى قد ظللتها من الأنشام دوحات
كأن واديهـا سلك بلبتها وغاية الحسن أسلاك ولبات
نهر شربت بعبرَيْهِ على صور كانت لها من قبيل الراح سورات
وربمـا كنت أسمو للخليج به وفى الخليج لأهل الراح راحات

وبالغروسات لا جفّت منابتها   من النعيم غروسات جنيات

وله أيضاً قصيدة عملها فى المعتمد وهو فى الاسر بأغمات سنة ٤٨٦ وهى من الطبقة الأولى :

تنشق بريحان السلام فانما   أفض به مسكاً عليك مختما
وقل لى مجازاً ان عدمت حقيقة   لعلك فى نعمى فقد كنت منعماً
أفكر فى عصر مضى بك مشرقاً   فيرجع ضوء الصبح عندى مظلماً
وأعجب من أفق المجرة اذ رأى   كسوفك شمسا كيف أطلع أنجما
لئن عظمت فيك الرزية اننا   وجدناك منها فى الرزية أعظما
قناة سعت للطعن حتى تقسمت   وسيف أطال الضرب حتى تثلما

ومنها :

بكى آل محمود ولا كمحمد   وأولاده صوب الغمامة إذ همى
حبيب إلى قلبى حبيب وقومه   عسى طلل يدنو بهم ولعلما
صباحهم كنا به نحمد السرى   فلما عدمناه سرينا على عمى
وكنا رعينا العزّ حول حماهم   فقد أجدب المرعى وقد أقفر الحمى
وقد ألبست أيدى الليالى قلوبهم   مناسج سَدّى العَيْث فيها وألحما
قصور خلت من ساكنيها فما بها   سوى الادم تمشى حول واقفة الدمى
تجيب بها الهام الصدى ولطالما   أجاب القيان الطائر المترنما
كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى   بها الوفد جمعاً والخميس عرمرما

ومنها :

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا   ومن ولهى أحكى عليك متمماً
مصاب هوى بالنيرات من العلا   ولم يبق فى أرض المكارم معلماً
تضيق علىّ الأرض حتى كأنما   خلقت وإياها سواراً ومعصما
ندبتك حتى لم يخل لىَ الأسى   دموعاً بها أبكى عليك ولا دما
وإنى على رسمى مقيم فان أمت   سأجعل للباكين رسمىَ موسما

بكاك الحيا والريحُ شقت جيوبها ... عليك وناح الرعد باسمك معلما

ومزق ثوب البرق واكتست الضحى ... حداداً وقامت أنجم الجو أفحما

وحار ابنك الاصباح وجداً فما اهتدى ... وغار اخوك البحر غيظاً فما طمى

وما حل بدر التم بعدك دارة ... ولا أظهرت شمس الظهيرة مبسما

قضى الله أن حطوك عن ظهر أشقر ... أشمّ وأن أمطوك أشأم أدهما

وكان قد انفكت عنه القيود فأشار إلى ذلك بقوله :

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت ... قيودك منهم بالمكارم أرحما

عجبت لأن لان الحديد وان قسوا ... لقد كان منهم بالسريرة أعلما

سينجيك من نجى من السجن يوسفاً ... ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

ومن شعر ابن اللبانة فى بنى عباد بعد نكبتهم قوله :

أستودع الله أرضاً عند ماوضحت ... بشائر الصبح فيها بدلت حلكاً

كان المؤيد بستاناً بساحتها ... يجنى النعيم وفى عليائها فلكا

فى أمرة لملوك الدهر معتبر ... فليس يغتر ذو ملك بما ملكا

نبكيه من جبل خرّت قواعده ... فكل من كان فى بطحائه هلكا

ولابن اللبّانة فى بنى عبّاد من النثر قوله :

بماذا أصفهم وأحلّيهم، وأى منقبة من الجلالة أوليهم ، فهم القوم الذين تجل مناقبهم عن العد والاحصاء ، ولا يتعرض لها بالاستيفاء والاستقصاء ، ملوك بهم ازّينَتْ الدنيا وتحلّت ، وترقّت حيث شاءت وحلّت ، ان ذكرت الحروب فعليهم يُوقف منها الخبر اليقين ، أوعدّت المآثر فهم فى ذلك فى درجة السابقين ، أصبح الملك بهم مشرق القسام ، والأيام ذات بهجة وابتسام ، حتى أناخ بهم الحمام، وعطل من محاسنهم الوراء والامام، فنقل إلى العدم وجودهم أولم يرع بأسهم وجودهم ، وكل ملك آدمى فمفقود ، ومانؤخره إلا لأجل معدود، فأول ناشئة ملكهم ، ومحصّل الأمر تحت ملكهم، عظيمهم الأكبر ،وسابقة شرفهم الأجل الأشهر، وزينهم الذى يعد فى الفضائل بالوسطى والخنصر ، محمد بن عبّاد ويكنى أبا القاسم واسم والده اسماعيل (الى أن يقول فى وصف المعتضد والد محمد الملقب بالمعتمد)

المتضد أبو عمرو عبَّاد رحمه الله تعالى لم تخلُ أيامه فى أعدائه من تقييد قدم ولا عطّل سيفه من قبض روح وسفك دم، حتى لقد كانت فى باب داره حديقة لا تثمر إلا رؤوسا، ولا تنبت إلا رئيساً ومرؤسا، فكان نظره اليه أشهى مقترحاته وفى التلفت اليها استعمل جلّ بكره وروحاته، فأ بكى وأرّق، وشتّت وفرّق، ولقد حكى عنه من أوصاف التجبرُّ ماينبغى أن تصان عنه الأسماع ولا يتعرّض له بتصريح ولا الماع . اه. ومن هنا يعلم أن ابن اللبَّانة لم يكن ممن تعميه العلائق عن الحقائق فان المعتضد بن عبّاد كان مشهوراً بالقسوة وكان يُروى عنه فى ذلك نوادر تشمئز النفوس من مطالعتها مثل أنه كان يجعل رؤوس الأعداء الذين ظفر بهم فقطع رؤوسهم فى معرض خاص يتلذذ بالاختلاف اليه من وقت الى آخر ويأخذ كل رأس بيده يقلبه بين أنامله تشفّياً وتبريداً لإحنته التى لم تزل فى صدره لم يخففها كون ذلك العدو قد ذهب وكانت منيته على يده، بل هو يريد أن يديم تذكار ذلك الظافر بمشاهدة تلك الرؤوس المقطوعة بين يديه ويتلذذ بحصول تلك الجماجم لديه ، وهذه هى القسوة الوحشية التى جعلت مثل ابن اللبانة مع اجتماعه بآل عبّاد فى النسب اللخمى ومع تقلبه فى نعم المعتمد التى أنطقته بتلك المدائح السائرة والأوابد التى لا تزول من الذاكرة ، يشير اليها مع الاستنكار والاقشعرار . ولنعد الى ما قال الشاعر المذكور فى آل عبّاد. فمن ذلك أنه كان للمعتمد ولد رشحه للملك من بعده ولقبه بالمؤيد بنصر الله فعاقته الفتنة عن مراده وخُلع ونفى الى اغمات فى المغرب الأقصى كما سيأتى الخبر عن ذلك فى محله فجاء محمد بن اللبَّانة الى أغمات يفتقد ممدوحه القديم فرأى ولده فخر الدولة هذا يشتغل فى دكان صائغ بعد أن كان يحل من المجد أبراجاً ويطلع فى هالة الملك هلالاً وهّاجاً ، لا تسعه القصور الشامخة، والصروح الممرّدة فأذكره ذلك من مجد هذا الشاب السالف ما أنطقه بهذه القصيدة الفريدة :

أذكى القلوب أسىً أبكى العيون دما	خطبٌ وجدناك فيه يشبه العدما
أفراد عقد المنا منا قد انتثرت	وعقد عروتنا الوثقى قد انفصما
شكاتنا فيك يافخر العلا عظمت	والرزء يعظم فيمن قدره عظما
طوّقت من نائبات الدهر مخنقة	ضاقت عليك وكم طوقتنا نعما

وعاد كونك فى دكان قارعة   من بعدما كنت فى قصر حكى إرما
صرّفت فى آلة الصواغ أنملةً   لم تدرِ إلا الندى والسيف والقلما
يدٌ عهدتك للتقبيل تبسطها   فتستقلّ الثريا أن تكون فما
ياصائغاً كانت العليا تصاغ له   حلياً وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ماحكاه سوى   هول رأيناك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عينى اليك به   لو أن عينى تشكو قبل ذاك عمى
ماحطك الدهر لما حط من شرف   ولا تحيّف من أخلاقك الكرما
لح فى العلى كوكباً ان لم تلح قمراً   وقم بها ربوةً ان لم تقم علما
واصبر فربما أحمدت عاقبة   من يلزم الصبر يحمد غبّ مالزما
والله لوأنصفتك الشهب لانكفأت   ولو وفى لك دمع المزن لانسجما
بكى حديثك حتى الدر حين غدا   يحكيك رهطاً وألفاظاً ومبتسما
وروضة الحسن منأزهارها عريت   حزناً عليك لأن أشبهتها شيما
بعد النعيم ذوى الريحان حين رأى   ريحانك الغضَّ يذوى بعد ما نعما
لم يرحم الدهر فضلاً أنت حامله   من ليس يرحم ذاك الفضل لا رُحما
شقيقك الصبح ان أضحى بشارقة   وأنت فى ظلمة فالصبح قد ظلما

ولما ورد أبو بكر محمد بن اللبانة أغمات متفقداً المعتمد فى أسره سر المعتمد بوروده سرورملك منكوب ذهب ملكه وانتثرسلكه بصديق قديم كان من خواصه ومن تأنس نفسه به فأقام عنده ما أقام فلما أزمع السفر استنفد المعتمد وسعه ووجه اليه بعشرين مثقالا وثوبين وكتب اليه معها — وقد كان المعتمد سيد الشعراء كما كان سيد الأمراء —:

اليك النزر من كف الأسير   فان تقبل تكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياء   وان عذَرته حالات الفقير
ولا تعجب لخطب غض منه   أليس الخسف ملتزم البدور
ورجّ لجبره عقبى نداه   فكم جبرت يداه من كسير

وكم أعلت علاه من حضيض ۝ وكم حطت ظباه من أمير
وكم من منبر حنت اليه ۝ أعالى مرتقاه ومن سرير
زمان تزاحفت عن جانبيه ۝ جياد الخيل بالموت المبير
فقد نظرت اليه عيون نحس ۝ مضت منه بمعدوم النظير
نحوس كنّ فى عقبى سعود ۝ كذاك تدور أقدار القدير
وكم أحظى رضاه من حظِى ۝ وكم شهرت علاه من شهير
زمان تنافست فى الحظ منه ۝ ملوك قد تجور على الدهور
بحيث يطير بالأبطال ذعر ۝ ويلفى ثم أرجح من ثبير

فامتنع ابن اللبانة عن قبول ذلك ورده اليه بجملته وكتب مجيباً له :

سقطت من الوفاء على خبير ۝ فذرنى والذى لك فى ضميرى
تركت هواك وهو شقيق دينى ۝ لئن شُقّت برودى عن غدور
ولا كنت الطليق من الرزايا ۝ إذا أصبحت أجحف بالأسير
أسير ولا أصير الى اغتنام ۝ معاذ الله من سوء المصير
إذا ما الشكر كان وإن تناهى ۝ على نعمى فما فضل الشكور
جذيمة أنت والأيام خانت ۝ وما أنا من يقصّر عَن قصير
أنا أدرى بفضلك منك إنى ۝ لبست الظل منه فى الحرور
غنىّ النفس أنت وان الحّت ۝ على كفيك حالات الفقير
تصرّف فى الندى حيل المعالى ۝ فتسمح من قليل بالكثير
أحدّث منك عن نبع غريب ۝ تفتّح عن جنى زهر نضير
وأعجب منك إنك فى ظلام ۝ وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعنى سروراً ۝ إذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلّنى رتب المعالى ۝ غداة تحلّ فى تلك القصور
تزيد على ابن مروانٍ عطاءً ۝ بها وأُنيف ثمّ على جرير
تأهب أن تعود إلى طلوع ۝ فليس الخسف ملتزم البدور

فراجعه المعتمد بهذه الأبيات :

ردَّ بِرّى بغياً علىّ وبِرّا | وجفا فاستحق لوماً وشكرا
حاط نزرى إذ خاف تأكيد ضرّى | فاستحق الجفاء إذ حاط نزرا
فاذا ما طويت فى البعض حمداً | عاد لومى فى البعض سراً وجهرا
يا أبا بكرٍ الغريب وفاءً | لاعدمناك فى المغارب ذخرا
أى نفع يجدى احتياط شفيق | مت ضرّا فكيف أرهب ضرّا

فأجابه ابن اللبّانة :

أيها الماجد السميدع عذرا | صر فى البر انما كان بِرّا
حاش لله أن أجيح كريماً | يتشكّى فقراً وكم سدّ فقرا
لا أزيد الجفاء فيه شقوقاً | غدر الدهر بى لأن رمت غدرا
ليت لى قوة أو اوى لركنٍ | فترى للوفاء منى سرّا
أنت علمتنى السيادة حتى | ناهضت همتى الكواكب قدرا
ربحت صفقةٌ أزيل بروداً | عن أديمى بها والبس فخرا
وكفانى كلامك الرطب نيلاً | كيف ألقى دراً وأطلب تبرا
لم تمت انما المكارم ماتت | لاسقى الله الارض بعدك قطرا

قال عبد الواحد المراكشى فى المعجب :

وابن اللبّانة هذا هو أبو بكر محمد بن عيسى من أهل مدينة دانية وهى على ساحل البحر الرومى كان يملكها مجاهد العامرى وابنه على. ولابن اللبّانة هذا أخ اسمه عبد العزيز وكانا شاعرين إلاّ أن عبد العزيز منهما لم يرض الشعر صناعة ولا اتخذه مكسباً وانما كان من جملة التجار . وأما أبو بكر فرضيه بضاعة وتخيّره مكسباً وأكثر منه وقصد به الملوك فأخذ جوائزهم ونال أسنى الرتب عندهم وشعره نبيل المأخذ وهو فيه حسن المهيع جمع بين سهولة الألفاظ ورشاقتها وجودة المعانى ولطافتها كان منقطعاً إلى المعتمد معدوداً فى جملة شعرائه لم يفد عليه إلاّ آخر مدته فلهذا قلّ شعره الذى يمدحه به. وكان رحمه الله مع سهولة الشعر عليه واكثاره منه قليل المعرفة بعلله لم يجد الخوض

فى علومه وانما كان يعتمد فى أكثره على جودة طبعه وقوة قريحته يدل على ذلك قوله فى قصيدة له :

من كان ينفق من سواد كتابه   فأنا الذى من نور قلبى أنفق[1]

---

(١) يظهر أن ابن اللبانة كان على نمط صاحبنا محمود سامى باشا البارودى سيد شعراء المحدثين الذى بلغ فى الشعر الدرجة التى لم يكن فوقها وذلك دون أن يقرأ كتاباً من كتب القواعد العربية بل بمجرد صفاء القريحة ومطالعة شعر الأولين. قال الشيخ حسين المرصفى فى كتابه « الوسيلة الأدبية للعلوم العربية » وهو خير كتاب فى بابه مايلى : فتقرربجميع ما سلف أنه لاطريق لتعليم صناعة الانشاء الاً حفظ كلام الغير وفهمه وتمييز مقاصده وها أنا مستشهد على ذلك بما هو حاضر معنا فى هذا العصر المخالف بالكلية للعصور التى كان أمر الشعر والكتابة الصناعية قائما فيها ورغبات الملوك وأعيان الأمراء فيها متوفرة إذ كانت الدولة عربية وأمراؤها من العرب أو من غيرهم وهم مضطرون لاتقان معرفة لسانهم حسب ما كانت تبعث الحاجة اليه ويتوقف تحصيل الأغراض عليه وبتغير الدولة تتغير الأحوال فان الكتابة الصناعية بلسان الدولة القائمة بالغة درجتها باللسان العربى أو أعلى كما تسمعه من العارفين بطرائف اللسانين ومحاسن اللغتين وليس يقوى أمر كما هو بديهى إلا بحسب قوة الحاجة اليه، هذا الأمير الجليل ذو الشرف الأصيل والطبع البالغ نقاؤه والذهن المتناهى ذكاؤه محمود سامى البارودى لم يقرأ كتاباً فى فن من فنون العربية غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلاً إلى قراءة الشعر وعمله فكان يستمع بعض من له دراية وهو يقرأ بعض الدواوين حتى تصور فى برهة يسيرة هيئات التراكيب العربية ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات حسب ما تقتضيه المعانى والتعلقات المختلفة فصار يقرأ ولا يكاد يلحن وسمعته مرةً يسكّن ياء المنقوص والفعل المعتل بها المنصوبين فقلت له فى ذلك فقال هو كذا فى قول فلان وأنشد شعراً لبعض العرب فقلت تلك ضرورة وقال علماء العربية انها غير شاذة . ثم اشتغل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء

ولما خلع المعتمد على الله وأخرج من اشبيلية لم يزل أبو بكر هذا يتقلّب فى البلاد إلى أن لحق بجزيرة ميورقة وبها مبشّر العامرى الملقب بالناصر فحظى عنده وعلت حاله معه وله فيه قصائد أجاد فيها ماشاء فمنها قصيدة ركب فيها طريقة لم أسمع بها لمتقدم ولا لمتأخر وذلك أنه جعلها من أولها الى آخرها صدر البيت غزل وعجزه مدح وهذا لم أسمع به لأحد وأول القصيدة :

وضحت وقد فضحت ضياء النير	فكأنما التحفت ببشر مبشر
وتبسمت عن جوهر فحسبته	ما قلدته محامدى من جوهر
وتكلمت فكأن طيب حديثها	متعت منه بطيب مسك اذفر
هزّت بنغمة لفظها نفسى كما	هزّت بذكراه أعالى المنبر
أذنبت فاستغفرتها فجرت على	عاداته فى المذنب المستغفر
جادت علىّ بوصلها فكأنه	جدوى يديه على المقل المقتر
ولثمت فاها فاعتقدت بأننى	من كفه سوّغت لثم الخنصر
سمحت بتعنيق فقلت صنيعة	سمحت علاه بها فلم تتعذر
نهدٌ كقوة قلبه فى معرك	وحشاً كلين طباعه فى محضر
ومعاطف تحت الذوائب خلتها	تحت الخوافق ماله من سمهرى
حسنت أمامى فى خمار مثل ما	حسن الكمىّ أمامه فى مغفر
وتوشحت فكأنه فى جوشن	قد قام عثيره مقام العنبر

من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة واستثبت جميع معانيها ناقداً شريفها من خسيسها واقفاً على صوابها وخطأها مدركاً ما كان ينبغى وفق مقام الكلام وما لاينبغى ثم جاء من صنعة الشعر اللائق بالأمراء ولشعر الأمراء كأبى فراس والشريف الرضى والطغرائى تميز عن شعر الشعراء كما ستراه. ومصداق ذلك ماسألقيه عليك من قصائد أنشأها « إلى آخر ماقال »

ومن أرادأن يعلم هل البارودى سيدالشعراء فى العصرالأخير فعليه بمطالعة ديوانه

غمزت بيعض قسيه من حاجب ورنت ببعض سهامه من محجر
أو مت بمصقول اللحاظ فخلته يومى بمصقول الصفيحة مشهر
وضعت حشاياها . فويق أرائك وضع السروج على الجياد الضمر
من رامة أورومة لا علم لى أأتت عن النعمان أم عن قيصر
بنت الملوك فقل لكسرى فارس تعزى والا قل لتبع حمير
عاديت فيها غير قومى فاغتدوا لاأرضهم أرضى ولاهم معشرى
وكذلك الدنيا عهدنا أهلها يتعافرون على الثريد الأعفر
طافت علىّ بجَمرة من خمرة فرأيت مريخاً براحة مشترى
فكأن أنملها سيوف مبشر وقدا كتست علق النجيع الأحمر
ملك أزرة برده ضمت على بأس الوصىّ وعزمة الاسكندر

هذا ما اخترت له منها . ومن نسيبه المليح الخفيف الروح . قوله يتغزل ويمدح مبشراً هذا :

هلا ثناك علىّ قلب مشفق فترى فراشاً فى فراش يحرق
قدصرت كالرمق الذى لايرتجى ورجعت كالنفس الذى لايلحق
وغرقت فى دمعى عليك وغمنى طرف فهل سبب به أتعلق
هل خدعة بتحية مخفية فى جنب موعدك الذى لايصدق
أنت المنية والمنى فيك استوى ظل النعامة والهجير المحرق
لك قدٌّ ذابلةِ الوشيج ولونها لكن سناؤك اكحل لا أزرق
ويقال انك أيكة حتى اذا غنيت قيل هو الحمام الأورق
يامن رشقت إلى السلو فردنى سبقت جفونك كل سهم يرشق
لو فى يدى سحر وعندى أخذة لجعلت قلبك بعض حين يعشق
لتذوق ماقد ذقت من ألم الجوى وترق لى مما تراه وتشفق
جسدى من الأعداء فيك لأنه لا يستبين لطرف طيف يرمق
لم يدر طيفك موضعى من مضجعى فعذرته فى أنه لا يطرق

جفت عليك منابتى ومنابعى فالدمع ينشع[1] والصبابة تورق
وكأن أعلام الأمير مبشر نشرت على قلبى فأصبح يخفق

وفيها يقول يصف لعب الاسطول فى يوم المهرجان :

بشرى بيوم المهرجان فانه يوم عليه من احتفائك رونق
طارت بنات الماء فيه وريشها ريش الغراب وغير ذلك سوذق[2]
وعلى الخليج كتيبة جرارة مثل الخليج كلاهما يتدفق
وبنو الحروب على الجوارى التى تجرى كما تجرى الجياد السبق
ملأ الكماة ظهورها وبطونها فأتت كما يأتى السحاب المغدق
خاضت غدير الماء سابحة به فكأنما هى فى سراب أينق
عجباً لها ما خلت قبل عيانها أن يحمل الأسد الضوارى زورق
هزت مجاديفاً اليك كأنها أهداب عين للرقيب تحدّق
وكأنها أقلام كاتب دولة فى عرض قرطاس تخط وتمشق

وله فيها احسان كثير . وله من قصيدة يتغزل :

فؤادى معنى بالحسان منعّت وكل موفًّى فى التصابى موقت
ولى نَفَسٌ يخفى ويخفت رقة ولكن جسمى منه أخفى وأخفت
وبى ميت الأعضاء حى دلاله غرامى به حى وصبرى ميت

---

(١) لا يظهر لى هنا جيداً معنى « ينشع » ولعله مما حرف النساخ أو هو فى لغة الأندلسيين غير ما هو فى الفصيح فان « نشع » فى الفصيح لاوجه له فى هذا المحل فقد قالوا « نشع بالشىء أخذه بعنف والطيب شمه وفلاناً بشربة ماء أغاثه بها وفلاناً الكلام لقنه إياه والناقة سعطها » واذا كان لازماً فهو بمعنى « شهق » واذا قلنا انه مضارع « أنشع » مبنياً للمجهول فلا يصح معه المعنى أيضاً « فأنشعه أعطاه أجرته وأنشع فلاناً الكلام لقنه إياه »

(٢) السوذق بفتح فسكون الصقر أو الشاهين

جملت فؤادى جفن صارم جفنه فيا حرّما يصلى به حين يصلت
أذل له فى هجره وهو ينتمى وأسكن بالشكوى له وهو يسكت
وماانبت حبل منه إذ كان فى يدى لريحان ريعان الشبيبة منبت

ومن جيد ماله من قصيدة يمدح بها مبشراً ناصر الدولة أولها :

راق الربيع ورق طبع هوائه فانظر نضارة أرضــه وسمائه
واجعل قرين الورد فيه سلافة يحكى مشعشعها مصعّد مائه
لولا ذبول الورد قلت بأنه خد الحبيب عليه صبغ حيائه
هيهات أين الورد من خد الذى لا يستحيل عليك عهد وفائه
الورد ليس صفاته كصفاته والطير ليس غناؤها كغنائه
يتنفس الاصباح والريحان من حركات معطفة وحسن روائه
ويجول فى الأرواح روح ماسرت رياه من تلقائه بلقائه
صرف الهوى جسمى شبيه خياله من فرط خفته وفرط خفائه

ومن أحسن ماعلى خاطرى له بيتان يصف بهما خالا وهما :

بدا على خده خال يزينه فزادنى شغفاً فيــه على شغف
كأن حبة قلبى عند رؤيته طارت فقال لها فى الخد منه قفى

انتهى ما انتخبناه من شعر ابن اللبانة نقلا عن نفح الطيب وعن كتاب المعجب فى تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشى وقد قال صاحب النفح : وعاش أبو بكر بن اللبانة المعروف بالدانى بعد المعتمد وقدم ميورقة آخر شعبان سنة ٤٨٩ ومدح ملكها مبشر بن سليمان بقصيدة مطلعها

ملك يروعك فى حلى ريعانه راقت برونقه صفات زمانه

قال المقرى : وأين هذا من أمداحه فى المعتمد ؟ قلت : يظهر أن المقرى لم يطلع على قصائد ابن اللبانة فى مبشر صاحب ميورقة ولو اطلع عليها لرآها مع أمداح المعتمد من نسج واحد ثم قال : وتذكرت هنا من أحوال الدانى أنه دخل على ابن عمّار فى مجلس

فأراد أن يندّر به قال له : اجلس يادانى بغير ألف . فقال له : نعم يا ابن عمّار بغير ميم وهذا هو الغاية فى سرعة الجواب والأخذ بالثار فى المزاح .

وممن ينسب إلى دانية من أهل العلم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن ميمون الزهرى الفارض له رواية عن ابن سيده وكان من أهل المعرفة بالعربية والتقدم فى علم الفرائض والحساب روى عنه أبو بكر بن أبى الدوس وغيره قاله ابن الأبار

وأبو بكر محمد بن على بن بشرى رحل حاجاً ودخل بغداد فسمع بها من أبى بكر بن طرخان سنة ٥١٣ وسمع أيضا أبا محمد بن عمر السمرقندى وغيرهما وقفل إلى بلده دانية فحدّث وسمع منه زاوى بن مناد وغيره عن ابن الأبار :

ومحمد بن حسين بن أبى بكر الحضرمى يعرف بابن الحنّاط ويكنى أبا بكر كان من بيت علم وصلاح تفقه بأبيه وسمع من أبى داود المقرى وأبى على الغسانى وأبى على الصدفى ودرّس الفقه ببلده دانية وأخذوا عنه وتوفى ليلة الاثنين مستهل جمادى الآخرة سنة ٥١٤ قال ابن الأبار قرأت ذلك فى رخامة بازاء قبره .

وأبو بكر محمد بن سعد بن زكريا بن عبد الله بن سعد كان عالماً بالطب وألّف كتاب التذكرة وتعرف بالسعدية نسبة إليه وأنشد فيها قصيدة للوقشى قال ابن الأبار : وأحسبه لقيه وكان حياً فى سنة ٥١٦

ومحمد بن طاهر بن على بن عيسى الأنصارى الخزرجى يكنى أبا عبد الله وهو أخو أبى العباس بن عيسى سمع ببلده دانية من أبى داود المقرى قال ابن الأبار : ووجدت سماعه لكتاب التقصّى لأبى عمر بن عبد البر مع أخيه وأبى الحسن بن هذيل فى سنة ٤٩٤ ولقى أبا الحسن الحصرى ثم خرج حاجاً سنة ٥٠٤ وأقام مدة بدمشق يقرى العربية وكان شديد الوسوسة فى الوضوء ذكره ابن عساكر وقال : أنشدنى أخى أبو الحسين هبة الله بن الحسن الفقيه قال : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن طاهر بن على بن عيسى الأنصارى الأندلسى الدانى بدمشق قال : أنشدنا أبو الحسن على بن عبد الغنى المقرى القيروانى المعروف بالحصرى لنفسه

يموت من فى الأنام طراً   من طيب كان أو خبيث
فمستريح ومستراحٌ   منه كذا جاء فى الحديث

قال : وأنشدنا الحصرى لنفسه

لو كان تحت الأرض أو فوق الذرى   حُر أُتيح له العدو ليوذا
فاحذر عدوك وهو أهون هيّنٍ   ان البعوضة أردت النمروذا

قال ابن عساكر : وقد رأيته وأنا صغير ولم أسمع منه شيئاً وخرج الى بغداد فأقام بها إلى أن توفى سنة ٥١٩

ومحمد بن ابراهيم بن مختار اللخمى يكنى أبا عبد الله كان فقيهاً مشاوراً وله سماع من أبى بكر بن برنجال فى سنة ٥٢٩ . عن ابن الابار

وأبو عبد الله محمد بن على بن عطية العبدرى لهرحلة حج فيها وسماع من أبى العباس ابن عيسى فى سنة ٥٣١ ذكره ابن الأبار

ومحمد بن الحسن بن محمد بن سعيد المقرى يكنى أباعبد الله ويعرف بابن غلام الفرس والفرس لقب لرجل من تجار دانية اسمه موسى المرادى كان سعيد مولاه أخذ القراءات عن أبى داود بن نجاح وأبى الحسن بن الدوش وغيرهما وسمع من أبى على الصدفى وأبى محمد البطليوسى وأبى بكر الفرضى وغيرهم وكتب اليه من أعلام الأندلسيين أبو بكر ابن العربى وأبو عبد الله بن الحاج وأبو عبد الله البلغى وسواهم ورحل حاجاً من دانية يوم الاثنين التاسع من جمادى الآخرة سنة ٥٢٧ فأدى الفريضة وسمع بالاسكندرية من أبى طاهر السلفى وغيره فى أثناء رحلته إلى الشرق حيث أقام ثلاثة أعوام ونيفاً . ثم رجع إلى دانية فدخلها ليلة عيد الأضحى سنة ٥٣٠ وتصدر للاقراء واسماع الحديث وتعليم العربية وكان إماماً فاضلاً ضابطاً متقناً مشاركاً فى علوم جمة حسن الخط أنيق الوراقة رحل الناس اليه للقراءة عليه لعلو روايته واشتهار عدالته وانتهت اليه الرئاسة فى القراءات وعللها وولى بآخرة من عمره الخطبة بجامع بلده من قبل القاضى مروان ابن عبد العزيز المتأمّر عند خلع دولة المرابطين وروى عنه ابن بشكوال وأبو العباس

الاقليشى وأبو عمر بن عياد قال ابن الأبار : وحدثنا عنه من شيوخنا أبو عبد الله بن سعادة المعمر وحكى ابن عيّاد عنه قال : أنشدنى أبو الحسن بن الدوش الشاطبى لما أتيت اليه للقراءة عليه متمثلاً فى معرض التواضع

لعمر أبيك ما نُسب المعلى إلى كرم وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوّح نبتها رُعىَ الهشيم

قال ابن الأبار : توفى ابن سعيد بدانية عصر يوم الأحد الثالث عشر من المحرم سنة ٥٤٧ وصُلى عليه يوم الاثنين بعده ودفن بقبلى جامعها الأكبر أثناء سماء مدرار كثر عنها الماء فى قبره فاحتيج إلى امتياحه وفرش الرمل عند انزاله فيه وكان مولده فى ٢١ رمضان سنة ٤٧٢

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الأموى الدانى نزيل سبتة يعرف بالأشقر أخذ القراءات عن ابن شفيع وأبى محمد بن ادريس وغيرهما وأقرأ القرآن بسبتة وكان فاضلاً عالي الرواية توفى فى ١٩ جمادى الآخرة سنة ٥٥٩

وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعيد بن يوسف الحضرمى يعرف بابن الحسراته أخذ القراءات عن أبى عبد الله بن سعيد واقتصر عليه وخلفه فى الاقراء وكان ضعيف الخط توفى حول سنة ٥٦٤ وقد قارب الثمانين ومولده سنة ٤٨٧ ذكره ابن الأبار

وأبو عبد الله محمد بن حاضر بن منيع العبدرى صحب الاستاذ أبا الحسن طاهر بن سبيطة وأخذ عنه تأليفه فى البروج والمنازل حدث عنه به عُليم بن عبد العزيز الحافظ ذكره ابن الأبار ولم يذكر سنة وفاته

وأبو عبد الله محمد بن محمد بن طاهر بن على بن عيسى الانصارى الخزرجى تفقه بأبيه أبى العباس وبأبى بكر الحناط وأخذ القراءات عن ابن سعيد وقدم للشورى قال ابن الأبار : وكان جليلاً نبيهاً فاضلاً نزيهاً توفى بمرسية سنة ٥٦٦ واحتمل إلى دانية فدفن بها ومولده سنة ٥٠٠

وأبو بكر محمد بن ابراهيم بن أحمد بن خلف بن جماعة بن مهدى البكرى سمع من أبيه ومن ابن سعيد وأجاز له أبو المظفر الشيبانى وأبو على بن العرجاء وأبو طاهر السلفى

وأبوعبد الله المازرى وولى قضاء دانية بلده وكان عارفاً بالأحكام مقدماً فىعقد الشروط حسن الخط مشكور السيرة امتحن فى آخر عمره فقبض عليه واعتقل بمرسية وتوفى بها على تلك الحال فى العشر الأول من ربيع الأول سنة ٥٨١ وصلى عليه بها وسيق إلى قسطنطانية فدفن فيها مع سلفه ذكره ابن الابار

وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم العبدرى روىعن أبى العباس بنعيسى وأبى اسحق ابن جماعة قال ابن الأبَّار : حدَّث عنه شيخنا أبو عامر الفهرى لقيه ببلنسية وأجاز له فى سنة ٥٨٠

وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن خلف بن جمهور القضاعى من أهل بيران عمل دانية سمع من أبى عبد الله بن بركة الشاطبى فى سنة ٥٣٧ وسمع منه أبو عبد الله بن أبى البقاء وتوفى فى نحو السبع والتسعين والخمسمائة . عن ابن الأبَّار

وأبو عبد الله محمد بن عمر بن على بن عبيد الله بن عامر المعافرى من بيت نباهة وعلم وأدب فى دانية روى عن مشيخة بلده وتولّى الأحكام بدانية وكان له حظ من قرض الشعر توفى فى نحو سنة ٦١٠ ذكره ابن الأبَّار

وأبو عبد الله محمد بن عبد الجبار بن محمد بن خلف القيسى من أهل دانية سكن بلنسية سمع من أبى الحسن بن النعمة كثيراً وأخذ القراءات عن ابن طارق وكان من أهل الضبط شديد الأخذ على القارئ متعنتاً فى ذلك حتى كان يعاب به وكان ورعاً منقبضاً مع حدة كانت فيه أقرأ بمسجد ابن عيشون من داخل بلنسية وأمّ فى صلاة الفريضة به ، توفى فى رمضان سـنة ٦١١ قال ابن الأبَّار : استجازه لى عبد الكريم ابن عمَّار صاحبنا

وأبو عبد الله محمد بن الحسن بن على اللخمى يعرف بابنالتجيبى سمع من أبىالقاسم ابن حبيش وأبى محمد بن الفرس وأجاز له أبو طاهر السلفى وقرأ كتاب سيبويه على الذهبى وكان أديباً كاتباً بليغاً عالماً بالعربية تولّى قضاء بلده وكان سمحاً جواداً كريم العشرة واسع المروءة . قال ابن الأبَّار : لقيته ببلنسية ثم بدانية وأخذت بهاعنه كتاب

« جذوة المقتبس » للحميدى بين سماع ومناولة توفى صدر الأربعاء ١٦ رمضان سنة ٦١٨ ومولده سنة ٥٦٠

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عطية بن موسى بن عبد العزيز الأنصارى . قال ابن الأبّار : سمع من أبى الخطاب بن واجب وأبى عمر بن عات من شيوخنا وأجاز له أبو القاسم بن حبيش وأبو بكر بن أبى زمنين وغيرهما ثم رحل حاجاً وسمع بمكة من أبى عبد الله بن أبى الصيف اليمنى وغيره ولقى بالاسكندرية أبا عبد الله الحضرمى وأبا الثناء الحرّانى وجماعة وكتب اليه أبو الطاهر الخشوعى سنة ٥٩٥ وغيره قال ابن الأبّار : وكتب كثيراً على رداءة خطه وقفل الى بلده دانية وحدّث بيسير وسممت من يغمزه فتركت الأخذ عنه ، وتوفى سنة ٦٢٣ نقلنا هذا عن ابن الأبّار ملخصاً

ومفرّج مولى اقبال الدولة على بن مجاهد صاحب دانية يروى عن أبى عمرو المقرى ذكره ابن نقطة ونقل ذلك ابن الأبّار

وأبو على الحسن بن خلف بن يحيى بن ابراهيم بن محمد الأموى المعروف بابن برنجال سمع من أبى بكر ابن صاحب الأحباس وأبى عثمان طاهر بن هشام وغيرهما . وله رحلة حج فيها وسمع من أبى اسحق ابراهيم بن صالح القروى وببيت المقدس من أبى الفتح نصر بن ابراهيم سنة ٤٦٥ وبعسقلان من أبى عبد الله محمد بن الحسن بن سعيد التجيبى أخذ عنه كتاب الوقف والابتداء لابن الانبارى بسماعه من عبد العزيز الشعيرى عن مؤلفه وكان فقيهاً على مذهب مالك وولّى الأحكام ببلده دانية توفى فى نحو الخمسمائة، ذكره ابن الأبار ونقل بعض خبره عن ابن عياد

وأبو العلى حسن بن على بن محمد بن فرج الكلبى يعرف بابن الجميّل ، أصله من دانية سكن سبتة كان من أهل النباهة وهو والد أبى الخطاب عمر وأبى عمرو عثمان المحدثين ، توفى فى رمضان سنة ٥٧١ وهو ابن ثمانين سنة .

وأبو على حسين بن أبى بكر الحضرمى يعرف بابن الحنّاط سمع أبا عبد الله بن

مبارك الصائغ ودرس الفقه وكان فاضلاً زاهداً تفقّه به ابنه محمد وروى عنه عبد الله ابن سعيد وحدّث عن أبي على هذا أبو عبد الله الخولانى البَلَنى بكِتاب « حيـاة القلوب » لابن أبي زمنين عن ابن مبارك عن أبي عمرو المقرى عن مؤلفه قال ابن الأبار : وقرأت فى لوح رخام بازاء قبره أنه توفى ليلة الاثنين لعشر بقين لربيـع الأول سنة ٥٠٠ وكان وقوفى على ذلك أيام اشتغالى بقضاء دانية .

وأبو القاسم خلف بن سعيد بن خلف بن أيوب اليحصبي يعرف بالمارمى روى عن أبي عمرو المقرى سمع منه تأليفه فى الفتن والاشراط عام وفاة أبي عمرو المذكور ذكره ابن الأبار

وأبو القاسم خلف بن أفلح الأموى لقى أبا عمرو المقرى بدانية وأخذ عنه بها ، وأقرأ وهو أحد شيوخ ابن سعدون الوشقى ذكره ابن الأبار ولم يذكر وفاته

وأبو القاسم خلف بن مجرّب كان ممن أقرأ القرآن وعلّم به ومن الآخذين عنه أبو عبد الله بن عبد الجبار الدانى ذكره ابن الأبار

وأبو القاسم خليفة بن أبي بكر القروى سكن دانية ودرّس الفقه بها وكان بصيراً بمذهب مالك يشاوره القضاة تفقّه به جماعة منهم ابن سماحة توفى بدانية يوم الثلاثاء ١٩ ذى القعدة سنة ٥١٤ ذكره ابن الأبار

وأبو الربيع سليمان بن سعيد بن محمد بن سعيد العبدرى الدانى يعرف باللوشي سمع من أبيه وأبي داود المقرى وأبي على الصدفى وولى قضاء دانية سنة ٥٣٠ وعزل سنة ٥٤٠ وكان فاضلاً مع غفلة كانت فيه توفى بدانية فى ربيع الآخر سنة ٥٤٥

وأم العز بنت محمد بن على بن أبي غالب العبدرى الدانى تروى عن أبيها وأبي الطيب ابن برنجال وعن زوجها أبي الحسن ابن الزبير وأبي عبد الله بن نوح وكانت تحسن القراءات السبع قال ابن الأبار وسمعت بقراءتها مرتين صحيح البخارى من أبيها وتوفيت سنة ٦١٦

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن يحيى بن فرج ابن الزهيرى العبدرى قال ابن الأبار: كذا قرأت اسمه بخطه نشأ بالمرية وأخذ بدانيـة فى جامعها القديم عن أبي داود

المقرئ سنة ٤٩٢ وسمع من أبى على الصدفى رياضة المتعلمين لأبى نعيم سنة ٤٩٥ ولقى ابن الطراوة فأخذ عنه العربية وحدّث عنه فى حياته بالغريب المصنّف لأبى عبيدونزل قلعة حمّاد من العدوة فأقرأ بها نحواً من عشرين عاما ثم انتقل الى بجاية وأقرأ بها أيضا نحواً من ذلك وتوفى فى بجاية سنة ٥٤٠ ودفن بغار العابد منها ذكره ابن الابار

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة الاصبحى أخذ عن أبى بكر بن نمارة ولازم ببلنسية أبا الحسن بن سعد الخير ورحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من أبى الطاهر بن عوف وأبى طاهر السلفى وأكثر عنه وسمع من غيره وكان نازلا فى الأسكندرية بالمدرسة العادلية قاله أبو عبد الله التجيبى الذى هو من تلاميذه كما ان من تلاميذه أيضاً أبا مروان عبد الملك بن محمد بن الكردبوس التوزرى وأبا محمد جعفر ابن ميمون الشاطبى وكان ابن سعادة هذا مقرئاً محدثاً ورعاً فاضلاً روى التجيبى المار الذكر أنه مات غريقاً فى البحر شهيداً ذكره ابن الأبار

وأبو محمد عبدالله بن يحيى بن عبد الله بن فتوح بن محمد بن يحيى بن عبد الله الحضرمى النحوى من أهل دانية أصله من قرية « بالة » من جزء « بيران » كان يعرف بابن صاحب الصلاة ويشهر بعبدون أخذ القراءات عن أبى عبد الله بن سعيد وقرأ عليه الأدب وعلى أبيه يحيى وتعلم العربية على طاهر بن سبيطة ونزل شاطبة فأقرأ بها ودرّس الأدب والنحو ثم نقله السلطان الى بلنسية واستأدبه لبنيه لما كان عليه من التصاون والعدالة فكان يعلّم أولاد السلطان العربية بالقصر ويعلم الناس بمسجد رحبة القاضى من بلنسية وكان أديباً مبرزاً مشاركاً فى الفقه ظاهر التواضع طاهر الخلق وكان أبو القاسم بن حبيش يثنى على تعليمه وكان له شعر كثير اعتنى بتدوينه وأخذ عنه جلّة من المحدثين والأدباء توفى ببلنسية بعد صلاة الظهر من يوم الأحد مستهل رجب سنة ٥٧٨ وحمل الى دانية فدفن بقريته بالة ومولده سنة ٥١٧ كما ذكر ابن الأبار

وأبو محمد عبد الله بن احمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن موسى بن حفص الأنصارى من أهل دانية سكن شاطبة وقد قدمنا ترجمته بين علماء شاطبة ونقلنا عن ابن الأبار أنه توفى بالقاهرة سنة ٦٤٦

وأبو محمد عبد الله بن اسماعيل بن أبى اسحق الجبنياتى يعرف بابن أبى الطاهر نشأ بسفاقس من أعمال افريقية ودخل الأندلس واتصل بالموفق مجاهد العامرى صاحب دانية والجزائر الشرقية كان من ذوى النباهة والنزاهة قال ابن الأبار : وتوفى هنالك ذبيحاً سنة ٤١٥ ولم يعيّن محل وفاته ذبيحاً أفى دانية أم فى ميورقة أم فى إحدى أخواتها ؟

وأبو المطرّف عبد الرحمن الألبيرى من ألبيرة سكن دانية رحل وحج ورابط وكان جاراً لابن أبى زمنين الفقيه بغرناطة وسلك طريقة الزهّاد والعباد ولما كان فى دانية بسيف البحر بأسفل قاعون جبل دانية رباط معروف لازم المترجَم هذا الرباط وغرس الشجر الذى يرى هناك وجعل قبره فى هذا المحل ذكره ابن الأبار نقلاً عن أبى داود المقرئ .

وأبو زيد عبدالرحمن بن عامر بن عبد العظيم المعافرى أخذ عن أبى عبدالله بن خَلَصَة الكفيف وغيره وكان أديباً شاعراً عالماً بالعربية حسن الخط جيد الضبط أخذ عنه ابن أخيه احمد بن عبد الله بن عامر المعافرى ذكره ابن الأبار نقلاً عن أبى الحجّاج بن أيوب وعن محمد بن عياد

وأبو محمد عبد الرحمن المعروف بابن أوريا ولّى قضاء دانية وتوفى بعد صلاة الجمعة للنصف من شعبان سنة ٥١٥ عن ابن الأبار عن ابن عياد

وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن تقى الحضرمى روى عن أبى العباس بن عيسى الدانى سمع منه صحيح مسلم فى سنة ٥٣١ عن ابن الأبار

وعبد العزيز بن خلف بن محمد المعافرى روى بدانية عن أبى داود المقرى سنة ٤٩٤ وقدم دمشق فحدّث بها عنه بموطأ مالك وسمع منه فيها أبو محمد بن الاكفانى وأبو الحسين بن هبة الله بن عساكر وجماعة ذكره ابن عساكر وقال سُئل عن مولده فقال عند طلوع الفجر من يوم الثلثاء لثمان خلون من رجب سنة ٤٤٨ وكان مقدمه دمشق سنة ٥٠٢ ذكره ابن الأبار ولم يذكر سنة وفاته

وأبو الأصبغ عبدالعزيز بن محمد بن احمد العبدرى كان معتنياً بلقاء الشيوخ ودراسة

الرأى كتب بقرطبة عن أبى الحسن بن الوزّان نوازل أبى الوليد بن رشد سمعها منه سنة ٥٣٤ وكان حسن الخط ذكره ابن الأبار

وأبو محمد عبد الجبار بن خلف بن لب اللاردى من لاردة سكن بلنسية ودانية قرأ جميع البخارى على الباجى بدانيـة وقد تقدمت ترجمته فى الجزء الثانى من هذا الـكتاب عند الـكلام على لاردة

وعمر بن محمد بن عبد الرحمن بن بيش أبو حفص البـكرى الدانى يقال له ابن أبى رطلة سمع بدانية من أبى الحسن بن عز الناس وأبى بكر بن جماعة ورحل الى مالقة وسمع من علمائها. قال ابن الأبار : وكان مضعفاً إلا أنه كان صدوقاً فى ما يرويه توفى فى شوال سنة ٦٠٦

وعمر بن حسن بن على بن محمد بن فرج الـكلبى أبو الفضل الدانى الأصل السبتى الدار ثم كنى نفسه أبا الخطاب يعرف بابن الجميّل يذكر عنه أنه من ولد دحية بن خليفة الـكلبى وسبط ابن البسّام الفاطمى نزيل ميورقه سمع بالأندلس أبا القاسم بن بشكوال وأبا بكر بن الجد وأبا القاسم بن حبيش وهذه الطبقة وحدّث بتونس بصحيح مسلم عن طائفة من هؤلاء وعن آخرين وكان بصيراً بالحديث حسن الخط معروفا بالضبط له حظ وافر من اللغة ولى قضاء دانية مرتين ثم صُرف عنه لأمور نعيت عليه فرحل الى العدوة ولقى بتلمسان قاضيها ابن حيون وحدّث بتونس سنة ٥٩٥ ثم حج وكتب بالمشرق عن جماعة باصبهان ونيسابور وعاد الى مصر فاستأدبه الملك العادل ابن أيوب أخو صلاح الدين لابنه الملك الـكامل محمد الذى تولّى الديار المصرية وهو الذى أخرج الافرنج من دمياط بعد حرب مشهورة فى التاريخ فنال المترجم فى ظل بنى أيوب دنيا عريضة وله تآليف منها « أعلام النص المبين فى المفاضلة بين أهل صفّين » قال ابن الأبار : كتب الى بالاجازة سنة ٦١٣ ومات فى ربيع الأول سنة ٦٣٣

وعلى بن الدراج النحوى أبو الحسن الدانى أخذ العربية عن أبى تمام القطينى وقعد للتعليم أخذ عنه أبو القاسم بن محمد الخزرجى وأبو عبد الله بن سعيد الدانى ذكره ابن الأبار ولم يذكر تاريخ وفاته

وأبو الحسن على بن محمد بن لب بن سعيد القيسى المقرئ الشهيد يُعرف بالباغى نسبة إلى باغة من دانية سكن أشبيليه روى عن أبى عبد الله المغامى وأبى داود المقرئ وأخذ عنه أبو بكر بن رزق وغيره. قال ابن الأبار : استُشهد بعد سنة ٥٣٥ ولم يذكر كيف استشهد

وأبو الحسن على بن يوسف بن خلف بن غالب العبدرى روى عن أبى بكر بن الحنّاط وأبى بكر بن برنجال وغيرهما وكان فقيهاً مشاوراً مفتياً كبيراً متضلعاً من العلوم ولد سنة ٤٨٢ وتوفى فى آخر سنة ٥٦٢

وعلى بن صالح بن أبى الليث بن أسعد العبدرى أبو الحسن بن عزّ الناس الدانى الدار الطرطوشى الأصل سمع أبا محمد بن الصيقل وأبا بكر بن العربى وأبا القاسم بن ورد وكان فقيهاً متقناً عالماً بالأصول والفروع دقيق النظر جيد الاستنباط لسناً فصيحاً وكان كبير فقهاء دانية ورأس الفتوى فيها وله مصنّفات قال ابن الأبار : وقتل مظلوما بدانية سنة ٥٦٦ وقال محمد بن عيّاد : قُتل لسعاية عند السلطان محد بن سعد سنة ٥٦٧ وكان مولده سنة ٥٠٨ بطرطوشة

وعلى بن أحمد بن أبى قوّة الازدى الدانى أخذ القراءات عن أبيه وعن أبى القاسم بن حبيش وأبى الحسن بن كوثر وكان أديباً شاعراً كتب أبو القاسم اللاّحى كثيراً من شعره قال ابن الأبار : وكانت وفاته سنة ٦٠٨

وأبو الحسن على بن يوسف بن محمد بن أحمد الأنصارى الضرير الدانى يعرف بابن الشريك كُفّ بصره فى صباه فاقبل على العلم واستفاد بتعليم العربية مالاً جليلا وكان أخذه للعلم فى مرسية حيث سمع من أبى القاسم بن حبيش وأبى عبد الله بن حميد وكذلك كان أخذ فى دانية عن أبى القاسم بن تمام وأبى اسحق بن محارب ولد سنة ٥٥٥ وتوفى فى رجب ستة ٦١٩ قاله ابن الأبار

وأبو الحسن عليم بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله العدوى الحافظ سمع أبا عبد الله بن مغاور ومن أبى جعفر بن جحدر ومن أبى عبد الله بن سعيد الدانى وابن جماعة ورحل إلى المرية سنة ٥٣٨ حيث سمع من أبى القاسم بن ورد وأبى الحجاج

القضاعي وكان من العلماء الزهاد كثير المحفوظات الى الغاية وكان يقول ماحفظت شيئاً فنسيته. وكان كثير الميل الى الآثار والسنن وله حظ عظيم من علم العربية وكان ورعاً متواضعاً معظماً فى النفوس ولد بشاطبة سنة ٥٠٩ وتوفى ببلنسية سنة ٥٦٤ وانما ترجمناه هنا لأنه بدأ بطلب العلم فى دانية

وأبو يحيى زكريا بن محمد لقى أبا عمرو المقرئ بدانية وأخذ عنه أبو عبد الله بن باسه المقرى الخطيب بجامع بلنسية وسمع منه بدانية أبوعبد الله البَلَغى وقال فى اسمه أبوزكريا يحيى بن محمد لا أبو يحيى زكريا بن محمد. قاله ابن الابار

وأبو محمد الزبير بن محمد الفرضى له سماع من أبى على الصدفى وكان من أهل العلم بالفرائض والحساب أخذ عنه أبو عبد الله بن سعيد المقرئ الدانى

وأبو بكر زاوى بن مناد بن عطية الله بن المنصور الصنهاجى يعرف بابن تقسوط سمع ببلده دانية أبا داود المقرى وأبا بكر بن برنجال وبمرسية أبا على الصدفى وبقرطبة أبا محمد بن عتاب وغيره وأجاز له جلة من العلماء وكان رجلاً صالحا فاضلاً قعد لاسماع الحديث ولد بدانية وتوفى بها ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ٥٣٩ وفى آخر هذه السنة انقرضت دولة قومه المرابطين أو الملثمين بالاندلس نقل ذلك ابن الابار عن ابن عياد

وأبو بشر طاهر بن عبد الرحمن بن سعيد بن أحمد الأنصارى يعرف بابن سبيطة كان من كبار تلاميذ أبى محمد البطليوسى أقرأ العربية والآداب وكان له حظ من علم النجامة وألّف فيه روى عنه أبو الحجاج بن أيوب وابن سيدبونه وابن منيع وغيرهم وتوفى بدانية بعد سنة ٥٤٠ ذكره ابن الأبّار عن ابن عيّاد.

وأبو محمد القاسم بن على بن صالح الأنصارى المقرئ المُرْلى نزيل دانية ، أخذ القراءات عن أبى العباس القصبى وأبى الحسن بن اليسع وابن العريف الزاهد وابن غلام الفرس وأبى الوليد بن الدبّاغ وتصدّر بدانية للاقراء وأخذ عنه الكثيرون منهم أبو بكر أسامة بن سليمان الدانى ذكره ابن الأبّار ولم يذكر تاريخ وفاته

وأبو بكر يحيي بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضى الدانى كان من أهل العلم بالعربية متقدماً فيها وسكن المرية وأخذ عنه ابن يسعون وأبو عبد الله بن سعيد قال ابن الأبار : كان حيًّا فى سنة ٤٩١

وأبو زكريا يحيي بن عبد الله بن فتوح الحضرمى يقال له ابن صاحب الصلاة ، روى عن البطليوسى أبى محمد وعن أبى بكر بن اللبَّانة وغيرهما وكان أديباً لغوياً روى عنه ابنه الأستاذ أبو محمد عبدون توفى سنة ٥٥٠ قاله ابن الأبار .

وأبو زكريا يحيي بن أحمد بن يحيي بن سيدبونه الخزاعى من قسطنطانية عمل دانية روى عن أبيه وعن أبى اسحق بن جماعة وأخذ القراءات عن أبى عبد الله بن سعيد وحج فلقى بالاسكندرية أبا عبد الله بن أبى سعيد الأندلسى وغيره سمع منه محمد بن عمر ابن عامر الدانى سنة ٥٧٨ عن ابن الأبَّار

ويحيي بن عبد الله بن محمد بن حفص الأنصارى أبو الحسين الدانى سمع أبا القاسم ابن حبيش وعبد المنعم بن الفرس وجماعة وكتب للولاة وخطب ببلده دانية وكان جواداً مضيافاً قال ابن الأبار : لقيته بدار الامارة وسمعت منه وتوفى بدانية فى شوال سنة ٦٢٣ وكان مولده سنة ٥٦٤

وأبو الحسين الدانى وهو يحيي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن طاهر الأنصارى من ولد سعد بن عبادة سكن شاطبة سمع من أبى الخطاب بن واجب وجماعة كثيرة وعنى بالعلم وكان ذا حظ من البلاغة والكتابة الى نباهة البيت. قال ابن الأبار : صحبتُهُ مدة ولما جرت الفتنة صارت اليه رئاسة شاطبة وتدبير أمورها من قبل محمد بن يوسف بن هود والى الأندلس وتوفى فى شعبان سنة ٦٣٤ عن خمس وخمسين سنة

وأبو الحجاج يوسف بن محمد بن سماحة الدانى سمع من أبى على الصدفى وأبى محمد ابن أبى جعفر وتفقَّه به وكان مائلاً الى علم الكلام وأصول الفقه ولّى قضاء دانية ثم قضاء بلنسية بعد جعفر بن ميمون وتوفى يوم عيد الفطر من سنة ٥٦١ وهو قاض ببلنسية

وأبو الحجاج يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أيوب الفهرى كان يقال له أبو الحجاج الدانى سكن بلنسية وكانت قراءته على أبيه وعلى ابن برنجال وأخذ القراءات عن

ابن سعيد الدانى والعربية عن أبى العباس بن عاص وتفقه بابن بقى وأجاز له ابن عتّاب وكان متقدماً فى الآداب اماماً فى معرفة الشروط كاتباً بليغاً شاعراً ناب فى الأحكام وتوفى فى شعبان سنة ٥٩٢ وولد سنة ٥١٦ ذكره ابن الأبار

ويوسف بن أحمد بن عبّاد التميمى أبو الحكم الليانى تجوّل فى الأرض ولقى السهروردى. بمدينة ملَطية سنة ٥٩٠ وأخذ عنه وسكن دانية ونوظر عليه بها وأخذ عنه أبو اسحق ابن الناصف وأبو عبد الرحيم بن غالب قال ابن الأبار : ورأيته مراراً وكان شاعراً مجوداً شيعياً غالياً توفى بدانية ليلة عاشوراء سنة ٦٢١ .

وأبو الوليد يونس بن أبى سهولة بن فرج بن بنج اللخمى يقال له الشنتجالى سكن دانية قريباً من أربعين سنة وأخذ عن أشياخ طليطلة وكان فقيها مشاوراً مدرِّساً أخذ عنه ابن برنجال وابن سعيد الدانى وأبو اسحق بن خليفة وأبو الحسن بن أبى غالب توفى بدانية فى ربيع الأول سنة ٥١٤ .

وأبو عبد الله محمد بن مبارك يعرف بابن الصايغ من أهل دانية قال ابن بشكوال فى «الصلة» كان فقيهاً حافظاً أخذ عن أبى عمرو المقرى وغيره وقد أخذ عنه ابن مطاهر وأبو محمد بن أبى جعفر شيخنا وتوفى سنة ٤٧٦ .

وأبو بكر محمد بن الحسن بن خلف بن يحى الأموى يعرف بابن برنجال له رحلة إلى المشرق بعد الخمسمائة سمع فيها من أبى عبد الله الحضرمى وأبى بكر بن الوليد الفهرى وكان من أهل الدراية والرواية تولى خطة القضاء بصعيد مصر ثم زاده والى عيذاب قضاء أخميم ولقبه بقاضى القضاة ثم رجع الى الأندلس وتوفى ببلده دانية يوم الاحد الثالث والعشرين من رجب سنة ٥٣٦ وقد نيّف على الخمسين ذكره ابن بشكوال فى الصلة وابن عميرة فى بغية الملتمس وقال ابن عميرة عنه انه فقيه عارف مشهور

وأحمد بن طاهر بن على بن عيسى فقيه مشهور روى عن القاضى أبى على بن سكّرة وغيره توفى بدانية سنة ٥٣١ ذكره ابن عميرة فى بغية الملتمس

وأبو العبّاس أحمد بن عثمان بن سعيد الأموى والد أبى عمرو المقرئ الحافظ المشهور

وأصلهم من قرطبة روى عن أبيه وعن غيره وأقرأ الناس القرآن بالروايات وتوفى يوم الاثنين لثمان خلون من رجب سنة ٤٧١ ذكره ابن بشكوال فى الصلة

وأبو العبّاس أحمد بن طاهر بن على بن عيسى الأنصارى روى عن أبى داود المقرئ وأبى على الغسّانى وأبى محمد بن العمّال وغيرهم وله رحلة وله تصنيف وولى الشورى ببلده دانية وامتنع من ولاية قضائها وتوفى فى نحو العشرين وخمسمائه ترجمه ابن بشكوال فى الصلة

وأبو القاسم خلف بن ابراهيم بن محمد القيسى المقرئ الطليطلى سكن دانية روى عن أبى عمرو المقرئ وأبى الوليد الباجى وغيرهما وأقرأ الناس القرآن. قال ابن بشكوال وسمع منه بعض شيوخنا وتوفى يوم الاثنين عقب ربيع الأول سنة ٤٧٧

وأبو داود سليمان بن أبى القاسم نجاح مولى أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله سكن دانية وبلنسية روى عن أبى عمرو عثمان بن سعيد المقرئ المشهور وهو أثبت الناس به وروى عن ابن عبد البَرّ وعن أبى العباس العذرى وعن ابن سعدون القروى وأبى شاكر الخطيب وأبى الوليد الباجى وهذه الطبقة العالية وكان من جلّة المقرئين وأهل الفضل والدين وله تواليف كثيرة فى معانى القرآن العظيم وكان حسن الخط جيد الضبط روى الناس عنه كثيراً . وقال ابن بشكوال فى الصلة انه قرأ بخطه رواية عن أبى عمرو المقرئ عن أبى الحسن على الربعى بالقيروان عن سعيد بن يوسف السدرى عن عيسى بن مسكين : ان الاجازه قويّة وهى رأس مال كبير وجاز له أن يقول حدّثنى فلان وقال ابن بشكوال انه سمع ذلك من طريق آخر نقلًا عن أبى داود سليمان هذا. قال : وكانت وفاته يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر ودفن الخميس لصلاة العصر بمدينة بلنسية واحتفل الناس لجنازته وتزاحموا على نعشه وذلك فى رمضان لست عشرة ليلة خلت منه سنة ٤٩٦ وكان مولده سنة ٤١٣

وأبو عثمان سعيد بن سليمان الهمدانى أندلسى يعرف بنافع أخذ القراءة عن أبى الحسن الانطاكى وضبط عنه حرف نافع بن أبى نعيم وأقرأ به وكان من أهل العربية ومن ذوى الاتقان مع الستر قال ابن بشكوال : توفى بساحل الأندلس بمدينة دانية

يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ٤٢١ ذكره أبو عمرو المقرئ

وأبو محمد عبد العظيم بن سعيد اليحصبى المقرئ من أهل دانية بلد القراءة فى الأندلس روى عن أبى سهل المقرى وعن أبى الوليد الباجى وأبى الحسن بن الخشّاب وأبى القاسم الطليطلى . قال ابن بشكوال فى الصلة : وروى عن أبى عبد الله الخولانى شيخنا رحمه الله قال : وأقرأ الناس ببلده وأخذ عنه بعض أصحابنا وتوفى فى نحو العشرين وخمسمائة

وأبو الحسن على بن أحمد بن أبى الفرج الأموى صحب أبا عمرو المقرئ وأخذ عن أبى عمر الطلمنكي وعن مكى بن أبى طالب . قال ابن بشكوال انه كان من أهل التقييد والاعتناء بالعلم وذكر انه من دانية

وأبو محمد عامر بن خليفة الأزدى كان راوية للعلم فقيهاً بصيراً بالشروط توفى قريبا من الستين والأربعمائة ذكره ابن بشكوال فى الصلة نقلا عن ابن مدير

وأبو بكر عتيق بن محمد بن أحمد بن عبد الحميد الأنصارى روى عن أبى داود المقرى وأبى الوليد الوقّشى وأبى على الغسّانى وأبى على بن سكّرة وطاهر بن مفوّز وتولّى الصلاة والخطبة بجامع دانية بلده وكان فاضلًا ثقة . قال ابن بشكوال : أخبرنا عنه صاحبنا أبو عمرو وأثنى عليه

وأبو تمام غالب بن عبد الله القيسى القطينى المقرى من أهل دانية وأصله من قطين قرية بميّورقة قال ابن بشكوال فى الصلة انه روى عن أبى عمر بن عبد البَر وأبى عمرو المقرئ وأبى الوليد الباجى وان الحميدى ذكره وقال انه مقرئ شاعر أديب وأنشد له أبو عبد الله بن عمر الأشبونى :

يا راحلا عن سواد المقلتين الى   سواد قلب عن الاضلاع قدرحلا
بى للفراق جوى لو مرَّ أبرده   بجامد الماء مرَّ البرق لاشتملا

قال ابن بشكوال انه توفى بدانية سنة ٤٦٦ وانه كان رجلاً زاهداً قاضياً .
وترجمه ابن الأبار فى التكملة فقال عنه : غالب بن عبد الله بن أبى اليمن القيسى أبو تمام النحوى يعرف بالقطينى وقطين قرية بميورقة ، سكن دانية سمع غريب الحديث

لابن قتيبة وغريب القرآن ومشكله لابن قتيبة أيضا سمعه من أبي عبد الله حبيب بن أحمد وكان هذا قد قارب التسعين وأجاز له ما رواه عن قاسم بن أصبغ وأبي على القالى وغيرهما . ثم رحل إلى قرطبة سنة ٤١٤ فلقى أبا العلاء صاعدا اللغوى وقد أسنّ فقرأ عليه وأخذ عن ثابت بن محمد الجرجانى وقعد لتدريس العربية وأخذ عنه أبو بكر بن الفرضى وأبو الأصبغ بن شفيع وأبو الحسن بن أفلح قال ابن الأبار ان مولده سنة ٣٩٣ وإنه توفى فى رمضان سنة ٤٦٥ .

وأشهر قرّاء دانية هو المشهور بأبى عمرو المقرئ واسمه عثمان بن سعيد بن عثمان ابن سعيد الأموى كان يقال له ابن الصيرفى وهو من قرطبة من أحد أرباضها سكن دانية روى فى قرطبة عن أبى المطرّف عبد الرحمن القُشيرى الزاهد وعن أبى بكر البزّاز وأبى عثمان بن القزّاز وأبى بكر التجيبى وابن أبى زمنين وجماعة وسمع بأستجة من أعمال قرطبة ورحل إلى بجّانة وسرقسطة وسمع بهما وببلاد أخرى من الثغر وذهب إلى المشرق وسمع بمكة من ابن فراس العبقسى وغيره وسمع بمصر من أبي محمد بن النحّاس وأبى القاسم بن منير وغيرهما وسمع بالقيروان من أبى الحسن القابسى وغيره . وعاد إلى الأندلس وألقى عصا التسيار فى دانية ولذلك كان يقال له أبو عمرو الدانى ولم يكن مثله فى علم القرآن وتفسيره وإعرابه وطرقه وله فيه تصانيف كثيرة مفيدة وكذلك كانت له معرفة تامة بالحديث وطرقه ورجاله هذا مع حسن الخط وجودة الضبط والدين والورع وكان مالكى المذهب ذكره الحميدى فقال : محدِّث مكثر ومقرئ متقدم سمع بالأندلس والمشرق وله فى القراءات أرجوزة مشهورة. قال ابن بشكوال فى الصلة : قال أبو عمرو: سمعت أبى رحمه الله غير مرّة يقول انى ولدت سنة ٣٧١ وابتدأت بطلب العلم وأنا ابن ١٤ سنة وتوجهت إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة ٩٧ وحججت سنة ثمان وتسعين وانصرفت إلى الأندلس سنة ٩٩ وهى سنة ابتداء الفتنة الكبرى ووصلت إلى قرطبة فى ذى القعدة سنة ٩٩ قال ابن بشكوال : وقرأت بخط أبى الحسن المقرى قال: توفى أبو عمرو المقرئ بدانية يوم الاثنين فى النصف من شوال سنة ٤٤٤ وكان دفنه بعد صلاة العصر فى اليوم الذى توفى فيه ومشى السلطان أمام نعشه وكان الجمع فى جنازته عظيما .

وقد ترجمه المقرى فى النفح فقال انه الحافظ المقرئ الامام الرّبانى أبو عمرو الدانى عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموى مولاهم القرطبى صاحب التصانيف التى منها « المقنع » و « التيسير » ثم ذكر رحلته إلى المشرق سنة ٣٩٧ وأنه مكث بالقيروان أربعة أشهر وفى مصر سنة وحج ورجع إلى الأندلس وأنه أخذ عن عبد العزيز بن جعفر الفارسى وأبى الحسن بن غلبون وخلف بن خاقان المصرى وأبى الفتح فارس بن أحمد وأبى مسلم الكاتب وهو أكبر شيخ له وذكر أنه سمع من القشيرى وحاتم البزّاز والقابسى وأنه خلف كتبه بالحجاز ومصر والمغرب والأندلس ونقل عن بعض الشيوخ أنه لم يكن فى عصر الحافظ أبى عمرو الدانى ولا بعد عصره أحد يدانيه فى حفظه وتحقيقه . وكان يقول ما رأيت شيئا قط إلا كتبتُهُ ولا كتبته إلا حفظته ولا حفظته فنسيته. وقال بعض أهل مكة إن أبا عمرو الدانى اليه المنتهى فى علم القراءات والقرّاء خاضعون لتصانيفه واثقون بنقله فى القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير ذلك له مائة وعشرون مصنفاً وروى عنه بالاجازة رجلان أحمد بن محمد بن عبد الله الخولانى وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبى حمزة وكانت وفاته رحمه تعالى بدانية فى نصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة

وأبو مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأيادى من أهل اشبيلية نذكره هنا لأنه انتهى الى دانية ومات ودفن فيها . قال ابن الأبار فى تكملة الصلة : هو والد أبى العلاء بن زهر كان من أهل العلم والفقه سلك طريقة أبيه فى ذلك ومال الى التفنن فى أنواع التعاليم ورحل الى المشرق لأداء الفريضة ودخل القيروان ومصر وأخذ فى تعلّم الطب هنالك زماناً طويلاً وبرع فيها براعة شهر بها هو وعقبه بعد ذلك ثم قفل الى الأندلس وفيها توفى وبها قبره وقبر أبى الوليد الوقشى بازاء الجامع القديم إلا أنهما لايُعرفان ذكره السالمى ولم يذكر تاريخ وفاته وأحسبها فى نحو السبعين وأربعمائة . اه وترجمة هذا الرجل واردة فى نفح الطيب قال المقرى عنه : صاحب البيت الشهير بالأندلس

وتولى رئاسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان ثم استوطن مدينة دانية وطار ذكره فيها الى أقطار الأندلس والمغرب واشتهر فى علم الطب وفاق أهل زمانه ومات فى مدينة دانية. ووالده محمد بن مروان كان عالماً بالرأى حافظاً للأدب فقيهاً حاذقا بالفتوى متقنا للعلوم جامعا للدراية والرواية توفى بطلبيرة سنة ٤٢٢ وهو ابن ست وثمانين سنة حدث جماعة من علماء الأندلس ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل رحمه الله تعالى. وأما أبو العلاء زهر بن عبد الملك المذكور فقال ابن دحية فيه انه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه توفى ممتحنا من «نغلة» بين كتفيه سنة ٥٢٥ بقرطبة فلذلك نترك ترجمة زهر هذا الى أن يأتى الكلام على علماء قرطبة

قسطنطانية

وقد تقدم أن من البلاد المضافة الى دانية بلدة قسطنطانية التى نبغ فيها أيضاً أناس من أهل العلم وقد ذكرها ياقوت وسماها « قسنطانة » وقال عنها : حصن عجيب من عمل دانية بالأندلس [1] منها أبو الوليد بن خميس القسنطانى من وزراء بنى مجاهد العامرى . اه

وأبو عامر محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن أمية بن مطرف ابن خميس الجُمحى يقول أهل بيته انهم من ولد عثمان بن مظعون رضى الله عنه سمع من ابن أبى تليد وأبى على الصدفى وأبى جعفر بن جحدر وأبى القاسم بن الجنّان وطبقتهم وكتب لقاضى بلنسية الحسن بن عبد العزيز وكان ذا معرفة بالمسائل وعقد الشروط متصرفا فى الآداب توفى سنة ٥٤٣ ذكره ابن الأبار نقلا عن ابن سفيان

---

(١) قد روى ليفى بروفنسال فى كتابه « اسبانية المسلمة فى القرن العاشر » أنه كان معدن حديد فى قسطنطانية نقل ذلك عن الادريسى

ومن قسطنطانية أبو زكريا يحيى بن أحمد بن يحيى بن سيدبونه الخزاعى تقدمت ترجمته بين علماء دانية

وأبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونه الخزاعى الولى الشهير ذكر لسان الدين ابن الخطيب أنه كان من أعلام الهداية كثير الأتباع بعيد الصيت توجب حقه حتى الأمم الدائنة بغير الاسلام انتقل الى غرناطة هو وأهله وأذياله بعد تغلب العدو على شرق الاندلس فسكنوا بغرناطة ربض البيّازين على دين وانقباض وصلاح توفى رضى الله عنه سنة ٦٢٤ وقد نيف على الثمانين ودفن بالموضع المعروف بزناته

ومن دانية إلى الجنوب الغربى بلاد ساحلية منها بلدة يقال لها «بنيسة» Benisa ويجوز أن تكون مرخمة من بنى سعد وبلدة أخرى يقال لها «كلب» Calpe وبلدة ثالثة يقال لها «ألتاية» Altea ولما نعثر على شىء فى الكتب العربية يتعلق ببنيسة وكلب ولكن عثرنا على ذكر ألتاية فى معجم البلدان قال: التايه ألفه قطعية مفتوحة واللام ساكنة والتاء فوقها نقطتان وألف وياء مفتوحة اسم قرية من نظر دانية من اقليم الجبل بالأندلس منها أبو زيد عبد الرحمن بن عامر المعافرى الألتائى النحوى كان قرأ كتاب سيبويه على أبى عبد الله محمد بن خلصة النحوى الكفيف الدانى وسمع الحديث من أبى القاسم بن فتحون الاربولى وغيره وكان أوحد فى الآداب وله شعر جيد ومن تلامذته ابن أخيه أبو جعفر عبد الله بن عامر المعافرى الالتائى وقرأ أبو جعفر هذا على أبى بكر اللبّانى النحوى أيضاً وعلى آخرين وهو حسن الشعر قرأ القرآن بالسبع على أبى عبد الله محمد بن الحسن بن سعيد الدانى وهو يصلح للاقراء الا أن الأدب والشعر غالبا عليه انتهى.

ومن البلاد الساحلية بين دانية والقنت بلدة يقال لها «بنى دورم» Beni Dorm والغالب على الظن أنها لفظة عربية محرفة لعل أصلها بنى دارم فان هذا اسم معروف عند العرب. فدارم بن أبى دارم صحابى يروى ابنه أشعث عنه ودارم بن مالك بن حنظلة

من مالك بن زيد مناة أبو حى من تميم ويجوز أن يكون بنى الدرم وهو جمع الأدرم
وبنو الأدرم حى من قريش الظواهر وهم بنو تيم بن غالب بن فهر بن مالك قيل له الادرم
لأن أحد لحييه أنقص من الآخر . ويوجد فى العرب بنو درماء أولاد عمرو بن عوف
ابن ثعلبة بن سالامان بن ثُعل الطائى ودرماء أمهم وهم بالشام بقلعة الداروم ومايجاورها
وهى قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر . ثم يصل القاصد وهو ذاهب إلى الجنوب بغرب
الى مدينة « لقنت »

لقنت Lekant

وقد يقال لها اليقنت Alicante أو القنت Alkant وقد ذكر الشريف الادريسى
ان من مدينة دانية إلى مدينة القنت(١) غرباً على البحر سبعين ميلاً قال : ولقنت مدينة
صغيرة عامرة وبها سوق ومسجد جامع ومنبر ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر
وبها فواكه وبقل كثير وتين وأعناب ولها قصبة منيعة جداً فى أعلى جبل يصعد اليه
بمشقة وتعب وهى أيضاً مع صغرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق وبالقرب من

---

(١) قال فى الروض المعطار عن لَقَنت : بينها وبين دانية على الساحل سبعون
ميلاً وهى مدينة صغيرة عامرة وبها سوق ومسجد جامع ومنبر ويتجهّز منها بالحلفاء
إلى جميع بلاد البحر وبها فواكه وبقل كثير وتين وأعناب ولها قصبة منيعة جداً فى
أعلى جبل يصعد اليـه بمشقة وتعب وهى على صغرها تنشأ بها المراكب السفرية
والحراريق ومن لقنت إلى ألش فى البر ٥١ مرحلة نقل صاحب الروض المعطار كلام
الادريسى بنصه

هذه المدينة جزيرة تسمى «إبلناصة[1]» وهى على ميل من البر وهى مرسى حسن . وهى مكمن لمراكب العدو وهى تقابل « طرف الناظور » ومن طرف الناظور إلى مدينة القنت ١٠ أميال ومن مدينة القنت فى البر إلى مدينة ألش مرحلة خفيفة ومن مدينة القنت إلى « حلوق بالش » ٥٧ ميلاً . اه

تقدم نقل هذا من جملة كلام الادريسى فأما القنت اليوم فهى مدينة بحرية ذات بال سكانها يزيدون على خمسين ألفاً وهى مركز مقاطعة وأصل اسمها فى القديم « لوسانتُم » Lucentune يظن أنها كانت الى الشمال مما هي اليوم وهى واقعة على فرضة يحدها من الشرق الرأس المسمى «هويرتاس» Huertas ومن الجنوب رأس « سانتابولا » Santa Pola وهو الذى كان العرب يسمونه بطرف الناظور وأما من الجنوب فالمرسى مفتوح يشرف عليه الحصن العالى المنيع الذى يقول له الاسبانيون اليوم « سانتا بربارة » Santa Barbara والشتاء فى القنت لطيف الا أن الهواء كثير التغير وفى الصيف يشتد الحر الا أنه يبقى أخف من حرّ مرسية وقد ساقوا اليها الماء سنة ١٨٩٨ ومن حاصلات القنت الخمر والزبيب واللوز والزيت

ومرسى القنت فى غاية الجمال وله رصيف طويل ووراء هذا الرصيف ساحة فسيحة عليها صفّان من النخل . وفى القنت ساحة عمومية بديعة . وعلو الحصن المسمى سانتا بربارة نحو من ١٦٠ متراً وله منظر من أبدع مايتصوز العقل تسرح منه العيون فى غياض القنت وسواحلها المريعة الى حد طرف الناظور من جهة وفى البحر من جهة أخرى . وللقنت ربض يسمى ربض « سان أنطون »

والى الشمال الشرقى من القنت على مسافة ١٧ كيلو متراً مصحّة يقال لها

---

(١) تقدم لنا فى التعليق على كلام الادريسى أنه لايوجد جزيرة هنالك باسم ابلناصة وانما الجزيرة اسمها « بلانة » وهى فى جنوب القنت فلابد أن يكون وقع تحريف فى النسخ أو هى محرفة عن « بلانيس » Planes وهى تابعة للقنت

«بوزوه» Busot ارتفاعها نحو من خمسمائة متر مشرفة من جميع الجهات تحيط بها غابة من الصنوبر وتكثر حواليها بساتين النخل والبرتقال وكروم العنب

وقد عرفت مدينة القنت بنفسي فى أثناء سياحتي إلى الأندلس ووجدت فى كنّاشي أنني وصلت اليها فى ٢٣ أغسطس الساعة الثانية عشرة زوالية وبت فيها ليلة لا أتذكر أنني قبلت فيها الغطاء وذلك من شدة الحر ومع هذا فمذكور فى كنّاشي أنها بلدة لطيفة خفيفة على الروح أخف جداً على الروح من قرطاجنة التي كنت قد زرتها قبل ذلك بيوم . وعند مدخل القنت غابة نخيل فى غاية اللطف وللبلدة مرسى على البحر عليه رصيف لطيف ووراءه ساحة فيهاسطران من شجر النخل وفوق القنت جبل عليه قلاع وهو مشرف على البحر . وكان سفرى الى دانية فى قطار حديدى صغير ذهب بنا شمالاً على شاطىء البحر ولم يمض إلاّ قليل حتى دخل بنا بين كروم الزيتون والعنب ورأينا جداول تسقى البساتين ثم مررنا بغيضة نخل ورأينا كثيراً من شجر الخروب والسهل هناك أفيح تربته تميل الى البياض وتشرف عليه جبال عالية ومن رأى هذا النخل وهذا الخروب وهذا الزيتون لا يظن أنه فى أرض أوربة [1]

---

(١) وأهل مجريط يحبون الشتوة كثيراً فى القنت لاسيما أن الطريق من مجريط إلى القنت مستقيمة ، وقد يذهبون اليها فى شهر يونيو بالرغم من شدة الحرارة لان هواء بحرها يلطّف حرارة برها وهى تلجأ من ظلال أشجارها الوارفة إلى مقاعد فى غاية الوثارة كأنها واحة فى وسط صحراء محرقة . وحركة المرسى بالرغم من شدة الحر لاتخف أبداً. ولا يزال فيه الشيل والحط وتشترك فى الشغل النساء مع الرجال ومرج القنت يشرب من نهير يقال له مونيغر Monegre ولما كانت مياه النهير لا تكفى لرى المرج فقد بنوا سداً عظيماً ارتفاعه ٤١ متراً وعرضه ٤٢ الى ٥٧ متراً وبناء هذا النهير وبناء هذا السد صار مرج القنت مرجاً لأن الماء مع الحرارة يعمل العجائب

وقد ذكر ليفى بروفنسال فى مجموعة الكتابات العربية باسبانية كتابة وجدت فى « غواردامار » Guardamar من عمل القنت عثروا عليها سنة ١٨٩٧ فى كثيب

هذا وقد انتسب الى القنت أناس من أهل العلم ترجم منهم ابن الأبّار محمد بن أحمد ابن محمد بن سفيان السلمى يكنى أبا بكر نزل مدينة تلمسان روى عن أبى محمد بن أبى جعفر وأبى القاسم بن الجنّان وكان متقدماً فى عقد الشروط له بعض النفوذ فى الشعر والكتابة أجاز لأبى عبد الله بن عبد الحق التلمسانى سنة ٧٥٧

وأبو زيد عبد الرحمن بن على بن محمد بن سليمان التجيبى من أهل القنت سكن أريولة من عمل مرسية يعرف بابن الأديب حج سنة ٥٢٩ ورجع الى الأندلس فتولى الصلاة والخطبة بجامع أريولة مدة طويلة ودُعى الى القضاء فلم يقبل وحُمل عليه فى ذلك فاشتغل به نحو شهرين ثم استعفى منه فأُعفى وكان من أهل العلم والفضل والورع حافظاً لكتاب الله حسن الصوت به اذا سمعت صوته عرفت أنه يخشى الله متقللاً من الدنيا له بضاعة يتعيّش من فضلها فصيح الخطابة غزير الدمع يَبكى ويُبكى اذا خطب أخذ عن أبى محمد بن أبى جعفر فى مرسية هو وبلديُّه أحمد بن محمد بن سفيان السلمى ولما حج كان معه ابن عمه أبو أحمد محمد بن معطى التجيبى وكانت حجته سنة ٥٢٩ وكانت وفاته بأريولة بعد سنة ٥٤٠

رمل وهى محفوظة اليوم بدار التحف الأثرية بمدينة مرسية وخطها كوفى وهى :

بسملة . . . . لا اله الا الله محمد رسول الله تم هـذا المسجد فى شهر المحرم سنة ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة أمر ببنائه أحمد بن بهلول بن الواثق بالله المبتغى ثواب الله على يدى محمد بن أبى سلمة عمل بن محمد . . . . البنّا . انتهى

وقد أورد بروفنسال ملاحظة أن هذا الامير الذى أمر ببناء هذا الجامع لم يعرف عنه شىء ولا يعلم هل جملة « الواثق بالله » هى لقب رسمى تشريفى له أم هى مذكورة بمعناها الحقيقى ؟ وان المستشرق قديرة ذهب الى أن هذا الرجل كان من رجال الديوان فى زمن عبد الرحمن الناصر وأنه ورد ذكره مرتين فى كلام ابن عذارى فى « البيان » وذلك فى حوادث سنة ٣٠٢ وسنة ٣١٣ وأنه فى احدى المرتين مذكور اسمه « أحمد ابن بهلول » وفى الأخرى « أحمد بن حبيب بن بهلول » وليس ليفى بروفنسال عى

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن سليمان التجيبى نزيل تلمسان من أهل القنت سكن أبوه أريولة أخذ القراءات بمرسية عن نسيبه أبى أحمد بن معطى وأبى الحجاج النفزى وأبى عبد الله بن الفرس ورحل الى المشرق فأدّى الفريضة وأطال الاقامة هناك وكتب العلم عن جماعة كثيرة أزيد من مائة وثلاثين من أعيان المشارقة منهم أبو طاهر السلفى المشهور الذى اختص به وحُكى أنه لما ودّعه قافلاً إلى المغرب سأله عما كتب عنه فأخبره أنه كتب كثيراً من الأسفار ومئين من الأجزاء فسُرَّ بذلك وقال له : تكون محدّث المغرب ان شاء الله قد حصّلت خيراً كثيراً . قال المترجَم : ودعا لى بطول العمر حتى يؤخذ عنى ما أخذت عنه . وممن أخذ عنهم أيضاً أبو محمد العثمانى وأخوه أبو الطاهر وأبو الطاهر بن عوف وأبو عبد الله بن الحضرمى وأخوه أبو الفضل وأبو القاسم بن جارة وأبو الثناء الحرّانى وأبو الحفص الميانشى وغيرهم ومن الأندلسيين أبو محمد عبد الحق الاشبيلى وأبو جعفر

رأى قديرة من أن هذا الشخص هو ابن بهلول نفسه ولكنه يقول ان بانى هذا الجامع لابد أن يكون من ذوى المقامات العلية ومن الرؤساء

وقد ذكر كتابة أخرى وجدت فى «القوصر» Alcocer من بلانس Planes من عمل لقنت محفوظة الآن فى بلدة الكُوى وهى كتابة بالخط الكوفى على قبر رجل لم يعرف عنه شىء وهى :

« بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله هذا قبر عمر بن العاص رحمه الله تعالى توفى يوم الجمعة الرابع فى شهر صفر . . . » وبقية الكتابة ممحوّة

ووجدت فى بلدة طوربيجه Torrevidja من عمل لقنت كتابة على قبر الباقى منها يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم صلّى الله على محمد وعلى آله وسلّم

الحمد لله الذى جعل الموت غاية المخلوقين وسبيل الأولين والآخرين واليه مصير الخلق أجمعين

. . . . . ولو كره المشركون فريق فى الجنة وفريق . . . . »

ويظن ليفى بروفنسال ان هذه الكتابة من كتابات القرن السادس

ابن مضاء وأبو عبد الله بن الفخّار وأبو محمد اليسع بن حزم وغيرهم . وله فى شيوخه تأليف مفيد جمع فيه أسماءهم على حروف المعجم ذكر ابن الأبّار أنه وقع اليه بخطه فى سنة ٦٤٠ وهو بتونس وأنه نقل عنه فى التكملة مانسبه اليه وقال انه انتهى إلى تلمسان واتخذها وطناً له . وذكر من جملة تآليفه برنامجه الأكبر وبرنامجه الأصغر ومعجم شيوخه والفوائد الكبرى والفوائد الصغرى كل منها جزء ومناقب السبطين الحسن والحسين والأربعون حديثاً فى المواعظ والأربعون فى الفقر وفضله وجزء فى الحب فى الله وجزء فى فضل الصلاة على النبى عليه السلام وكتاب الترغيب فى الجهاد خمسون باباً فى مجلد والمواعظ والرقائق سفران وكتاب مشيخة السلفى وروى عنه ابن الأبّار نقلاً عن أبى طاهر السلفى المذكور قال أنشدنا أبو المكارم الأبهرى قال أنشدنا أبو العلاء التنوخى بالمعرّة لنفسه:

توحّد فان الله ربك واحد ولا ترغبن فى عشرة الرؤساء
يقلّ الاذى والعيب فى ساحة الفتى وان هو اكدى قلة الجلساء
فأفٍ لعصريهم نهارٍ وحندسٍ وجنسَىْ رجالٍ منهم ونساء
وليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء

قال المترجَم : وسمعت شيخنا الحافظ أبا طاهر (أى السلفى) رحمه الله بالاسكندرية يقول : سمعت القاضى أبا محمد الموحد بن محمد بن عبد الواحد بتستُر يقول : سمعت محمد ابن على الكازرونى المقرئ بالأهواز يقول : دخلنا على أبى العلاء المعرى منصرفنا من مكة ونحن جماعة فسألنا عن أسمائنا وبلداننا وصنايعنا فانتسب كل واحد منا، فلما سألنى عن صناعتى قلت : أنا قارئ . قال : فاقرأ لى آية من كتاب الله تعالى . فقرأت (يومَ يقولُ لجهنم هلْ امتلأتِ وتقولُ هلْ منْ مزيد) فبكى المعرّى بكاء شديداً (إلى أن قال) فسألناه أن ينشدنا شيئاً من الشعر فأنشدنا

يغدو الفقير وكل شئ ضده والأرض تغلق دونه أبوابها
فتراه محقوقاً وليس بمذنبٍ ويرى العداوة لايرى أسبابها

حتى الـكلاب إذا رأت ذا بزّة   هشّت اليه وحركت أذنابها
وإذا رأت يوماً فقيراً بائساً   نبحت عليه وكشّرت أنيابها

مولد المترجَم بلقنت الصغرى فى نحو الأربعين وخمسمائة وتوفى بتلمسان فى جمادى الأولى سنة ٦١٠ قال ابن الأبّار : كتب لى وفاته بخطه شيخنا أبو زكريا بن عصفور التلمسانى منها اه

وقد ذكر ياقوت فى معجم البلدان مدينة لقنت فقال : بفتح أوله وثانيه وسكون النون وتاء مثناة حصنان من أعمال لاردة بالأندلس لقنت الـكبرى ولقنت الصغرى وكل واحدة تنظر الى صاحبتها . اه

قلت : ليست لقنت من عمل لاردة لأن هذه هى فى الثغر الأعلى من عمل سرقسطة وهى الآن من عمل كتلونية لا من عمل أراغون التى حاضرتها سرقسطة فالذى يظهر لنا أنه وقع خطأ فى النسخ فبدلا من أن يكتب من عمل دانية كتب الناسخ من عمل لاردة وهذا وجه وثمة وجه آخر وهو أن يكون ياقوت كتب هذا بناء على ما كان يعلم من أن ابن هود صاحب سرقسطة ولاردة والثغور العليا استولى على دانية وملحقاتها وأخرج على بن مجاهد العامرى عنها

ألش Elche

وعلى مقربة من القنت مدينة الش متصلة بالقنت بخط حديدى يضرب الى الجنوب الغربى ماراً بأرض شديدة الحرارة حتى أنهم يحصدون الشعير من شهر مارس قبل أن يُدرك ويطعمونه المواشى . وألش[1] بلدة ساحلية يسكنها نحو من ثلاثين ألفاً من

(١) جاء فى كتاب « الروض المعطار فى خبر الأقطار » لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى الذى عاش فى أواسط القرن التاسع للهجرة ما يأتى : بالأندلس اقليم ألش من كور تدمير بينه وبين اوريولة خمسة عشر ميلاً . والش

النفوس وهى بلدة ايبيرية كان يقال لها فى زمن الايبيريين « هيليك » Helike وسماها الرومان « ايليشى » Illici وفيها كنيسة سانتا ماريا التى لها برج يعلو ٣٩ متراً اذا صعد الانسان الى أعلاه أشرف على جميع المدينة ورأى بيوتها البيض وأجدر شئ بالذكر فى الش هى غابة النخيل التى لا يوجد لها نظير فى جميع الأندلس عدد أشجارها مائة وخمسة عشر ألف نخلة وهى مملوكة لأصحابها تشرب من ماء سيق اليها من واد يقال له « ڤينالوبو » Vinalopo والنخلات طوال ارتفاع الواحدة من ٢٠ الى ٢٥ متراً فلذلك قال عنها العرب ان أرجلها فى الماء ورءوسها فى النار لشدة حرارة الجو هناك والناس يزرعون بين النخل أنواع البقول والخضروات وعندهم رمان كثير وهم يؤبرون النخل فيصعد المؤبّر بواسطة حبل يربطه بوسطه فيرقى تدريجاً وهكذا يصنعون عند اختراف النخل وهو لا يحمل كل سنة ومعدَّل تمر النخلة الواحدة كل سنتين من ٣٤ الى ٣٥ كيلو وليس بُسر نخل الش كبسر نخيل الصحراء فى أفريقية من جهة اللذة . وهم يبيعون سعف النخل اليابسة وللناس اعتقاد هناك بأنها تقى من الصواعق فلذلك يعلقونها فى الرواشن

وقد كانت ألش من المدن المعدودة فى زمان العرب قال عنها ياقوت فى معجم البلدان ألش بفتح أوله وسكون ثانيه وشين معجمة اسم مدينة بالأندلس من أعمال تدمير لزبيبها فضل على سائر الزبيب وفيها نخيل جيدة لا تفلح فى غيرها من بلاد الأندلس وفيها بسط فاخرة لا مثال لها فى الدنيا حسناً . انتهى وقد بنى أهل ألش سداً للمياه يقولون له سد « تيبى » Tibi قامت ببنائه شركة من أصحاب الأملاك وهم يبيعون من هذه المياه لمن يحتاج الى سقيا أرضه فى المعاطش ولمصلحة هذا السد ديوان خاص

مدينة فى مستوٍ من الأرض يشقها خليج يأتى اليها من نهرها يدخل من تحت السور ويجرى فى حمامها ويشق أسواقها وطرقها وهو ملح سبخى . ومن الش الى لقنت خمسة عشر ميلاً . ومن الغرائب أن بساحل ألش بمرسى يعرف بشنت بول حجراً يعرف بحجر الذئب اذا وضع على ذئب أو سبع لم يكن له عدوان وفارق طبعه من الفساد .

بها وأهل ألش يبيعون جرائد النخل الذى عندهم فى كل اسبانية ويستفيدون منها أكثر مما يستفيدون من الثمرات . وألش موصوفة بكثرة الغبار وشدة الحر فى الصيف ليس بذلك لها نظير فى اسبانية مع كون الحر شديداً فى أكثر أنحاء إسبانية[1]

ذكر من انتسب الى الش من أهل العلم منهم أبو عبدالله محمد بن محمد بن اسماعيل

(١) حتى فى بلادها الشمالية فما ظنك بالجنوبية وتمتاز الش مع الحرارة بملوحة ترابها وهذه الملوحة هى السبب فى نمو غيضة النخل التى فيها ، ومن ألش الى القنت قطار كهربائى اذا سافر المسافرون به فى الصيف يحتاجون الى اغلاق الأبواب والنوافذ اتقاء الحر

وأما انطباعات خاطرى بما رأيته بنفسى من جهة ألش ونواحيها فهى مذكورة فى كناش الجيب الذى كان معى فى اسبانية وكنت أقيد فيه عفو الساعة ما أراه وأشعر به وقد تقدم المنقول عنه

ومما يجدر بالذكر بمناسبة ألش كتابة عربية وجدت فى سقف بيت فى هذه البلدة فى شارع منها يقال له « ألبادو » Alvado بقى منها الأسطر الآتية :

« أقبل على صلاتك ولا تكن من الغفلين ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون صُنع الفاضل أبى الضيا سراج بن سَلَمَة . . . . عليه عام اثنى عشر ود..صلى الله على سيدنا . . . .

وقد تكلم على هذه الكتابة الباحث « سافيدرا » Savedra فذهب الى أن هذه الكتابة هى من عصر متأخر لأنها ليست بالخط الكوفى بل بالخط النسخى المعروف ولأن فيها لفظة « عام » وهذا الاصطلاح لم يكن معروفاً فى تواريخ القبور العربية بالأندلس وماماثلها الى القرن السادس للهجرة فمن قوله « عام اثنى عشر » ووجود هذه الكلمة د التى لم يبق منها الا الحرف الأول الذى يشبه أن يكون كرسيا للثاء تكون الجملة « اثنى عشر وثمانمائة » أو تكون كرسيا للتاء المثناة فتكون الجملة « عام اثنى عشر وتسعمائة » وهى السنة الموافقة لسنة ١٥٠٦ المسيحية ومن هذه الكتابة يظهر أنه فى ذلك العهد كان مسلمون فى ألش ومن المحقق أنه لذلك العهد كانت مئات ألوف من العرب لاتزال فى شرق الأندلس

ابن سماعة التجيبي من أهل ألش سكن مرسية كان ذا عناية بالرواية بصيراً بالحديث مشاركاً في العربية توفي معتبطاً سنة ٦١٠

وأبو عبد الرحمن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الجليل بن غالب بن محمد بن عبدالله ابن عبد الرحمن بن خلف بن القاسم بن غالب بن حمدون الأنصاري الخزرجي سمع بمرسية من أبي بكر بن أبي جمرة وأبي عمر بن عيشون وببلنسية من أبي عبدالله بن نوح وأبي الخطاب بن واجب وفي شيوخه كثرة كان فقيهاً بصيراً بالحديث ذا حظ من الأدب ولّي قضاء المريّة فحمدت سيرته وتوفي بغرناطة سنة ٦٣٦

وأبو عبد الله محمد بن عبد الواحد أصله من ألش سكن مرسية يعرف بابن التيّان كان من أهل الحديث ذكره السافي وقال : روى لنا عن أبي عبد الله بن الطلاع وأبي على الجيّاني . هؤلاء ترجمهم ابن الأبار .

وممن انتسب الى ألش بسبب سكناه بها عيسى بن محمد العبدري أديب شاعر سمعه أحد ينشد على قبر الفقيه أبي عمرو خفاجة بن عبد الرحمن أبياتاً يرثيه بها منها

أيا حسرتا ماذا تواريه بالأرض من الوجنة الحسناء والبدن الغضّ
تكاثرت الأموات والطين فوقها خواتم حتى يأذن الله بالفضّ

وأبو محمد عبد الله بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل يعرف بابن قمرة تفقّه بأبي جعفر ابن أبي جعفر وسمع الحديث من أبي الوليد بن الدباغ وأبي الحسن بن فيد القرطبي ولّي قضاء بلده ألش وكان مشاركا في حفظ المسائل درباً بالأحكام ذا حظ من الأدب توفي سنة ٥٥٩ أو ٥٦٠ ذكره ابن الأبار في التكملة وقال ابن عميرة في البغية : ألشي فقيه حسن الخط

وأبو عمرو خفاجة بن عبد الرحمن بن أحمد الأسلمي من ألش روى أيضا عن أبي الوليد بن الدباغ وأبي الحسن بن فيد وكان فقيها متصرفا في الوثائق عارفا بالأحكام مات سنة ٥٧٤

وعبد الله بن ابراهيم بن معزول الالشي يكنى أبا محمد يروى عن أبي على الصدفي ذكره ابن عميرة في البغية

وممن ينسب الى ألش آل الالشى في دمشق الشام منهم صاحبنا المرحوم الشيخ زاهد الالشى وكان من أهل الفقه والفضل فصيحا مفوها سريع البادرة موقد الذهن بديع الفكاهة كان أظرف الظرفاء فى عصره تقصد الناس مجالسه للتمتع بمحاضرته وتولى القضاء فى دوما وفى بعلبك وابنه جميل بك الالشى كان من ضباط الجيش العثمانى وكان متميزاً بالبراعة والمقدرة وقد تولى رئاسة الحكومة فى دمشق بعد الحرب العامة فى أثناء الاحتلال الافرنسى وكنت غفلت عن سؤال والده رحمه الله عن سبب تسميتهم « بالالشى » مع كثرة معاشرتى له فلما شرعت فى تصنيف هذا الكتاب تنبهت الى أنه قد يجوز أن يكونوا منسوبين الى ألش هذه فأرسلت الى جميل بك الالشى أسأله عن ذلك فأجابنى بما يؤيد ظنى بأنهم من مدينة ألش بالأندلس وأنه كان يسأل أباه فيقول له : أصلنا من الغرب

أوريوله Orihuela

ان مدينة « كريفيلنت » واقعة بحذاء سلسلة جبال جرد على ضفة نهير يشرب منه نخيلها وسكان هذه البلدة اليوم عشرة آلاف نسمة ومن القصبات المعدودة فى تلك الناحية بلدة يقال لها « توريفيجا » Torrevija وهى بحرية سكانها ثمانية آلاف متصلة بالقنت بترام كهربائى . وقرية يقال لها «غرانجة» Granja Rocamora يمر بها الخط الحديدى الى مرسية ولها جندل كبير فى رأسه أطلال قصر عربى وأما فلوزة شقورة فهى مدينة صغيرة يظنها الانسان عربية الى يومنا هذا وهى واقعة بحذاء صخور وجنادل كبار وفيها منازل كثيرة منحوتة فى الصخر وفيها من البرتقال والنخل شىء كثير ومن هناك يدخل المسافر فى أرض أوريولة [1] التى هى المثل البعيد فى الخصب

---

(١) قال الحميرى فى الروض المعطار : أوريولة حصن بالأندلس وهو من كور تدمير وأحد المواضع السبعة التى صالح عليها تدمير بن عبدوس عبدالعزيز بن موسى بن نصير

ويقال لهذه البلدة أوريولة وأوريوالة وأريول ولها أيضاً اسم آخر وهو تدمير وهو اسم أميرها الذى سيأتى ذكره وسكانها اليوم نحو من عشرين ألف نسمة وهى واقعة على الضفة اليمنى من نهر شقورة

وجاء ذكر اوريوله فى معجم البلدان قال ياقوت : أُوريوله بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء مضمومة ولام وهاء مدينة قديمة من أعمال الأندلس من ناحية تدمير بساتينها متصلة ببساتين مرسية . منها خلف بن سليمان بن خلف بن محمد بن فتحون الاريولى يكنى أبا القاسم روى عن أبيه وأبى الوليد الباجى وغيرهما وكان فقيهاً أديباً شاعراً مفلقاً واستقضى بشاطبة ودانية وله كتاب فى الشروط وتوفى سنة ٥٠٥ وابنه محمد ابن خلف بن سليمان بن خلف بن محمد بن فتحون الأريولى أبو بكر روى عن أبيه وغيره وكان معنياً بالحديث منسوباً الى فهمه عارفاً بأسماء رجاله وله كتاب الاستلحاق على أبى عمر بن عبد البَر فى كتاب الصحابة فى سفرين وهو كتاب حسن جليل وكتاب آخر أيضاً فى أوهام كتاب الصحابة المذكور وأصلح أيضاً أوهام المعجم لابن قانع فى جزء ومات سنة ٥٢٠ وقيل سنة ٥١٩ . اه

وجاء ذكر أريولة فى صبح الأعشى وقد عدَّها فى مضافات مرسية . وذكرها الشريف الادريسى وقال انها من كورة تدمير . وقال ياقوت فى معجم البلدان على تدمير مايلى : تدمير بالضم ثم السكون وكسر الميم وياء ساكنة وراء كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيَّان وهى شرقى قرطبة ولها معادن كثيرة ومعاقل ومدن ورساتيق

حين هزمه عبد العزيز ووضع المسلمون السيف فيه فصالحه على هذه المعاقل وعلى أداء الجزية وكان حصن أوريولة قاعدة تدمير وذكره مشروح فى ذكر قرطاجنة . وبين أوريولة والش ثمانية وعشرون ميلاً ومدينة أوريولة قديمة أزلية كانت قاعدة العجم (أى غير العرب) وموضع مملكتهم وتفسيرها باللاطينى « الذهبية » . ولها قصبة فى نهاية من الامتناع على قنة جبل ولها بساتين وجنات فيها فواكه كثيرة وفيها رخاء شامل وأسواق وضياع وبينها وبين مرسية اثنا عشر ميلاً وبينها وبين قرطاجنة خمسة وأربعون ميلاً وولّى قضاءها أبو الوليد الباجى . اه

تذكر فى مواضعها وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد وبسير العساكر أربعة عشر يوماً وتجاور تدمير الجزيرتان وجزيرة يابسة (يريد بالجزيرتين ميورقة ومينورقة اللتين ثالثتهما يابسة) قال أبو عبد الله محمد بن الجداد الشاعر المفلق الأندلسى

يا غائباً خطرات القلب محضره   الصبر بعدك شىء لست أقدره
تركت قلبى وأشواق تفطّره   ودمع عينىّ آماق تقطّره
لو كنت تبصر فى تدمير حالتنا   إذاً لأشفقت مما كنت تبصره
فالنفس بعدك لاتخلى للذتها   والعيش بعدك لايصفو مكدّره
أخفى اشتياقى وما أطويه من أسف   على البرّية والأشواق تظهره

وقال الأديب أبو الحسن على بن جودى الأندلسى

لقد هيّج النيران يا أم مالك   بتدمير ذكرى ساعدتها المدامعُ
عشيّة لا أرجو لنأيك عندها   ولا أنا ان تدنو مع الليل طامع

وينسب اليها جماعة منهم أبو القاسم طيب بن هارون بن عبد الرحمن التدميرى الكنانى مات بالأندلس سنة ٣٢٨ . وابراهيم بن موسى بن جميل التدميرى مولى بنى أمية رحل إلى العراق ولقى ابن أبى خيثمة وغيره وأقام بمصر الى أن مات بها فى سنة ثلاثمائة وكان من المكثرين انتهى

وكتب ليفى پروڤنسال فى الانسيكلوبيدية الاسلامية ما يلى : تدمير Todmir اسم كورة من الاندلس كانت قاعدتها مرسية الى أن انحلّت الخلافة الأموية هناك واذا أخذنا بقول مؤلفى العرب يكون هذا الاسم مأخوذاً من «تيودومير» Thiodomir الوالى القوطى الذى كان فى أيام فتح العرب للاندلس يمثل فى بلاد مرسية سلطة لذريق ملك طليطلة . وأشهر ما اشتهر به هذا الرجل المعاهدة التى عاهده بها عبد العزيز بن موسى بن نصير وقد ذكرها الضبى وعبد المؤمن الحميرى ونشرها المستشرق كازيرى Casiri وعلّق عليها بحثاً طويلاً العالم كاسبار رميرو Remiro فى كتابه تاريخ مرسية لعهد المسلمين . وكورة تدمير عند العرب تجاور كورتى جيان وألبيرة وأشهر

منهاالورقة وأريوله وألقنت وقرطاجنة ومرسية[١] واذا شئت أن تعلم تاريخ هذه الكورة في أيام العرب فانظر الى الفصل المتعلق بمرسية من هذه المملة

وقال المقرى في نفح الطيب في أثناء كلامه على فتح الأندلس في أول الأمر: ومضى الجيش الى تدمير وتدمير اسم العلج صاحبها سميت به واسم قصبتها أوريولة ولها شأن في المنعة وكان ملكها علجاً داهياً وقاتلهم مضحياً ثم استمرت عليه الهزيمة في فحصها فبلغ السيف فيأهلها مبلغاً عظيماً أفنى أكثرهم ولجأ العلج إلى أوريوله في يسير من أصحابه لا يغنون شيئاً فأمر النساء بنشر الشعور وحمل القصب والظهور على السور في زى القتال متشبهات بالرجال وتصدّر قدامهن في بقية أصحابه يغالط المسلمين في قوته على الدفاع عن نفسه فكره المسلمون مراسه لكثرة ماعاينوه على السور وعرضوا عليه الصلح فأظهر الميل اليه ونكّر زيّه فنزل اليهم بأمان على أنه رسول فصالحهم على أهل بلده ثم على نفسه وتوثّق منهم فلما تم له من ذلك ما أراد عرّفهم بنفسه واعتذر اليهم بالابقاء على قومه وأخذهم بالوفاء بعهده وأدخلهم المدينة فلم يجدوا فيها الاّ العيالى والذرية فندموا على الذى أعطوه من الأمان واسترجحوه فيما احتال به ومضوا على الوفاء له وكان الوفاء عادتهم الخ .

---

(١) جاء في كتاب « الروض المعطار في خبر الاقطار » لابى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى جمعه سنة ٨٦٦ للهجرة أن من كور تد مير «اشكونى» وقال ان من أراد أن يتخذ في أشكونى جناناً صرف إلى الموضع العناية بالتدمين والعمارة والسقى من النهر فتنبت الأرض هناك بطبعها شجر التفاح والكمثرى والتين والرمان وضروب الفواكه حاشا شجر التوت من غير غراسة ولا اعمال . اه قلت التدمين هو تسويد الأرض جاء في لسان العرب : ودمّن القوم الموضع سوّدوه وأثّروا فيه بالدمن . والدمن ما يلبّد من السرقين وصار كرساً على وجه الأرض ويقال أيضاً سمّد الأرض أى زبّلها والاصطلاح عندنا في جبل لبنان أن يقال « سود الأرض » وهى فصيحة مثل « سمّد الأرض »

وجاء فى كتاب « أخبار مجموعة » فى فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم . ذكر قضية تدمير هذه وهذا الكتاب أقدم ما كتب فى فتح العرب للاندلس يظن أن تأليفه كان فى أيام الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر جاء فى هذا الكتاب على الجيش القائح : ثم مضى الى تدمير وانما سميت تدمير باسم صاحبها انما كان يقال لها أريولة فلقيهم صاحبها فى جيش جحفل فقاتلهم قتالا ضعيفاً ثم انهزم فى فحص لا يستر شيئاً فوضع المسلمون فيهم السلاح حتى أفنوهم ولجأ من بقى الى المدينة أوريولة وليست فيهم بقية ولاعندهم مدفع وكان تدمير صاحبهم مجرّباً شديدالعقل فلما رأى أن لا بقية فى أصحابه أمرالنساء فنشرن شعورهن وأعطاهن القصب وأوقفهن على سور المدينة وأوقف معهم بقية من بقى من الرجال فى وجه الجيش حتى عقد على نفسه ثم هبط بنفسه كهيئة الرسول فاستأمن فأمّنَ فلم يزل يراوض أمير ذلك الجيش حتى عقد على نفسه الصلح وعلى أهل بلده فصارت تدمير صلحاً كلها ليس منها عنوة قليل ولا كثير وعاملهم على ترك أمواله فى يديه فلما فرغ أبرز لهم اسمه وأدخلهم المدينة فلم يروا فيها أحداً عنده مدفع فندم المسلمون ومضوا على ما أعطوه وكتبوا بالفتوح الى طارق وأقام بتدمير مع أهلها رجال ومضى عظم الجيش الى طليطلة الخ وسيرد هذا وما هو أوسع منه عند تاريخ الفتح العربى أيام طارق بن زياد وموسى ابن نصير[1]

---

(١) ان الكتاب الذى أمّن به عبد العزيز بن موسى بن نصير الأمير تدمير الذى كان والياً على أوريولة ونواحيها لا شبهة فى قضية اعطاء عبد العزيز بن موسى له لأن روايات المؤرخين تظافرت على ذلك ولقد نشر فرنسيسكوس قديرة نصّ هذا الكتاب فى المقدمة الاسبانيولية التى صدّر بها طبعة « بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس » لأحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضبّى وهو التاريخ الذى طبع فى مجريط سنة ١٨٨٤ المسيحية تحت اشراف المستشرق قديرة المذكور ونص الكتاب هو هذا[1] :

....

(١) نأمن نسخة كتاب الصلح للنصارى فى أول الفتح من عبد العزيز بن نصير رحمه ربه عليه

ذكر من انتسب إلى أوريولة من أهل العلم

منهم أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف بن سليمان بن خلف بن محمد بن فتحون سمع أباه أبا بكر محمدا وأبا على الصدفى وأبا جعفر بن بشتغير وأبا بكر بن العربى وأجاز له جده أبو القاسم خلف بن سليمان فى صغره وأخذ القراءات عن أبى بكر بن عمّار اللاردى وعن أبى الحسن بن ميمون وكتب اليه أبو عبد الله الخولانى وابن رشد وابن عتّاب وغيرهم ومن أهل المشرق أبو الحسن بن مشرّف والسلفى وولّى القضاء بمرسية للأمير أبى محمد بن عياض فَحُمِدَت سيرته وتوجّه عنه رسولاً الى المغرب فأقام بمراكش مدة وانصرف سنة ٥٤٣ بعد موت ابن عياض ثم نقل الى قضاء بلده أوريولة وتولاّه مدة طويلة مقتصراً على جارٍ من طيّب المستخلص القديم الذى لا شبهة فيه وكان من

كتاب الصلح الذى كتبه عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن عبدوش الذى سميت باسمه تدمير اذ كان ملكاً ونسخة ذلك الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن عبدوش أنه نزل على الصلح وأن له عهد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم ألا يقدّم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر ولا ينزع عن ملكه وأنهم لا يُقتلون ولا يسبون ولا يفرّق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم ولا يُكرهوا على دينهم ولا تحرق كنائسهم ولا ينزع عن ملكه ما تعبّد ونصح وأدّى الذى اشترطنا عليه وأنه حاكم على سبع مداين أوريولة وبلنتلة ولقنت وحوله وتقسر وايته ولورقه وأنه لا يؤوى لنا آبقاً ولا يؤوى لنا عدوا ولا يخيف لنا آمناً ولا يكتم خبر عدو علمه وأن عليه وعلى أصحابه ديناراً كل سنة وأربعة أمداد قمح وأربعة أمداد شعير وأربعة أقساط طِلا وأربعة أقساط خل وقسطين عسل وقسطين زيت وعلى العبيد نصف ذلك شهد على ذلك عثمان بن أبى عبدة القرشى وحبيب بن أبى عبيدة وادريس بن ميسر التميمى وأبوقاسم المولى وكتب فى رجب سنة أربع وتسعين من الهجرة. انتهى

وقد ورد فى الانسيكلوبيدية الاسلامية أن هذا الكتاب القديم جاء فى

قضاة العدل صارماً فى أحكامه مهيباً وقوراً معروف السلف بالنباهة والعلم وكان الأمير أبو عبد الله بن سعد يعزّه فى رجاله من غيره ويوجب له الحظ اذ كان المنظور اليه بمكانه وأحد الأفراد فى زمانه رجاحةً وجلالاً وقولاً بالحق وعملاً به قال ابن عيّاد: ولّى قضاء أوريولة مرتين احداهما سنة أربعين أى ٥٤٠ وأعيد ثانية بعـد موت أبى العباس بن الحلاّل ووصفه بالتيقّظ والتحفّظ والورع والنزاهة وبأنه لم يتغير له ملبس ولا مركب عما عهد منه قبل الولاية وتوفى فى جمادى الأولى سنة ٥٥٧ عن ابن الأبّار

وجده أبو القاسم خلف بن سليمان بن خلف هو الذى ذكره ياقوت فى المعجم وقد تقدم نقل ذلك وقد وردت ترجمة المذكور فى صلة ابن بشكوال كذلك ترجمة محمد بن خلف بن سليمان بن فتحون ولد أبى القاسم خلف واردة فى صلة ابن بشكوال ويظهر أن صاحب معجم البلدان نقل أقواله عنهما من كتاب الصلة لأنه يذكر الألفاظ نفسها

تاريخ الضبّى وتاريخ ابن عبد المنعم الحميرى وأن أول ناشر له بالاسبانيولى هو المستشرق كازيرى Casiri فى كتابه المسمّى «بالمكتبة الاسبانية» Bibliotheca Hispana وعلّق عليه شرحا مطولا كاسبار برفيرو Gaspar Berviro فى كتابه « تاريخ مرسـية الاسلامية » Historia de Murcia Musulmana ونحن اطلعنا على تاريخ بالاسبانيولى يقال له « تاريخ استيلاء العرب على مرسية » Historia de la Dominacion de los Arabes en Murcia بقلم « الدون فليكس بنسوا سيبريان » Don Felix Bonzoa Cebria طبع فى مدينة « باله » قاعدة جزيرة ميورقة سـنة ١٨٤٥ وقد وجد فيـه هذا الكتاب بالاسبانيولى وطابقنا بينه وبين النص العربى الذى رأيناه فى تاريخ ابن عميرة الضبىّ فوجدناه مطابقاً فأما المدن السبع التى أبقى عبد العزيز بن موسى بن نصير عليها ولاية تدمير بن عبدوش فهى هذه : أوريولة Auriola وبلنتلة Valentila ولقنت Lecant ومولة Mula وبوسكره ـ وفى النص العربى الذى أطلعنا عليه بقسر ـ Boscara وأوته ـ وفى النص العربى ايته ـ Ota ولورقه Lurca

وأبو عمرو زياد بن محمد بن أحمد بن سليمان التجيبي سمع من القاضي أبي على الصدفي وأخذ عن بعض رجال المشرق قال ابن بشكوال انه سمع بقرطبة من شيوخه وصحبه وأخذ عنه أي عن ابن بشكوال وأخذ ابن بشكوال عنه وتوفى ببلده أوريولة في صدر ذى الحجة سنة ٥٢٦

وأبو عبد الله محمد بن احمد بن سليمان بن عبد الله التجيبي صاحب الاحباس بأوريولة يعرف بابن الصفّار وهو والد أبي عمرو زياد بن محمد سمع من أبي على بن سكّرة سنة ٤٩٦ ولقى أبا عبد الله بن الحداد وأبا بكر بن اللبّانة وغيرهما من كبار الأدباء ذكره ابن الدبّاغ في مشيخته

وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن فيرّه الجذامي أصله من لاردة له رواية عن أبي الحسن بن عقال الشنتمرى وأبي عبد الله بن نوفل الأنصارى حدّث عنهما بالتيسير لأبي عمرو المقرئ في سنة ٥٢٥ قال ابن الأبّار قرأت ذلك بخطه

وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن عميرة الأنصارى أخذ القراءات عن أبي عبد الله ابن فرج المكناسي وغيره وسمع الحديث من أبي على الصدفي وأبي محمد بن أبي جعفر

أما ما وجدناه من الفروق بين صورة الكتاب العربية المنشورة في بغية الملتمس وبين الصورة الاسبانية المنشورة في تاريخ مرسية للدون فيلكس بنسوا سيبريان فمنها أنه في الصورة العربية يقول : شهد على ذلك عثمان بن أبي عبدة القرشي وحبيب بن أبي عبيدة وادريس بن ميسره التميمى وأما في الصورة الاسبانية فيقول انه شهد على ذلك عثمان ابن أبي عبده دون أن يقول « القرشي » وكذلك ذكر اسم ادريس بن ميسرة دون أن يقول « التميمى » كما في الصورة العربية . وأما الشاهد الأخير وهو أبو القاسم ففي الصورة العربية لم تتبين اللفظة التي بعد أبي قاسم هل هي « المولى » أو «المسولى» أوغير ذلك والحال أن في النسخة الاسبانيولية هذا الشاهد هو أبو القاسم بوضع «ال» على قاسم ثم بعده المسيلي El Meceli وكذلك في أول هذا الكتاب قبل البسملة

وأخذ بقرطبة عن أبى بحر الأسدى وأبى بكر بن العربى وابن مغيث وابن عتّاب وكان عالماً بالفرايض والحساب توفى بأوريولة سنة ٥٤٩

وظافر بن ابراهيم بن أحمد بن أمية بن أحمد المرادى يكنى أبا الحسن صحب القاضى أبا على الصدفى وسمع منه ومن غيره توفى يوم الاثنين الخامس لصفر سنة٥٢٣ ومولده سنة ٤٨١

وبقى بن قاسم بن عبد الرؤوف يكنى أبا خالد نزل أوريولة أخذ عن أبى محمد مكى ابن أبى طالب المقرى والأستاذ أبى القاسم الخزرجى وغيرهما ترجمه ابن بشكوال فى الصلة

وأبو عبد الله محمد بن صاف بن خلف بن سعيد بن مسعود الأنصارى روى عن أبيه وعن أبى محمد بن أبى جعفر وأبى على الصدفى وأبى بكر بن العربى وأبى مروان ابن غردى وغيرهم وأجاز له أبو الوليد بن رشد المدونة والمقدمات من تأليفه خاصة وولّى قضاء بلده أوريولة بعد أبى القاسم بن فتحون فى امارة ابن سعد روى عنه ابن عيّاد وقال: توفى مصروفاً عن القضاء فى ذى القعدة سنة ٥٥٢ ومولده بعد الثمانين وأربعمائة ذكره ابن الأبّار

فى النسخة العربية مذكور: كتاب الصلح الذى كتبه عبد العزيزبن موسى بن نصير لتدمير بن عبدوش الذى سميت باسمه تدمير إذ كان ملكاً ونسخة ذلك الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم الخ. فأما فى النسخة الاسبانية فقبل البسملة موجودة عبارة ترجمتها الحرفية هى ما يلى: كتابة وعقد صلح بين عبد العزيز بن موسى بن نصير وتدمير بن عبدوش ملك أرض تدمير ثم يقول ان عبد العزيز وتدمير عملا معاهدة هذا الصلح أثبته الله ووقاه وذلك بأن تدمير تكون له الامارة على أصحابه وجميع النصارى الذين فى مملكته وأنه لا يكون بينهم حرب وأنه لا يسبى أولادهم ولا نساؤهم ولا يزعجون فى دينهم ولا تحرق كنائسهم ولا يلزمون خدمة أو واجباً غير ما هو مذكور هنا وان هذا العهد يشمل المدن السبع أوريولة و بلنتيلة ولقنت ومولة

وأبو أحمد محمد بن أحمد بن معطى التجيبى أخذ القراءات ببلده أوريولة عن أبى بكر بن عمّار اللاردى ورحل حاجاً فلقى بمكة أبا العلى بن العرجاء وقفل الى بلده أوريولة وتصدر للاقراء وأمّ فى المسجد المعروف به عند باب القنطرة حياته كلها وكان شيخاً صالحاً ثقة من أهل الورع والعدالة مقرئاً مجوداً. قال ابن الأبّار : أخذ عنه أبو عبد الله التجيبى شيخنا وهو ابن عم والده تلا عليه القرآن بما تضمنه التيسير لأبى عمرو المقرئ ولازمه سنين وأجاز له فى شهر رمضان سنة ٥٦٥

وأبو عبدالله محمد بن سليمان من برطُلُه (بُرطُلُه اسم علم محرّف عن برتلو Bertelot

---

وبُسقره وأوته ولورقة وأن تدمير لا يقبل أعداءنا ولا يكون خائناً لنا ولا يكتم عنا عداوة عرف بها وأنه هو ونبلاؤه يؤدون ديناراً ذهباً كل سنة وأربعة أمداد قمح وأربعة أمداد شعير وأربعة أقساط طلا وأربعة أقساط خل وأربعة أقساط عسل « وفى الصورة العربية : وقسطين من العسل » وأربعة أقساط زيت « وفى الصورة العربية وقسطين من الزيت » فأما العبيد والاجراء فيدفعون نصف هذه الفرائض وكتب فى ٤ رجب من السنة ٩٤ من الهجرة « والحال انه فى الصورة العربية لا يقول فى ٤ رجب بل فى رجب دون تعيين اليوم » . اه والنسخة التى فى الروض المعطار للحميرى هى هذه : بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن عبدوش أنه نزل على الصلح وأن له عهد الله وذمته وذمة نبيه ألاّ يقدّم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخّر ولا يُنزع من مُلكه وأنهم لا يُقتلون ولا يسبون ولا يُفرّق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم ولا يُكرهوا على دينهم ولا تُحرق كنائسهم ولا يُنزع عن كنائسه ما يُعبد وذلك ما أدّى الذى اشترطنا عليه وأنه صالح على سبع مدائن أوريولة وبلنتلة ولقنت ومولة وبلانة ولورقة وألُّه ولا يُؤوى لنا آبقاً ولا يؤوى لنا عدواً ولا يخيف لنا آمناً ولا يكتم خبر عدو علمه وأن عليه وعلى أصحابه ديناراً كل سنة وأربعة أمداد قمح وأربعة أمداد شعير وأربعة أقساط طلا وأربعة أقساط خل وقسطى عسل وقسطى زيت وعلى العبد نصف ذلك وكتب فى رجب سنة ٩٤ من الهجرة

وهو من الأسماء الافرنجية التى سمَّى بها العرب) قال ابن عميرة : فقيه تدميرى من أهل الفضل والورع توفى سنة ٥٦٣

وعتيق بن أحمد بن عبد الرحمن الأزدى أبو بكر بن جزيقر حج سنة ٤٨٩ وسمع بمكة من أبى الفوارس طراد الزينبي وحج أيضاً سنة ٥٢٠ وسمع من رزين ابن معاوية وزاهر الشحَّامى وغيره وحدَّث عنه السلفى فى الحجاز والجيز وصدر الى بلده بروايات عالية وفوائد كان يقصد لأجلها وهو آخر من حدَّث بالمغرب عن أبى الفوارس الزينبي . قال ابن الأبَّار : روى عنه أبو بكر بن أبى ليلى وأبو القاسم بن بشكوال وأبو عمر بن عياد ولد سنة ٤٦٧ بأوريولة وبها توفى سنة ٥٥١

وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن نُيِّره الجذامى ولّى خطة الشورى بأوريولة وكان فيه صلاح وتواضع توفى سنة ٥٦٩

وأبو الحسن على بن محمد بن يبقى بن جَبَلَة الأنصارى الخزرجى من أوريولة وصاحب الخطبة بها سمع سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة من السلفى وغيره وتوفى بأوريولة سنة ٦٣٠ عن ابن الأبَّار

وأبو بكر يحيى بن عبد الرحمن الأزدى يعرف بابن « مصَّالة » خطب بجامع بلده أوريولة وناب فى القضاء وكان من أئمة العربية قال التجيبى : كان شيخى فى العربية واللغة وصحبته عدة سنين وعرضت عليه كتباً كثيرة قال : وأخبرت أنه حى الى الآن يعنى سنة خمس وتسعين (وخمسمائة) قال ابن الأبَّار فى التكملة : فان كان ذلك صحيحاً فقد استوفى مائة عام أو نيَّف عليها

وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام الأديب المعروف بالتدميرى سكن قرطبة أخذ عن أبى عبد الله بن مفرّج وغيره ذكره أبو عبد الله بن عابد وقال انه كتب عنه المناسك لسحنون بن سعيد وقال انه فُقد فى وقعة « قنتيش » سنة أربعمائة مع أبى عثمان بن القزَّاز الأديب رحمهما الله وذكره ابن حيان وقال : كان خيّراً ورعاً عابداً متقشفاً متفنناً فى العلوم ذا حظ من الأدب والمعرفة وكان قد نظر فى شىء من الحدثان

انتهى نقلاً عن الصلة. وما ذكره من النظر فى علم الحدثان يعنى به هذه الحسابات التى يعملها بعضهم ويتنبأون بها عما سيحصل من الحوادث

وأبو عبد الله محمد بن يحيى بن يحيى التدميرى روى عن أبى بكر بن صاحب الاحباس وغيره وكان عارفاً بالأحكام والشروط وكان من المشاورين بمرسية وتوفى بها سنة ٥١١ عن سن عالية نقلاً عن الصلة

ورجاء بن فرنكون (وفرنكون هذا من الأسماء الافرنجية التى استعملها العرب) من أهل تدمير سمع ببلده من أبى الفصن ومن عبيد الله بن يحيى ومات بالقيروان فى قصده الى الحج عن ابن الأبّار

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن وضّاح التدميرى نزيل المريّة قال عنه ابن عميرة الضبّى فى بغية الملتمس : فقيه محدّث توفى بالمرية سنة ٥٣٧

وأبو بكر محمد بن محمد بن يبقى بن جَبَلَة الخزرجى من أهل أوريولة سكن القاهرة سمع من أبى طاهر السلفى وأبي عبد الله المسعودى

ومروان بن عبد الملك بن أبى جمرة يروى عن أبيه عن سحنون بن سعيد روى عنه ابنه وليد بن مروان ذكره ابن الأبّار ولم يذكر سنة وفاته

وأبو بكر ملك بن حِمْيَر ذكره ابن سفيان ووصفه بالأدب والمشاركة فى الكتابة والشعر وقال توفى ببلده سنة ٥٦١ وأنشد له أبو عمر بن عيّاد هذين البيتين :

رحلت واننى من غير زاد   وما قدّمت شيئاً للمعاد
ولكنّى وثقت بجودِ ربى   وهل يشقى المقلّ مع الجواد

وأبو القاسم أحمد بن ابراهيم بن محمد بن خلف بن ابراهيم بن محمد بن أبى ليلى تدميرى كان قاضياً بشلب قال ابن عميرة الضبّى فى بغية الملتمس : فقيه محدّث توفى بشلب عام ٥١٤ يروى عن أبى الوليد الباجى وأبى العباس العذرى وطاهر بن مفوّز وخلف بن مدير قرأ عليه القراءات السبع

وخلف بن سليمان بن فتحون الاوريوالى (تقدم أنه يقال لأوريولة أوريوالة كما

يقال تدمير) فقيه عارف فاضل ورع كان قاضياً بشاطبة ثم ولّى قضاء دانية ثم استعفى فأعفى فلزم الانقباض فكان لا يخرج من منزله الا الى الجمعة وكان يصوم الدهر فقالت له خالته وهى جدة أبى محمد الرشاطى أم أبيه فى ذلك فقال : كان أبى رحمه الله فى آخر عمره التزم صيام الدهر فلما توفى رأيت أن أرث ذلك عنه فقالت له خالته : أنت الذى أنت ولدى تصوم وأنا لا أصوم ؟ فالتزمت صيام الدهر من حينئذ الى أن توفيت . روى المترجم عن القاضى أبى الوليد الباجى وصحبه وقرأ عليه بأوريوالة كتاب البخارى مرتين اذ كان قاضياً بها ولقى بشاطبة أبا الحسن طاهر بن مفوّز وغيره توفى بأوريوالة فى ذى القعدة سنة ٥٠٥ ذكره ابن عميرة فى البغية

وأبو القاسم طيّب بن محمد بن هرون بن عبد الرحمن بن الفضل بن عميرة الكنانى ثم العتقى من أهل تدمير من شرق الأندلس روى عن الصباح بن عبد الرحمن ويحي بن عون بن يوسف الخزاعى وغيرهما مات سنة ٣٢٨ ذكره ابن عميرة

ومروان بن عبد الله بن مروان الزجاج يروى عن أبى على الصدفى ذكره ابن عميرة الضبى وقال : تدميرى

وأبو الفضل عميرة بن عبد الرحمن بن مروان العتقى روى عن أصبغ بن الفرج وسحنون بن سعيد توفى عام ٢٣٨

وأبو العالية فضل بن عميرة بن راشد بن عبد الله بن سعيد بن شريك بن عبد الله ابن مسلم بن نوفل بن ربيعة بن ملك بن مسلم الكنانى ثم العتقى سمع عبد الله ابن وهب وعبد الرحمن بن قاسم وولّى قضاء تدمير فى إمارة الحكم بن هشام ومات سنة ١٩٧

وأبو العافية وقيل أبو العالية فضل بن الفضل بن عميرة بن راشد وهو ولد المترجم السابق كان قد تركه ابوه حملاً فسمى باسمه وكنّى بكنيته سمع عبد الملك بن حبيب السلمى ويحي بن يحي ولى القضاء أيضاً ببلده تدمير ومات سنة ٢٦٥

وأبو الفضل عميرة بن الفضل بن الفضل بن عميرة بن راشد العتقى روى عن محمد

ابن عبد الله بن عبد الحكم وغيره مات سنة ٢٨٤ وهو ولد الذى تقدمت ترجمته عليه ذكره ابن عميرة الضبى أيضاً

وأبو القاسم مسعود بن عمر الأموى روى عن محمد بن عبد الله بن عبدالحكم مات بالأندلس سنة ٣٠٧ ذكره ابن عميرة الضبّى وقال : تدميرى

وأبو شِمر نصر بن عبد الله الأسلمى رحل ودخل افريقية ومصر ومكة وسمع من أهل بلده ومن بعض أهل الشرق ذكره ابن عميرة الضبى وقال تدميرى : ولم يذكر سنة وفاته

وأبو حفص التدميرى يعرف بابن القيسارى شاعر أديب ذكره أبو الوليدبن عامر وقال : أخبرنى أبو الحسن بن على الفقيه قال : كان فى دارى بقرطبة حاير صنع فيه مرج بديع وظلل بالياسمين فنزّهت اليه أبا حفص التدميرى فى زمن الربيع فقال : ينبغى أن يسمى هذا المرج بالسندسة وصنع على البديهة أبياتاً وهى :

نهـار نعيمك ما أنفسَه	ورجع سرورك ما آنسَه
بحاير قصرك من صوغهِ	دنانير قد قارنت أفْلُسَه
وأسطارنور قد استوسقت	وسطر على العمد قد طلَّسَه
ونبت له مُدْرع أخضر	بسفرة أسياعه ورّسَه
فأبدع ما شاء لكنه	أجل بدائعه السندسه
مدارعها خضرٌ غضة	أعار النعيم لها مَلْبَسَه
كأن الظلال علينا بها	أواخر ليل على مَغْلَسَه
كأن النواير فى أفقها	نجوم تطلعن فى حندّسه
ومهما تأملت تحسينها	فعينى بقرّتها معرسَه
محل لعمرك قد طيّب الاله سراه وقد قدّسَه	

وأبو الأدهم متوكل بن يوسف من أهل تدمير مات بالأندلس ذكره محمد بن حارث الخشنى ونقل ذلك ابن عميرة فى البغية

وخطاب بن محمد بن مروان بن خطاب بن عبد الجبّار بن خطاب بن مروان

ابن نذير مولى مروان بن الحكم من أهل تدمير رحل حاجاً الى المشرق مع أبيه وأخيه عميرة سنة ٢٢٢ فسمعوا جميعاً بالقيروان من سحنون بن سعيد المدونة ذكر ذلك ابن الفرضى عن وليد بن عبد الملك. قال ابن الأبار فى التكملة : وقرأت بخط أبى عمر بن عبد البر أنهم أدركوا أصبغ بن الفرج وأخذوا عنه

وأبو الحسن ظافر بن ابراهيم بن احمد بن أمية بن احمد المرادى من أهل أوريولة يعرف بابن المرابط صحب القاضى أبا على الصدفى وسمع منه ومن غيره توفى يوم الاثنين ٥ صفر سنة ٥٢٣ ومولده سنة ٤٨١

ومحمد بن عبد الله بن عصام تدميرى يروى عن القاضى أبى على الصدفى ذكره ابن عميرة فى البغية

ومحمد بن عبد الله بن أبى جعفر الخشنى تدميرى من أهل بيت فقه وجلالة ورئاسة توفى سنة ٤٩٤ ذكره ابن عميرة

وأبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن خندف العتقى تدميرى فقيه أديب يروى عن أبى الحجاج يوسف بن على بن محمد القضاعى وغيره ذكره أيضا ابن عميرة

وأبو بكر محمد بن الطيّب العتقى تدميرى فقيه كان قاضياً بلورقة وتوفى وهو خطيب جامع مرسية وصاحب الصلاة به بعد ابن طرّافش فى سنة ٥٩٥

وأبو عبد الله التدميرى محمد بن أبى الحسام طاهر القيسى الزاهد المعروف بالشهيد كان ورعاً فاضلاً فقيهاً عالماً خيّراً ناسكاً متبتلا من أهل بيت جلالة وصلاح طلب العلم فى حداثة سنه فى بلده أوريولة . ثم رحل الى قرطبة فروى الحديث بها وتفقه بفقهائها وباحث أهل الورع من علماء قرطبة فى أموال بلده تدمير وسُقاهم ووجوه مستغلاتهم وأخذ فيها أجوبتهم فجاءت مفيدة نافعة ورسخ الترجم فى علم السنة ونافس فى صالح العمل والحسبة ثم ارتحل الى المشرق لتمام ثلاثين سنة من عمره وسكن الحرمين ثمانية أعوام يتعيّش فيها من عمل يده وكان يرحل الى بيت المقدس . وذهب الى العراق ليلقى الشيخ أبا بكر الأبهرى الفقيه المالكى فأخذ عنه وعن غيره . وصحب الأخيار

والنُّساك واقتدى بهم ولبس الصوف وقنع بالقُرْص وتورع جداً وأعرض عن شهوات الدنيا فأصبح عالما عاملا منقطع القرين وكانت دعواته مستجابة . وقال ابن عميرة الضبي : انه كانت له كرامات ظاهرة يطول القول فى تعدادها حملها عنه رواة صدق قال : ثم انصرف مجيبا دعوة والده أبي الحسام اذ كان لايزال يستدعيه مع حاج الأندلس فقدم تدمير فى سنة ست أو سبع وسبعين وثلاثمائه ولكنه تنكّب رحمه الله النزول بمدينة مرســـية قاعدة تدمير وطنه ونزل خارجا منها بالقرية المنسوبة الى بنى طاهر وكان لايرى سكن مرسية ولا الصلاة فى مسجدها الجامع لداخلة تتبّعها فيه وابتنى هناك لنفسه بيتاً سقفه بحطب الشعراء والطرفاء يأوى اليه وكانت له هناك جنينة يعمرها بيده ويقتات بما يتخذه فيها من البقل والتمر وكان لايدع فى خلال ذلك الجهاد مع محمد بن أبى عامر وقواده وشهد معه فتح مدينة سمّورة وفتح مدينة قلمريّة من قواعد جلّيقية ثم ترك سكنى قريته هذه ورحل الى الثغر وواصل الرباط بفروجه المخوفة وكان له بأس وشدة وشجاعة وثقافة تحدّث عنه فيها أهل الثغر بحكايات عجيبة ولم يزل مرابطا بطليرة الى أن استشهد مقبلا غير مدبر حميد المقام وذلك فى سنة ٣٧٩ أو السنة التى قبلها روى كل ذلك ابن عميرة

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن وضّاح التدميرى نزيل المرية فقيه محدّث توفى فيها سنة ٥٣٧ ذكره ابن عميرة

وأبو المطرف عبد الرحمن بن الفضل بن عميرة بن راشد الكنانى العتقى ولى القضاء بتدمير روى عن عبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم وغيرهما ومات سنة ٢٢٧

وأبو المطرف عبد الرحمن بن الفضل بن الفضل بن عميرة بن راشد العتقى يروى عن أبيه وهو ابن أخى المترجم قبله مات بالأندلس سنه ٢٩٤ ذكر هـذين وذكر الأربعة الذين سبقت تراجمهم من هذه العائلة إبن عميرة الضبى فى بغية الملتمس

وأبو عبد الله محمد بن عبد الوارث التدميرى يروى عن أبى المطرف بن سَلَمَة حدث

عنه أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي تليد الشاطبي ذكره ابن الأبار فى التكملة نقلا عن ابن عيّاد

ومحمد بن مروان بن خطاب بن عبد الجبار بن خطاب بن مروان بن نذير مولى مروان بن الحكم كان يعرف بأبي جمرة قال ابن الأبار فى التكملة : المعروف بأبي جمرة على ما ألفيت بخط شيخنا أبي بكر بن أبي جمرة رحل حاجاً هو وابناه خطاب وعميرة فى سنة ٢٢٢ وسمعوا ثلاثتهم من سحنون بن سعيد المدونة بالقيروانى ذكر ذلك ابن الفرضى فى تاريخه وسمى عميرة منهم فى بابه وأغفل أباه وأخاه ، وقرأت بخط أبي عمر ابن عبد البر : حج محمد بن مروان مع ابنيه عميرة وخطاب وسمع معهما المدونة من سحنون وأدركوا أصبغ بن الفرج وأخذوا عنه

وأبو بكر محمد بن مفضل بن حسن بن عبد الرحمن بن محمد بن مهيب اللخمى أصله من طبيرة وولد بأوريولة وسكن المرية. قال ابن الأبار : سمع من ابن عمه الحاج أبي اسحق ابن على بن مهيب ومن أبي الحسين بن زرقوق شيخنا وأبي اسحق بن الحاج الزاهد وأصهر اليه وولى الخطبة بقصبة المرية وكان أديباً شاعراً مكثراً مائلاً إلى التصوف لقيته بتونس فى وفادته عليها وسمعت منه وسمع منى وأجاز لى بلفظه وأجزت له كذلك ويروى عنه كتاب « الجواهر الثمينة » أبو عبد الرحمن بن غالب وتوفى بسبتة فى رجب وقيل أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ٦٤٥ وكانت جنازته مشهودة وولد باوريولة سنة ٥٨١

وعبد الرحمن بن أبي أميّة بن عصام من أهل تدمير سمع من أبي الغصن ومحمد بن هرون ومحمد بن عمر بن لبابة ذكره ابن حارث وترجمه ابن الأبّار فى التكملة

وصاف بن خلف بن سعيد بن مسعود الأنصارى من أهل أوريولة وصاحب الأحكام بها يكنى أبا الحسن وكان من أهل المعرفة بالقراءات روى عن أبي الوليد الباجى وروى عنه ابنه أبو عبد الله محمد بن صاف القاضى ذكره ابن عيّاد قال ذلك ابن الأبّار فى التكملة . وقد تقدمت ترجمة ابنه المذكور . انتهى ما اطلعنا عليه من أخبار أهل العلم المنسوبين إلى اوريولة

وقد ذكرنا أن أوريولة واقعة على نهر شقورة Segura والخط الحديدى يعبر بهذا النهر فيكون على شماليه الشارة المسماة « قولبارس » Columbares وعلى ٥٩ كيلو متراً قريه «بنيال» وعلى ٦٤ كيلو متراً قرية « زناتة » وعلى الضفة اليمنى من نهر شقورة جبل « اغودو» Agudo على رأسه آثار قصر عربى وعلى ٦٥ كيلو متراً المحطة المسماة « مرسية » القرية Murcia Alquerias وفيها مجمع الخطين بين مرسية وقرطاجنة وعلى ٧٠ كيلومتراً « بنى آجان » Beniajan إلى الشمال وعلى ٧٦ كيلو متراً مدينة مرسية

شقورة Segura

ولنذكر الآن مدينة شقورة ذكرها ياقوت فى معجمه فقال : شقورة بفتح أوله وبعد الواو الساكنة راء مدينة بالأندلس شمالى مرسية وبها كانت دار امارة همشك أحد ملوك تلك النواحى ينسب اليها عبدالعزيز بن على بن موسى بن عيسى الغافقى الشقورى ساكن قرطبة يكنى أبا الاصبغ ، روى عن أبى بكر على بن سكَّرة وكان فقيهاً حافظاً عارفاً بالشروط توفى بقرطبة سنة ٥٣١ ومولده سنة ٤٨٧ قال ابن بشكوال : وكان من كبار أصحابنا وأجلّتهم انتهى(١)

---

(١) قال الشريف الادريسى : من « قونكة » إلى « وبذى » (هاتان البلدتان فى أقليم طليطلة) ثلاث مراحل ووبذى وأقليش مدينتان متوسطتان ولهما أقاليم ومزارع عامرة وبين وبذى وأقليش ١٨ ميلاً ومن أقليش إلى شقورة ثلاث مراحل. وشقورة حصن كالمدينة عامر بأهله وهو فى رأس جبل عظيم متصل منيع الجهة حسن البنيَّة ويخرج من أسفله نهران احدهما نهر قرطبة المسمّى بالنهر الكبير والثانى هوالنهر الأبيض الذى يمر بمرسية (الادريسى يجعل النهر الأبيض هو نهر مرسية الذى يقال له نهر شقورة والحال ان الأكثرين يقولون النهر الأبيض لنهر بلنسية) وذلك ان النهر الذى يمر بقرطبة يخرج من هذا الجبل من مجتمع مياه كالغدير ظاهر فى نفس الجبل ثم يغوص تحت الجبل ويخرج من مكان فى أسفل الجبل فيتصل جريه غرباً إلى

وينتسب إلى شقورة من أهل العلم أبو محمد عبد الله بن على بن عتبة اللواتى من شقورة من قرية بها يقال لها « شقوبس » توفى بعد سنة ٦٢٥ روى عن أبى الحسن ابن كوثر فى غرناطة وأقرأ ببلده

وأبو الاصبغ عبد العزيز بن بشير الغافقى من أهل فرغليط عمل شقورة كان من أهل الطب والرواية أجاز له أبو القاسم اسماعيل بن أحمد السمرقندى والحسين ابن الامام أحمد بن الحسين البيهقى ، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد الأنصارى البلنسى وغيرهم ولابن ابنه نصر بن عبد الله بن عبد العزيز رواية وعناية

وأبو عمرو نصر بن على بن عيسى بن سـعيد بن مختار الغافقى من أهل شقورة روى عن أبى على الصدفى واستجاز له أبو الحسن الفرغليطى سـنة ٥٢٨ أبا عبد الله

جبل « نجدة » الى « غادرة » الى قرب مدينة « أبّذة » الى أسفل مدينة بياسة الى حصن « أندوجر » الى « القصير » الى قنطرة « اشتشان » الى قرطبة الى حصن « المدوَّر » الى حصن « الجُرف » الى حصن « لورة » الى حصن « القليعة » الى حصن « قطنيانة » الى « الزرّادة » الى « اشبيلية » الى « قبطال » الى « قبتور » الى « طبر شانة » الى « المساجد » الى « قادس » ثم الى « بحر الظلمات » فأما النهر الأبيض الذى هو نهر مرسية فانه يخرج من أصل الجبل ويحكى ان أصلهما واحد أعنى نهر قرطبة ونهر مرسية . ثم يمر نهر مرسية فى عين الجنوب الى حصن « افرد » ثم الى حصن « موله » ثم الى مرسية ثم الى أوريوالة الى المدوَّر الى البحر . ومن شقورة الى مدينة « سرتة » مرحلتان كبيرتان وهى مدينة متوسطة القدر حسنة البقعة كثيرة الخصب (الى أن يقول) ومن أراد المسير من مرسية الى المريّة سار من مرسية الى قنطرة اشكابة (هى التى يقال لها اليوم قنطريّة Cantarilla) الى حصن « لبرالة » الى حصن « الحمة » الى مدينة لورقة وهى مدينة غرّاء حصينة على ظهر جبل ولها أسواق وربض فى أسفل المدينة وعلى الربض سور وفى الربض السوق وبها معادن تربة صفراء ومعادن مغرة اه .

الفرّاوى وأبا كَرِب ابن أبى كرب الجرجانى ويروى عن أحمد البيهقى كتابه فى السنن ولى القضاء بشقورة حدّث عنه ابن أخيه أبو الحسن محمد بن عبد العزيز بن على الشقورى وابن بنته أبو عمرو نصر بن عبد الله بن بشير وغيرهما ذكرهم ابن الأبّار فى التكملة

وأبو عمر نصر بن ادريس التجيبى روى بقرطبة عن أبى بحر الأسدى وأبى الحسن ابن مغيث وأبى عبد الله بن الحاج وغيرهم وولى الاحكام بشاطبة لابى العباس بن الاصغر وكان شيخا صالحا مشاركا فى الفقه له معرفة بعقد الشروط ودربة بالأحكام وحفظ للتواريخ توفى بشقورة سنة ٥٦٠ ذكره ابن الابار

وأبو عمرو نصر بن عبد الله بن عبد العزيز بن بشير الغافقى أصله من فَرغليط عمل شقورة[1] وسكن « قيشاطة » سمع من جده لأمه أبى عمرو نصر بن على بن عيسى الشقورى ومن أبى الحسن حنون بن الحكم اليعمرى الابذى وأبى محمد بن سهل

---

(١) قال الحميرى فى الروض المعطار : شقورة من أعمال جيّان قالوا : وجبل شقورة ينبت الورد الذكى العطر والسُنُبل الرومى الطيّب وفى غيران « شنت مرتين » من جبل شقورة قاقل كبير قوى الفعل يفوق غيره واذا نزل بتلك الغيران أحد كثر منه الاحتلام، ويقال ان فى قرية هنالك ماءً يفعل مثل ذلك . وفى جبل شقورة شجر الطنحش الذى يتخذ منه القِسىّ وعصير ورقه سم قتّال وَحِىّ . وفى تلك الناحية ماء صعيد فى حَجر قدر ما تدخل الدابة رأسها فيه فتشرب ويتتابع على ذلك العدد الكثير من الدواب فتصدر رواء فاذا استقى فى اناء لم يكن يروى الرجل

ولعلىّ بن جعفر بن همشك وكُتب على قبره بشقورة:

لعمرك ما أردت بقاء قبرى ... وجسمى فيه ليس له بقاء

ولكنى رجوت وقوف مارٍّ ... على قبرى فينفعنى الدعاء

سبيل الموت غاية كل حىٍّ ... فكل سوف يلحقه الفناء

ومن شقورة أبو بكر بن مُجبر الشاعر المفلق المجيد شاعر دولة بنى عبد المؤمن

الكفيف وغيرهم وسمع بقرطبة من أبي الحسن بن بقى وأبي القاسم بن بشكوال وسمع بمرسية من أبي عبدالله بن عبد الرحيم وأبي بكر بن أبي جمرة وأجازله أبو الحسن ابن هذيل وأبو الحسن بن النعمة ومن أهل الاسكندرية أبو طاهر السافى وأبو الطاهر ابن عوف وتصدر بقيشاطة للاقراء وكان زاهداً فاضلاً ولما تغلب الروم على قيشاطة فى عقب رمضان سنة ٦٢١ أخذوه أسيراً ثم تخلص من الأسر وقدم قرطبة فأخذ عنه أبو القاسم بن الطيلسان وقال : توفى بلورقة عام ٦٢٣ وقال ابن فرتون أنه توفى سنة ٦٣٣ ومولده سنة ٥٣٥ وقال ابن فرقد : كتب لى ولابنيه محمد وأحمد فى آخر جمادى الأولى سنة ٦٢٧ من حصن التراب قال وسنه الآن اثنتان وتسعون سنة . اه فيكون وقد مات سنة ٦٣٣ قد بلغ ٩٨ سنة

وأبو عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقى من أهل شقورة سكن قرطبة كان مفخرة وقته كاتباً بليغاً عالماً أديباً من أهل الخصال الباهرة والأذهان الثاقبة وله تواليف حسان ظهر فيها نبله وكان حسن العشرة واسع المبرة مليح المنظر والمخبر فصيح اللسان حلو الكلام أحد رجال الكمال فى عصره واستشهد رحمه الله ودفن يوم الأحد الثالث عشر من ذى الحجة سنة ٥٤٠ ودفن بمقبرة ابن عباس. ترجمه ابن بشكوال فى الصلة وقال : وكان مولده فى ما أخبرنى به سنة ٤٦٥

وأبو مروان عبد الملك بن محمد بن أبي الخصال الغافقى من أهل قرطبة أصله من شقورة سمع أباه أبا عبد الله وغيره ورحل حاجا فأدى الفريضة وتوفى شهيداً رحمه الله وثكله أبوه ورثاه . قال ابن الأبار فى التكملة : ووجدت سماعه من أبيه فى نسخة من رسالته التى رد فيها على ابن غرسية فى جمادى الآخرة سنة ٥٢٨ وبعد ذلك كانت وفاته وكان من نجباء الابناء وأحسبه مدفونا بالمرية

وأبو عبد الله محمد بن عتيق بن على بن عبد الله بن محمد التجيبى من أهل شقورة سكن غرناطة ويعرف باللاردى لأن أصل سلفه منها أى لاردة روى عن أبيه أبي بكر عتيق وعن أبي عبد الله بن حميد سمع منه ببلنسية وولى القضاء ومن تواليفه « أنوار الصباح فى الجمع بين الستة الصحاح » وكتاب « الأنوار ونفحات الأزهار فى شمائل

النبي المختار » وكتاب « المسالك النورية إلى المقامات الصوفية » وكتاب « النكتة الكافية والنغبة الشافية فى الاستدلال على مسائل الخلاف بالحديث » وكتاب « الاعتماد فى خطبة الارشاد » وكتاب « منهاج العمل فى صناعة الجدل » وكتاب « الدرر المكللة فى الفرق بين الحروف المشكلة » ترجمه ابن الأبار فى التكملة وقال : مولده فى العشر الوسطى لصفر سنة ثلاث وستين وخمسمائة

وأبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن حسن بن عميرة المخزومى قال فيه لسان الدين بن الخطيب : بلنسى شقورى الأصل وأطنب فى الاحاطة بوصف علمه وفضله وأدبه وقال انه كان فى الكتابة علما ونقل عن ابن عبد الملك قوله : وأما الكتابة فهو علمها المشهور وواحدها الذى عجزت عن ثانيه الدهور . ثم أردف لسان الدين كلام بن عبد الملك بقوله : وعلى الجملة فذات أبي المطرف فيما ينزع اليه ليست من ذوات الأمثال فقد كان نسيج وحده ادراكا وتفننا بصيراً بالعلوم محدثا مكثراً راوية ثبتا متبحراً فى التاريخ والأخبار ريان مضطلعاً بالأصلين قائمـا على العربية واللغة كلامه كثير الحلاوة والطلاوة جم العلوم غزير المعانى والمحاسن شفاف اللفظ حر المعنى ثانى بديع الزمان فى شكوى الحرفة وسوء الحظ وورنق الكلام ولطف المأخذ وتبريز النثر عـلى النظم والقصور فى السلطانيات . اه

ثم روى أنه مما يذكر أن أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومى هذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فناوله أقلاماً فكان يرى أن تأويل هذه الرؤيا ما أدركه من التبريز فى الكتابة وارتفاع الذكر وقد تقدمت ترجمة المذكور بين علماء بلنسية

وأبو عبد الله محمد بن مسعود بن خلصة بن فرج بن أبي الخصال الغافقى ترجمه لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة فقال : الامام البليغ المحدّث الحجة أصله من فرغليط من قطر شقورة من كورة جيَّان وسكن قرطبة وغرناطة ، اه قلت ان نهر شقورة ينحدر من الجبال ويجرى مسافة بعيدة الى أن ينصبَّ فى البحر بقرب اوريولة فن الناس من يُنسَب الى هذا القطر ويكون ساحليا ومنهم من ينسب اليه ويكون جبليا . هذا ونقل لسان الدين عن ابن الزبير فى حق المترجم قوله : ذو الوزارتين

أبو عبد الله من أهل المعارف الجة والاتقان لصناعة الحديث والمعرفة برجاله والتقييد لغريبه واتقان ضبطه والمعرفة بالعربية والأدب والنسب والتاريخ متقدما فى ذلك كله أما الكتابة والنظام فهو امامهما المتفق عليه والمتحاكم فيهما اليه ولما ذكره أبوالقاسم الملاحى بنحو ذلك قال : لم يكن فى عصره مثله مع دين وفضل وورع . قال أبوعمر ابن الامام الاشجعى فى «سمط الجمان» لما ذكره : البحر الذى لايجتاح ولايشاطر والغيث الذى لا يساجل ولايقاطر والروض الذى لايفاوح ولايعاطر والطود الذى لايزاحم ولايخاطر الخ وذكره الفتح فى « قلائد العقيان » فقال انه وإن كان خامل المنشأ فقد تميز بنفسه وتميز من أبناء جنسه وظهر بذاته ونَخَر لِدَاته . ونقل لسان الدين عن أبى جعفر بن الزبير أن المترجم أخذ عن الغسانى وابن البادش وأبى عمران بن تليد وأبى بحر الاسدى وغيرهم قال . وأما كتبه وتواليفه الأدبية فكل ذلك مشهور متبادل بأيدى الناس وقَلّ من يُعلم بعده ممن يجتمع له مثله رحمه الله . روى عنه ابن بشكوال وابن جيش وابن مضاء ومن شعره مخمساً وكتبها من مراكش يتشوق الى قرطبة:

بدت لهم بالغور والشمل جامع بروق بأعلام العُذيب لوامع
فباحت بأسرار الضمير المدامع ورُبَّ غرام لم تنله المسامع
ودام بها من فيضها المتصوّب

واليك هذا الأنموذج من نثره وهو كتابة منه الى الوزير أبى بكر بن عبد العزيز عن رسالة كتب بها اليه مع حاج يضرب بالقرعة :

أطال الله بقاء وليّى الذى له إكبارى واعظامى وفى سلكه انتساقى وانتظامى للفضائل محيّيا ومبتديا، وللمحامد مشتملا ومرتديا، وللغرائب متحفاً ومهديا وصل كتابه صحبة عرّاف اليمامة وحادى نجد وتهامة، الظهور يقرْطسه ويحلّيه ، والخفاء يظهره ويبديه ولعله رائد لابن صيّاد أو معاند للمسيح الدجال معاد فأبدى شهادة انصاف ان عنده اصداف ولو كان هناك نظر صادق صاف، لقلت هو بادٍ غير خاف، من بين كل ناعت وصّاف، وسأخبرك أيّدك الله بما اتفق، وكيف طار ونعق ، وتوسد الكرامة وارتفق فامتدت نحوه النواظر واستشرفه الغائب والحاضر، وتسابق اليه النابه والخامل

وازدحم عليه العاطل والعامل هذا يلتمس مزيداً وذاك يبتغى شيئاً جديداً الخ ثم قال من جملة هذه الرسالة : ألم يأنِ أن تدينوا لى بالأكبار وتعلموا انى من الجهابذة الكبار؟ فقلنا منك الاسجاح فقد ملكت ومنك ولك النجاح أيّةً سلكت فأطرق زهواً وأعرض عنا لهواً وقال اعلموا أن القرعة لوطوت أسرارها وغيبتنى أخبارها لمزّقت صدارها وذروت غبارها ، ولكان فى أوسع متندح وأنجد زناد يُقتدح؛ اين أنتم عن صدى الأملاك وعليّات الأفلاك، أنا فى موج الموج وأوج الأوج، والمنفرد بعلم الفرد والزوج، مُسترط السرطان ، ومستدبر الدبران ، وبائع المشترى بالميزان الخ

ثم نقل لسان الدين عن كيفية وفاة المترجم قال : من خط الحافظ المحدّث أبى القاسم ابن بشكوال : كان ممن أصيب فى أيام الهرج بقرطبة فعظم المصاب به الفقيه الشيخ الأجل ذو الوزارتين السيد الكامل الشهير الأثير الأديب الكاتب البليغ معجزة زمانه وسابق أقرانه ، ذو المحاسن الجمة الجليلة الباهرة، والأدوات الرفيعة الزكية الطاهرة، الجمع على تناهى نباهته وحمد خصاله وفصاحته أبى عبد الله بن أبى الخصال رحمه الله تعالى ونضّر وجهه، أُلفى مقتولاً قرب باب داره بالمدينة وقد سُلب ما كان عليه بعد نهب داره واستئصال حاله وذلك يوم السبت الثانى عشر من شهر ذى الحجة من سنة أربعين وخمسمائة فاحتمل الى الربض الشرقى بحومة الدرب فغُسّل هنالك وكفّن ودفن بمقبرة ابن عباس عصر يوم الأحد بعده ونعى الى الناس وهم مشغولون بما كانوا بسبيله من الفتنة فكثر عند ذلك التفجّع لفقده لأنه كان آخر رجال الأندلس علماً وحلماً وفهماً ومعرفة وذكاء وحكمة ويقظة وجلالا ونباهة وتفنناً فى العلوم، كان صاحب لغة وتاريخ ومعرفة برجال الحديث عارفاً بوقائع العرب وأيام الناس وبالنثر والنظم جزل القول عذب اللفظ حلو الكلام فصيح اللسان بارع الخط كان فى جميع ذلك واحد عصره مع جمال منظر وحسن خلقة وكرم فعال ومشاركة اخوان. جميل التواضع حسن المعاشرة لأهل العلم نهّاضاً بتكاليفهم حافظاً لولائهم جم الافادة له تصانيف رفيعة القدر نبيهة اه ملخصاً . وقال غيره : قتل بدرب الفرعونى بقرب رحبة أبان داخل

قرطبة قرب باب عبد الجبار يوم دخلها النصارى مع أميرهم ملك طليطلة يوم قيام ابن حمدين وقتاله مع يحيى بن غانية من المرابطين يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة عام أربعين وخمسمائة قتله بربر المصامدة لحسن ملبسه ولم يعرفوه وقتلوا معه محمد ابن عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود وكان أزوجه ابنته فقتلا معاً

وأبو مروان عبد الملك بن أبى الخصال مسعود بن فرج بن خاصة الغافقى الكاتب من أهل شقورة ومن قرية بها يقال لها فرغليط وسكن قرطبة روى عن أبى الحسن الأسدى وغيره من شيوخ قرطبة وسمع منه أبو عبدالله بن العريض وكان أديبا حافلاً كاتباً بليغاً مدركا فصيحاً واستعمله ولاة لمتونة وأمراؤها فى الكتابة بمراكش وبفاس وغيرهما وله رسائل بديعة وتوفى لست بقين لشهر ربيع الأول سنة ٥٣٩ قال ابن الأبار فى التكملة : قرأت وفاته بخط ناقلها من خط أخيه أبى عبد الله بن أبى الخصال وذكرها ابن حبيش ولم يذكر الشهر . وفى آخر هذه السنة انقرضت دولة اللمتونيين من الأندلس . اه يريد باللمتونيين المرابطين

شنجالة Chinchilla

ولنذكر الآن المهم من بلاد شقورة فنقول : ان المسافر اذا جاء بالخط الحديدى من مجريط قاصداً الى قرطاجنة فلابد له من أن يمر بشنجالة Chinchilla وهى مدينة معروفة بالأندلس وتكتب بأشكال مختلفة منها شنجاله ومنها شنشالة ومنها شنتجاله ومنها شنت جاله ومنها شنشيلة وهذا لفظ الاسبانيول لها اليوم وذكرها ياقوت فى المعجم قال : شنتجالة بالأندلس

وبخط الاشترى شنتجيل بالياء ينسب اليها سعيد بن سعيد الشنتجالى أبو عثمان حدث عن أبى المطرّف بن مدرج وابن مفرج وغيرهما وحدّث عنه أبو عبد الله محمد بن سعيد ابن بنان. قال ابن بشكوال : وعبد الله بن سعيد بن لبّاج الأموى الشنتجالى المجاور بمكة وكان من أهل الدين والورع والزهد وأبو محمد رجل مشهور لقى كثيراً من المشايخ

وأخذ عنهم وروى أنه صحب أبا ذرّ عبد الله بن أحمد الهروى الحافظ ولقى أبا سعيد السجزى وسمع منه صحيح مسلم ولقى أبا سعد الواعظ صاحب كتاب «شرف المصطفى» فسمعه منه وأبا الحسين يحيى بن نجاح صاحب كتاب « سبل الخيرات » وسمعه منه وأقام بالحرم أربعين عاما لم يقض فيه حاجة الانسان تعظيما له بل كان يخرج عنه اذا أراد ذلك . ورجع الى الأندلس فى سنة ٤٣٠ وكانت رحلته سنة ٣٩١ وأقام بقرطبة الى أن مات فى رجب سنة ٤٣٦ . اه

وينسب من أهل العلم الى شنجالة الآتى ذكرهم :

أبو الوليد يونس بن أبى سهولة بن فرج بن بنج اللخمى من شنجالة سكن دانية وتوفى بها سنة ٥١٤ ترجمه ابن الابار فى التكملة وكان يكنى أبا الوليد وكان قد أخذ عن أشياخ طليطلة لان شنجالة واقعة فى خط تلك المدينة وحدّث عن المذكور أبو عبدالله بن برنجال وأبو عبدالله بن سعيد الدانى وغيرهما وكانت اقامته بدانية أربعين سنة

وأبو الحسن مفرّج بن فيرّه من أهل شنتجالة أخذ عن أبى الوليد الوقّشى وأبى عبد الله بن خلصة الكفيف وغيرهما وكانت له معرفة بالعربية والأخبار والاشعار وعلّم بها أحيانا وتوفى حول الثمانين والاربعمائة. ترجمه ابن الأبار

وأبو عثمان سعيد بن سعيد الشنجالى قد ذكره ياقوت الحموى وجاءت ترجمته فى الصلة لابن بشكوال وقال انه حدث عنه أبو عبد الله محمد بن سعيد بن نبات وانه أى المترجم أخذ عن أبى المطرف عبد الرحمن بن مدراج

وأبو عثمان سعيد بن عيسى بن أبى عثمان كان يعرف بالشنجيالى ترجمه ابن بشكوال أيضاً وهو يذكره بجيمين أى بقوله « الجنجيالى » سكن طليطلة روى أيضاً عن عبد الرحمن بن مدراج وكان حافظاً للمسائل عارفاً بالوثائق

وخديجة بنت أبى محمد عبد الله بن سعيد الشنتجيالى سمعت مع أبيها من أبى ذر الهروى صحيح البخارى وسمعت مع أبيها من شيوخ آخرين بمكة حرسها الله . قال ابن بشكوال فى الصلة : ورأيت سماعها فى أصول أبيها بخطه وقدمت معه الأندلس وماتت بها رحمها الله

وأبو عبد الله بن الشنتجالي يروى عن أبي المطرف بن مدراج حدث عنه محمد بن بكير قاضي قلعة رباح وزكريا بن غالب التملاكي. من خط ابن الدباغ قاله ابن الأبار.

هذا ومن شنجالة[1] يخرج القطار الحديدى فيمر بالقمة الفاصلة بين نهر بلنسية Turia ونهر شقورة وعلى نحو من أربعين كيلو متراً يجد بلدة يقال لها « طوبارة » Tobarra علوها عن البحر ٦٣١ متراً وفيها ثمانية آلاف نسمة وموقعها بديع وبالقرب منها جبل يقال له « شارة الكرز » ارتفاعة ١٨٠٠ متر وجبال أخرى أقل منه ارتفاعا وعلى خمسين كيلو متراً بالخط الحديدى مدينة « هلّين » Hellin فيها عشرة آلاف نسمة الى الجنوب منها على مسافة عشرين كيلوا متراً معدن الصفر . ثم ينزل الخط الحديدى فى وادٍ عميق يقال له « المندو » Mundo وهناك جسر على المكان الذى يقال له رملة شلتبار Rambla de Saltavar ثم يدخل القطار فى نفق تحت الأرض ثم يصل إلى مصب نهر مُندو فى نهر شقورة وهناك أيضاً معادن الصفر

---

(١) بمناسبة شنجالة أو جنجالة نذكر ما قاله الحميرى فى الروض المطار وهو : جنجالة حصن بالأندلس فى شمال مرسية . فيها حُبس أبو زيد عبد الرحمن بن موسى ابن وجان بن يحيى المنتاتى الذى كان وزير المنصور من بنى عبد المؤمن ثم نُهِّض فى زمان ابنه الناصر إلى ولاية تلمسان واصلاح الطرق من عُتاة زنانة. ولما تمكن أبو سعيد بن جامع وزير المستنصر سعى فى ولاية تلمسان لعمه السيد أبي سعيد بن المنصور فحبس ابن وجان وجعل بنوه يكتبون سطوراً فى البراءة من أفعاله وفرقوها على البلاد . ولما زار أبو سعيد بن جامع الوزير غنكيت فى سنة ٦١٧ بعد تأخيره من الوزارة بلغه أن ابن وجّان شمت به وهو فى حبسه بتلمسان وتكلم ورجا التسريح فما كان عنده خبر حتى وصل اليه من جاز به الى الأندلس وحبسه فى حصن جنجالة . ولما حُمِل الى ذلك الثغر السحيق وظنوا اذ ذاك أنه قد حُسم بذلك الاقصاء والتفريق وفرّقوا بنيه على البلاد قضى الله تعالى أن مات أبو سعيد بن جامع وخلص ابن وجان من ذلك الحصن وقلّب الدولة وسعى فى الفتنة وذلك انه لما وصل الخبر إلى مرسية بوفاة المستنصر

ثم ان القطار الحديدى يتبع نهر شقورة فى تعاريجه حول شارة قابشة Cabeza وعلى ٨٧ كيلو متراً محطة يقال لها « قلعة بارة » Cala Parra وعلى مسافة ١١٢ كيلو متراً بلدة يقال لها « سيزا » Cieza علوها عن البحر مائة وثمانون متراً وأهلها ١٣ ألفا فى موقع بديع تحيط بها آكام مشرفة على الضفة اليسرى من نهر شقورة وحولها جنان غنَّاء وهناك قرية يقال لها « بلانكا » Blanca على الضفة اليسرى من شقورة وفيها قصر عربى دارس وهناك بساتين برتقال . وعلى ١٣٥ كيلو متراً بلدة «أرشنة» Archena وهى على الضفة اليمنى وبالقرب منها حمامات معدنية يقال لها «حمامات أرشنة » وعلى ١٤١ كيلو متراً من شنجالة مدينة « لوركى » وكان العرب يقولون لها لورقة وإلى شمالها بحيرة من النترون ثم هناك بلدة يقال لها « مولينا » Molina وهى ذات ملاحات ثم يمر الخط الحديدى برملة يقال لها « سالادا » Salada والى الشمال مكان يقال له « جبلى نوفو » Jibali Nuevo وعلى مسافة ١٥٥ كيلو متراً من شنجالة بلدة « القنطرية » Alcantarilla سكانها خمسة آلاف نسمة هى فى أول بساتين مرسية ولا تبعد المدينة عنها أكثر من بضعة عشر متراً

يوسف بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن واستخلاف المبارك عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن بمراكش والامر لابن وجان بالمسير إلى جزيرة ميورقة قرأ قول الله تعالى (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) وطلب الاجتماع بالسيد أبى محمد عبدالله بن المنصور صاحب مرسية يومئذ فلما حضر عنده قال له : أراهم قد أخرجوا الامامة عن عقب سيدنا المنصور رحمة الله عليه وأنا أشهد أنه قال : ان لم يصلح محمد فعبد الله قد نصر عليكم وان طالبتموها لم يخالفكم أحد مع كراهية الناس فى بنى جامع الذين قد اتخذوا الوزارة وراثة وجعلوا يقصون من الحضرة كل من هو مؤهّل لوزارة واستشارة، وقد وطأ الله لكم هذا الأمر بأن جعل اخوتكم الميامين أولاد المنصور بقرطبة ومالقة وغرناطة فأول مايقدم فخاطبهم بذلك وتهييج حفائظهم فى خروج الامامة عن بيتهم . وكان السيد أبو محمد هذا لم يبايع عمه عبد الواحد وهو

وقـد ورد فى مذكراتى المحفوظة عنـدى ذكر مسيرى الى مرسية وقد جئت هذه المرة من غربى الأندلس الى الشرق آتياً من ناحية اشبيلية ماراً على أندوجر ثم على ميّاسة ، وفى نصف الليل نزلت فى محطة يقال لها « القصر » Alcasar وركبت قطاراً ذاهبا الى مرسية فسرى بنـا القطار إلى شنجالة حيث كنا الساعة السادسـة من صبيحة ٢١ أغسطس وفى الساعة السابعـة وصلنا الى محطة « طويارا » وفى الساعة السابعـة وربع الساعة الى محطة « اغرامون » ثم الى محطة « ميناس » وكنا نساير نهراً يقـال له « الموندو » جارياً فى تعاريج بين الجبـال ثم وصلنا الى محطة اسمها « كالاسبارا » وهذه هى أظنها محرفة عن « قلعة بارّة » وهناك زراعة الأرز . ثم فى الساعة الثامنة وربع الساعة وصلنا الى محطة بلد يقال له «سيزا» ثم الى بلد اسمها « بلانسكا » على ضفة شقورة وفيهـا حصن عربى قديم وفى الساعة التاسعة وصلنا إلى «ارشانة» وفيها حمامات معدنية ثم الي «لورقة» ثم الى« كوتيلاس» وهذه البلدان الأخيرة ذات بساتين وكروم كثيرة وعليهـا جداول من نهر شقورة

ناظر فى البيعة فأصغى إلى ابن وجّان وعلم أنه قد تقدم له فى هذا الأمر سابقة بوزارة المنصور وأن الموحدين يصيرون إلى قوله فىالبرين فنصب نفسه للامامة وتلقّب بالعادل وخاطب إخوته فجاوبوه ثم انتقل العادل من مرسية إلى اشبيلية ومعه ابن وجّان وهو غالب على جميع التدبير ناظر فى مخاطبات ولاة العدوة والتطلع لأخبار مراكش . ثم ان العادل أراد أن يستريح من ابن وجّان لتفرغ أتباعه إلى تدبير الآراء والاستبداد بحضرته فانه غمّ الجميع وكان ابن وجان اذا احتوى عـلى أمر ضم أطرافه ولم يترك لأحد منه شيئاً ولذلك رماه أهل الدول عن قوس واحدة . فرسم له العادل ركوب البحر إلى سبتة ليكون بها نائب سلطانه وناظراً فىجميع برّ العدوة فركب فىالقطائع من نهر أشبيلية إلى سبتة وذلك كله فى سنة ٦٢١ فاشتغل بالنظر فى بلاد العدوة . ثم ان العادل خلع واجتمع أهل الحل والعقد وقالوا : نحب ألاّ نبيت الليـلة إلاّ بامام فقال لهم ابن وجان : ان رأيتم أن تتربصوا حتى تتحقق أخبار أبى العُلى صاحب الأندلس فقد ظهرت نجابته بتلك البلاد وقد ذاق الاستبداد وما أظنه يترك هذا الأمر

وقد شاهدت فى كوتيلاس من شجر التوت والتين والمشمش ما أعهد له مثيلاً فى الكبر مما يدل على التناهى فى جودة الأرض . فأما الجبال المحيطة بهذه الرياض فهى جرد خالصة وفى الساعة التاسعة والنصف وصلنا الى « قنطرّية » وفيها معامل كثيرة لحفظ الثمار ثم وصلت الى مرسية فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٠ نهار الخميس ووجدت البلدة حارة وهذا بالرغم من النهر والبساتين والأشجار والأدواح انتهى

ثم نعود الى ذكر البلاد المعروفة من زمن العرب فى ناحية شنجالة فنقول انه غير بعيد الاّ نحواً من عشرين كيلو متراً عن شنجالة توجد بلدة « البسيط » جاء ذكرها فى الانسيكلوبيدية الاسلامية وقيل فيها : انها ناحية الشمال الغربى من مملكة مرسية واقعة فى الجنوب الشرقى من قشتالة الجديدة وفى وسط اسبانية وارتفاعها عن البحر سبعمائة متر ولم يعرف اسم «البسيط» إلاّ من كلام الضبّى القرطبى وكلام ابن الأبّار البلنسى بمناسبة المعركة الكبرى التى وقعت فى ٢٠ شعبان سنة ٥٤٠ للهجرة وفق ١١ فبراير سنة ١١٤٦ ولم يذكر مؤرخو الاسبانيول ولا غيرهم من الافرنج شيئاً

لغيره . فعدلوا عن كلامه وأجمع أبو زكريا بن الشهيد وأبو يعقوب بن علىّ على مبايعة أبى زكرياء يحيى بن محمد الناصر . ثم خاطب أبو العلى المذكور لابن وجان يدعوه الى مبايعته فأجابه . وكذلك خاطبه هلال بن مقدم أمير الخُلْط وعمر بن وقاريط شيخ هسكورة فى شأن مبايعة أبى العلى والتضييق على أهل مرّاكش الذين انحرفوا عن مبايعة أبى العُلى وأخذ رأى ابن وجان ومشاركته فى ذلك فأجابهما بأن : لا تزالا تشنان الغارات طرفة عين وأن تجتهدا فى قطع الطرق حتى تحوج الضرورة أهل مراكش إلى مبايعة أبى العلا واخراج من لا ينفعهم . فلما تواصلت مصائب العرب وهسكورة على مراكش وصاروا لا يخرج منهم جيش الا هزموه وغنموه حتى أفنوا كثيراً من رجالها اجتمع أهل الرأى فيها على قتل ابن وجّان اذ كان فى اعتقادهم أنه يغرى العدو الظاهر باهلاكهم . فاطلع ابن وجان وابنه الأكبر أبو محمد على ذلك فاختفى هو فى غرفة لبعض أتباعه فى جهة ربما تخفى عن العيون ووقع ابنه فى درب من دروب هَرْغَة

تقريباً عن هذه الوقعة التي وقعت بين الاذفونش السابع ملك قشتالة وسيف الدولة المستنصر أحمد بن هود الذى انهزم يومئذ هو وحليفه عبد الله بن محمد بن سعد ولهذا يقول العرب لابن سعد هذا «صاحب البسيط» أى الذى استشهد فيها ويقولون أيضاً للوقعة المذكورة « وقعة اللج » فان ابن الأبَّار يقول عنها انها وقعت بالموضع المعروف باللج وبالبسيط على مقربة من جنجالة فهل اللج هذه هى نهر « لزوزة » Leziza الى الغرب أو « الاتوز » Alatoz الى الشرق من البسيط لا يمكن الجزم وقد ذكر فحص اللج ابن الكردبوس فى تاريخه

ومن المدن التابعة لاقليم تدمير التى كانت معروفة فى زمان العرب مدينة لورقة وهى بلدة سكانها اليوم ثلاثون ألف نسمة واقعة إلى الشمال الغربى من شارة« كانيو» يخترقها واد يسمّى بوادى «الأنطين» وهى قسمان : المدينة العتيقة وشوارعها ضيقة ولها حصن عربى لا يزال أكثره محفوظاً . والمدينة الجديدة وفيها كنيسة سنتامريا مبنيّة فى المكان الذى خيَّم فيه الفونس الملقَّب بالحكيم عند ما استولى على لورقة

فاختفى فى مسجد هناك ووقع النهب فى جميع ما كان لهما وصار الزمال والسائس والدخانى وأمثالهم يضع كل واحدمنهم يده فيمن وقع لهمن الحرم وغيرذلك ولاأحدينكر ولا يقدر من ينكر أن يتلفظ بذلك لأنهم كانوا عند العامة مطانبين لاعدائهم ووقع البحث على الشيخ ابن وجّان وعلى ولده فأما الشيخ فانتهى اليه جزار فصاح بصاحب له استعان به على جرّه فجرّاه وذبحه الجزّار وغدا برأسه إلى أبى زيد بن الشيخ أبى محمد عبد الواحد اذهو ابن عمه لان أبا زيد المقتول هو عبد الرحمن بن وجان بن يحيى الهنتاتيّ . وأبو زيد الواصل بالعسكر هو عبد الرحمن بن عبد الواحد أبى جعفر بن يحيى فيحيى يجمع بين أبى حفص وبين وجان . وجعل الله تعالى بين هذين البيتين ما جعل بين بنى هاشم وبنى أمية . وأما ابنه الوزير أبو محمد فنمى خبره إلى أولاد أبى زكرياء بن الشهيد فوصلوا اليه وأخرجوه وضربوا عنقه على باب المسجد وكان قتلهما فى سنة ٦٢٥ .

سنة ١٢٣٤ وأطراف لورقة كثيرة الثمار والفواكه وسقيا أرض لورقة من خزّان ماء كبير فى جنوبى البلدة يأتى ماؤه من الجبل وقد تم بناؤه سنة ١٧٨٩ ومن لورقة يمتد الخط الحديدى إلى بسطة . وهى مدينة كانت فى زمان بنى الأحمر الدولة الأخيرة الاسلامية فى الأندلس هى الحد بين ممالك النصارى ومملكة غرناطة فلذلك أبقينا الكلام على بسطة ووادى آش والمرية وغيرها من ذلك الخط الى أن نكون دخلنا فى مبحث مملكة بنى الأحمر المذكورة

لورقة Lorca

وجاء فى معجم البلدان لياقوت عن مدينة لورقة (١) ما يلى :

لُورْقَة بالضم ثم السكون والراء مفتوحة والقاف ويقال لرْقة بسكون الراء بغير واو وقد ذكر فى موضعه وهى مدينة بالأندلس من أعمال تدمير وبها حصن ومعقل محكم وأرضها جُرُز لا يرويها إلاّ ما ركض عليها من الماء كأرض مصر فيها عنب يكون العنقود منه خمسين رطلاً بالعراق حدّثنى بذلك شيخ من أهلها والله أعلم . وبها فواكه كثيرة اه . وجاء فى نفح الطيب نقلاً عن «مباهج الفكر» أن بلورقة حجر اللازورد.

---

(١) جاء فى الروض المعطار للحميرى عن لورقة ما يلى : بالأندلس من بلاد تدمير أحد المعاقل السبعة التى عاهد عليها تدميروهى كثيرة الزرع والضرع والخمروهى على ظهر جبل وبها أسواق وربض فى أسفل المدينة وعلى الربض سور وفى الربض السوق وبها معدن تربة صفراء ومعادن مغرة تحمل إلى كثير من الأقطار وبينها وبين مرسية أربعون ميلاً وفيها معادن لازورد . ومن أغرب الغرائب الزيتونة التى على مقربة من حصن سرنيط وهو حصن من حصون لورقة البرانية منها وهى زيتونة فى خرمة الجبل فاذا كان وقت صلاة العصر من اليوم الذى يستقبل أول ليلة من شهرمية نوّرت الزيتونة فلا يجن عليها الليل الاّ وقد عقدت ولا تصبح إلاّ وقد اسودّ زيتونها وطاب وقد عرف ذلك الخاصة والعامة ووقفوا عليه (جاءت هذه الرواية فى نفح

وجاء فى الانسيكلوبيدية الاسلامية عن لورقة ماترجمته : بالعربى لورقة Luraka مدينة بأسبانية الى الشرق بين غرناطة ومربسية سكانهـا اليوم ستة وعشرون ألفاً وسبعمائة وكان يقال لها فى القديم «اللورو» Iluro أو «هليوكروكا» Heliocroca هكذا عند الرومان وأما دليل بديكر فيقول ان الرومان كانوا يقولون للورقة إلوكرو Ilucro وقد كانت فى عصر الاسلام بالأندلس تابعة لـكورة تدمير مشهورة بجودة أرضها وجودة ما تحت أرضها من المعادن وبحصانة موقعها فان حصنها كان من أمنع مواقع الأندلس والبلدة على ارتفاع ٣٥٠ متراً عن سطح البحر فى سفح شارة كانو المشرفة على وادى الانتين وقد كانت لورقة فى مصيرها تتبع دائمـاً مرسية وقد كان استرجاع المسيحيين لها سنة ١٢٦٦ انتهى بقلم ليفى بروفنسال اهـ

الطيب أيضاً) وذكر ابراهيم بن يوسف الطرطوشى أن ملك الروم قال له سنة ٣٠٥ : انى أريد أن أرسل الى ملك الأندلس قومساً بهدية (القومس هو الـكونت) وان من أعظم حوائجى عنده وأعظم مطالبى لديه القاعة الـكريمة الـكنيسة التى فى الدار التى فيها الزيتونة المباركة التى تنوّر وتعقد ليـلة الميلاد وتطعم من نهارها (اختلفت الرواية فقد قيل ان الزيتونة المذكورة تنور وتعقد وتطعم فى أول مايو أى شهر ايار وهنا تنوّر وتعقد وتطعم ليلة الميلاد أى ميلاد عيسى عليه السلام وهذا يكون فى أواخر دسمبر أى كانون الأول . وأما المعهود فى الزيتون المعتاد الذى فى الأندلس والمناطق الواقعة على مساواة الأندلس كجزيرة سردانية وجزيرة صقلية وجزيرة اكريت وجزيرة قبرص وبلاد سورية أنه ينور فى وسط فصل الربيع ويعقد فى أول الصيف ويطعم فى أول الخريف أما المعجزات فلا يقاس عليها) فيها قبر شهيد له محل عظيم عند الله عز وجل فانا نسأله مداراة أهل تلك الـكنيسة وملاطفتهم حتى يسمحوا لى بعظام ذلك الشهيد فان حصل لى فهو أجلّ عندى من كل نعمة فى الأرض

وبهذه الناحية موضع معروف من أراد أن يتخذ فيه جناناً صرف الى الموضع العناية بالتدمين والعمارة والسقى من الأرض فتنبت الأرض هناك بطبعها شجر التفاح

وقد ذكر ياقوت الحموى هذه المدينة فى معجمه مرة ثانية دون واو بل بالضم ثم السكون والقاف وقال : انها حصن فى شرق الأندلس غربى مرسية وشرق المرية وبينهما ثلاثة أيام ينسب اليها خلف بن هاشم اللرقى أبو القاسم روى عن محمد بن أحمد العتبى

ذكر من انتسب الى العلم من أهل لورقة

منهم أبو الحسن على بن هشام الجذامى خطيب لورقة أخذ القراءات عن ابن هذيل وكان صالحاً أديباً شاعراً روى عنه ابن حوط وأبو الحسن بن حفص بقى الى سنة ٥٧٨

وأحمد بن عبد الملك بن عميرة الضبى قال ابن عميرة صاحب بغية الملتمس هو ابن عم أبى يكنى أبا جعفر كان رحمه الله عالماً عاملاً زاهداً فاضلاً متقللاً من الدنيا كثير الصيام وكان رحمه الله اماماً فى طريقة التصوف وكنت لا تكاد تراه فى الليل إلاّ قائماً توفى سنة ٥٧٧ وقد أناف على التسعين. ولما اجتمع معه شيخى القاضى أبو القاسم

والكمثرى والتين والرمان وضروب الفواكه حاشا شجر التوت من غير غراسة ولا اعتمال وهذا الموضع يعرف باشكونى (وقد تقدم نقلنا ذلك) وتفسير لورقة باللطينى « الزرع الخصيب » وهذا الاسم وافق معناه لأنها من المعاقل الخصيبة وعلى نهر مجراه إلى الشرق من هذا القطر كما يختبر فى أرض مصر ولهذا النهر هناك مجريان أحدهما أعلى من الثانى فاذا احتيج الى السقى به عُولى بالسداد حتى يرقى المجرى الأعلى فيسقى به وعلى هذا النهر نواعير فى مواضع مختلفة تسقى به البساتين ويخرج منه الجداول العظيمة يسقى الجدول عشرة فراسخ وأكثر وطعام لورقة يبقى مطمّراً تحت الأرض عشرين عاماً لا يغيّر وكثيراً ما تُجْتاح زروع لورقة بالجراد ويزعم أهلها أنه كان فيها جرادة من ذهب طلسماً لدفع مضار الجراد فسرقت من هناك فلم يزل الجراد من حينئذ ظاهراً عندهم فاشياً ، ويزعمون أن البقر كانت لا تقتل عندهم ولا يقع عندهم فيها الموتان العام

ابن حبيش بلورقة رأيته قد بكى فسألته : مما بكاؤك فقال : ذكرتنى رؤية ابن عم أبيك هذا من تقدّم، هكذا كان زيّهم وسمتهم . ولقد بت عنده ليالى ذوات عدد فما كان يوقظنى فى أكثر الليالى إلا بكاؤه فى السجود وما كان ينام من الليل إلا قليلا فلما وصلت من عنده مرسية حدّثت بذلك بعض جيرانه قديماً بلورقة فقال لى : هكذا أعرفه مذ أزيد من ثلاثين سنة . اه ماقاله ابن عمه ملخصاً. وجاء فى نفح الطيب أنه رحل حاجاً وكان منقبضاً زاهداً صواماً قواماً وممن حدّث عنه أبو سليمان وأبو محمد ابناحوط الله ولقيه أبو سليمان بلورقة سنة ٥٧٥ .

وأبو جعفر أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير اللخمى روى عن أبى العباس العذرى وأبى عثمان بن هشام وأبى محمد المأمونى وأبى الحسن بن الخشّاب وأجاز له أبو عمر بن عبد البرّ وأبو الوليد الباجى وغيرهما وكان ثقة فى روايته عالياً فى اسناده قال ابن بشكوال فى الصلة : أخذ عنه جماعة من أصحابنا وكتب الينا باجازة مارواه وتوفى رحمه الله سنة ٥١٦

فى بعض الأعوام حتى وجد فى بعض الأساس من مبانى الأول ثوران من صخر أحدهما أمام صاحبه ينظر اليه فلما انتزعت من ذلك الموضع وقع الموتان فى البقر عندهم ذلك العام . وللورقة الفحص الذى لا يعلم فى الأرض مثله وهو المعروف بالفندون المتصل بفحص شنقُنيرة (كذا) ومسافة ذلك خمسة وعشرون ميلاً

وكان قدم قرطبة أيام الأمير محمد (ابن الأمير عبد الرحمن الثانى ابن الأمير الحكم الملقب بالربضى ابن الأمير هشام ابن الأمير عبد الرحمن الداخل) قوم من وجوه المضرية واليمانية بتدمير فسألوهم عن هذا الفحص فذكروا فضله ونمو مايزرع فيه فأكثروا وقالوا : ان الحبة تتفرّع من أصلها ثلاثمائة قصبة فأنكر ذلك بعضهم فوجّهوا رسولاً أمروه باغراء اليقين وبحمل أصول من ذلك الزرع فأحضرها فاحصى فى كل أصل ثلاثمائة قصبة وأكثر فى كل قصبة سنبلة

وبقرية تازة من قرى لورقة عين تخرج من حجر صلد تجرى فى قناة منقورة

وأبو القاسم أحمد بن محمد بن بطّال بن وهب التميمى من أهل لورقة رحل مع أبيه الى المشرق ولقى أبا بكر الآجرى وروى أيضاً عن أبيه وكان من أهل العلم مشاوراً ببلده توفى سنة ٤١٢ ذكره ابن بشكوال فى الصلة

وعلم الدين أبو محمد المرسى اللورقى وهو قاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر العلامة المقرئ الأصولى النحوى ولد سنة ٥٧٥ وقرأ بالروايات قبل الستمائة على أبى جعفر الحصّار وأبى عبد الله المرادى وأبى عبد الله بن نوح الغافقى وقرأ بمصر على أبى الجود غياث بن فارس وبدمشق على التاج بن زيد الكندى وببغداد على أبى محمد بن الأخضر ولقى الجزولى بالمغرب وكان متقدماً فى العربيـة وفى علم الكلام والفلسفة يقرئ ذلك ويحققه وأقرأ بدمشق وشرح المفصل فى النحو فى أربعة مجلدات فأجاد وشرح الجزولية والشاطبية وكان مليح الشكل حسن البزة توفى سابع رجب سنة ٦٦١ وكان معمّراً. وسمّاه بعضهم أبا القاسم والأول أصح . انتهى ملخصاً عن نفح الطيب

ورفاعة بن محمد من أهل بلّس عمل لورقة روى عن محمد بن عمر بن لبابة وأسلم بن عبد العزيز ذكره ابن حارث وترجمه ابن الأبار بجملة قصيرة

فى الحجر عمقهـا أكثر من قامة نحو ميلين ثم يتصل الماء بنقب من الحجر الصلد ومناهد (من نهد أى ارتفع) مفتوحة إلى أعلى والمنافس للهواء ثم يفضى إلى بيت فى داخل الجبل ظليم مملوء ماء والجبل كله معتمد له على أرجل ومن دخل اليه لا يعلم ما وراء تلك الأرجل (قوله ظليم هنا معناه ملآن يقال ظلم الوادى إذا بلغ المـاء منه موضعاً لم يكن بلغه من قبل ويجوز أن يكون من ظَلَم بمعنى حَفَر فى موضع لم يكن حُفر من قبل والأرض المظلومة التى لم تحفر قط ثم حُفرت والتراب الذى يخرج منها يسمّى الظليم ويقال لتراب القبر ظليم من أجل هذا)

وقد ذكر ليفى بروفنسال فى تأليفه مجموعة الآثار الكتابية العربية فى أسبانية كتـابة وجدت فى لورقة وهى على بلاطة داخلة فى درج مجلس البلدية ونصها :

يا قارى الخط سل مولاك الرحمة عليه وعلى من ترحّم عليه

يظهر أنها بقية كتابة على قبر

وأحمد بن محمد بن أحمد بن « زاغنُه » من أهل لورقة يروى عن الحافظ ابن سكّرة ذكرَهُ ابن عميرة الضبي فى البغية

وأبو جعفر احمد بن يحيى بن بشتغير من أهل لورقة سمع هو وأخوه من الحافظ السابق الذكر ذكره أيضاً صاحب البغية

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصاري يعرف بابن زاغنو كذا بخط ابن الدباغ سمع من أبي على الصدفى وغيره وولى القضاء ببلده فحمدت سيرته وتوفى سنة ٥٦٠ ذكره ابن الأبار

وأبو مروان عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الملك التجيبي يعرف بابن العرّاء أخذ عن أبي الحسن شريح بن محمد وغيره وتصدر للاقراء ببلده لورقة وأخذ عنه أبو بكر ابن أبى نصير قاضى المرية وأبو عبد الله محمد بن رشيد بن عيسى بن أحمد بن محمد ابن على بن باز أخذ عنه حماسة حبيب بشرح الجرجانى وأجاز له عن شيوخه فى غرة ربيع الأول سنة ٥٥٨ ذكره ابن الابار

وأبو الاصبغ عبدالعزيز بن الحسن القيسى كان أستاذا فى القراءات وله فيها تأليف مستحسن استعمله الناس رواه عنه ابنه عمر بن عبد العزيز وابن ابنه عبدالعزيز بن عمر ذكره أيضا ابن الأبار

وأبو الاصبغ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن الحسن القيسى أخذ القراءات عن أبيه أبى حفص عمر بن عبدالعزيز الذى أخذها عن أبيه عبد العزيز بن الحسن القيسى وتصدّر للاقراء وكان شيخاً صالحاً ، قال ابن الأبار انه أخبره عنه من استجازه فى سنة ٦٠٤

وعبد الله بن اسود ذكره ابن عميرة فى البغية ولم يزد فى ترجمته على هذه الجملة : عبد الله بن أسود لورقى توفى سنة ٣٦٣

ومحمد بن أبى الاسود البلسى فقيه محدّث ذكره ابن الوليد الفرضى وهو ينسب الى بلّس عمل لورقه

ومحمد بن باز أبو عبد الله من أهل بلس أديب شاعر فقيه كان قاضياً ببلده وبه

مات فى سنة ٥٨٧ ذكرناه هنا لأنه عمل لورقة. قال ابن عميرة الضبّى : أنشدنى رحمه الله من قوله فى لابس ثوباً أخضر :

وكم قائلٍ لم يدر وجدى ولوعتى   أرى لك فى خضر الملابس مذهبا
فقلت له بل فاض دمعى صبـابة   فعادت ثيـابى من بكائى طحلبا

ثم قال ابن عميرة : وصل الحضرة الامامية فى سنة ٥٦٧ ومدحها بقصائد مطولة أنشدنى منها قصيدة منها :

نهضوا ليوم الفتح فى صيّابة   بلغوا من الأبطال ألف مُلَثَّم
لم يجتمع لقبيـلة أمثالهم   فهم الرجاء لمنجـدٍ ولمُتهم

ومحمد بن بطّال بن وهب اللورقى توفى سنة ٣٦٦ ذكره ابن عميرة ولم يزد على مجرّد ذكر اسمه ولكن يجب أن يلاحظ أن ابن عميرة يتوخّى الاختصار فى أكثر الأحيان بخلاف ابن الأبّار

ويوجد للورقة ميناء على البحر يقال له « آقلة » Aguilas والمسافة بينهما ٣١ كيلو متراً وهناك معدن حديد ثم بلدة اسمها «نوريا» las Norias أى النواعير وهي على مسافة مائة كيلو متر تقريباً من مرسية إلى الغرب ثم يمر الخط الحديدى ببلدة يقول لها الأسبان « أوفيرة » Overa وكان العرب يقولون لها بيرة وهى اليوم مدينة صغيرة أهلها خمسة آلاف وقد ذكر الشريف الادريسى حصن آقلة ويقال انه حصنٌ صغير على البحر وهو فرضة لورقة وبينهما فى البر ٢٥ ميلاً وقال ان من حصن آقلة إلى وادى بيرة فى قعر الجون ٤٢ ميلا وعلى مصب النهر جبل كبير وعليه حصن بيرة المطل على البحر . وقد كانت هذه البلدة هى الحد الفاصل بين ممالك المسيحيين ومملكة ابن الأحمر آخر ممالك المسلمين بالأندلس وأما الجبل العالى الذى يشير اليه الادريسى فهو شارة فيلبرة Filabra وهناك واد يقال له وادى المنصورة عنده معدن رصاص قلعى وعلى مسافة ١٥٠ كيلو متراً من مرسية مدينة برشانة وهذه هى وألبيرة كانتا داخلتين فى مملكة بنى الأحمر لكنهما محل اصطدام الجيوش لذلك قال لسان الدين

ابن الخطيب : مثلومة الأعراض والأسوار مهطعة لداعى البوار خاملة الدور قليلة الوجوه والصدور، كثيرة المشاجرة والشرور، وذهل أهلها فى الصلاة شائع فى الجمهور، وقال عن برشانة : حصن مانع وجناب يانع أهلها أولو عداوة لأخلاق البداوة (إلى أن يقول) : إلا أن جفنها[1] ليس بذى سور يقيه مما يتقيه وعدوها يتكلم بملء فيه.وقال عن بلّيش التى هى من عمل لورقة : « تُعرقصىّ على الأمن عصىّ ، ويتيم ليس عليه غير العدو وصىّ ، ماؤه معين وحُوره عين ، وخلوته على النسك وسواه تعين ، ولأهله بالصيادة اهتمام وعسله إذا اصطفّت العسول إمام ، إلاّ أنها بلدة منقطعة بائنة وباحواز العدو كائنة ولحدود لورقة فتحها الله مشاهدة معاينة وبرّها الزهيد القليل يتحف به العليل وسبيل الأمن اليها غير سبيل ومرعاها لسوء الجوار وبيل . انتهى

وسنذكر تلك الأطراف عند وصولنا إلى الكلام على مملكة بنى الأحمر التى كانت قاعدتها غرناطة. وأما الآن فلا يبقى علينا فى هذا الجزء الذى هو الجزء الثالث من الحلل السندسية سوى الكلام على قرطاجنة ومرسية وسنقدم قرطاجنة ونؤخر مرسية نظراً لما تقتضيه هذه الحاضرة من الاستقصاء فنقول

قرطاجنة Cartagena

قال عنها ياقوت بعد أن ذكر قرطاجنة الكبرى التى بافريقية : مدينة أخرى بالأندلس تعرف بقرطاجنة الحلفاء قريبة من ألش من أعمال تدمير خربت أيضاً لأن ماء البحر استولى على أكثرها فبقى منها طائفة وبها إلى الآن قوم وكانت عُملت على مثال قرطاجنة التى بافريقية . اهـ

وقال الشريف الادريسى : ومدينة قرطاجنة هى فرضة مدينة مرسية وهى مدينة قديمة أزلية لها مرسى ترسى بها المراكب الكبار والصغار وهى كثيرة الخصب والرخاء المتتابع ولها اقليم قليلما يوجد مثاله فى طيب الأرض وجودة نمو الزرع فيه . ويحكى أن الزرع فيه يثمر بسقى مرة واحدة

وجاء فى نفح الطيب عن خصب الأرض فى قرطاجنة أن الزرع فى بعض

---

(١) يظهر من هنا أنهم كانوا يستعملون الجفن بمعنى داخل البلدة

أقطارها يكتفى بطرة واحدة ونقل عن صاحب « مَباهج الفكر » فى حق قرطاجنة: وهى على البحر الرومى مدينة قديمة بقى منها آثار ولها فحص طوله ستة أيام وعرضه يومان معمور بالقرى

وجاء فى دليل بديكر أن قرطاجنة هذه بلدة سكانها نحو من خمسين ألفاً ولها أحسن مرفأ فى سواحل أسبانية وهى أعظم موقع حربى أسبانى على شواطىء البحر الرومى وفيها حصنان مبنيّان على صخور بركانيــة شامخة وهما مالكان للمرسى وكان معدل عدد البواخر التى ترسو فى ميناء قرطاجنة ١٣٨٠ فى السنة محمولها ما يقرب من مليونى طن. ويرفأ اليها أيضاً نحو من ٣٥٠ سفينة شراعية فى دور السنة وهذا كان فى السنين التى سبقت الحرب العامة بقليل

ويقال ان بانى هذه البلدة هو اسدروبال [1] خلف هاملكار القرطاجنى الافريقى الذى فى سنة ٢٢١ قبل المسيح بنى هنا قلعة جديدة وأطلق عليها اسم قرطاجنة وطنه وقد افتتحها الرومان سنة ٢٠٩ قبل المسيح وأقام فيها « بوليب » هو وسيبيون سنة ١٥١ ووصفها بوليب وذكر ما هى عليــه من المنعة وكان فيهــا هيكل يقال له « اسكولاب اشمون » فى مكان الحصن المسمّى اليوم بحصن « الجبــل بلادنس » وحصن آخر يقال له حصن « بارسيد » مبنى على الأكمة الشماليــة بالقرب من باب « سُرَّتَه » وكانت قرطاجنة فى أوائل أيام الرومانيين تعد أعظم مدينة وأغنى مدينة فى أسبانية ثم تدنّت أحوالها بعض الشىء فى زمان «طاراكوا» الرومانى ولكنها بقيت مدينة تجارية عظيمة وفى سنة ٥٨٩ بعد المسيح فى زمن الامبراطور موريس أجريت فيهــا تحصينات لوقايتها ممن كان يغير عليها من الافريقيين ولــا استولى العرب على أسبانية كانت ذات شأن وكان فيهــا مركز امارة مستقــل وكان استرجاع الاسبانيول إياها سنه ١٢٤٣ المسيحية إلاَّ أن العرب طردوا الاسبان منها واستردُّوها ثم عاد الاسبان

(١) يحققون أن أصل اسم « اسدروبال » كما كان يتلفظ به الفينيقيون هو « ازربعل » ومعناه عون الله

فاستولوا عليها نهائياً فى زمن جاك الأول ملك أراغون ومن قرطاجنة هذه خرج الغزاة الاسبانيون الذين استولوا على وهران فى بلاد الجزائر وذلك سنة ١٥٠٩

وفى قرطاجنة رصيف على الميناء ينتهى من جهة الشمال بحائط يقال له سور البحر وأعظم شارع فى البلدة يمتد من ساحة « سانتا كتالينا » إلى الشمال الغربى منها وفى هذا الشارع حركة التجارة وللبلدة باب شرقى تمتد منه طريق تمر على حصن يقال له حصن العرب Castillo de los Moros وإلى الشمال الغربى باب يقال له باب مجريط القديم وهناك ساحة يقال لها اسبانية-وغيضة نخيل وفى قرطاجنة دار صنعة أنشئت سنة ١٨٧٦ تبنى فيها المراكب البحرية . وأمام مرسى قرطاجنة إلى الجنوب الشرقى جزيرة صغيرة يقال لها « إسكيمومبريرا » Iscombrera وعلى تسعة كيلو مترات من قرطاجنة مدينة « الاونيون » Union يزيد أهلها على عشرين ألفاً فيها معادن رصاص قلعى معروفة من زمن القرطاجنيين الافريقيين والرومانيين .

ولم نعثر على أسماء رجال من أهل العلم منسوبين إلى قرطاجنة ولا شك فى أنها كانت كغيرها من مدن الأندلس فى الاعتناء بالعلم والأدب لان الحركة العقلية فى الأندلس كانت عامة فان لم نكن عثرنا على أسماء علماء منسوبين إلى بعض البلاد فيكون ذلك لفقد الوثائق لا غير . وقد وجدنا مترجماً فى تكملة الصلة لابن الأبّار محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصارى من أهل قرطاجنة عمل مرسية أصله من سرقسطة ولّى القضاء فى قرطاجنة زيادة على أربعين سنة وكان له حظ من الفقه والأدب وتوفى سنة ٦٣٢

مرسية Murcia

قال ياقوت الحموى : مرسية [1] بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وياء

---

(١) ذكر الحميرى فى الروض المعطار عدة حصون لمرسية أحببنا ذكرها هنا: منها « حصن شنغيره » قال : هو على أربع مراحل فى شرقيها مشهور بالمنعة ظفر به فى

مفتوحة خفيفة وهاء مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطّها عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وسماها تدمير بتدمر الشام فاستمر الناس على اسم موضعها الأول وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها وبها كان منزل ابن مردنيش، وانعمرت فى زمانه حتى صارت قاعدة الأندلس واليها ينسب أبو غالب تمام بن غالب اللغوى المرسى يعرف بابن البنّاء صنّف كتاباً كبيراً فى اللغة . اه

وجاء فى صبح الأعشى أن الاندلس عدة قواعد الأولى غرناطة والثانية أشبونة والثالثة بطليوس والرابعة إشبيلية والخامسة قرطبة والسادسة طليطلة والسابعة جيّان والثامنة مرسية والتاسعة بلنسية والعاشرة سرقسطة والحادية عشرة طرطوشة والثانية عشرة برشنونة (أى برشلونة)

فمرسية هى القاعدة الثامنة ونقل صبح الأعشى عن تقويم البلدان أن موقعها فى أوائل الاقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول ثمان عشرة

الصلح محمد بن هود سنة ٦١٤ ومعه خمسمائة من اجناد الرجال فغدر به لأن أبا سعيد ابن أبى حفص الهنتاتى لما طاف على حصون الأندلس يتفقدها فى أيام الهدنة نظر إلى هذا المعقل وهو بارز إلى السماء مع وثاقة بنـائه فأعجبه وقال : كيف أخذ الروم هذا الحصن من المسلمين ؟ فقيل : غدروا به فى زمان الصلح . فقال : أما فى اجناد المسلمين من يجازيهم بفعلهم ؟ فسمعه ابن هود فأسرّها فى نفسه إلى أن تمّت له الحيلة فطلع فى سلّم من حبال فذبح السامر الذى يحرس بالليل ولم يزل يطلع رجاله واحداً واحداً إلى أن حصلوا بجملتهم فى الحصن وفرّ الروم الذين خلصوا من القتل إلى برج مانع فقال ابن هود : ان أصبح هؤلاء فى هذا البرج جاءهم المدد من كل مكان فالرأى أن تطلق النيران فى بابه . فلما رأوا الدخان وأبصروا اشتعال النار طلبوا الصلح على أن يخرجوا بأنفسهم فكان ذلك واستولى المسلمون على الحصن . وكان الروم قد أرسلوا فى الليل شخصاً دلّوه من البرج فأصبحت الخيـل والرجال على الحصن وقد أحكم المسلمون

درجة والعرض تسع وثلاثون درجة وعشر دقائق. قال فى تقويم البلدان : وهى مدينة اسلاميـــة محدثة بنيت فى أيام الأمويين الأندلسيين. قال : وهى من قواعد شرق الأندلس وهى تشبه اشبيلية فى غرب الأندلس بكثرة المنازه والبساتين وهى فى الذراع الشرقى الخارج من عين نهر أشبيلية ولها عدة متنزهات منها «الرشاقة» و «الزنقات» وجبل « إيل » وهو جبل تحته البساتين وبسيط تسرح فيه العيون ولها مضافات منها مدينة « موله » وهى فى غربى مرسية ومنها مدينة أريولة وغير ذلك . اه

وجاء فى نفح الطيب : ومن كور الأندلس الشرقية تدمير وتسمّى مصر أيضـاً لـكثرة شبهها بهـا لأن لها أرضاً يسيح عليها نهر فى وقت مخصوص من السـنة ثم

أمره فانصرف الروم فى خجلة وخيبة وترددت فى شأنه المخاطبات إلى مراكش . فقال الوزير ابن جامع لابن الفخّار : أخذناه فى الصلح كما أخذ منـا فى الصلح . ومن هذه الوقيعة اشتهر ابن هود عند أهل شرق الأندلس وصاروا يقولون : هو الذى استرجع شنغيره . اه

وذكر الحميرى حصناً صغيراً أيضاً على نهر مرسية اسمه « الصخور » ــ وقد ورد ذكر هذا الحصن فى الاحاطة وعبّر عنه لسان الدين « بالصخيرات » ــ قال الحميرى: فى هذا الحصن دعا لنفسه محمد بن هود وأبو العلا ادريس المأمون فى اشبيلية وقد صفت له وكان عازماً على التحريك إلى بر العدوة فبينما هو يروم ذلك إذ وصله الخبر بقيام ابن هود هذا وكان من الجند ولم يكن إذ ذاك أحد من أكابر الأندلسيين يطمع فى ثورة ولا يحدّث بها نفسه فبنو مردنيش فى بلنسية وبنو عيسى فى مرسية وبنو صناديد فى جيّان وبنو فارس فى قرطبة وبنو وزير فى أشبيلية لانتظام البرّين على طاعة الدولة الممهـدة القواعد ورجوع أمورها إلى امام واحد حتى اتفقت ثورة (فى الأصل ثيارة وكررها مراراً ولم نجدها بمعنى ثورة) العادل بمرسية ثم ثورة البيّاسى ونـكبته ثم مبايعة أبى العُلى باشبيلية ففتحوا على دولتهم باباً رحّله منه غيرهم فأوقع الله تعالى فى خاطر ابن هود هذا انه يملك الأندلس وتحدّث بذلك مع من يثق به وذكر أنه محمد بن يوسف بن محمد

ينضب عنها فتزرع كما تزرع أرض مصر وصارت القصبة بعد تدمير مرسية وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها ولها نهر يصب فى قبليها (ثم يقول) : وأما شرق الأندلس ففيه من القواعد مرسية وبلنسية ودانية والسهلة والثغر الأعلى فمن أعمال مرسية أوريولة والقنت ولورقة وغير ذلك . اه

قلت أما النهر الذى فى ناحية تدمير يشبه نيل مصر فى فيضه بيوم مخصوص من السنة فهو الذى بناحية « بيره » فان لسان الدين بن الخطيب يقول عنها « وواديها نيلى الفيوض والمدود مصرى التخوم والحدود ان بلغ الى الحد المحدود فليس رزقه بالمحصور ولا بالمعدود » قلنا: وأما مرسية نفسها فلا غوطة غرناطة ولا غوطة بلنسية أسبح من غوطتها فى بحر الخضارة والنضارة

ابن عبد العليم بن أحمد المستنصر بن هود واحتقره السيد الذى كان فى مرسية من قِبَل أبي العُلى فجمع أصحابه وخرج بهم إلى الحصن المعروف بالصخور فدعا لنفسه واجتمع له جمع من القطّاع ودُعّار الشعارى والضياع وقال لهم : أنا صاحب الزمان وأنا الذى أردّ الخطبة عباسية . وخاطب بذلك أبا الحسن القسطلّى قاضى مرسية يومئذٍ وأعلمه أنه ان تمكن من هذا الغرض فان الدولة تكون فى يده فأصغى الشيخ اليه اصغاء أذهله عن حتفه الذى بحث عنه . ثم حضر القاضى القسطلى عند السيد الملقَّب بأبي الأمان وقد لاحت عليه دلائل الخذلان فقال : يا سيدى . هذا الرجل الذى كان فى الصخور ما زال خديمكم فكتبنا له نرغّبه فى الطاعة ونعده بما يكون من الخير فى أثر ذلك حتى أذعن وها هو قد وصل ليقبّل يديكم الكريمة وسيدنا يرتب لهؤلاء أصحابه ما يكفّهم عن الثيارة ويرى أن ينتفع بهم فى قطع الفساد عن جهات هذه البلاد فابتهج السيد وأنفذ اليه بالمبادرة فلم يمر إلاّ القليل حتى دخل ابن هود وأصحابه مرسية وبيدهم السلاح فبعد ما مالوا لتقبيل يده قبضوا عليه ثم حبسوه وأجلسوا ابن هود فى مكانه وخطب فى أول جمعة للمستنصر العباسى ثم لنفسه بالمتوكل على الله أمير المؤمنين وعندما وصل الخبر بذلك إلى أبي العُلى وكان عزم على جواز البحر تمثّل

وعلوها عن سطح البحر ٤٣ متراً ونفس البلدة لا تزيد أهلها اليوم على ٣٢ ألفاً ولكن مجموع سكان البلدة وسكان القرى الداخلة تحت إدارة بلدية مرسية ١٢٥ ألفاً ويمر فى وسط مرسية نهر شقورة الذى كان يسمى عند القدماء نهر « تادر » Tader وهو من أجمل الأنهر لا يبعد كثيراً عن محطة السكة الحديدية وعليه طواحين باقية من أيام العرب إحدى هذه المطاحن يدور فيها ثلاثون رحى ومرسية شبيهة أيضا بدمشق من جهة استبحار خضارتها ونصوع نضارتها وكون الجبال التى تعلوها مجردة من كل نبات كأنها صخرة صماء محاطة بجنة غناء وأما هواؤها فكثير التقلب وقد تبلغ درجة الحرارة فيها بعض أيام الصيف ٤٤ بميزان سنتيغراد وقدبت فيها ليلة واحدة دون غطاء

ان الطبيب إذا تعارض عنده مرضان مختلفان داوى الاخطرا

وصرف وجهه إلى مرسية فى أول منزلة نزل بها قام الاستاذ أبو على الشلوبين فابتده وقال : « ثلمك الله وثرك » يريد سلمك الله ونصرك وكان يرد السين والصاد ثاء وقام بعده أبو الحسن بن أبى الفضل فأنشده قصيدة أولها:

خدمتك السيوف والأقلام وأناخت لامرك الايام

وقام الكاتب البلوى فأنشد قصيدة منها :

أرتك مرسية وقد عصت لنا قديماً طائعاً أكثر

منابر يالك قد أصبحت مناظراً ان قد عصا منبر

فكره أبو العلى ما أتوا به واسود وجهه فتطير الحاضرون بذلك وامتنع أبو العلى بعد هذا المجلس من كلام الخطباء وانشاد هذه الشعراء فى القضية وأقام محاصراً لابن هود حتى رحل فى السنة الثانية وعلم أهل مرسية أنهم لا ينفعهم معه إلا التحريك على ساعد الجد وعلم هو أنه لا تجوز عليهم حيلة ولا تنفع فيهم موعظة وكان الأمر على مانطق به القدر على ألسنة أولئك . اه

وذكر الحميرى من بلاد مرسية بلدة يقال لها « عقْص » قال انه كانت فيها وقيعة للروم على أهل مرسية ذهب فيها من أهل مرسية بين قتيل وأسير نحو أربعة آلاف رجل

أصلاً والنوافذ مفتوحة وكان الحر فى الليل شديداً كما فى النهار وربما أشد . وكان نزولى فى فندق على ضفة النهر اليسرى وأمام هذا الفندق ساحة فسيحة وأمامها جسر معقود على النهر فبالرغم من شدة الحر انشرح صدرى بمشاهدة هذا النهر الفيّاض الذى لتدفق مياهه فى وسط تلك الحرارة لذة عظيمة . ولما أقبل العصر وضع أصحاب الفندق كراسى كثيرة فى تلك الساحة مما يلى الفندق فكان الجلوس هناك شهياً وكانت سورة الحر قد انكسرت عما كانت فى الظهيرة كما لا يخفى ووجدت فى مرسية انساً لم أشعر بمثله فى غيرها لعل السبب فى ذلك اعتقادى أنها كانت مدينة عربية صرفة . وأما فى الشتاء فقد يشتد البرد فى مرسية الى حد أن بعض نباتها يموت من شدة الصقيع فانه يهب عليها فى ليالى مارس رياح شمالية قارسة البرد

وفى مرسية [١] بلدة جديدة على الضفة اليمنى من شقورة وشوارع رحبة وحديقة

وكان الروم أغاروا على تلك الجهة فخرج اليهم أهل مرسية وكانوا غانوا على أهل اشبيلية مثلها حين وقعت عليهم الهزيمة بفحص « طلياطة » ونسبوهم الى الضعف والخور وقلّة الدربة بالحروب فلم تمض الأيام حتى امتحنهم الله بهذه الوقيعة وكان صاحب جيش هذا اليوم أبو على بن أشرقى . قال صاحب الملتمس : كائنة عفص هى أخت كائنة طلياطة المتقدمة فى سنة ٦٢١ كانت هذه فى غرب الأندلس وهذه فى فى شرقها وكان عبّاد الصليب قد وصلوا الى عفص فخرج عسكر مرسية ومعهم العامة فقتل منهم كثير وأسر كثير وفيها يقول أحد المرسيين :

بوقعة عفصٍ وطلياطة ... تكامل إقبال أيامنا
فبالغرب تلك وبالشرق ذى ... أناخوا على شُم أعلامنا
وفى وسط الأرض قيجاطة ... ولوشة قمنا بأحلامنا

(١) قال الحميرى فى الروض المعطار : مرسية بالأندلس وهى قاعدة تدمير بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم واتخذت داراً للعمّال وقراراً للقواد وكان الذى تولى بنيانها وخرج العهد اليه فى اتخاذها جابر بن مالك بن لبيد وكان تاريخ الكتاب يوم

يقال لها « جنة فلوريدا بلنقه » Floridablanca وفى البلدة القديمة ساحة يقال لها « ساحة الدستور » Constitucion تنعقد فيها سوق يومى الاربعاء والسبت من كل أسبوع فيتداعى إلى السوق الفلاحون من القرى . وأما الكنيسة الجامعة سانتا ماريا فقد كان بناؤها سنة ١٣٥٨ بناها المطران ابن يارَنْدَة فى مكان جامع وأهم ما فيها برج علوه ٩٥ متراً بناه الكردينال « ماثيو دولَنْقَة » de Langa واشترك فى عمله عدة من المهندسين واذا صعد الانسان الى رأس هذا البرج رأى منظرا عجباً يندر نظيره فى العالم فانه يشرف على وادى شقورة ووادى سنقونيره Sangonera ويسرح النظر منه حتى لورقة ويرى الجبال المسماة «فونسانطا» Fuensanta والشارع الأعظم فى مرسية يفضى الى الساحة المسماة « سانتو دومينيقو » عليها صفوف الأشجار . وفى مرسية شارع يقال له بلاتيريا Plateria وهو شارع ضيق فيه المخازن الكثيرة وفى أيام الصيف يسدلون من فوقه ستائر بيضاء للوقاية من أشعة الشمس المحرقة

الأحد لأربع خلون من ربيع الأول سنة ٢١٦ فلما بناها ورد كتاب الأمير عبد الرحمن على جابر بن مالك بخراب مدينة « أَلُه » من المضرّية واليمانية . وكان السبب فى ذلك أن رجلا من اليمانية استقى من وادى لورقة قُلَّةً وأخذ ورقة من كرم لرجل من المضرية فغطَّى بها القلة فأنكر ذلك المضرى وقال : إنما ذلك استخفافاً بى اذ قطعت ورق كرمى وتفاقم الأمر بينهما حتى تحارب الحيَّان وعسكر بعضهم الى بعض واقتتلا أشد قتال

ومرسية على نهر كبير يسقى جميعها كنيل مصر ولها جامع جليل وحمّامات وأسواق عامرة وهى راخية أكثر الدهر رخيصة الفواكه كثيرة الشجر والأعناب وأصناف الثمار وبها معادن فضة غزيرة متصلة المادة وكانت تصنع بها البسط الرفيعة الشريفة ولأهل مرسية حذق بصنعتها وتجويدها لا يبلغه غيرهم

ومن مرسية أبو غالب تمّام بن غالب المعروف بابن التيّانى اللغوى المرسى صاحب الموعب وكان أبو الجيش مجاهد بن عبد الله صاحب دانيه قد تغلّب على مرسية ، وأبو

وفى مُرسية كنائس كثيرة منها سان نيقولا وسان جوانو سان ميكال وغيرها وهى فى ذلك لاتختلف عن سائر مدن اسبانية التى لاشىء فيها أكثر من الكنائس والأديار والمعاهد الدينية وأظن أن كثرة هذه المعاهد قد جعلت عند الشعب مايقال له رد فعل فسئم الأهلون لاسيا فى العصر الحديث كثرة الكنائس والأديار زيادة على احتياج الناس . ولما أعلن الحكم الجمهورى فى اسبانية من سبع سنوات أحرق الشعب كثيراً من هذه الكنائس ولما نشبت الحرب الداخلية من سنتين فتك الشعب بالرهبان والقسيسين وقتلوا منهم ألوفاً مؤلفة وهدموا من الكنائس مالا يحصى عدده . ثم فى مرسية دار تحف فيها نفائس أثرية ومسكوكات وتصاوير وأفخر مارأيت من المبانى فى مرسية « الكازينو » فانه لايوجد مثله فى المدن التى هى أكبر بكثير من مرسية وذلك لأن فى مرسية عائلات عريقة فى الثروة تملك أكثر هذه البساتين والجنان

غالب اذذاك بها فأرسل اليه ألف دينار على أن يزيد فى ترجمة الكتاب أنه ألفه لأبى الجيش مجاهد فردّ الدنانير وأبى من ذلك وقال : والله لو بُذلت لى الدنيا على ذلك مافعلت ولا استجزت الكذب فانى لم أجمعه له خاصة وإنما جمعته لكل طالب علم

وعلى أربعين ميلاً من مرسية عين ماءعذب يقصدها من عَلِق العلق بحلقه فيفتح به فيسقط لحينه وذلك باقليم « إباش » وقال بعضهم : هذا طبٌ عام يوجد فى كل ماء عذب بارد اذا فتح فيه عليه من علق العلق به أسقط فى الأغاب وذلك لأن العلق إنما ينشأ فى الماء العذب فيطرأ عليه من خلاف ذلك المزاج ما يستروح منه الى الماء وكثيراً مايطبُّ به الأطباء فيستغنون به عن شجر « أناغليس » الذى من شأنه قتل العلق وعن العكُّوب وعن الخل وأمثال هذه الأشياء

ومرسية فى مستوٍ من الأرض ولها ربض عامر آهل وعليها وعلى ربضها أسوار وحظائر متقنة والماء يشق ربضها وهى على ضفة النهر ويجاز اليها على قنطرة مصنوعة من المراكب ولها أرحاء طاحنة فى مراكب تنتقل من موضع إلى موضع وبها شجر التين كثير ولها حصون وقلاع وقواعد وأقاليم معدومة المثال . ومنها إلى بلنسية خمس

الدهشة التى لانظير لها فى الدنيا فهؤلاء الأغنياء من أبناء البيوتات القديمة بنوا هذا الـكازينو لأنفسهم وجعلوا انشاءه على الطرز العربى ونقشوا على جدرانه وسقوفه كتابات عربية أشبه بالأزهار وفى مرسية شارع اسمه شارع «المنارة» وشارع آخر اسمه« السوقو » أى السوق وشارع اسمه « الزوقاقى » اى الزقاق وتوجد قرى كثيرة أسماؤها عربية بعضها تحرف عن أصله وبعضها باقٍ على أصله العربى مثل « البركة » «والقرية» وغيرها وشاهدت فى مرسية حماماً قديماً باقياً من زمان العرب ينزل الانسان اليه فى درج ولم يكن هذا الحمام كما هو اليوم بل كان مساوياً لأرض الشارع الذى يشرع بابه اليه وربما كان أعلى منه غير أن توالى الخراب بكرور الأيام جعل طبقة من التراب ترتفع فى الشوارع شيئاً فشيئاً بحيث أن الابنية التى كانت على مستوى الطرق قد أصبحت منحطة عنها . وهذا يحصل فى جميع المدن القديمة التى عندما يحفر

مراحل ومنها إلى قرطبة عشر مراحل . ويخرج من نهر مرسية جدول على مقربة من قنطرة «اشكابة» قد نقرته الأوَل فى الجبل وهو حجر وجابوه نحو ميل وهذا الجدول هو الذى يسقى قبلى مرسية ونقبوا بازاء هذا النقب فى الجبل الموازى لهذا الجبل نقباً آخر مسافته نحو ميلين أخرجوا فيه جدولاً ثانياً وهو الذى يسقى جوفىّ مرسية ولهذين الجدولَين مَتَانِفس فى أعلى الجبلين ومناهد الى الوادى تنقى الجدولان منه بفتحها وانحدار الماء مما اجتمع من الغثاء فيهما . ولا يُسقى من نهر مرسية شىء بغير هذين الجدولين الاّ بمـا رُفع بالدواليب والسوانى . وبين موقع هذين النقّرين ومرسية ستة أميال . اه

وممـا ذكره صاحب الروض المعطار من عمل مرسية بلدة « قَرَبَاكَة » وقد يقال قراباقة بالقاف وهى من أقليم « مُولَة » قال : وهى قرية بهـا عين ماء تولّد الحصى بطبعها وإذا طال مكثه فى الاناء من النحاس أو غيره تحجَّر بجنباته حتى تتضاعف زِنَة الاناء ، وعـين ماء أخرى تفتت الحصى بطبعها . اه ثم ذكر بلدة ثانية يقال لها «قربليان» بفتح فسكون ففتح فسكون ، ثم قال ان بينها وبين أوريولة عشرين ميلا ، وهى كثيرة الزيتون ، وبهـا سقى كثير . ثم ذكر قرطاجنة وقال انها فرضة مرسية

الانسان فى وسطها يجد طبقات من التراب قد تكاثفت مع الدهر فعلَتْ متراًومترين وثلاثة ويجد تحتها الجدران والأبنية . وقد كانت هذه من قبل على سطح الأرض . وفى مرسية خزانة آثار عربية دخلتها فلم أجد فيها كبير أثر بل كل ما هناك أربع أو خمس بلاطات عليها كتابات عربيـــة منها ما هو بالخط الكوفى ومنها ما هو بالخط النسخى وقد أصبح كثير منها غير مستطاع القراءة

وهى مدينة قديمة أزليـة لها ميناء ترسو فيه المراكب الكبار والصغار وهى كثيرة الخصب والرخاء المتتابع ولها أقليم يسمى « الفُندُون » وقليلاً ما يوجد مثله فى طيب الأرض وعذوبة الماء ويحكى أن السنبل يحصد فيه عن مطرة واحدة واليه المنتهى فى الجودة . ومن مدينة قرطاجنة الى مرسية فى البر أربعون ميلاً قال : وبقرطاجنة هذه هزم عبد العزيز بن موسى بن نصير تدمير بن عبدوس الذى سميت به تدمير هزمه وأصحابه. ووضع المسلمون فيهم السيف يقتلونهم كيف شاءوا حتى نجى تدمير فى شرذمة من قلال أصحابه الى حصن أوريولة وكان مجرباً بصيراً ذا هيبة فلما رأى قلة أصحابه أمر النساء فنشرن شعورهن وأمسكن القصب بأيديهن فى من بقى من الرجال وقصد بنفسه كهيئة الرسول واستأمن فأمن وانعقد الصلح له ولأهل بلده وفُتحت تدمير صلحاً فلما نفذ أمره عرَّفهم بنفسه وأدخلهم المدينة فلم يروا بهـا الاَّ نفراً يسيراً من الرجال فندم المسلمون على ما كان منهم وكان ما انعقد من صلح تدمير مع عبد العزيز على إتاوة يؤديها وجزية عن يدٍ يعطيها ، وذلك على سبع مدائن منها أوريولة ولقنت وبلانة وغيرها ، تاريخ فتحها سنة ٩٤ وقد تقدم هذا الكلام فى موضع آخر

وقد ورد ذكر قرطاجنة فى الروض المعطار لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى الذى جمعه سنة ٨٦٦ وذلك باسم « قرطاجنة الخلفاء » كما فى الطبعة التى طبعت بمصر بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بتصحيح الاستاذ المستشرق لافى بروفنسال ولا معنى للفظة «الخلفاء» هنا وانما هى « الحلفاء » بالحاء المهملة هذا النبات المعروف الذى يكثر هناك وقد كنا نظن أنه مجرَّد تصحيف ولكن تكرار اللفظة مع النقطة على الحاء جعلنا نعتقد أنها « الخلفاء » جمع خليفة وهو غلط هنا

ورأيت فى أحد شوارع مرسية صورة للعذراء مريم عليها السلام فلما وصلنا ومعى الدليل أمام هذه الصورة روى لى الدليل قصة تتعلق بهذه الصورة وهى أن النصارى كانوا استولوا على مرسية صلحاً كما هو مذكور فى التواريخ (هذا الصلح وقع بواسطة أحمد بن محمد بن هود قصد به حقن الدماء واجتناب خراب مرسية ودخلها النصارى ظهر الخميس ١٠ شوال سنة ٦٣٦) وكان هذا الصلح على شروط معينة مبيَّنة كما جرى فى غرناطة بعد ذلك بثلاثمائة سنة وكما جرى فى غرناطة أيضاً نقضها ملوك النصارى وقلبوا للمسلمين ظهر المجن . والخلاصة أن مرسية بعد استيلاء النصارى عليها صارت حارتين حارة للمسلمين وحارة للمسيحيين فوضع هؤلاء هذه الصورة فى حارة المسلمين وكان المسلمون اشترطوا للصلح حرمة شعائرهم الدينية فاعترضوا على وضع هذه الصورة فى حارتهم وذهبوا إلى الأمير النصرانى الذى فى البلدة وطلبوا اليه رفع الصورة من هنالك بحجة أنها مخالفة لشروط الصلح الذى وقع فماطلهم الأمير فى رفعها وفى أثناء ذلك توفى وقام مقامه ابنه فذهب المسلمون اليه يتقاضونه قلع هذه الصورة من حارتهم فأجابهم بأن عملاً لم يعمله والده لا يريد أن يعمله هو . فذهب المسلمون إلى أميرهم ولعله ابن هود الذى عن يده وقع الصلح فأجابهم أن هذه القصة لا تستحق أن نثير من أجلها شقاقاً . سمعت هذه القصة فى مرسية

ولا شك فى أن مرسية [1] كانت موجودة فى زمن الايبيريين ولكنها لم تكن

---

(١) ذكر ليفى بروفنسال من الكتابات التى وجدت فى مرسية ونواحيها كتابة على قبر فى قرية يقله Yecla من قرى مرسية وهى بعد البسملة : يا أيها الناس إن وعدالله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور توفى عمر بن ادريس ... يوم الثلاثة فى يومين من شهر جماد الأول الذى من سنة أحد وستين وثلاثة مئة

ظاهر من الكتابة أنها عامية تقريباً والبلاطة المكتوب عليها بسيطة ولكن الخط بالكوفى

وذكر كتابة قبرية أخرى وجدت فى أساس بيت كذلك بالكوفى ونصها بعد

شيئاً مذكوراً الا بعد فتح العرب للأندلس وكانت تابعة للخلافة فى قرطبة الى أن انحلّت الخلافة الأموية وصار الأمر الى ملوك الطوائف فمن ذلك العهد صارت تتبع تارة امارة المرية وطوراً امارة طليطلة وربما تبعت أشبيلية . وفى سنة ١١٧٢ المسيحية استولت عليها دولة الموحدين ثم صارت مركز امارة مستقلة فى زمن الأمير عبد الله العادل وذلك سنة ١٢٢٤ ولم يطل الأمر حتى استولى عليها النصارى بقيادة صاحب قشتالة الاذفونش فرديناند الثالث وكان ذلك سنة ١٢٤٣ ثم عاد المسلمون فأخرجوا النصارى منها ويقيت فى أيديهم ثلاثاً وعشرين سنة وعند ذلك زحف النصارى اليها بقيادة

البسملة : يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور هذا قبر أحمد ابن جناح توفى رحمه الله باقى لرجب اثنى عشر يوماً سنة سبع وخمسين وأربعة مائة كان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله

وذكر كتابة أخرى على قبر لم يعرف مكانه تاريخها سنة ٥٤٠ للهجرة والذى يقرأ منها هو ما يلى . . . . بن . . . . ون الازدى . . . . رحمه الله ليلة . . . . . لثلاث عشرة . . . . فى سنة . . . . . وأربعين و . . . . . . كان يشهد . . . . لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلّم

وذكر أيضاً كتابة على قبر سيدة من آل مردنيش الذين منهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن مردنيش ملك شرقى الأندلس وُجدت هذه الكتابة فى صومعة كنيسة « سانتا كتالينا » فى مرسية وهى محفوظة فى متحف مرسية العربى الذى زرناه بنفسنا والكتابة هى هذه . . . . . . ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير هذا قبر الحرّة الفاضلة بنت ذى الوزارتين القائد الأجل المجاهد أبى عثمان سعد بن مردنيش بن محمد توفيت . . . . . . سنة سبع وخمسين وخمسمائة

قال پروفنسال انه من المؤسف انحاء قسم من هذه الكتابة لأن القائد محمد بن

جاك الأول ملك أراغون وانتهى الأمر بدخولهم اياها صلحاً على شروط كما تقدم . وكان بناء العرب لمرسية فى زمن عبد الرحمن الثانى الأموى سنة ٢٠٩ للهجرة الموافقة ٨٢٤ للمسيح ثم ازدادت عمراناً وأصبحت من حواضر الأندلس فى زمن عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ففى أيامهما بنيت هذه السدود والحواجز التى بها جرى توزيع المياه على البساتين من جدولين كبيرين وتتشعب الجداول كلها من هذين الجدولين ولولا هذه الحواجز وهذه القنىّ لم تكن مرسية هذه الجنة العجيبة التى هى ما عليه الآن . وقد ذكروا لى أنه فى زمن استئثار « ريفيرا » بالأمر أى منذ عشر سنوات

مردنيش الذى بعد سقوط دولة المرابطين غلب على بلنسية ومرسية ووادى آش وغيرها وصار له ذكر عظيم كان المسيحيون يعرفونه باسم الملك لب Rey Lobo والسيدة المدفونة هى كريمة سعد بن مردنيش بن محمد فسعد يجب أن يكون اما والد الملك لب المذكور محمد بن سعد بن مردنيش أو جدّه . وكان هـذا الرجل قد قتل فى واقعة افراغة سنة ٥٢٨ للهجرة وفق سنة ١١٣٤ للمسيح وهى واقعة ظهر فيها المسلمون على النصارى . وفى هذه الكتابة التى على قبر هذه السيدة مذكور لقب ذى الوزارتين وهو لقب كان شائعاً فى الأندلس لذلك العهد . فاذا كان ذو الوزارتين المكتوب اسمه هنا أى سعد بن مردنيش بن محمد هو والد الملك أبى عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش فتكون المدفونة أخت الملك المذكور وقد كان له أيضاً اخوان أحدهما اسمه أبو الحجاج يوسف والثانى اسمه عبـد الله . وقد كان يظن أن مردنيش المحرّف عن الاسم الاسبانيولى Mardines أو Martinez هو اسم الجد الثالث للملك محمد بن مردنيش والحال انه ظهر من هذه الكتابة كون مردنيش هو والد سعد الذى هو والد الملك أبى عبد الله محمد بن سعد فتكون الكتابة مخالفة للمعروف إلى الآن من نسق ترتيب أجداد هذا الرجل . اه

قلنا ان المعروف فى تواريخ العرب ان نسب الملك أبى عبد الله محمد بن سعد صاحب شرق الأندلس هو هكذا : محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامى. قال لسان

أرسلت الحكومة من مجريط الى مرسية لجنة من المهندسين لأجل فحص قضية المياه وسدودها وأقنيتها لعل هذه اللجنة تلحظ شيئاً من الخلل لم يلحظه العرب فبعد أن طافت هـذه اللجنة فى تلك الأرض بالطول والعرض قررت أنه ليس بالامكان أبدع مما كان وانه حسب مرسية أن تحفظ نظام توزيع المياه كما كان فى زمن العرب . سمعت هذا من الاسبانيين أنفسهم

وأما الذة فواكه مرسية وكثرتها فهما مما يكلّ عن وصفه القلم فهى فى ذلك كدمشق وفيها كدمشق المشمش الذى لانظير له وهو يحفظ فى معامل حفظ الثمار ويصدّر الى

الدين بن الخطيب انه على يد والده سعد جرت الواقعة الكبرى بظاهر افراغة على ابن ردمير Alphonse le batailleur فجاءت الشهرة وعظمت الأثرة. قال بعضهم تولى أبوه سعد قيادة افراغة وما اليها وضبطها ونازله ابن ردمير فشهر عناؤه بها فى دفاعه وصبره على حصاره إلى أن هزمه الله عز وجل على يد ابن غانية وظهر بعد ذلك فحسن بلاؤه وبعد صيته ورأس ابنه محمد (أى الملك أبو عبد الله محمد بن سعد) ونفق فى الفتنة وكان بينه وبين ابن عياض المتأمر بمرسية صهر ولاه لأجله بلنسية . فلما توفى ابن عياض بادرها ابن سعد وبلغه أثناء طريقه غدر العدو بحصن حلاّل فكرّ اليه وفتحه وعاد فملك بلنسية وقد ارتفع له صيت شهير ثم دخلت مرسية فى أمره واستقام له الشرق وعظمت حاله . انتهى . بحسب كلام لسان الدين يكون والد الملك المذكور اسمه سعد ويكون جده اسمه محمد ويكون والد جده اسمه أحمد ويكون جد جده اسمه مردنيش والحال ان الكتابة التى على القبر تجعل بين والده سعد وجده محمد رجلا اسمه مردنيش وكتابة القبر المنقوشة على الحجر هى أصح من كتابة التواريخ لا سيا وقد وقع فيها الاختلاف فان ابن خلدون مثلا يقول عن هذا الملك انه محمد بن أحمد بن سعد بن مردنيش فقددخل هنا اسم آخر وهو أحمد . قال بروفنسال ليس لدينا ما نقدر أن نحكم به فى هذه المسئلة بعد أن تعارضت كتابة المؤرخين مع الكتابة المنقوشة على هذا القبر

ثم ذكر بروفنسال كتابة قبرية أخرى وجدت فى مرسية فى أثناء هدم دير قديم

الخارج وفيها البرتقال الجيد الكثير ومن أهم غلاتها الحرير فانه يخرج منها مليون كيلو من الفيالج وفيها تمر كثير فى بساتينها ومما شاهدته فيها معمل لهذا النبات المسمى بالفليفلاء وهو ذو لون أحمر ساطع يسحنونه فى هذا المعمل ويصدرون منه مقادير الى أميركا وغيرها وفيها نوع من العنب كالعنب الحلوانى المعروف فى دمشق

ولنبدأ الآن بتلخيص تاريخ مرسية فى زمن العرب الذى ألّفه « ضون فيلكس بونسواسبريان » المتقدم الذكر المطبوع سنة ١٨٤٥ فى المطبعة القومية بمدينة بالله (ميورقة) فانه تاريخ خاص بمرسية وجدنا فيه من التدقيقات ما لم نجده فى غيره فآثرنا تلخيصه فى هذا الكتاب نصحاً بالعلم وزيادة فى التحرى مع عزو النقل الى صاحب الكتاب والذين روى عنهم فان مقصدنا من الأول الى الآخر ايصال القارئ الى الحقائق ونشدان الروايات أنّى وجدناها لا لاظهار البراعة والاستطالة بسعة العلم وقد سبق لنا أننا أخرجنا تأليفاً فى غزوات العرب لفرنسة وسويسرة وايطالية وجزائر البحر المتوسط ولما كنا أول من أفرد هذا الموضوع بالتصنيف ولم يكن هناك كتاب

اسمه « سانتودومينكو » Santodomingo بمرسية وهذه الكتابة محفوظة فى المتحف الأثرى بمجريط وبالخط الكوفى والبلاطة من الرخام والمقروء منها هو هذا :

. . . . . ان وعد الله حق فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور هذا قبر ذى الوزارتين القائد الأجل أبو عمران موسى بن يحيى المدعو بابن الأزرق الفهرى توفى رحمة الله عليه ونضّر وجهه وقدس روحه وبرّد ضريحه فى نصف ليلة الأربعاء . . . . . من جمادى الا . . . . . .

سنة ست وستين وخمسمائة وهو تشهد . . . . رسوله أرسله بالهدى . . .

قال روڤنسال ان شهر جمادى الأولى وشهر جمادى الثانية من سنة ٥٦٦ توافق مابين عشرة يناير و ٩ مارس سنة ١١٧١ قال : قدتوصّلت إلى تحقيق شخصية المدفون هنا بواسطة كتابة للسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة عن ابن مردنيش بمناسبة ان ابن الأزرق المذكور هو من قواد ابن مردنيش وندمائه فى الشراب . اه . قلت نعم فى

عربي مستقل بذكر هذه الفتوحات التزمنا نقـل روايات الافرنج عن هذه الحوادث وأكثرنا من الأخذ عن تأليف المستشرق الافرنسي رينو Reinaud الذى سماه « غارات العرب على بروفنسا وسويسرة وبيـامون » فوجد من قال ان كتـابنا هذا لا يقال له تأليف وإنما هو ترجمة كتاب رينو المذكور ؟ ولقد كان من السهل علينـا أن نذكر ما ذكره رينو دون أن ننسب الروايات اليه ودون أن ننقل بالأمانة العلمية الواجبـــة ما أورده فى كتابه وكان على تلك الصورة يُعجب هذا النمط من القراء بتحقيقاتنا الاَّ أننا نحن فى واد واظهار البراعة والتزيُّد بالعلم فى واد وضالتنا المنشودة

أثناء ذكر لسان الدين لـكرم الأمير محمد بن سعد بن مردنيش ذكر فى الاحاطة أنه استدعى يوماً ابن الأزرق أحد قواده فشرب معه ومع القرابة فى مجلس قد كساه بأحمر الوشى والآنية من الفضة وغيرها وتمادى فى لهو وشراب عامة اليوم فلما كمل نهاره وهبهم الآنية وكل ما كان فى المجلس من الوشى وغير ذلك . اه

وذكر بروفنسال كتابة وجدت فى برج من الأبراج بمرسية وهى محفوظة اليوم عنـد الدكتور « فردريكو شابولى نافارو » Chabuli Navarro وهى ستة سطور بالخط النسخى الأندلسى وهى بعد البسملة والتصلية ما يلى : ارتفاع هذا البرج الغربى من المدينة خمسة وعشرون لوحاً بنى تحت تظر أبى . . . . . بن أبى محمد وانفق فيها فـا فضَلَ . . . . الساقية الجوفية فى مدة . . . .

قال بروفنسال ان هذه الـكتابة هى من الـكتابات المتأخرة يقرب أن تـكون فى العهد الذى استولى فيه فرديناند الثالث ملك قشتالة على مرسية أى سنه ١٢٤٣ وقال ان ارتفاع اللوح هو سبعون سنتيماً كما هو مصطلح عليه فى المغرب اليوم فيـكون علو البرج الذى وجدت فيه هذه الـكتابه ١٧ متراً ونصف متر . وذكر أيضاً كتابة وجدت فى الـكنيسة الـكبرى بمرسية وهـذه الـكتابة هى آية من القرآن الـكريم (الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)

الوحيدة هى احراز الحقيقة بجميع ما يمكن من الوسائل ولذلك عند ما اطلعنا على ذلك الانتقاد فى احدى جرائد العراق نشرنا تحت عنوان « دفع نقد » رداً هذا نصه:

الاعتراض على كتابنا غزوات العرب فى أوربة والبحر المتوسط هو غير وارد فاننا نحن لخصّنا كتاب المستشرق الافرنسى رينو قصداً وعمداً وكذلك كتاب المؤرخ الألمانى الدكتور فردينائد كلَر . وقد كان يمكننا أن نسرد التاريخ جاعلين ذلك من عندنا كما يفعل الكثيرون فى ما ينقلونه أو يترجمونه ولكننا توخينا عمداً الترجمة والاسناد الى مؤرخين أوربيين معروفين مع ذكر أسماء الكتب التى نقلوا عنها وأسماء الرواة الذين حضروا تلك الوقائع أو عاصروا الدهر الذى وقعت فيه وذلك حتى تزداد ثقة القراء فى هذه الروايات فان هذا الموضوع لمّا يطرقه أحد من كتّاب العرب. وهذا الكتاب الذى صنفّناه هو بكر فى بابه فان مؤرخى العرب لم يفردوا بالتأليف غير تواريخ الأندلس فأما تاريخ فتح العرب لجنوبى فرنسة وشمالى ايطالية وقسم من سويسرة وجزائر البحر المتوسط فلم يخصّص به تأليف قبل تأليفنا هذا فكنا نرى لأجل زيادة التوثيق وجوب نقل روايات الافرنج بعينها حتى لا يظن ظان أننا وضعنا من عند أنفسنا مآثر للعرب أو أننا بالغنا فيها . وزد على ذلك أن ناشئتنا مع الأسف مولعة بتصديق روايات الافرنج دون العرب واذا جاءت رواية عربية غير مقرونة بروايات أوربية ضعفت ثقتهم بها فلأجل معرفتنا هذه الحالة الروحية عندهم تعمّدنا فى هذا الكتاب النقل عن الأوربيين وعن المآخذ التى اعتمدوا عليها وعلّقنا على روايات من نقلنا عنهم حواشى يعرف قيمتها من له بصر بالتاريخ وهذه الحواشى أخذناها من بعض كتب العرب الذين جاءت هذه الوقائع فى تضاعيف سطورهم وطبّقناها على روايات مؤرخى الافرنج بحيث حصل اليقين بصحة تلك الروايات . إذاً ليس بصحيح أننا نحن لم يكن لنا فى الكتاب سوى الترجمة بل من قرأ الكتاب علم ما فيه من مقدمات وحواش وجمل معترضة وذيول هى كلها من قلمنا وليس ثمة تناقض بين ترجمتى لكلام رينو وكلّر وقولى فى المقدمة : « انى خصصت بهذا الموضوع كتاباً مستقلاً وجعلت هذا الكتاب أشبه بجزء من أجزاء كتابى الذى أنا مباشر تأليفه عن

الأندلس الخ » فأما كوننا نقلنا احدى الروايات المستغربة بدون أن نعلّق عليهاما ينقضها وانه كان الواجب أن نردّ قول ابن القوطية من أن طارق ابن زياد شوى لحم بعض أعدائه وأطعمه جنوده ليلقى الرعب فى قلوب الأعداء فالجواب عنه : ليس كل ماينقله الانسان يجب أن يرد عليه لا سيما إذا كان الرد معتمداً فيه على مجرّد العقل بينما التاريخ هو عبارة عن نقل ولا يرّد المؤرخون منه بدليل العقل سوى ما يبدو لهم مستحيلاً أو بالغاً من الغرابة ما يقرب من المستحيل وليست هذه المسألة من هذا البـاب والسلام انتهى

أما كتاب « ضون بونسوا سبيريان » فله مقدمة يقول المؤلف فيها ان احراق كتب العرب أنّى وجدت فى أسبـانية بأمر الكردينال شيمينـاس قد كان السبب فى الجهالة التى أحاطت بتاريخ العرب والاسلام عنـد الأسبانيين وقد تتبّع ديوان التفتيش المشهور كتب المسلمين بالاحراق والاتلاف باغراء أساقفة النصارى إلى الحد الذى أضر ضرراً فاحشاً بالصناعة والزراعة والمعارف والفنون مما كان خلّفه لنا العرب الحكماء العاملون على درجة عالية فجرى فى اسبانية بعد سقوط الدولة العربية ما جرى فيها بعـد سقوط الدولة الرومانية من التدنّى والانحطاط مع الفرق بأنه جاء بعد الرومان قبائل القوط العاتية الذين لاينتظر من مثلهم احياء المدنية وانه جاء بعد العرب النصارى الكاثوليكيون الذين يزعمون أنهم محبون للعلم وناشرون للأنوار . ثم قال ان بعض المؤرخين حاولوا الاستقاء من منابع العرب فكان يحول بينهم وبين علوم العرب الحجر الواقع من قبـل أخبار الكنيسة . والمؤرخ الوحيد المعاصر للعرب وهو « أزيدور الباجى »Isidore de Beja لم يكتب من التاريخ مايتجاوز سنة ٧٥٤ (للمسيح) وجاء بعده المسمى « بالسلمانتيسنس»Salmanticenese الذى أراد أن يكمل تاريخ الباجى فلم يتجاوز سنة ٨٨٦ ثم جاء الراهب فاجيلا Vegila فوصل إلى سـنة ٩٧٥ ثم جاء سامبيرو Sampiro الاستورى فوصل إلى سنة ٩٨٢ ثم جاء المؤرخ » اوفيدوبيلاج » Oviedo Pelage فوصل بالتاريخ إلى

سنة ١١٠٩ ولم تكن كتابات هؤلاء المصنفين الأربعة إلاّ مجرّد تقييد وقائع .
ثم جاءت تقييدات قلعة أيوب فوصلت إلى سنة ١١١٩ وبعدها قيود شنت ياقب
فبلغت سنة ١٢٤٨ ثم قيود طليطلة فبلغت سنة ١٢٩٠ وكلها كانت على النمط الذى
تكلمنا عليه ثم ان « رُويز غيمينار » Ruiz Gimenez رئيس أساقفة طليطلة
كتب تاريخاً لعرب اسبانية باللاتيني ولكنه كان بغاية الاختصار . وكذلك المؤرخ
العربي الرازى الذى ترجمه « جيل بيريز » Gil Perez كان أيضاً قاصراً جداً
وما ورد سوى ذلك من التواريخ يتضمن حكايات خرافية كثيرة . فلما جاء
« كاسيرى » Cassiri وحاول كتابة تاريخ العرب فى اسبانية كان هو المؤرخ
الأول الذى عوّل على الكتب العربية التى كان قد بقى منها شئ فى خزانة الاسكوريال.
وجاء من بعده « انطيونيو كوندى » Conde فرقى فى معرفة التاريخ العربى عدة
درجات وكسب شهرة واسعة . ثم ذكر المؤلف الوثائق التى عوّل عليها فى كتابة
تاريخ مرسية فقال انه اعتمد على جغرافية الشريف الادريسى وكتاب الزراعة[١] لابن
الأبان Ebn El Aban الذى ترجمه بانكيرى Banqueri وكُتب كسيرى
وتاريخ «ماسدو» Masdeu وتاريخ مرسية المنسوب الى « كاسكاليس» Cascales
وتاريخ « دولوزانو » de Lozano والكتاب المسمّى « بأوامر غرناطة » تأليف
«دوهيتا» de Hita و«حياة القديس فريد نياند» تأليف « كاستر » de Castro

ثم أورد صاحب هذا الكتاب تاريخ مرسية أسماء البلاد والأماكن فجعل لها
جدولاً مشتملاً على ثلاثة حقول الأول يشتمل على الأسماء كما كان يتلفظ بها الرومانيون
والحقل الثانى يشتمل على الأسماء كما كان ينطق بها العرب والثالث على الأسماء كما
ينطق بها الاسبانيون وهى هذه :

(١) الذى نعرفه من كتب الزراعة المشهورة من تآليف عرب الأندلس هو كتاب
الفلاحة فى الأرضين لأبى زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام وهو مترجم للافرنسية

الأسماء الرومانية	الأسماء بالعربية	الأسماء بالاسبانيولية
ارسيلازيس Arcilasis	مرسية مرسية مرسية (بالاماله)	Murcia مورسيا
Askayato اسكياتو	Cantara القنطرة	الكنترية Alcantarilla
Libralla ليبراله	Librela ليبراله	Lebrilla ليبريلة
أيضاً	Alhama الحامه	Alama آلآمه
أيضاً	Tutana توتانه	Totana توتانه
Eliocrata اليوكراتا	Lurcat لورقه	Lorca لوركا
Sogana سوغانا	Sohana صوحانه	بلايابورتوس Playa-Portus
Port Man بورتمان	Portoman بورتمان	سان جينيس San Gines
Tadmir تادمير	قارة بارقه Cara – Vaca	Carabaca كارا باكا
أيضاً	جنجالى (بالاماله) Ghenghalet	Chinchilla شنشيلاً
أيضاً	Angebala أنجباله	Abanilla أبانيلا
أيضاً	ألونه صانت Alona – Sant	غواردامار Guardamar
الونه أولوصنتم Alona olucentum	Alacant القنت	Alicante اليكنت
Accis اكسيس	وادى آش Guad – Aix	Guadix غواديس
أيضاً	Ben ataf ابن عطاف	Benatea بناتيا

الأسماء الرومانية	الاسماء بالعربية	الاسماء بالاسبانيولية
أيضاً	شجانه Chadjena (هذا الاسم محرف هنا)	كارابا كا Carabaca
»	برجيله Vergilat	(كالعربى)
جيزن Gesen	ياسن ـ لبيت Gasen _ Lebit	يَست Yeste
تيبونا Taibona	طيبيلة Taibilla (طيباله مع الامالة)	نربيو Nerpio
برغولا Bergula	الزَرَب (؟) Azarab	مورتلاً Mortalla
فيكاريا Ficaria	الماصروف Almazarrov	مازرون Mazarron
برغولا أيضاً	سقاطين Zakatin	زكاتين Zacatin
أيضاً	قاجباروه Gaschbarro	كالاسبارا Calasparra
سجيزا Segisa	سجن (؟) Sehegin	سهيجين Cehegin
» »	بلكور Balkur	بولاس Bullas
» »	الكور AlKor	كوى Coy
» »	زيتُه Zethu	أوسيت Ocete
» »	الغوشارى Elcucharet	أوجوس لوشينا Ojis de Luchena
موان Muan	مولات Mulat	مولا Mula
» »	ياكات Yakat	بليكو Pliego
سبتى Cepti	زَبيت Zebit	ساتى Ceuti
» »	المنصوره Almanzora	دولوركى de Lorqui

الاسماء الرومانية	الاسماء بالعربية	الأسماء بالاسبانيولية
Cepti سبتى	Valschid بلشيد	Belchid بلشيد
«	Hemad حماد	كاستيلو Castilo y pueblo de Murcia أى بابلو دو مرسيه
«	بنى حسن Beni Hazan	Beniajan بنياجان
«	سانت عميرة Saat _ omera	سانتو ميرا Santomera
«	Lecant لقنت	deMurcia دومرسيه
«	Berts بارتس	Bigastro بيكاسترو
«	بنى على أوعلا Beni-Eli o' Alé	Beniel بنيل
«	Bacats بقتس	Alquerias الكرياس
«	Adzenet الذنية	Zeneta زاناتا
«	سانت عارن Sant-Aren	رّيا اى بابلا Raya y Puebla
«	Sallent سلنت	de Murcia دومرسية
Aaeo آ آيو	Alalahet علالاهت	Aledo اليدو
«	Elibat اليبات	Jiquena جيكينا
«	Albet البيت	Albudeite البوديت
«	Alponti البونتى	Quidpar كيدبار
«	Forgiolieti فرغليط	de Segura دوسكورا
Ota أوتا	Alzet الست	دو اوريولا deOriheula

الأسماء الرومانية	الأسماء بالعربية	الأسماء بالاسبانيولية
Murgis مورجيس	Mnrga مورقه	Morata موراتا
Tebar تيبار	Tebaa تباعه	كامبوتيبار Campo Tebar
« «	Giomala جومالة	Villanueva فيلانوفا
Turbula توربيلا	Tibala تبالة	Tobarra توبارًّا
«	Albatana البطانة	de Ontur دوانتور
Gemina جيمينا Coimbra كوامبرا	جيمينالة Gheminalet Jumillat جوميلّة	Jumilla جوميله
Saltici سالتيسى	Cinxela شنجالة	Chinchilla شنشيلا
Putea بوتيا	Cinxela شنجاله	بوزولورنت Pozolorente
فالابونكا Valeponga	Walonxa والونشة	فالديكانكا Valdeganga
كارتاكونوفا Cartago Nova	قرطاجنة Carthagent	Cartagena كارتاجنا
Morus موروس	كمبوجارة Campòjara	أيضاً
Vrcu أورسى	Acle آقلة	اكسيلاس Aguilas فيلاريكوس Villaricos
Arcila أرسيلا	Arxilla أرشيله	Archena ارشينا
Bugarra بوكارًّا	Alcaudete الكدية	Caudat كودات
Auriola أوريولا	Auriolet أوريولة	Ayora آيورا

الأسماء بالاسبانيولية		الأسماء بالعربية		الاسماء الرومانية	
Orihuela	أوريولا	Oriola	أوريوله	Orcelis	أورسليس
Almansa	المنصا	Meca	ميكه		«
Alpera	البيرا	Biar	بيار	Apiarium	ابياريوم
Vilena	بيلينا	Veliaria	بلياريه	tubbulla	توبولا
de Villena	دوبيلينا		أيضا	Vacasora	فكاسورا
Sax	ساكس	Saxona	ساكسونه	Salaria	سالاريا
Albacete	البسيط	Abasit	البسيط	Abula	ابولا
Iso	ايزو	Isso	ايسّو	Asso	أسّو
Hellin	هلين	Felin	فلين	Illunum	ايلونوم
Elcarche	الكارش	Carca	كركه	Kaska	كاسكا
Fuente Alamo	فونت الامو		أيضا	Mainieton	مانيتون
Cingla	سنكلا	Singla	شنكله	Gingela	جنجالا
	أيضاً	Albatana	البطانة	Elotana	ايلوتانا
Junilla	دو جونيلا	Raxa	ركشه	«	«
	أيضاً	Roman	رومان	«	«
Yecla	يكلا	Takla	تقله	Yeklazo	ايكلازو
	أيضاً	Arabi	عربى	«	«
Ferez	فريز	Afred	افرد	«	«
Lietoer	لاتور		أيضا	Munda	موندا

الاسماء الرومانية	الأسماء بالعربية	الأسماء بالاسبانيولية
كاستروم التوم Castrum Altum	Xecura شقوره	Sequra سيكورا
«	Quntar قنطار	deYeste دويست
Illici ايليسى	Helch الش	الش الشاره Elche de la Sierra
Catina كاتينا	zieza زيزه	Cieza سيزا
Ascul اسكول	Coa كوا	كمبو كوى Campo Coy
Illorciş ايلّورسيز	Lorki لورقه	Lorqui لوركى
« «	Mola موله	Molina مولينا
« «	وادروقوت Guab - Rocot	Ricote ريكوت
مون اكوئوس Mons Acutus	مونتاكوت Montacut	مونتاكادو Montiagudo
« «	Monovar مونوبار	أيضاً
« «	Almoradi المرادى	»
Abdera ابديرا	Almeria المريه	»
« «	Algucer الشقر	»
« «	Albater البآتر	Albaterra الباتيرّا
Abdera ابديرا	ابن رزين	البرّاسين Albarracin
« «	Algelab الغلاب	Algezares الجزارس
« «	المـدور Almodovar	أيضا

هذا هو الجدول الذى يقابل فيه المؤلف بين الأسماء القديمة والأسماء التى كانت معروفة عند العرب والأسماء التى كانت معروفة عند الأسبان وقد لحظنا ان فيها محلاً للاعتراض فى بعض أماكن وذلك انه كان العرب يقولون «لشنت مرية ابن رزين» «السهلة» يقولون «سهلة ابن رزين» وكان الاسبانيون يقولون لهذا المكان نفسه «البرّاسين» ولا يزالون يقولون ذلك الى اليوم. ومؤلف هـذا الـكتاب يجعل « البرّاسين » هى اللفظة التى كان يقولها العرب وكذلك اسم « شنجالة » أو « جنجالة » فقد كان العرب يلفظونها بالجيم أو بالشين وقد كتبها المؤلف بالشين وغير ذلك

وجاء بعد ذلك تعليله لاسم « مرسية » فقال — وقد أصاب — ان هذه اللفظة هى لفظة يونانية Murtia معناها الآس وهو هـذه الشجيرة التى كانت عند الأقدمين منسوبة الى الزهرة. وكون الآس يقال له عند اليونان « مورسيا » أو « مورتيا » قاله مؤلف هـذا الـكتاب ثم رأيت فى « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » للامام السيوطى ص ٢٩٠ من الجزء الثانى من الطبعة المصرية التى تاريخها سنة ١٢٩٩ نقلاً عن كتاب مباهج العبر : اليونان تسمى الآس « مرسينا » وتسميه العامة « المرسين » اهـ . وقد سألت بعض أدباء الأتراك عن اشتقاق اسم مدينة مرسين فى ولاية أضنة التى يقال لها «قيليقية» فقالوا لى انه مكان كان يكثر فيه شجر الآس وهو المرسين فمنه جاء اسم هذه البلدة . ثم ان صاحب هذا التأليف تاريخ مرسية قال انه لما فتح المسلمون اسبانية كانت مرسية قاعدة الولاية المسماة « تدميرة » وان العرب اصطلحوا على تسمية هذه الولاية بتدمير تسمية لها باسم تدمر التى كانت من حواضر سورية

والذى نعلمه انهم سموا ناحية أوريولة أو أوريوالة بتدمير اسم الأمير الذى كان يليها عند ما جاء العرب وكانوا يقولون لها تارة أوريولة وتارة أوريوالة وأحياناً تُدمير بضم أول الاسم وربما لفظوها بالفتح . ثم قال المؤلف : ان هذه الولاية كانت تشتمل على ست مدن مرسية وأوريولة وقرطاجبة ولورقة ومولة وانجبالة وكان فيها عدة قصبات وقرى ومرافئ بحرية وحصون وقلاع وكانت مرسية واقعة فى سهل أفيح

على ضفة نهر يقال له « تادر » Tader وكان يحيط بها سور من زمن الرومانيين ثم تداعى إلى الخراب فى زمن القوط . وكان لمرسية حصن رومانى يقال له « مونتى غودو » فسماه العرب « مونتاقوت » وأما الأمير تدمير فهو تدمير بن غبدوش Tadmir ben Gabdos من بقايا ملوك القوط وهو الذى خلف الملك لذريق آخر ملوك القوط فى اسبانية . ثم انه لما استولى العرب على مرسية أداروا عليها سوراً منيعاً ذا أبراج وكان لمرسية فى زمانهم باب يقال له باب « افريقية » وهو الباب الذى بقرب الجسر الحاضر . وكان السور يمتد من هذا الباب إلى الشرق إلى الباب الآخر المسمّى « بالقبلة » أو « بيب[1] المؤمن » الذى كان بقرب التياتر الحالى وبين هذين البابين كان القصر المسمّى « بالنعاير » Naair الذى كان يقيم فيه ولاة العرب وملوكهم وكان السور من باب القبلة إلى الشرق يمتد إلى باب أوريولة وكان هذا فى الساحة المنسوبة إلى القديسة « أولاليه » ثم يتوجه السور من هناك نحو الشمال

---

(١) مراراً ذكرنا أن أهل الأندلس كانوا يلفظون بالأمالة فيقولون للباب بيب هذه إمالة أتوابها من الشام وفى بعض بقاع الشام مثل بعلبك يقولون للباب بيب سمعت ذلك بأذنى فلذلك كان أهل طليطلة عندهم الباب المسمّى « بيب المردوم » وفى قرطبة جملة أبواب كان يقال للواحد منها بيب ولكنى لم أحفظ أسماءها غيباً وربما أراجع الكتب فأذكرها عند الوصول إلى مبحث قرطبة . ومثل ذلك أبواب اشبيلية وغرناطة وقد كنت أجلس بغرناطة فى ساحة يقال لها « بيب الرملة » وكان اللفظ بالامالة فى أكثر كلمات الأندلسيين فيقولون « للحَكَم » أمير قرطبة فى عصره « الحَكِم » بكسر وسطه ويقولو لعثمان « عثمين » ويقولون لبنى آدَم بفتح آدَم « بنو آدِم » بكسر الدال ويلفظون « غداً » بكسر آخره فيقولون « غدى » كما نقول نحن فى بعض أنحاء سورية ويقولون « نِفس » بكسر أوله ويقولون « بلا شِك » بكسر أول الشك ويقولون « عقب النفيس » أى « عقب النفاس » ويقول « عرق المعقِّد » أى « المعقَّد » وهلم جرّا

فالغرب حتى يصل إلى مكان الكنيسة التى يقال لها اليوم كنيسة الرحمة . وكان على أبواب السوق بيت محصّن يقولون له «دار الصغير» وباب صغير يسمّى «ابن عمادى» ومن هذه النقطة كان السور يمتد الى شارع « بورسل » Porcel حيث كان الباب المسمى بالكوفية ثم ينعطف السور نحو الجنوب إلى باب شقورة الذى يطابق اليوم الباب المسمى «باب بيلار» Pilar ثم ان السور يعود إلى الشرق فيتصل بالقصبة المسماة « بالقصر الكبير» Alcazar Quivir وهو المقر المعتاد لملوك العرب فى مرسية واعتماد هذا القصر على باب « افريقية » .

وكانت المياه تدافع عن السور فمن جهتى الجنوب والشرق كان السورّ على ضفة نهر شقورة الذى يقول له العرب « وادى الأبيض » Guadalabiad وأما من جهتى الشمال والغرب فقد كان العرب احتفروا خندقاً أجروا فيه المياه ولا يزال هذا الخندق الى يومنا هذا والأهالى تسميه « بالوال » (أظنه محرفا عن الواد) وهذا الخندق تنحدر اليه مياه الامطار . وكان الوادى الأبيض عليه جسر من الخشب والمظنون أن العرب وجدوا على النهر جسراً رومانياً خرباً وكان هذا الجسر الرومانى من الحجر وكان فى مرسية مبانٍ فاخرة شامخة أشرفها القصر الكبير والمسجد الأعظم الذى كان فى الساحة المسماة اليوم « بساحة كادناس » Cadenas . وكان باب افريقا يشرع على سكة قرطاجنة وسكة لورقة وأما طرق « زينية وبنى ايل وبنى حسن » فكانت تنتهى الى بيب المؤمن . وطريق أوريولة كانت تنتهى عند باب أوريولة . وكان يقال له أيضاً «بالنطولة» Valentola وأما طرق « مونتاقوط والإعراش» Alarach فكانت تؤدى الى « ابن عمادى » وأما طرق الأندلس الجنوبية فكانت هى وطريق « قنطرة اسقيه » Askeya وهى البلدة المعروفة الآن «بالقنطرية» Alcantarilla تنتهى بباب شقورة كما أن طريق قشتالة كانت تؤدى الى باب الكوفية

هذا وبعد سنوات لا غير من استيلاء العرب على قطر تدميرة صيَّر العرب مدينة مرسية وضواحيها جنة غنَّاء فبنوا مبانى محكمة بهندسة دقيقة فى ساحات مرسية التى كان طولها ستة عشر ميلاً وعرضها أربعة أميال . وكانت معارف العرب السامية

ولا سيما خبرتهم الزائدة فى الزراعة قد صيرت ذلك الوادى من أبدع ما يكون لأجل خير الانسانية

وكان القوط فى نواحى قنطرة الاسقية قد استخدموا مضيقاً بين جبلين يخرج منه بهدير عظيم النهر الهدار الذى يقال له « تادر » وكان صالحاً لسير الزوارق الى ذلك المضيق فالعرب اختاروا هذا المضيق لحصر مياه النهر الأبيض وشقوا منه أقنية وجداول وزعوا مياهها على الأرضين فأحيوها جميعاً وأسعدوا بها تلك البلاد . قال بنكيرى Banqueri انهم ثقبوا الجبال لأجل امرار المياه منها وكان يوجد محل يقال له قنطرة « بردة » تتوزع منه القنى العديدة التى كانت تشرب منها ضواحى بلنسية

وفى الفصل الأول من هذا الكتاب أطلس جغرافى لمدينة بلنسية نشره القس « جوان لوزانو » فى كتابه المسمى[1]

Batistania y Contestania del Remo de Murcia

وأما الفصل الثانى من هذا الكتاب فهو يتعلق بتدمير ملك مرسية الذى يقول المؤلف ان اسمه تدمير Tadmir أى بفتح أوله أو توديمار Teudimire أحد سلالة ملوك القوط ومن أقارب المسكين الملك لذريق الذى ختمت به دولة القوط فى واقعة وادى لكة . وكان تدمير قائداً من قواد لذريق وقبل ذلك كان والياً على بلاد مرسية فى أيام فيتيشة Viticha وايجيره Egira فلما وقعت واقعة وادى لكة وانهزم فيها الجيش الأسبانى رجع تدمير بعساكره والجنود التى لم تشأ أن تفر الى بلاد استوريش فى الشمال أقام فى تدمير مركز ولايته

فلما أكمل عبد العزيز بن موسى بن نصير فتح الأندلس أى الولايات الجنوبية من اسبانية توجه لفتح ولاية تدمير فأخذ تدمير يناوش العرب القتال فنهد اليه عبد العزيز من جهة لورقة وقائد عربى آخر اسمه حبيب من الجهة الثانية فتقهقر تدمير الى مرسية

---

(١) ان شاعراً اسبانولياً من رجال القرن الثامن عشر كان يقال له « كريستوبال لوزانو » وضع كتابا على فتح العرب لاسبانية بهذا الاسم

ولما رأى نفسه غير قادر على الثبات فى مرسية تحول الى أوريولة لمنعة حصونها وقرب الجبال منها . فزحف عبد العزيز الى مرسية ومنها قصد الى تدمير فى أوريولة فحاصره وضيق عليه الخناق فدافع تدمير دفاعاً شديداً الى أن وهنت قوته . فأرسل الى عبد العزيز يطلب الصلح فتم التراضى على الصلح بموجب الكتاب الذى تقدم نشر صورته العربية نقلا عن بغية الملتمس ونشر ترجمته عند الكلام على مدينة أوريولة فلا لزوم لاعادة ذلك . ثم يقول المؤرخ سيبريان انه بعد فتح عبد العزيز بن موسى لمرسية بسنتين تنصّر [١] فقتل سنة ٧١٦ المسيحية . ثم بعد موت عبد العزيز آلت امارة العرب فى مرسية الى حبيب الفهرى الذى أعلن الحرب استئنافاً على الملك تدمير فطالبه هذا بالعهد المنعقد بينه وبين عبد العزيز فلم يقتنع فذهب تدمير الى دمشق يشكو أمره الى الخليفة فأعطاه الخليفة الحق وبقى ملكاً مدة ثلاثين سنة ومات سنة ٧٤٣ للمسيح وكان فصيح اللسان عارفا بالكتب المقدسة محترما حتى عند المسلمين وكان قد انتقل من مرسية الى بلدة « قاراباقة » وجعلها مركزه

---

(١) المعروف فى كتب العرب أن عبد العزيز لم يتنصّر وانما تزوج زوجة الملك لذريق التى أخذت من يده بلاد الأندلس وكانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح وتكنّت بأم عاصم وأقامت على دينها فى ظل نعمتها إلى أن نكحها الأمير عبد العزيز فحظيت عنده ويقال انه سكن بها فى كنيسة باشبيلية وانها قالت له لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد للذريق أهل مملكته ؟ فقال لها : ان هذا حرام فى ديننا . فلم تقنع منه بذلك وفهم لكثرة شغفه بها أن عدم ذلك مما يزرى بقدره عندها فاتخذ باباً صغيراً قبالة مجلسه يدخل عليه الناس منه فيضطرون الى الانحناء من صغر الباب فأفهمها أن ذلك الفعل منهم تحية له فرضيت بذلك فنمى الخبر إلى الجند مع ما انضم الى ذلك من دسيسة سليمان بن عبد الملك لهم فى قتل عبد العزيز فقتلوه سامحه الله تعالى انتهى ملخصا عن النفح . وفى كتاب « أخبار مجموعة » على هذه الواقعة ما يلى : ان عبد العزيز تزوج امرأة لذريق وكان يقال لها أم عاصم فهمّ بها فقالت له : ان الملوك إذا لم يتتوجوا فلا ملك لهم فهل أعمل لك مما بقى عندى من الجواهر والذهب

وفى الفصل الثالث يذكر الملك «اتاناهيلد» Atanahailde الذى خلف تدمير فقال انه كان أقرب الناس نسباً إلى الملك المتوفى فلذلك صار خلفاً له وأقام بمدينة قاراباقة فجاعة حبيب الفهرى أمير العرب هناك لم يريدوا العمل بمعاهدة تدمير وجرت فتنة فى مرسية كان فيها النصارى الذين تهودوا أشد الناس شغباً وأن أحد زعمائهم المسمّى جيزان أبو الايثار Jesan Abu El Iithar تولى كبرهذه الثورة فطرده اتاناهيلد فالتجأ بجماعته الى مرسية واستقروا بها وخربت مرسية بتلك الفتنة التى استمرت عشر سنوات الى أن حضر عبد الرحمن الأول من الشام فدخل الأندلس ووجد ما وجد من الشقاق بين أصحاب الملك اتاناهيلد وأصحاب يوسف الفهرى

وفى زمن يوسف هذا ضرب العرب السكة فى أسبانية وكان درهم الفضة مكتوباً عليه بالاسبانيولى هذه العبارة : بسم الله هذا الدرهم ضُرب بالأندلس . وقد بقيت الفتنة فى بلاد تدمير تشتد الى أن الملك القوطى اتاناهيلد ومن بقى معه هجروا أوطانهم والتجأوا الى جبال استوريش وليون ومات اتانا هيلد سنة ٧٥٥ فخلفه الملك بيلاى Pléage الذى تلقّب بأمير أسبانية

وتولى عبد الله بن عبد الرحمن مملكة قاراباقة كما أن زهيراً ملك المرية استولى على مرسية

تاجاً ؟ فقال لها ليس هذا فى ديننا . فقالت له : من أين يعرف أهل دينك ماأنت عليه فى خلوتك ؟ فلم تزل به حتى فعل . فبينما هو يوماً جالس معها والتاج عليه اذ دخلت امرأة كان قد تزوجها زياد بن النابغة التميمى من بنات ملوكهم فرأته والتاج على رأسه فقالت لزياد : ألا أعمل لك تاجاً ؟ فقال : ليس فى ديننا استحلال لباسه فقالت : فودين المسيح انه لعلى امامكم . فأعلم بذلك زياد حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع ثم تحدثا به حتى علمه خيار الجند فلم تكن له همة الا كشف ذلك حتى رأوه عياناً ورآه أهله صدقاً فقالوا : تنصر ثم هجموا عليه فقتلوه فى عقب سنة ٩٨

وفى الفصل الرابع ذكر المؤلف أن الحسين بن ظهار أحد ولاة مرسية عند ما سكنت الفتنة فى قرطبة سنة ٧٤٣ صرف همته الى اتقان الزراعة وفى أيامه جاء عرب كثيرون من أرباب الخبرة التامة بمهارة الأرض فاستقروا بمرسية وتقاسموا فيما بينهم المرج الخصيب الذى على ضفاف وادى الأبيض . وجاء أيضاً كثير من سراة العرب ونزلوا بمرسية وبنوا فيها القصور العالية وأخذت هذه البلدة مع ضواحيها ترقى فى سلم الحضارة فكانت السكنى فى تلك الجنة من أعظم رغائب العرب . وكان الحسين المذكور يستقدم الى بلده أقدم الناس على العمل فى الأرض فسعدت بهم تلك البلاد الاّ أنها لم تكن تخلو فى الأحايين من الفتن . وفى سنة ٧٨٥ ثار أحد أولاد يوسف الفهرى وأثار أهل مرسية على عبد الرحمن الأول ملك قرطبة فاضطر هذا أن يزحف الى مرسية وخيّم فى القنطريّة وأخذ ينصح للثائرين بالسكون ويستعمل الحكمة الى أن تمكن من ادخالهم فى الطاعة دون سفك دم فدخل الى مرسية وقد اجتمعت عليه الكلمة فبقى فى المدينة مدة من الزمن حتى وطّد الراحة فيها ثم عاد الى قرطبة حيث مات فى ٣٠ سبتمبر سنة ٧٨٨ وقد ترحّم عليه جميع سكان الأندلس لا سيا أهل مرسية وكان وزيره رجلاً اسمه الحسن بن مالك الدمشقى (؟)

وفى الفصل الخامس يذكر أن السلام استقر فى مرسية الى سنة ٨٠٠ اذ نشبت هناك وقائع دموية فى غاية الشدة . وتحرير الخبر أنه بعد وفاة الملك هشام بن عبد الرحمن الداخل قام بالأمر ابنه الحكم فثار اثنان من أعمامه سليمان وعبد الله وطلبا الملك وقاتلاه ثم انحاشا الى نواحى بلنسية واعصوصب حولهما عدد كثير فزحف الحكم اليهما وتلاقى الفريقان فى مرسية فاعتصم سليمان وعبد الله بالبلدة الاّ أن الحكم وكان شديد البأس حازماً صارماً تغلّب عليهما وقُتل سليمان فى المعركة وانهزم عبد الله شريداً ودخل الحكم مرسية وأمّر عليها قائداً من خواصه اسمه « فضلُه بن عميسة » وكنيته أبو فلتة [1]

(١) فى الأصل الاسبانيولى الاسم مكتوب هكذا :
Fadlo ben Amiza Abou Falta

الذى توفى فى سنة ٨١٣ فأقام الحكم ابن هذا القائد مقام أبيه أميراً على مرسية أما عبد الله عم الحكم فانه عاد فخضع لابن أخيه وأقطعه هذا تدمير . وقد جاء فى حاشية هذا الفصل أن الملك الحكم ضرب السكة باسمه وكان مكتوباً عليها : لا اله الا الله وحده لا شريك له . بسم الله ضُرب هذا الدرهم فى مدينة الزهراء سنة ٣٥٢ الأمير الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين . انتهى كلامه

قلنا ان الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الذى تغلّب على عميه سليمان وعبد الله هو غير الحكم المستنصر الذى ضربت باسمه السكة المذكورة فان الحكم الأول لم تكن فى زمانه بُنيت الزهراء وكان عهده من سنة ١٨٠ للهجرة الى سنة ٢٠٦ فالذى ضرب هذه السكة هو الحكم الثانى الملقب بالمستنصر ابن الخليفة عبد الرحمن الناصر وقد كانت وفاته سنة ٣٦٦

ثم يقول فى هذا الفصل ان الصلح الذى وقع بين الحكم وعمه عبد الله كان برداً سلاماً على مرسية فازداد عمرانها وكثر سكانها وفى تلك الأيام بنيت القُنىّ والسدود وجرى توزيع المياه على الأرضين ولا يزال ذلك على ما هو عليه من ذلك العهد

وفى الفصل السادس تكلم صاحب هذا الكتاب على موت الحكم وقيام ابنه عبد الرحمن الثانى بالامارة مقامه وكان عبد الله السارّ الذكر عم الحكم أميراً على مرسية فأراد الانتقاض على الملك الجديد ابن أخيه فزحف عبد الرحمن الى مرسية لقتال عبد الله وتأهب هذا لملاقاته وقبل أن تقع المعركة ابتهل عبد الله الى السماء قائلاً : تعلم يارب ما عندى من كراهية أهوال الحرب وانما أنا أريد انفاذ مشيئتك فانصرنى فى القتال ان كان حتى فى الملك أرجح من حق ابن أخى وأما اذا كان ابن أخى هو الأحق فلا تجعل على يدىّ أيها الرحمن الرحيم سفك دماء اخوانى

وما أنهى هذه الكلمات حتى ثارت عاصفة شديدة قلبته عن ظهر جواده وأصابه سكات فاحتمله قواد جيشه الى القصر وأغلقوا أبواب المدينة فجاء عبد الرحمن وحصر المدينة ولم يزد شيئاً على حصارها فمضت أربعة أيام فأفاق الأمير عبد الله وعادت اليه

قوة الكلام فأعلن أصحابه أن الله تعالى لا يريد هذه الحرب وأنه معترف بامارة عبد الرحمن فوقع الصلح بين الاثنين وأقر عبد الرحمن عمه عبد الله على امارة تدمير وما أريق فى هذه الواقعة ولا نقطة دم . وعاد الأمير عبد الرحمن الى قرطبة بجيشه فائزاً سالماً وعاش الأمير عبد الله بعد ذلك مدة سنتين اذ كانت وفاته فى « قراباكا » سنة ٨٢٣

وفى الفصل السابع ذكر المؤلف ازدهار غوطة مرسية مدة ثمانين سنة متوالية وذلك بعمل المسيحيين الذين كان اتانايلد نفاهم من قراباكه سنة ٧٤٥ والمغاربة المسلمين الذين جاء بهم حسام بن ظهار من قرطبة وهم الذين جاء بهم الأمير عبدالله وقد وصلت الينا بالتواتر أسماء الزراع الأولين الذين حوّلوا ذلك الوادى الى جنان وفراديس وشقّوا الجداول وبنوا القرى والدساكر فعرفت بهم وخلّدت أسماءهم من ذلك فى ناحيـــة الجنوب المسماة بالقبلة Alkibla منجلاقو Menjalaco وبنى ابطه BeniAbta وبنى علال BeniAlel والفوز Alfoz والبلاط Albalate والمهاجر Almohajar وبنى منيت BeniManete والبادل IlBadel والقاتل Alcatel وبنى قوتو Beni Coto وبنى كومال Beni Combal وبنى هشام BeniHaxam والقوّازة Alguaza ورميه Rumia والفند Alfande والحرثة Alhartta وبنى عزور Beni Azor وبنى ايل Beni Ehl والزنيت Azenete هذا من جهة الجنوب . وأما من الجهة الأخرى من النهر أى ناحيته الجوفيّة [١] فيوجد شبّوط Xaibote والفتيقو Alfatego والنجار Alnajar والبطالتة Albatalta وزرايع Zaraich والساقل Alzaquiel والجدا Aljada وبنى بطروش beni Potroix والابراج Alabrache وبنى توزر Beni Tuzer وبنى افيار beni Afiar وبنى منجى beni Monji وبنى زابل beni Zabel والفندارن [٢] Alfandarin

(١) أى الناحية الشمالية وقد تقدم فى هذا الكتاب أن الأندلسيين والمغاربة يسمون الشمال جوفاً وقد بسطنا آراء اللغويين المعاصرين فى هذه المسئلة

(٢) هذه الاسماء وضعناها كما وجدناها فى الكتاب الاسبانيولى ولم نستطع تحقيقها

هذا وبالرغم من كثرة الحروب والفتن التى كانت تتوالى عـلى اسبانية كان أهل مرسية يتمتعون من السلام بما يمكنهم من المضى فى عمرانهم الزراعى وايصال الفلاحة وتوزيع المياه الى الدرجة القصوى من الاتقان وفى ذلك الوقت رضيت العناية الالهية عن تلك الجداول الفياضة التى كانت مياهها تنقسم بهندسة فائقة الى أن عمت خيراتها جميع هاتيك السهول ولم يزل نظامها الى يومنا هذا قائماً ناطقاً بأنه ليس فى الامكان أحسن مما كان .

على أنه كان قد جرى فى مرسية فتنة اقتضت مجىء عبـد الرحمن[1] بنفسه اليها ومعه حاشيته وذلك سنة ٩١٧ فأعاد السلام الى نصابه وكانت الرعية تحب هذا الملك حباً جماً وفى زمانه وقع خلاف بين ملوك النصارى برمودة وغرسية فتنة امتدت الى ما بين العرب وأحدثت بعض القلق ثم آل الملك فى قرطبة الى الامير هشام[2] الذى وسَّد أمور المملكة الى رجل من خواصه يقال له حاجى محمد[3] كان متصفاً بصفات باهرة الاَّ أنه كان عظيم الاطماع فحجر على هشام المؤيد وتسلم بيده زمام الحكم فعرف العرب أن المنصور اختلس الملك فثار الكثيرون وجرت فتن وانتقض عرب كتلونية وبلاد أخرى فزحف المنصور الى مرسية وأقام بها ريثما وافته النجدات وكان نزوله

ولا توجيه كل منها الى أصله العربى اذ لم نعثر على أصولها العربية فى كتاب من الكتب فاذا أمكن معرفة اسم منها ظاهر العروبة مثل بنى علال والبلاط والمهاجر وبنى هشام وبنى منجى وكان معروفا لدينا اسم بطروش وتوزر فان الاسماء الباقية لا يعرف أصلها نظراً لكون الاسبانيول يحرفون الالفاظ العربية عند ما تنتقل الى لسانهم وقد تبعد كثيراً عن أصلها ومن الحروف ما يكون مثلاً حاء فيلفظه الاسبانيون فاء وهلم جرا

(١) يريد بعبد الرحمن هذا الخليفة عبد الرحمن الناصر وهو الثالث لا عبد الرحمن الثانى الذى كانت وفاته سنة ٢٣٨

(٢) يريد به هشام المؤيد بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر

(٣) يريد بحاجى محمد المنصور بن أبى عامر وكان اسمه محمداً

بمرسية عند رجل من الرؤساء الموسرين اسمه أحمد الخطيب الذى قام بجميع النفقات اللازمة للمنصور وحاشيته ولذلك أعفاه المنصور من جميع أنواع الضرائب . وكانت زيارة المنصور هذه لمرسية سنة ٩٨٤ بحسب رواية المؤرخ كوندى . وأما المؤرخ لوزانو فقال انها كانت سنة ٩٨٩

وفى الفصل الثامن ذكر صاحب هذا الكتاب ولاية زُهير أمير مرسية فقال انه سنة ١٠١٠ وقعت حروب داخلية طاحنة بين المسلمين فاشتبك فى هذه الحروب ملوك اشبيلية وطليطلة وقرطبة وسرقسطة وبرشلونة وكان ملك قرطبة سليمان[1] وكان عنده قائد يقال له المرتضى فأرسل اثنين من خواصه وهما حيدر ومنذر فاستوليا على مدينة مرسية وقيل بالخديعة فلم يقبله الأهالى وفى سنة ١٠١٦ عمّت الفتنة كل البلاد وازداد النفور من الملك سليمان المستعين وانتقض عليه وزيره على بن حمود واستبد هذا بمدينة أوريولة وذهب الى مرسية فاستنفر أهلها وزحف بهم على البربر الذين كانوا فى بسطة وأرجونة وجيّان والمريّة فتكدرت موارد السّلم فى مرسية . وفى سنة ١٠٢٧ كانت الفوضى عامة وعلم الناس أن السبب فى عمومها هو التغالب على أخذ تاج قرطبة فاستولى أخيراً على الحكم فى قرطبة الوزير أبو الحسن بن جهور . وكان هناك فتى اسمه زهير[2] أصله

---

(١) يشير الى الحروب التى وقعت بين ملوك الطوائف على أثر سقوط الخلافة فى قرطبة وأما سليمان وفى الأصل الاسبانيولى مذكور اسمه سُليما Zulima وهو فى الحقيقة ترخيم وانما هو سليمان بن الحكم وكانوا استخلفوه فى قرطبة ولقبوه بالمستعين بالله وكان اعتماد سليمان هذا على البربر مما سنذكره ان شاء الله فى مكانه من قسم التاريخ

(٢) هو زهير الفتى العامرى وكان من فتيان دولة المنصور بن أبى عامر فلما وقعت فتنة قرطبة انتزى أحد هؤلاء الفتيان وهو خيران الصقلبى العامرى على مدينة المريّة وغلب عليها الى أن هلك سنة ٤١٩ فقام مقامه صاحبه زهير هذا وامتدت أطناب مملكته من المريّة الى شاطبة ثم وقعت حرب بينه وبين باديس بن حبوس صاحب غرناطة فقضى الله بنصرة باديس مع أن عسكره كان أقل عدداً ففرّ زهير وجنوده

من « دلماسية(١) » استولى على مرسية وأعلن امارته عليها وبايعه أهلها برضاهم وذلك سنة ١٠٤٣ وبقى ملكاً على مرسية الى سنة ١٠٥١ اذ توفى قيل خارجاً عن مرسية . وفى زمن زهير هذا اشتهر أمر الشيخ أبى بكر أحمد بن اسحق وكان من أبناء البيوتات العريقة وذوى الثروة الواسعة محبوباً عند قومه فاضلاً ملهماً عمل الخيرات فولاه زهير أمر مدينة مرسية . وفى تلك المدة اشتدت الحرب بين ذى النون ملك طليطلة والمعتضد ابن عبّاد ملك اشبيلية فاضرّت بمرسية وضواحيها لأن عرب طليطلة اتفقوا مع عرب بلنسية على قتال صاحب أشبيلية . الاّ أن أبا بكر أحمد بن اسحق والى مرسية ومعه أحمد بن طاهر وغيره من الرؤساء انحازوا الى ابن عبّاد صاحب اشبيلية فشنّ ابن ذى النون الغارة على بلاد تدمير وجاء ابن عبّاد وهو المعتمد بن المعتضد ومعه ابن عمّار فدخلا مرسية وانضم أهلها الى المعتمد الذى أقام يومين ورجع الي اشبيلية حاضرة ملكه وبقى ابن عمّار وزيره فى مرسية . ثم ذهب منها الى برشلونة للاستعانة بصاحبها الكونت ريموند فعند ما أراد السفر الى برشلونة زوّده أحمد بن طاهر من رؤساء مرسية بعشرة آلاف ذهب فنجح ابن عمّار فى مهمته وجاء ومعه عساكر من قبل مملكة كتاونية لمنع المأمون بن ذى النون من الاستيلاء على مرسية فوجد مع المأمون عساكر بلنسية ومربيطر ودانية وشاطبة وقونكة ومعهم عساكر غاليشية وقشتالة وقد اجتاحوا مرسية وجوانبها الخصبة وحطموا زروعها فلما رأى الكونت ريموند البرشلونى كثرة الأعداء اعتقد أن ابن عمّار خدعه وجرّه الى صفقة خاسرة فقبض على باديس بن المعتمد ملك اشبيلية واعتقله كرهينة عنده . ثم ان الجيش القشتالى هاجم الجيش البرشلونى وحليفه الجيش الاشبيلى فدارت الدائرة على هؤلاء ودخل المأمون بن ذى النون مرسية وخضع له واليها ابن طاهر وكان الوالى السابق أبو بكر أحمد بن اسحق أبى أن يخلف الامير زهيراً فى الامارة ومات وقد ناهز التسعين وكانت وفاته سنة ١٠٦٤ المسيحية

وتقطعوا فى شعاب وعرة واودى زهير وجهل مصرعه كما ورد فى كتاب « البيان المغرب » لابن عذارى

(١) من يوغسلافية اليوم وهى بلاد صقلبية

وفى الفصل التاسع يذكر المؤلف عبد الرحمن الثانى الطاهرى ملك مرسية الذى جاء من بعد الفتى زهير الصقلبى الدلامى فتولى مدة ثلاثين سنة أى من سنة ١٠٥١ الى سنة ١٠٨١ وهو ابن أبى بكر بن طاهر وقد كانت سياسته كسياسة أبيه كلها حكمة وعدالة ولذلك سعدت مرسية فى زمانه ورجع اليها هناؤها الأول . وكانت الأحوال فى اشبيلية على غير استقامة فأخذ ابن عمار يكيد لمولاه المعتمد فأحب هذا ابعاده عن اشبيلية فأشار عليه بفتح مملكة مرسية ولما كان ابن عمّار شديد الطموح أقبل على مرسية راغباً واتفق مع أمير يقال له عبد الله بن رشيق وقصد إلى مرسية وعاثا فى جنانها وحصرا المدينة وضيّقا عليها الى ان فتحت أبوابها لجيش ابن عبّاد فدخل ابن عمّار الى مرسية سنة ١٠٧٩ وخلع ابن طاهر واعتقله فى قلعة مونتاقوط وكان أبو بكر بن عمّار المذكور ناقماً فى الباطن على مولاه المعتمد وربما مدّ يد الولاء الى الأذفونش السادس صاحب قشتالة فأجمع الاستيلاء على مرسية ففى أول الأمر قاتله أهلها وهزموه فعاث فى أرضها واجتاح بساتينها وأفسد زروعها ونشأ عن ذلك مجاعة شديدة تمكن بواسطتها من الرجوع الى مرسية ودخلها عنوة وقتل أميرها ابن طاهر وما زال يعسف الرعية حتى ثارت به وأخرجته من مرسية فالتجأ الى شقورة نزيلاً على رجل من خواصه أسرع باخبار المعتمد بن عبّاد أن ابن عمّار صار فى قبضة يده فسار ابن عبّاد وقبض على ابن عمّار وزيره الخائن وقتله فيما بعد وكانت مدة ولايته على مرسية ثلاث سنوات[1]

---

(١) هو ابن عمّار الشاعر الشهير الذى كان أعز خلاّن المعتمد بن عباد واحظى بطانته لديه فى بادئ الأمر ثم بدأت الوحشة بينهما وما زالت تشتدّ حتى صارت عداوة بلغت من ابن عمّار أن هجا مولاه هجواً مقذعاً فاحشاً كان سبب حتفه وتناول فيه امرأته الرميكية وأولادها الذين قال فيهم

قصار القدود ولكنهم أقاموا عليها قروناً طوالا

فلما ظفر به المعتمد حبسه فى أول الأمر وأمل ابن عمّار أنه ينال عفوه لكنه عاد

وفى الفصل الحادى عشر يذكر المؤلف ذا الوزارتين الرابع من أمراء مرسية .
بعدقتل ابن عمّار جاء محمد بن هاجد أميرلورقة بجماعة من رجاله الأشاوس الى مرسية
واتفق مع أهلها على تولية أحمد أبى عبد الله الملقب بذى الوزارتين من بنى طاهر وكان
هـذا الأمير عالماً فاضلاً عادلاً صلحت مرسية وسعدت فى أيامه واعتنى بنشر العلم
والأدب والأخلاق الفاضلة وأعاد الى مرسية العمران الذى كانت فقدته بظلم ابن عمّار
واستمر فى الولاية عشر سنوات الى أن مات وفى سنة ١٠٩٠ أقبل يوسف بن تاشفين
ملك المرابطين من افريقية واتفق مع ابن عبّاد على الاذفونش صاحب قشتالة وهو
الاذفونش السادس فزحف جماعة من أهل مرسية منضمين الى ابن تاشفين وابن
عبّاد تحت قيادة شاب من أمرائهم اسمه عبد العزيز ثم وقع الشقاق بين قواد العسكر
الاسلامى فشهر عبد العزيز هذا سيفه فى وجه ابن عبّاد فقبض ابن عبّاد على عبدالعزيز
وحبسه فرأى أهل مرسية فى ذلك اهانة لهم فانفضوا من حول ابن عبّاد وابن تاشفين
وفى سنة ١٠٩٤ عاد الاذفونش السادس يحاول الاستيلاء على بلنسية فاستنجد أهل
بلنسية بأهل مرسية فتغلّب على بلنسية القادر يحيى بن ذى النون بمساعدة الاذفونش
وانهزم جيش مرسية وقُتل قائده وأُسر ذو الوزارتين وقد كانت ولاية ذى الوزارتين
على مرسية من سنة ١٠٨٤ الى ١٠٩٤ وبقيت مرسية فى ذلك الوقت دون ملك يليها
فكان يوسف بن تاشفين يرسل اليها ولاة من قبله فتأخرت حالها وبعد موت يوسف
وولاية ابنه على ازدادت حال مرسية سوءًا وسنة ١١٤٤ كان يتنازع مرسية ثلاثة
أحزاب أحدها حزب محمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى والثانى حزب أبى محمد
ابن الحاج والثالث حزب عبد الرحمن بن جعفر بن ابراهيم فابن طاهر استنجد ابن هاجد
قاضى لورقة فذهب هذا القاضى برجاله وولّى على مرسية قائداً اسمه ابن حمدين وكان

فاشتدّ غضبه عليه وبلغت منه البادرة أن قتله بيده بآلة من حديد ضربه بها على رأسه
فثبتت فيه . فقالت الرميكية : عاد رأسه كرأس الهدهد . فكأنها لم تنس القرون
التى وصفها ابن عمّار . وجراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

قائد قونكة وهى مدينة عزيزة كثيرة العدد كان اسم قائدها عبد الله بن فطن وكان خصماً لابن حمدين فاتفق مع ابن طاهر وابن جعفر وزحفوا الى مرسية ودخلوها وصار الوالى على مرسية أبو جعفر بن أبى جعفر ثم ان هذا انتقض على المرابطين وقام الأهالى عليهم فى مرسية وأوريولة وقتلوا كل من وجدوه منهم وأعلن صاحب قونكة نفسه أميراً على مرسية باسم الناصر لدين الله

وفى الفصل الثانى عشر والثالث عشر تكلم المؤلف على ولاية ابن هود فقال ان أبا جعفر عند ما انهزم من مرسية جنّد جنوداً جاء بهم لاسترجاعها فثار الأهالى بالملك الجديد الذى كان غلب عليها وولوا عليهم أميراً من قرطبة اسمه سيف الدولة ابن هود وتمادت الفتنة فى مرسية حتى كادت البلد تخرب فزحف أمير أوريولة بجيش وأقر أبا جعفر ملكاً على مرسية وأخذ الملك الذى كان فيها أسيراً فاستمرت ولاية أبى جعفر سنة وبضعة أشهر وكان ابن طاهر وابن الحاج قد ذهبا الى المرابطين فى بلنسية واستوليا على شاطبة . وفى هذه المدة ثار أهل مرسية بأميرهم الجديد وأخرجا ابن فطن من الاعتقال ثم عاد أبو جعفر فهزمهم وفرّ ابن فطن واستولى أبو جعفر على شاطبة وأوريولة وتعاقبت على مرسية عدة فتن وجرت بين أهلها وأهل غرناطة معركة انهزم فيها أهل مرسية تحت قيادة أبى جعفر محمد بن عبد الله بن طاهر .

وفى الفصل الرابع عشر يذكر سقوط دولة بنى طاهر قال ان ابن حمدين عاد يطالب بملك مرسية وزحف اليها بجيش فانهزم والتجأ الى قاضى أوريولة فجمع جموعاً أخرى وقصد مرسية فانهزم مرة ثانيه الا أنه تمكن من أخذ البلدة فيما بعد بالخدعة وهرب عبد الرحمن بن طاهر منها ومات وقد وجدت مسكوكات عربية مكتوب عليها « الغالب أمير المؤمنين حمدين بن عبد الله » وكان قد تولى البلدة شيخ اسمه عبدالرحمن ابن طاهر وكان ذا علاقة ببنى هود فاقتنع أهل مرسية بمبايعة سيف الدولة بن هود وجعل نفسه نائباً عنه وجعل أخاه أبا بكر قائداً للفرسان فانهزم الأحزاب الأخرى الى قرطبة ملتجئين إلى ابن حمدين فأرسل هذا جيشاً عليه ابن أخيه وابن عمه لاسترجاع مرسية فابن طاهر نائب مرسية استصرخ ابن عيّاض أبا محمد صاحب بلنسية فجاء هذا

واتفق مع صاحب أوريولة ودخلا مرسية واستوليا عليها وعزلا ابن طاهر الاّ أنهما لم يقتلاه وكان سيف الدولة بن هود لم يعلم بدخول ابن عياض فجاء الى مرسية بجيش فخرج ابن عياض للقاء سيف الدولة وخضع له فأقرّه والياً على مرسية . ثم ان ابن فطن اتفق مع النصارى واجتاحوا جميعاً شاطبة ونواحيها فاستصرخ أميرها عبد الله ابن سعد سيف الدولة بن هود فزحف هذا لنجدتها فنشبت معركة فى غاية الشدة قُتل فيها سيف الدولة بن هود وفر خايفة بن عيّاض هارباً وانهزم الجيش المرسى هزيمة شنعاء وكان ذلك سنة ١١٤٥ وفى هذه الواقعة نفسها قُتل ابن حمدين ملك مرسية السابق الملقّب بالمستنصر

وفى الفصل السادس عشر يذكر هزيمة عرب مرسية فى معركة البسيط Albacete وسقوط أهم قوادهم قتلى وكيف رجعت فلول جيشهم الى مرسية بخبر هذه المصيبة فارتدت مرسية ثوب الحداد

وكان ابن عيّاض عند ما خرج مع أميره سيف الدولة بن هود قد خلّف على مرسية محمد بن سعد بن مردنيش فلما وصلت أخبار الهزيمة الى ابن مردنيش وتحقق مقتل سيف الدولة بن هود نزل الى باب القصر وخطب الناس محرضاً اياهم على الاستبسال وأخذ الثار فعاهده الجمع على الطاعة وتحفّزوا لأخذ الثار ثم ان أدلفونس والمسيحيين الذين معه وحليفهم المسمّى بالثغرى Crograi وصلوا الى مرسية وأحاطوا بأسوارها فخرج أهلها لمقاتلتهم فلم يكن لهم قِبَل بهم فانهزموا وابن مردنيش معهم والتجأوا الى لقنت ودخل الثغرى مرسية ظافراً لكنه أشار على رجاله بمعاملة أهلها بالحسنى أملاً بتألُّف قلوبهم فذهبت مساعيه سدى فالمرسيون لبثوا غضاباً لا يخفّف حنقهم شئ . وفى أثناء ذلك أراد المسيحيون أن يدخلوا مرسية لينهبوها فلم يوافقهم الثغرى على مرادهم فدخلوها بالقوة وارتكبوا فيها ألوان الفظائع وكان ابن عيّاض يطوف فى أرجاء البلاد ويجنّد الجنود لاستنقاذ مرسية فجمع من بلنسية ولورقة ولقنت جيشاً جراراً زحف به الى مرسية فلما علم المرسيون بزحفه ثاروا فى داخل المدينة وانقضّوا على أعدائهم ففتكوا بهم ورأى

الثغرى أنه واقع فى أيديهم ان لم يلذ بالفرار فخرج من باب افريقيـة هارباً يصحبه قليـــل من فرسانه فتعقبه جيش ابن عيَّاض وهجم عربى شجاع اسمه ابن فدا Aben Feda فاحتزّ رأسه وركز الرأس على قناة وسار به الى ابن عيَّاض وبذلك خُتمت حياة عبـد الله بن فطن الملقب بالثغرى . ودخل ابن عيَّاض المدينـة فوجد الشوارع مغطاة بجثث القتلى من المسيحيين والمسلمين فاستأصل أعداءه لا سيما المسيحيين الذين كانوا قد أسرفوا فى القتل فعوقبوا بمثل ما عاقبوا وجدَّدت مرسية مبايعة ابن عيَّاض وتبعها جميع شرق الأندلس

وفى الفصل السابع عشر يذكر المؤلف أن ابن عيّاض بعد أن استنقذ مرسية سار فيها سيرة حسنة امتدّ بها عليهـا رواق الأمن ورأب من أحوالها ولا سيا من زراعتها ما كان قد انصدع بالحروب المتوالية وتمتعت مرسية بنعمـة السكون مدة من الزمن ولـكن الفتنة أسرع شىء إلى أهل الأندلس فما لبثت أن ظهرت من جديد عند بنى جميل Moros Beni Giomail فى نواحى « عقيل » Ekils فانهم هناك شقّوا عصا الطاعة وثاروا فى وجه الأمير ابن عيَّاض فخرج لقتالهم فناوشوه القتال وخاموا عن لقائه فى حرب فاصلة فنهد اليهم فى ليلة حالـكة السواد يريد أن يكبسهم بياتاً ولم يكن أمامه إلاَّ طريق واحد وهو مضيق بين جبلين فتقـدم ومعه نخبة من فرسانه وأراد العبور فـكان الثوار كامنين على حافتى المضيق فرموه بالسهام والصخور فسقط مثخناً جراحاً ومات فى ذلك اليوم فانتقم المرسيون من الثوار انتقاماً هائلاً وكانت لابن عيَّاض جنازة حافلة ونُقلت جثته إلى بلنسية . وكان الحزن عليـه عاماً وكان ذلك سنة ١١٤٧ وكانت ولايته على مرسية سنتين وتسعة أشهر وعشرين يوماً وكان قد عهد بالامارة بعده لابن مردنيش فبويع ابن مردنيش بالامارة ثم ان ابن عيَّاض كان قد جعـل نائباً عنه فى مرسية على بن عبيـد الله أبا الحسن فاستطاع هذا بحسن تدبيره أن يوطّد السكينة فى مرسية وكان بعض المفسدين أشاعوا أنه يريد أن يستبد بالأمر ولا يعترف بامارة محمد بن سعد بن مردنيش الاَّ أن هذا الوالى عند ما قدم ابن مردنيش إلى مرسية خرج للقائه وقدَّم له مفاتيح البلدة وكان يوماً مشهوداً اجتمعت

فيه الوفود بحاضرة مرسية وكان من جملة الوافدين ابن همشك Aben Hemsek الأمير وكان والياً على شقورة فجعله الأمير نائباً عنه فى مرسية وعاد الى بلنسية وولّى ابن همشك نائباً عنه فى شقورة رجلاً عادلاً خافض الجناح اسمه ابن ٠ مد أيضاً . وأثنى صاحب الكتاب على ادارة ابن همشك فى مرسية وهو كلام فى غاية الغرابة نظراً لما اشتهر به ابن همشك من الظلم والعسف وسفك الدماء مما هو مستفيض فى كتب الأندلس . قال وبقى السلام مستتباً فى مرسية الى سنة ١١٦٥

وفى الفصل الثامن عشر يذكر المؤلف أنه بعد عدة أعوام مضت بسلام نشبت الحرب بين ابن مردنيش ملك شرق الأندلس وبين الموحدين أصحاب غرناطة . وروى كندى المؤرخ الاسبانى أن ابن مردنيش خرج بجيش من بلنسية فمر بمرسية واستنفر للقتال صهره ابن همشك وأعيان مرسية وكاشفهم بما فى نفسه من نية الاستيلاء على غرناطة فوافقوه وانضموا اليه وساروا جميعاً بجحفل جرار قاصدين إلى غرناطة وكان مع ابن همشك عدد كبير من المسيحيين يبلغ ثلاثة عشر ألف مقاتل معظمهم من الفرسان وكان منهم يتألف الحرس الخاص بابن مردنيش فاصطلت الحرب بين رجال شرق الأندلس ومن معهم من النصارى وبين الموحدين فانهزم الموحدون واستولى ابن مردنيش على غرناطة . ولكن الغرناطيين لم يلبثوا أن جمعوا فلولهم وألفوا جيشاً قوياً تحت قيادة القائد الشهير أبى زيد بن عبد الرحمن فكرّوا على غرناطة واشتعلت الحرب وكانت بين الفريقين ملحمة فظيعة ارتوت فيها الأرض بسيول الدماء ودارت فيها الدائرة على جيوش ابن مردنيش وابن همشك فتمزّقت كل ممزّق واستؤصل المسيحيون الذين كانوا مع ابن مردنيش وابن همشك وعُرف المكان الذى دارت فيه المعركة باسم « فحص الأغلب » وهو مكان يقع بين مدينتى القنطرية والقصر

وسنة ١١٧٠ تولى ابن لب (اى ابن مردنيش الذى كان الاسبانيون يسمونه بابن لب) أميراً على مرسية واتفق مع ملك قشتالة وعقد المعاهدات مع ملك أراغون وفى سنة ١١٧١ تحالف ابن لب مع بيرو رويس الصخرة Pero Ruiz Azagra صاحب امارة « استيلاً » Estilla وفى سبيل هذا الحلف نزل ابن لب لحليفه المذكور عن

مدينة ابن رزين Albarracin التى كانت من جملة أملاكه . وفى تلك السنة نفسها ساءت علاقات ابن همشك بصهره ابن مردنيش من أجل أمور عائلية وسفر الجو بينهما الى أن مات ابن مردنيش فى جزيرة ميورقة سنة ١١٧٢ ولما شعر أولاده بضعفهم عن أن يقاوموا المسيحيين والموحدين معاً جاءوا الى سلطان الموحدين وسلموه البلاد التى كانت فى أيديهم واستظلوا بظله

وقد ذكر لسان الدين بن الخطيب هذه الواقعة فى كتابه الاحاطة وقال ما محصله انه فى سنة ست وخمسين وخمسمائة فى جمادى الأولى منها قصد ابراهيم بن همشك بجمعه مدينة غرناطه وداخل طائفة من ناسها وقد تشاغل الموحدون بما دهمهم من اختلاف الكلمة عليهم وتوجه الوالى بغرناطة السيد أبو سعيد الى العدوة فاقتحمها ابن همشك ليلا واعتصم الموحدون بقصبتها فنصب لهم المجانيق وقتلهم بأنواع من القتل فبادر السيد أبو سعيد وأجاز البحر والتفّ به السيد أبو محمد وأبو حفص بجميع جيوش الموحدين والأندلس ووصل الجميع الى ظاهر غرناطة فأصحر اليهم ابن همشك فالتقى الفريقان بمرج الرقاد من خارجها فانهزم جيش الموحدين واعترضت الفلّ تخوم الفدادين وجداول المياه التى تتخلل المرج فاستولى عليهم القتل وقتل فى الوقيعة السيد أبو محمد ولحق السيد أبو سعيد بمالقة وعاد ابن همشك الى غرناطة فدخلها بجملة من أسرى الموحدين أفحش فيهم المثلة بمرأى من إخوانهم المحصورين واتصل الخبر بالخليفة فى مراكش فجهز جيشاً أصحبه السيد أبا يعقوب ولده وأبا يوسف بن سليمان داهية زمانه فأجازوا البحر والتقوا بالسيد أبى سعيد بمالقة واتصل منهم السير الى قرية دلَق من غرناطة فانهزم ابن همشك .

وقال لسان الدين فى ترجمة ابن مردنيش : ان ابن همشك يومئذ استصرخ ابن مردنيش فخرج بنفسه فى العسكر الكثير من أهل الشرق والنصارى فوصل الى غرناطة واضطربت محلته بالربوة السامية المتصلة بربض البيّازين وتعرف الى اليوم بكدية مردنيش فلحق بجيّان واتصلت عليه الغلبة من لدن منتصف عام ٥٦٠ فلم يكن

له بعد ذلك ظهور واستخلص الموحدون معظم مابيده وحصروه بمرسية ومات أثناء الحصار فى عاشر رجب سنة إحدى وستين وخمسمائة وله ثمانيه وأربعون عاماً . انتهى
وجاء فى كتاب الاستقصا أنه لما مات محمد بن مردنيش جاء أولاده واخوته الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فسلّموا اليه بلاد شرق الأندلس التى كانت لأبيهم فأحسن اليهم أمير المؤمنين وتزوج أختهم وأصبحوا عنده فى أعز منزلة . اه

وقال لسان الدين فى الاحاطة ان محمد بن سعد بن مردنيش استولى على شرق الأندلس مرسية وبلنسية وشاطبة ودانية ثم اتسع نطاق ملكه فملك جيّان وبسطة ووادى آش وقرمونة وأستجة وغرناطة ونازل قرطبة واشبيلية قال ثم فسد ما بينه وبين صهره ابن همشك فكان سبب أدبار أمره واستولى العدو فى زمانه على طرطوشة عام ثلاث وأربعين وخمسمائة وعلى حصن افليج وحصن شرّانية . اه

وقد وقع خلاف فى مكان وفاة الأمير المذكور فصاحب تاريخ مرسية الاسبانيولى يقول انه مات سنة ١١٧٢ ولسان الدين بن الخطيب يقول انه مات وهو محصور بمرسية سنة ٥٦١

ثم نعود الى تلخيص تاريخ مرسية الاسبانى فنقول انه فى الفصل التاسع عشر منه يذكر أن مرسية عاشت بعد وفاة ابن مردنيش فترة غير قصيرة فى الفتنة والاضطراب ولم تستطع أن تعود الى رخائها السابق الا بعد زمن طويل وكانت الحروب فى ذلك الدور ناشبة فى الممالك الأخرى من أسبانية ولا يذكر المؤرخون شيئاً عن مرسية فى هذه الفتره ولا نعلم من أخبارها سوى أن خلف بن لب من أولاده اتبع سياسة والده فى مهادنة ملك أراغون الى أن انتهت مدة المهادنة فتقرر فى سنة ١١٧٩ بموجب اتفاق بين مملكتى أراغون وقشتالة أن يحتل مرسية ملك قشتالة آلونزو Alonso وزحف الاسبانيون للاستيلاء على مرسية ولا نعلم هل استولوا عليها ذلك الوقت أم لا فالمؤرخون سكوت عن حوادث تلك الحقبة البالغة نحواً من أربعين عاماً حتى ان المؤرخ « ماريانا » نفسه لم يذكر عنها شيئاً . وفى سنة ١٢١٩ المسيحية

كانت حملة صليبية على مرسية زحف فيها مئتا ألف مقاتل من المسيحيين فهل استولوا بالفعل على مرسية ؟ اننا لا نعلم عن ذلك شيئاً . فان كانوا قد استولوا عليها فيكون استيلاء قصير الأمد يُستدل على ذلك من وصف الكتب العربية للاحتفالات الفخمة التى جرت فى مرسية عند مبايعة الأمير ابن هود الثانى وذلك سنة ١٢٢٨ وتلقَّب ابن هود بالمتوكل على الله وكان اسمه أبا عبد الله محمد بن يوسف الجذامى [1] وقيل له ابن هود الثانى لأنه سبق وجود أمير آخر من هذه العائلة بهذا الاسم وكان ابن هود متصفاً بالدهاء ، والمكر وبالدهاء والمكر حقّق كثيراً من مطامعه وكان يتظاهر بالتديّن استرضاء للشعب الاسلامى وأقنع المسلمين بأن المصائب التى حلّت بهم كانت

---

(١) قال لسان الدين بن الخطيب فى « الاحاطة » ما يلى :

محمد بن يوسف بن هود الجذامى أمير المسلمين بالأندلس يكنى أبا عبد الله ويلقب من الألقاب السلطانية بالمتوكل على الله وهو من ولد المستعين بن هود وأوليتهم معروفة ودولتهم مشهورة وأمراؤهم مذ كورون حرج من مرسية تاسع رجب عام خمسة وعشرين وستمائة الى الحضور من جهاتها وبقى يسير من الأجناد معه وكان الناس يستشعرون ذلك ويترقبون ظهور مسمًّى باسمه واسم أبيه ويهتفون بامرته وسلطانه وجرى عليه بسبب ذلك امتحان فى زمان الموحدين مرات اذ كان بعض الهاتفين بالأمور الكائنة والقضايا المستقبلة يقول لهم : يقوم عليكم قائم من صنف الجند اسمه محمد بن يوسف فقتلوا بسبب ذلك شخصاً من أهل جيّان

ويقال ان شخصاً ممن ينتحل ذلك لقى ابن هود فأمعن النظر اليه ثم قال له : أنت السلطان بالأندلس فانظر لنفسك وأنا أدلك على من يقيم ملكك فاذهب الى المقدم القشىّ فهو القائم بأمرك . وكان القشى رجلاً صعلوكا يقطع الطريق وتحت يده جماعة من أنجاد الرجال وسباع البراز قد اشتهر أمرهم فنهض الى المقدم وعرض عليه الأمر وقال : نستفتح بالغارة على أرض العدو على اسمك وعلى سعدك . ففعلوا فجلبوا كثيراً من الغنم والأسرى وانضاف إلى ابن هود طوائف مثل هؤلاء وبايعوه فى

ناشئة من فساد سياسة الموحدين . وتمكن ابن هود من فتح غرناطة فدخلها بجيش عظيم واستولى أيضاً على مدينة أستجة وخشى سطوته سان فرناندو ملك قشتالة وكذلك الدون خايمى ملك أراغون الذى كان متطلعاً الى بلنسية . الاّ أن جيوش قشتالة ظفرت بابن هود فى معركة شريش الشهيرة . وفى ذلك الوقت اشتهر الدون « رونسو سوارس دو فيجيروا » الذى خلع العقيدة الكاثوليكية وأظهر الاسلام فوثق به ابن هود وصار يعوّل عليه فعرض الدون فيجيرو هذا على ابن هود . أن يذهب إلى جيش المسيحيين متجسساً ويعود اليه بجليّة الخبر عن حقيقة قوتهم ولم يدر فى خلده أن الرجل الذى خان دينه الأصلى لا يتورّع عن خيانة دينه الجديد فأذن ابن هود له فى الذهاب إلى ملك قشتالة فكانت نتيجة سفارته هذه أنه دلّ الملك القشتالى على عورات المسلمين ومواقع ضعفهم وعاد الى ابن هود فوصف له قوة المسيحيين بأكثر مما هى بكثير تهويلاً عليه وتثبيطاً له عن الوقوف فى وجههم . وقد أصغى ابن

الصخيرات كما ذكر من عمل مرسية وتحرك إليه السيد أبو العباس بعسكر مرسية فأوقع به وشرده . ثم ثاب اليه ناسه وعدل بالدعاء الى العباسيين فتبعه اللفيف ووصله تقليد الخليفة المستنصر بالله ببغداد فانتظم الناس فى دعوته وشاع ذكره وملك القواعد وجيش الجيوش وقهر الأعداء ووفّى للقشىّ بوعده فولاه أسطول اشبيلية ثم أسطول سبتة مضافاً الى أمرها وما يرجع اليه فثار به أهلها بعد وخلعوه وفر أمامهم فى البحر وخفى أثره الى أن تحقق استقراره أسيراً فى البحر بغربى الأندلس ودام زماناً ثم تخلص فى سن الشيخوخة ومات برباط أسف . وكان شجاعاً ثبتاً كريما حيّياً فاضلاً وفياً متوكلاً سليم الصدر قليل المبالاة فاستعلى لذلك عليه ولاته بالقواعد كأبى عبد الله الرميمى بالمرية وأبى عبد الله بن رتون بمالقة وأبى يحيى عتبة بن يحيى الجد الوالى بغرناطة وكان مجدوداً لأنه لم ينهض له جيش ولا وفق لرأى لغلبة الخفة عليه واسعجاله الحركات ونشاطه الى اللقاء من غير استعداد وجرت عليه هزائم منها هزيمة السلطان الغالب بالله مرتين احداهما بظاهر اشبيلية وركب البحر ثم نجا بنفسه ثم هزمه فى «أسرة» من احواز غرناطة زعموا كل ذلك فى سنة أربع وثلاثين وستمائة ونحوها

هود الى كلامه فانكفأ بجيشه تاركاً الدفاع عن قرطبة التى كان ممكناً ذلك الوقت الدفاع عنها . وجاء ابن هود الى المرية قاصداً منها ركوب البحر الى بلنسية التى كانت أعلام أراغون الكاثوليكية أخذت ترتفع فوق حصونها وأبراجها

وكان ابن هود من شيعة المرابطين هواه معهم لامع الموحدين أعدائهم . فلما وصل الى المرية ألقاه قائدها عبد الرحمن بمزيد الاحتفال وبالغ فى إجلاله ولكنه كان يضمر له الشر لما بينهما من اختلاف المشرب فان عبد الرحمن هذا كان من جماعة الموحدين فقُدّر أن ينام هذان الرجلان تحت سقف واحد فانتظر عبد الرحمن حتى تيقن أن ابن هود استغرق فى نومه فخنقه بيده وهو نائم ويذكر المؤرخ كندى أن هذا

وفى سنة خمس وثلاثين كان اللقاء بينه وبين المأمون ادريس أمير الموحدين باشبيلية فهزمه المأمون أقبح هزيمة واستولى على محلته ولاذ منه بمدينة مرسية ثم شغل المأمون الأمر وأهمته الفتنة الواقعة بمراكش فصرف وجهه اليها وثاب الأمر للمتوكل فدخلت فى طاعته المرية ثم غرناطة ثم مالقة . وفى سنة سبع وعشرين تحرك بفضل شهامته بجيوش عظيمة لاصراخ مدينة ماردة وقد نازلها العدو وحاصرها فاتى الطاغية بظاهرها فلم يتأن زعموا حتى دفع بنفسه بين العدو ودخل فى مضاربه ثم لما وجد الناس مهزمين لما غاب عنهم استولت عليه هزيمة شنيعة واستولى العدو على ماردة بعد ذلك . وفتح عليه فى أمور منها تملك اشبيلية سنة تسع وعشرين وستمائة وولى عليها أخاه الأمير أبا النجاة سالما الملقب بعماد الدولة . وفى سنة إحدى وثلاثين رجعت قرطبة الى طاعته واستوثق أمره وتملك غرناطة ومالقة عام خمس وعشرين وستمائة ودانت له البلاد . وفى العشر الأول من شوال دخل فى طاعته الرئيسان أبو زكريا وأبو عبد الله ابنا الرئيس أبى سلطان بن أبى الحجاج بن سعد وخرجا من طاعة الأمير أبى جميل وأخذا البيعة لابن هود على مافى أيديهما . وفى سنة ست وعشرين وستمائة تملك الجزيرة الخضراء عنوة يوم الجمعة التاسع لشعبان من العام المذكور . وفى العشر

الحادث وقع سنة ١٢٣٨ وعند ما مات ابن هود أعلن أمير بلنسية زيد أبو زيد نفسه أميراً على بلنسية ومرسية . وكان من حسنات ابن هود أنه أوجد الالفة بين المسلمين والمسيحيين فى مرسية . فلما تولى أبو زيد خالف سياسة ابن هود وعسف المسيحيين عسفاً شديداً وقبض عليهم جميعاً وسجنهم فى قصر حمّاد خارج أسوار المدينة وأكرههم على ترك دينهم أو يقتّلوا تقتيلا قال صاحب تاريخ مرسية المذكور ان كثيراً من هؤلاء المسيحيين استقبلوا الشهادة فرحين مسرورين . ثم ثار المسلمون بمرسية على أبو زيد هذا فالتجأ الى قلعة قراباقة وكان فى القلعة عدد كبير من المسيحيين أراد أبو زيد أن يفعل بهم مافعل باخوانهم فى مرسية ولكن حال دون ذلك حادث قد يكون من تدبير العناية الالهية لأجل انقاذ هؤلاء المساكين وانقاذ روح نفس الطاغية الذى كان يريد لهم الهلاك . قال المؤرخ الاسبانيولى : وهذا الحادث لايخطر

الوسط من شوال ورد عليه الخبر ليلاً بقصد العدو مدينة وادى آش فأسرى ليلة مسرجاً ولحق العدو على ثمانين ميلا فأتى على آخرهم ولم ينج منهم أحد

واخوته الرئيس أبو النجاة سالم ولقبه عماد الدولة والأمير أبو الحسن عضد الدولة أسره العدو فى غزوة وفاداه بمال كثير والأمير أبو اسحق شرف الدولة وكلهم يكتب عنه من الأمير فلان . وكان له ولد أبو بكر الملقب بالواثق بالله أخذ له البيعة على أهل الأندلس وولى عهده وولى بعده واستقل بملك مرسية ثم لم ينشب أن هلك .

وقد دخل غرناطة مرات عديدة إحداها فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة وقد وردت عليه الراية والتقليد من الخليفة العباسى ببغداد وبمصلى غرناطة قرأ على الناس كتابه وهو قائم وزيه السواد ورايته السوداء بين يديه . وكان يوم استسقاء فلم يستتم على الناس قراءته يومئذ إلا وقد جاءت السماء بالمطر وكان يوما مشهودا وصنعاً غريباً وأمر بعد انصرافه أن تكتب عنه تلك الألقاب التى تضمنها الكتاب المذكور الى البلاد .

وقد اختلف الناس فى سبب وفاته فذكر أنه قد كان عاهد زوجته أن لا يتخذ عليها

بالبال وسأقصه على القارىء بمثل البساطة والاخلاص اللذين قصه بهما غيرى من المؤرخين دون أن أثبته أو أنفيه حتى لاأتعرض لغلط بازاء العقيدةالكاثوليكية قالوا : اجتمع المسيحيون بحضرة الأمير أبى زيد منتظرين مصيراً كمصير اخوانهم فى مرسية فخاطبهم الأمير قائلا انه يحب أن يرى كلا منهم متعاطياً أمامه المهنة التى من عادته تعاطيها فامتثلوا أمره وكان بينهم قسيس من قونكة يقال له « جينس بيريس كيرينو » Gines Perez Guirino فهذا لم يعمل أى عمل أمام الأمير فسأله الأمير عن ذلك فأجابه القسيس بأنه أمين الله وأن عمله إقامة الصلوات فأمره الأمير بأن يقيم الصلاة بحضرته وهيء معبد فى أحد جوانب القلعة وأعد كل شىء للصلاة لكن تبين فى النهاية أن الصلاة لاتمكن دون وجود صليب . فأخذوايبحثون

امرأة طول عمرها فلما تصيّر اليه الأمر أعجبته رومية حصلت له بسبب السبى من أبناء زعمائهم من أجمل النساء فسترها عند ابن الرميمى خليفته فزعموا أن ابن الرميمى علق بها ولما ظهر حملها خاف افتضاح القصة فدبر عليه الحيلة فلما حل بظاهر المرية عرض عليه الدخول اليها فاغتاله ليلا بأن أقعد له أربعة رجال قضوا عليه خنقاًبالوسائد ومن الغد ادعى أنه مات فجأة وأوقف عليه العدول والله أعلم بحقيقة ذلك

وكانت وفاته ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة عام خمس وثلاثين وستمائة وفى ارجاف الناس بولاية ابن هود يقول الشاعر

همام به زاد الزمان طلاقة ولذّت لنا فيه الامانى موردا

فقل لبنى العباس ماهى دولة أغار بها الحق المبين وأنجدا

فان الذى قدجاء فى الكتب وصفه بتمهيدهذى الأرض قدجاء فاهتدى

فان بشرتنا بابن هود محمد فقد أظهر الله ابن هود محمداً

انتهى كلام لسان الدين . وجاء فى نفح الطيب : لما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة وثارت الأندلس على مأمون بنى عبد المؤمن بسبب قيام ابن هود بمرسية قام فى المرية بدعوة ابن هود أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى يحيى الرميمى

عن صليب فلم يجدوا وبينماهم فى حيرة اذا بالصليب يُرى داخلاً إلى المعبد يحمله ملكان من اللائكة فوضعاه فى مكانه فوقف الأمير أبو زيد والثلاثون رجلاً الذين معه بازاء هذه المعجزة فى أماكنهم جامدين وفى تلك اللحظة آمنوا جميعاً بعقيدة المسيح ويذكر المؤرخ « بليدا » أن هذا الحادث وقع فى ٣ مايو سنة ١٢٣١ فتنصَّر أبو زيد وتسمى «فيسنتى دوبلفيس» Vicente de Belvis وتزوج فى سرقسطة «بدومينيكا لوبين» ورزق ابنة سميت « ألدا » تزوجت بعد بلوغها « بخيمين دوتراسونة» ومات أبو زيد فى ٣ مايو سنة ١٢٤٧ ودفن فى بلنسية

ـ وجده أبو يحيى هو الذى كان أخذها النصارى من يده ـ ولما قام بدعوة ابن هود وفد عليه بمرسية وولاه وزارته وصرف اليه سياسته وآل أمره معه إلى أن أغراه بأن يحصن قلعة المرية ويجعلها له عدة وهو يبغى ذلك عدة لنفسه وترك ابن هود فيها جارية تعلّق ابن الرميمى بها واجتمع معها فبلغ ذلك ابن هود فبادر إلى المرية وهو مضمر الايقاع بابن الرميمى فتغدّى به قبل أن يتعشى به وأخرج من قصره ميتاً ووجهه فى تابوت إلى مرسية فى البحر واستبد ابن الرميمى بملك المرية ثم ثار عليه ولده وآل الأمر بعد أحوال إلى أن تملكها ابن الأحمر صاحب غرناطة وبقيت فى يد أولاده بعده إلى أن أخذها العدو عندما طوى بساط الأندلس والله غالب على أمره . انتهى

ومن هنا يعلم أن الأمير الذى غدر بابن هود لم يكن اسمه عبد الرحمن كما قال الاسبانيولى صاحب تاريخ مرسية وانما كان اسمه محمد بن عبد الله بن أبى يحيى بن الرميمى وان سبب خنقه اياه وهو نائم لم يكن اختلاف السياسة بينهما ولكن قضية الجارية المذكورة

أما استيلاء النصارى على مرسية فالأرجح فيه رواية الاسبانيولى المذكور وهو أن أهالى مرسية خافوا على بلادهم من استيلاء ابن الأحمر صاحب غرناطة وطالت الفتنة فيما بينهم. فالتجأوا إلى ملك قشتالة ووضعوا أنفسهم تحت حمايته وكان ذلك

ثم فى الفصل العشرين ذكر المؤرخ المذكور أنه لما خرج أبو زيد من مرسية الى قراباقة سادت الفوضى فى مرسية فاضطر الاهلون إلى مبايعة أمير تستقر به الأحوال فانتخبوا على بن يوسف بن هود وتلقب بعضد الدولة فتبعه أناس كثيرون ولكن ثار عليه أبو جميل بن مظفر بن يوسف بن سعد الجذامى فزحف على رأس جيش عظيم ودخل مرسية وانضم اليه الفرقة الناقمة من المرسيين . فتغلب أبو جميل على الأمير على بن يوسف ابن هود وأمر بقطع رأسه علانية أمام الشعب وصار أبو جميل الجذامى هو السيد المطلق . ولكن الفتنة لم تسكن بذلك لأن حزب ابن هود بايعوا ابنه هذيل وعدوه الوارث الشرعى لأبيه واشترطوا فى بيعته أن يحارب ابن الأحمر صاحب غرناطة جزاء له على استغلال فتنة مرسية والعبث فى أراضيها ونهب غلاتها وتخطف أنعامها فقبل هذيل الامارة بهذا الشرط وخرج بالجيوش التى جمعها لمحاربة الغرناطيين وما كان يغادر المدينة حتى ساد الهرج والمرج وعمت الفوضى وشنت الغارات من كل جهة فلما رأى المرسيون زحف الغرناطيين واستيلاءهم على مرسية وما أحدق بهم من الخطر عقدوا مجلساً عاماً

بموافقة أميرهم من بنى هود والمؤرخ الأسبانى يجعل اسمه « ابن هذيل » ويقول مع ذلك انه هو ابن الأمير ابن هود وهو غريب لأنه بعد أن ذكر ولاية المسمَّى أبى زيد على مرسية وكيف ثاربه أهلها لظلمه فخرج إلى قراباقة يذكر أنهم بايعوا على بن يوسف ابن هود أميراً عليهم ولقبوه عضد الدولة فان كان هذا صحيحاً فيكون على بن يوسف ابن هود أخاً لمحمد بن يوسف بن هود المتوفى مخنوقاً بالمرية كما تقدم الكلام عليه . ثم ان المؤرخ الأسبانيولى يذكر أن الأمر لم يستتب لعلى بن يوسف بن هود وأن أبا جميل بن مظفر بن يوسف بن أسعد الجذامى ثار به وقتله ولكن حزب على بن يوسف ابن هود بايعوا ابنه أى ابن على المذكور إلا أنه جعل اسمه ابن هذيل وهذا هو المستغرب لأنه ان كان ابن هود فلا يمكن أن يكون ابن هذيل بل ربما كان يكنى بأبى هذيل ؟ وعلى كل حال كان دخول مرسية فى طاعة النصارى على يد أمير من بنى هود . وقد ذكر صاحب نفح الطيب أن العدو استولى على قرطبة يوم الأحد الثالث والعشرين

حضره الشيوخ والرؤساء وتذاكروا فيما وصلت اليه البلاد من الفوضى وفى خطر استيلاء غرناطة على مرسية فقرر المجلس أخيراً ادخال مرسية وتوابعها فى طاعة الملك المسيحى صاحب قشتالة وهو المسمى سان فرناندو . وكان فى ذلك الحين فى مدينة برغش فتألف وفد من أعيان مسلمى مرسية يحمل إلى الملك المذكور تاج مرسية . وكان سان فرناندو قد علم بما هى عليه أحوال مرسية من الاضطراب فانتهز فيها الفرصة وسرّح جيشاً قوياً تحت قيادة ابنه الدون الفونسو للاستيلاء عليها فتلاقى الوفد المرسى مع الأمير الدون الفونسو فى طليطلة وأبلغوه مااستقر عليه رأى أهالى مرسية من الدخول فى طاعة والده وذلك بالشروط الآتية :

١ — أن يبقى ابن هذيل أميراً على مرسية تابعاً للملك سان فرناندو

٢ — أن تُلقى شؤن التسليح والذخيرة على عاتق ملك قشتالة

٣ — أن يتسلم ملك قشتالة بمقابلة ذلك نصف ريع امارة مرسية ويبقى النصف الثانى للامير العربى يستغله ما دام حياً

من شوال سنة ست وثلاثين وستمائة ٦٣٦ قال : وكان تملك العدو مرسية صلحاً ظهر يوم الخميس العاشر من شوال قدم أحمد بن محمد بن هود ولد والى مرسية بجماعة من وجوه النصارى فملّكهم اياها صلحاً ولاحول ولا قوة إلاّ بالله العلى العظيم انتهى فظاهر أن النصارى دخلوا مرسية سنة ٦٣٦ أى سنة استيلائهم على قرطبة ولاتعارض بين رواية نفح الطيب ورواية المؤرخ الاسبانى صاحب تاريخ مرسيه إلاّ فى التفصيل والاجمال فالمؤرخ الأسبانى يفصل وصاحب النفح يجمل ومن جهة الأسماء فان المقرى صاحب النفح يجعل أمير مرسية يومئذ أحمد بن محمد بن هود ويقول ان والده كان والياً على مرسية حال كون المؤرخ الأسبانى يسميه ابن هذيل ويقول انه هو ابن على ابن يوسف بن هود وان أباه كان أميراً على مرسية . أما أبو جميل فقد ورد ذكره فى الاحاطة عند ترجمة محمد بن يوسف بن هود ويظهر أنه كان مناوئاً لبنى هود اتفقت فى ذلك رواية لسان الدين بن الخطيب مع رواية الأسبانيولى مؤرخ مرسية

٤ — يكون على ملك قشتالة فى مقابلة هذه الطاعة أن يوطد الأمن داخل الامارة ويحارب أعداء ابن هذيل ويزحف لقتال ابن الأحمر ملك غرناطة اذا اعتدى على مرسية

فتلقى الأمير الفونسو اقتراحات المرسيين بالقبول وأمضى المعاهدة من جهة وأمضاها من الجهة الثانية محمد بن على بن هود وقواد لقنت وأوريولة والحَمّة وأليدة وأثيكة وشنشالة . وامتنع من امضاء الاتفاق أمير لورقة عزيز بن عبد الملك بن محمد ابن الخطيب أبو بكر لأنه كان طامحاً الى امارة مرسية معتمداً فى هذا الأمر على معاونة قائدى قرطاجنة ومولة اللذين كانا من حزبه . ثم انه على أثر هذا الاتفاق توجه الأمير الفونسو الى مرسية فاستقبل استقبالاً فخماً جداً واجتمع القواد والرؤساء والأجناد واصطفوا لديه واحتفلوا احتفالاً عظيماً بتسليمه مفاتيح مرسية وابن هذيل فى مقدمتهم

قال المؤرخ الاسبانيولى وقعت هذه الحوادث فى أوائل سنة ١٢٤١ وهو تاريخ ذو شأن خاص فيما يتعلق بمرسية . وقفل الأمير الفونسو الى برغش مبشراً والده بهذه المملكة الجديدة الغنيَّة التى غنمتها قشتالة دون أن يراق فى سبيلها قطرة دم . وكان الامير الفونسو ولّى على مرسية ولاة من المسيحيين بجانب الأمير العربى وأخذ يتعرف أحوال لورقة وقرطاجنة استعداداً لفتحها فيما بعد واستولى على مولة بقلاعها وأبراجها وعاد إلى والده بالفتح والنصر انتهى قلنا وهذا مثال من أمثلة عديدة مما كان يصنعه المسلمون بعضهم ببعض فى الأندلس حتى صاروا إلى الانقراض بما كسبت أيديهم قال الله تعالى (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين)

وفى الفصل الواحد والعشرين يذكر أن الملك سان فرناندو عند ما جاء ابنه اليه حاملا بشرى دخول مرسية فى مملكة قشتالة كان فى مدينة طليطلة فبالغ بالاحتفال والابتهاج بهذا الفتح المبين ولما كان يعلم ما يمتاز به العرب من سرعة التقلب وعدم الاستقرار وجّه عنايته إلى الاحتفاظ بملك مرسية خاصة لما فى دخولها تحت طاعة قشتالة من زيادة قوة الجيش القشتالى وفتح مجال جديد لانتشار المسيحية فبادر بالسير الى مرسية مستصحباً كبار رجال دولته وقواد جيشه من القشتاليين والليونيين وكان معه

ابنه الدون الفونسو . فلما وصل الى مرسية احتفل بوصوله المسلمون والمسيحيون معاً وأعلن الملك للمرسيين أنه سيسير فيهم بالعدالة التى يتبعها فى سائر مملكته وأنه سيعمل لتوطيد السلام والنظام عندهم وأنه سيحمى مرسية من كل اعتداء خارجى ومن مطامع ملك غرناطة ابن الأحمر . وحدث فى أثناء وجود الملك بمرسية أن الأمير زيدا أبا زيد الذى سبق ذكر تنصره ترجى الملك تعميد ولديه اللذين كان يريد ادخالهما فى النصرانية فرأى الملك سان فرناندو من باب السياسة أن تكون حفلة التعميد حفلة شعبية عامة ليكون عمل الأمير أبى زيد بمثابة مثال يُحتذى ويدخل المسلمون فى دين المسيح أفواجاً . وهكذا تمّ وتسمى الولدان فرناندو والفونسو باسم ملك قشتالة واسم ولى عهده . ثم أخذ الملك بتنظيم حكومة مرسية وجعل ابن هذيل أميراً عليها بالتبعية له وعاد الى برغش بعد أن خلف فى مرسية الدون رودريق الفونسو قائداً لحاميتها ولما كان المقصد هو مقاتلة ابن الأحمر جمع الدون رودريق جيشاً من المسلمين والمسيحيين وزحف به قاصداً الى غرناطة لكنه لقى هزيمة منكرة فى شيريبيل Chirivel وترك أهم رجاله من العرب والاسبانيين قتلى فى الميدان فلما وصل خبر هذه الهزيمة إلى سان فرناندو خاف مغبّة تأثيرها فسار بنفسه لمحاربة ابن الأحمر وأمر ولده الدون الفونسو أن يحافظ على مرسية فظهر جيش فرناندو على جيش ابن الأحمر وكان ذلك سببا فى تمكينه وتسهيل أمور ولده فى امارة مرسية فاستولى على لورقة وقرطاجنة واستصفى تلك الامارة كلها . ثم ان الأعمال العسكرية فى قشتالة وفى المقاطعات الأندلسية اقتضت أن يستدعى الملك ابنه الدون الفونسو من مرسية ويعهد بولايتها إلى أخيه الأمير دون مانويل وفى أثناء ذلك تزوج الأمير الفونسو بابنة ملك أراغون فتوطدت بذلك روابط الصداقة بين المملكتين قشتالة وأراغون ثم رجع الأمير دون الفونسو إلى مرسية فما كاد يستقر بها حتى جاءه نداء من والده يستدعيه إلى اشبيلية حيث كان قد ضيّق عليها الخناق ولكنه لم يتمكن منها بالنظر لشدة المقاومة التى أبداها عرب إشبيلية فزحف الدون الفونسو من مرسية بجيش جرّار وفى الوقت نفسه وصل مدد آخر من ملك أراغون الذى كان

مساعداً لملك قشتالة فىحصار اشبيلية فضغطت هذه الجيوش كلها مجتمعة على اشبيلية فلم يبق أمامها الاّ التسليم فسقطت اشبيلية فى يد الملك سان فرناندو صاحب قشتالة فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٢٤٨

وفى الفصل الثانى والعشرين ذكر الاسبانىّ مؤرخ مرسية أن استيلاء مملكة أراغون على بلنسية سنة ١٢٣٣ كان سبباً فى خروج جميل ابن زيّان بن مردنيش من تلك البلدة ببقايا جيشه ملتجئاً الى بلاد مرسية . فأقام بقرية من قراها واعصوصب حوله رجال كثيرون وأخذ شأنه يعظم فاختلّ نظام الأمن فى القرى المجاورة الّتى كانت بفضل ادارة الأمير الفونسو القشتالى قد ذاقت طعم الراحة زمناً . ثم أخذ عرب بلنسية يهاجرون أوطانهم فانضوى منهم كثير تحت لواء جميل هـذا فصار تحت يده جيش قوى الشكيمة واحتلّ بعض المعاقل فسرّح اليه والى مرسية جيشاً مؤلفاً من العرب والاسبانيين تحت قيادة القائد العربى عزيز بن عبد الملك لأجل القضاء على ثورة ابن زيّان المذكور فكان نصيب هذه الحملة الفشل التام وسقوط القائد عزيز بن عبد الملك قتيلاً فى المعركة . فزاد هذا النشاط ابن زيّان ومد سلطته على قرطاجنة ولورقة ووجد فى أمير لورقة محمد بن على بن عبد الله خير عضد . وكان هذا من مهاجرة بلنسية خرج منها مع ابن زيان وتولى أمر لورقة فأصلح شؤونها وقام فيها بمصالح عمرانية مهمة وأخذ فى ذلك الوقت مكان ابن زيان يعلو وأمره يغلظ حتى فى مرسية نفسها . وشعر ابن هذيل بضعف ملك قشتالة عن حمايته لما كان مشغولا به من الحروب فى غربى الأندلس وأخذ المسلمون المرسيون يراقبون الخلاف الناشب بين مملكتى قشتالة وأراغون ويتتبعون سير الحوادث لتحقيق مطامعهم فى اخراج المسيحيين من مرسية . وفى ذلك الوقت توفى الملك سان فرناندو وكانت وفاته فى اشبيلية سنة ١٢٥٢ وخلفه ابنه دون الفونسو العاشر وبايعه المسلمون والمسيحيون معاً ولكن لم تمض على هذه البيعة ثلاث سنوات حتى صارت مرسيّة على أتم الاستعداد للانتقاض والانقضاض على المسيحيين فرأى ملك غرناطة ابن الأحمر أن الفرصة سانحة لادخال مرسية فى طاعته فاتفق مع ابن هذيل على مقاومة ملك قشتالة فاندلع لهيب الثورة فى جميع تلك الجهات وجرت على المسيحيين مذابح لم تشهد بلاد

مرسية مثلها من قبل . ثم نادى المرسيون بمبايعة ابن الأحمر ملكاً على مرسية كما هو ملك على غرناطة . فلما بلغ الخبر ملك قشتالة الدون الفونسو جمع زعماء مملكته واستشارهم فى ما يجب أن يعمل فأجمعوا الغارة على ملك غرناطة لأنه هو قوة الظهر لعرب مرسية فتوجه الملك الفونس الي اشبيلية وسرّح جيشاً فى البر وأسطولاً فى البحر لمحاصرة قرطاجنة فاستولى عليها وبعد استيلائه عليها وجّه حملاته على مرسية فاستنجد ابن الأحمر وحليفه ابن هذيل يعقوب بن يوسف ملك المغرب وقاومت مرسية مقاومة شديدة عجزت جيوش الملك الفونس عن التغلّب عليها .

وفى الفصل الثالث والعشرين ذكر المؤرخ الأسبانىّ أنه لما عجز الملك الفونسو عن أخذ مرسية كتب الى ملك أراغون الدون خيمى يلتمس منه النجدة فوعده ملك أراغون بالنصرة لأنهما يد واحدة على المسلمين غير أن ملك قشتالة كان يفكر فى تتويج أخيه الدون مانويل ملكاً على مرسية بعد تمهيد أمرها ولم يكن ملك أراغون مرتاحاً إلى هذه الفكرة فحصل الأخذوالرد بينهما وانحلّت العقدة على وجه أن يتزوج الدون مانويل بابنة ملك أراغون . وكانت ملكة قشتالة أى زوجة الدون الفونسو هى ابنة ملك أراغون أيضاً فكانت تغار من شقيقتها ولاتقدر أن تتصور هذه واضعة على رأسها تاج مرسية ملقبة بلقب ملكة فبلغت الغيرة بين الشقيقتين أن راسلت ملكة قشتالة سلطان غرناطة ابن الأحمر على أن يترك المرسيين وشأنهم ويكون فى مقابلة ذلك آمناً على مملكته غرناطة وتوابعها وأن يسلّم تاج مرسية الى ملك قشتالة على شريطة أن يبقى على رأس مرسية أمير مسلم وتم الاتفاق على ذلك وأمضى هذا العهد ابن الأحمر وولى عهده وأمضاه أيضاً ملك قشتالة . وبذلك وصلت الملكة الى ماتريد واستقامت العلاقات بين ملكى قشتالة وغرناطة وأقبل كل منهما على شأنه . ولم ينسَ ابن الأحمر أن يأخذ الوعد من ملك قشتالة بالعفو عن ابن هذيل إذا غلب الملك على مرسية فزحف ملك قشتالةالفونسو على مرسية من جهة وزحف خيمى ملك أراغون من جهة أخرى وكل منهما يريد مرسية وخيف من القتال بينهما ورأى

ابن هذيل أنه واقع فى يد أحد هذين الملكين المسيحيين وأجمع أن يلوذ بابن الأحمر فأفهمه هذا أن المقاومة عبث وأنه هو أخذ على ملك قشتالة عهداً بأن يمن عليه بالعفو ونصح له بتسليم مرسيةدون مقاومة تجنباً لسفك الدماء . وكان ملكا قشتالةوأراغون قد تفاديا الحرب بينهما على وجه أن ملك قشتالة يتابع فتوحاته فى غربىالأندلس وأن ملك أراغون يفتح مرسية وانتهى الأمر على ذلك واستسلمت مرسية لملك أراغون دون مقاومة وذلك سنة ١٢٩٥ فمنّ ملك أراغون على ابن هذيل بالحياة وفاءً بعهد ملك قشتالة لكنه اشترط عليه أن يعيش بين المسيحيين . وفى هذا التاريخ سقطت مرسية العربية سقوطاً نهائياً فى أيدى المسيحيين ولم تعد من بعدها إلى الاسلامأصلاً

وفى الفصل الرابع والعشرين يذكر المؤرخ الاسبانى حالة مرسية وملحقاتها بعد أن استولى النصارى عليها الاستيلاء النهائى قال عزّ على عرب مرسية أن يروا أنفسهم خاضعين لأعدائهم بعد أن كانواسادة البلاد وأن يروا أموالهموأملاكهم نهباً مقسماً بين أعدائهم على مرأى ومسمع منهم فكانت فى قلوبهم جمرات تضطرمبالعداوة والبغضاء نحو المسيحيين (ونسوا أنهم هم جنوا على أنفسهم بالفرقة والخلاف ومحاربة ابن الاحمر والاستظهار بالطاغية عليه) وكانوا يتحفزون للثورة وكانت حاضرةمرسية على شيء من الهدوء أما الأرباض والقرى المجاورة فكانت الثورة فيها علنية . وكان ملك قشتالة يدرك خطورة الحالة ويحرص على ابقاء مرسية فى أيدى المسيحيين مهما يكلفه الأمر فرجع الى برغش وعزز جيشه فيها ثم جاء وقابل ابن الأحمر والتمس منه بحسب الهدنة التى بينهما أن يسير معه الى مرسية لنصح المسلمين هناك بالسكون والتزام الطاعة لملك قشتالة . فسار الملكان المسلم والمسيحى معاً وأخذ ابن الأحمر يبين للمسلمين سفه الرأى بمقاومة الملكين المسيحيين ملك قشتالة وملك أراغون وهما على اتفاق تام بجميع قوتهما لاستبقاء مرسية فى أيدى النصارى . فلما وصل ملك قشتالة وملك غرناطة معه الى « سان استيفان » خرج ابن هذيل أمير مرسية البائس وترامى على أقدام ملك قشتالة طالباً العفو فأطلق الملك سراحه بعد أن نزع عنه لقب ملك وهكذا انتهت امارة ابن هذيل .

وتابع الملكان سيرهما الى مرسية ودخلاها بسلام وولى ملك قشتالة عليها أبا عبد الله محمد بن هود أميراً بدلا من ابن هذيل ولبث الملك المذكور فى مرسية أربعة عشر شهراً ينظم أمورها ويوزع أملاك المسلمين على رجالهمن النصارى ووقف كثيراً من هذه الأملاك على الكنائس والملاجئ. ثم رأى أن اختلاط مساكن العرب والمسيحيين يؤدى الى دوام النزاع والشحناء بين الفريقين فأصدر أمره المؤرخ فى ٥ يونيو سنة ١٣٠٤ بنقل جميع مسلمى الحاضرة الى مدينة « أرّيخاكا » وذلك فى مدة أربعين يوما وكان لهم أن ينقلوا معهم أمتعتهم وأثاثهم الى مساكنهم الجديدة بشرط أن لايحدثوا أى ضرر فى المساكن التى يغادرونها فى مرسية . وكذلك أمر جميع المسيحيين الساكنين فى أرّيخاكا أن ينتقلوا الى مرسية وظن أنه اذا سكنت كل فئة منهما على حدة تقلّ حوادث النزاع بين الفريقين فلما نفذ هذا الامر لم يبق للمسلمين شأن يذكر فى مرسية وانكسرت شوكتهم وكذلك كان شأن الامير ابن هود بعدأن فارق المسلمون مرسية الى أرّيخاكا فقد أصبحت امارته صورية أكثر منها عملية فلذلك لم يذكر المؤخون عنها شيئاولاتكلموا على أحواله ولا على وفاته

وفى الفصل الخامس والعشرين يذكر صاحب هذا التاريخ أن الخطة التى اتبعها الدون الفونسو ملك قشتالة بعد سقوط مرسية فى يده من نقل العرب الى ارّيخاكا وابعادهم عن الاختلاط بالمسيحيين كانت خطةسديدة رشيدة ظهرت نتائجها فى استقرار الامن وانقطاع النزاع بين الفريقين وأصبحت مرسية خالصة للمسيحيين بل صار سكانها أشد رعايا قشتالة إخلاصا للملك وللمسيحية وأخلد العرب الى السكون بسبب هيبة الملك الفونسو الذى كانوا يخشونه كثيراً . ولكنه بعد أن مات الملك المشار اليه تجرأ العرب فعادوا الى شأنهم الاول وصاروا يكرون على الحدود المرسية فيخربون الديار ويدمرون الحصون ويحرقون المزارع ويعودون الى غرناطة بالأسلاب والأسرى من النصارى . فاضطر ملوك قشتالة الذين جاؤا بعد الفونسو أن يسلكوا بازاء عرب مرسية خطة الحزم والصرامة وأن يوقعوا بهم وينكلوا تنكيلا فأخذ شأنهم يضعف شيئا فشيئا ومازالوا ينحطّون يوما بعد يوم حتى وصلوا الى حالة العجز التام وأصبحوا

لايستطيعون أدنى حركة لكنهم بالرغم من ذلك لم يستطيعوا الاتصاف بتلك الفضيلة اللازمة لكل شعب مغلوب على أمره وهى فضيلة الرضا والتسليم بل كانوا من وقت الى آخر يرتكبون أعمالا تسوّغ المعاملة القاسية التى كان يعاملهم بها المسيحيون فمن ذلك ما حدث سنة ١٣٥٣ وهو أن عربياً اسمه محمد أبو اللجا هام بحب مسيحية حسناء اسمها « مارياهرناندس » وأراد التزوج بها فلم يجد الى ذلك سبيلاً إلاَّ بواسطة مسيحى يقال له « الدون خوان دو ديوس » فأمكن العربى بهذه الواسطة أن يتصل بالفتاة المسيحية فلما ذاع الخبر قام المسيحيون وقعدوا لهذا الأمر ووصلت القضية الى الحاكم والى الملك فصدر أمره بقتل العربى والمسيحى الذى توسط له وأصبح هذا الأمر شريعة فى مرسية من ذلك العهد . وكان نشوب الفتن بين المسيحيين واشتعال الحروب الأهلية بين ملوكهم مما يسر عرب مرسية لأنهم كانوا فى أثناء هذه الفتن أحسن حالاً فكان لهم دور فى النزاع الذى قام بين الملك الفونسو والأمير دون خوان وحاربت طائفة منهم الى جانب الأمير خارجة عن طاعة الملك . وكان لا يزال فى اريّخا كا أمير عربى حتى بعد سقوطها فى يد ملك قشتالة وذلك كان ناشئاً عن شغف الملك الفونسو العاشر ببقاء أمراء من العرب فى تبعيته وعن العهد الذى كان أخذه على نفسه بابقاء ملك عربى فى جوار مرسية . وفى الحقيقة لم يكن هذا الملك العربى إلاَّ لقباً مجرّداً ولم يكن فى يده شيء من الحل والعقد وكان المسلمون أنفسهم لا يبالونه

وفى الفصل السادس والعشرين يذكر واقعة يقال لها واقعة « البورشوينس » ففى سنة ١٤٥٢ زحف من غرناطة جيش عظيم تحت قيادة محمد بن عبد البر الذى كان وزيراً لملك غرناطة محمد بن عثمان فدخلوا أرض مرسية والتقاهم المسيحيون فى مكان يعرف بالبورشوينس فبعدقتال شديد انهزم المسلمون وسقط كثير من قوادهم قتلى ونجا ابن عبد البر ومعه ثلاثمائة من جنوده فلما وصل بين يدى مولاه وقصّ عليه الفاجعة وذكر له أسماء الذين فقدوا فى المعركة استعظم الخسارة وقال لابن عبد البر : أما وقد

جبنت عن الموت فى ميدان الحرب ولم تمت كما مات أولئك الأبطال فستموت موتة شنيعة كما يموت الانذال وأمر بقطع رأسه

وفى الفصل السابع والعشرين يذكر حوادث الموريسك وهم العرب الذين بقوا تحت حكم النصارى وسنفرد جزءاً كبيراً بأخبار الموريسك المذكورين ان يسّر المولى ونجعله الجزء الأخير من الكتاب ولكننا أحببنا أن نذكر هنا خلاصة ما قاله المؤرخ المذكور عن موريسك مرسية قال : عاش الموريسك فى امارة مرسية من بعدسقوطها فى أيدى النصارى إلى الجلاء الأخير فى ذل وهوان ليس عليهما مزيد وكان المسيحيون. يعاملونهم أقسى معاملة فأخذ المسلمون يراسلون مسلمى المغرب ويأتمرون معهم على مملكة قشتالة فصدر أمر فيليب الثالث باجلاء هؤلاء القوم عن البلاد واستئصال شأفتهم منها وفى الخطب التى نُشرت من قلم السنيور فرنسيسكو كسكاليس مؤرخ مرسية وثائق مهمة تتعلق بجلاء العرب عن بلاد مرسية وغيرها من بلدان اسبانية التى كان قد بقى فيها منهم بقايا . فمن ذلك المنشور الذى صدر من الملك الى الأمة الاسبانية مبيناً فيه « دسائس العرب على الدولة وعلاقاتهم بكفّار البلدان الأخرى » وفيه الأمر باخراج العرب بأجمعهم مع تعيين الأشخاص الذين عهد اليهم الملك باتمام هذه المهمة فى المرافىء الجنوبية والمقاطعات الداخلية . ومن ذلك الأمر الملكى الذى نشر فى ذلك الحين وجاء فيه ما يأتى : فى مدة ثلاثة أيام من نشر هذا الأمر يكون على جميع موريسك المملكة رجالاً ونساء أن يغادروا البلاد ويتوجهوا الى قرطاجنة ليكون منها خروجهم ولهم أن يحملوا من متاعهم ما يستطيع كل فرد حمله بنفسه وسينقلون الى بلاد البربر فى سفن تخصص لهذا الغرض ومن خالف منهم الأمر يعاقب بالقتل

كل مسلم يوجد بعد ثلاثة أيام فى غير المكان الذى عيّن له فيكون لأى شخص حق فى القبض عليه وتقديمه الى الحكومة فان امتنع وعارض فله أن يقتله

كل مسلم يخفى ثروته لعدم استطاعته أن يحملها معه أو يحرقها أو يحرق مزرعته أو بيته يعاقب بالقتل

للاطفال الذين لا يبلغ عمرهم الرابعة البقاء فى البلاد اذا وافق على ذلك آباؤهم فان كانوا يتامى فأولياء أمورهم

الأطفال الذين لا يبلغ عمرهم ست سنوات والذين آباؤهم من أصل مسيحى يجب أن يبقوا فى البلاد وتبقى معهم أمهاتهم ولوكن موريسكيات . انتهى قال كسكاليس انه بمجرد أن اطلع العرب الموريسكيون على هذا الأمر استولى عليهم أشد الحزن والألم لمفارقة الوطن الذى كانوا ألفوه ولفقد المال والمتاع اللذين كان لا بد لهم من تركهما وكان الرئيس الأول الذى أسند الملك اليه مهمة اجلاء العرب من امارة مرسية هو « دون لويس فخاردو » وصدر له الأمر بذلك بتاريخ ١٣ يناير سنة ١٦١٠ فخرج من مرفأ قرطاجنة من تاريخ ١٨ يناير سنة ١٦١٠ الى ٢٢ مارس من تلك السنة ٦٥٥٢ نفساً من العرب . ومن تاريخ ٢٦ ابريل سنة ١٦١٠ الى أغسطس سنة ١٦١١ خرج من نفس المرفأ ١٥١٨٩ نفساً . ثم فى عاشر نوفمبر ١٦١١ صدر أمر جديد أشد من سابقه باخراج العرب أجمعين لأنه بالاستعلامات السرية قد ثبت أنهم ماداموا موجودين فى البلاد فلا يمكن الأمان لا على الدين ولا على العرش ولا على الوطن ولا على راحة السكان . وفى سنة ١٦١٨ أصدر الملك أمراً جديداً الى الكونت « دوسالاسار » بالذهاب الى مرسية واخراج كل من بقى فيها من الموريسك وأن يسفرهم من ثغر قرطاجنة فنفذ الأمر بتمامه . وكان هؤلاء يرفعون الصليب فوق منازلهم وأكواخهم ايهاماً بأنهم مسيحيون وأملاً أن يغضوا النظر عنهم لكن الحكومة كانت عندها جداول بأسمائهم فلم تنفعهم هذه الحيل كلها وكانت صفة اجلائهم مؤلمة جداً فمنهم من كان يدفعه اليأس الى تخريب منزله أو اضرام النار فيه وفى كل مايملك . ومنهم من كان يصل به القنوط الى أبعد من ذلك فكانوا يقتلون أولادهم ثم ينتحرون وكان الكونت دوسالاسار يعاقب الذين تصدر منهم أفعال كهذه ويسهل للذين يطيعون الأوامر نقل أمتعتهم ويأمر المسيحيين بأن لا يهينوهم . وكانوا يحشرونهم فى أماكن معينة منتظرين أن يأتى دور كل فئة منهم فى ركوب البحر فمات منهم كثير فى أثناء ذلك منهم من مات جوعاً ومنهم من ماتوا

بالأمراض ومنهم من ماتوا جزعاً من مفارقة وطنهم الى بلاد أخرى لا يعرفونها وان عدد المسلمين الذين أجلوا عن مرسية وتوابعها فى تلك النوبة يقدّر بمائتين وستين ألف نسمة

هكذا كانت نهاية العرب فى مرسية بعد أن أقاموا فيها وفى البلاد التابعة لها ثمانية قرون وبهذه الصورة تخلصت البلاد ونجا الدين من الخطر الذى كاد يهددها . انتهى كلام المؤرخ الاسبانى

ثم ذكر هذا المؤرخ أسماء مشاهير عرب مرسية فوضع فى رأسهم اسم عبد العزيز ابن موسى بن نصير الذى زعم أنه تنصّر وأن الجند العربى قتلوه من أجل ذلك

وحبيب الفهرى من قواد عبد العزيز بن موسى بن نصير وهو الذى تولى مكانه بعد قتله

وآخسان أبو قطن عدو الملك المسيحى « اتانايلد » وهو الذى أجبر هذا الملك على الخروج من مرسية

وعبد الله بن رجهان الذى تتوج فى قلعة قراباقة

وزهير ملك المرية الذى غلب على مرسية أيضاً

وحسام بن ظهار عالم مرسية الكامل المولع بالزراعة

وهشام بن مالك الدمشقى فاتح مرسية الذى تولى الكتابة فيما بعد لعبد الرحمن ملك قرطبة .

وسليمان شقيق هشام ملك قرطبة

وعبد الله شقيق هشام وسليمان السابق الذكر

والفضل بن عميسة أبو أفالية (لعله أبو العالية) قائد مرسية الفيلسوف الذى مات فيها سنة ٨١٢

وأفالية بن الفضل بن عميسة الذى خلف والده على مرسية

وعبد الرحمن ملك قرطبة . أول ملك فى قرطبة بهذا الاسم من سلالة الخلفاء

ومحمد المنصور ملك قرطبة أيضاً

وأحمد بن الخطيب من أعيان مرسية وأغنيائها الذى أضاف ملكى قرطبة عبد الرحمن والمنصور . والمرتضى أبا محمد هو أحد السلمين الثلاثة الذين تغلبوا على مرسية سنة ١٠١٦ . وعلى بن حمود الذى كان وزيراً لسليمان . والشيخ أبا بكر أحمد بن اسحق الملقب بالمدلّين الذى عرف فى مرسية بعدله وسعة نفوذه . وأبا الهيثم أحد الذين غلبوا على مرسية سنة ١٠١٦ . وأحمد بن طاهر الذى شارك أبا بكر أحمد بن اسحق فى حكم مرسية . وابن عبّاد والى أشبيلية الذى اشتهرت شجاعته ومقدرته فى امارة مرسية . والراضى بن عبّاد الذى غلب على مرسية واشتهر بخبرته بالفنون الحربية . وابن منذر أحد الذين تغلبوا أيضاً على مرسية سنة ١٠١٦ . وعبد الرحمن الطاهرى الصقلبى ملك مرسية الذى استولى عليها مدة ثلاثين سنة . وعبد الله بن رشيق الذى غلب على مرسية أيضاً وكان موفقاً فى حروبه . وأبا بكر الذى تولى أيضاً مرسية وحصل على الملك بطريقة التزوير (أظنه يعنى أبا بكر بن عمار الشاعر الذى قتله المعتمد بن عباد بيده) . والمعتمد بن اسماعيل الصاحب المزيف لأبى بكر وأبا محمد بن الماجد أمير لورقة الذى كان معنياً بالزراعة . وذا الوزارتين أحمد أبا عبدالله الذى ملك مرسية عشر سنوات . وعبد العزيز الذى اشتهر بالبسالة وكان محبوباً جداً فى مرسية . وابن طاهر الوزير قائد جيش مرسية . وابن لب ملك مرسية الذى غادر العرش أثناء المدة التى استمرت فيها الفتن . ومحمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى من سلالة تدمير أمير مرسية الأسبانى . وأبا محمد بن الحاج الذى اشتهر بشجاعته ومعرفته بفنون الحرب . وعبد الرحمن بن جعفر بن ابراهيم محبوب المرسيين الذين انضموا الى حزبه . وعبد الله بن فَطِن الثغرى الطاغية الذى لقى حتفه فى النهر (فى أثناء معركة تقدم ذكرها) . وأبا جعفر بن أبى جعفر أمير مرسية . والمستنصر ابن حمدان أمير مرسية الذى مات فى معركة البسيط . وأبا العباس بن هذيل قاضى مرسية المحارب الشجاع . وسيف الدولة بن هود ملك قرطبة ثم مرسية . وذا النون الذى كان أميراً فى أوريولة وشارك فى قيادة الجيوش المرسية .

وعبدالرحمن بن عبد الرحمن الظالم الذى تولى مرسية . وأبا محمد صاحب بن حمدين الحميم والمدافع عنه . وابن سوار الذى انهزم فى معركة البسيط وهو رفيق السابق. والفلفلى الأموى من أنصار ابن طاهر من سلالة بنى هود . وابن عيّاض أبا محمد قاضى بلنسية الذى صار أميراً على مرسية . ومحمد بن سعد بن مردنيش نائب أمير مرسية . وعبد الله بن سعد نائب بلنسية . وابن فداء قاتل الثغرى . وعلى بن عبيد الله أبا الجسام والى مرسية . وابن همشك أمير شقورة وقلاعها . وابن همشك الثانى وزير مرسية وابن هود الجذامى ملك مرسية . وزيدا أبا زيد ملك مرسية . وعبد الله العلى الذى عرف بمرسية بملابسه الفاخرة . وعلى بن يوسف عضد الدولة ملك مرسية . وأبا جميل ابن مظفر الذى حارب مع المرسيين فى معركة اقليش . وابن هذيل من ذرية بنى هود ملك مرسية . وعزيز بن عبد الملك وزير مرسية . وابن الأحمر ملك غرناطة . ومحمد ابن على أبا عبد الله والى لورقة الشجاع القوى المزارع الكبير المحبوب عند جيرانه . ومحمد ابن هود الذى انتخب ملكاً على مرسية برأى خيمى الأول ملك أراغون . وأبا بكر ابن عامر الذى استولى على « موله » سنة ١٠٧٩ . ومحمد بن أحمد الذى اعتزل فى حصن « مونقودُه » سنة ١٠٩٤ . ومحمد بن رافع أبا العباس العالم الشهير المولود فى مرسية الذى نال الحظوة لدى ملوك العرب ومات فى سن الأربعين . وأبا عمر ابراهيم التجيبى الفلكي قاضى مرسية . وابن عتالة رئيس مرسية أصله من غرناطة وهو حيسوبى ومزارع كبير . وعبد الرحمن بن عبد العزيز الخطيب السرقسطى المستشار المرعى فى مرسية . وأحمد أبا جعفر نائب مرسية من الذين أصلحوا الزراعة فيها . وعبد الملك من مرسية الذى كان مثالا للفضيلة وكان خطيباً وشاعراً وفيلسوفا وعالماً بفن الزراعة. وعاشر بن مرقيَّة (كذا) أصله من بسطة حاكم مرسية وكان مؤلفاً ممتازاً فى فنون شتى . وابن عيّاض العالم الحاكم واسع الثروة الذى كان المرسيون يحبونه حباً جماً . ومحمد بن أبى ناصر خطيب مرسية أصله من طبالة . وأبا الفضل المرسى العالم الشاعر الذى مات فى مرسية فأظهر المرسيون فى جنازته عظيم آلامهم لفقده . وعبد الجبار بن موسى المرسى من قراء القرآن توفى سنة ٨٧١ المسيحية .

وفضل بن فضل بن عميسة من مرسية مستشار الملوك المتوفى سنة ٨٧٢ . وشمس الدين المرسى رئيس جماعة العلماء فى غرناطة . وأبا جمرة المرسى مؤلف الكتب العشرة فى العربية فى أسبانيا ولاتزال كتب أبى جمرة مستمرة فى المغرب . وابن الشنجالى من فقهاء مرسية الذى كان من أبرع علماء مرسية فى علم الكلام . وابن حافد الأمين النحوى الفقيه من علماء مرسية . وابن بُرطُلُه المرسى المتوفى سنة ١١٨١ المسيحية ومولده عام ١٠٩٢ . وعبد الله الضرّاع الكاتب الحسابى المرسى توفى سنة ١١٧٦ . ومحمد التجيبى المرسى حاكم أوريولة الذى كان عالما شاعراً مؤلفاً فى الفقه توفى سنة ١٢١٢ . ومحمد اللخمى المؤرخ توفى فى مرسية سنة ١١٢٤ . وحسن الكتانى الشاعر المرسى توفى سنة ١٢٣٦ . وتونس ابن اسحق الشاعر المرسى الذى كان كاتباً للخليفة أبى عبد الله . وأبا الرجال بن غالب المرسى الوزير الشاعر . وأبا موسى بن عبد الواحد الشاعر المؤلف . والحزمى العالم المتضلّع من امارة مرسية . والبخارى المرسى الذى كان متفوقاً فى الشعر . ومحمد بن جهور من أعيان مرسية . وأبا جعفر القطان من مشاهير مرسية توفى سنة ١٢٣٦ . والصنهاجى المولود فى قلعة حمّاد المتوفى سنة ١٢٣١ وأبا جعفر الخمّار الشاعر المرسى . وابن عبد السلام المرسى الطبيب المؤلف فى الطب . ومحمد التجيبى المرسى الكاتب المؤلف (ألف كتاب ڤياتوريس) . والمرادى المولود فى «جهالة» مؤرخ مرسية . وعلاش بن شاهين (كذا) الكاتب المتكلم المتصوّف المرسى مفسر القرآن الذى تناظر مع العلماء المسيحيين (لعله يعنى ابن سبعين) . ومحمد بن لبون أمير لورقة الذى استطاع أن ينال لقب ملك . وأبا القاسم ذا الوزارتين الذى تلقب بملك لورقة الشاعر النبيل . وأبا الحسن الأنصارى بن محمد أصله من قرطاجنة من شعراء مرسية العالم المتضلع الذى نظم قصيدة ألف بيت . وابن عطاف أصله من قرية بنى عطاف من سلالة بنى عطاف الذين اشتهروا بهذا الاسم نسبة إلى موطنهم

والمؤلف يعتذر عما عسى أن يكون قد وقع فى أسماء الأشخاص والأماكن من لغلط فيقول : انه بذل كل مجهوده بتصحيح الأسماء . وان الأسماء قد تختلف من

عصر إلى عصر لأن الخصومات السياسية تؤدى إلى حذف الألقاب وتغييرها ممايؤدى الى حيرة المؤرخ واضطرابه بين الأسماء والألقاب المختلفة بشخص واحد . انتهى

قلت : ونحن بسبب اختلاف اللفظ بين العرب والاسبانيين وما يمكن أن يطرأ من وهم على مؤرخيهم فى أسماء رجالنا لم نحاول ابداء ملاحظات على هـذا الجدول إلا قليلا . على ان قسماً كبيراً ممن ذكرهم وارد فى أسماء علماء مرسية الذين سيرد ذكرهم كما ترى

ذكر من انتسب الى مرسية من أهل العلم

نبغ فى مرسية من العلماء والأدباء والمتصوفة والأولياء عدد كبير يجعل هذه المدينة فى الدرجة العليا من الترقى الفكرى لا فى العالم الاسلامى وحده بل فى العالم كله على الاطلاق . وإذا قيل ان مرسية كانت أول بلدة علميـة وأول بلدة زراعية فى الغرب لم يكن فى هذا القول شىء من المبالغة

نبغ فى مرسية محمد بن محمد بن يبقى كان فقيهاً أخذ عن ابن ورد وعن أبيه محمد وكان يكتب الشروط بمرسية وبها توفى بعد سنة ٥٧٠ ذكره ابن عميرة فى بغية الملتمس كذلك ذكره ابن الأبَّار فى تكملة الصلة وقال : انه سمع داود بن يزيد وأبا الحسين بن الضحّاك وكان موصوفاً بالصلاح والعدالة يعقد الشروط وأخذ عنه ابن مسدى

ومحمد بن طرّافش الهاشمى أبو عبد الله فقيه مقرئ فاضل تولّى الأحـكام بمرسية وتوفى وهو خطيب جامعها وصاحب الصلاة به فى سنة ٥٩٢ ذكره ابن عميرة فى البغية وكذلك ذكره ابن الأبَّار فى التكملة وضبط اسمه بفتح الطاء وتشديد الراء وألف وفاء مفتوحة بعدها شين قائلا : هكذا قرأت اسمه بخطه وهو من أهل شنتمرية الشرق وسكن مرسية يكنى أبا عبد الله كان من الصلحاء الفضـلاء مع التيقُّظ وبراعة الخط وولّى الصلاة والخطبة بجامع مرسية قال ابن الأبار : ووقفت على ما أشهده به القاضى أبو عبد الله بن حميد فى رمضان سنة ٥٧٩ ولا أدرى أَلَهُ رواية عنه أم لا ؟

وأبو عبد الله محمد بن طاهر الحاج. قال ابن عميرة فى البغية : القاضى صاحبنا سمع بمصر من محمود بن أحمد بن على المحمودى الصابونى بقراءتى عليه وبالاسكندرية من أبى عبد الله الحضرمى توفى بمرسية سنة ٥٩١

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الخزرجى يُعرف بابن الفرس فقيه عارف محدّث كان يفتى بمرسية وأقرأ بها مدة روى عن جماعة أئمة أعلام منهم غالب بن عطية وعلى بن أحمد بن خلف وأبو بحر سفيان بن العاصى وعلى بن أحمد بن كُرز وأبو محمد بن عتّاب وعبد القادر بن الحنّاط وأبو الوليد محمد بن رشد وموسى بن عبد الرحمن ابن خلف بن جوشن وأبو بكر بن العربى وأبو الحسن مغيث وابن زُغيبة وغيرهم ذكر فى فهرسته أنه روى عن خمسة وثمانين رجلاً .قال ابن عميرة فى البغية : ولم يزل يقرئ الحديث والفقه إلى أن توفى وقد أدركته ورأيته لكنى لم أقرأ عليه .

وأبو عبد الله محمد بن عمر الصدفى صاحب أحكام القضاء بمرسية فقيه يروى عن أبى على بن سُكَّرة وغيره ذكره ابن عميرة

وأبو عبد الله محمد بن مالك بن محمد الغافقى القاضى فقيه عارف تفقّه بقرطبة وروى عن أبى بكر بن العربى وحضر املاءه لكتاب « القبس فى شرح موطأ مالك ابن أنس » وكان يكتب الشروط بمرسية وبها توفى سنة ٥٨٦ ذكره ابن عميرة فى البغية وذكره أيضاً ابن الأبّار فى التكملة وقال انه محمد بن مالك بن محمد بن مالك من أهل مرسية يُعرف بالمولى نسبة إلى بعض أعمالها (١) لقى أبا بكر بن العربى وسمع منه مسلسلاته قال : ولا أعلم له رواية عن غيره . وكان فقيهاً على مذهب مالك حافظاً له بصيراً به مقدّما فى علم الرأى وولّى قضاء بعض الكور الشرقية وتولّى النيابة عن أبى القاسم بن حبيش أيام قضائه بمرسية وقد أخذ عنه وتوفى بمرسية فى حدود التسعين وخمسمائة

---

(١) وتقدم أن «موله» هى من جملة القرى التابعة لمرسية

ومحمد بن مفرّج بن أبي العافية أبو عبد الله كان يكتب الشروط بمرسية وكان من أهل الفهم والذكاء والمعرفة بأنساب أهل مرسية بلده وأخبارهم وكان مكسِّراً عارفاً بأملاك مرسية كلها حافظاً لكتاب الله أديباً. قال ابن عميرة فى البغيــة : روى عن أكثر أشياخى وعن ابن مدرك وغيره توفى بمرسية سنة ٥٨٧

ومحمد بن يبقى الأموى من أهل مرسية فقيه حافظ عارف متفنّن كان له مجلس بمرسية فى طريقة الوعظ مشهور توفى بمرسية ذكره ابن عميرة فى البغية

وأحمد بن محمد بن زيادة الله الثقفى المعروف بالحلاّل قال ابن عميرة فيه : قاضى قضاة الشرق فقيه محدّث من أهل بيت جلالة ورئاسة وفضل واشتمال على الغرباء قرأ على الحافظ أبى على الصدفى وغيره وحدّث بمرسية وكان كهفاً للغرباء فى وقته ولد سنة ٤٩٨ وتوفى سنة ٥٥٤

وأحمد بن أبى عمر أحمد بن محمد الازدى القاضى أبو الحسن يُعرف بابن القصير غرناطى فقيه مشاوَر محدّث يروى عن أبى الاصبغ بن سهل وأبى على الغسّانى وأبى بكر محمد بن سابق الصقلى المتكلّم وأبى عبد الله بن فرج وأبى عبد الله بن على بن حمدين وأبى عبد الله بن سليمان بن خليفة وأبى محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتّاب قال ابن عميرة فى البغية : قيّدت فهرسته بخط يدى وقرأتها بمرسية على ابنه الفقيه الأديب أبى جعفر

وأبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب وكان أبوه من موالى بنى شُهيد ونشأ هو بمرسية وانتقل إلى قرطبة وطلب الادب فبرّز فيه وبسق فى صناعة الرسائل مع حسن الخط المتقن إلى النهاية وشارك فى سائر العلوم وبلغ من رئاسة الدنيا أرفع منزلة وقدّمه الأمير الموفّق أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامرى على كل من فى دولته لأسباب أكّدت له ذلك عنده من المودّة والثقة والنصيحة فكان ينظر فى أمور الجهة التى كان فيها نظر العدل والسياسة ويشتغل بالفقه والحديث ويجمع العلماء والصالحين ويؤثرهم ويُصلح الأمور جهده. قال الحميدى : وما رأينا من أهل الرئاسة من يجرى مجراه مع هيبة مفرطة وتواضع وحلم عُرف به مع القدرة مات بعد الأربعين وأربعمائة عن سن عالية . وله رسائل مجموعة متداولة منها الرسالة إلى أبى عمران موسى بن عيسى بن أبى الحاج

الفاسي وأبي بكر بن عبد الرحمن فقيهي القيروان في الاصلاح بينهما . وله كلام مدوّن على تراجم كتاب الصحيح لأبي عبد الله البخاري ومعاني ما أشكل من ذلك. قال الحميدي : وقد رأيته غير مرة إذا غضب في مجلس الحكم أطرق ثم قام ولم يتكلّم بين اثنين فظننته كان يذهب إلى حديث أبي بكرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم : لا يحكم حاكم بين اثنين وهو غضبان. قال الحميدي : حدّثنا الرئيس أبو العباس أحمد ابن رشيق الكاتب قال : كنت في سن المراهقة بتدمير أول طلبي للنحو إذ دخل الينا على البحر رجل أسمر ذكر أنه من بني شيبة حجبة البيت وأنه يقول الشعر على طبعه ولا يقرأ ولا يكتب وكان يقول انه دخل عليه اللحن بدخول الحضر وكان يسأل أستاذنا أن يُصلح له اللحن ويسألني كثيراً أن أكتب أشعاره بمدائح القائد... ومما بقي في حفظي من شعره :

يا خليلي من دون كل خليل ... لا تلمني على البكا والعويل
إنّ لي مهجة تكنفها الشو ... ق وعيناً قد وُكّلت بالهمول
كلما عوّدت هتوف العشايا ... والضحى هيّجت كمين غليلي
ذاتُ فرخين في ذرى أثلاتٍ ... هدلاتٍ غُضُفٍ الذوائب مِيل
لم يغيبا عن عينها وهي تبكي ... حذر البين والفراق المُديل
أنا أولى لغربتي وانتزاحي ... واشتياقي منهما بطول العويل
حلّ أهلي بالأبطحين وأصبحـ ... ـت مع الشمس عند وقت الافول

وأبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن ادريس صاحب الأحكام بمرسية فقيه محدّث عارف يروى عن العبسي أبي الحسن وأبي محمد بن أبي جعفر وغيرهما توفى سنة ٥٦٣

وأبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد أشجعي النسب من ولد الوضّاح بن رزاح الذي كان مع الضحّاك يوم المرج (١)

---

(١) من المعلوم أن العرب كانت تنقسم في أكثر الأحيان الى قيسية ويمانية وتقع بين الفريقين الوقائع وطالما كانت هذه المنافسة من عوامل انحطاط العرب وتغلب

وهذا الوضّاح هو جد بنى وضّاح من أهل مرسية واليه ينتسبون ، فبنو وضّاح من أشجع وأشجع من قيس عيلان بن مضر . وأبو عامر هذا من العلماء بالأدب ومعانى الشعر وله حظ من ذلك بسق فيـه ولم يَر لنفسه فى البلاغة أحداً يجـاريه وله كتاب «حانوت عطّار» وسائر رسائله وكتبه نافعة الجد كثيرة الهزل وشعره كثير مشهور وقد ذكره أبو محمدبن على بن أحمد مفتخراً به فقال : ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك ابن شهيد ومن أبياته المختارة قوله :

وما ألان قنـاتى غمزُ حادثةٍ ... ولا استخفّ بحلمى قط انسانُ
أمضى على الهول قدماً لاينهنهنى ... وأنثنى لسفيهى وهو حر دان
ولا أقارض جهالاً بجهلهم ... والأمر أمرى والأعوان أعوان
أهيب بالصبر والشحناء ثائرة ... وأكظم الغيظ والاحقاد نيرانُ
وما لسانى عند القوم ذو ملقٍ ... ولا مقالى إذا ما قلت إدهان
ولا أفوه بغير الحق خوف أخى ... وإن تأخر عنى وهو غضبـان
ولا أميل على خِلّى فآكله ... إذا غرثت وبعض الناس ذؤبان

الأعاجم عليهم. ولمـا مات يزيد بن معاوية بايع الناس فى مكة وفى أكثر البلاد لعبدالله ابن الزبير وكان له فى الشام أيضاً أنصار أشهرهم الضحاك بن قيس ولذلك كان القيسية فى الشام مع ابن الزبير مما حمل اليمانية أضدادهم أن يتحيزوا لمروان بن الحـكم غيظاً بالقيسية واشتدت الفتنة وانتهت بواقعة مرج راهط فى غوطة دمشق فانهزم القيسية وقتل ابن الضحاك وكثير من فرسان قيس وتأيد على أيدى اليمانية ملك بنى أمية . وكأن الله جعل لبنى أمية حظ الغلبة على أيدى اليمنية فانه لما دخل عبد الرحمن الداخل الأموى إلى الأندلس ناوياً اقتطاعها من ملك بنى العباس وقاومه يوسف الفهرى عامل هؤلاء على الأندلس قام القيسية فيها بنصر الفهرى وخالفهم اليمنية الى عبد الرحمن بن معاوية ونصروه نصراً مؤزراً وكانوا السبب فى استتباب ملـكه . فـكما كانت اليمن هى السبب فى استقرار ملك بنى أمية فى الشرق كانت كذلك السبب فى تأييد دولتهم فى الغرب

إن الفتوّة فاعلم حدُّ مطلبها　　عرض نقيٌّ ونطق فيه تبيان
بالعلم يفخر يوم الحفل حامله　　وبالعفاف غداة الجمع يزدان
ودَّ الفتى منهم لو مُتُّ من يده　　وإنه منك ضخم الجوف ملآن

وقوله :

أَلِمتُ بالحب حتى لو دنا أجلى　　لما وجدت لطعم الموت من ألم
وزادنى كرمى عمَّا ولهت به　　ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

وقوله :

كتبت لها اننى عاشق　　على مهرق الكتم بالناظر
فردَّت علىَّ جواب الهوى　　بأحور فى مائه حائر
منعَّمة نطقت بالجفون　　فدلَّت على دقة الخاطر
كأن فؤادى إذا أعرضت　　يعلَّق فى مخلبَىْ طائر

وقوله — وقد أصاب لعمرى جداً — :

أقلُّ كل قليل جد ذى أدبٍ　　بين الورى وأقلُّ الناس اخوانُ
وماوجدت أخاً فى الدهر يذكرنى　　إذا سما وعلا يوماً به الشان

قال أبو محمد على بن احمد : توفى أبو عامر بن شهيد ضحى يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى سنة ٤٢٦ بقرطبة ودفن يوم السبت ثانى يوم وفاته فى مقبرة أم سلمة وصلى عليه جهور بن محمد بن جهور أبو الحزم . وكان حين وفاته حامل لواء الشعر والبلاغة ولم يخلّف لنفسه نظيراً فى هذين . وكان مولده سنة ٣٤٢ ولم يعقّب وانقرض عقب الوزير ابنه بموته . وكان جواداً لا يأسى على فائت عزيز النفس مائلاً الى الهزل . وكان له من علم الطب نصيب وافر . ومات وهو حافظ ذهنه يدعو الله عز وجل ويتشهد شهادة التوحيد والاسلام . وكان أوصى أن يصلى عليه أبو عمر الحصَّار الرجل الصالح . كل هذا عن ابن عميرة

وأبو بكر أحمد بن على بن خلف بن طرشيل الاستاذ بمرسية نحوى أديب لغوى. توفى سنة ٤٧٣ ترجمه ابن عميرة

وأحمد بن مسلمة بن وضّاح أبو جعفر أديب شاعر من فحول الشعراء مرسىّ الأصل، من جملة شعره:

ولما شارف الميدان اضحى　　يعلّم لحظه شق الصفوف
ثَنَى أعطافه قبل العوالى　　وسلّ لحاظه قبل السيوف

وله فى شجر السرو:

أيا سرو لا يعطش منابتك الحيا　　ولا مرّ عن أغصانك الورق النضرُ
لقد كسيت أعطافك اللُّدُ مثلما　　تلف على الخطّىّ راياته الخضر

ترجمه ابن عميرة فى البغية

وأبو أمية ابراهيم بن عصام القاضى بمرسية فقيه أديب شاعر من أهل بيت جلالة ووزارة يروى عن القاضى أبى على بن سكّرة وقد قال فيه أبو محمد بن سفيان قطعة أولها:

امرر بقاضى القضاة ان له　　حقاً على كل مسلم يجب

وكان بليغاً متصرفاً فى أنواع البلاغة كتب اليه أبو الحسن بن الحاج:

مازلت أضرب فى علاك بمقولى　　دأباً واورد فى رضاك وأصدر
فاليوم أعذر من يطيل ملامة　　وأقول زد بشكوى فأنت مقصر

فأجابه:

الفخر يأبى والسيادة تحجر　　أن يستبيح حمى الوفاء مزور
ولدى ان نفث الصديق لراحة　　صدق الوفاء وشيمة لاتغدر
وعليك أن ترضى فسمع ملامة　　عين الثناء وعهدة لا تخفر

وكتب اليه أبو العباس القرباقى (١)

اما ترى اليوم يا ملاذى　　يحكيك فى البشر والطلاقه

---

(١) قد ذكرنا أن قرباقة هى من المدن المضافة الى مرسية ولها ذكر دائم فى تاريخ مرسية وقد انتسب اليها من أهل العلم طائفة من جملتهم أبو العباس القرباقى هذا والحافظ أبو بكر بن القرباقى ذكره ابن عميرة فى ترجمة محمد بن يبقى الأموى من علماء مرسية.

والبحر يرتج مثل قلبي　　راقب من إلفه فراقه
فامنن بمشى الىّ إنى　　مالى على الصبر عنك طاقه

فأجابه

عندى لما تشتهى بدارٌ　　يشهد أنى على علاقه
فاخبر بماشئت صدق عهدى　　تجد دليلا على الصداقه
واسكن الى رأى ذى احتفاء　　يُعجز من رامه لحاقه

ترجمه ابن عميرة فى البغية وقال انه توفى سنة ٥١٦

والطيّب بن محمد بن هرون العتق مرسى فقيه توفى سنة ٣٢٨ ذكره ابن عميرة

وبشر بن محمد أبو الحسن محدّث زاهد فاضل توفى بمرسية بعد الخمسمائة ذكره ابن عميرة أيضاً

وأبو غالب تمام بن غالب بن عمر المعروف بابن التيّانى المرسى كان اماماً فى اللغة وثقة فيها مذكوراً بالديانة والعفة والورع وله كتاب مشهور جمعه فى اللغة لم يؤلف مثله وله فيه قصة تدل على فضله مضافاً الى علمه ،أخبر أبو محمد على بن أحمد قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبدالله المعروف بابن الفرضى أن الأمير أبا الجيش مجاهد بن عبدالله العامرى وجّه الى تمام بن غالب أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكنٌ بها ألف دينار أندلسية على أن يزيد فى ترجمة هذا الكتاب مما الفه تمام بن غالب لأبى الجيش مجاهد فرد الدنانير وأبى من ذلك ولم يفتح فى هذا بابا البتة وقال : والله لو بذلت لى الدنيا على ذلك مافعلت ولا استجزت الكذب فانى لم أجمعه له خاصة لكن لكل طالب علم . قال ابن عميرة فى البغية وقد روى هذه القصة : فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها . توفى أبو غالب تمام سنة ٤٣٦ وفيهامات أبو الجيش المجاهد الموفق بدانية

وخطّاب بن أحمد بن خطاب فقيه عارف من أهل مرسية روى عن الحافظ أبى بكر ابن العربى وغيره وتفقه بقرطبة . قال ابن عميرة فى البغية وكان ذكيا جالسته كثيراً توفى قبل الثمانين وخمسمائة

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الخشني واحد وقته بشرق الأندلس حفظاً ومعرفة وعلماً بالفروع وسبقاً فيها غير منازع مشهور بالفضل محافظ على نشر العلم وصونه تعظّمه الأمراء وتعرف له حقه وتتبرّك به وبصالح دعائه ولم يكن قبله ولا بعده بمرسية أكثر صدقة منه قاله ابن عميرة فى البغية وأردف ذلك بقوله : ولم يزل كذلك طول حياته إلى أن توفى. أُخبرت عنه أنه اشترى ذات يوم فرساً فى السبيل لبعض المجاهدين واجتمع عنده البائع والمشترى له وحضر الثمن فبكى البائع فقال له : مايبكيك ترانا نقصناك من ثمن فرسك ؟ قال : لا ولكنى أبيعه فى افتكاك ابن لى مجاهد أسره العدو قصمه الله . فقال له : وبكم افتككته ؟ فقال : بكذا لعدد أكثر من ثمن الفرس . فأخرج له فدية ابنه ودفع اليه فرسه وأمر باشتراء فرس آخر لذلك المجاهد بثمن ذلك الفرس . ومن هذا كثير جداً . روى عن حاتم بن محمد الطرابلسى وغيره ورحل فحج وانصرف ولم يزل يقرئ الحديث والفقه بمرسية إلى أن توفى بها سنة ٥٢٦ ومولده سنة ٤٤٧ قال ابن عميرة : حدثنى عنه ابن عم أبى قرأ عليه سنة ٥١٣ وقد جاءت ترجمة هذا الفاضل فى الصلة لابن بشكوال ذكر أنه روى عن أبى الوليد الباجى وأبى عبد الله بن سعدون القروى وانه أخذ بطليطلة عن أبى المطرّف عبد الرحمن ابن محمد بن سَلَمة قال : ورحل إلى المشرق فحج وسمع صحيح مسلم بن الحجّاج من أبى عبد الله الحسين الطبَرى وكان حافظاً للفقه على مذهب مالك مقدّماً فيه على جميع أهل وقته بصيراً بالفتوى عارفاً بالتفسير وانتفع طلاّب العلم بصحبته وعلمه وكان رفيعاً عند أهل بلده مرسية كثير الصدقة والذكر لله تعالى كتب الينا باجازة مارواه بخطه وتوفى رحمه الله لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ٥٢٦ بمرسية ومولده سنة ٤٤٧ انتهى ملخصاً عن ابن بشكوال

وعبد الله بن محمد النفزى المرسى أبو محمد الخطيب توفى سنة ٥٣٨ ذكره ابن عميرة فى البغية وذكره ابن بشكوال فى الصلة وقال فيه انه كان رجلاً صالحاً(١)

---

(١) أقام بسبتة وخطب بها مدة قال : وكتب إلىّ القاضى أبو الفضل بن عياض بخطه يوثقه ويثنى عليه . أخذ الناس عنه وسمعت منه بعض ماعنده وسألته عن مولده

وعبد الرحيم الشمّوق أقرأ بمرسية القرآن والعربية والحساب .قال ابن عميرة فى البغية : قرأت عليه بها أشهراً وخطب بجامع مرسية مدة وله تأليف فى القراءات وأرجوزة عارض فيها أرجوزة ابن سيده . وكان رحمه الله فاضلاً إذا خرج من منزله لا يلقى صغيراً ولا كبيراً إلاّ سلّم عليه أخبرنى بعض أصحابنا انه سلم عنده ذات يوم على جماعة من الفتيان فقاموا كلهم اجلالاً للفقيه فوقف وأنشد :

لمّا مررت بماجدٍ جلساؤه أبناء قوم أسّسوا الافضالا

قاموا الىّ ولست أكرم منهم عمّاً ولا جداً ولا أخوالا

لكنهم نظروا الى أحسابهم فأرتهمُ الاجلال والاجمالا

وعبد العزيز بن محمد اليحصبي المعروف بالبلبى كان صاحب الأحكام والحسبة بمرسية مدة وكان نحوياً عارفاً بأبيات المعانى ذكيًّا توفى على خير عمله بمرسية فى سنة ٥٨٠

وعبد الجبّار بن موسى بن عبيد الله الجذامى ثم السمانى أقرأ بمرسية القرآن والنحو والآداب وكان مشهوراً من أهل الحذق والنباهة والدين والفضل ذكره ابن عميرة

وأبو محمد عاشر بن محمد بن عاشر فقيه عارف شروطى موثّق ولّى القضاء بمرسية وكان من أعرف الناس بكتب الوثائق ألّف فى شرح المدوّنة . قال ابن عميرة : حدّثنى عنه عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم يروى عن أبى على الصدفى وغيره

وعيسى بن عبد الرحمن السالمى المقرئ بمرسية توفى سنة ٤٩٨

وعلى بن محمد بن زيادة الله الثقفى يعرف بابن الحلاّل من أهل بيت وجلالة وفقه وفضل فقيه عارف كان يقرئ المدوّنة بمرسية . وتوفى بعد الخمسمائة ذكره ابن عميرة وكان ذكر قبله أحمد بن محمد بن زيادة الله من بنى الحلاّل

فقال : ولدت سنة ٤٥٣ قال ابن بشكوال : وتوفى رحمه الله بقرطبة ودفن عشىّ الثلثاء لثمان بقين من ربيع الآخر من سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ودفن بالربض

وأبو الخيار مسعود بن خلف بن عثمان العبدرى من علماء مرسية ذكره ابن عميره وقال ان له رحلة وكان يروى كتاب الشهاب عن القضاعى ورواه عنه أبو محمد بن أبى جعفر

وأبو الحجّاج يوسف بن ابراهيم العبدرى المعروف بالثغرى فقيه محدِّث راوية عارف أديب انتقل الى مرسية فى الفتنة وصار خطيباً بقليوشة من قرى مدينة أوريولة واقتنع ولم يتعرّض لظهور . قال ابن عميرة : وكان لمعرفته قد غصَّ به جماعة من الفقهاء بمرسية حين وصلها فسعوا له فى الخطبة بجامع قليوشة المذكورة وانتقل اليها سمعت عليه بعض كتاب الموطأ وكان يروى عن جماعة منهم الحافظ أبو بكر (أى ابن العربى) وأبو الحسن بن مغيث وأبو الوليد بن رشد

وأبو القاسم أحمد بن ابراهيم بن محمد يعرف بابن أبى ليلى من أهل مرسية روى عن أبى الوليد هشام بن احمد بن وضّاح المرسى وأبى الوليد الباجى وأبى العباس العذرى وغيرهم وكانت عنده معرفة بالأحكام وعقد الشروط . قال ابن بشكوال فى الصلة : كتب الينا باجازة ماروا بخطه واستقضى بشلب وتوفى بها فجأة سنة ٥١٤ ومولده سنة ٤٤٩

واسماعيل بن سيدَه والد أبى الحسن بن سيده من أهل مرسية لقى أبا بكر الزبيدى وأخذ عنه مختصر العين وكان من النحاة ومن أهل المعرفة والذكاء وكان أعمى وتوفى بمرسية بعد الاربعمائة بمدة ذكر ذلك ابن بشكوال فى الصلة

وأبو عبد الله الحسن بن اسماعيل المعروف بابن خيزران من أهـل مرسية روى عن ابى بكر ابن معاوية القرشى وغيره حدَّث عنه أبو عبد الله بن عابد وقال : لقيته بتدمير . وذكر أنه استقضى بالجزائر الشرقية أعمال ابن مجاهد ذكره ابن بشكوال فى الصلة

وأبو بكر الحسن بن على بن محمد الطائى المرسى يعرف بالفقيه الشاعر لغلبة الشعر عليه روى عن أبى عبد الله بن عتّاب وأبى عمر القطان وأبى محمد بن المأمونى وأبى بكر ابن صاحب الأحباس وأبى العباس العذرى وغيرهم وله كتاب فى النحو سماه المقنع فى شرح كتاب ابن جنّى . وتوفى فى رمضان سنة ٤٩٧ ومولده سنة ٤١٢ قاله ابن بشكوال فى الصلة

والحسين بن اسماعيل بن الفضل المتقي من أهل مرسية له رحلة الى الشرق لقى فيها أبا محمد بن أبي زيد وغيره وكان عالماً بالأخبار والأشعار وتوفى سنة ٤١٢ ذكره ابن بشكوال نقلا عن ابن مدير

وأبو عثمان سعيد بن هرون بن سعيد من أهل مرسية يعرف بابن صاحب الصلاة روى عن أبي عمر الطلمنكي وغيره وتوفى عند الثلاثين والأربعمائة ذكره ابن بشكوال فى الصلة

وأبو محمد عبد الله بن سيد العبدرى يعرف بابن سرحان المرسى روى عن أبي الوليد ابن ميقل وغيره . وكان يتقن عقد الشروط ويعرف عللها وله كتاب فيها سماه المفيد قد عول الناس عليه وله كتاب حسن فى شرحه . روى عنه أبو عبد الله محمد بن يحيى وغيره ذكره ابن بشكوال فى الصلة

وأبو محمد عبد الله بن سعيد بن هرون المرسى روى عن أبي عمر الطلمنكي وأبي الوليد بن ميقل وغيرهما وتوفى سنة ٤٦١ ذكره ابن بشكوال فى الصلة

وأبو محمد عبد الله سهل بن يوسف الأنصارى المرسى أخذ عن أبي عمر المقرى وأبي عمر الطلمنكي وأبي محمد مكي بن أبي طالب . ورحل الى المشرق وأخذ بالقيروان عن أبي عبد الله محمد بن سفيان وأبي عبد الله محمد بن سليمان الأُبّى . وكان ضابطاً للقراءات عارفاً بطرقها أخذ الناس عنه . قال ابن بشكوال فى الصلة : وسمعت شيخنا أبا بحر يعظّمه ويذكر أنه أخذ عنه وتوفى برُندة من نظر قرطبة سنة ٤٨٠

وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن طاهر روى ببلده مرسية عن أبي الوليد بن ميقل وبقرطبة عن أبي القاسم بن الافليلي وأبي عبد الله بن عتّاب وأبي عمر بن القطان وغيرهم ورحل الى المشرق وحج وأخذ عن أبي ذر الهروى وكريمة المروزية وغيرهما . وكان فقيهاً مشاوراً ببلده وتوفى سنة ٤٦٩ عن اثنتين وستين سنة ترجمه ابن بشكوال فى الصلة ونقل تاريخ وفاته عن ابن مدير

وأبو الحسن على بن اسماعيل يعرف بابن سيدَه الأندلسى المرسى روى عن أبيه وعن أبي عمر الطلمنكي وصاعد اللغوى وغيرهم وله تواليف حسان منها كتاب المحكم فى اللغة وكتاب المخصّص وكتاب الأنيق فى شرح الحماسة وغير ذلك. وذكر الوقشيّ عن أبي عمر الطلمنكي قال : دخلت مرسية فتشبّث بي أهلها ليسمعوا عليّ غريب المصنّف ، فقلت

لهم : أنظروا من يقرأ لكم وأمسك أنا الكتاب . فأتونى برجل أعمى يعرف بابن سيده فقرأه علىّ من أوله إلى آخره فعجبت من حفظه . وكان أعمى. ابن أعمى وذكره الحميدى وقال : امام فى اللغة والعربية حافظ لهما على انه كان ضريراً وله فى الشعر حظ ومات بعد خروجى من الأندلس قريباً من سنة ٤٦٠ وقال القاضى صاعد بن أحمد : توفى سنة ٤٥٨ وقد بلغ ستين سنة ونحوها [(١)] . قلنا ان ابن سيده الأندلسى مفخرة من مفاخر العرب فى الشرق والغرب وكتابه المخصص فى اللغة لم يؤلف مثله فى بابه وهو معجم لغوى مرتب على المعانى فكل موضوع من موضوعات الحياة البشرية من مادى ومعنوى يذكره مفرداً له باباً خاصاً ويذكر جميع ما وزد فيه عن العرب من الألفاظ والجمل ومن هذا الكتاب تظهر مزايا هذه اللغة الشريفة سواء فى دقة التعبير أو فى سعة مذاهب الكلام أو فى اشتقاق المعانى بعضها من بعض أكثر من كل كتاب عرفناه . وقد طُبع « المخصَّص » بالمطبعة الكبرى الأميرية بمصر سنة ١٣١٦ وهو ١٧ جزءاً وأوله : قال أبو الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى المعروف بابن سيده : الحمد لله المميت ذى العزة والملكوت، مُلهم الأذهان إلى الاستدلال على قدمه، ومُعلِمها ان وجُوده لم يكُ واقعاً بعد عَدَمه، ثم مُعجزَها بعظيم قدرته على مامنحها من لطيف الفكرة ودقيق النظر والعبرة عن تحديد ذاته، وادراك محمولاته وصفاته ، نحمده ماألهمنا اليه وفطر أنفسنا عليه من الاقرار بألوهيته والاعتراف بربوبيته، ونسأله تخليص أنفسنا حتى يلحقنا بعالَه الأفضل لديه وبجواره الأزلف اليه. ثم الصلاة على عبده المصطفى ورسوله المقتفى سراجنا النير الثاقب ونبينا الخاتم العاقب محمد خيرة هذا العالم وسيد جميع ولد آدم والسلام عليه وعلى آله الطيبين المنتخبين صلى الله عليه وعليهم أجمعين. أما بعد فان الله عزّ وجلّ لما كرم هذا النوع الموسوم بالانسان وشرفه بما آتاه

(١) مكتوب فى أول كتاب المخصص تأليفه الشهير المطبوع بمصر هكذا : توفى بحضرة دانية سنة ٤٥٨ وعمره ٦٠ سنة

من فضيلة النطق على سائر أصناف الحيوان وجعل له رسماً يميزه وفضلا يبيِّنه على جميع الأنواع فيحوزه أحوجه إلى الكشف عما يتصور فى النفوس من المعانى القائمة فيها المُدركة بالفكرة ففتق الألسنة بضروب من اللفظ المحسوس ليكون رسماً لما تُصوِّر وهجس من ذلك فى النفوس، فعلمنا بذلك أن اللغة اضطرارية وان كانت موضوعات ألفاظها اختيارية فان الواضع الأول المسمّى للأقل جزءاً وللأكثر كُلّاً وللّون الذى يفرّق شعاع البصر فيبثّه وينشره بياضاً، وللذى يقبضه فيضمّه ويحصره سواداً لو قَلَب هذه التسمية فسمّى الجزء كلاً والكل جزءاً والبياض سواداً والسواد بياضاً لم يخلّ بموضوع ولا أوحش أسماعنا من مسموع . ونحن مع ذلك لانجد بداً من تسمية جميع الأشياء لتحتاز بأسمائها، ويماز بعضها عن بعض بأجراسها وأصدائها، كما تباينت أول وهلة بطباعها وتخالفت قبل ذلك بصورها وأوضاعها ونعما ما سدّدت الحكماء اليه فى ذلك من دقيق الحكمة ولطيف النظر والصنعة لما حرصوا عليه من الايضاح وأغذّوا اليه من ايثار الابانة والافصاح . فأما اللفظة التى تدل على كميتين مختلفتين منفصلتين أو متصلتين كالبشر الذى يقع على العدد الكثير والقليل، والجلل الذى يقع على العظيم والصغير، واللفظة التى تدل على كيفيتين متضادتين كالنّهل الواقع على العطش والرِىّ واللفظة الدالة على كيفيات مختلفة كالجون الواقع على السواد والبياض والحمرة، وكالسُدفة المقولة على الظلمة والنور وما بينهما من الاختلاط فسآتى على جميعها مستقصًى فى فصل الاضداد من هذا الكتاب مثبتاً له غير جاحد، ومضطراً الى الاقرار به على كل نافٍ معاند، ومبرئاً للحكماء المتواطئين على اللغة أو المُلهَمين اليها من التفريط، ومنزّهاً لهم عن رأى من وسمهم فى ذلك بالذهاب إلى الالباس والتخليط . وكذلك أقول على الأسماء المترادفة التى لايتكثّر بها نوع ولا يحدث عن كثرتها طبع كقولنا فى الحجارة حجر وصفاة ونَقَاَة وفى الطويل طويل وسَلِب وشَرَحْب، وعلى الأسماء المشتركة التى تقع على عدة أنواع كالعين المقولة على حاسة البصر وعلى نفس الشىء وعلى الربيئة وعلى جوهر الذهب وعلى ينبوع الماء وعلى المطر الدائم وعلى حُرّ المتاع وعلى حقيقة القبلة وغير ذلك من الأنواع المقولة

عليها هذه اللفظة ومثل هذا الاسم مشترك كثير وكل ذلك ستراه واضحاً أمره مبيناً عذره فى موضعه ان شاء الله. وقد اختلفوا فى اللغة أمتواطأ عليها أم ملهم اليها . وهذا يحتاج إلى فضل تأمّل غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحى ولا توقيف . إلاّ أن أبا على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان الفارسى النحوى قال : هى من عند الله . واحتج بقوله سبحانه (وعلّم آدم الاسماء كلها) وهذا ليس باحتجاج قاطع وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله أقدر آدم على أن واضع عليها . وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة فاذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به (الى أن يقول) فاذا قد بينا مااللغة أمتواطأ عليها أم موحى بها وملهم اليها فلنقل على حدها وهو عام لجميع اللغات لأن الحد طبيعى ثم لنردف ذلك بالقول على اشتقاق الاسم الذى سمّته العرب به وهو خاص بلسانها لأن الأسماء تواطؤية أما حدها ونبدأ به لشرف الحد على الرسم فهو أنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم وهذا حد دائر على محدوده محيط به لا يلحقه خلل إذ كل صوت يعبّر به عن المعنى المتصوَّر فى النفس لغة وكل لغة فهى صوت يعبّر به عن المعنى المتصوَّر فى النفس . وأما وزنها وتصريفها وما تحلّل اليه من الحروف وتتركّب عنه فهى فعلة متركّبة من حرف ل غ و ه واليها تنحلّ لأن التحلّل إنما هو إلى مثل ما يقع عليه التركّب يقال لَغوت أى تكلّمت وأصلها لغوه ونظيرها قلَه وكُرَه وثُبه كلها لامها واو لقولهم قلوت بالقُلَه وكروت بالكُرَه ولأن الثُبَه كأنها من مقلوب ثاب يثوب والجمع لُغات ولُغُون كُكُرات وكُرين يجمعونها بالواو والنون اشعاراً بالعوض من المحذوف مع الدلالة على التغيير .

فلما رأيت اللغة على ما أريتك من الحاجة اليها لمكان التعبير عما نتصوره وتشتمل عليه أنفسنا وخواطرنا أحببت أن أجرّد فيها كتاباً يجمع ما تنشّر من أجزائها شعاعاً وتنثّر من أشلائها حتى قارب العدم ضياعا، ولا سيما هذه اللغة المكرمة الرفيعة المحكمة البديعة، ذات المعانى الحكيمة المرهفة والالفاظ اللدنة القويمة المثقّفة ، مع كون بعضها

مادة كتاب الله تعـــالى الذى هو سيد الـكلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اه

ثم ذكر ابن سيده أن القدماء ألفوا فى هذه اللسان الفصيحة كتباً أورثوا فيها علوماً جمة نفيسة ولـكن وجد ذلك نشراً غير ملتئم إذ كان لا كتاب نعلمه إلاّ وفيه من الفائدة ما ليس فى صاحبه وقال انه لم يرلهم فيها كتاباً مشتملاً على جلها فضلاً عن كلها وان المؤلفين فيها حرموا الارتياض بصناعة الاعراب فلا يبينون ماقلبت فيه الألف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء، ولا يحدّون الموضع الذى انقلاب الألف فيه عن الياء أكثر من انقلابها عن الواو مع عكس ذلك ولا يميّزون ما يخرج على هيئة المقلوب ما هو منــه مقلوب وما هو من ذلك لتنــان وذلك كجذب وجبذ ويئس وأيس ورأى وراء ولا ينبهون على ما يسمعونه غير مهموز مما أصله الهمز ولا يفرقون بين القلب والابدال ولا بين ما هو جمع يكسّر عليه الواحد وبين ما هو اسم للجمع وغير ذلك مما حمله على جمع كتاب مشتمل على جميع ما سقط اليه من اللغة إلا ما لا بال به وأن يضع على كل كلمة قابلة للنظر تعليلها ويحكم تفريعها وتأصيلها ، وإن لم تـكن الـكلمة قابلة لذلك وضعها على ماوضعوه وتركها على ماودعوه قال : ولم تزل الأيام به عن هذا الأمل قاطعة بما يستغرق زمنه من جواهد الأشغال ويأتُر متن قوته من لواهد الاعباء والأثقال حتى نفذ ما لوى من عنانه اليه وهو أمر الموفّق الملك الأعظم والهمام الأكرم يريد به أبا الجيش الموفّق العامرى الذى كان استولى على الجزائر الشرقية وعلى مرسية ونواحيها وأثنى عليه ثناء جمًّا وقال : انه أحيا ميّت الفضل وأقام مُنآد السياسة بالعدل وملأ الخافقين ذكره أرجا وعمّ قلوب الثقلين حبه لهجا ولـما كان الملك الموفّق المشار اليه ذا ملـكة ذكرها المؤرخون فى العلم والفضل ومادّة اعترف له بها المعاصرون من جهتَى العقـل والنقل أشار ابن سيده إلى ذلك فقال : انه لما شرح الله صدره لقبول مشروعه وتصفّح هذا اللسان العربى فرأى العلم به معيناً على جميع العلوم عامة وعلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه خاصة أراد حصر ما حكَت منه ثقات الأئمة وتأمّل ما صنفّته أعيـــان رواتهم ومشاهير ثقاتهم فجلت له دقة نظره عن مثل ما جلت لابن سيده من أنهم لم يضعوا فى

اللغة كتاباً جامعاً ولا أبانوا موضوعات الأشياء بحقائقها ولا تحرّزوا من سوء العبارة وابانة الشيء بنفسه وتفسيره بما هو أغرب منه وأنه تأمّل فوجد غير ابن سيده لا يقوم بهذا العمل وقال هذا القول فى حق نفسه : « وكلاً عجم فوجدنى أعتق تلك القداح جوهرا وأشرفها عنصراً وأصلبها مكسراً وأوفرها قسماً وأعلاها عند الاجالة اسما فأهّلنى لذلك واستعملنى فيه وأمرنى باللزوم له والثافنة عليه بعد أن هدانى سواء السبيل إلى علم كيفية التأليف وأرانى كيف توضع قوانين التصريف وعرّفنى كيف التخلّص الى اليقين عند تخالج الأمر لما يعترض من الظنون من تعاضد وتعاند وعقد علىّ فى ذلك ايجاز القول وتسهيله وتقريبه من الافهام بغاية ما يمكن فدعا منى الى كل ذلك سميعا وأمر به مطيعا »

ومهما يكن ابن سيده مبالغاً فى بيان معارف الملك الموفق مجاهد العامرى على عادة علماء كل عصر فى إطراء ملوكهم فلا شك فى أن لذلك أصلاً أصيلا وأن الملك الموفق مجاهدا العامرى كان ملكاً عالماً جليلا . ثم ذكر ابن سيدة بعض فضائل المخصص فقال ان منها تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص والاتيان بالكليات قبل الجزئيات والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض وتقديم كم على كيف وشدة المحافظة على التقييد والتحليل قال : مثال ذلك ما وصفته فى صدر هذا الكتاب حين شرعت فى القول على خلق الانسان فبدأت بتنقّله وتكونه شيئاً فشيئاً ثم أردفت بكلية جوهره ثم بطوائفه وهى الجواهر التى تأتلف منها كليته ثم مايلحقه من العظم والصغر ثم الكيفيات كالألوان الى مايتبعها من الأغراض والخصال الحميدة والذميمة اه وقال انه كان قد صنف كتابه المحكم مجنساً ليدل الباحث على مظنة الكلمة المطلوبة فأراد هذه المرة أن يعدل به كتاباً يضعه على الأبواب أى على المواضيع لأنه رأى ذلك أجدى فانه اذا كانت للمسمّى أسماء كثيرة وللموصوف أوصاف عديدة تنقّى الخطيب والشاعر منها ما أراد واتسعا فى ما يحتاجان اليه من سجع أو قافية على مثال البساتين تجمع أنواع الرياحين فاذا دخلها الانسان أهوت يده الى ما استحسنته حاستا نظره وشمّه.

وقال على المصنفين فى اللغة قبله انهم اذا أعوزتهم الترجمة لاذوا بأن يقولوا

«باب نوادر» وربما أدخلوا الشيء تحت ترجمة لا تشا كله . ثم عادفأثنى على كتابه كما كان قد أثنى فى صفحة سابقة على نفسه مما يؤخذ دليلا على أن بعض الأئمة لم يستنكفوا عن تبيين محاسن آثارهم رقد رأينا طائفة منهم يتحدثون بنعم الله ويذكرون ما آتاهم الله من فضله وربما ترجموا أنفسهم بأقلامهم وذلك مثل الامام السيوطى وياقوت الحموى فى معجم الأدباء ولسان الدين بن الخطيب والحافظ بن حجر وابن شامة وغيرهم ومن الأدباء ابن الأثير صاحب المثل السائر وابن حجة الحموى صاحب خزانة الأدب وغيرهما والخلاصة أنه قال : « وكتابنا من كل ذلك بحيث الشمس من العيب والنجم من الهرم والشيب. ومن طريف ما أودعته إياه بغاية الاستقصاء ونهاية الاستقراء وإجادة التعبير والتأنق فى محاسن التحبير المدود والمقصور والتأنيث والتذكير وما يجئ من الأسماء والأفعال على بنائين وثلاثة فصاعداً ومايبدل من حروف الجر بعضها مكان بعض . اه ثم ذكر من محاسن تأليفه إضافة الجامد الى الجامد والمنصرف الى المنصرف والمشتق الى المشتق والمرتجل الى المرتجل والمستعمل الى المستعمل والغريب الى الغريب والنادر الى النادر . وذكر ابن سيده الكتب التى أخذ عنها مثل كتاب أبى حنيفة فى الأنواء . والنبات وكتاب يعقوب فى النبات . وكتب أبى حاتم فى الأزمنة وفى الحشرات وفى الطير . وكتب الاصمعى فى السلاح وفى الابل وفى الخيل . وكتاب أبى زيد فى الغرائز والجرائم . وقال انه أخذ أيضاً عن المصنف وغريب الحديث لأبى عبيد : وكتب يعقوب كالاصلاح والالفاظ والفرق والاصوات والزبرج والمكنى والمبنى والمد والقصر ومعانى الشعر وكتابى ثعلب الفصيح والنوادر . وكتب الفراء والمبرد وكراع والنضر وابن الاعرابى واللحيانى وابن قتيبة . وقال انه أخذ من الكتب المجنسة أى المرتبة على حروف الهجاء كالجمهرة والعين : وكتاب البارع لابى على القالى والزاهر لابى بكر الانبارى . وكتاب سيبويه وكل ماسقط اليه من كتب أبى على الفارسى كالايضاح والحجة والاغفال ومسائله المنسوبة كالحلبيات والقصريات والبغداديات والشيرازيات . وكتاب أبى سعيد السيرافى فى شرح كتاب سيبويه . وكتب أبى الفتح ابن جنى مثل التمام والمعرب والخصائص وسر الصناعة والتعاقب وشرح شعر المتبنى

وتفسير شعر الحماسة . وكتب أبي الحسن ابن الرمّانى وهى الجامع فى تفسير القرآن والمبسوط فى كتاب سيبويه . وشرح موجز أبي بكر بن السرىّ . قال وانه أودع المخصص كتابه هذا مالم يسبق اليه من تعاريف المنطق ورد الفروع الى الاصول وحمل الثوانى على الاوائل وكيفية اعتقاب الالفاظ الكثيرة على المعنى الواحد وقصد من الاشتقاق أقربه الى الكلمة المشتقة وأدلَّه عليها بقول بليغ شاف وقد وجد فى ذلك اختلافاً كثيراً . فاما اقتصر على أصحّه عنده واما ذكر اختلافهم . قال وهو مع ذلك لايدّعى الاحاطة فالله وحده هو الذى أحاط بكل شيء علما لكنه أعمل فى ذلك الاجتهاد فان كان قد أصاب فهو ماالیه قصد وان تكن الاخرى فقد قيل ان الذنب عن المخطئ بعد التحرّى موضوع وقال : انه ربما وقعت أثناء كتابى هذا كلمة متغيرة عن وضعها فان كان ذلك فانما هو موقوف على الحَمَلَة ومصروف الى النَقَلَة (١) لانى وإن أمليته بلسانى فما خطّته بنانى وإن أوضعت فى مجاريه فِكَرى فما أرتعت فيه بصرى (٢) مع أنى لاأتبرأ أن يكون ذلك من قِبَلى وأن يكون موضعاً قد ألوى فيه بثباتى زللى فان ذوات الالفاظ لاتؤخذ بالقياس ولايستدل عليها بالعقل والاحساس إنما هى نغم تقيَّد وكلم تسمع فتقلد هؤلاء أهل اللغة حَمَلَتُها وحماتها ونقلتها ورواتها مشافهو الفصحاء ومُفَاوِهُو الصرحاء الاصمعى والمفضَّل وأبو عبيدة الشيبانى قد غلطوا بأشياء تسكعوا منها فى عمياء هذا ولا يعرفون علماً سواها ولا يتحملون من العلوم شيئا خلاها فكيف بى مع تأخر أوانى وبعد مكانى ومصاحبتى للعجم وكونى من بلادى فى مثل الرجم (٣) . اه

---

(١) ولعمرى كم من أغلاط وسقطات مشوهة للكتب لا منشأ لها إلا النساخ وفى الأعصر الأخيرة المطابع

(٢) يشير الى أنه ضرير لم يكن يكتب بيده ولا يقرأ ببصره بل كانوا يقرأون له وقد تقدم أن ابن سيده رحمه الله كان أعمى وأن أباه أيضاً كان أعمى

(٣) أى القبر

ولعمرى ليس فى هذا ما يعترض عليه فالخطأ لا يسلم منه أحد من العالمين قال الله تعالى : (اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين) ولكن بالرغم من جلالة قدر ابن سيده فى اللغة وأنه البحر الذى لاتنزحه الدلاء وأن الانسان حقيق بأن يتحدث بما من الله عليه من نعم وآلاء يستهجن منه أن يقول فى مقدمة المخصص مثل هذه العبارة : « ضمنته مايدل على تقدمى فى جميع أبواب الأدب كالنحو والعروض والقافية والنسب والعلم بالخبر إلى غير ذلك من العلوم الكلامية التى بها أبذّ المؤلفين وأشذّ عن المصنفين» فانه لا يمتنع أن يكون قوله هذا فى ذاته صحيحاً ولكن يكون أكمل لو تجنّب ذكره وتجافى عن تزكية نفسه بنفسه لا سيما أن المخصص تستغنى حاله عن الاشادة به وهو مما يقال فيه عينه فراره وكفى بمطالعته تعظيما لقدره . وما أطلنا هذه الاطالة فى الكلام على ابن سيده ومخصصه الا تنبيها لناشئة العرب وطلاب العربية على مافى هذا الكتاب من الكنوز المدفونة واللآلئ المكنونة التى تعوزهم فى التعبير عن المعانى الكثيرة التى جدت فى زمانهم وضاقوا فى الابانة عنها ذرعا بقلة حفظهم وعدم اعتمادهم على أمهات العربية كالمخصَّص وما فى ضربه

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بيبش[1] المفتى أخذ عن أبى جعفر بن مغيث وأبى المطرف بن سَلَمَة وغيرهما وتوفى بمرسية سنة ٤٨٤ قاله ابن بشكوال

وأبو بكر محمد بن عبدالله بن أبى جعفر الخشنى من أهل مرسية سمع من أبى حفص الهوزنى وغيره وكان مفتيا فى الأحكام حدث عنه ابنه عبد الله وتوفى بمرسية سنة ٤٩٤ ذكره ابن بشكوال فى الصلة وقد تقدمت ترجمة ابن أبى محمد عبد الله الذى انتقل الى سبتة وتوفى بقرطبة سنة ٥٣٨

وأبو عبد الرحمن محمد بن اسحق بن طاهر من أهل مرسية روى عن أبى الوليد ابن ميقل وأجازله ما رواه وكانت له عناية ورواية. قال ابن بشكوال فى الصلة : وقد أخذ عنه بعض أصحابنا وتوفى ببلنسية وسيق إلى مرسية ميتا ودفن بها سنة ٥٠٨

---

(١) بيبش اسم اسبانيولى أصله Vives وهو من جملة الأسماء التى سمّى بها العرب الأندلس اما توارثا أو تشبها

وأبو القاسم محمد بن هشام بن أحمد بن وليد الأموى روى ببلده مرسية عن أبى على بن محمد الصدفى وصحب أبا محمد بن أبى جعفر الفقيه وتفقه به وأخذ بقرطبة عن أبى محمد بن عتاب وغيره قال ابن بشكوال : وكان من أهل الحفظ والعلم والمعرفة والذكاء والفهم واستقضى بغرناطة فنفع الله به أهلها لصرامته ونفوذ أحكامه وجمود يده وقويم طريقته وتوفى رحمه الله بمرسية صدر رمضان المعظم سنة ٥٣٠

وأبو عبد الله محمد بن موسى بن وضاح من أهل مرسية أخذ عن أبى على الصدفى كثيراً وله رحلة إلى المشرق حج فيها ولقى أبا بكر الطرطوشى وابن مشرف وغيرهما . وكان فاضلاً عفيفاً معتنياً بالعلم قال ابن بشكوال فى الصلة : كتب الينا باجازة ما رواه بخطه وشُوور بالمرية وتوفى رحمه الله فى سنة ٥٣٩

وأبو الوليد هشام بن أحمد بن عبد العزيز بن وضاح من أهل مرسية روىعن أبى الوليد بن ميقل وأبى عبد الله ابن نبات وأبى عمر الطلمنكى وغيرهم روى الناس عنه وكان ثقة فاضلا توفى سنة ٤٦٩ ذكر وفاته ابن مدير قال ابن بشكوال فى الصلة : أخبرنا عنه أبو محمد بن أبى جعفر الفقيه وغيره من شيوخنا رحمهم الله

وأبو موسى هرون بن سعيد من أهل مرسية وصاحب صلاتها وخطيبها روىعن أبى محمد الاصيلى وروى عنه أبو عبد الله بن عابد وقال : كتبت عنه من خطبه ومن غرائب روايته . ذكره ابن بشكوال فى الصلة

وأبو الحسين يحيى بن ابراهيم بن أبى زيد اللواتى يعرف بابن البياز منأهل مرسية روى عن أبى محمد مكى بن أبى طالب وأبى عمر المقرى ورحل إلى المشرق وحج ولقى عبد الوهاب القاضى بمصر وأخذ عنه كتاب التلقين من تأليفه وعمّر وأسَن قال ابن بشكوال : وسمعت بعضهم يضعّفه وينسبه إلى الكذب وأنه ادّعى الرواية عن أقوام لم يلقهم ويشبه أن يكون ذلك فى وقت اختلاطه والله أعلم لأنه اختلط فى آخر عمره . قال وقرأت بخط القاضى محمد بن عبد العزيز شيخنا : توفىأبو الحسين المقرى رحمه الله بمرسية يوم السبت بعد صلاة العصر لثلاث خلون من المحرم ودفن يوم الأحد عند صلاة العصر سنة ٤٩٦ ومولده سنة ٤٠٦

وأبو أيوب يعقوب بن موسى بن طاهر بن أبي الحسام روى عن أبي الوليد بن نيقل وبقرطبة عن أبي عبد الله بن عتاب وحاتم بن محمد وأبي عمر بن القطان وكان فقيها حافظا متفننا مفتيا ببلده مرسية قال ابن بشكوال : توفى فى صفر سنة ٤٦١ ذكره ابن مدير

وأبو على حسن بن عبد الرحمن بن محمد الكنانى المرسى يعرف بالرفَّاء أخذ القراءات عن أبي محمد الشنُتى وسمع من أبي عبد الله بن حميد ولقي ببلنسية أباعبدالله ابن نوح وأبا بكر عتيق بن القاضى وأخذ عنهما . قال ابن الأبَّار فى التكملة : لقيته غير مرة وكان أديباً صاحب مقطَّعات وتذييلات حسنة مشاركاً في العربيـة وعلم العروض فكه المجلس حسن الخلق توفى سنة ٦٣٣

وأبو الحسن بن عزيز المقرى من أهل مرسية أخذ عنه القاضى أبو عبد الله بن سعادة ووصفه بالفضل والصلاح وقال : قرأت عليه مدة كتاب الله تعالى بطريق التجويد وضبط الرواية وكان أضبط من لقيته للقراءات وأحسنهم لها تجويدا وأعلاهم رواية ذكره ابن الأبَّار فى التكملة

وأبو الحسن بن ميمون المقرى من أهل مرسية أخذعن أبي محمدبن سهل وتصدَّر للاقراء وأُخذ عنه ومن جملة من أخذ عنه أبو القاسم بن فتحون ذكره ابن الأبَّار نقلاً عن ابن عيَّاد

وحبيب بن سيد الجذامى من أهل «بقُسْرط» عمل مرسية وصاحب الصلاة بها كان من خيار الناس وصلحائهم موصوفاً بالزهادة والانقطاع . وهو الذى صلَّى على أبي عمر بن عفيف عند وفاته بلورقة فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٢٠ ذكره ابن الأبار فى التكملة وقال ان ابن بشكوال أغفله وقد أورد كثيراً من صنفه

وأبو مروان خطَّاب بن أحمد بن موسى بن خطاب الغافقى من أهل «موله» عمل مرسية سمع بقرطبة من أبي عبد الله بن أصبغ وأبي بكر بن العربي عند انتقاله اليها ومن أبي مروان بن مسرَّة وأبي مروان بن قزمان وغيرهم وعني بسماع الحديث وكتب

يخطه كثيراً وكان حسن الوراقة والتقييد فقيهاً مشاوراً ذكره ابن الأبّار فى التكملة

وأبو الحكم رشيد مولى القاضى أبى أميّة بن عصام روى عن القاضى المذكور وعن أبى على الصدفى وشريح بن محمد وأبى الحسن بن هذيل وأبى الوليد بن الدبّاغ وكان حسن الخط معنيا بالرواية ذكره ابن الأبّار فى علماء مرسية

وأبو رجال بن غلبون الكاتب أخذ ببلده مرسية عن أبى جعفر بن وضّاح ورحل الى أبى اسحق بن خفاجة الشاعر المشهور فحمل عنه ديوان شعره . وكان أديباً بليغاً ناظماً ناثراً تأدب به أبو بحر صفوان بن ادريس ترجمه ابن الأبّار فى التكملة وقال : أخذ عنه شيخنا أبو الربيع بن سالم وقال : أذن لى فى التحديث عنه بشعر ابن خفاجة وتوفى ابن غلبون هذا ليلة الخميس الثانى عشر لذى الحجة سنة ٥٨٩

وأبو زكريا الحصّار المقرى المرسى يروى عن أبى الحسين بن البيّاز وأبى الحسن ابن شفيع أخذ عنه أبو عبد الله بن تحيًّا المرسى ذكره ابن الأبّار

وأبو الحسن زيادة الله بن محمد بن زيادة الله الثقفى يعرف بابن الحلاّل وقد تقدّمت ترجمة اثنين من هذه العائلة سمع من أبى الوليد بن الدبّاغ وأجاز له أبو بكر بن أسود وأبو بكر بن العربى وتفقه بشيوخ بلده مرسية وتولى خطة الشورى فيها واستقضاه أخوه أبو العباس بمدينة بلنسية فتولى ذلك محمود السيرة توفى بمرسية سنة ٥٥٢ قاله ابن سفيان . وقال ابن عيّاد توفى فى جمادى الأولى سنة ٥٤٨ ورجّح ابن الأبّار رواية ابن عيّاد

وأبو القاسم الطيّب بن محمد بن الطيّب بن الحسين بن هرقل العتقى الكنانى سمع ابن حبيش وأكثر عنه وتفقه بأبى بكر بن أبى جمرة وكتب اليه ابن بشكوال والسهيلى وابن الفخّار وابن مضاء وأبو بكر بن جُزَىّ البلنسى وغيرهم وكان من أهل المعرفة الكاملة والنباهة مع المشاركة فى الأدب وتقدم أهل بلده مرسية رئاسة ورجاحة. قال ابن الأبّار : رأيته فى رمضان سنة سنة ٦١٦ ولم آخذ عنه شيئاً وأخذ

عنه أصحابنا وتوفى وأنا بثغر بطليوس ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ٦١٩ أفادنى ذلك أبو عمر بن عيشون صاحبنا ومولده سنة ٥٥٦ أو نحوها عن ابن سالم

ومحمد بن وليد بن مروان بن عبد الملك بن أبي جمرة من أهل مرسية حدَّث عن أبيه بالمدوَّنة لسحنون وحدَّث عنه ابنه وليد بن محمد ذكره ابن الأبار فى التكملة

وأبو بكر بن محمد بن على بن خلف يعرف بابن طرشميل أخذ عن أبي الحسن بن سيده وعلّم بالعربية هو وأخوه أبو جعفر أحمد وتوفى بمرسية سنة ٤٧٣ على رواية ابن حبيش وقال ابن عزير وذكره وأخاه : توفى أسنهما يعنى محمداً هذا ببلنسية ذكره ابن الأبَّار

ومحمد بن عبد الملك بن على بن نصير الغافقى سمع من أبي على الغسَّانى صحيح البخارى وسمع من أبي على باشبيلية سنة ٤٩٦ ذكره ابن الأبَّار فى التكملة

وأبو بكر محمد بن أغلب بن أبي الدوس المرسى روى عن أبي الحجَّاج الاعلم وأبي الحسن المبارك بن الخشَّاب وأبي على الغسَّانى وغيرهم وكان عالما بالعربية من أحسن الناس خطاً وأصحهم نقلاً وضبطاً وشُهِر بالاقراء وأدَّب الراضى يزيد والمأمون الفتح ولدى المعتمد بن عبَّاد صاحب اشبيلية . سكن المرية وقتاً وأجاز البحر الى المغرب فنزل مدينة فاس واستقر أخيراً بأغمات وتوفى بمراكش سنة ٥١١ ترجمه ابن الأبَّار فى التكملة قال وله شعر صالح

وأبو عبد الله محمد بن مسعود بن خلف بن عثمان العبدرى من أهل شنتمرية الشرق سكن مرسية كانت له رحلة حج فيها وبعد صَدَره منها سمع من أبي على الصدفى قال ابن الأبَّار : وأبوه مسعود من شيوخ أبي على المذكور

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن جُزَىّ الضرير المرسى لازم أبا على الصدفى وكان مقرئاً ذكره ابن الأبَّار

وأبو بكر محمد بن عيسى بن محمد بن بقى الغافقى المرسى روى عن ابن عتَّاب

وأبى بكر بن العربى وأبى الأصبغ الزهري وأبى عبد الله القامى وحدّث عن جميعهم بالموطأ روى عنه ابنه عبد الكبير بن محمد نزيل اشبيلية وغيره قال ابن الأبار : ووجدت السماع منه فى سنة ٥٢٩

وأبو يحي محمد بن على بن أحمد بن جعفر من بيت نباهة وأصالة من مرسية سمع كثيراً من أبى على الصدفى وكان متحرياً فى التقييد حسن الخط ذكره ابن الأبار

ومحمد بن عبد الملك بن أحمد الطائى المرسى كان بارع الخط أنيق الوراقة روى عن أبى الحسن بن مغيث وأبى اسحق بن ثبات القرطبى سمع منه سنة ٥٣٠ ذكره ابن الأبار

وأبو عبد الله محمد بن عبد الواحد من أهل مرسية وأصله من الش عملها يعرف بابن التيّان ذكره السلفى وقال : روى لنا عن أبى عبد الله بن الطلّاع وأبى على الجيّانى وغيرهما وهو من أهل المسائل والحديث ذكره ابن الابار

وأبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مهلّب الاسدى من أهل مرسية قال ابن الأبار : كان أديبا كاتبا وله سماع من ابن الدباغ فى سنة ٥٣٥ وقفت عليه وكان من بيت رواية وعناية بالحديث

وأبو عبد الله محمد بن يحي بن سعدون من أهل مرسية وصاحب الأحكام بها كان عارفاً بالشروط قال ابن الأبار : أخذ عنه شيخنا أبو بكر بن أبى جمرة وتدرب معه وأجاز له مارواه وتوفى سحر ليلة السبت الرابع عشر من ربيع الآخر سنة ٥٣٦

وأبو الحكم محمد بن يزيد بن سمحون من أهل مرسية سمع من أبى على الصدفى ذكره ابن الأبار

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد العتقى من أهل مرسية كانت له رحلة حج فيها وروى عن أبى بكر بن العربى ذكره ابن الأبار وقد تقدم لاناس من هذه العائلة تراجم

وأبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن موسى الخشنى يعرف بابن أبى جعفر روى عن أبيه وأخذ العربية عن أبى بكر بن الجزار ولقى ابن

الدباغ وكان فقيهاً حافظاً قائماً على المدونة فى تدريسه مستبحرا فى علم الرأى حكى عن أبى محمد بن محمد القُلَنّى أنه كان يثنى عليه ويقول هو أفهم من أبيه تفقه به أبو محمد ابن عات وابو بكر بن أبى جمرة وتولى قضاء بلده مرسية عند انقراض دولة المرابطين ثم تأمر بمرسية وكان يقول فى قيامه بالامارة : ليست تصلح بى ولست لها بأهل ولكنى أريد أن أمسك الناس بعضهم عن بعض حتى يجىء من يكون لها أهلا . وتوجه الى غرناطة فى حرب فانهزم جيشه وقتل هو وذلك فى صدر سنة ٥٤٠ قيل انه لما قتل لم يكن تجاوز خمساً وثلاثين سنة ترجمه ابن الابار فى التكملة . وآل الخشنى بيت مشهور فى مرسية

وأبو بكر محمد بن يوسف بن سليمان بن محمد بن خطاب القيسى من سرقسطة سكن مرسية يعرف بابن الجزّار أخذ العربيـــة عن أبى بكر بن الفرضى وأبى محمد البطليوسى وسمع الحديث من أبى على الصدفى وأبى محمد بن أبى جعفر وقعد للتعلم بالعربية وكان أديباً كاتباً شاعراً وجرت بينه وبين أبى عبد الله بن خَلَصَة مســائل فى اعراب آيات من القرآن ظهر عليه فيها وضمَّن ذلك رسالة أخذها عنه أبو عبد الله المكناسى فى اختلافه اليه لقراءة النحو عليه وقال : قُتل بناحية غرناطة سنة ٥٤٠ وذكره ابن عيَّاد وقال أقرأ بمرسية وحكى أنه أصيب مع أبى جعفر وكان معلمه وحُمل إلى غرناطة مثبتاً فمات بها ومن الرواة عنه أبو محمد بن عات وأبو العبـاس بن اليتيم . ذكر كل ذلك ابن الأبَّار

وأبو عبد الله محمد بن زيادة الله الثقفى يعرف بابن الحلاَّل وهو والد القاضى أبي العباس سمع من أبى على الصدفى الذى لا تحصى تلاميذه فى عصره بالأندلس وكان ابن زيادة الله هذا شيخاً جليلاً فاضلاً عاقلاً معظماً فى بلده مرسية . توفى فى ذى القعدة سنة ٥٤٦ نقل ابن الأبَّار تاريخ وفاته عن أبى عمرو بن عيشون المرسى

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الوارث كان من أهل العلم والدين وولى الصلاة والخطبة بجامع بلده مرسية فكان أخشع الناس فى خطبته وتوفى سنة ٥٤٧

بحسب رواية ابن عيّاد . وقال ابن سفيان انه توفى سنة ٤٤٥ ذكر ذلك ابن الأبّار

وأبو بكر محمد بن فتحون بن غلبون الأنصارى من أهل مرسية سمع من أبى على الصدفى واتصل به قال ابن الأبّار : وهو قرابة لشيخنا أبى محمد غلبون بن محمد وكان ذا عناية ورواية

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعد الفهرى يعرف بابن الصيقل وكان يلقّب أبا هريرة لتتبّعه الآثار وعنايته بها أخذ عن أبى محمد بن أبى جعفر الموطأ وكتاب الملخّص للقابسى وانتفع كثيراً بأبى الوليد بن الدبّاغ وسمع أبا بكر بن أبى ليلى وأبا عبد الله بن وضّاح وكتب اليه كبار العلماء مثل أبى بكر بن أسود وأبى القاسم ابن بقى وأبى الحسن بن مغيث وأبى الحسن شُريح وأبى بكر بن العربى وأبى محمد الرشاطى وأبى القاسم بن ورد وأبى الفضل بن عياض وغيرهم من الأندلسيين ومن أهل المشرق أبو طاهر السلفى وأبو محمد العثمانى وأبو المظفر الشيبانى . قال ابن الأبّار فى التكملة : وقيّد كثيراً على رداءة خطه فأفاد قال : وفى هذا الكتاب من فوائده ما نسَبته اليه وتوفى بمرسية بلده بعد الخمسين وخمسمائة

وأبو بكر محمد بن أحمد بن عصام يعرف بابن اليتيم ذكره ابن سفيان وأثنى عليه ووصفه بالأدب والبلاغة وقال : توفى ببلده مرسية سنة ٥٥٣ ذكر ذلك ابن الأبّار

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبى العافية اللخمى يعرف بالقسطلى لأن أصله من القسطل التى ينسب اليها الشاعر ابن درّاج كان مدرّسا للفقه صدراً فى أهل الشورى جليلاً فى بلده مرسية عدلاً رضاً معروفاً بالنزاهة موصوفاً بالحفظ تفقه بهأبو عبد الله محمد بن سليمان بن بُرطُلُة (Berthelot) وغيره وتوفى أول ذى الحجة سنة ٥٥٨ نقل ابن الأبّار ترجمته هذه عن ابن سفيان وابن حبيش

وأبو عامر محمد بن أحمد بن عامر البلوى من أهل طرطوشة سكن مرسية وأصله من مدينة سالم بشمالى الأندلس فلذلك كان يعرف بالسالمى كان من أهل الأدب والعلم والتاريخ وله كتاب اسمه « درر القلائد وغرر الفوائد » قال ابن الأبّار فى التكملة انه

نقل عنه فيها وله أيضاً فى اللغة كتاب حسن وفى الطب كتاب اسمه الشفاء وكتب للأمير محمد بن سعد وكان له حظ من قرض الشعر توفى سنة ٥٥٩

وأبو عبد الله محمد بن سليمان بن موسى بن سليمان الازدى المرسى يعرف بابن برطلة سمع من أبى عبد الله بن سعادة وتفقه بأبى عبد الله القسطلى وأبى عبد الله بن عبد الرحيم ولازم القاضى أبا العباس بن الحلال وكان متقناً لمسائل الفقه معروفاً بالفهم مع الصون والعفاف توفى قبل اكتهاله سنة ٥٦٣ روى ابن الأبار قال : ان قريبه الخطيب أبا محمد ذكر له أن والد المترجم وهو سليمان بن موسى الازدى ولى القضاء

وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة مولى سعيد بن نصر مولى عبد الرحمن الناصر من أهل مرسية سكن شاطبة ودار سلفه بلنسية سمع أبا على الصدفى أستاذ الأندلس فى وقته واختُصَّ به واليه صارت دواوينه وأصوله العتاق وأمّهات كتبه الصحاح لصهر كان بينهما . وتفقَّه أيضاً بمحمد بن أبى جعفر ورحل إلى غرب الأندلس فسمع أعاظم العلماء كأبى محمد بن عتَّاب وأبى بحر الاسدى وأبى الوليد بن رشد وأبى عبدالله بن الحاج وأبى بكر بن العربى وكتب اليه أبو عبد الله الخولانى وأبو الوليد بن طريف وأبو محمد الركلى وأبو محمد بن السيّد وغيرهم . ثم رحل الى المشرق سنة ٥٢٠ فاتى بالاسكندرية أبا الحجاج بن نادر الميورقى وصحبه وأخذ عنه الفقه وعلم الكلام وحج سنة ٥٢١ فاتى بمكة أبا الحسن رزين العبدرى امام المالكية بها وأبا محمد بن غزال من أصحاب كريمة المروزيَّة وروى عن أبى الحسن ابن سند بن عيَّاش الغسَّانى ما حمل عن أبى حامد الغزالى من تصنيفه . ثم انصرف المترجم الى ديار مصر فلازم ابن نادر الميورقى فى الاسكندرية الى حين وفاته ولقى أبا الطاهر بن عوف وأبا عبد الله بن مسلم القرشى وأبا طاهر السلفى محدّث الدنيا فى وقته وأبا زكريا الزناتى وكان قد كتب اليه من الاسكندرية أبو بكر الطرطوشى وأبو الحسن بن مشرّف الأنماطى ولقى فى صَدَره الى المغرب بالمهديَّة أبا عبد الله المازرى فسمع منه بعض كتاب « المعلم » وأجاز له الباقى . وكان ايابه الى مرسية سنة ٥٢٦

وولّى خطة الشورى بمرسية مضافة الى الخطبة بجامعها وأخذ فى التحديث وتدريس الفقه ثم ولّى القضاء بمرسية بعد انقراض دولة المرابطين أو الملثمين . ثم نقل الى قضاء شاطبة فاتخذها وطناً وكان يسمع الحديث بشاطبة وبمرسية وبلنسية ويقيم الخطبة أيام الجمع فى جوامع هذه الأمصار الثلاثة متعاقباً عليها . وقد حدَّث بمرسية وهنالك أبو الحسن بن موهب وأبو محمد الرشاطى وألَّف كتاب « شجرة الوهم المترقية الى ذروة الفهم » لم يسبق الى مثله وليس له غيره . قال ابن الأبَّار فى التكملة عنه ما محصله : كان عارفاً بالسنن والآثار مشاركا فى علم القرآن وتفسيره حافظاً للفروع بصيراً باللغة والغريب ذا حظ من علم الكلام مائلا الى التصوّف أديباً بليغاً خطيباً فصيحاً ينشىء الخطب مع الهدى والوقار والحلم وجميل الشارة محافظاً على التلاوة بادى الخشوع راتباً على الصوم . وذكره ابن عيَّاد ووصفه بالتفنُّن فى المعارف والرسوخ فى الفقه وأصوله والمشاركة فى علم الحديث وفى الأدب وقال : كان صليباً فى الأحكام مقتفياً للعدل حسن الخلق والخلق جميل المعاملة ليّن الجانب فكِه المجالسة ثبتاً حسن الخط من أهل الاتقان والضبط كانت عنده أصول حسان بخط عمه مع الصحيحين بخط الصدفى فى سفرين قال : ولم يكن عند شيوخنا مثل كتبه فى صحتها واتقانها وجودتها ولا كان فيهم من رزق عند الخاصة والعلمة من الحظوة والذكر وجلالة القدر ما رزقه وذكره ابن سفيان أيضاً وأبو عمر بن عات ورفعوا جميعاً بذكره . وقال القاضى أبو بكر بن مفوّز : كان حسن التقييد والضبط ثقة مأموناً فى ما حمل ونقل سمعت القاضى محمد بن عاشر يقول يوم موته : رحم الله أبا عبد الله كان من أهل العلم والعمل أو كان عنده العلم والعمل وتوفى بشاطبة مصروفاً عن قضائها فى منسلخ ذى الحجة سنة ٥٦٥ ودفن أول يوم من سنة ٥٦٦ قال ابن الأبَّار : وقرأت بخط شيخنا أبى الخطاب ابن واجب أنه توفى ليلة الاثنين ودفن يوم الاثنين أول يوم من محرم سنة ٥٦٦ بالروضة المنسوبة الى أبى عمر بن عبد البر ومولده بمرسية فى رمضان سنة ٤٩٦

وأبو بكر محمد بن عبيد الله بن عفَّان الغافقى من أهل مرسية كان يسكن الحمَّة من أعمالها وكان حافظاً للفقه عارفاً بالمسائل وبالاتفاق وبالاختلاف مشاركاً فى غير

ذلك من أدب ونسب وسواهما ذكره ابن سفيان وقال توفى سنة ٥٦٦ وترجمه ابن الأبَّار

وأبو عبد الله محمد بن احمد الازدى يعرف بابن عسكر كانت له رحلة حج فيها وسمع « الشهاب » للقضاعى من أبى القاسم بن الفحَّام عنه وقفل فحدَّث به ذكره ابن الأبَّار ولم يذكر سنة وفاته

وأبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى من أهل مرسية ورئيسها فى الفتنة تفقَّه ببلده عند أبى جعفر بن أبى جعفر ورحل الى قرطبة فلقى أبا مروان بن مسرَّة وطبقته وسمع من أبى الوليد بن الدبَّاغ وأبى القاسم ابن ورد وأبى محمد بن عطية وأبى بكر بن برنجال وأجاز له ابن العربى وغيره وكان يذهب فى جميع ما يحمله الى الدراية . ثم طالع العلوم القديمة أى الفلسفية فبرَّز فيها وصار اماماً من أئمتها ورأس بمرسية يسيراً بعد انقراض دولة الملثمين . قال ابن الأبَّار ثم تخلى عن ذلك وتلوَّن للناس رغبة فى السلامة وتوفى بمراكش سنة ٥٧٤ عن ابن سفيان . اه وقد ورد ذكر بنى طاهر هؤلاء فى تاريخ مرسية للمؤلف الاسبانى مما تقدم ترجمته

وأبو عبد الله محمد بن رافع بن محمد بن حسن بن رافع القيسى من أهل مرسية سمع أبا القاسم بن حبيش واختص به وأبا محمد بن عبيد الله وأبا عبد الله بن حميد وأبا عبدالله ابن مالك المولى (نسبة الى مولة من ملحقات مرسية) وتفقه بأبى عمر البشيجى وأخذ العربية عن أبى جعفر أحمد بن مفرِّج اللاَّحى وأجاز له أبو القاسم بن بشكوال وغيره وكان حسن المشاركة فى علم القرآن والعربية له عناية بالحديث وكان من أكرم الناس خلقاً وأجملهم سمتاً وتولَّى القضاء بمولة ولما جرت هزيمة الاذفونش بن شانجه فى وقعة الارك على مقربة من قلعة رباح فى تاسع شعبان سنة ٥٩١ وكانت هزيمة متناهية فى النكاية ظهر فيها المسلمون ظهوراً عظيماً على الاسبانيين الذين زحفوا بأعظم جيش وقتئذ، قيل خمسة وعشرين ألف فارس ومائتى ألف راجل وكان معهم جماعات من تجار

اليهود قدجاءوا لاشتراء أسرى المسلمين واسلابهم وأعدوا لذلك أموالاً فخابت آمالهم وحاز الموحدون جميع ما احتوت عليه محلة النصارى . قلنا لما جرت تلك الهزيمة على الاسبان ذهبت وفود المسلمين لتهنئة أمراء الموحدين فى اشبيلية بهذهالبطشة الكبرى ـ التى كانت آخر بطشة من نوعها لمسلمى الأندلس ـ وكان أبو عبد الله محمد بن رافع فى وفد مرسـية فبعد وصوله الى اشبيلية توفى الى رحمة ربه وذلك فى ذى الحجة سنة ٥٩١ ومولده سنة ٥٥٤ ذكر هذا ابن الأبار

وأبو بكر محمد بن محمد بن الطيّب بن الحسين بن هرقل العتقى من أهل مرسية سمع أبا القاسم بن حبيش وأبا عبد الله بن حميد وغيرهما وولّى القضاء فى مواضع عدة من كور مرسية وولى قضاء شاطبة فاستعفى وأعفى وتقدّم للخطبة فى جامع مرسية وكان حسن السمت معروفاً بالعدالة متقدّماً بين أهل بلده وهو أخو أبى القاسم الطيّب بن محمد وكبيره . توفى يوم السبت ٢٨ رجب سنة ٥٩٤ وقد نيّف على الأربعين قاله ابن الأبار

ومحمد بن أحمد بن عبد الملك بن موسى بن عبد الملك بن وليد بن محمد بن وليد بن مروان بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن خطّاب بن عبد الجبّار قال ابن الأبار فى التكملة : هكذا وجدت نسبته بخط يده وكثيراً ما يختصره فيقول بعد عبد الملك الثالث : « ابن أبى جمرة » وعبد الجبّار هذا هو ابن خطّاب بن مروان بن نذير مولى مروان بن الحكم . ومحمد بن مروان هو أبو جمرة ومنتماهم فى الأزد من أهل مرسية . وكان المترجم يكنى أبا بكر سمع من أبيه كثيراً وتفقّه به وبقريبه أبىالقاسم محمد بن هشام بن أحمد بن وليد وبالقاضى أبى بكر بن اسود قرأ عليه تأليفه فى تفسير القرآن وقرأ على أبى محمد بن أبى جعفر الخشنى وأخذ عن أبى عامر بن شرويّة خطبة مناولة وسمع منه الحديث المسلسل فىالأخذ باليد . واستجاز له قريبه أبوالقاسم محمد بن هشام علماء ذلك العصر كأبى الوليد بن رشد وأبى بحر الاسدى واستجاز هو لنفسه أبا القاسم بن ورد وأبا بكر بن العربى وأبا الحسن شريح وأبا محمد الرشاطى وأبا الفضل بن عياض وهذه الطبقة العليا ومن غير الأندلسيين أبا عبد الله المازرى

وأبا طاهر السلفى محدث الدهر ولقى أبا محمد عبد الحق بن عطيـة فى قصده مرسية. قال ابن الابّار وصدّه حينئذ عن دخولها وماشاه فى طريقه وناوله تأليفه فى التفسير وأذن له فى الرواية عنه ولقى أيضاً أبا الحسن بن هذيل وأبا الوليد بن الدبّاغ وأبا بكر ابن رزق وأبا الحسن بن النعمة وأبا عبد الله بن سعادة وأبا بكر بن الجد فأخذ عنهم وأجازوا له الاّ ابن هذيل وابن النعمة منهم . وسمع من أبى اسحق ابراهيم بن صالح المقرئ كتاب الشهاب ومسنده للقضاعى وناظر فى المسائل عنـد أبى جعفر بن أبى جعفر أعواماً وتدرّب مع أبى محمد عاشر بن محمد وسمع منه جملة من تأليفه الـكبير فى شرح المدوّنة ومع أبى عبد الله محمد بن يحيى بن سعدون وأجازوا له وعنى بالرأى وحفظه وولّى خطة الشورى وسنه لا يزيد على احدى وعشرين وقُدّم للفتيا مع شيوخه فى تاسع ذى الحجة سنة ٥٣٦ أيام تأمّر ابن أبى جعفر . ثم جدّد له الامير محمد بن سعد تقديمه الى خطة الشورى وأول من شاوره من القضاة أبو الحسن سليمان بن موسى بن برطله فظهرت براعته فى أول قضية . ونصّ تقديم ابن أبى جمرة للشورى عن أبى جعفر : هذا كتاب تنويه وترفيع ، وانهاض الى مرقى رفيع ، أمر بكتبه الأمير الناصر للدين أبو جعفر بن أبى جعفر أدام الله تأييده ونصره للوزير الوجيه الأجل المشاور الحسيب الأكمل أبى بكر بن أبى جمرة أدام الله عزه أنهضه به الى الشورى ليـكون عند ما يقطع بأمر أو يحكم فى نازلة يجرى الحـكم بها على مايصدر عن مشورته ومذهبه لما علمه من فضله وذكائه ، وجده فى اكتساب العلم واقتنائه ، ولـكون هذه المرتبة ليست طريفة له بل تليدة متوارثة عن أسلافه الـكريمة وآبائه فليتحملها تحمّل المستقل بأعبائها ، اللَّحِن[1] بأنبائها ، العالم بمقاصدها المتوخاة المعتهدة وأنحائها ، والله يزيده

---

(١) لَحِنَ الرجل بفتح أوله وكسر ثانيـه فهو لَحِن بفتح الأول وكسر الثانى أيضاً اذا فهم وفطن لما لا يفطن له غيره ، ولَحَنَهُ هو يَلْحَنُهُ لحناً بكسر الحاء فى الماضى وفتحها فى المضارع فهمه وفى الحديث الشريف : انكم تختصمون الىّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض (أى افطن لها واجدل) فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فانما أقطع له قطعة من النار

تنويهاً وترفيعاً ويبوئه من حظوته وتمجيده مكانا رفيعاً ، وكتب فى التاسع لذى حجة ٥٣٩ (الثقة بالله عز وجل) هذه علامة ابن أبى جعفر . قال ابن الأبار : وتقلد قضاء مرسية وبلنسية وشاطبة وأوريولة فى مدد مختلفة وامتُحن بآخرة من عمره فى امتناعه من قضاء مرسية نفعه الله بذلك . وكان فقيها حافظاً بصيراً بمذهب مالك عاكفاً على تدريسه فصيح اللسان حسن البيان عدلا فى أحكامه جزلا فى رأيه عريقاً فى النباهة والوجاهة . وله تواليف منها كتاب « نتائج الأبكار ومناهج النظار فى معانى الآثار » ألفه بعد الثمانين وخمسمائة عندما أوقع السلطان بأهل الرأى وأمر باحراق المدوّنة وغيرها . وله كتاب « إقليد التقليد المؤدى الى النظر السديد » وغير ذلك وبرنامجه المقتضب من كتاب « الإعلام بالعلماء الأعلام من بنى أبى جمرة » و « الإنباء بأنباء بنى خطاب » هو الذى وقفت عليه وباختلاف نسخه وجد منافسوه السبيل اليه فأنكروا علو روايته واستبعدوا اسناده وتعدوا ذلك الى آبائه وتحديث بعضهم عن بعض وأكثرهم من تلاميذ أبى القاسم بن حبيش . ولعل ذلك للتباعد الذى كان بينهما فى الحياة وإلا فهذا أبو عمر بن عياد وله بحث ونظر وقوله عند من أدركناه معتبر قد روى عنه وسمّاه فى مشيخته على أنه كان أسن منه ثم توفى قبله وماعرض له بما يُريب ولا نحَله ما يُنكر بل نص فى ما قرأتُ بخط ابنه أبى عبد الله ــ وهو أيضاً ممن يحتج به فى هذه الصناعة ــ على روايته عن أبى عبد الله المازرى وأبى بحر الأسدى وأبى القاسم بن ورد وغيرهم وقال متصلا بهذا : لقيته وأنا صغير مع أبى بمرسية وجالسته ثم لقيته بعد ذلك بزمن وحضرت مجلسه وتدريسه واستجزته فأجازنى جميع روايته وكتب لى بذلك خط يده فى سنة ٥٨٢ وحكى أنه استُقضى بالبلاد المتقدمة الذكر ودرّس وشوور فى الأحكام ببلده قال : وهو كان رئيس المفتين به وأسمع الناس وأُخذ عنه هذا آخر كلامه . ولم يكن هو ولا أبوه أبو عمر نعم ولا ابن حبيش ليدّعوا الافصاح بحاله لو ارتابوا بمقاله الى غير ذلك من كلام ابن الأبار فى الدفاع عن آل أبى جمرة هؤلاء . وقال ان أبا الوليد بن الفرضى ذكر فى تاريخه منهم عميرة بن محمد بن مروان ابن خطاب وذكر أيضاً منهم وليد بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن خطاب وهو أخو مروان بن عبد الملك من جدود أبى بكر هذا إلا أن ابن الفرضى

قال فى نسبه « العُتقى » ونسب عميرة الى ولاء مروان بن الحكم . وكذلك قال أبو بكر الرازى فى كتاب « أعيان الموالى بالأندلس » من تأليفه . وقد ذكر فى صدره عبد الجبار بن خطّاب بن مروان بن نذير مولى مروان بن الحكم قال وقيل مولى معاوية بن مروان بن الحكم . والأكثر أنه مولى مروان بن الحكم واليه نسب باب المدينة الشرقى المعروف بباب عبد الجبار يعنى بقرطبة وهو جد بنى خطاب التدميريين منهم مروان بن خطاب بن عبد الجبار ابن خطاب بن مروان بن نذير . هذا ماأورد الرازى عند ذكرهم . وفى تدمير جماعة من العتقيين فلعل ابن الفرضى نسب وليداً اليهم غلطاً منه قال : والعتقاء جُمَّاع من حجر حمير ومن سعد العشيرة وكنانة مضر فالتقول على هذا الشيخ لا يؤثر عند حَملة الآثار ولا يقابلون التعارف من حاله بالانكار الى ماعضده به من تقييد الوفيات والمواليد وان حكى شيخنا أبو الربيع بن سالم فى كتاب الأربعين حديثا من جمعه أنه ظهر منه فى باب الرواية اضطراب طرّق الظِنَّة اليه وأطلق الألسنة عليه والله أعلم بما لديه فقد أسند بعقب ذلك عنه عن أبيه عن أبى عمر بن عبد البر وحدّث أيضاً عنه عن أبى بحر الأسدى عن أبى الوليد الوقشى بمختصره لكتاب ابن حبيب فى القبائل وأجازه ابن أبى جعفر له وكثير من خبره بخطه وجدته ومنه وعنه معوّلا عليه ومستنداً اليه قيدته وفى ذلك مالا يخفى على من تأمل فانه صحَّح من حيث علل . ثم قال ابن الأبار : ولو اكتفينا بهذا وحده فى ابطال تلك الاقوال لكنى وشى الى ماينضاف اليه من رواية جلّة شيوخنا عنه كأبى عمر بن عات وأبى عبد الله الشونى . وسرد ابن الأبار أسماء بضعة عشر شيخا من المشهورين ثم قال انه توفى بمرسية مصروفاً عن القضاء ضحوة يوم السبت الموفى ثلاثين من المحرم سنة ٥٩٩ ودفن صلاة العصر من يوم الأحد بعده مستهل صفر ودفن بالبلاط الغربى من المسجد المنسوب الى ابن أبى جعفر بازاء داره . ومولده عشىّ يوم الاربعاء الخامس لشهر ربيع الآخر سنة ٥١٢

وأبو القاسم محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبى المرسى سمع من أبيه أبى العباس وأبى عبد الله بن سعادة وأبى بكر بن أبى ليلى وأبى عبد الله ابن الفرس وأبى القاسم بن حبيش وأبى عبد الله بن حميد وأجاز له أبو القاسم بن بشكوال وصحب القاضى أبا الوليد بن رشد ولازمه بقرطبة وأخذ عنه واستقضاه فى غير ماجهة

من قرطبة . ولم يزل ينهض به حتى ولى قضاء الجزيرة الخضراء ومنها ولى قضاء شاطبة ثم صرف عنه عند محنة أبى الوليد وتتبع أصحابه ثم ولى قضاء دانية قال ابن الأبار : وكان عالماً متفنناً أديباً ماهراً ناظماً ناثراً وقد سمع منه شيخنا أبو الربيع بن سالم يسيراً وقال فيه : فاضل على الاطلاق متقدم فى نزاهة النفس وكرم الاخلاق وأنشدنى له صاحبنا أبو محمد بن أبى بكر الدانى

ياموقظ النفس علّمنْها ولا تَسكِلها الى الجهاله
فالنفس بدر والعلم شمس والجهل فيها سواد هاله

مولده سنة ٥٥٠ وتوفى وهو يلى قضاء دانية فى ربيع الأول سنة ٦٠١

وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد المرادى من أهل مرسية أخذ عن أبى الحسن ابن هذيل وأبى عبد الله بن سعادة وأبى بكر بن أبى ليلى وأبى محمد بن عاشر وأبى عبد الله ابن الفرس وأبى القاسم بن حبيش وأبى عبد الله بن حميد وأجازوا له جميع روايتهم إلا ابن أبى ليلى منهم وكتب اليه أبو الحسن بن النعمة وأبو القاسم بن بشكوال وغيرهما وكان خيّراً فاضلاً أقرأ القرآن وأسمع الحديث وأخذ عنه الناس قال ابن الأبار : وتوفى بمرسية نصف ليلة الجمعة الحادى والعشرين لرمضان سنة ٦٠٦ ودفن ببنى محمد على مقربة من مسجد إقرائه المنسوب إلى عبد العزيز بن غلبون جد شيخنا أبى محمد غلبون بن محمد ابن عبد العزيز ومولده سنة ٥٤٢

وأبو عبد الله محمد بن أبى الخليل من أهل مرسية أخذ عن أبى عبد الله بن الفرس وتفقه وولى قضاء شاطبة وكان له حظ وافر من العربية وبصر بعقد الشروط ودربة بالأحكام وقد أُخذ عنه وتوفى يوم الأربعاء الرابع لصفر سنة ٦٠٧ ودفن لصلاة العصر من يوم الخميس بعده ذكره ابن الأبار

ومحمد بن محمد بن موسى بن مُحيًّا التجيبى من أهل مرسية أخذ القراءات عن أبى زكريا الحصّار وسمع من أبى عبد الله بن سعادة وأبى القاسم بن حبيش وأبى عبد الله بن الفرس وتفقه به وبأبى العباس بن الأصفر وأجاز له أبو الحسن بن هذيل وأبو الحسن

ابن النعمة وغيرهما وولى قضاء أوريولة ثم قضاء ألش وكان فقيها مولده سنة ٥٣٢ وتوفى غداة الأربعاء الثامن والعشرين لربيع الآخر سنة ٦٠٧ ودفن لصلاة العصر من يوم الخميس بعده ذكر ذلك ابن الأبار نقلا عن ابن عيشون

وأبو عبد الله محمد بن على بن محمد التجيبى من أهل مرسية يعرف بالرَّباط أقرأ القرآن وكان صالحاً فاضلا روى عنه ابن المرابط وذكره ابن الأبار

وأبو القاسم محمد بن عبد الله بن سليمان بن حوط الله الأنصارى الحارثى سمع أباه وأبا جعفر بن المضاء وأبا محمد بن الفرس وأجاز له أبو القاسم بن بشكوال وأبو عبد الله ابن الفخَّار وأبو زكريا الدمشقى وغير واحد من شيوخ أبيه . وكان من النجباء النبهاء ولى الأحكام بمرسية وبقرطبة نيابة عن أبيه وكان كاتبه مدة قضائه وتوفى يوم الأربعاء الثانى عشر لذى‌قعدة سنة ٦٠٧ ودفن ظهر اليوم المذكور وثكله أبوه نقل ابن الأبار ترجمته عن ابن سالم وابن عيشون

وأبو بكر محمد بن محمد بن عبد السلام بن محمد بن يحيى المرادى يعرف بالجُمَّلى « وجُمَّلة » من أعمال مرسية تفقه بأبى عبد الله بن عبد الرحيم وأبى‌القاسم بن حبيش وأبى عبد الله بن حميد وغيرهم وسكن مراكش وولى بها خطة المناكح دهراً وكان فقيهاً أديباً فكهاً ناظماً ناثراً ترجمه وترجم‌أباه من‌قبله ابن‌الأبار وقال انه‌توفى سنة٦٠٨

وأبو عبد الله محمد بن الزبير من أهل مرسية أصله من جنجالة سمع أبا بكر بن حسنون وأبا محمد بن حوط الله وغيرهما وأقرأ القرآن وعلم العربية وكان صالحا فاضلاً توفى سنة ٦١٠ ذكره ابن الأبار

وأبو عمرو محمد بن محمد بن عيشون بن عمر بن صبَّاح اللخمى من أهل مرسية أصله من « يكَّة ». من أعمالها وبالنسبة اليها كان يعرف سمع أبا العباس بن ادريس وأبا عبد الله بن سعادة وغيرهما وأجاز له أبو الحسن بن هذيل وأبو الحسن بن النعمة وأبو القاسم السهيلى وأبو القاسم بن حبيش وغيرهم من علماء الأندلس وأجازه من‌أهل المشرق أبو الفضل محمد بن يوسف الغزنوى وأبو محمد بن برى النحوى وأبو القاسم

هبة الله بن على البوصيرى وأبويعقوب بن الطفيل الدمشقى وكان يروى بالاجازة العامة عن أبى طاهر السلفى وكان يعقد الشروط ويبصرها ويجيد فك المعمّى . قال ابن الأبار فى التكملة : وله تقييد مفيد فى الوفيات اعتمد عليه فى هذا الكتاب وحدثنى به عنه ابنه أبوعمر عيشون بن محمد وغيره من أصحابنا وتوفى مستهل ذى القعدة سنة ٦١٤ ودفن بروضة ابن فرج بربض سرحان من داخل مرسية وهو ابن ست وسبعين سنة

وأبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن يحيى الأنصارى سمع من أبى القاسم بن حبيش وأبى بكر بن أبى جمرة وأبى محمد عبدالله بن أحمد المعروف بابن علّوش وغيرهم ورحل حاجاً فسمع بمكة من أبى عبد الله بن أبى الصيف وأبى محمد يونس بن يحيى الهاشمى وغيرهما وعاد الى مرسية بلده فلزم بها اقراء القرآن وكان شيخاً صالحا مقلاً صابراً قال ابن الأبار : وحدثنى بعض أهل بلده بصحبته لأبى القاسم الطرسونى وقعوده معه فى دكانه قال لى : وربما غلط فى فتياه فيرد عليه ابن يحيى هذا وكان يخضب وتوفى سنة ٦١٩ أو قبلها بيسير

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن هشام الفهرى من أهل المريّة أصله من مرسية يعرف بابن الشواش وبالذهبى سمع من أبى عبد الله بن سعادة وأبى بكر بن أبى ليلى وأبى عبد الله بن الفرس وأبى القاسم بن حبيش وغيرهم وأخذ عن أبى موسى الجزولى النحوى وقعد لاقراء القرآن واسماع الحديث وتدريس العربية وكان فاضلاً متواضعاً مشاركا فى فنون من العلم من أبرع الناس خطا وأجودهم ضبطاً وتردد مراراً على مرسية فأُخذ عنه بها وتوفى بالمرية سنة ٦١٨ وقال ابن فرقد توفى سنة ٦١٩ وكذا قال ابن فرقد وزاد أنه دفن بمقبرة الأخرس بالربض

وأبو بكر محمد بن محمد بن حبون المعافرى سمع ببلده مرسية أبا القاسم بن حبيش وأبا عبد الله بن حميد ولقى أبا بكر بن الجد وأبا الوليد بن رشد وأبا الحسن نجبة بن يحيى وأبا العباس بن مضاء وأبا موسى الجزولى النحوى فسمع منهم وأقرأ العربية وكان له حظ من قرض الشعر وتوفى فى السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٦٢٣ رواه ابن الأبار

وأبو عبد الله محمد بن موسى بن هشام الهمدانى من أهل مرسية ومن «ملّينة» منها سمع من أبي القاسم بن حبيش وأبي عبد الله بن حميد وغيرهما وعنى بعقد الشروط وكان كريم العشرة حلو النادرة محمود الأحوال ولى قضاء بسطة بآخرة من عمره. وتوفى وهو فى القضاء وذلك فى أول سنة ٦٢٤ قاله ابن الأبار.

وأبو بكر محمد بن محمد بن يوسف بن أحمد بن جهور الازدى سمع ببلده مرسية من أبي القاسم بن حبيش وأبي عبد الله بن حميدورحل الى قرطبة فصحب بها أبا الوليد ابن رشد ولقى أبا بكر بن الجد وأبا الحسن نجبة بن يحي وأبا عبدالله بن الفخّاروغيرهم فأخذ عنهم وأجاز له أبو طاهر السلفى ولقى بتونس أبا الطاهر بن الدمنة من أصحاب عبد الله المازرى فأخذ عنه وكان له حظ من النظم والنثر وتوفى سنة ٦٢٩ عن ابن الأبّار

وأبو القاسم محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد العزيز يعرف بابن «حَمَنَال» سمع من أبي محمد بن حوط الله وأبي الخطّاب بن واجب وولى الصلاة والخطبة ببلده مرسية واستأدبه بعض الأكابر لبنيه وكان يكتب المصاحف ويعرف رسمها مع براعة الخط وحسن الوراقة وتوفى فى أول شوال سنة ٦٣٣

وأبو بكر محمد بن على بن محمد الطائى الصوفى من أهل اشبيلية أصله من مرسية يعرف بابن العربى أخذ عن مشيخة اشبيلية ومال الى الأدب وكتب لبعض الولاة ثم رحل الى المشرق حاجاً فأدّى الفريضة ولم يعد بعدها الى الأندلس وسمع الحديث من أبي القاسم الحرستانى وغيره وكان يحدّث بالاجازة العامّة عن أبي طاهر السلفى وبرع فى علم التصوف وله فيه تآليف جليلة وتوفى بعد الأربعين وستمائة (١)

وأبو عيسى محمد بن محمد بن أبي السداد واسمه موفّق مولى زاكن اللمتونى

---

(١) هو محي الدين بن عربى الملقب بالشيخ الأكبر سنأتى له بترجمة واسعة عند الانتهاء من تراجم أهل العلم المنسوبين الى مرسية

سمع أبا القاسم بن حبيش واختص به ولازمه من سنة ٥٧٨ الى حين وفاته وسمع من غيره وأجاز له جماعة من كبار العلماء كأبي بكر بن الجد وأبي الحسن نجبة بن يحي وأبي محمد بن بونُه وأبي عبد الله بن الفخّار وغيرهم وكان يتولّى الاحكام بالنيابة فى بلده مرسية ثم تولّى القضاء فيها قال ابن الأبّار فى التكملة : وكان من أهل المعرفة والثقة والعدالة وسكون الطائر ولين الجانب لقيته بجامع مرسية فى أول ذى القعدة سنة ٦٣٦ عند صَدَرى من الرسالة التي وجّهت فيها الى تونس منتصف السنة المذكورة وجالسته بدار الامارة بمرسية مراراً وقد أجازلى غير مرة جميع روايته وأخذ عنه جماعة من أصحابنا وكان أهلاً لذلك وان لم يكن يبصر الحديث وعمّر وتوفى غداة الاثنين الثانى لجمادى الاخرى سنة ٦٤٢ ودفن يوم الثلاثاء بعد صلاة العصر بحومة مسجد الجرف وهو ابن ثمان وثمانين سنة

وأبو عبـد الله محمد بن ابراهيم بن يحي بن محمد الانصـارى الخزرجى يعرف بالغلاّظى من أهل مرسية أخذ عن ابن حبيش واستجاز له أبوجعفر بن عميرة الضبي فى رحلته الى الشرق أبا يعقوب بن الطفيل الدمشقى وأبا محمد بن برّى النحوى وأبا الفضل بن يوسف الغزنوى وأبا القاسم هبة الله بن على البوصيرى فأجازوا له والجماعة معه من أهل بلده جميع روايتهم ومصنَّفاتهم سنة ٥٧٩ واستشهد يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذى القعدة سنة ٦٤٢ قتله الروم عند تغلبهم على المركب الذى ركب فيه من ساحل قرطاجنة

وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الملك الازدى من أهل « قيجاطة » يعرف بالقارجى نزل بمرسية وكانت وفاته فيها يوم الثلاثاء ٢٣ محرم سنة ٦٤٣ أخذ عن أبى عبد الله بن يربوع فى بلده قيجاطة وسنة ٥٩٥ رحل حاجاً فسمع بالقاهرة أبا عبد الله القرطبي وذكر أنه لقى بطبريَّة من بلاد الشام أبا الحسن على بن محمد التجيبى فأخذ عنه القراءات السبع فى ختمة واحدة قال ابن الأبار فى ذلك نظر . قال : وأخذ بدمشق من أبى الطاهر الخشوعى وأبى محمد هبـة الله بن عساكر ولقى بمصر الامام الطوسىّ انتهى ملخصاً

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السُلمى من أهل مرسية رحل الى الشرق سنة ٦٠٧ أو نحوها ولقى بنيسابور أبا الحسن المؤيد بن محمد الطوسى صاحب أبى عبد الله الفرّاوى مُسْنِد وقته فسمع منه صحيح مسلم ويروى عنه ابن نقطة قال ابن الابّار وأجاز لنا فى سنة ثلاث عشرة أى بعد الستمائة (١)

وأبو بكر محمد بن غلبون بن محمد بن عبد العزيز بن غلبون بن عمر الأنصارى سمع من أبيه وأجاز له أبو القاسم بن حبيش وجماعة من علماء الاندلس وجماعة من علماء المشرق وكان ذا عناية بالرواية حسن التقييد والخط مشاركاً فى فنون وتولّى حسبة السوق ببلده مرسية قال ابن الابّار: أجاز لى غير مرة ولقيته بمرسية فى آخر

(١) ذكر صاحب نفح الطيب نقلاً عن ابن النجار أن أبا عبد الله محمدا المذكور ولد بمرسية سنة ٥٧٠ ودخل مصر وسار الى الحجاز مع قافلة الحجاج الى بغداد وأقام بهـا يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والاصلين بالنظامية ثم سافر الى خراسان وسمع بنيسابور وهراة ومرو وعاد الى بغداد وحدّث بكتاب السنن الكبرى للبيهقى وبكتاب غريب الحديث للخطّابى وقدم الى مصر فحدّث عن جماعة منهم أم المؤيد زينب وأبو الحسن المؤيد الطوسى وخرج من مصر يريد الشام فمات بين الزعقة والعريش من منازل الرمل فى ربيع الأول سنة ٦٥٥ ودفن بتل الزعقة . وكان من الأئمة فى جميع فنون العلم، زاهداً متورعاً كثير العبادة فقيهاً مجردا متعففاً نزه النفس طيب الاخلاق كريماً قال ابن النجّار : ما رأيت فى فنه مثله وكان شافعى المذهب وله كتاب فى تفسير القرآن سمّاه « ريّ الظمآن » كبير جداً وكتاب «الضوابط الكلية» فى النحو وتعليق على الموطأ وكان مكثراً شيوخاً وسماعاً حدّث بمصر والشام والعراق والحجاز وكانت له كتب فى البلاد التى ينتقل اليها بحيث لا يستصحب كتباً فى سفره اكتفاء بماله من الكتب فى البلد الذى يسافر اليه . وكان كريماً روى أبو حيّان الاندلسى قال :أخبرنى الشرف الجزائرى بتونس أنه كان على رحلة وكان ضعيفاً فقال له : خذ ما تحت هذه السجّادة قال: فرفعت ذلك فوجدت تحته أكثر من أربعين ديناراً ذهباً فأخذتها

سنة ٦٣٦ ووقف على « التكملة » هذه من تأليفي وكانت له خزانة مملوءة أصولاً عتيقة ودفاتر أنيقة ضاعت لاختلاله قبل وفاته بمدة وبيع أكثرها وهو لا يشعر ونكب هو وابنه في ما بلغني الى أن توفي على تلك الحال من الاختلال في شعبان سنة ٦٥٠ ونُعي اليّ في رمضان بعده وذلك بمدينة بجاية

وأبو محمد بن يحيي المرسي توفي سنة ٥٦٦ قال ابن الابّار : ذكره ابن حبيش ولا أعرفه

وأبو بحر صفوان بن ادريس بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبي الكاتب أخذ عن أبي القاسم بن حبيش وأبي عبد الله بن حميد وأبي العباس ابن مضاء وأبي رجال بن غلبون وغيرهم وأجاز له ابن بشكوال . وكان من جلّة الأدباء ومهرة الكتاب ناقداً مدركاً مفوهاً متقدماً في النظم والنثر وجمع مما صدر عنه كتاباً سماه « عجالة المتحفز وبداهة المستوفز » وكان من الفضل والدين بمكان توفي ليلة الاثنين السادس عشر من شوال سنة ٥٩٨ وثكله أبوه وهو صلى عليه ودفن بازاء مسجد الجرف من غربي بلده مرسية وهو دون الأربعين ذكره ابن الأبار

وأبو محمد عبد الله بن مفرج الضرير أندلسي من أهل مرسية ذكره ابن الأبار نقلا عن ابن عساكر ذلك لأنه قدم دمشق ولقي بعض علمائها وأخذ عنهم وأُخذ عنه. وقال انه ولد سنة ٤١٧ في تدمير

وأبو محمد عبد الله بن محمد الصريحي يعرف بابن مطحنة تأدب بأبي بكر بن الفرضي النحوي ورحل حاجاً فلقي في المشرق أبا محمد العثماني وغيره وقعد لتعليم الأدب وأخذ عنه أبو عبد الله المكناسي وغيره ذكره ابن الأبار ولم يذكر سنة وفاته

وأبو محمد عبد الله المعروف بابن القربلياني من أهل مرسية صحب الأستاذ أبا بكر بن الجزار وتقدم في تلاميذه وخلفه في حلقته معلماً بعده العربية وآدابها أخذ عنه ابن سفيان وقال توفي سنة ٥٥٥ روى ذلك ابن الابار

وأبو محمد عبد الله بن موسى بن سليمان بن علي بن عبد الملك بن يحيي بن عبد الملك

ابن الحسن بن محمد بن عميرة بن طريف بن اشكورنه الازدى يعرف بابن بُرْطُلُه سمع أبا على الصدفى ورحل حاجاً فى سنة ٥١٠ فأدى الفريضة وسمع من كبار العلماء مثل أبى عبد الله الرازى وأبى بكر الطرطوشى وأبى الحسن بن مشرّف الانماطى وأبى طاهر السلفى وغيرهم وانصرف الى مرسية بلده فولى صلاة الفريضة بجامعها وتزوج حينئذ بنت شيخه أبى على فولدت له ابنه أبا بكر عبد الرحمن بن عبد الله وكان شيخاً فاضلاً جليلاً متواضعاً من أهل النباهة والنزاهة تخيره أهل بلده للامامة بهم فأقام على ذلك حياته كلها ولقيه أبو عمر بن عيّاد وهو من جلّة مشايخه وتوفى ابن برطله المترجم بمرسية سنة ٥٦٣ ومولده سنة ٤٨١ ذكره ابن الابار

وأبو محمد عبد الله بن موسى بن عبد الله الخزرجى يعرف بابن غُرْفُلَةَ (كذا) روى عن مشيخة بلده مرسية وغيرهم وكان ذاحظ من العربية وكان منقبضاً عن الناس تاركاً مالا يعنيه قال ابن الأبار: ذكره لى أبو محمد بن برطله الخطيب وهو جده لأمه وقال توفى قبل التسعين وخمسمائة

وأبو محمد عبد الله بن حامد بن يحيى بن سليمان بن أبى حامد المعافرى أخذ عن أبى القاسم بن حبيش وأبى عبد الله بن حميد وأبى محمد بن حوط الله وأخذ العربية عن أبى الحسن بن الشريك والأدب عن أبى بحر صفوان بن ادريس وكان من رجالات الأندلس وجاهة وجلالا مع التحقق بالكتابة والمشاركة فى القريض واليه كانت رئاسة بلده مرسية وتوفى بعد صَدَرَه عن اشبيلية فى آخر سنة ٦٢١

وأبو زيد عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبى رحل حاجاً فأدى الفريضة ولقى بمكة أبا الحسن على بن الفرّج الصقلى فسمع منه موطأ مالك رواية أبى مصعب الزهرى ولقى أبا عبد الله بن على الطبرى فسمع منه صحيحى البخارى ومسلم وأبا عبد الله بن اللجالة النحوى الأندلسى فحدّث عنه بالملخّص للقابسى عن مؤلفه . وقفل الى بلده مرسية وأقرأ التفسير والحديث حدّث عنه ابنه صاحب الأحكام أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن نقل ابن الابار خبره هذا عن ابنه وعن ابن عياد وقال انه توفى بعد العشرين وخمسمائة

وأبو بكر عبد الرحمن بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن خلف بن ابراهيم ابن محمد بن أبي ليلى الأنصارى من ولد أبي عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قاضى الكوفة أصله من غرناطة سمع أباه أبا القاسم ولازم أبا على الصدفى واختص به وهو أثبت الناس فيه وأحفظهم لأخباره وأضبطهم لرواياته وقلما فاته مجلس من مجالسه وكان هو القارى عليه فى أثناء تدريسه . وللمترجم أشياخ آخرون مثل أبي محمد بن أبي جعفر وأبي عمران بن أبي تليد وأبي بكر بن العربى وأبي محمد بن عتّاب وأبي الحسن بن الباذش وغيرهم وأدى فريضة الحج سنة ٥٢٩ فاتى فى مكة أبا المظفّر الشيبانى وأبا على بن المرجاء وسمع بالأسكندرية كثيراً من أبي طاهر السلفى وأبي محمد العثمانى ورجع الى الأندلس . وكان عدلا موصوفاً بصحة التقييد واتساع الرواية متقللاً منقبضاً عن الناس وكان القاضى أبو عبد الله بن سعادة يثنى عليه ويصفه بالضبط وكان من أصحاب الشيخ أبي على الصدفى روى عنه كثيراً وأراده أبوالعباس ابن الحلاّل على القضاء فامتنع وآثر الاعتزال ولزم مزرعة له بخارج مرسية . ثم رغب اليه الناس فى آخر عمره أن يجلس للاقراء فأجاب الى ذلك وتنافس الناس فى حضور درسه لانه آخر المكثرين من الرواة عن أبي على الصدفى قال ابن الأبار : وسماه ابن بشكوال فى معجم مشيخته وروى عنه جِلّة من شيوخنا وغيرهم مولده بمرسية فى المحرم سنة ٤٩٠ وتوفى بها فى شعبان أو رمضان سنة ٥٦٦ وقيل سنة ٥٦٧

وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن محمد السلمى الكاتب من أهل مرسية يعرف بالمكناسي روى عن أبي عبد الله بن سعادة وعنى بالأدب فرأس فى الكتابة وشارك فى قرض الشعر ، وديوان رسائله بأيدى الناس يتنافس فيه وكتب للامير أبي عبد الله ابن سعد بن مردنيش وكتب لغيره من الأمراء ذكره ابن سفيان وقال : به خُتمت البلاغة فى الأندلس . وأخذ عنه أبو القاسم اللاحى كثيراً من نظمه ونثره توفى بمراكش سنة ٥٧١ وهو دون سن الاكتهال قاله ابن الأبار

وأبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله بن موسى بن سليمان الأزدى يعرف بابن برطله

تقدمت ترجمة والده عبد الله، وعبد الرحمن المترجم هنا هو سبط القاضي أبي على الصدفى أخذ القراءات عن أبي على بن عُريب وسمع ابن أبي ليلى وأبا عبد الله بن سعادة وأبا القاسم بن حبيش وغيرهم وقرأ بشاطبة وبيلنسية وبقرطبة فمن أخذ عنهم فى بلنسية أبو الحسن بن النعمة وبقرطبة أبو القاسم بن بشكوال وأخذ باشبيلية عن أبي بكر ابن الجد وولى قضاء دانية مدة ثم صُرف عنه حميد السيرة معروف النزاهة وولى صلاة الفريضة والخطبة بجامع مرسية دهراً طويلاً . وكان فقيها محدثاً أديباً مع جمال الشارة والجلالة والسراوة والفصاحة ونباهة البيت توفى ببلده مرسية ليلة الاثنين الحادى والعشرين من ربيع الأول سنة ٥٩٩ وصُلّى عليه عصر ذلك اليوم ودفن الى جانب أبيه لصق دارهم بمقربة من الباب الحديد ومولده سنة ٥٤٧ أكثر خبره عن ابن سالم قاله ابن الأبار

وعبد الملك بن وليد بن محمد بن وليد بن مروان بن عبد الملك بن محمد بن مروان ابن خطاب يعرف بابن أبي جمرة وبيتهم فى مرسية شهير روى عن أبيه وليد بن محمد وروى عنه ابنه موسى بن عبد الملك قاله ابن الأبار

وأبو مروان عبد الملك بن موسى بن عبد الملك بن وليد بن أبي جمرة هو حفيد المترجم قبله سمع من أبيه موسى وأبي عمرو المقرى وغيرهما وحدث عنه ابنه أبو العباس أحمد بن عبد الملك توفى بمرسية لسبع خلون من جمادى الأخرى سنة ٤٨٥

وأبو الأصبغ عبد العزيز بن يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن ابراهيم بن فيرُه ابن عمر اللخمى من أهل مرسية سكن تلمسان وأصله من أُندة يعرف بابن الدبّاغ روى عن أبيه الحافظ أبي الوليد وعن جده لأمه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن وضّاح القيسى وأجاز له العلماء الجلّة كأبي عبد الله بن الحاج وأبي الحسن شريح وأبي بكر ابن العربى وغيرهم وشيوخه أزيد من سبعين وكان أبوه من أئمة المحدثين . عن ابن الأبّار

وأبو محمد عبد الجبّار بن موسى بن عبد الله الجذامى المعروف بالشمنتى كان من

أهل المعرفة بالقراءات والعربية وكان يقرأها جميعاً بمرسية وكان من أهل الدين والفضل أخذ عنه أبو محمد بن الفرس جاء ذكره فى التكملة لابن الأبّار ولم يذكر سنة وفاته

وأبو محمد عبد الحق بن محمد بن عبد الرحمن القيسي المرسى سبط عبد الحق بن عطية أخذ عن أبي محمد بن سهل الضرير وأبي القاسم بن حبيش وكان متفنناً فى العلوم الشرعية والنظر بها ولد سنة ٥٣٩ وتوفى فى المحرم سنة ٥٩٨

وعبد الحق بن محمد بن عبد العزيز بن سعد أبو محمد الجُمحى المرسى نزيل غرناطة أخذ عن أبي بكر بن العربي وأبي الحسن شريح وأخذ عنه أبو القاسم الملاّحى وأبو عبد الله بن الحَلاً من علماء غرناطة توفى سنة ٦٠١

وعبد الكبير بن محمد بن عيسى بن محمد بن بقيّ أبو محمد الغافقى المرسى نزيل اشبيلية روى عن أبيه وعن أبي عبد الله بن سعادة وجماعة وأجاز له أبو الحسن بن هذيل وغيره وكان فقيهاً قال ابن الزبير : كان شيخ الفقهاء فى وقته ولّى القضاء برندة وكان متقدماً فى صناعة التوثيق وناب عن القاضى أبي الوليد بن رشد بقرطبة وأخذ عنه . كانت ولادته سنة ٥٣٦ ووفاته فى صفر سنة ٦١٧

وعثمان بن محمد بن عيسى بن عثمان اللخمى أبو عمرو المرسى البشيجى نسبة إلى بعض الثغور روى عن أبي الحسن بن هذيل وأبي عبد الله بن سعادة وغيرهما وروى عنه أبو سليمان بن حوط الله وأبو عيسى بن أبي السداد وكان فقيها مدرساً توفى سنة ٥٨٠ ذكره ابن الأبّار

وعلى بن أحمد بن عبد الملك بن حمدوس الخولانى أبو الحسن المرسى سمع من أبي على الصدفى وأجاز له غالب بن عطية ذكره ابن الأبّار

وعلى بن محمد بن دَيْسَم أبو الحسن المرسى أخذ عن أبي القاسم بن حبيش وأبي عبد الله بن حميد وأبي الحسن بن الشريك وأقرأ القرآن وعلّم العربية وكان يعيش من الوراقة وكان بديع الخط توفى سنة ٦٢٤ عن ابن الأبّار.

وعلى بن محمد بن أبي العافية اللخمى المرسى أبو الحسن القسطلى سمع من أبي عبد الله بن سعادة وأبي عبد الله بن عبد الرحيم وأبي القاسم بن حبيش صهره وولى قضاء مرسية وبلنسية وشاطبة وكان جزلاً مهيباً وأضرَّ بآخر عمره وأثار فتنة فى مرسية جرَّت إلى هلاكه فقُتل فيها وذلك فى جمادى الأولى سنة ٦٢٦

وعلى بن أحمد بن الحسن بن ابراهيم التجيبى أبو الحسن الحرالى نسبة إلى قرية بمرسية ولد بمراكش وأخذ عنه ابن خروف ورحل الى الشرق ومال الى النظريات وعلم الكلام ومات بحماة من الشام سنة ٦٣٧

وأبو بكر عتيق بن أسد بن عبد الرحمن بن أسد الأنصارى نشأ بمرسية وأخذ الحديث عن أبي على الصدفى والفقه عن أبي محمد بن جعفر وبرع فى الفقه حتى قال ابن الأبار فى التكملة انه كان نسيج وحده بالفقه وجودة الفتاوى وولى قضاء شاطبة ودانية وكانت وفاته فى جمادى الآخرة سنة ٥٣٨ .

وأبو بكر عزيز بن عبد الملك بن محمد بن خطَّاب رئيس مرسية فى وقته أخذ عن أبي محمد بن حوط الله وغيره ونظر فى العلوم وتحقق بكثير منها وكان بليغاً فى النظم والنثر . ومال الى الزهد فى أول أمره وأقبل على الآخرة ثم استهوته الدنيا وقُدِّم لولاية مرسية فلم تُحمد سيرته فصُرف عنها ثم صارت اليه رئاستها فدعا لنفسه فقتل فى رمضان سنة ٦٣٦ بعد التراويح عن سبع وستين سنة ونقل ابن الأبار عن ابن الزبير أنه قتل فى رمضان عام ثمانية وثلاثين وستمائة صبراً وطيف بجسده فى البلد

وغالب بن محمد بن غالب اللخمى المرسى أبو عمر بن حبيش بالفتح سمع من أبي القاسم بن حُبيش بالضم وله رحلة الى الشرق سمع فيها من بعض علماء دمشق وأخذ بعضهم عنه وقال ابن الأبار توفى سنة ٦٢٩

وغلبون بن محمد بن عبد العزيز بن فتحون بن غلبون الأنصارى أبو محمد المرسى سمع من ابن هذيل وابن سعادة وابن عاشر وجماعة وأخذ عنه الناس وكان فاضلاً

جليلاً متقناً قال ابن الأبار : كتب الينا باجازة ماروى وتوفى فى رابع عشر ربيع الآخر سنة ٦١٣

وسهيل بن محمد بن سهيل بن محمد بن سهيل الزهرى أبو محمد امام جامع مرسية مدة طويلة كان من أهل الصلاح والزهادة محبباً الى الخاصة والعامة توفى سنة ٦١٦ ذكره ابن الأبار

وأبو بكر يحيى بن محمد السرقسطى نزيل مرسية يعرف باللبانى أخذ عن أبى الوليد الوقَّشى وأبى الحسن بن أفلح النحوى ومهر فى العربية وأقرأ بمرسية وغيرها وأخذ الناس عنه وتوفى سنة ٥٢٠ أو نحوها

وأبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبّر الفهرى نشأ بمرسية وتأدّب بشيوخها وسكن اشبيلية وكان شاعر الأندلس فى وقته بل شاعر المغرب غير مدافَع مدح الأمراء وكتب لبعضهم وسارت قصائده مسير الأمثال ومن شعره :

ان الشدائد قد تغشى الكريم لأن ... تُبين فضل سجاياه وتوضحه
كمبرد القين اذ يعلوُ الحديد به ... وليس يأكله إلا ليصلحه

وله

لا يغبط المُجدب فى علمه ... وان رأيت الخصب فى حاله
ان الذى ضيّع من نفسه ... فوق الذى ثمّر من ماله

توفى بمراكش ليلة الأضحى سنة ٥٨٨ وقيل قبلها بسنة ذكره ابن الأبار

وأبو زكريا يحيى بن عبد المُلك بن أبى غصن اللخمى المولى نزيل مرسية ومولده بلدة من أعمالها حج وسمع من يونس بن يحيى الهاشمى وغيره بمكة وأخذ عنه ابن الزبير ذكره ابن الأبار

وخديجة بنت أبي على حسين بن محمد الصدفى المرسى نشأت صالحة زاهدة تحفظ القرآن وتذكر كثيراً من الحديث وتطالع زوجها عبد الله بن موسى بن برُطله صاحب الصلاة بمرسية . وتوفيت بعد التسعين وخمسمائة وقد نيفّت على الثمانين

وأبو بكر محمد بن أحمد بن حبُّون المعافرى المرسى سمع أبا القاسم بن حبيش وأبا عبد الله بن حميد وجماعة وأقرأ العربية وكان له حظ من قرض الشعر ذكر ابن الأبار وفاته فى ذى الحجة سنة ٦٢٧

ومحمد بن يخلفتن بن أحمد بن تنفليت اليجفشى أبو عبد الله الفازازى التلمسانى سمع من أبى عبد الله التجيبى وكان فقيهاً أديباً مقدماً فى الكتابة والشعر ولى قضاء مرسية ثم قضاء قرطبة وكان حميد السيرة شديد الهيبة توفى بقرطبة سنة ٦٢١ ذكره ابن الأبار

ومحمد بن اسماعيل بن محمدالمتيجى من ناحية بجاية بالمغرب الأوسط نزل مرسية وصار خطيبها ولقى ابن بشكوال فأخذ عنه وكان مليح الخط والضبط فاضلا زاهداً يقول الشعر توفى فى ربيع الأول سنة ٦٢٥ عن نحو سبعين سنة

وأبو عمران موسى بن سعادة مولى سعيد بن نصر من أهل مرسية سمع صهره أبا على بن سكرة المشهور بأبى على الصدفى وكانت بنته عند أبى على وكان يتولى القيام بجميع مايحتاج اليه صهره من دقيق الأشياء وجليلها . وكان أبو عمران المترجم من الأفاضل والأجواد وكان يؤم الناس فى صلاة الفريضة وحج وسمع السنن من الطرطوشى وانتسخ صحيحى البخارى ومسلم بخطه وسمعهما على صهره أستاذ الاندلس فى الحديث وكانا أصلين لايوجد مثلهما فى الصحة . وكانت له مشاركة فى اللغة والأدب حدَّث عنه ابن أخيه القاضى محمد بن يوسف بن سعادة بكتاب أدب الكتَّاب لابن قتيبة وبالفصيح لثعلب وجاءت ترجمته فى نفح الطيب

وعلم الدين أبو محمد المرسى اللورقى العلامة المقرئ الاصولى النحوى أخذ عن أبى جعفر الحصار وأبى عبد الله المرادى وأبى عبد الله بن نوح الغافقى من علماء الأندلس ورحل إلى الشرق فقرأ بمصر على أبى الجود غياث بن فارس وبدمشق على التاج بن زيد الكندى وببغداد على أبى محمد بن الأخضر وأخذ عن الجزولى النحوى بالمغرب وبرع فى العربية وفى علم الكلام والفلسفة وكان يقرئ هذه العلوم وأقام بدمشق ودرس

فيها وشرح المفصَّل فى النحو فى أربع مجلدات وشرح الجزولية والشاطبية وكان مليح الشكل حسن البزَّة توفى سابع رجب سنة ٦٦١ جاءت ترجمته فى نفح الطيب

وأبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الشهير بابن سبعين العكى المرسى كان يلقَّب من الالقاب المشرقية بقطب الدين قال المؤرخ ابن عبد الملك : درس العربية والآداب بالأندلس ثم انتقل إلى سبتة وانتحل التصوف وعكف برهة على مطالعة كتبه والتكلم على معانيها فمالت اليه العامة . ثم رحل الى المشرق وحج حججاً وشاع ذكره وعظم صيته وكثر أشياعه وصنَّف أوضاعاً كثيرة تلقوها منه ونقلوها عنه ويُرمى بأمور الله تعالى أعلم بها وبحقيقتها . وكان حسن الاخلاق صبوراً على الأذى آية فى الايثار . اه وقيل انه كان يكتب عن نفسه : « ابن ٥ » يعنى الدارة التى هى كالصفر وهى فى حساب المغاربة سبعون فشهر لذلك بابن دارة ولما ذكروا هذا للشريف الغرناطى تمثل بالبيت المشهور : محا السيف ما قال ابن دارة اجمعا

نقل المقرى فى نفح الطيب عن صاحب « درة الأسلاك » فى حوادث سنة ٦٦٩ وفاة الشيخ قطب الدين أبى محمد عبد الحق بن سبعين المرسى صوفى متفلسف متزهد متقشف يتكلم على طريق أصحابه ويدخل البيت ولكن من غير أبوابه شاع أمره واشتهر ذكره وله تصانيف وأتباع وأقوال تميل اليها بعض القلوب وتملها بعض الاسماع وكانت وفاته بمكة المشرفة عن نحو خمسين سنة تغمده الله برحمته . اه ونقل صاحب النفح رسالة لأحد تلاميذ ابن سبعين يظن اسمه يحيى بن محمد بن أحمد بن سليمان واسم الرسالة « الوراثة المحمدية والفصول الذاتية » قال فيها : فان قيل ما الدليل على أن هذا الرجل الذى هو ابن سبعين هو الوارث المشار اليه قلنا عدم النظير واحتياج الوقت اليه وظهور الكلمة المشار اليها عليه ونصيحته لأهل الملَّة ورحمته المطلقة للعالم المطلق ومحبته لأعدائه وقصده لراحتهم مع كونهم يقصدون أذاه وعفوه عنهم مع قدرته عليهم وجذبهم إلى الخير مع كونهم يطلبون هلاكه وهذه كلها من علامات الوراثة والتبعية المحضة التى لا يمكن أحداً أن يتَّصف بها إلا بجد أزلى (ثم أخذ يعد مزايا ابن سبعين) فقال ان الله خلقه من أشرف البيوت التى فى بلاد المغرب وهم بنو سبعين قرشيًّا هاشميًّا

علوياً وأبوه وجدوده يشار اليهم ويعوّل فى الرئاسة عليهم والثانى كونه من بلاد المغرب والنبي عليه السلام قال : لايزال طائفةمن أهلالمغرب ظاهرين إلىقيام الساعة. وما ظهر من بلاد المغرب رجل أظهر منه فهو المشار اليـه بالحديث (الى أن يقول) انظر فى بدايته وحفظ الله سبحانه له فى صغره وضبطه له من اللهو واللعب واخراجه من اللذة الطبيعية التى هى فى جبلّة البشرية وتركه للرئاسة العرضيّة المعوّل عليها عند العالم مع كونه وجـدها فى آبائه وهى الآن فى اخوته وخروجه عن الأهل والوطن وانقطاعه الى الحق تعلم تخصيصه وخرقه للعادة . ثم انظر فى تأيده وفتحه من الصغر وتأليفه كتاب « بدء العارف » وهو ابن خمس عشرة سنة وفى جلالة هذا الـكتاب وكونه يحتوىعلىجميع الصنائع العلمية والعملية تجدهخارقا للعادةوفىنشأته بالأندلسولم يعلم لهمنقبل كثرة نظر وظهورهمع ذلك بالعلومالتى لمتسمعقط تعلمأنهخارقللعادة وفى تواليفه واشتمالها على العلوم كلها وانفرادها وخصوصيتها بالتحقيق الشاذعنأفهام الخلق تعلمأنهمؤيد بروح القدس وفىشجاعتهوقوة توكلهونصره لصنائعه واقامةحقه وبرهانه وفصاحة كلامه وبيان سلطانه تعلم أن ذلك بقوة الٰهية (ومضى صاحب هذه الرسالة فى هذه المبالغات الى أن انتهى وقد جعل ابن سبعين شخصاً خارقاً للعادة فى بنى آدم) ونقل صاحب النفح عن أبي الحسن بن برغوش التلمسانى شيخ المجاورين بمـكة وكانت له معرفة تامة بهذا الرجل أنه كان اذا قرب من باب من أبواب مسجد المدينـة على ساكنها الصلاة والسلام يُهراق منه دم كدم الحيض . والله تعالى أعلم بحقيقة أمره وحدّث مع ذلك اصهاره بمـكة انه زار النبي صلّى الله عليه وسلم مستخفياً على طريق المشاة . وقال لسان الدين بن الخطيب : أما شهرته ومحلهمن الادراك والآراءوالأوضاع والأسماء والوقوف على الأقوال والتعمّق فى الفلسفة والقيام على مذاهب المتـكلمين فما يقضى منه بالعجب وقال الشيخ أبو البركات بن الحاج البلقينى : حدثنى بعضأشياخنا من أهل المشرق أن الأمير أبا عبد الله بن هود سالَم طاغية النصارى فنكث به ولميف بشرطه فاضطره ذلك الى مخاطبة القس الأعظم برومية ــ أى البابا ــ فوكّل أبا طالب ابن سبعين أخا أبي محمد عبد الحق بن سبعين فى التكلم عنهوالاستظهار بين يديه قالفلما

بلغ ذلك الشخص رومية وهو بلد لا يصل اليه المسلمون ونظر إلى ما بيده وسُئل عن نفسه فأخبر بما ينبغى كلّم ذلك القس من دنا منه بكلام معجم تُرجم لأبى طالب بما معناه : اعلموا أن أخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه اه . ومما ينسب الى ابن سبعين قوله وقد جرى ذكر أبى مَدْيَن الولى الشهير هذه الجملة : شُعيب عبد عمل ونحن عبيد حضرة . وذكر ابن خلدون فى تاريخه الكبير فى ترجمة السلطان المستنصر أبى عبد الله محمد بن السلطان زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص ملك افريقية أن أهل مكة بايعوه وخطبوا له بعرَفَة وأرسلوا له بيعتهم وهى من انشاء ابن سبعين وسردها ابن خلدون بجملتها وهى طويلة وفيها من البلاغة والتلاعب بأطراف الكلام مالا مطمع وراءه . قال فى النفح : غير أنه يشير فيها الى أن المستنصر هو المهدى المُبشّر به فى الأحاديث الذى يحثو المال ولا يعدُّه وحمل حديث مسلم وغيره عليه وفى ذلك ما لا يخفى . ولابن سبعين من رسالة : سلام عليك ورحمة الله سلام عليك ثم سلام مناجاتك سلام الله ورحمة الله الممتدّة على عوالمك كلها السلام عليك أيها النبى ورحمة الله تعالى وبركاته وصلّى الله عليك كصلاة ابراهيم من حيث شريعتك وكصلاة أعزّ ملائكتك من حيث حقيقتك وكصلاته من حيث حقه ورحمانيته السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك ياقياس الكمال ومقدّمة العلم ونتيجة الحمد وبرهان المحمود ومن اذا نظر الذهن اليه قرأ نعم العبد السلام عليك يامن هو الشرط فى كمال الأولياء وأسرار مشروطات الأذكياء الأتقياء السلام عليك يامن جاور فى السموات مقام الرسل والأنبياء وزادك رفعة واستعلاء على ذوات الملأ الأعلى وذكر قوله تعالى (سبّح اسم ربك الأعلى) انتهى قال بعضهم عند إيراده جملة من رسائل ابن سبعين التى منها هذه أنها تشتمل على ما يشهد له بتعظيم النبوة وايثار الورع . ونقل صاحب نفح الطيب عن بعض كبار العلماء أن ابن سبعين ولد سنة ٦١٤ ودرس العربية والأدب بالأندلس ونظر فى العلوم العقلية وأخذ عن أبى اسحق بن دهّاق وبرع فى طريقه وجال فى البلاد وقدم القاهرة ثم حج واستوطن مكة وطار صيته وكثر أتباعه وله كتاب « الدرج » وكتاب « السفر »

وكتاب «الكدّ» وكتاب «الاحاطة» ورسائل كثيرة فى الاذكار وترتيب السلوك والوصايا والمواعظ والغنائم ومن شعره :

كم ذا تموّه بالشعبين والعلم ... والامر أوضح من نارٍ على علم
وكم تُعبّر عن سلعٍ وكاظمةٍ ... وعن زرودٍ وجيرانٍ بذى سلمِ
ظللتَ تسألُ عن نجدوأنت بها ... وعن تهامةَ هذا فعلُ متّهم
فى الحىّ حىّ سوى ليلى فتسأله ... عنها سؤالك وهمٌ جرَّ للعدم

ونشأ ترفاً مبجلاً فى ظل جاه ونعمة لم تفارق معها نفسه البأو وكان وسيماً جميلاً ملوكىّ البزّة عزيز النفس قليل التصنّع وكان آية من الآيات فى الايثار والجود بما فى يده رحمه الله تعالى . ونقل صاحب نفح الطيب عن لسان الدين بن الخطيب أنه لما وردت على سبتة المسائل الصقلية وكانت جملة من المسائل الحكمية وجهها علماء الروم تبكيتاً للمسلمين انتدب ابن سبعين للجواب المقنع عنها على فتاء من سنّه وبديهة من فكرته رحمه الله تعالى ونقل صاحب النفح عن كتاب « عنوان الدراية » أن ابن سبعين رحل الى العدوة وسكن بجاية مدة وأخذ الناس عنه فى فنون خاصة وكانت له مشاركة فى المعقول والمنقول وفصاحة لسان وطلاقة قلم وفهم جنان وله أتباع كثيرون من الفقراء ومن عامة الناس وله موضوعات كثيرة موجودة بأيدى أصحابه له فيها ألغاز واشارات بحروف أبجد وله تسميات مخصوصة فى كتبه هى من نوع الرموز وله شعر فى التحقيق وفى مراقى أهل الطريق وكتابته مستحسنة فى طريق الأدباء وله من الفضل والمزية ملازمته لبيت الله الحرام والتزامه الاعتمار على الدوام وحجه فى كل عام . ولقد مشى به للمغاربة فى الحرم الشريف حظ لم يكن له فى غير مدته وكان أهل مكة يعتمدون على أقواله ويهتدون بأفعاله توفى رحمه الله يوم الخميس تاسع شوال سنة ٦٦٩ انتهى ببعض اختصار . ومما رواه صاحب النفح عنه أن أبا الحسن الششترى من تلاميذ ابن سبعين كان بعض الطلبة يرجّحونه على شيخه أبى محمد بن سبعين فكان يقول : انما ذلك لعدم اطلاعهم على حال الشيخ وقصور باعهم . ومن تآليف ابن سبعين كتاب « الفتح المشترك » فهذه هى خلاصة ما وجدنا عن هذا

الرجل الذى اختلف فيه الناس كما اختلفوا فى محيى الدين بن عربى فبعضهم غلا فى المدح وبعضهم غلا فى القدح وقال صديقنا العلامة السيد رشيد رضا رحمه الله ونقلنا ذلك عنه فى كتابنا « السيد رشيد رضا أو اخاء أربعين سنة » « ومن أولئك المفتونين بوحى الشياطين من ظن أنه تجاوز درجة الأنبياء ومنهم ابن سبعين الذى قال : لقد تحجَّر ابن آمنة واسعاً بقوله « لا نبىّ بعدى » ومثل هذا الكلام هو الذى جرّأ ميرزا غلام القاديانى على ادعاء النبوة » اهـ ولم أعلم أين عثر السيد رشيد رحمه الله على هذه الرواية عن ابن سبعين وان كنت لا أشك فى أن مثل السيد رشيد لا يرميها جُزافاً

وجاء فى « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » للمؤرخ الشهير ابى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩ ذكر وفاة ابن سبعين سنة تسع وستين وستمائة وقال فيه : ابن سبعين الشيخ قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد ابن نصر الاشبيلى المرسى الرُقوطى(١) الأصل الصوفى المشهور قال الذهبى : كان من زهّاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجود له تصانيف وأتباع يقدمهم يوم القيامة . اهـ وقال الشيخ عبد الرؤوف المناوى فى طبقاته : درس العربية والآداب بالأندلس ثم انتقل الى سبتة وانتحل التصوف على قاعدة زهد الفلاسفة وتصرفهم وعكف على مطالعة كتبه وجدّ واجتهد وجال فى بلاد المغرب . ثم رحل الى المشرق وحج حججاً كثيرة وشاع ذكره وعظم صيته وكثرت أتباعه على رأى أهل الوحدة المطلقة وأملى عليهم كلاماً فى العرفان على رأى الاتحادية وصنّف فى ذلك أوضاعا كثيرة وتلقوها عنه وبثوها فى البلاد شرقاً وغرباً انتهى وقد سبق نقل هذه العبارات عن نفح الطيب عن ابن عبد الملك لكن مع اختلاف قليل وتصرف وهنا هى مروية عن عبد الرؤوف المناوى . ثم انه فى شذرات الذهب ينقل عن ابن حبيب قوله عن ابن سبعين : صوفى متفلسف متزهّد متعبّد متقشّف يتكلم على طريق أصحابه ويدخل البيت لكن من غير أبوابه شاع أمره واشتهر ذكره وله تصانيف وأتباع وأقوال تميل اليها بعض القلوب وتنكرها

---

(١) حصن رقوطة من أعمال مرسية

بعض الاسماء . اه وفى نفح الطيب الجمل بعينها مع اختلاف قليل فى اللفظ منسوبة لصاحب درة الأسلاك ثم ذكر أيضاً صاحب شذرات الذهب نقلاً عن عبد الرؤوف المناوى أن ابن سبعين قال لأبى الحسن الششترى عنـد ما لقيه وقد سأله عن وجهته فأخبره بقصده الشيخ أبا أحمد ؟ : ان كنت تريدالجنة فشأنك ومن قصدت وان كنت تريد رب الجنة فهلمّ الينا . ثم نقل المناوى عن البسطامى قوله فى ابن سبعين : كان له سلوك عجيب على طريق أهل الوحـدة وله فى علم الحروف والأسماء اليد الطولى وألف تصانيف منها « كتاب الحروف الوضعية فى الصور الفلـكية » وشرح كتاب ادريس عليه السلام الذى وضعه فى علم الحروف وهو نفيس . ومن وصاياه لتلاميذه وأتباعه : عليكم بالاستقامة على الطريق وقدموا فرض الشريعة على الحقيقة ولا تفرّقوا بينهما فانهما من الأسماء المترادفة واكفروا بالحقيقة التى فى زمانكم هذا وقولوا عليها وعلى أهلها اللعنة انتهى وأغراض الناس متباينة بعيدة عن الاعتدال فمنهم المرهق المكفّر ومنهم المقلِّد ومما شُنِّع عليه به أنه ذكر امام الحرمين فقال اذا ذكر أبو جهل وهامان فهو ثالث الرجلين وأنه قال فى شأن الغزالى : ادراكه فى العلوم أضعف من خيط العنـكبوت. فان صحّت نسبة ذلك اليه فهو من أعداء الشريعة المطهرة بلا ريب . وقد حُكي عن قاضى القضاة ابن دقيق العيد أنه قال : جلست معـه من ضحوة الى قريب الظهر وهو يسرد كلاماً تُعقل مفرداته ولا تفهم مركباته والله أعلم بسريرةحاله . وقد أخذ عن جماعة منهم الحرانى والبونى مات بمكة انتهى كلام المناوى بحروفه هكذا جاء فى شذرات الذهب

قلت انه ورد فى النفح نقلاً عن أحد العلماء ولم يذكر المقرى اسمه أن ابن سبعين أخذ عن أبى اسحق بن دهاق

فاليكم الآن ترجمة أبى اسحق بن دهاق نقلا عن لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة

ابراهيم بن يوسف بن محمـد بن دهاق الأوسى يكنى أبا اسحق ويعرف بابن المرأة سكن مالقة دهراً طويلاً ثم انتقل الى مرسية باستدعاء المحـدث أبى الفضل المرسى والقاضى أبى بكر بن محرز وكان متقدماً فى عـلم الـكلام حافظا للحديث والتفسير

والفقه والتاريخ وغير ذلك وكان الكلام أغلب عليه فصيح اللسان والقلم ذا كراً لكلام أهل التصوف يطرّز مجالسه بأخبارهم وكان شيخ الجمهور بمالقة بارعاً فى ذلك حسن الفهم لما يُلقيه وثوباً على التمثيل والتشبيه فى مايقرب للفهم مؤثراً للخمول قريباً من كل أحد حسن العشرة مؤثراً بماليه وكان بمالقة يتجر فى سوق الغزل . قال الأستاذ أبو جعفر وقد وَصَمه : كان صاحب حيل ونوادر مستظرفة يلهى بها أصحابه ويؤنسهم ومطلعاً على أشياء غريبة من الخواص وغيرها فتن بها بعض الطلبة واطّلع كثير ممن شاهده على بعض ذلك وشاهد منه بعضهم مايمنعه الشرع من المرتكبات فنافره وباعده بعد الاختلاف اليه . منهم شيخنا القاضى العدل المسمّى بالفاضل ابن المرابط رحمه الله أخبرنى من ذلك باشهاده مايقبح ذكره وتبرأ منه من كان سعى فى انتقاله إلى مرسية والله أعلم بغيبه . ومن تآليفه شرحه كتاب « الارشاد » لأبى المعالى وشرح الأسماء الحسنى وألّف جزءاً فى اجماع الفقهاء وشرح « محاسن المجالس » لأبى العباس أحمد ابن العريف وألّف غير ذلك قال لسان الدين بن الخطيب : وتآليفه نافعة فى أبوابها حسنة الرصف والمبانى ثم ذكر وفاته بمرسية سنة احدى عشرة وستمائة

ومن مفاخر مرسية ومفاخر الأندلس بل الاسلام بأجمعه السيد العارف الشهير أبو العباس أحمد المرسى دفين الاسكندرية وهو من أكابر الأولياء صحب القطب الشهير السيد أبا الحسن الشاذلى وقد عرّف به ابن عطاء الله فى كتابه « لطائف المنن فى مناقب الشيخ سيدى أبى العباس وشيخه سيدى أبى الحسن » وقال الصفدى فى الوافى بالوفيات : أحمد بن عمر بن محمد الشيخ الزاهد الكبير العارف أبو العباس الأنصارى المرسى وارث شيخه الشاذلى تصوّفاً الأشعرىّ معتقداً توفى بالاسكندرية سنة ٦٨٦ ولأهل مصر ولأهل الثغر فيه عقيدة كبيرة وقد زرته لما كنت بالاسكندرية سنة ٧٣٨

قلت وقد زرت أنا أيضاً أبا العباس المرسى فى الاسكندرية سنة ١٣٠٨ وصلّيت الجمعة فى مسجده بالقرب من الخديوى المرحوم محمد توفيق باشا ابن اسماعيل خديوى

مصر وحضرت أيضاً مولد المرسى فى ذلك الثغر فاجتمع فيه ألوف وعشرات ألوف من الأهالى وأنشدنى المرحوم السيد عبد القادر الغريانى من أعيان الاسكندرية أبياتاً للسيد القصبى حفظت منها من أول دور

توجَّه فى الخطوب بحسن نيَّه   وزر أبطال ثغر سَكندريَّه

ثم يقول

أبا العباس أن سفين حظى   تكاد تطيح فى لجج المنيَّه
وأنت السيد المرسى فهلاَّ   رخاءً أنت تُرسيها هنيَّه

وهـذا مما يدلك على عظيم اعتقاد أهل القطر المصرى فى السيد المرسى المشار اليه رضى اللهعنه ولكن قول السيدالقصبى رحمه الله ان أبا العباس هو المرسى لسفن الحياة لايصح إلاَّ بتأويل أنه بجاهه لدى الله تعالى وتوسله اليه يمكنه أن ينجى تلك السفن من الغرق ولكن برغم هذا التأويل الذى لايوجد غيرهعند أهل السنةلتأويل الاستغاثة بالأولياء نجد الفرقة التى يقال لها السلفية الآخذين بأقوال ابن تيمية وابن قيّم الجوزيّة وابن عبدالوهاب يكفّرون كل من يقول هذا القول أو مايشبهه كائناً من كان ويقولون ان الاستغاثة لا تجوز إلاَّ بالبارى تعالى رأساً وكل تأويل فى أمرها غير نافع . ونعود إلى ترجمة أبى العباس المرسى رحمه الله . جاء فى نفح الطيب أنه كان يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل علية مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لأن ذلك الطائع أتى وهو متكثّر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصى دخل بكسر معصيته وذلّ مخالفته . وكان شديد الكراهة للوسواس فى الصلاة والطهارة ويثقل عليه شهود من كان على هـذه الصفة . وذكر عنده يوماً شخص بأنه صاحب علم وصلاح إلاّ أنه كثير الوسوسة فقال : وأين العلم ؟ العلم هو الذى ينطبع فى القلب كالبياض فى الابيض والسواد فى الأسود . وله كلام بديع فى تفسير القرآن العزيز.فمن ذلك قوله : قال الله سبحانه وتعالى (الحمد لله رب العالمين) علم الله عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه فى أزله فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده فقال : (الحمد لله رب

العالمين) أى الحمد الذى حمد به نفسه بنفسه هو له لاينبغى أن يكون لغيره فعلى هذا تكون الألف واللام للعهد . وقال فى قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) إياك نعبد شريعة وإياك نستعين حقيقة . إياك نعبد إسلام وإياك نستعين إحسان . إياك نعبد عبادة وإياك نستعين عبودية . إياك نعبد فرق وإياك نستعين جمع . وقال فى قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم) أى بالتثبيت فى ماهو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصل لهم التوحيدبالايمان وفاتهم درجات الصالحين . والصالحون يقولون (اهدنا الصراط المستقيم) أى نسألك التثبيت فى ماهو حاصل والارشاد الى ماليس بحاصل لأنهم حصل لهم الصلاح ولكن فاتهم درجات الشهداء . والشهداء يقولون (اهدنا الصراطَ المستقيم) أى بالتثبيت فى ماهوحاصل والارشادلما ليس بحاصل فانهم حصلت لهم درجة الشهادة وفاتهم درجة الصدّيقيّة . والصديق كذلك يقول : (اهدنا الصراط المستقيم) إذ حصلت له درجة الصديقية وفاتته درجة القطبانية . والقطب كذلك يقول : (اهدنا الصراط المستقيم) فانه حصلت له رتبة القطبانية وفاته علم اذا شاء الله تعالى أن يطلعه عليه أطلعه . وقال: الفتوّة الايمان قال الله تعالى (إنهمْ فتيةٌ آمنوا بربهمْ وزدناهمْ هدًى) وقال فى قوله تعالى حاكياً عن الشيطان (ثمَّ لآتينهمْ منْ بينِ أيديهمْ ومنْ خلفهمْ) الآية ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لأن فوقهم التوحيد وتحتهم الاسلام . وقال رضى الله عنه : التقوى فى كتاب الله على أقسام : تقوى النار قال الله سبحانه وتعالى (اتقوا النارَ) وتقوى اليوم قال تعالى (واتقوا يوماً ترجعونَ فيهِ الى الله) وتقوى الربوبية قال تعالى (يأيها الناسُ اتقوا ربكمْ) وتقوى الألوهية وتقوى الأنيَّة (واتقون ياأُولى الألبابِ) وقال فى قول الرسول عليه السلام : « أنا سيدُ ولد آدمَ ولا فخر » أى لاأفتخر بالسيادة وإنما الفخر لى بالعبودية لله . وكان كثيراً ماينشد :

ياعمرو نادِ عبدزهراءَ   يعرفه السامع والرائى
لا تدْعنى إلا بياعبدها   فانه أشرف أسمائى

وقال : الزاهد جاء من الدنيا الى الآخرة والعارف جاء من الآخرة الى الدنيا .
وقال : العارف لادنيا له لأن دنياه لآخرته وآخرته لربه

والحسين بن عتيق بن الحسن بن رشيق التغلبي يكني أبا على مرسى الأصل سبتى الاستيطان

قال لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة : كان نسيج وحده وفريد دهره اتقاناً ومعرفة ومشاركة فى كثير من الفنون اللسانية والتعليمية متجراً فى التاريخ ريان من الأدب شاعراً مفلقاً عجيباً قادراً على الاختراع والأوضاع جهم المحيا موهش الشكل يضم برداه طوياً (١) لا كفاء له برز بمدينة سبتة وكتب عن أميرها وجرى بينه وبين الأديب أبى الحكم مالك بن المُرحّل من الملاحات والمهاترات أشد مايجرى بين متناقضين آل به الى الحكاية الشهيرة وذلك أنه نظم قصيدة نصها (أوردها لسان الدين كلها ونحن نورد بعضها)

لكلاب سبتة فى النباح مدارك	وأشدها دركاً لذلك مالكُ
شيخ تفانى فى البطالة عمره	وأجال فكّيه الكلام الآفك
وألذُّ شىء عنده فى محفل	لمز لأستار المحافل هاتك
يغشى مخاطرة اللئيم تفكهاً	ويعاف رؤيته الحليم الناسك
نبذ الوقار لصبية يهجونه	فسباله فرش لهم وأرائك
يبدى لهم سوآته ليسوءهم	بمسالك لا يرتضيها سالك
يا ابن المرحّل لو شهدت مرحّلا	وقد انحنى بالرحل منه الحارك
لشُغلت عن ذم الانام بشاغلٍ	وثناك خصم من أبيك مماحكُ
لأقول للمغرور منك بشيبةٍ	بيضاء طى الصحف منها حالك
عار على الملك المعظم أن يُرى	فى ذلك الصقع المقدس مالك

وما أشبه ذلك من الشعر الذى تنبو عن بعضه الاسماع قال لسان الدين : وهى

(١) الطوى الضعيف من جهة الجسم

طويلة تشتمل من التعريض والتحريض على كل غريب واتخذلها كنانة خشبية كأوعية الكتب وكتب عليها « رقّاص معجّل الى مالك بن المرجّل » وعمد الى كلب وجعلها فى عنقه وأوجعه ضرباً حتى لا يأوى الى أحد ولا يستقر وذهب الكلب وخلفه من الناس أمة وقرئ مكتوب الكنانة واحتمل الى أبى الحسن ونزعت من عنق الكلب ودفعت اليه فوقف منها على كل فاقرة كفّت من طماحه وتحدّث الناس بها مدة ولم يغب عنه أنها من حيل ابن رشيق ففوّق سهام المراجعة وفى ذلك يقول

كلاب المزابل آذيننى   بأبوالهن على باب دارى

وقد كنت أوجعها بالعصا   ولكن عوت من وراء الجدار

واستدعاه بآخرة أمير المغرب السلطان أبو يعقوب فاستكتبه واستكتب أبا الحكم ضده فيقال انه جرّ عليه خجلة كانت سبب وفاة أبى على (الى أن قال) وأوضاعه غريبة واختراعاته عجيبة تعرفت أنه اخترع فى سفرة الشطرنج شكلاً مستديراً وله الكتاب الكبير فى التاريخ والتلخيص المسمّى « بميزان العمل » وهو من أظرف الموضوعات وأحسنها شهرة قال : كان حياً سنة أربع وسبعين وستمائة

ومن الرجال الذين يناسب ذكرهم عند ذكر مرسية زهير العامرى فتى الحاجب الغازى العظيم المنصور بن أبى عامر قال عنه لسان الدين فى الاحاطة : كان شهماً داهية شديد المذهب ولّى بعد خيران صاحب المريّة وقام بأمره أحمد قيام سنة تسع عشرة وأربعمائة يوم الجمعة لثلاث خلون من جمادى الأولى وكان أميراً لمرسية فوجه اليه خيران حين أحسّ الموت فوصل اليه وكان عنده الى أن مات فخرج زهير الى الناس فقال لهم : أما خيران فقد مات وقد أقام أخاه زهيراً هذا فما تقولون ؟ فرضى الناس به فدامت مدة ولايته عشرة أعوام ونصف عام الى أن قتل . ثم ذكر لسان الدين خبر نهاية زهير العامرى بالمعركة التى جرت بينه وبين باديس صاحب غرناطة ودارت فيها الدائرة على زهير وقتل وذلك عقب شوال سنة تسع وعشرين وأربعمائة نقل ذلك عن ابن عذارى

ومحمد بن محمد بن أحمد الأنصارى يعرف بابن الجنّان ويكنى أبا عبد الله من أهل مرسية . قال فى الاحاطة : كان محدّثاً راوية ضابطاً كاتباً بليغاً شاعراً بارعاً رائق الخط ديّناً فاضلاً خيّراً زكياً استكتبه بعض أمراء الأندلس فكان يبرح من ذلك ويضيق منه ثم خلّصه الله تعالى منه وكان من أعاجيب الزمان فى افراط القماءة [1] حتى يظن رائيه الذى استدبره أنه طفل ابن ثمانية أعوام . وكان متناسب الخلقة لطيف الشمائل وقوراً خرج من بلده حين تمكّن العدو سنة ٦٠٤ فاستقرّ بأوريولة الى أن استدعاه بسبتة الرئيس أبو على بن خلاص فوفد عليه فأجلّ وفادته وأجزل افادته وحظى عنده حظوة تامة . ثم توجه الى افريقية فاستقر ببجاية وكانت بينه وبين كتّاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته أخذ العلم ببلده قال لسان الدين انه روى فى مرسية عن أبى بكر بن خطّاب وأبى الحسن سهل بن مالك وابن قطرال وأبى الربيع ابن سالم وأبى عيسى بن أبى السداد وأبى على الشلوبين النحوى الشهير وغيرهم . ونقل لسان الدين عن القاضى أبى عبد الله بن عبد الملك أنه كان له فى الزهد ومدح النبى صلى الله عليه وسلم بدائع ونظم فى المواعظ فمن ذلك قوله فى توديع رمضان وليلة القدر

مضى رمضان أو كأنى به مضى ... وغاب سناه بعد أن كان أومضا

فيا عهده قد كان أكرم معهد ... ويا عصره أعزز علىّ أن انقضى

المّ بنا كالضيف فى الطيف زائراً ... فخيّم فينا ساعة ثم قوّضا

فياليت شعرى اذ نوى غربة النوى ... أبا لسخط عنا قد تولّى أم الرضا

قضى الحق فينا بالفضيلة جاهداً ... فأى فتى فينا له الحق قد قضى

وكم من يد بيضاء أسدى لذى التقى ... بثوب وفيها للصحائف بيّضا

وقال فى ليلة القدر

فياحسنها من ليلة جلّ قدرها ... وحض عليها الهاشمى وحرّضا

لعل بقايا الشهر وهى كريمة ... تبيّن سرّاً فى الاواخر أغمضا

---

(١) صغر الجسم

وقال اطلبوها تسعدوا بطلابها ... فحرك أرباب القلوب وأنغضا
جزاه اله العرش خير جزائه ... وأكرمنا بالعفو منه وبالرضا
وصلى عليه من نبي مبارك ... رؤوف رحيم للرسالة مرتضى
له غرّة أعلا من الشمس منزلا ... وعزمته أمضى من السيف منتضى
عليه سلام الله ما انهلّ ساكبٌ ... وذهّب موشىٌّ الرياض وفضّضا

قال لسان الدين : وكتابته شهيرة تضرب بها الأمثال قالوا لما جعل أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد بن يوسف البيعة لابنه الواثق بالامارة من بعده تولى انشاءها وجعل الحاء المهملة سجعها مردفاً اياها بالألف نحو صباحاً وصلاحاً وماأشبه ذلك وطال مجموعها فناهزت الأربعين وطاب مسمعها فأحرزت بغية المستمعين فكتب اليه أبو المطرّف ابن عميرة برسالته الشهيرة يداعبه فى ذلك وهي :

تحييك الأقلام تحية كسرى وتقف الأفهام دون مداك حسرى (ثم يقول) : ومالك أمنت تغيّر الحالات فشننت غارتك على الحاءات ونفضت عنها المهارق وبعثت فى طلبها السوابق ولقطتها من الأفواه وطلبتها بين الشفاه حتى شهد أهل الشام بنزحها عن ذلك المكان وتوارت بالحلوق ولو تغلغلت إلى العروق لآثرتها جيادك واقتنصها قلمك ومدادك

فأجابه بما نصه :

ما هذه التحية الكسروية وما هذا الرأى وهذه الروية أتنكيت من الاقلام أو تبكيت من الأعلام أو كلا الأمرين توجه القصد اليه. وهو الحق مصدقاً لما بين يديه والاّ فعهدى بالقلم يتسامى عن عكسه ويترامى للغاية البعيدة بنفسه فمتى لانت أنابيبه للعاجم ودنت أعاريبه للاعاجم واعجبا لقد استنوق الجمل واختلف القول والعمل لامرٍ ماجدع أنفه قصير وارتدّ على عقبه الأعمى أبابصير امس أستسق من سحابه فلا يسقيني وأستشفى بأسمائه فلايشفيني واليوم يحلّني محل أنوشروان ويشكو منى شكوى الزيدية من بني مروان ويزعم أني أبطلت سحره ببئر ذروان ويخفى فى نفسه ماالله مبديه. ويستجدى بالأثر ما عند مستجديه فمن أين جاءت هذه الطريقة المتبعة والشريعة المبتدعة أيظن

أن معمّاه لاينفك وأنه لاينجلى هـذا الشك هل ذلك منه إلاّ إمحاض التيه..وامحاض تفتّيه. ونشوة من خمر الهزل. ونخوة من ذى ولاية أمن من العزل. (ومنها) :

وإنما يستوجب الشكر جسيما والثناء الذى يتضوّع نسيما الذى شرّف إذ أهدى أشرف السحاءات وعرّف بما كان من انتحاء تلك الحاء المذمومة فى الحاءات. فانه وان ألمّ بالفكاهة بما أملى من البداهة وسمّى باسم السابق السُكيت وكان من أمرمداعبته كيت وكيت ، وتلاعب بالصفات تلاعب الصَبا بالبانة، والصِبا بالعاشق ذى اللبانة ، فقد أغرب بفنونه وأغرى القلب بفتونه ونفث بخفيّة الاطراف وعبث بالكلام المشقّق الأطراف وعلّم كيف يُمحض البيان ويُخلص العقيان، فمن الحق أن أشكره على أياديه البيض وأن آخذ لفظه من معناه فى طرف النقيض (إلى آخر هذه الرسالة التى استقصاها لسان الدين وعقّبها بقوله : ومحاسنه عديدة وآماده بعيدة) وكانت وفاته فى بجاية فى عشر وستمائة

ومحمد بن عبيد الله بن داود بن خطّاب ترجمه لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة فقال : من صلة ابن الزبير كان كاتباً بارعاً شاعراً مجيداً له مشاركة فى أصول الفقه وعلم الكلام وغيرهما مع نباهة وحسن فهم وحسن سمت. ورد على غرناطة واستُعمل فى الكتابة السلطانية وكان عظيم القدر معظماً عند الكافة ثم انه رجع الى مرسية وقد ساءت أحوالها فأقام بها مدة ثم انفصل عنها واستقرّ بالعدوة بعد مكابدة . قلت :وأخبرنى شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب رحمه الله قال : كان شكس الأخلاق متقاطباً زاهياً بنفسه (ثم ذكر له حادثة تدل على سوء خلقه) وانصرف واستقرّ بتلمسان كاتباً عن سلطانها أبى يحيى يغمراسن بن زيّان . وزعموا أن المستنصر أبا عبد الله بن الأمير أبى زكريا استقدمه على عادته فى استقدام الكتّاب المشاهير واستدعائه لحضرته العلماء وبعث اليه ألف دينار من الذهب العين فاعتذر وردّ عليه المال فكان ذلك أشق مامرّ على المستنصر وظهر له علو شأوه وبعد همته

ومن المنسوبين الى مرسية الشيخ الأكبر الأشهر صاحب الشهرة العالمية الشيخ محيي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من ولد عبد الله ابن حاتم أخي عدي بن حاتم الصوفي الفقيه الظاهري ولد بمرسية يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة ٥٦٠ قرأ القرآن على أبي بكر بن خلف باشبيلية بكتاب الكافي وسمع على أبي بكر محمد بن أبي جمرة كتاب التيسير للداني عن أبيه عن المؤلف وسمع على ابن زرقون وأبي محمد عبد الحق الاشبيلي الازدي وكان انتقاله من مرسية إلى اشبيلية سنة ٥٦٨ فأقام بها إلى سنة ٥٩٨ ثم ارتحل إلى المشرق وأجازه جماعة منهم الحافظ السلفي وابن عساكر وأبو الفرج ابن الجوزي ودخل مصرّ وأقام بالحجاز مدة ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم ومات بدمشق سنة ٦٣٨ ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ودفن بسفح جبل قاسيون أي حارة الصالحية . زرت قبره سنة ١٣١١ ورأيت مكتوباً على قبرة بيتين من الشعر

قبر محيي الدين ابن العربي كل من لاذ به أوزاره
قضيت حاجاته من بعدما غفــــر الله له أوزاره

قلت هذان البيتان هما من قبيل البيتين اللذين تقدم ذكرهما عند ترجمة أبي العباس المرسي بلديّ محيي الدين بن عربي رحم الله الاثنين . قال ابن الأبّار انه أخذ عن مشيخة اشبيلية ومال إلى الآداب وكتب لبعض الولاة ثم رحل إلى المشرق حاجاً ولم يعد بعدها إلى الأندلس . ورأى المنذريّ أنه سمع بقرطبة من أبي القاسم بن بشكوال وجماعة وطاف البلاد وسكن بلاد الروم [1] وذكروا أنه قدم بغداد سنة ٦٠٨ وكان الغالب عليه التصوف وكانت له قدم في الرياضة والمجاهدة ووصفه غير واحد بالتقدّم في هذا الشان وكانت له أتباع وسلك طريق الفقر وحج وجاور وكتب في علم القوم وفي أخبار مشايخ المغرب، وله أشعار حسنة وكلام مليح. قال ابن النجار : اجتمعت به في دمشق في رحلتي اليها وكتبت عنه شيئاً من شعره ونعم الشيخ هو ذكر لي أنه دخل

(١) يعني العرب بقولهم «بلاد الروم» ما يقال له اليوم تركيا

بغـــداد سنة ٦٠١ فأقام بها اثنى عشر يوماً ثم دخلها ثانياً مع الحجاج سنة ٦٠٨ وأنشدنى لنفسه

أيا حائراً ما بين علـمٍ وشهوةٍ ليتّصِلا مابين ضدين من وصـل
ومن لم يكن يستنشق الريح لم يكن يرى الفضل للمسك الفتيق على الزِّبل

وسألته عن مولده فقال : ليـلة الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ بمرسية من بلاد الأندلس . وقال ابن مُسدى انه كان جميل الجملة والتفصيل محصلاً لفنون العلم أخص تحصيل ، وله فى الأدب الشأو الذى لايُلحق سمع ببلاده من ابن زرقون والحافظ بن الجد وأبى الوليـد الحضرمى وبسبتة من أبى محمد بن عبد الله وقدم عليه اشبيلية أبو محمد عبـد المنعم بن محمد الخزرجى فسمع منه وذكر أنه لقى عبد الحق الاشبيلى وفى ذلك عندى نظر . اه . قال المقرى : لا نظر فى ذلك فان سيدى الشيخ محيى الدين ذكر فى اجازته للملك المظفرَّ غازى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب مامعناه أو نصُّه « ومن شيوخنا الأندلسيين أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الاشبيلى رحمهم الله تعـالى حدّثنى بجميع مصنفاته فى الحديث وعيّن لى من أسمائهـا « تلقين المهتدى » و « الأحـكام الـكبرى والوسطى والصغرى » و « كتاب التهجد » و « كتـاب العاقبة » ونظمه ونثره . وحدثنى بكتب الامام أبى محمـد على بن أحمد بن حزم عن أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه . اه وكان ظاهرى المذهب فى العبادات باطنىَّ النظر فى الاعتقادات . ولما أقام ببلاد الروم أمر له الملك بدار تساوى مائة ألف درهم فلما نزلها مرَّ به سائل فقال له « شىء لله . فقال له ابن عربى » مالى غـير هذه الدار فتسلمها السائل وصارت ملـكه . قال الذهبى فى حقه انه له توسطاً فى الـكلام وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيقاً فى التصوُّف وتواليف جمة فى العرفان لولا شطحه فى كلامه وشعره . ولعل ذلك وقع منه حال سـكره وغيبته فيرجى له الخير[1] . اه ومن نظم الشيخ محيى الدين

---

(١) لم أجد فى كتاب «دول الاسلام» للذهبى طبعة حيدر آباد ذكر وفاة الشيخ محيى الدين بن عربى بين حوادث سنة ٦٣٨ فلعله كتب ذلك فى كتاب آخر

بين التـــذلل والتدلل نقطة　　فيهـــا يتيه العـالم النحرير
هى نقطة الأكوان ان جاوزتها　　كنت الحكيم وعلمك الاكسير

وقوله :

يادرّة بيضـــاء لاهوتية　　قد رُكّبت صدفاً من الناسوت
جهل البسيطة قدرها لشقائهم　　وتنافسوا فى الدر والياقوت

وحكى العماد بن النحاس الاطروش أنه كان فى سفح جبل قاسيون على مستشرف وعنده الشيخ محيي الدين بن عربى والغيث والسحاب عليهم ودمشق ليس عليها شىء قال فقلت للشيخ : أما ترى هذه الحال ؟ فقال : كنت بمراكش وعندى ابن خروف الشاعر يعنى أبا الحسن على بن القرطبى وقد اتفقت حال مثل هذه فقلت له مثل هذه المقالة فأنشدنى

يطوف السحاب بمراكش　　طواف الحجيج ببيت الحرم
يروم نزولاً فـلا يستطيـع　　لسفك الدماء وهتك الحرم

جاء فى نفح الطيب أن المقريزى حكى فى ترجمة عمر بن الفارض أن الشيخ محيى الدين بن عربي بعث الى ابن الفـارض يستأذنه فى شرح التـائية فأجابه : كتابك المسمّى بالفتوحات المكيّة شرح لهـا . اه وقال بعض من عرّف به انه لمـا صنّف الفتوحات المكية كان يكتب كل يوم ثلاث كراريس حيث كان وحصلت له بدمشق دنيا كثيرة فما ادّخر منها شيئا . وقيـل ان صاحب حمص رتّب له كل يوم مائة درهم وابن الزكى كل يوم ثلاثين درهماً فـكان يتصدق بالجميع . واشتغل النـاس بمصنّفاته ولها ببلاد اليمن والروم صيت عظيم وهو من عجائب الزمان. وكان يقول : أعرف الـكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الـكسب . وذكر صفى الدين حسين بن الامام جمال الدين أبى الحسن على بن الامام كمال الدين أبى منصور ظافر الازدى الانصارى فى رسالته المتضمنة من رأى من سادات عصره قال : ورأيت بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيي الدين بن عربى وكان من أكبر علمـاء الطريق جمع بين سائر

العلوم الكسبية وما وقر له من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غلب عليه التوحيد علماً وخلقاً وحالاً لا يكترث بالوجود مقبلاً كان أو معرضاً . وله علماء أتباع أرباب مواجيد وتصانيف وكان بينه وبين سيدى الأستاذ الحرّاز اخاء ورفقة فى السياحات ومن نظم ابن عربى

يامن يرانى ولا أراه   كم ذا أراه ولا يرانى

قال رحمه الله : قال لى بعض اخوانى لما سمع هذا البيت : كيف تقول انه لايراك وأنت تعلم أنه يراك فقلت له مرتجلا

يامن يرانى مجرما   ولا أراه آخذا

كم ذا أراه منعما   ولا يرانى لائذا

قال المقرى فى النفح : قلت من هذا وشبهه تعلم أن كلام الشيخ مؤوّل وأنه لايقصد ظاهره وإنما له محامل تليق به وكفاك شاهداً هذه الجزئية الواحدة فأحسن الظن به ولا تنتقد بل اعتقد . وللناس فى هذا المعنى كلام كثير والتسليم أسلم والله سبحانه بكلام أوليائه أعلم

وولد للشيخ محيي الدين ابنه محمد المدعو سعد الدين بمَلَطْيَة من بلاد الروم وذلك فى رمضان سنة ٦١٨ وسمع الحديث ودرّس وقال الشعر الجيد وله ديوان مشهور وتوفى بدمشق سنة ٦٥٦ وهى السنة التى دخل فيها هولاكو بغداد وقتل الخليفة المستعصم ودفن محمد بن محيي الدين بن عربى الى جانب والده بسفح قاسيون ومن شعره :

لما تبدّى عارضاه فى نمط   قيل ظلام بضياء اختلط

وقيل سطر الحسن فى خديه خط   وقيل نمل فوق عاج انبسط

وقيل مسك فوق ورد قد نقط   وقال قوم انها اللام فقط

ومن نظمه :

سهرى من المحبوب أصبح مرسلاً   وأراه متصلاً بفيض مدامع

قال الحبيب بأن ريقى نافع   فاسمع رواية مالك عن نافع

وقوله :

لك والله منظر قَلَّ فيه المشارك
ان يوماً نراك فيه ليوم مبارك

وله :

وعلمت أن من الحديد فؤاده لما انتضى من مقلتيه مهندا
آنست من وجدى بجانب خده ناراً ولكن ماوجدت بها هدى

وله :

ساءلتنى عن لفظة لغوية فأجبت مبتدئاً بغير تفكّر
خاطبتنى متبسّماً فرأيتها من نظم ثغرك فى صحاح الجوهرى

وكتب الى أخيه عماد الدين أبى عبد الله محمد ابن الشيخ الأكبر محيى الدين ابن عربى :

ما للنوى رقة ترثى لمكتئبٍ حرّان فى قلبه والدمع فى حلب
قد أصبحت حلب ذات العماد بكم وجلّق إرَمٌ هذا من العجب

وتوفى الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧ ودفن بسفح قاسيون عند والده بتربة القاضى ابن الزكى رحم الله تعالى الجميع

ومن نظم الشيخ محيى الدين قوله :

مافاز بالتوبة إلا الذى قد تاب قدماً والورى نوَّم
فمن يتب أدرك مطلوبه من توبة الناس ولا يعلم

قال صاحب نفح الطيب : وبالجملة فهو حجة الله الظاهرة وآيته الباهرة ولا يلتفت الى كلام من تكلم فيه ولله در السيوطى الحافظ فانه ألّف « تنبيه الغبى على تنزيه ابن عربى » انتهى قلت : إنى قد طالعت كتاب « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » تأليف الامام جلال الدين السيوطى رحمه الله وقرأت ترجمته لنفسه فى آخر تراجم علماء مصر وهى فى الجزء الأول من صفحة ١٨٨ ـ ١٩٥ وقرأت بتدقيق أسماء مؤلفاته

التى قال عنها المستشرق « سَديُّو »Sedillout انها أكثر مما قرأ كثير من أدباء الأوربيين من الكتب على العموم وقد أحصيت بنفسى عدد تآليف الامام السيوطى بحسب ما هو وارد فى ترجمته لنفسه فى كتاب حسن المحاضرة المذكور فوجدتها نحواً من مائتين وستين تأليفاً ولم أجد بين هذه الكتب كتاباً يسمى « تنبيه الغبى على تنزيه ابن عربى » نعم يجوز أن يكون له تآليف أخرى ألفها بعدتأليفه لحسن المحاضرة منها تنبيه الغبى فى تنزيه ابن عربى وكنت أحصيت تآليف الجلال السيوطى التى ذكرها صاحب كشف الظنون فبلغت حسبما أتذكر يوم أحصيتها نحواً من ٤٦٠ كتاباً أى زيادة مائتين على ماهى فى حسن المحاضرة وقد راجعت هذه المرة كشف الظنون فوجدت فى الجزء الأول فى حرف التاء اسم كتاب « تنبيه الغبى فى تنزيه ابن عربى » للجلال السيوطى قال : رسالة كتبها رداً على من ردّ عليه فى الفصوص . وللسيد على بن ميمون المغربى المتوفى سنة ٩١٧ اه ثم نعود الى ماجاء فى نفح الطيب فنقول انه ذكر من علماء الأندلس رجلا آخر يعرف بابن العربى وهو القاضى أبو بكر بن العربى فلأجل التفريق بين الاثنين ورفع الالتباس اصطلح أهل المشرق على أن يكتبوا اسم الشيخ الأكبر « ابن عربى » دون الف ولام ثم انه جاء فى كتاب « مزّية المرّية » لابن خاتمة ما نصه : محمد بن على بن محمد الطائى الصوفى من أهل اشبيلية وأصله من مرسية يكنى أبا بكر ويعرف بابن العربى وبالحاتمى أيضاً أخذ عن مشيخة بلده ومال الى الآداب وكتب لبعض الولاة بالأندلس . ثم رحل الى المشرق حاجاً فأدى الفريضة ولم يعد بعدها الى الأندلس وسمع الحديث من أبى القاسم الحرستانى ومن غيره وسمع صحيح مسلم من أبى الحسن بن أبى نصر سنة ٦٠٦ وكان يحدّث بالاجازة العامة عن أبى طاهر السلفى ويقول بها ، وبرع فى علم التصوف وله فى ذلك تواليف كثيرة منها « الجمع والتفصيل فى حقائق التنزيل » و «الجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة » وكتاب « كشف المعنى فى تفسير الأسماء الحسنى » وكتاب « المعارف الالهية » وكتاب « الاسرا إلى المقام الاسرى » وكتاب « مواقع النجوم ومطالع أهلّة أسرار العلوم» وكتاب « عنقاء مُغرب فى صفة ختم الأولياء وشمس المغرب » وكتاب فى فضائل

مشيخة عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي والرسالة الملقبة « بمشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الالهية » فى كتب أخر عديدة . وقدم على المرية من مرسية مستهل شهر رمضان سنة خمس وتسعين وخمسمائة وبها ألَّف كتابه الموسوم « بمواقع النجوم » اه قال المقرى : ولاخفاء أن مقام الشيخ أعظم بعد انتقاله من المغرب وقد ذكر فى بعض كتبه أن مولده بمرسية ثم ذكر أنه توجه سؤال إلى القاضى مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازى الفيروز ابادى الصدّيقى صاحب القاموس وهو : ما تقول السادة العلماء شدَّ الله تعالى بهم ازر الدين ولمّ بهم شعث المسلمين فى الشيخ محيي الدين بن عربى فى كتبه المنسوبة اليه كالفتوحات والفصوص هل تحل قراءتها واقراؤها ومطالعتها وهل هى الكتب المسموعة المقروءة أم لا ؟ أفتونا مأجورين جواباً شافياً لتحوزوا أجل الثواب من الله الكريم الوهاب والحمد لله وحده (فأجاب بما صورته) : الحمد لله اللهم انطقنا بما فيه رضاك . الذى أعتقده فى حال المسؤول عنه وأدين الله تعالى به انه كان شيخ الطريقة حالاً وعلماً وامام الحقيقة حقيقة ورسماً ومحيي رسوم المعارف فعلاً واسماً

اذا تغلغل فكر المرء فى طرف من بحره غرقت فيه خواطره

وهو عباب لاتكدره الدلاء وسحاب لاتتقاصر عنه الأنواء، كانت دعواته تخترق السبع الطباق وكانت بركاته تفترق فتملأ الآفاق، وانى أصفه وهو يقيناً فوق ماوصفته وناطق بما كتبته وغالب ظنى أنى ما أنصفته

وما علىَّ اذا ما قلت معتقدى دع الجهول يظن العدل عدوانا
والله والله وَالله العظيم ومن أقامه حجة للدين برهانا
بأن ما قلت بعض من مناقبه ما زدت الاَّ لعلّى زدت نقصانا

وأما كتبه ومصنفاته فالبحار الزواخر التى جواهرها وكثرتها لا يعرف لها أول ولا آخر، ما وضع الواضعون مثلها وانما خص الله سبحانه بمعرفة قدرها أهلها ومن خواص كتبه أن من واظب على مطالعتها والنظر فيها وتأمل مافى مبانيها انشرح صدره لحل المشكلات وفك المعضلات وهذا الشأن لا يكون الاَّ لأنفاس من خصَّه الله تعالى

بالعلوم اللدنية الربانية ووقفت على اجازة كتبها للملك العظم فقال فى آخرها : وأجزته أيضاً أن يروى عنى مصنَّفاتى ومن جملتها كذا وكذا حتى عدَّ نيفاً واربعمائة مصنَّف منها التفسير الكبير الذى بلغ فيه إلى سورة الكهف عند قوله تعالى (وعلمناه من لدنا علما) وتوفى ولم يكمل وهذا التفسير كتاب عظيم كل سفر منه بحر لاساحل له . ولا غرو فانه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فى ما نعتقد وندين الله تعالى به. وثَمّ طائفة فى الغَى حائفة يعظمون عليه النكير وربما بلغ بهم الجهل إلى حد التكفير وما ذاك إلالقصور أفهامهم عن ادراك مقاصد أقواله وأفعاله ومعانيها ولم تصل أيديهم لقصرها الى اقتطاف مجانيها

على نحت القوافى من معادنها وما علىّ اذا لم تفهم البقر

هذا الذى نعلم ونعتقد وندين الله تعالى به فى حقه والله سبحانه وتعالى أعلم . كتبه محمد الصديقى الملتجئ إلى حرم الله تعالى عفا الله عنه . اه لا يخفى أن صاحب القاموس أقام زمناً بمكة المكرمة . ثم ان بعض الناس ذكروا أنه جرى تكفير ابن عربى فى مجلس شيخ الاسلام فى وقته عز الدين بن عبد السلام رحمه الله وقيل عنه انه زنديق وان الشيخ لم يردّ عنه فكان سكوته اقراراً . فذكر خادم للشيخ أنه كان ذلك اليوم صائماً فاتفق أن سيده دعاه للافطار معه يقول الخادم : وجدت منه اقبالاً ولطفاً فقلت له : يا سيدى هل تعرف القطب الغوث الفرد فى زماننا ؟ فقال : مالك ولهذا كُلْ . فعرفت أنه يعرفه فتركت الأكل وقلت له : لوجه الله تعالى عرّفنى به من هو . فتبسم رحمه الله وقال لى : الشيخ محيى الدين بن عربى . فأطرقت ساكتا متحيراً فقال : مالك . فقلت : ياسيدى قد حرت . قال : لِمَ ؟ قلت : أليس اليوم قال ذلك الرجل الى جانبك ماقال فى ابن عربى وأنت ساكت ؟ فقال : اسكت ذلك مجلس الفقهاء. هذا الذى روى لنا بالسند الصحيح عن شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام . وكان الشيخ كمال الدين الزملكانى من أجلّ مشايخ الشام يقول : ما أجهل هؤلاء ينكرون على الشيخ محيى الدين بن عربى لأجل كلمات وألفاظ وقعت فى كتبه قد قصرت أفهامهم عن درك معانيها فليأتونى لأحل لهم مشكله وأبيّن لهم مقاصده بحيث يظهر

لهم الحق . وهذا القطب سعد الدين الحموى سُئل عن الشيخ محي الدين بن عربى لما رجع من الشام الى بلده : كيف وجدت ابن عربى ؟ فقال : وجدته بحراً زخاراً لاساحل له . وهذا الشيخ صلاح الدين الصفدى له كتاب جليل وضعه فى تاريخ علماء العالم فى مجلدات كثيرة تنظر فى باب الميم ترجمة محمد بن عربى لتعرف مذاهب أهل العلم الذين باب صدورهم مفتوح لقبول العلوم اللدنية . وقيل ان ابن عربى صنّف بعض كتبه بأمر من الحضرة الشريفة النبوية . قال الشيخ محي الدين الذهبى حافظ الشام وكان من أعظم المنكرين على الصوفية : ما أظن محي الدين يتعمد الكذب أصلاً . ثم ان ابن عربى كان مظهره بدمشق ، وأخرج هذه العلوم فيها ولم ينكر عليه ذلك أحد من علمائهم . وكان قاضى قضاة الشافعية فى عصره شمس الدين أحمد الجوبى يخدمه وقاضى قضاة المالكية زوّجه بابنته وترك القضاء بنظرة وقعت عليه من الشيخ . قال المقرى فى نفح الطيب انه نقل ما نقله من ترجمة ابن عربى من كلام العارف بالله عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه ، ونحن نقلنا فى كتابنا هذا ما ذكره المقرى ملخصاً ثم راجعنا ماقال الشعرانى فى الطبقات الكبرى فلم نجد هذه الروايات فى الطبقات المذكورة فلعله نقلها عنه من كتاب آخر أما فى الطبقات فالشعرانى يقول عن ابن عربى : الشيخ العارف الكامل المحقق المدقق أحد أكابر العارفين بالله سيدى محي الدين بن العربى رضى الله عنه بالتعريف — أى بوضع الألف واللام على لفظه عربى — كما رأيته بخطه وقال : أجمع المحققون من أهل الله عز وجلّ على جلالته فى سائر العلوم كما تشهد بذلك كتبه وما أنكر من أنكر عليه الاّ لدقة كلامه لاغير ، فأنكروا على من يطالع كلامه من غير سلوك طريق الرياضة خوفا من حصول شبهة فى معتقده يموت عليها ولا يهتدى لتأويلها على مراد الشيخ . وقدترجمه الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فقال : هوالشيخ الامام المحقق رأس اجلاّء العارفين والمقربين صاحب الاشارات الملكوتية والنفحات القدسية والأنفاس الروحانية والفتح المؤنق والكشف المشرق والبصائر الخارقة والسرائر الصادقة والمعارف الباهرة والحقائق الزاهرة له المحل الأرفع من مراتب القرب فى منازل

الانس (الى آخر ما نحله اياه من الصفات والألقاب) ونقل الشعرانى أن العارف بالله محمد بن أسعد اليافعى رضى الله عنه ذكر ابن عربى بالعرفان والولاية وأن العارف الشهير الشيخ أبا مَدْيَن رضى الله عنه لقَّب ابن عربى بسلطان العارفين . قال الشعرانى : ان كتبه مشهورة بين الناس لا سيما بأرض الروم فانه ذكر فى بعض كتبه صفة السلطان جد السلطان سليمان بن عثمان وفتحه القسطنطينية فى الوقت الفلانى فجاء الأمر كما قال وبينه وبين السلطان نحو مائتى سنة وقد بنى عليه قبة عظيمة وتكية شريفة بالشام

قلت : ان السلطان الذى فتح القسطنطينية هو السلطان محمد الثانى ابن مراد الثانى وكان فتحه لها سنة ٨٥٣ للهجرة . وعاش ابن عربى إلى سنة ٦٣٨ فان كان قال شيئاً فى صفة السلطان محمد الفاتح قبل ظهوره بنحو مائة وخمس وثمانين سنة فيكون من الخوارق . وأما القبة التى بُنيت على ضريح ابن عربى رحمه الله فيقال انها من بناء السلطان سليم بن بايزيد بن محمد الفاتح وكانت ولاية سليم سنة ثمان عشرة وتسعمائة وقد ذكر الشيخ مرعى الحنبلى فى كتابه « نزهه الناظرين » ونقل ذلك صاحب « شذرات الذهب » ونقلته أنا فى تاريخ أمة الترك الذى علقته فى حاشيتى على تاريخ ابن خلدون وطبع من سنتين أن السلطان سليم والد السلطان سليمان فاتح الشام ومصر عند ما دخل الشام أمر بعمارة قبة على مقام الشيخ محيي الدين بن عربى بصالحية دمشق ورتَّب عليها أوقافاً كثيرة . ونعود إلى ما قال الشعرانى عن ابن عربى فمن ذلك أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الاسلام بمصر كان يحط عليه كثيراً فلما صحب الشيخ أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه وعرف احوال القوم صار يترجمه بالولاية والعرفان والقطبية . قال الشعرانى : وقد سطرنا الكلام على علومه وأحواله فى كتابنا « تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء » فراجعه فيظهر أن الذى نقله المقرى فى النفح عن الشعرانى نقله عن هذا الكتاب . وأما ابن خلكان فلم يذكر الشيخ محيي الدين بن عربى فى « وفيات الأعيان » وانما ذكره صاحب «فوات الوفيات» محمد ابن شاكر بن أحمد الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ وقال انه ولد بمرسية وانه أخذ فيها عن

ابن بشكوال وذكر من تصانيفه مالم يرد ذكره فى نفح الطيب مثل « التدبيرات الالهية والتنزلات الموصلية » و « الأجوبة المسكتة عن سؤالات الحكيم الترمذى » و « تاج الرسائل ومنهاج الوسائل » وكتاب « التجليات » و « مفاتيح الغيب » و « الاعلام باشارات أهل الالهام » و « المدخل إلى معرفة الأسماء » و « العبادة والخلوة » و « كُنه مالابد منه » و « النقباء » و « حلية الأبدال » و « عقيدة أهل السنة » و « المقنع فى ايضاح السهل الممتنع » و « مناصحة النفس » و « تاج التراجم » و «مشكاة الأنوار» و «الجلال والجمال» و « محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار» خمسة مجلدات وغير ذلك من الكتب والرسائل وذكر من شعره :

ليت شعرى هل دروا   أىَّ قلبٍ ملكوا
وفؤادى لو درى   أىَّ شعب سلكوا
أتراهم سلموا   أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى   فى الهوى وارتبكوا

وله :

سلام على سلمى ومن حل بالحمى   وحق لمثلى رقةً أن يسلّما
وماذا عليها أن تردَّ تحية   علينا ولكن لااحتكام على الدُّمى
سروا وظلام الليل أرخى سدوله   فقلت لها صباً غريباً متيما
فأبدت ثناياها وأومض بارق   فلم أدرِ من شق الحنادس منهما
وقالت أما يكفيه أنى بقلبه   يشاهدنى من كل وقتٍ أما أما

وله :

درست عهودهُمُ وإنَّ هواهمُ   أبداً جديد فى الحشا مايدرس
هذى طلولهم وهذى أدمعى   ولذكرهم أبداً تذوب الأنفس
ناديت خلف ركابهم من حبهم   يامن غناه الحسن ها أنا مفلس
يا موقداً ناراً رويدك هذه   نار الصبابة شأنكم فلتقبسوا

وله :

ناحت مطوقة فحنَّ حزين   وشجاه ترجيع لها وحنين

جرت الدموع من العيون تفجّعاً   لحنينها فكأنهنّ عيون
طارحتها ثكلى بفقد وحيدها   والثكل من فقد الوحيد يكون
بى لاعج من حب رملة عالج   حيث الخيام بها وحيث العين
من كل فاتكة اللحاظ مريضة   أجفانها لظبى اللحاظ جفون
مازلت أجرع دمعتى من غلّتى   أُخفى الهوى عن عاذلى وأصون

هذا شعر يدل على طول باع ورقة طباع ويسجل لابن عربى بأنه كان من رؤوس الأدباء منضماً إلى قول مريديه انه من رؤوس العارفين . ومما رواه المقرى فى النفح نقلاً عن الامام اليافعى اليمنى أن ابن عربى اجتمع مع الشهاب السهروردى فأطرق كل واحدمنهما ساعة ثم افترقا من غير كلام فقيل للشيخ ابن عربى : ماتقول فى السهروردى؟ فقال : مملوء سنّةً من قَرْنِهِ إلى قدمه . وقيل للسهروردى : ما تقول فى الشيخ محي الدين ؟ فقال . بحر الحقائق ثم قال اليافعى ماملخصه : ان بعض العارفين كان يقرأ عليه كلام الشيخ ويشرحه فلما حضرته الوفاة نهى عن مطالعته وقال : انكم لاتفهمون معانى كلامه . وقال صاحب « عنوان الدراية » : ان الشيخ محي الدين كان يعرف بالأندلس بابن سراقة وهو فصيح اللسان بارع فهم الجنان رحل إلى العدوة ودخل بجاية فى رمضان سنة ٥٩٧ وبها لقى أبا عبد الله العربى وجماعة . قال : ثم رحل إلى الشرق وألّف تواليف فيها مافيها ان قيّض الله تعالى من يسامح ويتأوّل سهُل المرام وان كان ممن ينظر بالظاهر فالأمر صعب . وقد نقد عليه أهل الديار المصرية وسعوا فى اراقة دمه فخلّصه الله تعالى على يد الشيخ أبى الحسن البجائى فانه سعى فى خلاصه وتأوّل كلامه ولما وصل اليه بعد خلاصه قال له أى البجائى : كيف يحبس من حلّ منه اللاهوت فى الناسوت فقال له ابن عربى . ياسيدى تلك شطحات فى محل سكر ولا عتب على سكران . وممن ذكر ابن عربى الامام شمس الدين محمد بن مسدى فى معجمه البديع المحتوى على ثلاثة مجلدات وترجمه ترجمة عظيمة قال فيها انه كان ظاهرى المذهب فى العبادات باطنىّ النظر فى الاعتقادات خاض بحار تلك

العبارات وتحقق بمحيا تلك الاشارات وتصانيفه تشهد له عند أولى البصر بالتقدم والاقدام. ومواقف النهايات فى مزالق الأقدام. ولهذا ماارتبت فى أمره والله تعالى أعلم بسرّه. قال المقرى: ونقلت من خط ابن علوان التونسى من شعر الشيخ محيي الدين ما يأتى:

بالمال ينقاد كل صعب   من عالم الأرض والسماء
يحسبه عالم حجاباً   لم يعرفوا لذة العطاء
لولا الذى فى النفوس منه   لم يجب الله فى الدعاء
لا تحسب المال ما تراه   من عسجد مشرق الضياء
بل هو ما كنت يا بنىَّ   به غنيًا عن السواء
فكن برب العلا غنيًّا   وعامل الخلق بالوفاء

وقال:

نبّه على السرّ ولا تفشه   فالبوح بالسرّ له مقتُ
على الذى يبديه فاصبر له   واكتمه حتى يصل الوقت

وقال وهو فى المقام النبوى الشريف:

ياحبذا المسجد من منسجد   وحبذا الروضة من مشهد
وحبذا طيبة من بلدة   فيها ضريح المصطفى أحمد
صلى عليه الله من سيدٍ   لولاه لم نفلح ولم نهتد
قد قرن الله به ذكره   فى كل يوم فاعتبر ترشد
عشر خفيات وعشر اذا   أعلن بالتأذين فى المسجد
فهذه عشرون مقرونة   بأفضل الذكر الى الموعد

وجاء فى الانسيكلوبيدية الاسلامية ذكر الامام محيي الدين بن عربى فقالت فيه انه متصوّف بشهير قائل بوحدة الوجود ولد بمرسية فى ٢٨ يوليو سنة ١١٩٥ المسيحية

ثم رحل الى اشبيلية حيث أقام ثلاثين سنة وقرأ الفقه والحديث فى اشبيلية وسبتة ثم ذهب إلى تونس ثم ذهب الى الشرق فوصل الى مكة وزار بغداد ثم رجع الى مكة وذهب الى حلب ثم الى الموصل ثم الى الأناضول وكان صيته سابقا له فى كل مكان وكان يقدّم اليه المال فينفقه فى الصدقات واستقرّ أخيراً بدمشق وتوفى فى اكتوبر سنة ١٢٤٠ المسيحية وفق ربيع الثانى سنة ٦٣٨ ودفن فى سفح قاسيون حيث دفن الى جانبه ابناه فى مابعد وأما من جهة الشرع فكان ابن عربى ظاهرياً على مذهب ابن حزم الأندلسى ولكنه لم يكن مقلداً ومع أنه كان يوصى بممارسة شعائر الدين على الوجه الأكمل كان فى الحقيقة يسير بحسب نور وجدانه الباطنى الذى كان يعتقد أنه ينيره وكان يقول بوحدة الكائنات وأنها كلها مظاهر الألوهية فالأديان جميعها فى نظره تختلف اختلافاً نسبياً وكان يعتقد أنه رأى محمداً وأنه يعرف اسم الله الأعظم وأنه يعرف الكيمياء بالتنزيل لا بالتعليم واتهم بالزندقة وهو فى مصر وكادوا يقتلونه

ثم ذكرت المعلمة الاسلامية كتابه « الفتوحات المكية » وقالت انه طبع فى بولاق سنة ١٢٧٤ للهجرة وفى القاهرة سنة ١٣٢٩ وذكرت كتابه «فصوص الحكم» الذى أكمله فى دمشق سنة ٦٢٧ للهجرة وقد طبع فى بولاق مع تفسيره بالتركية وقالت ان ابن عربى لما كان فى مكة تعرف بامرأة من العالمات الفاضلات وفارق مكة ثم رجع اليها فنظم شعراً غزلياً يذكر فيها محاسن تلك السيدة وهيامه بها ولكنه بعد ذلك بسنة عاد فشرح أغزاله بها شرحاً يجعل فيه لهذه الأغزال معانى صوفية وقد تُرجمت هذه الأشعار الى الانكليزية بقلم « نيقولسن » وهى ترجمة ديوان « ترجمان الأشواق » ولم يشتهر فى أوربة من تآليف ابن عربى سوى هذا الكتاب وكتاب آخر فى اصطلاحات الصوفية وكتاب آخر اسمه كتاب « الأجوبة » تُرجم الى الانكليزية . ومما طبع من كتب ابن عربى « محاضرات الابرار » فقد طبع فى مصر سنة ١٢٨٢ للهجرة ثم سنة ١٣٠٥ وقد طبع ديوان شعره فى بولاق سنة ١٢٧١ ثم فى بومباى . وله تفسير للقرآن طبع بالقاهرة سنة ١٢٨٣ وطبع له كتاب «الأخلاق»

مع ترجمة له بالتركية وكتاب « الأمر المحكم » كلاهما طبع فى استانبول وأيضاً طبع فى استانبول « تحفة السفرة الى حضرة البررة » مع ترجمة تركية له. وطبع له « مجموع الرسائل الالهية » فى القاهرة سنة ١٣٢٥ و « مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم » فى السنة نفسها والمحفوظ من تآليف ابن عربى ١٥٠ تأليفاً ويقال انه صنف عددتآ ليفه هذا وكثير من العلماء يطعنون عليه ويتهمونه بالقول والحلول وله أنصار كثيرون فبينما ابن تيمية والتفتازانى وابراهيم بن عمر البقاعى يشنعون عليه ويكفرونه نجد الفيروزابادى والسيوطى وغيرهما يؤيدونه وينصرونه . انتهى

قلنا وقد كان أشد الناس على ابن عربى بين علماء السنة الامام ابن تيمية كما هو معلوم. ثم انه ظهر فى هذه المدة تأليف خاص بابن عربى من قلم الكاتب المصرى الكبير الاستاذ زكى مبارك اشتمل على فوائد جليلة ومعان طريفة فنوصى الناس بمطالعته

ومن مفاخر بلنسية الامام الحافظ الكاتب الناظم الناثر المؤلف الراوية أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى البلنسى الشهير أبوه من اندة بلد القضاعيين من أعمال بلنسية وقد تقدمت ترجمة أبيه نقلاً عنه من كتابه « التكملة » الذى جعله تتمة لكتاب « الصلة » لأبى القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال وهو الكتاب الذى وصل به ابن بشكوال كتاب القاضى أبى الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدى المعروف بابن الفرضى المؤلف فى تاريخ علماء الأندلس من الرواة والفقهاء والقضاة والنبهاء والمقرئين والأدباء والقادمين عليها من غير أهلها فتكون هذه الكتب الثلاثة أشبه بكتاب واحد التالى منها تكملة للسابق . وأحدثها عهداً وأغزرها مادة تكملة ابن الأبار القضاعى هذا، وعنه أخذنا تلخيصاً تراجم أكثر رجال العلم الذين نبغوا فى الأندلس بين القرنين السادس والسابع للهجرة كما هو مبين فى هذه التراجم ، وأما ترجمة صاحب التكملة نفسه فقد جاء منها فى نفح الطيب قوله: انه كتب ببلنسية عن السيد أبى عبد الله بن السيد أبى حفص بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ثم عن ابنه السيد أبى زيد ثم كتب عن الأمير أبى مردنيش ولما نازل الطاغية بلنسية بعثه الأمير زيان بن مردنيش مع وفد أهل بلنسية بالبيعة للسلطان أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن حفص (صاحب تونس) وفى ضمن ذلك استصرخه

لدفع عادية العدو فأنشد السلطان قصيدته السينية التى مطلعها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا

وقد أوردناها كلها فى آخر هذا الجزء . ثم لما قضى الأمر ولم ينجع فى أمر بلنسية علاج واستولى الاسبانيون عليها وعلى مملكتها الاستيلاء النهائى هاجر ابن الابَّار بأهله إلى تونس . قال المقرى فى النفح : ان ذلك كان غبطة باقبال السلطان عليه فنزل منه بخير مكان ورشَّحه لكتب علامته فى صدور مكاتباته فكتبها مدة . ثم أراد السلطان صرفها لأبى العباس الغسانى لكونه يحسن كتابتها فكتبها مدة بالخط المشرق وكان آثر عند السلطان من المغربى فسخط ابن الابَّار أنفة من ايثار غيره عليه وافتأت على السلطان فى وضعها فى كتاب أمر بانشائه لقصور الترسيل يومئذ فى الحضرة عليه وأن يبقى موضع العلامة منه لكاتبها فجاهر بالرد ووضعها استبداداً وأنفة وعوتب على ذلك فاستشاط غضباً ورمى بالقلم وأنشد متمثلا :

اطلب العز فى لظًى وذر الذل ل ولو كان فى جنان الخلود

فنمى ذلك إلى السلطان فأمر بلزومه بيته . ثم استعتب السلطان بتأليف رفعه اليه عد فيه من عوتب من الكتّاب وأُعتب وسماه « إعتاب الكتَّاب » واستشفع فيه بابنه المستنصر فغفر السلطان له وأقال عثرته وأعاده إلى الكتابة . ولما توفى السلطان رفعه أمير المؤمنين المستنصر إلى حضور مجلسه ثم حصلت له أمور معه كان آخرها أنه تقبّض عليه وبعث إلى داره فرُفعت اليه كتبه أجمع وأُلفى أثناءها فيما زعموا رقعة بأبيات أولها

طغى بتونس خلف سموه ظلماً خليفه

فاستشاط السلطان لها وأمر بامتحانه ثم بقتله فقُتل قعصاً بالرماح وسط محرم سنة ٦٥٨ ثم أُحرق شِلوهُ وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأحرقت معه وكان مولده ببلنسية سنة ٥٩٥ وقال فى حقه ابن سعيد فى «المُغرب» ما ملخصه حامل راية الاحسان المشار اليه فى هذا الأوان ومن شعره يصف الياسمين : حديقة

ياسمين لا تهيم بغيرها الحدق . اذا جفن الغمام بكى تبسّم ثغرهااليقق . فأطراف الاهلّة سال فى أثنائها الشفق

وهو حافظ متقن له فى الحديث والادب تصانيف وله كتاب فى متخير الأشعار سماه « قِطَع الرياض » وله « تكملة الصلة » لابن بشكوال « وهداية المعترف فى المؤتلف والمختلف » وكتاب التاريخ وبسببه قتله صاحب افريقية قال فى نفح الطيب وأحرقت كتبه على ما بلغنا رحمه الله تعالى وله « تحفة القادم » فى شعر الاندلس و « الحلة السيراء فى أشعار الامراء » انتهى ملخصاً

خاتمة الجزء الثالث

قد توخينا فى هذا الجزء اشباع الكلام على شرق الأندلس بما لا تبقى معه حاجة فى نفس يعقوب وجعلنا بداية الاقليم الذى وصفناه ثغر طرطوشة الذى كانت فيه دار الصناعة البحرية وبقى مدة طويلة هو الفاصل بين مملكتى المسلمين والنصارى وكان يقيم فيه ناظر خاص للمسافرين الذين يطرأون من بلاد النصارى الى بلاد المسلمين وقد تولى هذا النصب فى جملة من تولوه القاضى منذر بن سعيد البلوطى الذى صار قاضى الجماعة فى قرطبة . فقد بدأنا جغرافية شرقى الأندلس ببلدة طرطوشة وتقدمنا منها إلى الجنوب والجنوب الغربى مارين بينشكلة وعقبة أبيشة الى مربيطر فبلنسية مع توابعها الغربية والجنوبية والشرقية التى منها شارقة والجوفية بحسب قولهم ومنها البونت . ومن هناك جئنا إلى شاطبة فدانية فمرسية مع توابعها ومن هذه الى البسيط وشنجالة من جهة الجوف وانتهينا بلورقة ولم نتقدم الى المرية ووادى آش وبسطة مع أنها صارت مصاقبة لعمل مرسية . والسبب فى ذلك هو أن حجم هذا الجزء قد زاد على الكفاية ثم ان هذه المدن كانت هى الحدود الشرقية والجوفية لمملكة غرناطة بقية ممالك الاسلام فى الأندلس وبقيت نحواً من مائتين إلى ثلاثمائة سنة هى الحد

الفاصل بين الاسلام والنصرانية بعد أن سقط حكم الاسلام عن بلنسية ومرسية فى أواسط القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح . فهذه المدن ستدخل معنا ان فسح الله فى الأجـل بالجزء الذى سيختص بمملـكة ابن الأحمر أى مملـكة غرناطة وكذلك لم نُدخل فى هذا الجزء جيّان وعملها لان أقاليم جيّان هو فى الوسط لايعدّ شرقياً كمرسية وبلنسية ولا غربياً كاشبيلية وبطليوس . بل هو فى وسط الجزيرة الاندلسية مثل قرطبة ولذلك سندخله ان شاء الله مع أقاليم قرطبة فى جزء خاص بهما وليعلم القارئ اللبيب أن هذا الجزء الثالث هوالجزء المودّع للاسلام فى شرق الأندلس لجميع ما فيه من ذكر ملوك وأمراء وعلماء مسلمين ومساجد وحصون اسلامية قد انتهى فى هذا الجزء الذى يتـكلم على الاسلام وآثاره وأشخاصه وأشيائه فى شرق الأندلس الى حـد سنة ٦٦٠ بالـكثير اذ بعدها خرج الحـكم فى تلك البقاع من يد الاسلام وأخذ المسلمون الذين فيها بالمهاجرة الى مملـكة ابن الأحمر أى غرناطة وتوابعها . ومنهم من هاجر الى افريقية رأساً كتونس والجزائر وتلمسان وفاس والرباط وتطوان وغيرها وبقية منهم بقيت هناك كانوا يلقبون بالمدجّنين ويقول لهم الافرنج «الموريسك» فقد كانوا يعملون فى المزارع التى استولى عليها الاسبانيون وكانت الزراعة زاهرة على أيديهم فـكان الاسبانيون لا يستغنون عنهم بحال فبقيت بقاياهم تحت الدجن أى حكم الاسبانيول من أواسط القرن السابع للهجرة الى القرن العاشر للهجرة اذ أُخرجوا عند ذلك بأسرهم ولم يبقَ منهم الاّ من تنصر وتفرنج واندمج اندماجاً تاماً فى أمم النصرانية .

واليك الآن وصف مختصر لما كانت عليه مملـكة المسلمين قبل استصفاء الاسبانيول لها فى شرق الأندلس بقليل ننقله عن « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » تأليف عبد الواحد المراكشى فهو يقول فى آخر كتابه : وأنا ذاكر بعـد هذا ما بقى بأيدى المسلمين منّ البلاد وعدد المراحل التى بينها وقربها من البحر وبعدها حتى يتبين ذلك ان شاء الله تعالى . فأول شيء يملـكه المسلمون بجزيرة الأندلس اليوم حصن صغير على

شاطىء البحر الرومى يسمى «بنشكلة» بينه وبين مدينة بلنسية ثلاث مراحل وهذا الحصن مما يلى بلاد الروم بينه وبين طرطوشة مرحلتان أو أكثر قليلاً . ثم مدينة بلنسية وهى مدينة فى غاية الخصب واعتدال الهواء كان أهل الاندلس يدعونها فى ماسلف من الزمان مطيّب الاندلس . والمطيّب عندهم حزمة يعملونها من أنواع الرياحين ويجعلون فيها النرجس والآس وغير ذلك من أنواع المشمومات سموا بلنسية بهذا الاسم لكثرة أشجارها وطيب ريحانها . وبين بلنسية هذه وبين البحر الرومى قريب من أربعة أميال . ثم بعدها مدينة تدعى شاطبة بينها وبينها مرحلتان . وبينهما مدينة صغيرة تدعى جزيرة الشقر وسميت جزيرة لأنها فى وسط نهر عظيم قد حفّ بها من جميع جهاتها فلا طريق اليها الاّ على القنطرة . ومن شاطبة هذه الى مدينة دانية التى على ساحل البحر الرومى يوم تام . ومن شاطبة إلى مدينة مرسية ثلاثة أيام . ومن مرسية الى البحر الرومى عشرة فراسخ . ومن مدينة مرسية الى مدينة غرناطة سبع مراحل وبين ذلك بلاد صغار أولها مما يلى مرسية حصن لُرقة . ثم حصن آخر يدعى بلس ثم حصن آخر يدعى قلية . ثم بليدة صغيرة تسمى بسطة . ثم بليدة أخرى على مسيرة من غرناطة تسمى وادى آش . ويقال لها أيضاً وادى الأشى هكذا سمعت الشعراء ينطقون بها فى أشعارهم فهذه هى البليدات التى بين غرناطة ومرسية انتهى قلت : هذا ماذكره عبد الواحد المراكشى صاحب كتاب المعجب فى تلخيص أخبار المغرب الذى انتهى من تأليفه لست بقين من جمادى الآخرة من سنة ٦٢١ أى قبل سقوط شرق الأندلس فى أيدى الاسبان ببضع عشرة سنة نقلنا منه أسماء البلاد المشهورة فى شرق الاندلس الذى هو موضوع هذا الجزء

ثم اننا نحب أن نذكر من سكن من بطون العرب وأفخاذها فى شرق الاندلس فمن هؤلاء بنو قاسم الأمراء الفضلاء مرجعهم الى فهر من قريش الظواهر وكانوا فى مدينة البونت عمل بلنسية . ومنهم أناس من بنى كنانة الذين منهم ابن جبير صاحب الرحلة كانوا فى شرق الأندلس أيضاً . وكان فى أريولة من بنى هذيل ابن مدركة بن الياس بن مُضر . وبجوفى بلنسية من ينتسب الى هوازن . وكل هؤلاء من العرب

المدنانية . وكان في بلنسية كثير من المضرية . وأما عرب اليمن فنهم فى شقورة بنو غافق من الازد . وفى قبلى مرسية حى من طى . وفى شرق الأندلس كثير من جذام منهم بنو هود الذين ملكوا سرقسطة مدة من الزمن . ومنهم بنو مردنيش يقولون انهم من جذام وبعض مؤرخى الافرنج يرجحون أنهم من أصل اسبانيولى وأن اصل مردنيش هو مرتينيس Martinez ولكنهم جعلوا أنفسهم بطول الوقت عرباً لتكون لهم عصبية تساعدهم على الملك . وفى أندة بالقرب من بلنسية كثير من قضاعة . وفى مرسية كثير من عرب حضر موت . وكان الجنس البربرى قليلاً جداً فى شرق الاندلس وأكثرهم كانوا فى الجبال فكانت العروبة التامة غالبة على الشرق . وكان مع ذلك أكثر البربر قد استعربوا واندمجوا فى العرب حتى لا يفرّق الانسان بين العرب والبربر . وجاء فى كتاب « الجمان فى أخبار الزمان » أن بربر الأندلس كان منهم أمراء وقواد وقضاة وعلماء وكتاب للملوك وكثير من رجال الشرع . وأشهر قبائلهم فى الأندلس صنهاجة وزناتة ويفرن وهيلان وبنو الخزر وبنو عوسجة وبنو زروال وبنو رزين أمراء شنتمرية الشرق . وفى تطوان اليوم عائلة يقال لها بنو رزين يترجح أنهم من ذريتهم . وفى شرقى الأندلس كثير من الازد فان كثيراً من العلماء والأعيان يأتى فى نسبته « الأنصارى » واذا قرأ القارىء تراجم علماء بلنسية ومرسية وشاطبة ودانية وغيرها من مدن شرق الأندلس تجلّى له وشيج عروق العربية فى ذلك الصقع بشكل عجيب فضلا عما يتجلى له من كثرة عدد العلماء والأدباء والشعراء وحفّاظ كتاب الله والقرّاء وفحول اللغة مما قد زال كله تدريجاً بتقلّص ظل الاسلام عن الأندلس ورجوعه من حيث أتى وانحطاطه من حيث علا بما كسبت أيدى أبنائه واستولى عليهم من التنازع والتخاذل كما سيأتى تفصيله فى باب التاريخ فقضوا على أنفسهم بأنفسهم (ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال) والآن نختم هذا الفصل الذى هو خاتمة هذا الجزء بذكر مراثى الأندلس بادئين بمراثى بلنسية التى أشهرها سينية صاحب التكملة ابن الأبّار القضاعى وهى التى أنشدها السلطان أبازكريا

يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب تونس موفداً من قبل البلنسيين الى الملك الحفصي بالصريخ فاهتز لها وأرسل أسطوله الى بحر بلنسية إلا أنه لم يفز بطائل واستولى العدو على تلك البلد (وكان أمر الله قدراً مقدورا)

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ⁂ ان السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ماالتمست ⁂ فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها ⁂ فطالما ذاقت البلوى صباحَ مسا
يا للجزيرة أضحى اهلها جزَراً ⁂ للحادثات وأمسى جدها تعسا
فى كل شارقةٍ إلمام بائقة ⁂ يعود مأتمها عند العِدَى عُرُسا
وكلّ غاربة اجحاف نائبةٍ ⁂ تَثنى الامان حذاراً والسرور أسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم ⁂ إلاّ عقائلها المحجوبة الأُنُسا
وفى بلنسية منها وقرطبة ⁂ ما يُذهب النفس أو ماينزف النفسا
مدائن حلها الاشراك مبتسماً ⁂ جذلان وارتحل الايمان مُبْتَئسا
وصيرتها العوادى العائثات بها ⁂ يستوحش الطرف منها ضعف ماأنسا
فمن دساكر كانت دونها حرسا ⁂ ومن كنائس كانت قبلها كنسا
يا للمساجد عادت للعدى بيعا ⁂ وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفى عليها إلى استرجاع فائتها ⁂ مدارسا للمثانى أصبحت دُرُسا
وأربعا نمنمت أيدى الربيع لها ⁂ ما شئت من خلع موشية وكُسى
كانت حدائق للاحداق مونقة ⁂ فصوَّح النضر من أدواحها وعسا
وحال ما حولها من منظر عجب ⁂ يستجلس الركب أو يستركب الجلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر واحربا ⁂ عيث الدّبا فى مغانيها التى كبسا
وابتز بزتها مما تحيّفها ⁂ تحيّف الأسد الضارى لما افترسا
فأين عيش جنيناه بها خضرا ⁂ وأين غصن جنيناه بها سلِسا
محا محاسنها طاغ أتيح لها ⁂ ما نام عن هضمها حيناً ولا نعسا
ورج ارجاءها لما أحاط بها ⁂ فغادر الشُّمَّ من أعلامها خُنُسا

خلا له الجو فامتدت يداه إلى ... ادراك ما لم تطأ رجلاه مختلسا
وأكثر الزعم بالتثليث منفرداً ... ولو رأى راية التوحيد ما نبسا
صل حبلها أيها المولى الرحيم فما ... أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا
وأحى ما طمست منها العداة كما ... أحييت من دعوة المهدىّ ما طمسا
أيام صرت لنصر الحق مستبقا ... وبت من نور ذاك الهدى مقتبسا
وقمت فيها بأمر الله منتصراً ... كالصارم اهتز أو كالعارض انبجسا
تمحو الذى كشف التجسيم من ظلم ... والصبح ماحيةٌ أنواره الغلسا
وتقتضى الملك الجبَّارَ مهجتَهُ ... يوم الوغى جهرة لا ترقب الخلسا
هذى رسائلها تدعوك من كثب ... وأنت أفضل مرجوٍّ لمن يئسا
وافتْكَ جارية بالنجح راجيةً ... منك الأمير الرضا والسيد الندسا
خاضت خضارة يعلها ويخفضها ... عبابه فتعانى اللين والشرسا
وربما سبحت والريح عاتية ... كما طلبت بأقصى شده الفرسا
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبى ... حفصٍ مقبّلة من تربه القدُسا
ملك تقلدت الأملاك طاعته ... ديناً ودنيا فغشّاها الرضا لبسا
من كل غادٍ على يمناه مستلما ... وكل صادٍ إلى نعماه ملتمسا
مؤيد لو رمى نجما لأثبته ... ولو دعا أفُقا لبّى وما احتبسا
امارةٌ يحمل المقدار رايتها ... ودولة عزها يستصحب القعَسا
يبدى النهار بها من ضوئه شنبا ... ويطلع الليل من ظلمائه لعَسا
ماضى العزيمة والأيام قد نكلت ... طلق المحيا ووجه الدهر قد عبسا
كأنه البدر والعلياء هالته ... تحف من حوله شهب القنا حرسا
تدبيره وسع الدنيا وما وسعت ... وعرف معروفه وأسى الورى وأسا
قامت على العدل والاحسان دولته ... وأنشرت من وجود الجو ما رُمسا
مبارك هَدْيهُ بادٍ سكينته ... ما قام الاّ الى حسنى وما جلسا
قد نوّر الله بالتقوى بصيرته ... فما يبالى طروق الخطب ملتبسا
يرى العصاة وراش الطائعين فقل ... فى الليث مفترسا والغيث مرتجسا

فرب أصيد لاتلفى به صَيَداً ورب أشوس لاتاقى له شوسا
إلى اللائك ينمى والملوك معا فى نبعةٍ أثمرت للمجد ماغرسا
من ساطع النور صاغ الله جوهره وصان صيقله أن يقرب الدنسا
له الثرى والثريا خطتان فلا أعز من خطتيه ماسما ورسا
حسب الذى باع فى الأخطار يركبها اليه محياه أن البيع ما وكسا
ان السعيد امرؤ ألقى بحضرته عصاه محزما بالعدل محترسا
فظل يوطن من أرجائها حرما وبات يوقد من أضوائها قبسا
بشرى لعبدٍ إلى الباب الكريم حدا آماله ومن العذب المعين حسا
كأنما يمتطى واليمن يصحبه من البحار طريقا نجوه يبسا
فاستقبل السعد وضاجا أسرته فى صفحة فاض منها النور وانعكسا
وقبل الجود طفاحاً غواربه من راحة غاص فيها البحر وانغمسا
يأيها الملك المنصور أنت لها علياء توسع أعداء الهدى تعسا
وقد تواترت الأنباء أنك من يحيى بقتل ملوك الصفر أندلسا
طهر بلادك منهم انهم نَجَسٌ ولا طهارة مالم تغسل النجسا
وأوطىء الفيلق الجرار أرضهم حتى يطأطىء رأسا كل من رأسا
وانصر عبيداً بأقصى شرقها شرقت عيونهم أدمعا تهمى زكا وخسا
هم شيعة الأمر وهى الدار قد نهكت داءٌ متى لم تباشر حَسْمَهُ انتكسا
فاملأ هنيئاً لك التأييد ساحتها جُرْداً سلاهب أو خطيّة دُعُسا
واضرب لها موعداً بالفتح ترقبه لعل يوم الأعادى قدأتى وعسا

وهذه المرثية التى لم يذكر فى نفح الطيب قائلها

نادتك أندلس فلبّ نداءها ... واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فاجبها ... من عاطفاتك مايقى حوباءها
واشدد بخيلك جرد خيلك أزرها ... تردد على أعقابها أرزاءها
هى دارك القصوى أوث لايالة ... ضمنت لها مع نصرها ايواءها
وبها عبيدك لابقاء لهم سوى ... سُبُل الضراعة يسلكون سواءها
خلعت قلوبهم هناك عزاءها ... لما رأت أبصارهم ما ساءها
دُفعوا لأبكار الخطوب وعُونها ... فهم الغداة يصابرون عناءها
وتنكرت لهم الليالى فاقتضت ... سراءها وقضتهم ضراءها
تلك الجزيرة لابقاء لها إذا ... لم يضمن الفتح القريب بقاءها
رِشْ أيها المولى الرحيم جناحها ... واعقد بأرشية النجاة رشاءها
أشفى على طرف الحياة ذماؤها ... فاستبق للدين الحنيف ذماءها
حاشاك أن تفنى حشاشتها وقد ... قصرت عليك نداءها ورجاءها
طافت بطائفة الهدى آمالها ... ترجو بيحيى المرتضى إحياءها
واستشرفت أمصارها لامارةٍ ... عقدت لنصر المستضام لواءها
ياحسرتى لعقائل معقولة ... سئم الهدى نحو الضلال هداءها
ايه بلنسية وفى ذكراك ما ... يمرى الشؤن دماءها لا ماءها
كيف السبيل إلى احتلال معاهد ... شب الأعاجم دونها هيجاءها
والى ربا وأباطح لم تعر من ... حلل الربيع مصيفها وشتاءها
طاب المعرس والمقيل خلالها ... وتطلعت غرر المنى أثناءها
بأبى مدارس كالطلول دوارس ... نسخت نواقيس الصليب نداءها
ومصانع كسف الضلال صباحها ... فيخاله الرائى اليه مساءها

ناحت بها الورقاء تسمع شدوها وغدت ترجع نوحها وبكاءها
عجبا لأهل النار حلوا جنة منها تمدّ عليهم أفياءها
أملت لهم فتعجلوا ما أملوا أيامهم لاسوّغوا املاءها
بعداً لنفسٍ أبصرت اسلامها فتوكفت عن حزبها اسلاءها
أما العلوج فقد أحالوا حالها فمن المطيق علاجها وشفاءها
أهدى اليها بالمكاره جارح للكفر كرّه ماءها وهواءها
وكفى أسى أن الفواجع جمة فمتى يقاوم أسوها أسواءها
مولاى هاك معادة أنباءها لتنيل منك معادة أبناءها
جرّد ظباك لمحو آثار العدى تقتل ضراغمها وتسبُ ظباءها
واستدع طائفة الامام لغزوها تسبق الى أمثالها استدعاءها
لا غزو ان يعزى الظهور لملّة لم يبرحوا دون الورى ظهراءها
ان الأعاجم للاعارب نهبة مهما أمرت بغزوها أحياءها
تالله لو دبت لها أدبابها لطوت عليها أرضها وسماءها
ولو استقلت عوفها لقتالها لاستقبلت بالقربات عفاءها
أرْسِل جوارحها تجئك بِصيْدِها صَيْداً وناد لطحنها أرحاءَها
هبوا لها يا معشر التوحيد قد آن الهبوب وأحرزوا علياءها
ان الحفائظ من خلالكم التى لا يرهب الداعى بهن خلاءها
هى نكتة المحيا فخيِّلاً بها تجدوا سناها فى غدٍ وسناءها
أولوا الجزيرة نصرة ان العدى تبغى على أقطارها استيلاءها
نقصت بأهل الشرك من أطرافها فاستحفظوا بالمؤمنين نماءها
حاشاكموا أن تضمروا الغاءها فى أزمة أو تضمروا اقصاءها
خوضوا اليها بحرها يصبح لكم رهواً وجوبوا نحوها بيداءها
وافى الصريخ مثوِّباً يدعو لها فلتعلموا قصد الثواب ثواءها

دار الجهاد فلا تفتكم ساحة ساوت بها أحياؤها شهداءها
هــذى رسائلها تناجى بالتى وقفت عليها ريثها ونجاءها
ولربما أنهت سوالب للنهى من كائنات حمّلت انهاءها
وفدت على الدار العزيزة تجتنى آلاءها أو تجتلى آراءها
مستسقيات من غيوث غياثها ما وقعه يتقدم استسقاءها
قد أمنت فى سبلها أهواءها اذ سوغت فى ظلها أهواءها
وبحسبها أن الأمير المرتضى مترقب بفتوحها آناءها
فى الله ما ينويه من ادراكها بكلاءة يفدى أبى اكلاءها
بشرى لأندلس تحب لقاءه ويحب فى ذات الاله لقاءها
صدق الرواة المخبرون بأنه يشفى ضناها أو يعيد رواءها
ان دوخ العرب الصعاب مقادة وأبى عليها أن تطيع إباءها
فكأن بفيلقه العرمرم فالقاً هام الأعاجم ناسفا أرجاءها
أنذرهم بالبطشة الكبرى فقد نذرت صوارمه الرقاق دماءها
لا يعدم الزمن انتصار مؤيد تتسوّغ الدنيا به سراءها
ملك أمد النيرين بنوره وأفاده لألاؤه لألاءها
خضعت جبابرة الملوك لعزه ونضت بكف صغارها خيلاءها
أبقى أبو حفص امارته له فسما اليها حاملاً أعباءها
سل دعوة المهدى عن آثاره تنبيك أن ظباه قمن ازاءها
فغزا عداها واسترق رقابها وحمى حماها واسترد بهاءها
قبضت يداه على البسيطة قبضةً قادت له فى قده أمراءها
فعلى المشارق والمغارب ميسم لهداه شرف وسمه أسماءها
تطمو بتونسها بحار جيوشه فيزور زاخر موجها زوراءها
وسع الزمان فضاق عنه جلالة والأرض طرا ضنكها وفضاءها
ما أزمع الايغال فى أكنافها الا تصيد عزمه زعماءها

دانت له الدنيا وشم ملوكها ... فاحتل من رتب العلاء سماءها
ردت سعادته على أدراجها ... ليل الزمان ونهنهت علداءها[1]
ان يُعتِم[2] الدولَ العَزيزة بأسه ... فالآن يولى جوده اعطاءها
تقع الجلائل وهو رأسٍ راسخْ ... فيها يوقّع للسعود جلاءها
كالطود فى عصف الرياح وقصفها ... لارهوها يخشى ولا هوجاءها
سامى الذوائب فى أعز ذؤابة ... أعلت على قمم النجوم بناءها
بركت بكل محلة بركاته ... شفعا يبادر بذلها شفعاءها
كالغيث صب على البسيطة صوبه ... فسقى عمائرها وجاد قواءها
ينميه عبد الواحد الأرضى إلى ... عليا، فتجنح بأسها وسخاءها
فى نبعة كرمت وطابت مغرسا ... وسمت وطالت نضرةً نظراءها
ظهرت لمحتدها السماء وجاوزت ... لسرادقات فخارها جوزاءها
فئة كرام لا تكف عن الوغى ... حتى تصرّع حولها اكفاءها
وتكب فى نار القرى فوق الذرا ... من عِزّةٍ الويّها[3] وكباءها
قد خلقوا الأيام طيب خلائق ... فثنت اليهم حمدها وثناءها
ينضون فى طلب النفائس أنفساً ... حبسوا على احرازها امضاءها
واذا انتضوا يوم الكريهة بيضهم ... أبصرت فيهم قطعها ومضاءها

---

(١) لم نجد فى اللغة « علداء » ولا « أعلد » فلعل الشاعر جعلها على القياس والعلد هى الصلابة

(٢) أعتم قرى الضيف أبطأ به

(٣) فى اللغة لايوجد « الالوى » بمعنى الطيب أو عود له رائحة زكية وانما هى « الألُوَّة » وهى عود يتبخر به وتفتح فيها الهمزة وتضم . وفى صفة أهل الجنة مجامرهم الالوَّة . ولعل أصلها « ألوّها » مستعملة بالجمع وتحرّفت بالنسخ . أو لعل الشاعر نسب إلى « الالوة » فقال « الويّها » وهكذا قد تصح

قوم الأمير فمن يقوم بمالهم من صالحات أفحمت شعراءها
صفحاً جميلاً أيها الملك الرضى عن محكمات لم نطق احصاءها
تقف القوافى دونهن حسيرة لاعيّها تخفى ولا اعياءها
فلعل عليا كم تسامح راجياً إصفاءها ومؤملاً اغضاءها

وفى فاجعة بربشتر يقول الفقيه الزاهد بن العسّال من قصيدة

ولقد رمانا المشركون بأسهم لم تخط لكن شأنها الاصماء
هتكوا بخيلهم قصور حريمها لم يبقَ لا جبل ولا بطحاء
جاسوا خلال ديارهم فلهم بها فى كل يوم غارة شعواء
باتت قلوب المسلمين برعبهم فحماتُنا فى حربهم جُبناء
كم موضع غنموه لم يرحم به طفل ولا شيخ ولا عذراء
ولَكَم رضيع فرّقوا من أمّه فله اليها ضجةٌ وبغاء
ولرُبَّ مولودٍ أبوه مُجَدَّلٌ فوق التراب وفَرْشُهُ البيداء
ومصونةٍ فى خدرها محجوبةٍ قد أبرزوها مالها استخفاء
وعزيزِ قوم صار فى أيديهمُ فعليه بعد العزَّةِ استخذاء
لولا ذنوب المسلمين وأنهم ركبوا الكبائرَ ما لهُنَّ خفَاء
ما كان يُنصر للنصارى فارسٌ أبداً عليهم فالذنوبُ الداء
فشرارُهم لا يختفون بشرّهم وصلاحُ مُنتحِلى الصلاحِ رياء

ولما سقطت بلنسية فى أيدى الأسبان واستولى عليها ملك أراغون أكثر أدباؤها بكاءها والتأسف عليها نظماً ونثراً فمن ذلك قول الكاتب أبى المطرّف بن عميرة خاطب به الكاتب أبا عبدالله بن الأبّار جواباً عن رسالة (ورد ذلك فى الروض المعطار)

طارحنى حديث مورد جفَّ وقطين خفَّ فيالله لأترابٍ درجوا وأصحاب عن الأوطان خرجوا قُصَّت الأجنحة وقيل : طيروا . وانما هو القتل أو الأمر أوتسيروا.

فتفرّقوا أيدى سبأ وانتشروا ملء الوهاد والرُّبا ففى كل جانب عويل وزَفْرَه . وبكل صدرٍ غليل وحَسْرَه. ولكل عينٍ عِبْرَه لا ترقأ من أجلها عَبْرَه. داءٌ خامر بلادنا حين أتاها. ومازال بها حتى سجَّى على موتاها. وشجا ليومها الأطول كهلها وفتاها. وأنذربها فى القوم بُحرَانُ أنيجَهْ. يوم أثاروا أسدها المهيجه. فكانت تلك الحطمةُ طلّ الشؤبوب. وباكورة البلاء المصبوب. أثكلتنا اخواناً أبكانا نعيُّهم. فلله أحوذيُّهم وألمعيُّهم. ذاك أبو ربيعنا. وشيخ جميعنا سعد بشهادة يومه ولم يرَ مايسوءه فى أهله وقومه وبعد ذلك أخذ من الأمّ بالمخنّق. وهى بلنسية ذات الحسن والبهجة والرونق. وما لبث أن أخرس من مسجدها لسان الأذان. وأخرج من جسدها روح الايمان. فبَرَحَ الخفاء. وقيل على آثار من ذهب العفاء وانعطفت النوائب مفردةً ومركّبةً كما تعطف الفاء . وأودت الخِفَّة والحصافَهْ. وذهب الجسر والرُّصافه. ومُزِّقت الحُلَّة والسَّهْلَه وأوحشت الحرْف والرَّملَه ونزلت بالحارة وقعة الحرَّه. وحصلت الكنيسة من جآذرها وظبائها على طول الحَسْرَه. فأين تلك الخمائل ونضرتُها. والجداول وخضرتها. والأندية وأرَجُها. والأودية ومنعرجها. والنواسم وهبوب مبتلّها. والأصائل وشحوب معتلّها. دارٌ ضاحَكَتِ الشمس بحرها وبحيرتها. وأزهار ترى من أدمع الطَّلِّ فى أعينها ترددها وحيرتها . ثم زحفت كتيبة الكفر بزرقها وشقرها. حتى أحاطَتْ بجزيرة شُقرها. فآهاً لمسقط الرأس هوى نجمه. ولفادح الخطب سرى كَلْمُه. وبالجنّة أجرى الله تعالى النهر تحتهـا وروضةٍ أجاد أبو اسحق نعتها. وانما كانت داره التى فيها دبّ. وعلى أوصاف محاسنها ألَبّ. وفيها أتته منيّته كما شاء وأحب. ولم يعدم بعد مُحبِّيْن قشيبهم اليها ساقوه. ودمعهم عليها أراقوه

وله من رسالة أخرى فى المعنى : ثم ردف الخطاب الثانى بقاصمة المتون . وقاضية المنون ومضمرة نار السجون. ومذرية ماء الشؤون . وهو الحادث فى بلنسية دار النحر. وحاضرة البر والبحر . ومطمح أهـل السيادة ومطرح شعاع البهجة والنضاده . أودى الـكفر بأيمانها . وأبطل الناقوس صوت آذانها. ودهاها الخطب الذى أنسى الخطوب. وأذاب القلوب. وعلّم سهام الأحزان. أن تصيب. ودموع الاجفان أن تصوب فيا ثـكل الاسلام. ويا شجو الصلاة والصيام. يوم الثلاثاء . وما يوم الثلاثاء. ياويح الداهية الدهياء.

وتأخير الاقدام عن موقف العزاء . أين الصبر وفؤادى أُنسيَه. لم يبقَ لقومى على الرمى سيَه. هيهات بجد لما مضى من تَنْسيَه. من بعد مصاب حلّ فى بلنسيه

ياطول هذه الحسرة ! ألاجابر لهذه الكسرة ؟ أكل أوقاتناساعةالعُسره ؟ أخى! أين أيامنا الخوالى ؟ وليالينا على التوالى ؟ ولأية عيش نعم بها الوالى ؟ ومسندات أنس يعدها الرواة من الغوالى . بعداً لك يايوم الثلاثاء من صفر. ما ذنبك عندى بشىء يغتفر. قد أشمتّ بالاسلام حزب من كفر. من اين لنا المفرّ كلا لامفرَ

كل رزء فى هذا الرزء يندرج . وقد اشتدت الأزمة فقل لى متى تنفرج . كيف انتفاعنا بالضحى والاصائل . اذا لم يعد ذلك النسيم الأرج ليس لنا الا التسليم. والرضى بما قضاه الخلاّق العليم

وقال فى رسالة أخرى فى المعنى : وأجريت خبر الحادثة التى محقت بدر التمام وذهبت بنضارة الأيام فيامن حضر يوم البطشه . وعُزّى فى أنسه بعد تلك الوحشه . أحقاً أنه دُكّت الأرض ونزف المَعِين والبَرض وصوّح روضُ المنى . وصَرّح الخطب وما كَنَى؟ أبنْ لى كيف فُقدت رجاحة الأحلام . وعُقدت مناحة الاسلام. وجاء اليوم العَسِر . وأوقدت نار الحزن فلا تزال تستعر . حُلْمٌ مانرى ؟ بل ما رأى ذا حالم. طوفان يُقال عنده لاعاصم. من ينصفنا من الزمان الظالم. الله بما يلقى الفؤاد عالم. بالله أىّ نحو تنحو. ومسطور تُثبت وتمحو. وقد حُذف الأصلىّ والزائد. وذهبت الصلة والعائد. وباب التعجب طال. وحال البائس لا تخشى الانتقال . وذهبت علامة الرفع .وفُقدت سلامة الجمع . والمعتلّ أعدى الصحيح . والمثلّث أردى الفصيح. وامتنعت العجمة من الصرف . وأُمنت زيادتها من الحذف ومالت. قواعد المِلّه. وصرنا إلى جمع القلّه. وللشرك صيال وتمطّ . ولقرنه فى شَرَكه تخبّط. وقد عاد الدين الى غربته . وشرق الاسلام بكربته. كأن لم يُسمع بنصر ابن نُصير. وطَرق طارق بكل خير .ونهَشات حَنَشٍ[1] وكيف أعيت الرُّقى. وأزالت بليل السليم يوم الملتقى. ولم تُخبَر عن المروانيّة وصوائفها . وفتى معافر[2] وتعفيره للأوثان وطوائفها . لله ذلك السلف. لقد طال الأسى عليهم والأسف

---

(١) حنش الصنعانى وكان من فاتحى الأندلس

(٢) يعنى به المنصور بن أبى عامر الذى غزا ٥٦ غزوة فلم تنكسر له راية فقد كان من معافر

وقال في رسالة أخرى : وما الذى نبغيه ، وأى أمل لانطرحه ونلغيه، بعد الحادثة الكبرى، والمصيبة التى كل كبد لها حرّى ، وكل عين من أجلها عبرى، لكن هو القضاء لايُرَدّ. ولله الأمر من قبل ومن بعد

ومما قاله فى ذلك من المنظوم قوله :

ما بال دمعكَ لايَنِي مدْرَارُهُ | أمْ مالقلبك لايقرُّ قرَارُهُ
ألِلوعةٍ بين الضلوع لظاعن | سارت رَكائبُهُ وشَطَّتْ داره
أم للشباب تقاذفت أوطانه | بعد الدنوّ وأخفقت أوطاره
أم للزمان أتى بخطبٍ فادحٍ | من مثل حادِثِهِ خَلَت أعصاره
بحر من الأحزان عبَّ عبابه | وارتجَّ ما بين الحشا زخَّاره
فى كلِّ قلبٍ منه وجدٌ عنده | أسفٌ طويل ليس تخبو ناره
أما بلنسيةٌ فمثوى كافر | حُفَّت به فى عُقرها كُفَّاره
زرع من المكروه حلّ حصاده | عند الغُدُوِّ غَدَاة لجَّ حِصَاره
وعزيمة للشرك جَعْجَعَ بالهُدى | أنصارها اذ خانه أنصاره
قُل كيف تثبت بعد تمزيق العدَا | آثاره أم كيــف يُدرك ثاره
ما كان ذاكَ المِصرُ الا جنّةً | للحسن تجرى تَحْتَهُ أنهاره
طابت بطيب نهاره آصاله | وتعطَّرت بنسيمه أشجــاره
أمَّا السرار فقدغداهُ وهل سوى | قمر السماء يزول عنه سِرَاره
قد كان يُشرق بالهداية ليلُهُ | والآن أظلم بالضَّلال نهاره
ودجا به ليلُ الخطوبِ بصحبهِ | أعيا على أبصارنا اسفاره

ومما صدر عن الكاتب أبى عبد الله محمد بن الأبار فى ذلك من رسالة :

وأما الأوطان المحبب عهدها بحكم الشباب، المشبّ فيها بمحاسن الاحباب، فقد ودعنا

كزعزع الريح صكّ الدوح عاصفُها   فلم يدع من جنىً فيها ولا غصُن ِ
واهاً وواهاً يموت الصبر بينهما   موت المحامد بين البخل والجبن

أين بلنسية ومغانيها ، وأغاريد وُرقها وأغانيها ، أين ُحلى رصافتها وجسرها، ومنزلا عطائها ونصرها ، أين أفياؤها تندى غَضَارة وركاؤها تبدو من خُضاره ، أين جداولها الطفاحة وخمائلها ، أين جنائنها النفاحة وشمائلها ، شدّ ماعَطَلَ من قلائد أزهارها نحرها وخلعت شعشمانية ضحاها بحيرتها وبحرها ، فأيه حيلة لاحيلة فى صرفها مع صرف الزمان ، وهل كانت حتى بانت إلا رونق الحق وبشاشة الايمان ، ثم لم يلبث داء عُقرها أن دب الى جزيرة شقرها ، فأمرّ عذبها النمير وذوى غصنها النضير ، وخرست حمائم أدواحها وركدت نواسم أرواحها ومع ذلك اقتُحمت دانية فنُزحت قطوفها وهى دانية ، وبالشاطبة وبطائحها من حيف الأيام وإنحائها ، ولهفاه ثم لهفاه على تدمير وتلاعها ، وجيّان وقلاعها ، وقرطبة ونواديها وحمص ووواديها كلها رُعىَ كلأُها ودُهىَ بالتفريق والتمزيق ملأوها ، عضّ الحصار أ كثرها وطمس الـكفر عينها وأثرها ، وتلك البيرة بصدد البوار وريّه ، فى مثل حلْقة السوار لامِرية فى المَريَّة وخفضها على الجوار الى بُنيّات لواحق بالأمهات . ونواطق بهالك لأوّل ناطق ٍ بهات ، ماهذا النفخ بالمعمور ، أهو النفخ فى الصور ، أم النّفر عارياً من الحج المبرور ومالأندلس أصيبت بأشرافها ، ونقصت من أطرافها ، قوِّض عن صوامعها الأذان وصُمّت بالنواقيس فيها الآذان ، أجَنَت مالم تجن ِ الأصقاع ، أعقّت الحقَ فحاق بها الايقاع ، كلا بل دانت للسنه ، وكانت من البدع فى أحسن جُنّه. هذه المروانية مع اشتداد أركانها وامتداد سلطانها ، ألقت ُحبّ آل النبوة فى حبات القلوب. وألوت ماظفرت من خلعة ولا قلعة بمطلوب ، الى المرابطة بأقاصى الثغور والمحافظة على معالى الأمور ، والركون الى الهضبة المنيعة ، والروضة المريعة ، فليت شعرى بم استوثق تمحيصها ، ولِمَ تعلق بعموم البلوى تخصيصها . اللهم غفراً ! طالماضرّ ضجر ، ومن الأنباء مافيه مزدجر ، جرى بما لم تقدّره المقـدور ، فما عسى أن ينفث به المصـدور ، وربنا الحـكيم العليم . فحسبنا التفويض له والتسليم . وياعجباً لبنى

الأصفر ، أنسيت مرج الصُّفّر ورميها يوم اليرموك بكل أغلب غضنفر ، دع ذا فالعهد به بعيد ومن اتعظ بغيره فهو سعيد .

وهذه النونية التى فاقت فى الشهرة قفا نبك ولم يعهد الناس مرثية بلغت مابلغته من إثارة الحفائظ وإرهاف العواطف فضلا عن إبداع النظم وإحسان السبك للعلامة خاتمة أدباء الأندلس صالح بن شريف الرندى المعروف بأبى البقاء الرندى :

لكل شىء اذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الأمور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد ... ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتماً كل سابغة ... اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضى كل سيف للفناء ولو ... كان ابن ذى يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن ... وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ماشاده شداد فى ارم ... وأين ماساسه فى الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب ... وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لامرد له ... حتى قضوا فكأن القوم ماكانوا
وصار ماكان من ملك ومن ملك ... كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله ... وأم كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب ... يوماً ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوّعة ... وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها ... وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له ... هوى له أُحُد وانهد ثهلان
أصابها العين فى الاسلام فارتزأت ... حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ماشأن مرسية ... وأين شاطبة أم أين جيّان

وأين قرطبة دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه ... ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كنّ أركان البلاد فما ... عسى البقاء اذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الاسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عمرانُ
حيث المساجد قد صارت كنائس ما ... فيهن الا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة ... حتى المنابر ترثى وهى عيدان
يا غافلا وله فى الدهر موعظة ... ان كنت فى سنة فالدهر يقظان
وماشياً مرحاً يلهيه موطنه ... أبعد حمص تغرّ المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها ... وما لها مع طول الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها فى مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كأنها فى ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر فى دعة ... لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز انسان
ماذا التقاطع فى الاسلام بينكم ... وأنتم يا عباد الله اخوان
ألا نفوس أبيات لها همم ... أما على الخير أنصار وأعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم ... أحال حالهم كفر وطغيان
بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم ... واليوم هم فى بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم ... عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم ... لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يا رب أم وطفل حيل بينهما ... كما تفرّق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت ... كأنما هى ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة ... والعين باكية والقلب حيران

لمثل هذا يذوب القلب من كمد　　ان كان فى القلب اسلام وايمانُ

ومن مراثى الأندلس الجديرة بالحفظ هذه المرثية للأديب أبى جعفر بن خاتمة تاريخ نظمها سنة ٩٠٤ أو ٩٠٥ للهجرة أى فى أثناء سقوط غرناطة وكانت رندة قد سقطت من قبل. وقد أصبت هذه القصيدة عند الأخ الفاضل السيد عز الدين علم الدين التنوخى ناموس المجمع العلمى العربى وذلك عند حصولى بدمشق سنة ١٣٥٦

أحقاً خبا من جوّ رُندة نورها　　وقد كسفت بعد الشموس بدورها

وقد أظلمت ارجاؤها وتزلزلت　　منازلها ذات العلا وقصورها

أحقاً خليـلى ان رندة أقفرت　　وأزعج عنها أهلها وعشيرها

وهدت مبانيها وثُلّت عروشها　　ودارت على قطب التفرق دورها

منازل آبائى الكرام ومنشأى　　وأول أوطان غذانى خيرها

فمالقة الحسناء ثكلى أسيفة　　قداستفرغت ذبحاً وقتلاً حجورها

وجزت نواصيها وشلت يمينها　　وبدل بالويل المبين سرورها

وقد كانت الغربيـة الجنن التى　　تقيها فأضحى جنة الحرب سورها

وبلّش[(١)] قطّت رجلها بيمينها　　ومن سريان الداء بان فطورها

وضحت على تلك الثنيات حجرها　　فأقفر مغناها وطاشت حجورها

وبالله إن جئت المنكّب[(٢)] فاعتبر　　فقد خف ناديها وجف نضيرها

وقدرجفت وادى الأشى[(٣)] فبقاعها　　سكارى وما استاكت بخمر ثغورها

وبسطة[(٤)] ذات البسط ماشعرت بما　　دهاها وأنّى يستقيم شعورها

وما أنس لا أنس المرية[(٥)] انها　　قتيلة ادجال ازيل عذيرها

---

(١) بلش مالقة وكانت من أمصار الأندلس

(٢) المنكب على البحر أقرب مرفأ إلى غرناطة

(٣) أو وادى الأساة

(٤) من مدن مملكة غرناطة إل الشمال الشرقى منها

(٥) المرية كانت من أعظم ثغور الأندلس

ألا ولتقف ركب الأسى بمعالم ... قد ارتج باديها وضج حضورها
بدار العلى حيث الصفات كأنها ... من الخلد والمأوى غدت تستطيرها
محل قرار الملك غرناطة التى ... هى الحضرة العليا زهتها زهورها
ترى للأسى أعلامها وهى خشع ... ومنبرها مستعبر وسريرها
ومأمومها ساهى الحجى وامامها ... وزائرها فى مأتم ومزورها
وجاءت الى استئصال شأفة ديننا ... جيوش كموج البحر هبت دبورها
علامات أخذ ما لنا قبل بها ... جنايات أخذ قد جناها مثيرها
فلا تنمحى الا بمحو أصولها ... ولا تنجلى حتى تحط أصورها
معاشر أهل الدين هبّوا لصعقة ... وصاعقة وارى الجسوم ظهورها
أصابت منار الدين فانهدّ ركنه ... وزعزع من أكنافها مستطيرها
الا واستعدوا للجهاد عزائما ... يلوح على ليل الوغى مستنيرها
بأسد على جرد من الخيل سبّق ... يدعُّ الأعادى سبقها وزئيرها
بأنفس صدق موقنات بأنها ... الى الله من تحت السيوف مصيرها
فواحسرتا كم من مساجد حولت ... وكانت الى البيت الحرام سطورها
ووا أسفا كم من صوامع أوحشت ... وقد كان معتاد الأذان يزورها
فمحرابها يشكو لمنبرها الجوى ... وآياتها تشكو الفراق وصورها
وكم طفلة حسناء فيها مصونة ... إذا أسفرت يسبى العقول سفورها
تميل كغصن البان مالت به الصبا ... وقد زانها ديباجها وحريرها
فأضحت بأيدى الكافرين رهينة ... وقد هتكت بالرغم منها ستورها

قدوصف صاحب هذه القصيدة سقوط مملكة بنى الأحمر مدينة بعد مدينة وكانت صُبابة كأس الأندلس فذكر رندة ثم مالقة وبلش ثم المنكّب ثم وادى آش ثم بسطة ثم المريّة ، وختم ابن خاتمة مناحته بذكر غرناطة أم البلاد . ومن نسق نظمها يظهر أنه كان مشاهداً تلك الحوادث القاصمة للظهور وأن البيان كان عن عيان

وبينما أنا أختم هذا الجزء وأهيؤه للطبع اذ اطلعت فى جريدة الصفاء سنة ١٩٣٩ على قصيدة مؤثرة فى رثاء الأندلس وذكرى أيامها الخالية لأبى الفضل الوليد بن طعمة من أدباء اخواننا المسيحيين اللبنانيين فأحببت تخليدها فى هذا الكتاب لمكانها من النخوة الأدبية والنزعة العربية وهى :

يا أرض أندلس الخضراء حيينا ... لعل روحاً من الحمراء تحيينا
عادت الى أهلها تشتاق فتيتها ... فأسمعت من غناء الحب تلحينا
كانت لنا فعنت تحت السيوف لهم ... لكن حاضرها رسم لماضينا
فى عزنا اكتسبت منا قصورتنا ... محفوظة أبداً فيها تعزينا
لا بدع ان نشقتنا من أزاهرها ... طيباً فانا ملأناها رياحينا
وان طربنا لألحان نرددها ... فانها أخذت عنا أغانينا
فى البرتغال وأسبانية ازدهرت ... آدابنا وسمت دهراً مبانينا
وفى صقلية الآثار مابرحت ... تبكى التمدن جيناً والعلى حينا
كم من قصور وجنات مزخرفة ... فيها الفنون جمعناها أفانينا
وكم صروح وأبراج ممردة ... زدنا بها الملك توطيداً وتمكينا
وكم مساجد أعلينا مآذنها ... فأطلعت أنجماً منها معالينا
تلك البلاد استمدت من حضارتنا ... ما أبدعته وأولته أيادينا
فيها النفائس جاءت من صناعتنا ... ومن زراعتنا صارت بساتينا
فأجدبت بعدنا واستوحشت زمناً ... تصبو الينا وتبكي من تنائينا
أيام كانت قصور الملك عالية ... كان الفرنج الى الغابات آوينا
وحين كنا نجر الخز أردية ... كانوا يسيرون فى الأسواق عارينا
جاءت من الملأ الأعلى قصائدنا ... والروم قد أخذوا عنا قوافينا
لم يعرفوا العلم الا من مدارسنا ... ولا الفروسة الا من مجارينا
أعلى الممالك داستها جحافلنا ... وسرحت خيلنا فيها سراحينا
تلك الجياد بأبطال الوغى قطعت ... جبال برنات وانقضت شواهينا

في أرض إفرنسة القصوى لها أثر ... قد زاده الدهر ايضاحاً وتبييناً
داست حوافرها ثلجاً كما وطئت ... رملاً وخاضت عباباً فى مغازينا
كسرى وقيصر قد فرت جيوشهما ... للمرزبان وللبطريق شاكينا
حيث العمامة بالتيجان مزرية ... من يوم يرموك حتى يوم حطينا
وللعروش طواف بالسرير اذا ... قام الخليفة يعطى الناس تأميناً
بعد الخلافة ضاعت أرض أندلس ... وما وفى العرب الدنيا ولا الدينا
الملك أصبح دعوى فى طوائفهم ... واستمسكوا بعرى اللذات غاوينا
وكل طائفة قد بايعت ملكاً ... لم يلف من غارة الاسبان تحصينا
وهكذا يفقد السلطان هيبته ... اذا كثر الناس بالفوضى السلاطينا
تلك المساجد صارت للعدى بيعاً ... بعد الأئمة لا تهوى الرهابينا
هل ترجعن لنا ياعهد قرطبة ... فكيف نبكى وقد جفت مآقينا
ذبلت زهراً ومن ذياك نشوتنا ... وان ذكراك فى البلوى تسلينا
ما كان أعظمها للملك عاصمة ... وكان أكثرها للعلم تلقيناً
لم يبق منها ومن ملك ومن دول ... الا رسوم وأطياف تباكينا
والدهر ما زال فى آثار نعمتها ... يروى حديثاً به يشجو أعادينا
أين الملوك بنو مروان ساستها ... يصحون قاضين أو يمسون غازينا
وأين أبناء عباد وورونقهم ... وهم أواخر نور فى دياجينا
يأيها المسجد العانى بقرطبة ... هلا تذكرك الأجراس تأذينا
تلك القصور من الزهراء طامسة ... وبالتذكر نبنيها فتبنينا
على الممالك منها أشرفت شرف ... والملك يعشق تشييداً وتزييناً
وعبد رحمانها يلهو بزخرفها ... والفن يجمع فيها الهند والصينا
كانت حقيقة سلطان ومقدرة ... فأصبحت فى البلى وهما وتخمينا
عمائم العرب الأمجاد ما برحت ... على المطارف بالتمثيل تصبينا
وفى المحاريب أشباح تلوح لنا ... وفى المنابر أصوات تنادينا

يابرق طالع قصوراً أهلها رحلوا وحي أجداث أبطالٍ منيخينا
أهكذا كانت الحمراء موحشة اذ كنت ترقب أفواج المغنينا
وللبرود حفيف فوق مرمرها وقد تضوع منها مسك دارينا
وياغمام افتقد جنات مرسية وردّ من زهرها ورداً ونسرينا
وأمطر النخل والزيتون غادية والتوت والكرم والرمان والتينا
أوصيك خيراً بأشجار مباركة لأنها كلها من غرس أيدينا
كنا الملوك وكان الكون مملكة فكيف بتنا المماليك المساكينا
وفي رقاب العدى انفلت صوارمنا واليوم قد نزعوا منا السكاكينا

وكان الفراغ من طبع هذا الجزء الثالث من كتابنا « الحلل السندسية فى الاخبار والآثار الأندلسية » فى رجب سنة ١٣٥٨ وفق أغسطس سنة ١٩٣٩ وذلك بمطبعة السادة عيسى البابى الحلبى وشركائه بمصر . ويليه الجزء الرابع الذى هو أهم أجزاء هذا التأليف ففيه سيدور الكلام على قرطبة أم الأندلس وعلى أواسط الجزيرة الأندلسية كجيان وبياسة وبيانة وماردة وقلعة رباح وغيرها من البلاد المتوسطة . وكما أحسن الله فيما مضى يحسن فيما بقى بكرمه تعالى ومنه

المفوات

نسرد هنا أهم المفوات التي جاءت في هذا الجزء :

ص	الخطأ	الصواب
١٩	الطرطوشي أبو بكر بن بشكوال	الطرطوشيَّ أبا بكر : ابنُ بشكوال
٣١	أبو الربيع سلمان	أبو الربيع سليمان
٨٥	أحمد بن جحاف	أبو أحمد بن جحاف
٨٩	أبي عمر وعثمان	أبي عمرو عثمان
٩١	أبي عمر وعثمان	أبي عمزو عثمان
٩٦	أبو يحيي بن الفرضي	أبو بكر يحيي بن الفرضي
١٠١	محمد بن عطية	أبو محمد بن عطية
١١٠	أبو عامر نذير	أبو عامر بن نذير
١١١	بن عيسى والتميمي السبتي	بن عيسى التميمي السبتي
١١٥	الأصفاني	الأصفهاني
١١٧	ثلاث عشرة وأربعمائة	ثلاث عشرة وستمائة
١٢١	أبو الحسن بن الحسين بن جبير	أبو الحسين بن جبير
١٨١	أبو عبد الله بن الجزار	أبو عبد الله بن الخراز
١٨٣	أبي شرف	ابن شرف
١٨٥	أبو عبد الله بن تسع	أبو عبد الله بن نسع
١٩٩	أبو الأضبع	أبو الأصبغ
٢٠٠	أبو محمد بن عبدون	أبو محمد عبدون
٢٠٠	داود المقرى	أبو داود المقرى
٢٠٠	ذكر في صفحة ١٠٧	ذكر في صفحة ٩١

ص	الخطأ	الصواب
٢٠٧	ابن المغير	ابن المنير
٢٠٧	ابن صاحب الصلات	ابن صاحب الصلاة
٢٣١	عبد الله بن نوح	أبو عبد الله بن نوح
٢٤٣	عبد الله محمد بن عبد الله	أبو عبد الله محمد بن عبد الله
٢٥٥	أبو الحسين بن أبي الحديد	أبو الحسن بن أبي الحديد
٢٥٧	توفى سنة ٤١٥	توفى سنة ٥١٤
٢٥٩	عبد الله بن مغاور	أبو عبد الله بن مغاور
٢٦١	عمر بن عبد البر	أبو عمر بن عبد البر
٢٦٥	أبو الحسين مفاوز	أبو الحسن : مغاور
٢٦٩	أبو عبد محمد بن لب	أبو عبد الله محمد بن لب
٢٧١	أبو عمران بن تليد	أبو عمران بن أبي تليد
٢٨٤	أبو بكر بن أبي حمزة	أبو بكر بن أبي جمرة
٢٨٤	سعيد بن عبادة	سعد بن عبادة
٢٨٨	أبو الوليد بن ظريف	أبو الوليد بن طريف
٢٨٨	محمد بن عتاب	أبو محمد بن عتاب
٢٨٩	أبو سفيان	ابن سفيان
٢٨٩	أبو عمرو بن عات	أبو عمر بن عات
٢٦٢	ابن سيد الأندلسي	ابن سيده الأندلسي
٣٠٠	نخريطة مال	بخريطة مال
٣٢٤	أبو الحسين بن هبة الله	أبو الحسين هبة الله
٣٣٤	الحسن بن عبد العزيز	أبو الحسن بن عبد العزيز
٣٤٥	أبو عمر بن عيشون	أبو عمرو بن عيشون

ص	الخطأ	الصواب
٣٥١	ادريس بن ميسر	إدريس بن ميسرة
٣٩٧	محمد بن سعيد بن مردنيش	محمد بن سعد بن مردنيش
٤٥١	ابن همشك الثانى وزير مرسية	ابن همشك وزير مرسية الثانى
٤٥٣	أبو الحسن مغيث	أبو الحسن بن مغيث
٤٥٧	أبو بكر أحمد بن على	أبو جعفر أحمد بن على
٤٦٣	أخذ عن أبى عمر المقرى	أخذ عن أبى عمرو المقرى
٤٧٢	» » » » »	» » » » »
٤٧٥	أبو بكر بن محمد بن على	أبو بكر محمد بن على
٤٧٥	أبو عمر بن عيشون	أبو عمر عيشون
٤٧٩	محمد بن أبى جعفر	أبو محمد بن أبى جعفر
٥١٠	واحتمل الى أبى الحسن	واحتمل الى أبى الحكم
٥٣٤	سرعان ما عاش	سرعان ماعاث

ملاحظة : ورد فى آخر كلمة من ص ٥٢٩ وأول ص ٥٣٠ أبيات سيقت مساق النثر ، وهى لا تخفى على فطنة القارئ .

فهرس الموضوعات

فهرس الاعلام

منهج الفهرس

روعى فى هذا الفهرس :

أولا : أن يكون شاملا لجميع ما ورد فى هذا الجزء من أعلام الرجال والنساء ، وكذلك أعلام المهم من الأمم والقبائل والطوائف .

***

وثانياً : أن يهمَل فى الترتيب المضافُ الى العلم ، من نحو الأب والابن والأم والآل ، فابن أبى نعيم فى حرف النون ، وآل لحم فى حرف اللام ، وذو رعين فى حرف الراء . فالمعول على الحرف الأول مما يلى المضاف .

***

وثالثاً : أن تُسرد ـ بجوار الاسم الكامل ـ مواضع وروده فى أضعاف الكتاب كنيةً أو لقبا أو نسبة أو شهرة . وذلك إن وجد الاسم الكامل . مثل : عثمان ابن سعيد بن عثمان ، فقد سردت بجواره أرقام مواضع من الكتاب يرد فيها هذا الاسم بكنيته أو لقبه أو نسبته ، فيذكر : أبو عمرو ، و : أبو عمرو بن سعيد ، و : أبو عمرو المقرئ ، و : الدانى ، وابن الصيرفى .

ومثل : الحسين بن محمد ، فقد سُردت بجواره أرقام مواضع يذكر فيها : ابن سكرة ، وأبو على بن سكرة ، والصدفى ، وأبو على الصدفى . . .

وإنما عانينا إجراء ذلك لكي يتحقق المقصود من الفهرس ، وهو الحصول على مختلف المواضع التى جاء فيها ذكر العلم المنشود ، سواء أكان ذكره باسم أم بكنية أم بلقب أم بنسبة أم بشهرة .

***

ورابعاً : أنه إذا لم يوجد الاسم الكامل فى هذا الجزء، سُرِدت مواضع ورود العلم بجوار أَوْفَى ماهُو موجود من ألقابه أو كناه أو نسبه ، مثل : أبو الحسن بن الفضل المقدسى ، فهو يرد فى بعض ما يرد : أبو الحسن المقدسى . ومثل أبو القاسم بن منير ، فهو يجىء مرة : ابن منير ، ومثل : أبو الحجاج بن يسعون ، فهو يذكر فى مواضع ابن يسعون.

***

وخامساً : أن نسرد من الألقاب والكنى والمعارف التى تردفى ثنايا الكتاب مايستعصى الاهتداء الى اسم صاحبه ، ثم نتبع اللقب وما إليه بالاسم الكامل . وقد أسلفنا هذا «المفتاح» بين يدى الفهرس ، حتى يرجع إليه الباحث فيهديه ، فإذا لم يجد العلم المنشود فى هذا المفتاح ، بحث عنه فى مظِنَّته من الفهرس نفسه .

مفتاح الفهرس

الفهـرس

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

رف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

تمت فهارس الأعلام والبلدان الواردة فى هـذا الجزء بجهود وسهر الأديب المحقق الأستاذ محمد شوقى امين الموظف بالمجمع الملكى للغة العربية فى مصر وفقه الله.

